

يقضي الحكمة من بناء ومن بون الحكمة قد
ألقى خبرا كبيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

المجلد

١٣١٥

غير عادي الذين يتلون القول فيقولون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناوا » كنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ هـ ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ هـ ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

فاتحة السنة السابعة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩:٢٧) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ،
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣٥:٤٥) فَللَّهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْمَآسِينِ ٣٩ وله الكبرياء في السموات والارض وهو
المعزى الحكيم (فتحه بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه
ورسله ، وصنفوته من بني آدم الذين فضلهم على كثير من خلقه ، محمد

النبي الامي، العربي الحجازي، الذي أرسله رحمة للعالمين، وأتم به نعمته في الدنيا والدين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المهادين المهديين، والتابعين لهم في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين.

وبعد فأننا نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناه به في السنين الخالية، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزمت بهما أمتهما الجاهلة الغافلة، - الإفراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات، والانهمالك في الفواحش والمنكرات، والحفاظة على البدع وسيئ العادات، - والتفريط في حقوق الله وحقوق الامة، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة، ومجاعة الامم بما يستطيع من حول وقوة، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة، وقوة العلم والمعرفة، وقوة الكسب والثروة. ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر، وهاتيك المواعظ والنذر، وبما يفتشون به في كل عام، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام، ويبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمُسرفين، (٦: ٤) وما تأنيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين (١٠: ١٠١) قل انظروا ماذا في السموات والأرض، وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠: ١٠٢) - فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم؟ قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين) سبحانه الله ان من العقلاء من يتعظ بالعبرة، ومنهم من يكتفي بما توحى اليه الاشارة، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال، ما يستمدون به لما ينتظر في الاستقبال، ولو على سبيل الفرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواعظ لجهلهم وعدم تدبرهم

وان الام أشد من الافراد احتياطاً ، وأخفى حيلة وأدق استنباطاً ،
وأوسم في المستقبل آمالاً ، وأكثر استمداداً له وأعمالاً ، لأنها أطول
أعماراً ، وأشد قوة واقتصاداً ، وأكثر أعواناً وأنصاراً ، فما بال أمتنا
لا تعظ بكلام الله ولا بكلام البشر ، ولا تعير بما تشاهده من الأحداث
والعبر ، وكلما أنذرها الله بطشه تتماهى بالنذر ؟ (٤ : ٥٤) ولقد جاءهم من
الانبياء ما فيه مژدجر - ٥ - حكمة بالغة فما تفنى النذر * - ٢١ : ٥٥ - قل إنما
أُنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون)

تركت هذه الامة هداية القرآن ، فقاتها ما كانت تألت به من
الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والبسطة في العمران ، وأمتت غافلة
عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان ، بل أتى عليها أحقاب من الزمان ،
لا تشمر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر
دنياها ، قبل الشعور بما كان سبباً له من فساد أمر دينها ، وبما خسرت
من سلطانتها وأملكها ، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكتها ،
ولما شمرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية
وأسبابها المعنوية ، شرعت في شيء من الاصلاح الصوري ، بدون أن
تؤيده بروح الاصلاح المعنوي ، فمُد السلطان محمود مصححاً بتغيير الزي
الرسمي ونظام الجندي ، والسلطان عبد الحميد مصححاً باعلان التنظيمات
الخيرية ، والسلطان عبد الحميد مصححاً باانشاء نظارة العدلية ، ومصطفى
رشيد باشا مصححاً بادخال الدولة العثمانية في سلك الدول الاوربية ، وممدحت
باشا وأعوانه مصححين باقتباس القوانين الغربية ، ومحمد علي
باشا وأحفاده مصححين بفرجة البلاد المصرية ، والامير عبد الرحمن

خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الافغانية. ولم توجه همه أحد الى إصلاح الاخلاق والمعادات، وازالة البدع والمنكرات، وجمع الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات، فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصوري الا ضروبا من الفساد، ولا أفاد الدولة الا إضمااف الاستقلال وإضاعة البلاد، (٤٤: ٢١) بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر، أفلا يرون أننا نأتي الارض ننقصها من أطرافها؟ أفهمُ الغالبون؟

لا أقول ان جميع ما قام به أولئك الرجال لم يكن مطلوباً، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتياً، بل أقول ان أكثره كان ضرورياً، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الامة من طيب اجتماعي، عرف من أمراضها الظاهري والباطني، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة، ويحفظ البنية ويقوي المنة، لذلك رأيناها بمد هذه المعالجات لم تزد الا مرضاً، حتى كادت تكون حرضاً، ازدادت ذلاً وفقراً، وتفرقاً وضعفاً، وفساداً في الاخلاق، واسرافاً في النفاق، وكان ما أدخل فيها من علوم الامم القوية وقوانينها وآدابها، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها، بل كان تقليداً صورياً، أو عارضاً وقتياً، فنه ما كان ضاراً ومنه ما كان نافعاً، فأما الضار فأكثر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية، التي قطعت كثيراً من روابط الامة المليية، وأزالت ما أزال من مقوماتها ومشتخصاتها الاجتماعية والادبية، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الامم الأوربية، بل صارت صيلاً عليهم في جميع الشؤون، حتى انتهى ذلك الى هذا القتون، بأن فقدت الاستقلال، باسم النفوذ أو الحماية أو

الاحتلال ، (١٢:٩٦) وكذلك نوليّ بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون ١٣٢ وَلِكُلِّ درجاةٍ مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون)

وأما ما كان نافعاً من تلك الأعمال ، التي وسمت بسمه الإصلاح ، فأنما كان نفعه موضعياً ، وعارضاً لادئماً ، فكان كدواوة بعض أعراض الزهري (الداء الافرنجي) الظاهرة بما يزيلها ، مع بقاء العلة في الباطن (كتسمم الدم) تصدر عنها آثارها ، فما زال منه بالمعالجة الموضعية اليوم ، يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الفد * كلما داويت جرحاً سال جرح * ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية ، وهي اكبر مظاهر السلطة في الامة الاسلامية ، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن ، من جمع كلمة قبائل الافغان ، وتدريبها على القتال ، الذي يحفظه الاستقلال ، وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر ، فانه بنى ركني الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب ، على أساس الدين وسنن الاجتماع ، ثم لهم تكوين الأمة ، ولاستقام لهم بالامة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الامم والشعوب ، لا عصر الامراء والملوك ، ولكن جميع أقيال المسامين ، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين ، (٣٥ : ٤٤) أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ؟ ٢١:٤٠ - أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم * - ٣٠ : ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض

وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

نعم انهم لم يسيروا في الارض، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون، فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائمة ، ومصير الدول المستبدة الظالمة ، وحسن عاقبة الامم العالة العاملة ، رسيادة الدول المنظمة العادلة ، وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور، لا يفني عن اصلاح الاخلاق وارتقاء الجمهور، ولو ساروا لما نظروا، ولو نظروا لما أبصروا، ولو أبصروا لما اعتبروا، (٤٦:٢٢) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوبٌ يمعنون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تسمى الابصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) وأي عى أشد من عى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وافساد، حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويذل عاطفة الابوة والبنوة ، فيغري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ، وكيف يؤمن على حياة أمته ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها ورشادها ، ممن لاحظ لهم من حياتهم الا استدلالها واستعبادها ، اتباعا لترفهم ونعيمهم ، وافتتاناً باطرأهم وتعظيمهم ، يشبه طلب العلم من الجاهلين ، والتماس الهدى من الضالين ، (١١ : ١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم اُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْاَرْضِ اَلْقَلِيلَ مِمَّنْ اُنْجَيْنَا مِنْهُمْ ، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح ، ولا إصلاح للدولة ، الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم ، يأمرهم بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض ، ولا تأثير للأمر والنهي ، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي ، ولا يفيد الإحكام والإجماع ، الا مع مراعاة سنن الاجتماع ، لا اختلاف استعداد الأقسام ، باختلاف احوال الزمان والمكان ، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية ، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية ، حفظ الافراد الكثيرين من معنى الامة ، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة ، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ ، الا على سبيل التجوز في القول ، كما يطلق اسم الشيء على صورة الشيء ، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية ، وبالشركات أمورها المادية ، كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها ، وتقيمها على صراط شريعته ، لهذا كان ههنا منذ سنة المنار الاولى ، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المشي ، اهتداء بقوله تعالى (٨٧: ٩) فَذَكَرْ أَنْ نَقُتِ الَّذِي كَرَى ١٠ سَيَذَكُرُ مِنْ يَحْضَى) وليس بعد اقامة حجة الله في الوري ، الا فلاح من اتبع الهدى ، وهلاك من آثر الهوى (٤٥: ٢٢) أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ !)

ألا وان أمر التربية والتعالم هو أهم ما يجب أن يוכל الى الجماعات ، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات ، لان المدارس للافراد دكا كين لكسب المال ، وللحكومات معامل إسبائك العُمال ، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالاً لها كالألات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سننها ويسيروا على طريقها ، وانما يربح تجارتهم برواج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جاهل المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقائبة الى خصوصهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأنى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها ، الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها ??? كلا انها كرة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (١٧٨:٧) ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)

الام تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون - الافرنج والمترنجون - وترتقي بالملم ونحن قد دلأنا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعتز بجميع المدارس لكلماتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكناش ، قد قطعت روابط الامة الدينية والمدنية ، وفنتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الى المدارس الاميرية والاهلية ، فالمتخرجون فيها أقلم الذين يسلمون ، ومنهم الملعدون وأكثرهم الفاسقون ، يجر فون روة الامة الى الاجانب ، ويقذفونها بالقجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحرقون لها سلفها ، ويمظمون

في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المليئة ، ويزنون لها ذلك باسم المدينة ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الأجانب على إدارة أصر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم ، أو الجيش السلمي لشكائهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولا أجل هذا ربوهم هذه الترية البدنية ، وحشوا تخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلام صاروا بها أوربيين ، ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ، ولكنهم لغرورهم باسم المدينة الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون أنهم المصالحون لشأنها ، (١٠:٢) وإذا قيل لهم لا تشدوا في الأرض قالوا إننا نحن مصالحون ١١ إلا أنهم المفسدون ولكن لا يشعرون) هكذا ذفف على جرح هذه الامة من جعلوا انفسهم أساة لها وأطباءه فكان اقتل أدوائها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليدبر ما تقوله فيهم كتب الافرنج وصحفهم الشهيرة^(١) ومن اهمه ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا

نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية

على أن معاهد التعاليم الثانوية التي اسسها الاوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربة كلها » !!! فإذا لم يكن للمسلمين مدارس مليية ، تديرها حكومة أو جماعات اسلامية ، فتربيهم على ما يجمعون به مصالحهم الدينية والدنيوية ، وإذا

(١) ومنها ما كتبه لوود كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرنجين

كانوا لا يعرفون للتعليم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخلون من المنافع
 الخسيسة المادية ، فان اورية تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم
 خلقا جديدا ، يكونون بها على توجهم الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون
 من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا
 اين ينتهون ، (١٦ : ٢١ أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يُبشرون *
 ٣ : ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً
 ودُّوا ما عَتَيْتُمْ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ،
 قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

ألا اتنا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما توقف عليه
 من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم
 وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه
 وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانها اللغة والدين والشريعة
 والآداب^(١) فن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقد جزءا من نفسه ،
 لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن
 عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف
 ترقى لغتنا كما رقوا لغاتهم ، وكيف تنشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف
 نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم ،
 ولنا ان نستمين على ما نستمد منه ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

{١} هذا التقسيم بحسب عرف العصر ، والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد
 بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب ، وهي موضع اجتهاد
 أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية متبعها الدين وهي اعلى من
 آداب الافرنج وأكل

رجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ، وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضاللتنا ، واعتقاد انها حيث وجدت فنحن أحق بها ، (٢٤:٨) يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم الى ما يحسبكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تُحشرون ٢٥ واتقوا فتنة لا تُصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب ٢٦ واذكروا اذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض تخافون ان يَخْطِفَكُمُ النَّاسُ فَأَوَّكُمُ وَأَيَّدَكُمُ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وانتم تعلمون *

الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المقاتب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد الهمزة اللدنة ، بالويل الشديد والخطمة ، فنهى نذ كر كل من يطعم على منارنا هذا بأمر الله ونهيه ، ووعدته ووعيدته ، وندعو من رأى فيه خطأ ان يذكرنا به قولاً أو كتابة ، مبيناً ذلك بالادلة والبرهان ، لا بقول فلان ورأى فلان ، مع أدب العبارة ، والاكتفاء منها بقدر الحاجة ، ونحن ننشر ان شاء الله تعالى كل ما يكتب اليانا ، سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ما شرطنا ، ثم نبين ما عندنا فيه من قبول وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا ولا يكتب اليانا فهو لا ثقة بعلمه ولا بدينه ولا بما يقوله فينا ، وانه حاسد مفتاب ، أو مدّع كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سرير الحساب منشئ المنار ومحرره محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ كتاب مدارج السالكين . بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ﴾

هذا الكتاب للامام الحافظ المحدث ابن قيم الجوزية ، شرح فيه كتاب (منازل السائر) في التصوف لشيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي شرحا بين فيه غوامضه ، وفصل بين ماوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه ، فهو افضل كتب التصوف وأنفعها ، وهو مطبع الآن في مطبعة المنار ، وقد أوشك ان يتم طبع الجزء الاول منه ، وقد رأينا أن ننشر هذا الفصل منه تمجيلا بالفائدة لقراء المنار ، ولشدة الحاجة اليه . قال المصنف رحمه الله تعالى في سياق بيان انواع الكفر :

﴿ فصل ﴾

وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يفقره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله . وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين . ولهذا قالوا لا الهتهم في النار (تالله ان كنا لفي ضلال مبين) اذ نسوهم برب العالمين (مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه وملكه) وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تنجي ولا تميت . وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبودهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله . وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، وبفضبون لمقتضى معبودهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يفضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ، واذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبودهم غضبوا غضب اللئيم اذا حرد ، واذا انتهكت حرمات الله لم يفضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطاعتهم شيئا رضوا عنه ولم تنسكرا له قلوبهم . وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جورة ، ونرى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان أقام وان قعد وان عمر وان مرض وان استوحى (١) فذكر إلهه ومعبوده من دون الله

(١) كتب في هامش نسختنا « لعله وان استوحش » وفي النسخة الثالثة . « وان استوى » أي جالسا أو راكبا أو قائما

هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه — وهكذا كان عباد الاصنام سواء — وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها (١) من البشر. قال الله تعالى حاكياً عن اسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء: ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر انه لا يهديهم فقال (٢) (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فلهذا حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا؟ بل ما أعز من لا يهدي من انكره! والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله. وهذا عين الشرك. وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد الا بأذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فانه يأذن سبحانه لمن شاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله به صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله.

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذنه لمن وحده، والتي نفاها الله (٣) الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بقبض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون. فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة — وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال — «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله الا الله خالصاً من قلبه» كيف جمل أعظم الاسباب التي تبال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تبال بأخذهم شفعاء وعبادتهم وهو الاتهم من دون الله، فقلب النبي

(١) وفي نسخة «اتخذوها» (٢) هذه الجملة بين طرفي الآية ساقطة من نسختنا

(٣) التارح: نفى الله الشفاعة فيما مطلقاً ومقيداً، فالطلاق كقوله {اتفقوا بما رزقاكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة} والمقيد كقوله {ما للظالمين من شفيع ولا حميم يطلع} ومنها ما أشار اليه المصنف

صلى الله عليه وسلم في زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب اشفاة تجريد التوحيد ،
فحينئذ يأذن الله للشافع ان يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه وليا أو شفيعا انه يشفع له وينفعه عند
الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله
لا يشفع عنده احد الا باذنه ، ولا يأذن في اشفاة الا لمن رضي قوله وعمله كما قال
تعالى في الفصل الأول (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟) وفي الفصل الثاني
(ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وبقي فصل ثالث ، وهو انه لا يرضى من اتقوله
والعمل الاتوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والاخرين
كما قال أبو العالمة : كلتان يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعملون ؟ (١)
وماذا أجبتهم المرسلين ؟ فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من دعاها
وعقلاها : لاشفاة الا باذنه ، ولا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من اتقوله
والعمل الاتوحيده واتباع رسوله (٢) قاله تعالى : لا يفرق شرك العادلين به غيره
كما قال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وأصح القولين انهم يعدلون به
غيره في العبادة والموالاته والمحبة كافي الآية لاخرى (قاله ان كنا لفي ضلال مبين *
اذ نسويكم رب العالمين) وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله)

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول : لانحبهم كحب الله
ولا نسويهم بالله . ثم ينضب لهم وخرماتهم اذا انتهكت أعظم مما ينفضه الله ،
ويستبشر بذكركم ويتبشش به (٣) سيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة
الاهلقات ، وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وانهم باب بين الله وبين عباده .
ترى المشرك يفرح ويمر ويحسن قلبه ويهيج منه لوادج التظيم والمضوع لهم
والموالاته ، واذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيده ، لحقت وحشة وضيق وحرج (٤)

(١) كتب في هامش نسخةنا هنا « تعملون » (٢) وفي نسخة « وصله » (٣) يقال
تبشش به اذا آنسه وواصله وفي نسخة « ويستأنس » بدل « ويتبشش » (٤) فات
المصنف ان يستشهد هنا بقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشتازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) ولا فرق بين المشرك
الذي لا يؤمن بالآخرة البينة ، والمشرك الذي يؤمن بها على غير الوجه الذي ينه الرسول (ص)

ورماك بتقص الآية (١) التي له وربما عاداك . رأينا والله منهم هذا عياناً ورمونا بعداوتهم وبعوا لنا الغوائل (٢) والله مخزيهم (٣) في الدنيا والآخرة ، ولم تكن حجتهم الا ان قالوا كما قال اخوانهم : عاب آلهتنا . فقال هؤلاء تنقصهم مشايخنا وأبواب حوائجنا الى الله . وهكذا قال النصارى للذي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم : ان المسيح عبد (٤) ، قالوا : تنقصت المسيح وعبه . وهكذا قال أشباه المشركين لمن منهم اتخذ القبور أو ثانا تعبد ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي اذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها . فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصوا به (من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضال فلن تجد له زليلاً مرشداً) وقد قطع تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه ان من اتخذ من دون الله ولياً أو شفعياً فهو (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير) ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له (فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يجهل له به من النفع . والنفع لا يكون الا لمن فيه خصلة من هذه الاربعة : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً له كان معينا له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفعياً عنده . فنفى سبحانه المراتب الاربعة نفياً مرتباً منتقلاً (٥) من الاعلى الى مادونه (٦) فنفى المالك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآية نورا وبرهاناً ونجاة وتجيهاً للتوحيد وقهاً لاصول الشرك ومواد له لن عقلاً ، والقرآن مملوء من أمثالها

(١) وفي نسخة « رماك بتقص الآلهة » الخ (٢) يقول مصحح الكتاب : نحمد الله ان كان لنا في المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله أسوة ، فقد رأينا ما رأى وأتينا بما أتينا (٣) وفي نسخة « يحزبونهم » (٤) وفي نسخة « عبد الله » (٥) وفي نسخة مرتباً منتقلاً (٦) وفي نسخة الادنى

٣٤ اسلام اللورد هدي - محاسن الاسلام التي هدته اليه (المنار - ج ١ م ١٧)

ونظائرهما ولكن اكثر الناس لا يشعرون (١) بدخول الواقع تحتهم وتضمنه له ، وبظنه في نوع ، وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن . ولعمري الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم . وتناول القرآن لهم كتبنا وله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » (٢) وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك ه وما عابه القرآن وذمه ، وقم فيه واقره ، ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه (٣) أو دونه ، فينقض (٤) بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويدفع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان اه

اسلام اللورد هدي

وما قاله وكتبه في سببه

خاضت جرائد العالم في اسلام « اللورد هدي » الانكليزي فكتب بعضها ما نف عليه كما هو على سبيل الخبر ، وزعم بعضهم ان اسلامه اسلام سياسي ليتمل المسلمين في مجلس اللوردات ! واني بعض المنصحين من النصارى الا ان يشوب الخبر بشوائب التلبيس وابهام الفارئ ان اللورد لا يزال نصرانيا يؤمن بالثالوث ويجمع بين الضدين أو النقيضين : التوحيد والتثليث . وكان هذا التلبيس والابهام قد استنبط من كلمة عزيزت الى اللورد . وانا ننشر ما نقلته جريدة مسيحية انكليزية عن اللورد وما كتبه هو عن اسلامه فنقول :

جاء في جريدة الديلي ميل الصادرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ تحت عنوان (اسلام اللورد هدي) ما يأتي :

اللورد هدي هو البارون الخامس في بيته (عائلته) وقد ارتقى الى هذه الرتبة

(١) وفي نسخة لا يشعرون (٢) وفي نسخة من لم يعرف الجاهلية (٣) وفي نسخة أو أسوأ (٤) وفي نسخة فينقض . ولله الاصل الصحيح

في يناير الماضي بعد وفاة ابن عمه . وقد اسلم هذا الورد الآن وأعلن اسلامه في حفلة للجمعية الاسلامية بلندن ، وكان هو نفسه حاضرا في ولاية الجمعية السنوية قال في اجتماع البارحة « انني باعلان اسلامي الآن لم أحد مطلقا عما اعتقدته منذ عشرين سنة ، ولما دعيتي الجمعية الاسلامية لوليبتها سررت جدا لا تمكن من الذهاب اليهم واخبارهم بانصافي الشديد بدينهم . وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لاطوار تنفيذي لاعتقادي بالكنيسة الانكليزية التي نشأت في حجرها ، كما أنني لم أحفل بالرسيمات في إعلان اسلامي ، وان كان هو الدين الذي أعلمك به الآن

إن عدم تسامح المتسككين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم ، فانك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الاديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض ، فإن المسلمين وإن كان يحزنهم عدم اعتناء الناس إلى دينهم إلا أنهم لا يحكمون على كل من خالفهم بالهلاك الأبدي

إن طهارة الاسلام وسهولته وبعده عن الاهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر في نفسي . وقد وأبت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والاخلاص ما لم أر مثله بين النصارى ، فإن النصراني يحترم دينه عادة يوم الاحد حتى إذا ما مضى الاحد نسي دينه طول الأسبوع . وأما المسلم فبمكس ذلك ، يحب دينه دائماً ، وسواء عنده أكان اليوم يوم الجمعة أو غيره ، ولا يفر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله

ولمني وإن كنت اعتنقت الاسلام الآن لازل نصرانيا ، بمعنى أنني لازلت مؤمنا بالمسيح ومتبعا تعاليم المسيح ، فان الاسلام يصدق بتعاليم جميع الانبياء على حد سواء فلا يفرق بين موسى والمسيح ومحمد « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » اه كلام هدي ثم قالت الجريدة المذكورة : إن الورد (هدي) هو مهندس . وفي المسابقة الرياضية التي جرت في كبرديج حاز قصب السبق في الملاكمة مثل المسير النسوان وبين (Allanson Winn)

﴿ لماذا أسلمت ﴾

وجه في جريدة الأيزر فر الأسبوعية (The Observer) في عددها الصادر ٢٣ نوفمبر الماضي تحت عنوان (لماذا أسلمت) بقلم الورد هدي (Headley)
مترجمه حرفيا : -

أخذت صحف عديدة تخوض في معتقدي الديني ، ويسرنى أن أرى أن جميع الانتقادات التي وجهت إليّ الآن كانت بلمحه لطيفة ، وما كان ينتظر أن الخروج عما افه الناس واعتادوه لا يلفت الأنظار اليه ، وذلك مما يسرنى . إني أحب مهني ومولع بالألعاب الرياضية ، ولم يكن لي في ذلك غرض لطلب الشهرة وبعد الصيت ، ولكن لو كان عملي في هذه الحالة سبباً في جعل الناس كبيرى المدارك سمحاه فأنا في غاية الاستعداد لأن أتحمل بكل صبر أي نوع من الاساءة والاستهزاء

أتاني في يوم كتاب من نصراني متمسك بدينه يقول لي فيه : إن الاسلام هو دين شهوات ، وإنه كان لنبيه عدة زوجات . فما أعجبها من فكرة عن الاسلام ! ! ولكنها هي الفكرة السائدة على عقول تسعة وتسعين من كل مائة بريطاني ، فانهم لا يمتبون أنفسهم في البحث عن حقائق دين يدين به مائة مليون من اخوانهم الحاضرين لهم . نبي العرب المقدس كان على الأخص حصورا عن الشهوات طاهراً ، فكان مخلصاً لزوجته الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة ، وكانت أول من آمنت ببعثته . وبعد موتها تزوج عائشة ثم تزوج أيضا عدة أرامل لاصحابه الذين قتلوا في الحرب لأنه كان له أدنى رغبة فيهن بل ليعولن ويقوم بكفالتهن ويرفع مقامهن إلى منزلة ما كن يصلن اليها بغير ذلك . وكان عمله هذا ملتبساً مع بعده عن الأنانية وممع حياته الشريفة العالية . وكان من شدة زهده في هذه الحياة أنه ما كان يملك ما يكفيه من العيش

نحن البريطانيون نعودنا أن نفخر بحبنا للانصاف والعدل ، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم سكا يفهل أكثرنا - بفساد الاسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده ، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام ؟

القرآن والدعوة

من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا في ، ولكن هذا الوهم لاحقيقة له ، فان اعتقادي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين . أما ماذا كراني الفعلية مع المتعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ الا منذ أسابيع قليلة ، ولا حاجة بي إلى القول بأنى ملئت سرورا حينما وجدت نظرياني وتأنجبي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الاسلامي . وأما صديقي الخوجة كمال الدين فلم

يحاول قط أنت يكون له في أقل تأثير ، ولكنه كان حقيقة كقاموس حي يفسر ويترجم لي - مع الصبر - ما لم يتضح لي من آيات القرآن . وكان سلوكه هذا مسلكت البشر الاسلامي الحقيقي الذي لا يحاول إرغام سامعيه أو التأثير فيهم . فان الدخول في الاسلام يجب - كما يقول القرآن - أن يكون بإرادة الانسان الحرة ورأيه الذاتي بدون أي وسيلة من وسائل الإكراه . وكذلك أراد عيسى أيضا حينما قال (ص ٦ : ١١ وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوه من هناك . . .)

لأنني أعرف حوادث عديدة جدا لبعض البروتستانت المتحمسين الذين يظنون أنه يجب عليهم أن يزوروا بيوت الكاثوليك ليحولوهم إلى مذهبهم ، ومثل هذا التصدي الجارح قبيح طبعاً . وقد أدى في الأكثر إلى إثارة الاحتقاد التي نشأت عنها مشاحنات وجهلت الدين يزدري . ولأنني ليحزنني أن أرى أن دعاة النصرانية قد سلكوا هذا الطريق عينه مع اخوانهم المسلمين ، ولا يمكنني أن أفهم كيف يريدون أن يدعوا إلى النصرانية من هم في الحقيقة أفضل منهم نصرانية (أو قال نصارى أفضل منهم) لم أقل « نصارى أفضل منهم » جزافاً فان مافي الاسلام من الخير والتسامح وسعة اندارك أقرب إلى مادعا اليه المسيح من تلك العقائد الضيقة التي أخذت بها فرق النصارى المختلفة

عقيدة أناسيوس (١)

أذكر مثلاً واحداً وهو عقيدة أناسيوس التي تشرح التالوث شرحاً في غاية التعقيد . في هذه العقيدة - وهي كبيرة الأهمية جداً وتصل على إحدى العقائد الأساسية للكنائس المسيحية - ترى جلياً أنها عقيدة الجمهور وأنها إذا لم نأخذ بها نهلك هلاكاً ألبداً . ثم يقال لنا إنه « يجب علينا أن لا نفكر في التالوث بقدر ذلك » وبعبارة أخرى إن الآله الذي نصفه في لحظة بالرحمة والقدرة ، نصفه في اللحظة الثانية بالظلم والقسوة ، وهو ما نحاسب أن نصف بها أفسى البشر السفاكين ، فكأن الله تعالى القديم الذي فوق كل شيء يكون خاضعاً لما يذهب إليه الهالك المسكين (يريد الانسان) في أمر التالوث . وهاك مثلاً آخر من أمثلة بعدهم عن الخير : أنني ككتاب بمناسبة مبني للإسلام يقول لي فيه كاتبه : لاني إن لم أؤمن بلاهوت المسيح فلا سبيل لي إلى الخلاص . أما مسألة ألوهية المسيح هذه فلم يظهر لي أنها تقرب في أهميتها من تلك المسألة الأخرى وهي : هل بلغ رسالة ربه للبشر ؟ فلو كان عندي الآن أي شك في هذه المسألة

الاخيرة لصايقتي كثيرا ، ولـكني - والله الحمد - لا أشك فيها ، وأرجو أن يكون إيماني بالمسيح وبما أوحاه الله اليه ثابتا كما أن أي مسلم أو أي نصراني به . وكما قلت من قبل مرارا إن الاسلام والتصرانية - التي أتى بها المسيح نفسه - هما توأمان لم يفرق بينهما الا الأهواء والاصطلاحات التي يحسن أن تنبذ ظهريا في هذه الأيام . يميل الناس الى الاتحاد حينما يطالبون بالأخذ بمبادئ جامدة لا تتحمل التسامح ، وإن كانوا - ولا شك - لقي شوق الى دين يذعن لحكم العقل كما يذعن للوجدان . من سمع بمقلب ملحد ؟ يجوز أن يوجد أحوال قلائل كهذه ولـكنني مع ذلك أشك في وجودها كل الشك

خوف الاتقاء

إني أعتقد أنه يوجد ألوف من الرجال والنساء الذين يدينون بالاسلام في قلوبهم ، ولكن مخافة الاجماع وخوف الاتقاء العدائي والرغبة في اجتناب كل ضيق أو تغيير يحملهم على عدم الجهر بما في قلوبهم . قد سالت الآن نفس هذا المسلك . على أي أعلم أن كثيرا من أصدقائي وأقربائي ينظرون اليّ كأني روح ضالة تستحق الدعاء لها ، مع أن عقيدتي الآن هي عين عقيدتي منذ عشرين سنة ، ولـكن جهري بها هو الذي أعتقدني حسن ظنهم بي . إن الخوف هو السبب في وجود أحوال لتفحصي من الشفاء والشر في هذا العالم ، ولو اتبع الناس الصراحة في القول لقل سوء التفاهم بينهم ، وزاد احترامهم ، ولتقتبس هنا كلمة المستر (بلقور) الحكيم وهي قوله « لاناصح أضر من الفزع إلا اليأس » ولكن أفضل أن أقول في هذه الحالة « هناك ناصح أضر وأشد خطراً من الشك أو الكفر ألا وهو الخوف »

وحيث اني قد أثبت هنا بملخص بعض الاسباب التي حمتني على اعتناق الاسلام وقد بينت أني أعتبر نفسي بهذا العمل نصرانيا أكمل بكثير مما كنت من قبل ، فإذا أرجو أن يقتدي بي غيري في ذلك ، فإنه خير لاشك فيه . وفيه السعادة لسكل من يرى أن عملي هذا ارتقاء لا يراد به أي عداة للتصرانية الصحيحة . اهـ

(المنار) في كلام أخينا اللورد هديلي كلمتان جديرتان بالاعتبار (احدهما) قوله : إن الاسلام هو التصرانية التي كان عليها ودعا اليها المسيح عليه السلام . وهذا حق فإن دين جميع رسل الله (عليهم السلام) واحد في اصوله وجوهره ، وإنما كان بيان خاتمهم (محمد صلى الله عليه وسلم) أنتم وأكمل على سنة الاتقاء في الحياة ، وقد حفظه

الله من التعريف والتبديل والزيادة ، والنقصان . وقد سبق لحكيمة الكبير السيد جمال الدين الافندي رحمه الله تعالى كلمة مثل كلمة اخينا اللورد هدي . ذلك ان سائلا سألته عن سبب الدعوة الى المذهب (النبشري) المادي في الهند فقال : ان الذين أرادوا حل رابطة المسلمين في الهند دعواهم أولا الى النصرانية فلم تتجح دعوتهم لان الاسلام مسيحية وزيادة ، فانه يقرر الايمان بالمسيح وبما جاء به من التوحيد والفضائل ويبطل ما زاده النصراني في دينه من الخرافات . - اي مع زيادة في المعارف الالهية والآداب والفضائل والهدى الكامل . فلما خابت هذه الدعوة رأوا ان يشككهم في الدين المطلق الخ ما قاله وقد ذكرناه بالمتن . ولولا المصيبات المذهبية ، والاحقاد السياسية ، وسوء حال مسامي هذه الازمنة وبمدهم عن حقيقة الديانة الاسلامية ، وجهل الافرنج بها وبفتها العربية ، ثم هذا الحجاب الذي اسدته العلوم والاعمال المادية ، ومقت الدين الذي أثارته الخرافات الكنيسية ، وما كان قبل من قسوة السلطة البابوية ، لكان هؤلاء الافرنج أجدر الناس في هذا العصر بالاسلام ، دين العقل والعلم والحضارة والسلام ، الذي كشف ما غشي كتب الانبياء من الخرافات والأوهام ، ورفع امتيازات الاجناس والاصناف والاقوام . ودعا الناس كافة الى الاخاء والوحدة والاعتصام . ولا بد أن يتجلى حقهم بعد احقاب ان لم يكن بمد اعوام ، وقد ظهرت بوادر ذلك بما يكتشفون في هذه الابام ، من غرائب آياته تعالى في الانفس والعقول والقوى والاجسام ، وقد قال في كتابه المجيد (سبحهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا انهم في ممرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شيء محيط)

وأما الكلمة الثانية من كتي (اللورد هدي) فهي إخباره بأن كثيرا من قومه مسلمون ، أي قد ظهر لهم نور الاسلام ، فانتشمت به ظلمات الاوهام ، وتلك الظلمة الوثنية ، التي غشيت تعليم المسيح النورانية ، فسلموا أن دين محمد هو دين المسيح عليهما السلام ، ولكنه غير أديان السكنايس المنسوبة الى المسيح بين انهم مسلمون في باطنهم ولكنهم يخافون ان يظهر اسلامهم كما كان يخاف هومدة عشرين سنة ، وانما يخافون ان يحقرهم قومهم ، وبعضهم منهم أهلهم ، لأن تصبهم للدين وللمذهب شديد جدا ، وان خفي هذا عن سفاهة المتفرجين منا الذين يزعمون ان جميع الافرنج ماوقون من الدين . لانهم ليلهم الى الاحلاد لا ينجذون الا الى أهله ، وقد يحملون من السلام عليه ما لا يرد به منه ، كما أنهم لاقتانهم بالفسق يظنون ان جميع نساء الافرنج بنايا ، وانهم لاهم لهم من حياتهم

ولا اشتغالهم الا بالشهوات البهيمية ، وسبب ذلك انهم لا يبحثون الا عن ذلك . ولو كان هم الذين يذهبون الى اوربة منهم موجهها الى علم من العلوم أو فن من الفنون أو صناعة من الصناعات ، لبدا لهم من اهتمام الافرنج به ما يحملهم على الظن بأنه لا هم لهم في غيره . على ان في الافرنج من يتم بافساد دين الشرقي لافساد جامسته التي يتعصم بها

هذا واتما كنا منذ ميزنا وعقلنا لسمع من أهلنا وأصحابنا أن كثيرا من نصارى بلادنا يوقنون بحقية الاسلام ولا يجروون على اظهار ذلك لقومهم ، ومنهم من يدخل في الاسلام ويؤدي فرائض كلها أو بعضها في الخفاء ، حتى اتفق ذلك لبعض رؤساء الاديار ، وأخبرنا والذي رحمه الله تعالى أنه عاد فلانا القائم في أحد أفضية جبل لبنان في مرض موته - وكان صديقا له - فخلا به فأشبهه على نفسه أنه مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله . وأذكر أنني رأيت ذلك الرجل وكنت طالب علم فسألني عن بعض الاحاديث النبوية وكان يذكر النبي (ص) بتعظيم فوق المعتاد في محاملة أدباء النصارى للمسلمين ، فحملت ذلك على المبالغة في المحاملة

وانني أعرف افراداً من فضلاء النصارى المستقلين يودون لو كان في البلاد حرية دينية يعذرهم بها أهلهم اذا هم أسلموا ، منهم من يود لو كان مسلما اعتقادا منه بأفضلية الاسلام ووجهاته على جميع الاديان ، ومنهم من يود ذلك لفرض سياسي اجتماعي وهو التمكن من التأثير في اصلاح بلاده التي يحزم بأنها لاتصلح الا اذا صلح المسلمون وجاروا الامم القوية في اسباب العزة والحضارة . وهذا الصنف كثير جدا . ولو كان الاسلام حكومة تقيم بنيانه ، وتفد أحكامه ، وتحمل الامة على فضائله ، وتظهر للناس حقيقة عدله وسماحته ، لرأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ، ولكن رؤساء المسلمين هم أشد تنفيرا عن الاسلام من دعاة الاديان الاخرى ورؤسائها ، ومن كل أحد . وما هذه الاعوارض لاندوم ، اذ وعد الله تعالى بان يظهره على الدين كله وكان الله قويا عزيزا

تاريخ الجهمية والمعتزلة

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب
(قال الامام الغزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي
علم الكلام — فقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
الصالح لا غير.

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها
وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم .
واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً ، فقلما ينفع معه الكلام ،
فانك ان اخمته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان
عند غيره جواباً ما ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة .
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان
يشدد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب
سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم
يبالغون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بمين الازدراء والاستحقار ،
فتنبهت منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر ذوايعهم على
طالب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا
من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لافي معرض التعصب
والتحقير ، لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ، ولا
يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب

(*) تابع لما نشر في ج ١٢ م ١٦ ص ٩١٣

عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اه

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تنبت دواعيهم ، ويشد حرصهم على الاصرار عليه (قال) ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع المامي يمكن ان يزول اعتقاده باللفظ في اسرع زمان ، الا اذا كانت نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويمتص من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ، ويعرفك بالبيان ان الحق مع خصمك ؟ لكره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اه

وقال العلامة المقلبي في العلم الشاخ : واعلم ان الخلاف والتعصب والتعزب هو الذي جعل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحل دماءهم واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرها كاللحم يسد باب الاجتهاد اه

(وقال ايضا) ثم ترتب على الافتراق تقويم كل لعمود البشاق ، وصار كل منهم انما يعتز بمن مال اليه من الملوك على خصمه اه
وبالجملة فن اعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ،

بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى أصبح يفيض القريب قريبه اذا وجده يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شفاء ولو اقام على صحة رأيه مئين من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغا دفع به ان يحق على مخالفه ، ويتعين القرص للايقاع به ، حتى اذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت زلة - ولا معصوم الا المعصوم - رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه ، وملاً الأرض والسماء صراخا بتشهيره ، غير مبال بما حظره الشرع مما يولد البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويح مثل هذه الخطة الشائنة لئلا يرقهم في بحار الجهل ، وانما يلام قادة الافكار على احتذائهم هذا الخدو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا صخب هؤلاء الرهط ، وبهم هذه الالقباب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نعم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل خطأ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب التوقي منه هو ان يتشاحن قادة العقول ويتطاحنوا ويتبغضوا لما لا يصح ان يكون سببا معقولا ، وان يثب كل على مخالفه وثبة النادر المنتقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر ممزق ، فيفتني إثرهم مقلدم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزابا متنافرة ، بشؤم اتعصب الذميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب والارزاء ، فن الواجب العمل على ملاشاة الشحناء والشقاق ، والقيام بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق

(١٣) حذر الأئمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية ، رمي بعضها بعضاً بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة اليه ، فالجتهده منهم وإن اخطأ مأجور (وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية) في كتابه موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول^(١) عن الامام الرازي (في نهاية العقول) في مسألة التكنفير ماثله : « قال الشيخ ابو الحسن الاشعري في اول كتاب (مقالات الاسلاميين) :
اختلف المسلمون بمد نبيهم في اشياء ضلل فيها بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين ، الا ان الاسلام يجمعهم فيهمهم . فهذا مذهبه ، وعليه اكثر الاصحاب ، ومن الاصحاب من كفر المخالفين
» واما الفقهاء ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أورد شهادة اهل الاهواء الا الخطائية ،^(٢) فانهم يمتقدون حل الكذب . واما ابو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر احداً من اهل القبلة . وحكى ابو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك .
» واما المعتزلة ، فالذين كانوا قبل ابي الحسين تحامقوا وكفروا

{ ١ } جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الاميرية على حاشية منهاج السنة (٢) فرقة من غلاة الشيعة منسوبة الى ابي الخطاب محمد بن مقلص كان قبحه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مراراً لفساد عقيدته وخبثه وكذبه عليه وقد تبرأ الصادق عليه السلام منه ، ومن اراد الوقوف على اخبار ابي الخطاب فليرجع الى كتاب رجال الشيعة للكشي فقد اسهب في شأنه في عدة اوراق اه

اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم مخالفوهم من اصحابنا ومن المعتزلة، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من يكفري ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه والا فلا »

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لا نكفر احدا من اهل القبلة والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله تعالى هل هو موجد لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متحيز ، وهل هو في مكان وجهة ، وهل هو مرئي ام لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والا اول باطل ، اذ لو كانت معرفة هذه الاصول من الدين ، لكان الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجري حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي الامتناع من تكفير اهل القبلة » اهـ

ثم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : « والاصل في هذا الباب ان الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ، فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا وجب اثباته وان نفي شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع

كان مذموماً كاسم الكافر والمنافق والملاحد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محموداً كاسم المؤمن والتقى والصديق ونحو ذلك »

« واما الالفاظ التي ليس لها اصل في الشرع ، فلك لا يجوز تعاليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها ، الا ان يبين انه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تمارض بها النصوص هي من هذا الضرب كلفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له ان يكفر مخالفته ان لم يكن قوله مما يبين الشرع انه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع ، كما انه ليس كل ما كان صواباً في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من اهل الكلام : ان اصول الدين التي يكفر مخالفها هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، واما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشرعيات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة والجمعية ومن سلك سبيلهم كاتباع صاحب الارشاد وأمثالهم فيقال لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : احدهما ان اصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني ان المخالف لها كافر ، وكل من القدمتين وان كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك ان ما لا يعرف الا بالعقل لا يعلم ان مخالفه كافر الكفر الشرعي ، فانه ليس في الشرع ان من خالف ما لا يعلم الا بالعقل يكفر ، وانما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما اخبر به ، او الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود

(المنار - ج ١ م ١٧) القاعدة في الكفر والايان . نحاشى أهل السنة التكفير ٤٧

ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تطبيق الكفر بما يتعلق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعا بأرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه ، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا وتجييسا واثباتا لحلول الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها » اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفصيل في هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحمه لانهم تجمعهم معه اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رحماء بينهم » فالؤمنون مهما اختلف اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يتراحمون ، يتآلفون ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

(١٤) بيان انه لا تضليل ، لمن اصابه اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولاً اننا لم نرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ، ولا مناقشتهم ، لان لتلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طويل الذيل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودوّن علم الكلام ، وانما اردنا نعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا على جل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وقر في قلوب كثير من الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيف ، تقليداً لمن ينزههم بذلك من حشوية المتفيعين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا وكان القائمون بمذهب المعتزلة خلفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاةهم وعدة من علمائهم ؟ وهم يحتجون لما يدعون ، ويبرهنون على ما يذهبون ، لاجرم انهم - وان اخطأوا - لمجتهدون

ومما يدل على ان هذا المقدر بلغ تمكن صحته من نفوسهم متناه من اليقين حملهم الخلفاء على اكرامه الناس عليه ابتغاء نجاتهم - بزعمهم - بتصحيح عقيدتهم على ما يرون ، وجلي ان كل من استدل على ما يراه ، واحتج على دعواه ، فقد آذن في اجتهاده فيه ، ونحوى الحق فيما يقصده ويبيغ ، فقصارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته ، ان يكون مجتهداً مخطئاً ، وهو مذمور بل مأجور ، اذ لم يرد الا الحق ، فن ابن يسوغ بمس ذلك قرص الاعراض بالتضليل والتفسيق ، وتثوير المنبوز على المقابلة بالمثل بل الامثال ، والخروج بالاقتداع عن آداب المناظرة والجدال

ان نيز الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن
النظر في ادلة كل منها ، لتزن المقبول منها بمقياره ، والمردود بمقداره ، لأنها
حاولت الضغط على الافكار ، وحرمانها من حرية البحث والنظر والتأمل ،
لتحملها على رأي واحد ، ومذهب مفرد ، وذلك ما كان ولن يكون
ان اختلاف الآراء لا يدعو بطبيعته الى الحفاظ والاضمان ، وغرس
الاحقاد والشنآن ، ولكن اكثر الفرق استولت على مناظريها الضمائن ،
فذهبت بهم مذهب التشفي والانتقام ، هذه بالنز بالالقاب السوءى ،
وتلك بها او بسلطتها الجائرة ، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب
من عجب امر التنازع ، ان الاغراق فيه قد يفري خلي الذهن
بالبحث عن المنبوز والتنقيب عنه ، فيحمله على التأمل في مداركه ، والتبصر
في ماآخذه ، فربما انضم اليه وشايعة تقليدا أو نظرا واستدلالا
فالتحاملون على فئة قد يحببون فيها من حيث يريدون التغير منها ،
ويجذبون اليها مما يأملون به الإبعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :
دع عنك لومي فان اللوم اغراء

هؤلاء المتحاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التكفير ،
وفاتهم ان هذا لا يعني من البرهان ، ولا يجزئ من الحق شيئا ، بل قد
يكون من اعظم امانتي الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما
يكون قد بلغ اشده واستوي ، ووصل الى اعماق الرسوخ ورسا .

ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة والرضوان رميه
بالكفر (وما أسهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الاشعري ، اتدب لتأليف

كتاب يهدي الى حقيقة الكفر والزندقه ، سماه « فيصل التفرقة ، بين الاسلام والزندقه » قال في خطبته : فهون ايها الاخ المشفق على نفسك ، لا يضيق به صدرك ، وقل من غريك قليلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جملا ، واستحق من لا يُحمد ولا يُقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف (١) »

ونقل الامام الغزالي ايضا في المستصفى ان عليا كرم الله وجهه استأذنه قضائه في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج وغيرهم اوردها ، فامرهم بقبولها كما كان قبل الحرب ، لانهم حاربوا على تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد خلاف اه فانظر كيف تسامح مع أهل التأويل من المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح بعد هذا التنبؤ بالنفسيق أو التضليل ؟ حاشا وكلا ! وهذا لمن عرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال ، والله المستعان

(١٥) ماوصى به الائمة من اطراح اقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن التماس الحكمة اينا وجدت

روى الامام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه (جامع العلم وفضله) في باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض . وعنه رضي الله عنه قال : خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض

(١) يشير رحمه الله الى ان ذلك صار وقفا على اخبار العلماء واعلام الجهادية الحكماء ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبله الى الآن

وعن مالك بن دينار قال : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء

الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال سمعت أبي يقول : العلماء كانوا فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم الغنيمة ، واذا لقي من هو مثله ذاكره ، واذا لقي من هو دونه لم يؤزم عليه ، حتى كان هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان ينقطع منه ، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه ، ولا يذاكر من هو مثله ، ويزهى على من هو دونه ، فهلك الناس

(قال الامام ابن عبد البر) : لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والقلم فلم يقنموا بذم العامة دون الخاصة ولا بذم الجاهل دون العلماء ، وهذا كله يحمل عليه الجاهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ، وعُلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكِبائر ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ، وشبه اقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

(وقال الذهبي) في ميزان الاعتدال - في ترجمة أبي نعيم أحمد الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده (قال الذهبي) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان . ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما اذا لاح لك انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه الا من عصم الله (قال) وما علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء والصدّيقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اهـ

قال العلامة المقتلي : واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لانه يزعمه ديناً ، ويعرّن عليه فينزع نفسه انه دين ، وحفظ الهوى في ذلك أوفى وأوفر ، نسأل الله العاقبة وان يحفظنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .
وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال التي ينال بها العلم ، عن علي كرم الله وجهه قال : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من ايدي المشركين ، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه كرم الله وجهه قال : الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط

وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال : انك لا تعرف خطأ مطلق حتى تجالس غيره ، وعن علي رضي الله عنه قال : ان الناس ابناء ما يحسنون وقدّر كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبين اقداركم . (قال ابن عبد البر) : ان قول علي بن ابي طالب « قيمة كل امرئ ما يحسنه » لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا : ليس كلمة احض على طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ما ترك الاول للآخر شيئاً) قال ابن عبد البر : قول علي رضي الله عنه « قيمة كل امرء ما يحسن » من الكلام المعجب الخطير ، وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجاباً به ، وكلفنا بحسنه ، فمن ذلك ما يعمى الى الخليل بن احمد وهو قوله :

لا يكون السريّ مثل الدنيّ * لا ولا ذو الذكاء مثل النبيّ
لا يكون الا لهُ ذو المقول المر (م) هف عند القياس مثل العيّ
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) قضاء من الامام عليّ

وقال غيره :

يلوم على أن رحت للعلم طالبا اجمع من عند الرواة فنونه
فيا لائي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وقال ابو العباس الناشي :

تأمل بعينيك هذا الانا م فكن بعض من صانه عقله
خفية كل فتى فضله وقيمة كل امرئ نبه
فلا تتكل في طلاب الملا على نسب ثابت أصله
فما من فتى زانه قوله بشيء يخالفه فصله
ومما ينسب لابي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال أكفاء ابرهم آدم والأُم حواء
وانما امهات الناس اوعية مستودعات والاحساب آباء
فان يكن لهم من اصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
وان اتيت بفخر من ذوي نسب فان نسبنا جود وعلواء
ما الفضل إلا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدي ادلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
فقم بعلم ولا تنفخ به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء

وقد ورد في هذا الباب ما رواه الامام مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزل الناس منازلهم : نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم) في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

الباب الاول من كتاب الاعتصام^(*)

﴿ في تعريف البدع وبيان معناها وما اشتق منه لفظاً ﴾

وأصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى « بديع السموات والارض » أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى « قل ما كنت بدعاً من الرسل » أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه اليها سابق. و: هذا امر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن فكانه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعلوم على ذلك الوجه بدعة. فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة حسبما يذكر بحول الله

ثبت في علم الاصول ان الاحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة: حكم يقتضيه معنى الامر كان للايجاب أو التذبح، وحكم يقتضيه معنى الذهني كان للكره أو التحريم، وحكم يقتضيه معنى التخيير وهو الاباحة. فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه الاقسام الثلاثة: مطلوب فعله، ومطلوب تركه، ومأذون في فعله وتركه. والمطلوب تركه لم يطلب

(*) الكتاب للإمام أبي اسحاق الشافعي الاندلسي صاحب كتاب (الموافقات) في أصول الشريعة وحكمها وهو يطبع الآن بمطبعة المنار على قبة دار الكتب الخديوية التابعة لمطبعة المعارف المصرية، فبشر علماء الاسلام بذلك، ونشر لهم هذا النموذج منه

الا لكونه مخالفاً للقسمين الآخرين ، لكنه على ضريين (أحدهما) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك ، وهو ان كان محرماً سُمي فعله معصية وإنما ، وسمي فاعله عاصياً وآثماً ، وإلا لم يسم بذلك ، ودخل في حكم العفو حسبما هو مبين في غير هذا الموضوع . ولا يسمى بحسب الفعل جائزاً ولا مباحاً لان الجمع بين الجواز والنهي مجتمع بين متنافيين (والثاني) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعنية أو الازمنة المعنية مع الدوام ونحو ذلك .

وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً — فالبدعة إذن عبارة عن « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التبعد لله سبحانه » وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات . وأما على رأي من أدخل الاعمال العادية في معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » . ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد : فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد ، وهو ما رسم للسلوك عليه . وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع واليه يضيفها صاحبها ، وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كاحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

والا كانت الطرائق في الدين تنقسم — ففنياً ماله أصل في الشريعة . ومنها ما ليس له أصل فيها . — خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع ، اذ

البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع . وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين ، كعلم النحو والتعريف ومفردات اللغة وأصول الدين ، وسائر العلوم الخادمة للشرعية . فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع ، إذ الأمر بأعراب القرآن منقول وعلوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة فحقيقتها إذاً أنها فقه التعبد بالألفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى

وأصول الفقه إنما معناها استقرار كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين وعند الطالب سلة التمس .

وكذلك أصول الدين وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير الأدلة القوآن والسنة أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به ، كما كان الفقه تقريراً لادلتها في القروع العبادية . (فان قيل) . فان تصنيفها على ذلك الوجه مخترع . (فالجواب) : ان له أصلاً في الشرع ، بقي الحديث ما يدل عليه ، ولو سلم انه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجماعته يدل على اعتباره ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة ، وسيأتي بسطها بحول الله ففلي القول بابتاتها أصلاً شرعياً لا إشكال في أن كل علم خادم للشرعية داخل تحت أدلته التي ليست بأخوذة من جزئي واحد . فليست ببدعة البتة وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات . وإذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة لان كل بدعة ضلالة من غير إشكال ، كما يأتي بيانه ان شاء الله

ويلزم من ذلك ان يكون كتب المصحف وجم القرآن قبيحا ، وهو

باطل باجماع ، فليس إذاً بدعة . ويلزم أن يكون له دليل شرعي ، وليس
 إلا هذا النوع من الاستدلال ، وهو المأخوذ من جملة الشريعة
 وإذا ثبت جزئي في المصالح المرسله ، ثبت مطلق المصالح المرسله .
 فملى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو
 علم الاصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلاً .
 ومن ساء بدعة فإما على المجاز كما سعى عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلاً بمواقع السنة والبدعة .
 فلا يكون قول من قال ذلك مقبداً به ولا معتمداً عليه .

وقوله في الحد «تضاهي الشرعية» يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من
 غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة .
 منها وضع الحدود كالنذر للصيام قائماً لا يقد ، ضاحياً لا يستظل .
 والاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقتصار من المأكل والملبس على
 صنف دون صنف من غير علة .

ومنها التزام الكيفيات والهيآت المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على
 صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، وما أشبه ذلك .
 ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين
 في الشريعة ، كالإزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته ^(١)

(١) هذا هو الصواب ولا يغتر أحد بتغيب الخطباء الجاهلين في ذلك ، ولا
 بالحدث الذي يذكرونه على منابرهم وهو «إذا كانت ليلة النصف من شعبان
 فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها الغروب الشمس الى سماء الدنيا
 فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له! ألا مستزق فأرزقه! ألا مبتلى فأعاقبه! ألا كذا =

وتم أوجه تضاهي بها البدعة الامور المشروعة فلو كانت لا تضاهي الامور المشروعة لم تكن بدعة لانها تصير من باب الافعال العادية وايضاً فان صاحب البدعة انما يحتقرها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة ، اذ الانسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع ، لانه اذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع قعماً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يحججه غيره اليه . ولذلك نجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمر تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير

فأنت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة ابراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الإِشراك (ما نبذهم إلا ليُقرَّبونا إلى الله زُلَّتْ) وكترك الخمس الوقوف بعرفة لقولهم : لا نخرج من الحرم اعتداداً بحرمته . وطواف من طاف منهم بالبيت عرياناً قائلين . لا نطوف بذياب عصينا الله فيها . وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصيروه بالتوجيه كالمشروع ، فما ظنك بمن عدَّ أو عدَّ نفسه من خواص أهل الملة ؟ فهم أخرى بذلك ، وهم المخطئون وظنهم الاصابة . واذا تبين هذا ظهر أن مضاهاة الامور المشروعة ضرورة الاخذ في أجزاء الحد وقوله « يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى » هو عام

معنى البدعة اذ هو المقصود بتشريعيها

= ألا كذا ، حتى يطلع الفجر » فان هذا حديث واه أو موضوع رواه ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وقد قال فيه ابن معين والامام أحمد انه يضع الحديث . نقل ذلك محشي سنن ابن ماجه عن الزوائد . وواقفه الذهبي في الميزان في الامام أحمد ، وذكر عن ابن معين انه قال فيه : ليس حديثه بشيء . وقال النسائي « متروك »

وذلك ان أصل الدخول فيها بحث على الانقطاع الى العبادة والترغيب في ذلك، لان الله تعالى يقول: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فكان المبتدع رأى ان المقصود هذا المعنى، ولم يتيقن له ان ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف، فرأى من نفسه انه لا بد لما أطلق الامر فيه من قوانين منضبطة، وأحوال مرتبطة، مع ما يدخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظهره، فدخلت في هذا الضبط شائبة البدعة.

وأيضاً فان النفوس قد تملأ وتبأس من الدوام على العبادات المرتبة، فاذا جدد لها أمر لا تمده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع الياء على الامر الاول. ولذلك قالوا « لكل جديد لذة » بحكم هذا المعنى، كمن قال: « كما تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فكذلك يحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدث لهم من القصور »

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: فيوشك قائل أن يقول ما هم بمتبعي فيتبعوني وقد قرأتك القرآن فلا يتبعني حتى ابتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فان ما ابتدع ضلالة^(١)

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات. فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التبعيد فقد خرج عن هذه التسمية، كالتمارم الملازمة على الاموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقدر مخصوص مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن اليها ضرورة.

وكذلك اتخاذ المناخل وغسل اليد بالاشنان وما أشبه ذلك من الامور التي لم تكن قبل، فانها لا تسمى بدعاً على احدي الطريقتين

(١) كذا في الاصل فليراجع الحديث وليضبط

وأما الحد على الطريقة الأخرى فقد تبين معناه الا قوله : يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية . ومعناه ان الشريعة انما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم لتأثيرهم في الدارين على أكل وجوهها ، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته . لان البدعة إما أن تتعلق بالمادات أو العبادات ، فان تعلقت بالعبادات فاما أراد بها أن يأتي تميده على أبلغ ما يكون في زعمه ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه . وان تعلقت بالمادات فكذلك لانه انما وضعها لتأتي أمور دنياء على تمام المصلحة فيها . فمن يحمل المناخل في قسم البدع فظاهر ان التمتع عنده بلذة الدقيق المنخول أتم منه بغير المنخول وكذلك البنات المشيدة الحفلة ، التمتع بها أبلغ منه بالحشوش والحرب . ومثله المصادرات في الاموال بالنسبة الى أولي الامر ، وقد أباح الشريعة التوسع في التصرفات ، فيعد المبتدع هذا من ذلك .

وقد ظهر معنى البدعة وما هي في الشرع والحمد لله

فصل

وفي الحد أيضا معنى آخر مما ينظر فيه . وهو أن البدعة من حيث قيل فيها : أنها طريقة في الدين مخترعة — الى آخره — يدخل في عموم لفظها البدعة التركية ، كما يدخل فيه البدعة غير التركية ، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريما للمتروك أو غير تحريم ، فان الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيجرمه الانسان على نفسه أو يقصد تركه قصدا

فهذا الترك اما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أولا ، فان كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه ، اذ معناه انه ترك ما يجوز تركه أو ما

يطلب بتركه^(١) كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك ، فلا مانع هنا من الترك . بل ان قلنا بطلب التداوي للعريض فان الترك هنا مطلوب ، وان قلنا بإباحة التداوي فالترك مباح ، فهذا راجع الى العزم على الحمية من المضرات . وأصله قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج — إلى ان قال — ومن لم يستطع فعليه بالصوم »^(٢) الذي يكسر من شهوة الشباب حتى لا تغنى عليه الشهوة فيصير الى العنت .

وكذلك اذا ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس فذلك من أوصاف المتقين ، وكذا ترك المشابهة حذرا من الوقوع في الحرام واستبراء للدين والعرض وان كان الترك لغير ذلك ، فاما أن يكون تدينا أو لا . فان لم يكن تدينا فالترك عابث بتحريمه القمل أو بعزيمته على الترك . ولا يسمى هذا الترك بدعة اذ لا يدخل تحت لفظ الحد إلا على الطريقة الثانية القائلة :

(١) لم يظهر لنا معنى الباء فالظاهر أنها زائدة من الناسخ
(٢) تنمة الحديث بعد كلمة الصوم « فانه له وجاء » فقله « الذي يكسر من شهوة الشباب » اخذ من كلام المصنف يبين به علة كون الصوم وجاء . وهو إضعاف الشهوة على رأي الجمهور . وهو لا يظهر الا في الصوم الكثير مع التقشف والاكتفاء عند الفطر بقليل الطعام ، والا فان الصوم من اسباب الصحة وزيادة القوة ، حتى في المعيشة المعتدلة : وحينئذ يكون وجه الشبه بين الوجاء الذي هو دق عروق خصى الفحل المضعف أو المزيل لشهوته وبين الصوم هو كون الصوم سبب التقوى كما قال الله تعالى في تعليل فرضيته « لعلكم تتقون » فمن اكثر من الصوم وترك ما يشتهي من الطعام والشراب المباحين لوجه الله تعالى يستفيد فائدتين احدهما ملكة مراقبة الله تعالى الذي يترك طعامه وشرابه لأجله ، والثانية ملكة ترك الشهوات التي يحتاج اليها كل يوم فتقوى ارادته وعزمته ، فيسهل عليه ترك سائر الشهوات ومنه غرض بصره واحصان فرجه

ان البدعة تدخل في العادات. واما على الطريقة الأولى فلا يدخل. لكن هذا التارك يصير عاصيا بتركه أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله وأما ان كان الترك تدينا فهو الابتداع في الدين على كلتا الطريقتين، اذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار الترك المقصود معارضة للشارع في شرع التعطيل^(١). وفي مثله نزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعمدوا ان الله لا يحب المعتدين) فهي أولا عن تحريم الحلال. ثم جاءت الآية تشعر بأن ذلك اعتداء، وأن من اعتدى لا يحبه الله

وسأتي للآية تقرير ان شاء الله. لأن بعض الصحابة هم ان يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الاكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وبعضهم هم بالاختصاص، مبالغة في ترك شأن النساء. وفي امثال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «من رغب عن سنتي فليس مني» فإذا كل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم. والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه

(فان قيل) فتارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا هل يسمى مبتدعا أم لا؟ (فالجواب) أن التارك للمطلوبات على ضربين: (أحدهما) ان يتركها لغير التدين إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك من الدواعي (١) ان أهل الاستانة لا ياكلون لحم الحما، فهو يعيش ويفرخ في مساجدهم ويؤتهم ولا يأكل احد منه شيئا، بل يخرجون من ذلك وينكرونه. والظاهر ان عامتهم يعتقدون ان أكله حرام، أفلا يجب في هذه الحال على العلماء مقاومة هذه البدعة التركية بالقول والفعل

النفسية . فهذا الضرب راجع الى المخالفة للامر . فان كان في واجب فمضية ، وان كان في نذب فليس بمضية اذا كان الترك جزئيا ، وان كان كليا فمضية حسبا تبين في الأصول (والثاني) أن يتركها تدينا . فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدب بضد ما شرع الله . ومثاله اهل الإباحة القائلين بإسقاط التكليف اذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدّوه : فإذا قوله في الحد « طريقة مختصرة تضاهي الشرعية » يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها ، لان الطريقة الشرعية ايضا تنقسم الى ترك وغيره وسواء علينا قلنا إن الترك فعل أم قلنا انه نفي الفعل - على الطريقتين المذكورتين في أصول الفقه .

وكما يشمل الحد الترك يشمل أيضا ضد ذلك ، وهو ثلاثة أقسام : قسم الاعتقاد ، وقسم القول ، وقسم الفعل . فالجميع اربعة اقسام . وبالجملة فكل ما يتعلق به الخطاب الشرعي يتعلق به الابتداع . اهـ

تقرير المطبوعات الجديدة^{١٥}

كتاب الهدى الى دين المصطفى

الجزء الاول منه مؤلفه ... النجفي في مدينة (سر من رأى) بالرافق طبع بمطبعة الرافق طبعا نظيفا على ورق متوسط ص ٣٩٢ بقطم النار منه ٢٠ قرشا ويباع في مكتبة المار بمصر كثير دعاة النصرانية في هذه البلاد كما كثروا في كل بلد دخله النفوذ الغربي ، دخلوا القرى بدون اذن اهلها ، وجاسوا خلال الديار وادبوا الفتنة والتفريق ، وقد كان المسلمون عامتهم وعلماءهم لا يحفلون بما بينه هؤلاء الدعاة بين المسلمين لسخافتهم وبداهة بطلانهم ، وليس في هذه البلاد من اقله وزر آدم فيأتي هؤلاء الدعاة بمحتج منه في خطبتهم ، ولا من ضاق صدره بتوحيد الله عز وجل فيعجزه هؤلاء

(١٥) كتب تارظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح محاسن رضا

المعدين ليوجد له عندهم منسماً في ثائوهم ، ولا من حصر صدره بمصمة الانبياء الهداة حق يتحكك هؤلاء الكتبة ليلعجوا صدره ويجرؤه على المعاصي بقصة نوح مع ولديه أو ابراهيم مع امرأته أو يهوذا مع كتنه أو داود مع امرأة قائده أو سليمان مع اصنام نساءه أو ابن يعقوب مع امرأة ابيه أو يعقوب مع ملاك ربه أو لوط مع بنته الخ بل ان المسلمين ليسوا بمحتاجين مسيحين الخيالي (وهو غير مسيح الله عليه السلام) الذي يدعي هؤلاء الصدوقيون انهم يعبودونه ويتكرون سيرته الانجيلية ويرون عصمته عن السكر وعن غسل ارجل التلاميذ وعن طرد امه واخوته ولمنكاره لها وعن البخل بهداية الكنغانية الى غير ذلك مما نراه في اناجيلهم .

لا خوف من هذه التعاليم على عامة المسلمين فضلا عن علمائهم ، ولكن السكوت على باطلهم خيل اليهم انهم على حق ففتنوا في طرق دعوتهم حتى انهم يصرون بمض كرايسهم بالآيات القرآنية أو بخطب تضارع الخطب التي اصطلح بمض الخطباء الرسميين على تلاوتها يوم العيد وأيام الجمع الخ ، كل ذلك ليدخلوا الى قلوب المسلمين فيفسدوا عليهم ما بقي لهم من دينهم ، ويحلوا الروابط التي تربطهم بأمتهم . ولذلك قام العلماء في جميع الاقطار برسولون شهب ردودهم فتخذ انفسا شياطين الفريق .

واول من كتب في الرد عليهم في هذا العصر بمقل ومحت وروية الشيخ رحمة الله الهندي ثم تبعه قوم آخرون هم عيال عليه في هذا الباب . ثم رأينا مثالا له في هذه الآونة من رسائل الدكتور صدقي وكتاب التعجفي ، وهو هذا المؤلف الذي هو نتيجة بحث علمي وتحصيص المسائل وتحقيقها

خفا الله العلامة التعجفي فقد دحض مزاعم دعاة النصرانية بكتابه هذا وقذف بحقه على باطلهم فاذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون . وضع كتابه هذا رداً على كتاب « مقالة في الاسلام » لساييل الانكليزي المترجم بالمرية وعلى الكتاب البذيء المسمى بالهداية المارزوع لرد على كتاب « انظار الحق » وكتاب « السف الحديدي » نهدم أركانها وقوض بنيانها بالادلة العقلية والتقليد ، بعبارة طليعة جليلة ، فيجدر بمن هني بالرد على هؤلاء المشاغبين ان يطلع على هذا الكتاب

(كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار)

الجزء الاول نقله صبيحي باطه طبع بمطبعة الرافق بصيدا سنة ١٣٣١ م ص ١٢٥ .

انار منه ٢٠ فرشا يطلب من مكتبة المنار بمصر

اسم الكتاب يدل على موضوعه وفيه فوائد جملة جاءت من طريق الاستطراد

﴿ في التربية والتعليم ﴾

تأليف محمد أمين . طبع بمطبعة التقدم بمصر على ورق جيد . ص ١١٤ بالقطع الصغير . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر
مواضيع الكتاب : بعد مقدمة بقلم أحمد بك لطفي السيد مدير الجريدة ،
(١) الشكوى ٢ تشخيص الملة ٣ وصف الدواء ثم الاطوار الثلاثة ، في البيت والمدرسة
والمجتمع ٤ التربية الحسية والعملية والاخلاقية ثم الخاتمة . والكتاب مجموعة مقالات
نشرت في الجريدة ثم طبعت على حدها غير مصدرة بالبسطة ولا المجلدة ، على سنة
من يفهون من كل ما يربطهم بالامة الاسلامية من الشعائر والمقومات والمشخصات
مرشد المترجم الصغير (لطلبة الشهادة الابتدائية)

تأليف محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وعوض ابراهيم بك وكيل
المدرسة السعيدية . طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً ص ١٤٠ بالقطع الوسيط . ثمنه
خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصر
وضعه مؤلفاه لطلبة الشهادة الابتدائية وتوخا فيه تدليل عقبات الترجمة من العربية
الى الانكليزية وبالعكس وتسهيلها على التلميذ بشرح المفردات التي يهتدي اليها بسهولة ،
وقد اطلع عليه المستر استيفنز معلم الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . والكتاب
يفيد التلميذ علماً بالشئون الاجتماعية بمواضيعه المفيدة
الاجوبة المسكتة

تأليف أحمد أفندي صابر من مستخدمي (نظارة الاوقاف) وقد طبع
الطبعة الثانية بمطبعة الجفالية بمصر مع زيادات وتحسينات . ص ٢٥٢ بقطع رسالة
التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر وهو غني عن التعريف
غاية الانسان

كتاب في الفلسفة الادبية مفيد . وضعه الفيلسوف جافينون وترجمته وسيلة محمد
مترجمة « روح الاعتدال » وناهيك بها سلاسة وجودة . ص ١٦٠ بقطع سابقة .
طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف
ومكتبة المنار بمصر

﴿ارجوزة ابن المعتز﴾

طبعت في المطبعة الجليلية بمصر سنة ١٣٣٠ على نفقة ابن منصور في ٢٤ ص بقطع رسالة التوحيد على ورق جيد ثمنها قرش صحيح واحد وتطلب من المكتاب المصرية وموضوع الارجوزة تاريخ المعتضد بالله العباسي ، وما هو بالتاريخ الذي يتد به

نشوء الاجتماع (الجزء الاول منه)

تأليف بنامين كد وتريب محمد زكي صالح في طنطا . طبع بمطبعة الاخبار بمصر سنة ١٩١٣ على ورق جيد ص ١٣٥ بقطع «الاسلام والنصرانية» ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيعه بعد مقدمة المترجم التي المت بموضوع الكتاب وآراء العلماء والجراند فيه هي: (١) الحضرة (٢) اسباب الارتقاء (٣) العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء (٤) اجلي طبيعة في التاريخ الانساني (٥) وظيفة العقائد الدينية في نشوء الاجتماع .

والكتاب مفيد في موضوعه منه للعقل موقظ للقوة المفكرة . وارى ان استعير لتقرظه كلمة الاستاذ «ويسن» الالاني التي كتبها في مقدمة الترجمة الالمانية وهي : «لا ارمي الى تحليل هذا الكتاب الفذ بل اقول انه جدير بالنظر والاعتبار . . . الخ» والمرجو ان يظهر العرب الجزء الثاني منه وان يعتني بترجمته وبتصحيحه ليسلم من مثل الاغلاط التي في الجزء الاول

(كتاب آداب العرب)

تأليف ابراهيم بك العرب . طبعت نظارة المعارف على نفقتها في المطبعة الاميرية سنة ١٩١١ وقررت تدريسه في مدارسها الابتدائية وفي مدارس المعلمين والمعلمات ويطلب من مخزن المعارف

الكتاب مجموعة مواضع منظومة على أسن الحيوان والطير على نمط كتاب
الصادق والباغم

(المطالعة الفصيحة لامهات اليوم والغد)

الجزء الاول منه تأليف الشيخ مهدي احمد خليل المدرس بمدرسة المطبات في بولاق . الطبعة الاولى سنة ١٣٣١ ص ٢٥٥ بقطع رسالة التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر
الكتاب ادبي اجتماعي لغوي كبير الفائدة ولذلك قررت نظارة المعارف تدريسه
لجميع تلميذات مدارس البنات العالية والابتدائية والخصوصية

محاسن الطبيعة ومعجائب الكون

تأليف الورد (افرى) ترجمة وديع البستاني . ص ٢٦٤ بالوسط طبع بمطبعة المعارف وثمة خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار ومكتبة المعارف
البحاث الكتاب : تمديد ، عالم الحيوان ، والنبات ، والحقول والحراج ، والماء ، والبحر ، ثم القبة الزرقاء . وهو يجول في هذه الابحاث جولة المفكر المتعقل المتبر .
واذا كان هذا الكتاب أسمى معاني وأكثر دقة من سائر ما قرأنا من مؤلفات لورد افرى التي عربها وديع البستاني فان ترجمته أصح وأسلم وأقل غلطاً من جميعها أيضاً

رواية جزيرة الذهب

مترجمة عن الالمانية بقلم ماي ابراهيم نجار ، طبع الجزآن الاول والثاني منها بمطبعة جريدة الهدى في نيويورك على نفقتها فكانت ص ٢٥٤ بالقطع الوسط وموضوعها تحويل الافكار عن عبادة الذهب وتوضيحية كل شيء في سبيل الحصول عليه الى فكرة الانسانية الراقية . وما أجدر هذه المترجمة الماقلة الفاضلة ، باختيار هذه القصص المفيدة النافعة .

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة تصدر في بيروت تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع . سقتها عشرة شهور شمسية بتبني من ايلول (سبتمبر) من كل سنة . الجزء منها ٣٢ ص. منشؤها المحامي توفيق افندي الناطور المتخرج في مدرسة الحقوق في باريس ، ومدير تحريرها الشيخ محمد منيب افندي الناطور من تلاميذ الازهر ومدرسة القضاء الشرعي
قيمة اشتراكها في البلاد النمائية وبالأمان بمجديان وفي البلاد الاجنبية عشرة فرنكات وان في سنة منشؤها ومديرها وتوخيمها النفع لها ما يوجب الاقبال عليها
لا يتحاران نشره فيها من العلوم والفوائد التي أصبحت في هذا العصر حاجة من حاجات الامة ، فتحتن رجو لها الرواج والتعاج ، ونعده عنواناً لاستعداد الامة للارتقاء . وقد فتحت باباً لادبيات اللغة العربية فضمت الى فوائدها العلمية هذه الفائدة القوية ويمكن الاشتراك فيها بواسطة مجلة المنار ومكتبتها

الشيخ علي يوسف

٣

{ فصل في بقية الكلام على سياسته المصرية }

بينما ان سياسة الشيخ في المؤيد كانت تدور في أول العهد على ثلاثة أقطاب (١) تأييد سلطة الأمير ونفوذه (٢) مقاومة نفوذ الاحتلال الانكليزي (٣) الاعتماد في هذه المقاومة على نفوذ الدولة العثمانية وحقوقها الرسمية في مصر . وكذا على نفوذ فرنسا ومصالحها السياسية فيها ، وانها بعد طول الاختيار وتغير الحوادث طرأ عليها بعض التغير . وتزيد ذلك بياناً فنقول وان كررنا بعض المعاني :

انه بعد حادثه فشودة علم المترجم أن الاعتماد على وعود أو عهود دولة أوربية لا يكون الا دون الاتكال على المواعيد العرفية ، وانه بعد اختيار السياسة العثمانية بالنفوس في اعماق الحوادث التي بينها وبين أوربة ، وبقاء كبار رجالها في الاسانة ومصر وأوربة ، علم انه لا يتشكل عليها في شيء ، وان الذي يبني عمله على الرجل فيها قائماً يبني على شفا جرف ، اذ لا يؤمن خذلانها له في كل عمل ، فاكتفى من خدمة الدولة فيما يسمونه المسألة المصرية بالحفاظة على حقوقها الرسمية في مصر ، وجعل قواماتها الرسمية لامراء مصر ركن استقلالها الركين ، الذي يصد به بعض ما نخشى من هجمات الاحتلال عليه . وأما فرنسا وسائر دول أوربة فقد علم كما يعلم كل خير بصير انها دول تجارية تنجر بالامم والشعوب والدول ، وانها لا تراعي في تجارتها حقاً ولا عدلاً ، ولا رحمة ولا فضلاً ، وانما رأس مالها القوة والحيلة والاثرة ، فلا يقدر أن يستفيد منها ، الا من جعل منفعتها وسيلة الى منفعتها ، وهبات أن يتسنى للدائن ، أن يستخدم لمنافعه من هو أعلى منه قوة وعلماً . وما كل من تنفذه تقدر أن تستخدمه ، وناهيك بدول أوربة ومعارضة بعضها لبعض في سياستها أو مطامعها في بلادنا ، فاذا أراد بعضها أن ينفضاً قليلاً لينتفع منها كثيراً ، عارضه في ذلك من يكره لنا هذه المنفعة ويراه عتبة في طريق مطامعها فينا

وكان الفقيد يعلم أيضاً ان شعوب أوربة خير من حكوماتها ، وان فيهم كثيراً من الاحرار ومحبي الحق والخير لكل البشر ، وان رأي الشعب العام له السلطان الاعلى على الحكومات ، فلهذا كان يرى أخيراً أنه ينبغي أن يكون للمصريين صلة

بعض أهل الفضيلة من أحرار الانكليز لهم يستعينون بهم على مقاصدهم، وإيصال ما يشكون منه بحق من إنكليز مصر الى إنكليز لندرة . حتى لا تكون الشؤون المصرية محجوبة عن عيني الانصاف، لا يعرفون منها الا ما يكتبه عميد انكفزة في مصر الى ناظر الخارجية في لندرة وبعض مراسلي الجرائد . والمعل بهذا الرأي إما أن ينفع وإما أن لا ينفع . ولكن عارضة فيه أحداث الوطنية في جريدة اللواء وما أحدثوه بعد مصطفى كامل من الجرائد كدأهم وعادتهم ، وقد بينا وجه ذلك عندهم في هذه الترجمة (الجرائد والأحزاب بمصر)

ونقول ههنا إن السياسة في مصر لا تظهر لها الا الجرائد ، وقد تألفت الاحزاب لأجل الجرائد ومديري سياسة الجرائد ، ولم يستطع حزب من الأحزاب أن يجعل جريدة أكثر رواجاً وقبولاً من جريدة أخرى عند الرأي العام بمصر . وقد سبق القول بأن الجرائد العربية المؤثرة في الجمهور المصري كانت ثلاثة : الاهرام والمقطم والمؤيد ، وأن التنازع اتماماً كان أولاً بين الاهرام والمقطم . ثم كانت الاهرام تتابع المؤيد بعد ظهوره لاقترافه معها في الميل الى السياسة الفرنسية التي تمد الاهرام هي الركن الأول لها ، ولأن مشابهته على المقطم كانت تعد من آيات صدق الخدمة الوطنية لمصر . ولما انقطع أمل المصريين من فرنسة صارت جريدة الاهرام في المرتبة الثانية بين الجرائد اليومية ، بل كادت تموت من شدة ضعفها لولا أن تداركها همه بشاره باشا تقلاً القوية ومن ساعده على تحريرها من أذكاء السكتاب ، وأمانه على ذلك ثقة جمهور التجار والزراع بأخبارها التجارية . بذلك اتعشت بعد أن سقطت ، وارتفعت بعد ان انحفضت . وحفظت مكانتها بين الجرائد اليومية الكبرى ، فان لم تعد رأساً في سياسة خاصة ، فهي رأس في الثروة والمباحث العامة . ولا يضاهاها في هذين الامرين الا المقطم . فهما الآن في مقدمة الجرائد المصرية في الثروة ، وصحة الاخبار العامة ، والقدرة على التصرف في الكلام عن الشؤون المصرية . على انهما لم تتألف لهما أحزاب ، وإنما تلك كفافة أصحابهما ومحرميها ، والجمع بين حسن الادارة ، والبراعة في الكتابة

وقد تألف في مصر ثلاثة أحزاب سياسية حول ثلاث جرائد يومية ، هن أكبر جرائد مسلمي هذا القطر وأوسمها انتشاراً - المؤيد واللواء والجريدة - ولم يكن لواحدة منهن دخله يوازي دخل المقطم والاهرام الا للمؤيد ، فقد كان أوسع منهما انتشاراً وعلى مقربة منهما في المال ، ولو أتيح للمؤيد مديرو مالي يسير بادارته سيرة أصحاب تبك الجريدتين لسكان أوسع الجرائد ثروة ، على أن الشينج رحمه الله عاش به في سعة وراحة ، كما

يعيش الامراء والسكبراء ، حتى تورط في شراء الدور وأراضي البناء ، في ابان اميراف الناس في التقالي بها ، فركبته الديون وجاءت سنو العسيرة المالية فأنت على جميع مافي يده ، وكادت تذهب بالمؤيد نفسه ، لولا أن تداركه بتأسيس شركة مساهمة له ، فحالت دون موته ، لادون مرضه ، فقد مرض المؤيد امراضاً أشرفت به على الموت عدة مرار ، وصارت حركة ظهوره كحركة المذبوح أو حركة الاستمرار ، وهو لا يزال محتاجا الى تجديد الحياة ، وانما يكون ذلك بحسن الادارة والنظام ، وجعل التحرير على الوجه الذي يناله من قبل ، وهو ما به يظل المؤيد صاحب التأثير الاول في كل مايتعلق بمصالح المسلمين في مصر ، - ركذا في غيرها - بم بالمصالح المصرية والعثمانية . فاذا قصر المؤيد في هذا الامر الذي لم يكن لولاه أمرا ذابا ، يحكم عليه الرأي العام الاسلامي بالعدم والزوال ، ويطلب بلسان حاله جريدة محل محله حتى ينهض بها من يؤهله الاستعداد ، من الشركات أو الافراد

وجملة مايزيد الاعتبار به أن المؤيد قد جعله مشربة الاسلامي والمصري فوق جرائد القطر كلها ، بل جعله حاجة طبيعية ، من حاج البلاد المصرية قالا اسلامية ، ولقي من المساعدة والاقبال ما لم يلق غيره ، ومع هذا كله لم يستطع أن يكون في ثبات الاهرام والمقطم وفي مثل ثروتها ، ولا في المحافظة على إضمار الجماهير بمحاجتهم اليه ، وبانه لا بد لهم في الحوادث الطارئة من رأيه ، وقد ألف صاحبه له حزباً سياسياً سماه (حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية) فلم يفده قوة تذكر ، ولا رد عنه غيرة تشن ، وانما كانت قوته المنوية في هجومه ودفاعه سنان قلم الشيخ علي ، وحسن استعماله لأسنة الافلام التي كانت تساعد ، ومنها ما كان أنفذ من سنانه في بعض الشؤون وأقتل . فلما مرض الشيخ مرض المؤيد ، ولما مات خشي الناس أن يموت كما مات حزبه ، واسكن الشركة المالية تداركت حياته المادية ، وعسى أن توفق لتدارك حياته المنوية ، فان لم يتم هذا يفقد مسلمو مصر الانتفاع بقوتهم المنوية ، ولا يبقى لهم قائد منهم في حياتهم السياسية والادبية ، ولا مدافع يؤثر صوته في مصالحهم الدينية ، فالشعب جريدة احداث جهال ، والجريدة ليست اسلامية المشرب ، والاهالي كذلك ، على انها ولدت سقطا كما قال أحد الأدباء . فالجريدة الاسلامية المصرية هي المؤيد ، فاذا مات يسر وجود خائف له . وانني بهذه الحرية في الصريحة ، ربما أثير على نفسي حقدا قديما وعداوة جديدة ، ولا أبالي ذلك في سبيل مصلحة المسلمين ، على أنني است على ثقة من قبولها والله الموفق

وأما اللواء فقد ينمنا أن منشئته تربى في مدرسة المؤيد السياسية ، فكان تلميذا له ، إلا أنه عقه وكفره ، وكان يحسب أنه يذه أو يكون ناسخاً له ، لانه يبلغ ويقلو في كل المقاصد التي صار المؤيد يسلك سبل الاعتدال فيها ، كمدح السياسة الحميدية ، ودم الحكومة المصرية ، ومقاومة الاحتلال ، بالذم والاحتجاج ، وذلك ان الناس كانوا قد ألفوا بعض المبالغة من المؤيد ، فاذا أرجعته عنها الحكمة والخبرة ، بعد عوامهم وشبانهم ذلك من تغيير الخطئة ، ومن دأب الاحداث والعوام ، حب الاغراق والغلو في الكلام ، وناهيك بما يتعلق منه بالسياسة والحكام . وقد بذ اللواء المؤيد في المبالغة بهذه المقاصد ، وانفرد بدوره بدعوة مسلمي مصر الى تكوين رابطة جنسية وطنية ، لسكنها رابطة تافى إخاء الاسلام ولا ترضي القبط وسائر طوائف النصرانية صادف اللواء من مساعدة الاستانة ومساعدة بعض أراء مصر وأغنيائها ما لم تصادفه جريدة أخرى . حتى كان يبذل له الذهب بالآلوف ، وهو على هذا كله لم يتسع انتشاره الا بعد سنين من النشائه ، ثم لانه غلب المؤيد على استمالة أكثر تلاميذ المدارس وكثير من العوام ، وصار المؤيد باعتداله على رضاء أكثر العوام عنه . جريدة الحواص . لم يستطع اللواء ان يصل بكل ذلك الى أن يكون كجريدة الاهرام أو المقطم في ثباتهما وثروتتهما ، وقد ألف صاحبه له الحزب الوطني الحديث (١) وألف شركة وأس مالها عشرون ألف جنيه لاجل إصدار لواء أو لوائين آخرين بالفتن الفرنسية والانكليزية . وانما كانت هذه الشركة صورية لا غرض منها الا بذل ذلك المال لمصطفى كامل يتصرف فيه كما يشاء - كما يفهم من قانونها - وقد فعل . أضع هذا المال كما أضع ما سبقه من الامانات مع كل غلة اللواء ومطبعته في السرف والخيلة والمضاربات ، وطفق ينشد في اللواء شركة يشتركون سها ما أخرى من الشركة فلم يستجب لريقته أحد ، ولم يلبث مصطفى باشا كامل ان مرض وضاعف ثقل المرض عليه هم الدين والعوز ، وفي أثناء مرضه ألف الحزب الوطني الحديث (١) وكل ذلك لم يقن شيئاً . ومات (كما مات صاحب المؤيد بعد) مقفلاً بالديون ، فقد تبين ان عليه عشرات الآلوف من الجنيهات . وقد حجز الدائنون مطبعة اللواء ، وبيع أثاث زعيم الوطنية في محل رجل رومي يبيع الاناث بالزاد ، ثم مات اللواء بعد ان اضطر أصحابه الى استخدام بعض الكتاب من نصاوى السوريين لتحريره وقد كان أعدى أعدائهم ، وبعد ان انشق الحزب

(١) أول من ألف حزبا سياسياً بمصر باسم الحزب الوطني حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني . والحزب الذي كان يذكره مصطفى كامل في حال صحته لم يكن حزبا مكونا بالذم

وأنشأ بمسي محمد بك فريد رئيسه جريدة لتكون لسان حاله فيها العلم (بالحرية) فاطم رياسة محررها بالشيخ عبد العزيز شاويش ، فسكانت دون اللواء واحط منه في كل نبيء الا القليل والاسراف ، في الكذب والارحاف ، والظن في الشعوب والافراد. لذلك اضطرت الحكومة الى إلغائها بعد ان حوكم رئيس محررها (شاويش) غير مرة ، وحكم عليه بالسجن وسجن .

في أثناء هذه الحوادث كان المتحمسون من رجال الحزب الوطني وآخرون ممن يودون استهالة محي الرجل من التلاميذ يجمعون المال لتسب تمثاله ، يحدون به ذكره ، ولو راعوا الآداب الاسلامية حافظوا بهذا المال على جريدة اللواء ، وانتقوا لها محررين من العقلاء الادباء ، فان هذا هو الذي يحفظ ذكره كما حفظ الاحرام اسمي سليم قنلا وبشاره قنلا . فما من يوم الا وقرأ الاحرام ألوف من الناس يرون هذين الاسمين ويتذكرون مؤسسي هذه الجريدة المرقية . وفي مصر عدة تماثيل لا يحطار اصحابها لاحد على إله حق عند رؤيتها مائة بالشوارع .

وأما (الجريدة) فاقبيرة بها أعظم فقد أنشأها جماعة من سروات البلاد أصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية ، وحصلوا لها رأس مال عظيم ، ووضوا لها قبل انشائها قانونا من أدق القوانين ، وأسسوا لها مطبعة من أرق المطابع ، وجعلوا ادارتها ومطبعتها في مصر من أحسن القصور ، واختاروا لها مديرا من أذكى الكتاب واعلمهم بالسياسة والقوانين واختار هو من المحررين من سبق لهم التمرن على الكتابة حتى في إدارة الاحرام وادارة المقتطف والمقطم . وألف أولئك السروات المؤسسون لها حزبا سياسيا يكفلها سموه (حزب الامة) فهي قد ولدت باهتة راشدة فلم تكن كالقويد واللواء طفلان في إدارته وريدا وريدا ولكنها على كل هذه المزاي لم تستطع ان تعيد لها مقعدا ولا موقفا من السكان التوسيع الذي وجدته قبلها المؤيد أو اللواء من قلب الرأي العام المصري ، ولم تستطع ان تملك من حيزه بعض ما يملك المقطم أو الاحرام ، بل كانت تحتاج كل سنة الى إمداد أولئك السروات لها بطلم ، على أنها ليست في الحقيقة لسان حالهم ، وسبب ذلك كله ان الروح الذي قنع في هذه الجريدة لنحيا به ليس إسلاميا ، وإنما هو فلسفة خاصة لا تكاد تتجاوز دماغ مدير الجريدة وأدمنه بعض أصدقائه من الحامين وغيرهم (الذين هم حزب الجريدة المصري لا المالي) الا بتدرج بطيء جدا ، ثم انه لا يرجح أن يسم ، وليس من الحكمة ولا بما يبيع الاقتصاد ان يكون له جريدة توقف عليه في مثل هذه البلاد التي لم تستد لأنت تعيش فيها

جريدة أو مجلة خاصة بشيء واحد مما تهتم الحاجة اليه كالاقتصاد والزراعة أو الادب،
دع الفلسفة بمجالاتها ، دون مذاهب الافراد فيها فقط

وجهة القول ان الجريدة لا ترمي عن قوس عقيدة مسلمي مصر ، ولا تصالح
للتأثير بالرأي العام المصري ولا فيه ، فهي لا تستطيع أن تخدمه كما يجب ، ولا أن
تستخدمه كما تحب ، لان روحها غير اسلامي ، فلا هي لسان حال المسلمين ، ولا
لسان الذين أسست بأموالهم منهم ، وهم لم يستمروا على الاتفاق عليها الا لما يشعرون
به من المضايقة عليهم اذا ألغوها وأبطلوها ، ولا يرجى لها بهذا المشرب أن تبلغ شأوا
للقطام أو الاهرام من نفوس الناس ولا من الرواج والرج

فقطر بما شرعناه ان الاحزاب في مصر لا عمل لها ولا تأثير الا بالجرائد ، وان
الجرائد بالرجال الذين يتولون سياستها وادارتها ، وانه لم توجد بمصر جريدة للمسلمين
حسنة الادارة والنظام اللهم الا الجريدة في الجملة أو في ضبط الاعمال المالية سواء جريدة
للمؤيد هي الجريدة الاسلامية السياسية التي أوجدتها الحوادث وكفاءة الشيخ علي
يوسف في مكانة من الرأي العام الاسلامي يرفعها لها أهل الساسة في أوربة ، ويمدونها
لسان حال مسلمي مصر وغير مصر أيضاً . وحذت جريدة اللواء حذوها ، ولم تبلغ
شأوها ، لأن صاحب المؤيد كان في السياسة الاسلامية مستقلا ، وصاحب جريدة
الواء كان فيها مقعدا ، وانما كان حظه منها بقدر ما اقتبس من سياسة المؤيد . وكل
ما خالف فيه المؤيد كان خطأ في جهلته ، ان لم يكن خطأ في كل فروعه وجزئياته ،
ولكن القيرة لا تكون الا بالتحالفة في بعض الشؤون ، فصاحب المؤيد والواء هما
أوجدا للمؤيد والواء ، وقد كان لسوء تصرفهما المالي دخل عظيم في اضفاف جريدتهما ،
حتى ماتت احدهما بعد موت صاحبا بعد ما اشرفت على الموت المالي في عهده ،
ويخشى أن تموت الاخرى مثلها ، ان لم يمن بها أهل القيرة والبصرة عناية يراى
فيها ما ينه في هذه الترجمة مراوا .

فيجب على مسلمي مصر أن يتدبروا هذا النقص العظيم ، وأن يتذكروا ان شعبهم
المستعد للعلم والادب والزيرة السياسية والاقتصادية ، هو الذي جعل الاهرام والمقطم
أغنى الجرائد في بلاده ، لان محاسنها عرفت كيف يحاطبونه بحسب استعدادها ، وهو
قد ساعد المؤيد والواء ما لم يساعدها ، فيجب على من يخدمه أن يحاطبه بالسان
استعدادها . وأن يتذكروا ان (مصر) و(الوطن) الجريدتين القبطيتين ، تلبان في الذوة

والثبات الأهرام والمقطم السوريتين . ولولا عصيتهما القبطية لما كانتا دونهما تأثيراً في نفوس المسلمين . فمن التقصير بل من المأز على المسلمين أن لا يكون لهم جريدة أو جرائد مثل هذه أو أرق منها في النظام والثروة ، بله التأثير والخطوة ان لي أن أفاخر بكفاءة أصحاب المقطم والأهرام ومحورهما وبراءتهم ، لأنهم من أبناء وطني الأول الذي هو وطن المولد والمنشأ ، وأود - والله - أن أنظر بمثل عملهم من أبناء ديني ووطني الثاني الذي هو وطن العمل ، ولا يسرني من مثل المقطم والأهرام في مصر إلا ما ينفع المصريين ، لأن أبناء وطني السوريين ليس لهم مصالح في مصر تتأني مصالح المصريين ، فهم غير محتاجين إلى جرائد خالصة لهم من دون المصريين ، لأجل هذا جهمني أمر المؤيد ، ويسرني أن يكون أرق الجرائد المصرية تحريراً ونظاماً وإفادة واستفادة ، لأن المسلم أجدر بمعرفة حاجة الجمهور المسلم وبياناتها والدفاع عنها ، من مثله في عمله وبيانه من غير المسلمين ، وأقدر على التأثير فيه بحمله على الخير أو صرفه عن الشر ، وعلى التأثير به بحمله بما يدفع به عنه ما يراه ضاراً به . وقد رأيت غير واحد من المشتغلين بالعلم والسياسة من التصارى يتنولون ولدوا مسلمين ، لأجل أن يكونوا أقدر على خدمة وطنهم أو الشرق الإسلامي كله .

وما أطلت الكلام على الجرائد في ترجمة الشيخ علي يوسف إلا لأذكر لأخواني مسلمي مصر بما أراهم غافلين عنه ، وهو أنه لم توجد لهم جريدة تصح ان تكون لسان حالهم بحق المؤيد ، وان الروح الذي كان به المؤيد هو المؤيد يجب ان يبقى له ، ويجب ان يكفل ، وان يكون لهية التحرير فيه مع الرئيس الكفو ، مراقب موثوق به ، مثل سعد باشا زغلول الذي كان ركنا من أركان تأسيس المؤيد . والا خسر مسلمو مصر خسارة يصعب عليهم الاستمساكة عنها في سنة أو سنتين قليلة ، وربما حرموها الأجيال طويلة ، وقد ذكرناهم بما يوجب العبرة من تاريخ أعظم جرائدهم هذا وان أية جريدة من جرائد المسلمين في مصر بتولى رئاسة تحريرها كاتب خبير بمصالح المسلمين غيور عليها ، قادر على الدفاع عنها ، يمكن ان تحمل محل المؤيد الأول وأن تكون أكل منه فيه وأثبت ، ولكن لا يكون ذلك إلا بعد ثقة الجمهور المسلم بها ، وهذه الثقة اذا استعادها المؤيد في سنة واحدة ، لا تألها جريدة جديدة إلا بعد سنتين كثيرة أو قليلة ، ومن ذا الذي ينفق على جريدة جديدة عدة سنين ، منتظراً طروء الحوادث التي تقنع الرأي العام بأنها هي حاجته التي يطلبها لسان حاله واستعداده ؟

(الترجمة هبة)

الجامعة الإسلامية والسياسة

(جمعية إسلامية . مدرسة جامعة بالمدينة المنورة . استقلال الحجرة النبوية)

• نحدد الخوض في ذكر الجامعة الإسلامية بما ظهر أخيراً من عنابة جمعية الاتحاد والترقي بالاستفادة من نفوذ الدولة الديني لما ظهر لها من تأثير الدين في السياسة ، وضرو ما كان من أعراضها عنه ، ومن اهتمام مسلمي الأرض كافة بحرب طرابلس وحرب البلقان ، وبذلهم المال لإعانة الدولة على الحرب بقدر الامكان ، ومطالبة مسلمي الهند لدولتهم البريطانية بمساعدتها ، واستيائهم من ميلاء البلقانيين . ففي أثناء الحرب ألغوا في الآستانة جمعية إسلامية خيرية تحت رعاية ولي عهد السلطنة . وكان أول من بذل المال لتأسيسها بعض وجهاء المصريين ، وبرجسون أن يحسبوا لها مالا جمعا ، وان لم يعرف العالم الإسلامي اين يذهب هذا المال وكيف ينفق ؟

المدرسة الجامعة بالمدينة

وإذا عاونا في الاقطار خبر تأسيس مدرسة جامعة في المدينة المنورة - ويصبر عنها الترك باسم « دار فنون » - ثم أرسلوا وفدا إليها في أثناء زيارة الحجاج لها للاحتفال بالشروع في تأسيس هذه المدرسة الموسوعة لفتح باب الاعانات لها . ونحن نتخيل ان نرى نظام هذه المدرسة لنعلم هل موضوعها دار فنون جامعة لكل الفنون والعلوم العالية كما يفهم من هذه التسمية أم لا ، ولتعلم أي اللغات تكون لغة التعليم فيها ؟ هل هي العربية أم التركية ؟ ومن أين يأتون بالتلاميذ الذين تلقوا التعليم الابتدائي والثانوي ليدرسوا فيها الفنون والعلوم العالية ؟ وليس في المدينة ولا في الحجاز شيء من هذا التعليم ! ولا نبحث عن المعلمين والكتبة قبل أن نعرف لغة التعليم ، فإن نظارة المعارف العثمانية تعتمد عما نطلبه من جمل التعليم في ولايات الدولة العربية بلغة أهلها ، وأظهر أعضاؤها عدم وجود الكتبة والمعلمين . وقد أذاعت الجرائد من بضعة أشهر أن النظارة ألغت لجنة فيها لأجل اختيار الكتبة العربية الصالحة . وعلينا انما طابعت نموذجاً من كتب التعليم التي تقرأ في المدارس المصرية الأمامية فأرسل اليها . وإلى الآن لم نر لعسل بالجمعية أنرا يذكر . وإذا كانوا يريدون التعليم في المدينة بلغة التركية فإن لنا في ذلك كلاماً آخر . نقول هذا ونحن لا نقول فلا نصدق أن حكومتنا توجد في المدينة المنورة مدرسة جامعة . ونرى ذلك غير مستطاع ان كان مراداً ، ولا نعلم أنه مراد . ولكننا قد

تبنى بناء غلما تسمية مدرسة جامعة ، وتجلب اليه بعض الطلاب من بلاد مختلفة ، فيعطون دروسا ابتدائية أو فوق الابتدائية ، حسب استعداد من يحضر . ثم تستدعي أكتف أعضاء الجعاج وغيرهم لأجل ترقية المدرسة كما تستدعيها الآن لأجل تأسيسها بأبنائهم وأما كون المراد من هذه المدرسة بث فكرة الجامعة الإسلامية في قوس المسلمين - كما قالت الجرائد في هذه الاقطار وفي غيرها - فالظاهر ان السياسة الاتحادية الأخيرة تود إذاعة هذا المعنى عنها ، ونحضر الذين يتولون إنشاء المدرسة الآن على اقناع زوار المدينة المنورة وغيرهم بأن جمعية الاتحاد والترقي تخدم الدولة والاسلام ، وأنه يجب ان تساعد على ذلك بما يستطيع من النفوذ والمال ، وقد علم هذا من حال من اختارهم الجمعية للشروع في العمل ، ومن الاحتفال الذي كان في المدينة المنورة ، ومن حال المتدرب الذي بقي هناك بعد الاحتفال (وهو الأمير شكيب أرسلان أحد أدباء طائفة الدروز في جبل لبنان) الذي كتب السمات بل الثالث من المقالات في إطرار الجمعية والوطن في طلاب الإصلاح من العرب للبلاد العربية . أما الشيخ عبد العزيز شاولي رئيس لجنة ذلك الاحتفال في المدينة المنورة ورفيقه عبد القادر أفندي القرني فهما من غلاة أنصارها الذين ثبتوا على خدمتها في الأقال والأدبار ، على اختلاف المظاهر والأطوار ، ومن كان هذا شأنه معها فيها رجعت عنه من سياستها القديمة ، فكيف لا يكون كذلك في سياستها الجديدة ؟

أما أنا فأتفق لو توجد مدرسة جامعة في المدينة المنورة ، أو مدرسة ما معها كانت درجتها ، ومهما كان الغرض من انشائها ، فافذا لم تكن كما نحب اليوم ، فاما نرجو أن تكون كما نحب غدا . ولهذا لم أكتب كلمة تحذير منها في المقالات التي أنحيت بها على أعمال الجمعية ، أيام كان الخلاف بينها وبين قومنا العرب على أشده ، حتى أنني عدت - كما كنت في عهد عبد الحميد - لا آمن على نفسي ان أخرج بيت الله الحرام ، أو أزور حرم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكانت تمثل لي هذه المدرسة - عند سماع خبر العزم عليها - كمجد الضرر . وقد دخل قومنا معها الآن في طور جديد فتمينا فيه بكل ما نعلم من الإصلاح ، والله المسؤول ان تصدق الأماني ونحصل الآمال

وأما رأي الذي أتصح به للدولة ، فهو ان تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الإسلامية بضر الدولة كثيرا ولا ينفعها الا قليلا ، وبو شك ان تكون هذه الأقوال التي قيات في هذه المسألة - على قلة تأثيرها - من أسباب ما نراه من شدة

تخامل أوربة عليها ، وأكثني في هذا المقام بالمثل الذي يكرهه الامام الغزالي في الاحياء : « كني يهوديا صريفا والا فلا تلبس بالتوراة »

ومرادى من هذا انه يجب عليها أحد أمرين : (الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الأقوام ، وتسطي مقام الخلافة حقه من إحياء دعوة الاسلام ، وإقامة الحدود وحرية أهل الأديان ، ولا يسعها حينئذ ان ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم أهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الأجنبية بل يكون ارضاءهم أسهل عليها منه الآن ان شاء الله . ولو كان لي رجاء في إصفاها الى هذا الرأي ، أو جعله محل النظر والبحث ، لينت ذلك بالتفصيل ، ولا وردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذ من داخلية وخارجية مع بيان الخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجي لها من الخطر ، وان تراهى لكثير من الناس انه هو المسرع بالخطر ، ظنا منهم أن أوربة تعمل بالأجهزة على الدولة اذا قامت بها شرعت بنهضة إسلامية ، لعلها بأنها هذه هي حياتها الحقيقية ، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين (١) وان خوف منه بالتوربة والايهام أكثر السياسيين

{ الثاني } ان تدفع كل ما عدا الامور الرسمية الموهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة ، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها ان تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالخطية ، وكذا بالاعانات المالية من أوقاف المسلمين الخيرية ، (اذا كانت تريد بقاء الاوقاف العامة في يدها ولم تجب طلاب الإصلاح الى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع ابقائهم بمنزل عن السياسة وأهلها . ولولا ان هذا هو رأيي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد ، إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد ، ان يكون في يد جماعة حرة لا علاقة لها بالسياسة ، وان لا تخصص لها اعانة من خزينة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما تجبسه هي من الاعانات بأنواعها ، ومما تملكه من أوقاف المسلمين الخيرية . (فستذكرون

(١) قال لورد كاتشر ايضا من لقيه بن المتيانين المتتالين بالسياسة : ان الدولة الثمانية لاتصلح بالقوانين التي اقتبسها منا (أي الأوربيين) ونحن ماضيت لنا هذه القوانين الابد ترندوجية في عدة قرون كما تغير فيها وبديل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لمبادئكم والحوالكم الاجتماعية فلو اجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين أوربة قديم الصل وتحتفظ الأمن وتستعمل بلادها الحسنة ، وعندي انها لاتصلح بغير هذا

ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد)

استفلال الحجرة النبوية

بلغنا والمعودة على الرواة أن بعض المنافقين الذين يتقربون الى (حمية الاتحاد والترقي) باسم الدين ، واستنباط الوسائل منه الى استعراج المال من حيوب المسلمين ، قد زعموا لها أن تتخذ دفترا تضعه في حجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . وتذيع في العالم الاسلامي كله أن من أراد أن يكتب اسمه في هذا الدفتر ، الذي وضع لدى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فليبدل قطعة من النقود الذهبية ، (كالجنيه الانكليزي أو الليرة العثمانية) ونحن تصح للدولة أو الجمعية بأن ترد هذا الاقتراح ولا تنفذه ، مهما زينه المنافقون ووسعوا دائرة الاماني فيه ، وأوهموها ان السواد الاعظم من المسلمين يقبلونه ، ظانين أنه يحملهم معروفين عند نبيهم (ص) محبوبين لديه ، مقبولين عنده ، وأنه يمكن لمن يدعوهم الى البذل أن يقول لهم : انه (ص) ينظر في هذا الدفتر كل يوم ، ويقرأ هذه الاسماء ويدعو لأصحابها بخير هذه بدعة قبيحة لا نظن ان رجال الاتحاد يقبلون فيها قول المنافقين ، أو يحتاجون الى نصيح الناصحين ، وهي على كونها حدثا وبدعة في مسجد الرسول (ص) وعينا بالدين ، نحل بتعظيمه وتكريم مقامه (ص) وقد لعن من أحدث حدثا في مسجده (وسيأتي الحديث فيه) وكذا في مدينته وما حو لها : روى الشيخان في صحيحهما وغيرهما عن علي كرم الله وجهه أنه قال : ما كتبنا عن رسول الله (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عيصر الى نور (١) فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث

لا يميز اصحاب الجراة من المنافقين ان يقولوا ان استفلال حجرة المصطفى وقبره (ص) يمثل هذا الدفتر لا يعد حدثا ولا بدعة ، لانه وسيلة الى مساعدة الدولة على خدمة الدين (مثلا) ويمكن ان يبقى فيه السكذب في الدين وإهام الباطل والكذب على الرسول (ص) حتى لا يكون توسلا باسمه (ص) الى أكل أموال الناس بالباطل . ولكن أنصار السنة أنهض حجة وأقوم قبلا ، فلا يعجزهم أن يظهروا الدلائل

(١) غير وثور جبلان جهاما « ص » حديث للمدينة . وثور جبل بمكة أيضا وقد اشبهه بعض شراح الحديث في هذا الذي في المدينة ، ورجح بعضهم رواية « ما بين عيصر وأحد » وان كانت الأولى أصح سنداً . وقال بعضهم ثور الذي يحده المدينة وراء أحد الى الشمال وهو مدور ولونه الى الحمرة . فالظاهر انه جبل صغير ثلثه بعض الناس جزءا من أحد

وآثار السلف التي تدحض هذه الشبهات ، وأن يبينوا للناس ان كل بدعة حدثت في الاسلام قد موهت بمثل هذا التوجيه ، وادعى محدثوها أنهم يخدمون بها الدين ، كما بينه الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام
وانني انقل هنا اثراً واحداً من آثار السلف الصالح في التوقي من احداث شيء في مسجد الرسول (ص) او مدبفته حذراً من لغته ، نقل الشاطبي في بيان كون المبتدع ملعوناً ما يأتي :

« قال ابو مصعب صاحب مالک : قدم علينا ابن مهدي - يعني المديفة - نصبي ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رفقته الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا - وكان قد صلى خلف الامام - فلما سلم قال : من هاهنا من الجرس ؟ فجاهه قسبان ، فقال : هذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقيل له : انه ابن مهدي (١) فوجه اليه وقال له : أما خفت الله واقبته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبداً في مسجد النبي (ص) ولا في غيره .

(قال الشاطبي) وهذا غاية في التوقي والتحفظ في ترك احداث ما لم يكن خوفاً من تلك اللعنة ، فما ظنك بما سوى وضع الثوب ؟ اهـ (ونقول) فما ظنك بدعة وحدت في حجرة الرسول (ص) يتبعها الكذب عليه ، وأكل أموال الناس باسمه ، والزيادة في الدين الذي جاء به ، ولو لم يكن في ذلك من الزيادة في الدين إلا لإحداث قرينة جديدة وعبادة مخترعة هي التقرب الى الله تعالى والى رسوله (ص) بكتابة اسماء الناس في دفتر هناك لسكفي ، فان قالوا اننا لانعده قرينة ولا سبباً للتواب . قلنا اذا هو غش واحتيال ، لأجل سلب الاموال ، فان من يعلم ان كتابة اسمه لا تقربه الى الله ورسوله ، لا يدفع المال لأجلها . . . هذا ولولا الاخلاص في النصيحة لله ورسوله وللدولة لما كتبت هذا قبل إحداث هذا الحدث المقترح ، والله اعلم خير

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي الشهير بالصلاح والعلم والعمل ، كان يحتم القرآن كل ليلة ويتجعد بنصته . فلما كان قولهم للامام مالک « هذا ابن مهدي » سبباً لمبادرته الى اغراجه من المجلس لعلمه أن كلمة حق واحدة تؤثر في نفسه ، ما لا يؤثر المجلس الطويل في نفس غيره .

﴿ انتقاد أجوبة المنار لمن سأل عن حكم الحج ﴾

كتب الناشر واحد من البحريين أن الذي سألنا عن حكم الحج واسرار المناسك لم يكن يريد الحج هو وأصحابه ، وما أسألهم تلك الا مظهر ما في نفوسهم من الاعتراض على الدين وعدم الاذعان لأحكامه ، وأنه ما كان ينبغي ان يجابوا إلا أن يقال لهم: هذا ديننا فان كنتم من أهله فأقيموا أركانه وأدوا فرائضه ، والا فالزموا شأنكم .

هذا معنى ما كتب النا ، وصرحوا بأن سبب سوء اعتقادهم في السائل ومن على شاكلته أنهم قد تعلموا في مدرسة دعاة النصرانية (للبشرى) فأزاعوا عقائدهم أما نحن فنقول ان الاسئلة التي أرسلت النا تدل على أن السائل قد عرضت له شبهات في هذه العبادة (الحج) فهو إما حريص على دينه يسأل العلماء ليأخذ عنهم ما يدينها بها ليكون على بصيرة من دينه ، وإما معجز أو شاك يختبر علماء المسلمين ليرى ما عندهم ، حتى اذا عجزوا عن بيان حكم هذه المناسك عذر نفسه ، واطمأن بما عنده .

والواجب علينا ان نغلب حسن الظن ما وجدنا له منفذا ، وان نجيب طالب العلم مهما كان قصده ، فان كان مؤمنا ازداد ببيان حكمة الدين إيمانا ، وان كان شاكاً أو زائفاً يوشك ان يعود الى الرشد ، ويطمئن بما ظهر له من الحق . ولا ينبغي لنا ان تهم أحدا في دينه بالشبهة ، ولا أن ندع من يشككم دعاة النصرانية في الحق وشأنهم ، بل ينبغي لنا ان نجذبهم لنا ، اذا هم أعرضوا عنا وتركوا سؤالنا . فاذا ترك الحق الباطل يصول بشبهاته على أحداث المسلمين ، يرفقون كلهم من الدين .

واذا كان بعض أهل البحرين يعلمون مبلغ افساد دعاة النصرانية في بلادهم ، فلماذا لا يحذرون القاطنين من ارسال أولادهم الى مدارسهم ، ويضوئهم عنها بمدرسة اسلامية ينشئونها لهم ، يعلمونهم فيها من علوم المعاش ما يعلمهم هؤلاء المفسدون ، ويتريدون عليهم تعليم عقائد الاسلام وأحكامه وحكمه وأخلاقه وتاريخه بدلا من النصرانية وشؤون أهلها ؟ الا يعلمون أنهم بترك معارضة هؤلاء الخارجين لدينتهم آثمون كلهم ؟ وان هذا الآثم لا يزول الا بإنشاء مدرسة يتقنون فيها أولادهم من مدرسة دعاة النصرانية التي ستلقى العداوة بينهم وبين أولادهم وتقطع صلتهم بهم في الدنيا والآخرة ؟؟

وعسى أن يستتر بهذا من يدعون في حضرة موت وغيرها من أطراف جزيرة العرب الى جعل بلادهم للانكليز أو تحت حمايتهم ، ويهبطوا لما في ذلك من الخطر على دينهم

المسحاة

١٣١٥

يقول الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة قد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

فيمر عابدي الذين يستعملون القول فيلحق أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر سلخ صفر ١٣٣٢ هـ ق ٧ الشتاء الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٦ يناير ١٩١٤

فَتَاوَى الْمَسَائِلَ

اقتنعا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسم الناس عامة ، ونشرت على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج طالبا وريعا قد منّا خيرا السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما اجابنا غير مشترك لكل هذا ، وان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الموالد بدعة أم سنة ﴾

(س ١) من صاحب الأمضاء في فليمنج (سومطرة)

من فليمنج الى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٢

جناب الاستاذ مرشد الامة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا ادام المولى وجوده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ارجو من فضلكم اجابة السؤال الاتي على صفحات المنار . ما قول سيدي في قراءة القصص المسماة بالموالد هل هي سنة ام بدعة ؟ ومن اول من فعل ذلك ؟ واي الموالد المتداولة بين ايدينا اخرى بالقراءة واحسن ؟ فان كثيرين من رجال المناصب يزعمون ان مولد الديلمي هو امثل الموالد وافضلها وان روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر عند قراءته خلافا للموالد الاخرى . ارجو ان تفضل بازالة الاشكال والجواب على هذا السؤال ولكم الفضل والا وآخرا ودمتم والسلام (طالب الدعا منكم السيد عقيل بن عبدالله بن عقيل الحبشي)

{ ج } هذه الموالد بدعة بلا نزاع ، وأول من اتسدهم الاجماع لقراءة قصة المولد النبوي احد ملوك الشراكسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها الموالد بمصر في مجلد السنة الاولى من المنار ثم في غيره من المجلدات . ولم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف الا وراينا فيها كثيرا من الاخبار الموضوعية . حتى جمع صديقتنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الصحاح والسنن اصح وامثل ما ورد في ذلك و(شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مغربتنا وصار محبوب السنة ومحبضو البدعة يستقنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والا كاذيب التي يؤثرها الجبال زعما منهم انها اكثر تمظيما للنبي (ص) وقد اغناه الله تعالى بفضل العظيم عليه عن تمظيغ غيره له بالكذب في سيرته . ولم نطلع على مولد الديلمي . فان كان هو المحدث المشهور فالرجو ان يكون ما كتبه خاليا من الموضوعات ، وان لم يخل من الضماف التي يتساحون بها في ذكر المناقب .

﴿قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب﴾

(س٢) من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التفرقات) بمصر (ناخر)

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد قرأت في الجرائد في الايام الاولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري امام القبلة طلباً للنصر من الله سبحانه . فهل ورد شيء عن قراءة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء الحرب طلباً للنصر ؟ ولماذا لم يقرأ كلام الله سبحانه بالاولى اذا كانت التلاوة تفي عن العمل ؟ أرجو الافادة على صفحات المنار الاعز ولحضرتكم جزيل الشكر

(ج) جاءنا هذا السؤال في اثناء الحرب الاخيرة فوضعه بين الاسئلة الكثيرة ولم يتفق وقوعه بيدنا الا الآن . وموضوعه يتكرر عند الحرب وغير الحرب من المصائب كالوباء والقحط . والجواب انه لا يعقل أن يكون قد ورد في الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول (ص) لطلب النصر أو رفع المصائب ولا أن يكون ذلك معروفاً في المصدر الاول . فان الاحاديث لم تكن مدونة في زمن الخلفاء الراشدين (رض) وانما دونت في زمن التابعين ، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز (رض) ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرءونها لتكون قراءتها سبباً للنصر . وانما فعل ذلك المتأخرون ولا أدري في أي زمن أحدثوا ذلك ، وما أظن ان أحداً من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأمور به شرعاً ، ولعل أقوى ما يمكن أن يقولوه في سببه : أننا نجتمع للدعاء ونقرأ قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول (ص) لما يرجى من تأثيرها في حضور القلب ، والخشوع للرب ، الذي يرجى أن يكون سبباً لاستجابة الدعاء . وعلى هذا يتجه السؤال الثاني وهو « لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه »

وما أظن ان أحداً من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن في المساجد بنية نصر الحاربيين سبب لنصر الحاربيين في ميدان القتال ، وقد بين الله تعالى أسباب النصر في كتابه وأمرها وأمرها أعداد ما يستطيع من القوة في كل زمن والثبات وذكر الحاربيين لله تعالى في تلويهم عند لقاء العدو ، كذكر وعده بأحدى الحسينين وثوابه للشهداء ، وبألستهم كالتكبير فانه يعلى الهمة ويقوي الامل والرجاء . وقد بينا ذلك بالتفصيل غير مرة . وقد ظهر المشركون على المسلمين في أحد وحتين والنبي (ص) معهم وأمر الله تعالى في أحد (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم ان هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) فراجع تفسيرها في المنار أو في الجزء الخامس من التفسير ، ان شئت زيادة الايضاح والتفصيل .

التصوف الاسلامي الصحيح

(فصل من كتاب مدارج السالكين ، بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين»)

للامام العلامة الخافظ ابن القيم رحمه الله تعالى

في مشاهد الخلق في المصيبة وهي ثلاثة عشر مشهداً (١) : مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة - ومشهد اقتضاء رسوم الطبيعة وأوزان الحلقة - ومشهد الجبر - ومشهد القدر - ومشهد الحكمة - ومشهد التوفيق والخللان - ومشهد التوحيد - ومشهد الاسماء والصفات - ومشهد الايمان ونمذد شواهد - ومشهد الرحمة - ومشهد المعجز والضعف - ومشهد النذل والافقار - ومشهد المحبة والعبودية . فالاربعة الاول المنحرفين ، والثمانية البواقى لاهل الاستقامة . واعلاها المشهد العاشر . وهذا الفصل من أجل فصول الكتاب وأنفعها لكل أحد ، وهو حقيق بأن تنبني عليه المختصر ، ولذلك لانظر به في كتاب سواء ، الا ما ذكرناه في كتابنا المسمى بسفر المهجرتين ، في طريق السعادتين

﴿ فصل ﴾

فأما (مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة) فشهد الجبال ، الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان الا في اعتدال القامة ونطق اللسان ، ليس همم الا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت اليها . فهؤلاء نفوسهم نفوس حيوانية ، لم ترق عنها الى درجة الانسانية ، فضلاً عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم اخس من أن تذكر ، وهم في

{١} الذي المراد من لفظ المشهد هو ما يغلب على اعتقاد الانسان أو وجدانه وشعوره في مصيبتة أو معصيته غيره ، ومثله كل عامل في عمله ، ويعبر بعض الناس الآن عن مثل هذا المعنى بالملاحظة . فيقال على عرفهم : إن العامي الجاهل لا يلاحظ في المصيبة الا لإرضاء شهوته . ولكن الطبيب الجاهل يلاحظ معنى آخر مع قصد الشهوة وهو أن هذا العمل من الوظائف الطبيعية لبعض أعضاء الجسم . وعلى ذلك نفس

أحوالهم متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات التي هم على أخلاقها وطباعها (فمنهم) من نفسه كابية لو صادف جيفة تشبع ألف كلب أوقع عليها وحماها من سائر الكلاب ، ونجح كل كلب يدنو منها ، فلا تفرها الكلاب الا على كره منه وغلبة ، ولا يسمح لكلاب بشيء منها ، وهمه شبع بطنه من أي طعام اتفق : ميتة او مذكي ، خيث او طيب . ولا يستحي من قبيح ، ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ان اطعمته بصره بذنبه ودار حولك ، وان مننته هرك ونبحك . (ومنهم) من نفسه حمارية لم تخلق الا للكد والمكاف ، كلما زيد في علفه زيد في كده ، ابكم الخيران واقله بصيرة . ولهذا مثل الله سبحانه وتعالى به من حمله كتابه فلم يعرفه معرفة ولا فقها ولا عملاء ومثل بالكلب عالم السوء الذي آذاه الله آياته فانسلخ منها وأخلد الى الارض واتبع هواه . وفي هذين المثالين اسرار عظيمة ليس هذا موضع ذكرها .

(ومنهم) من نفسه سبعية غضبية همة المدبران على الناس وقهرهم بما وصات اليه قدرته ، طبيعته تنفاضي ذلك كتمفاضي طبيعة السبع لما يصدر منه . (ومنهم) من نفسه فارسية فاسق بطيمه ، مقسد لما جاوره ، تسبيحه بلسان الحال : سبحانه من خافه للفساد .

(ومنهم) من نفسه على نفوس ذوات السموم والحماة ، كالحية والمقرب وغيرها ، وهذا الضرب هو الذي يؤدي بعينه فيدخل الرجل القبر ، والجل القدر ، والعين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب ، وقابلت الممين على غرة منه وغفلة ، وهو اعزل من سلاحه ، فلندفته ، كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فتشمه ، فاما عطب وإما اذى . ولهذا لا يتوقف اذى المائن على الرؤية والمشاهدة ، بل اذا وصف له الشيء القاتل عنه وصل اليه اذاه . والذنب لجل الممين وغفلة وغرته عن حمل سلاحه كل وقت . فالحائث لا يؤثر في شاكى السلاح ، كالحية اذا قابلت درعا سابقا على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف ، فحق على من أراد حفظ نفسه وحمايتها أن لا يزال متدورا متحصنا ، لا بسا اداة الحرب ، مواظبا على أوواد التموزات

والتحصيلات النبوية التي في السنة والتي في القرآن (١).

وعلى هذا الشبه اعتماد أهل التعبير للرؤيا في رؤية هذه الحيوانات في المنام عند الانسان وفي داره أو أنها نهار به . وهو كما اعتدوه . وقد وقع لنا ولغيرنا من ذلك في المنام وقائع كثيرة . فكان تأويلها مطابقا لاقوام على طباع تلك الحيوانات . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أحد بقرا تنحر ، فكان ما أصيب من المؤمنين بنحر الكفار ، فإن البقرة أنفع الحيوان للارض وبها صلاحها وفلاحها مما يفيد من السكينة والمنافع والذل (بكسر الذال) فانها ذلول مذلة متفادة غيرأية ، والجواميس كبارهم ورؤسائهم (٢) ورأى عمر بن الخطاب كأن ديكا نقره ثلاث نقرات ، فكان طعن أبي لؤلؤة له . والديك رجل أعجبي شرير .

ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيات فلا يلوى عليهما ، فاذا قام الانسان عن رجليه قه . وهكذا كثير من الناس يسلم منك ويرى من الحسن أضفاف أضفاف المساوي ، فلا يحفظها ولا يتقها ولا تناسبه ، فاذا رأى سقطا أو كلمة عواء وجد بغيته وما يناسبها فجاءها فأكبته ونقله

(ومنها) من هو على طبيعة الطاوس ليس له الا التملوس والنزير بالريش وما ين . ذلك شيء (ومنها) من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان وأغلظه كيدا

(ومنها) من هو على طبيعة الدب أبكم خبيث ، وعلى طبيعة القرد (٣) أتخذ طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسا وأكرمها طبعها ، وكذلك الفهم ، وكل من ألف ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه ، فإن تغذى لحمه كان الشبه أقوى . فإن الغاذي شيه بالمتغذي (٤) . ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما يورث آكله (٥) من شبه

{١} حدثنا من هذا الموضع مجنا وحيزا في غراب من ثمت أنه يؤدي بغيته ، وأنه أن قتل بالعين لا يقتل بالسيف لان الجزاء من جنس العمل

{٢} أي كبار الناس التافعين ورؤسائهم . أي تعبير رؤيتها في المنام بذلك

{٣} أي في إفساد كل ما تصل اليه يده (٤) وفي نسخة « المتغذي »

(٥) وفي نسخة « أكلها »

نفوسها بها والله أعلم . والمقصود أن أصحاب هذا المشهد ليس لهم شهود سوى ميل نفوسهم وشهواتهم لا يعرفون ما وراء ذلك ألبتة

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثاني مشهد رسوم الطبيعة ولوازم الخلقة)

كشهد زنادقة الفلاسفة والأطباء الذين يشهدون أن ذلك من لوازم الخلقة والطبيعة الانسانية ، وأن تركيب الانسان من الطبائع الاربع وامتزاجها واختلاطها كما يقتضي بغير بعضها على بعض وخروجه عن الاعتدال بحسب اختلاف هذه الاخلاط ، فكذلك تركيبه من البدن والنفس والطبيعة والاخلاط الحيوانية يتقاضاه اثر هذه الخلقة ورسوم تلك الطبيعة ، ولا تقهر الا بقاهر إما من نفسه وإما من خارج عنه . وأكثر النوع الانساني ليس له قاهر من نفسه ، فاحتياجه الى قاهر فوفقه يدخله تحت سياحة وإيالة ينتظم بها أمره ضرورة (١) كحاجته الى مصالحه من الطعام والشراب واللباس . وعند هؤلاء ان العاقل متى كان له وازع من نفسه قاهر لم يحتاج الى أمر غيره ونبيه وضبطه (٢) . فشهد هؤلاء من حركات النفس الاختيارية الموجبة للجنائيات ، كشهدهم من حركات الطبيعة الاضطرابية الموجبة للتغيرات (٣) وليس لهم مشهد وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الثالث مشهد أصحاب الجبر)

وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وإنها واقعة بغير قدرتهم ، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة . ويقولون : ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر ، وإن الفاعل فيه غيره والمحرك له سواء ، وأنه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الاشجار . وهؤلاء اذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحاولوا ذنبهم عليه ، وقد يقولون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ،

(١) كان الظاهر أي يقال « ضروري » لانه خبر قوله فاحتياجه

(٢) كذا (٣) وفي نسخة التغيرات

لموافقها المشيئة والقدر . ويقولون : كما أن موافقة الامر طاعة ، فوافقه المشيئة طاعة . كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفهامهم دليلا على أمره بها ورضاه .

وهؤلاء شر من القدريه النفاق ، وأشد عداوة لله ، ومناقضة لكتبه ورسوله ودينه ، حتى أن من هؤلاء من يتندر عن إبليس ويتوهم له ويقسم عنده بمجده ، وينسب ربه تعالى إلى ظلمه بلسان الحال والمقال ، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه ؟ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وأرادته منه ؟ ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه ؟ وهل كان في ترك السجود لغير الله الا محسنا ؟ ولكن :

إذا كان المحب قليل حظ فما حسنة الا ذنوب

وهؤلاء أعداء الله حقا ، وأولياء إبليس وأحباؤه وأخوانه . وإذا نأح عنهم نأح على إبليس وأيت من البكاء والخنين أمرا عجيبا ، ورأيت من ظلم الاقدار ، واتهام الجبار ، ما يبدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم ، وتسمع من أحدهم من الظلم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب الماجز عن خصمه . فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية في تأنيته :

ويدعى خصوم الله يوم مآدهم إلى النار طرا فرقة القدريه

﴿ فصل ﴾

(المشهد الرابع مشهد القدريه النفاق)

ويشهدون أن هذه الجنایات والذنوب هم الذين أحدثوها ، وأنهم واقعة بمشيئتهم دون مشيئة الله تعالى ، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاءه ولا خلق أفهامهم ، وأنه لا يقدر أن يهدي أحدا ولا يضل إلا بمجرد البياض ، لا أنه يلهي الهدى والضلال ، والفجور والتقوى ، فيجعل ذلك في قلبه . ويشهدون أنه يكون في ملك الله ما لا يشاؤه ، وأنه يشاء ما لا يكون ، وأن العباد خالقون لأفهامهم بدون مشيئة الله . فالماهي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم ، لا أنها خلق الله

ولا تتعلق بمشيئته . وهم لذلك مبخوسو الحظ جدا من الاستمانة بالله والتوكل عليه والاعتصام به ، وسؤاله ان يهديهم ، وان يثبت قلوبهم وان لا يزيقها ، وأن يوفقهم لمراضاته ويحببهم لمعصيته . اذ هذا كله واقع بهم وعين أفعالهم لا يدخل تحت مشيئة الرب . والشيطان قد رضي منهم بهذا القدر ، فلا يؤزهم إلى المعاصي ذلك الأثر ، ولا يزعمهم اليها ذلك الإزعاج . وله في ذلك غرضان مهمان (أحدهما) ان يقرر في قلوبهم صحة هذا المشهد وهذه العقيدة ، وأنكم تاركون الذنوب (١) (والآخر) التي تقع فيها أهل السنة . فدل على أن الامر مفوض اليكم واقع بكم ، وأنكم العاصون لانفسكم المانعون لها من المعصية (الفرض الثاني) أنه يصطاد على أيديهم الجهال ، فاذا رأوهم أهل عبادة وزهادة وتورع عن المعاصي وتمظيظ لها قالوا : هؤلاء هم اهل الحق . والبدعة آثر عنده واحب اليه من المعصية ، فاذا ظفروا بها منهم ، واصطاد الجوال على أيديهم ، كيف يأمرهم بالمعصية ؟ بل ينهاهم عنها ويقبحها في أعينهم وقلوبهم ، ولا يكشف هذه الحقائق الا ارباب البصائر .

﴿ فصل ﴾

(المشهد الخامس وهو احد مشاهد اهل الاستقامة : مشهد الحكمة)

وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يفضيه سبحانه ويكرهه ، ويلوم ويقاب عليه ، وانه لو شاء لهضمه منه ، ولحال بينه وبينه ، وانه سبحانه لا يعصى قسرا ، وانه لا يكون في العالم شيء الا بمشيئته (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وهؤلاء يشهدون ان الله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ، وانه له الحكمة الباقية في كل ما قدره وقضاه من خير وشر ، وطاعة ومعصية ، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الاحاطة بكنها ، وتكمل الاسن عن التعبير عنها ، فمصدر قضائه وقدره لما يفيضه بسخطه اسم الحكيم الذي بهرت حكمته الابواب ، وقد قال تعالى ملائكتك لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك وقديس لك) فاجابهم سبحانه بقوله (اني اعلم ما لا تعلمون) فلا سبحانه في ظواهر المعاصي

(١) وفي نسخة « تاركو الذنوب »

والذنوب والجرائم وترتب آثارها من الآيات والحكم ، وأنواع الثمرات الى خلقه ،
وقوم آياته ، ودلائل وبريقه ووحدايته ، والحيثية وحكمته وعزته ، وقام ملكه وكلال
قدرته ، وإحاطة علمه ، ما يشهد أولو البصائر حياتا ببصائر قلوبهم ، فيقولون (وبنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانه !) ان هي الا حكمة الباهرة وآياتك الظاهرة

والله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهدا

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

فكم من آية في الارض بينة دالة على الله وعلى صدق رسله وعلى ان لقاءه
حق ، كان سببا معاصي بني آدم وذنوبهم ، كآيته في اغراق قوم نوح ، وعلو الماء على
رووس الجبال ، حتى اغرق جميع اهل الارض ، ونجى اولياءه واهل معرفته وتوحيده .
فكم في ذلك من آية وعبرة ، ودلالة باقية على عمر الدهور ؟ وكذلك إهلاك قوم
عاد وثمود . وكم له من آية في فرعون وقومه من حين بث موسى اليهم ؟ بل قبل مبطله
الى حين إغراقهم ، لولا معاصيهم وكفرهم لم تظهر تلك الآيات والمعجائب . وفي
التوراة ان الله تعالى قال لموسى : اذهب الى فرعون فاني سأقسي قلبه وامتنعه عن (١)
الايمان لا تظهر آياتي ومعجائبي بمصر . وكذلك فعل سبحانه فاعلم من آياته ومعجائبه
بسبب ذنوب فرعون وقومه ما اظهر . وكذلك اظهره سبحانه ما اظهر من جبل
النار بردا وسلا على ابراهيم ، بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم ، وإلقاءهم له في النار ،
حتى صارت تلك آية ، وحتى نال ابراهيم ما نال من كمال الخلة .

وكذلك ما حصل الرسل من انكرامة والمنزلة والرفعة عند الله والوجاهة عنده
بسبب صبرهم على اذى قومهم وعلى محاربتهم لهم ومعادلتهم . وكذلك اتخذ الله
تعالى الشهداء والاولياء والاصفياء من بني آدم ، بسبب صبرهم على اذى بني آدم
من أهل المعاصي والظلم ومجاهدتهم في الله ، ومحاربتهم لأجله من أعدائه ما هو بعينه
وعلمه ، واستحقاقهم بذلك رفعة الدرجات . - الى غير ذلك من الصالح والحكم
التي وجدت بسبب ظهور المعاصي والجرائم ، وكان من سببها تقدير ما يفضيه الله
ويستخلصه ، وكان ذلك محض الحكمة ، لما يترتب عليه مما هو أحب اليه وأثر عنده

من فوته بتقدير عدم المعصية . فحصل هذا المحبوب العظيم ، أصحب إليه من فوات ذلك المبتغى المسخوط ، فان فواته وعدمه وان كانت محبوبة باله لكن حصول هذا المحبوب الذي لم يكن يحصل بدون وجود ذلك المبتغى أصحب إليه ، وفوات هذا المحبوب ، أكره إليه من فوات ذلك المكروه المسخوط ، وقال حكمته تقضي حصول أصحب الأمرين إليه بفوات أدنى المحبوبين ، وان لا يعمل هذا الأحب بتعطيل ذلك المكروه . وفرض الذهن وجود هذا بدون هذا ، كفرضه وجود المسببات بدون أسبابها ، وللزومات بدون لوازمها ، مما تمتعته حكمة الله وقال قدرته وربوبيته .

وبكفي من هذا مثال واحد وهو أنه لولا المعصية من أي البشر بأكله من الشجرة لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى ، من امتحان خلقه وتكليفهم ، وإرسال رسله ، وإنزال كتبه ، وإظهار آياته وعجائبه ، وتوحيها وتصريفها ، وإكرام أوليائه ، وإهانة أعدائه ، وظهور عدله وفضله وعزته وإتقائه ، وعفوه ومغفرته ، وصفحة خطه ، وظهور من بعده ويحبه ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان . فلو قدر أن آدم لم يأكل من الشجرة ولم يخرج من الجنة هو وأولاده ، لم يكن شيء من تلك ، ولا ظهر من القوة إلى الفعل ما كان كامناً في قلب إبليس يطمع الله ولا تقامه الملائكة ، ولم يتميز خبيث الخلق من طيبه ، ولم تتم المملكة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب ، وعقوبة وإهانة ، ودار معادة وفضل ، ودار شقاوة وعدل .

وكم في تسليط أوليائه على أعدائه ، وتسليط أعدائه على أوليائه ، والجمع بينهما في دار واحدة وابتلاء بعضهم ببعض ، من حكمة بالغة ، ونسبة ساجدة ؟ وكم في طيها من حصول محبوب الرب ، وحسن إله من أهل سمواته وأرضه ، وخضوع له وتذلل ، وتعبد وخشية وإفقار إليه ، وانكسار بين يديه ؟ أن لا يعلمهم من أعدائه ، إذ هم يشاهدونهم ويشاهدون خذلان الله لهم ، وإعراضه عنهم ، ومقته لهم ، وما أعد لهم من العذاب . وكل ذلك يمشيئة وإرادته ، وتصرفه في مملكته ، فأولياؤه من خشية خذلانه خاضعون مشفقون ، على أشد وجل وأعظم تخافة وأتم انكسار . فاذا رأت

الملائكة إبليس وما جرى له ، وهاريت وماروت ، وضعت رؤوسها بين يدي الرب خضوعاً لعظمته ، واستكانة لعزته ، وخشية من إبعاده وطرده ، وتذلاً لطيبته ، وافتقاراً إلى عصمته ورحمته ، وعلت بذلك منه عليهم ، واحسانه اليهم ، وتخصيصه لهم بفضل وكرامته .

وكذلك أولياؤه المتقون ، اذا شاهدوا أحوال أعدائه ومقتله لهم ، وغضبه عليهم ، وخذلانه لهم ، ازدادوا له خضوعاً وذلاً ، وافتقاراً وانكساراً ، وبه استمانته ، وإليه إناابة ، وعليه توكلوا ، وفيه رغبة ، ومنه رهبة ، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم منه إلا إليه ، وأنهم لا يمددهم من بأسه إلا هو ، ولا ينجيهم من سخطه إلا مرضاته ، فالفضل بيده أولاً وآخرها

وهذه قطرة من بحر حكمته المحيطة بخلقته . والبصير يطالع بصيرته ما وراءه فيطالع على عجائب من حكمته لا تبلغها العبارة ، ولا تناها الصفة . وأما حظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة فيحسب استعداده وقوة بصيرته ، وكال علمه ومعرفته بالله وأسمائه وصفاته ، ومعرفة بحقوق اليهودية والربوبية ، وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم ، وذاك لا يتمناه ولا يتخطاه (١)

(١) بقي من بيان حكمة الله تعالى في تقدير الكفر والمعاصي كلفة ضرورية لا يتم بدونها . وهي معنى ذلك التقدير ، وكونه لا دلالة فيه ولا اقتضاء للجبر والاكراه على الفعل . وذلك أنه تعالى خلق الناس مختارين في أفعالهم ، يملأونها بإرادتهم ، حسب علمهم أو ظنهم بأن فعل كذا أو تركه خير لهم . فكل عمل من أعمالهم حلقة من سلسلة الاسباب والمسببات قبله حلقة الاختيار ، وهذا الترتيب هو التقدير ، فالقدر جعل المسببات على قدر الاسباب ، وانتظام الجميع في سلسلة واحدة . وضد الخلق الأقرب الذي هو مذهب القدرية . ومعناه أن الله تعالى يخلق كل شيء يقع في الكون ابتداء واستئفاً لا يكون شيء من الحوادث مبني على تقدير ونظام سابق ، تكون فيه الاسباب على قدر المسببات ، والنتائج اثر لترتيب المقدمات . فكل مخلوق له علم وإرادة واختيار يطيع أو يعصي باختياره الذي هو من قدر الله ، ولا يخاف الله كل عمل يصدر منه خلقاً مستأفاً كما يزعم منكرو القدر العميان . وله في هذا التقدير حكم كثيرة أشار المصنف الى طائفة منها ، والله عليم حكيم

﴿ فصل ﴾

(المشهد السادس مشهد التوحيد)

وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا تتحرك ذرة الا بإذنه ، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته ، وأنه ما من قلب الا وهو بين أصابعه ، إن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاعه . فالقلوب بيده وهو مقلبها ويصرفها كيف شاء وكيف أراد ، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها ، وهو الذي هداها وزكاها ، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها « من يد الله فلا مضى له ، ومن بضال فلا هادي له » يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته . هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بمنون (١) وهذا عدله وقضاؤه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) قال ابن عباس : الأيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيداً ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيداً . وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) علماً وحالاً ، فيثبت قدم العيد في توحيدهِ (٢) الربوبية ، ثم يرقى منه صاعداً الى توحيد الالهية ، فانه اذا تبين أن الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والهدى والضلال ، والسعادة والشقاء ، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ، وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء ، وأنه لا موقف الا من وقته وأمانته ، ولا مخدول الا من خذله وأمانته وتخلي عنه ، وإن اصبح القلوب وأسلمها وأقومها ، وأرقها وأصفاها ، وأشدها وألينها ، من اتخذ حده إلهاً ومعبوداً ، فكان أحب اليه من كل ماسواه ، واخوف عنده من كل ماسواه ، وأرجى له من كل ماسواه ، فتقدم محبته في قلبه جميع الخباب ، فتساق الخباب تبعاً لها كما يساق الجيش تبعاً للسلطان ، ويتقدم خوفه في قلبه جميع الخوفات ، فتساق الخواف كلها تبعاً لخوفه ، ويتقدم رجاءه في قلبه جميع الرجاء ، فتساق كل رجاء تبعاً لرجائه .

(١) وفي نسخة بزيادة « اي مقطوع » وهو تفسير لمنون { ٢ } وفي نسخة

« توحيد » بدون هاء

فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب ، والباب الذي دخل اليه منه توحيد الربوبية ، أي باب توحيد الإلهية توحيد الربوبية (١) فإن أول ما يتعلق القلب (٢) بتوحيد الربوبية ثم يرتقي الى توحيد الإلهية ، كما يدعو سبحانه عبادته في كتابه بهذا النوع من التوحيد الى النوع الآخر ، ويحتاج عليهم به ، ويقردهم به ، ثم يخبر أنهم ينفقونه بغير فهم به في الإلهية .

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام (إياك نعبد) قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن : الله . فأنى يؤفكون؟) أي فن أن يصرفون عن شهادة أن لا إله الا الله ، وعن عبادته وحده ، وهم يشهدون أنه لا رب غيره ولا خالق سواه (٣) وكذلك قوله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها أن كنتم تعلمون ؟) يقولون : لله . قل أفلا تذكرون ؟ (فمعلمون أنه اذا كان وحده مالك الأرض ومن فيها ، وخالقهم وربهم ومليكهم ، فهو وحده المهيمن ومعبودهم ، فكما لا رب لهم غيره ، فهكذا لا إله لهم سواه) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ يقولون : لله . قل : أفلا نتقون ؟ قل : من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ؟ - الآيات . وهكذا قوله في سورة النمل (قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير أمّا يشركون ؟ أمّ تن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعلمون) الى آخر الآيات . يحتاج عليهم بأن من فعل هذا وحده ، فهو الإله وحده ، فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن تعبدوه ، وإن لم يكن معه رب فعل هذا فكيف تعبدون معه الهة أخرى ؟

ولهذا كان الصحيح من القولين في تقدير الآية « أمره مع الله فعل هذا ؟ » حتى يتم الدليل ، فلا بد من الجواب بلا . فإذا لم يكن معه إله فعل كفعله فكيف تعبدون آلهة أخرى سواه ؟ فلم أن إلهية ماسواه باطلة ، كما أن ربوبية ماسواه باطلة باقراكم وشهادتكم . ومن قال : المهي هل مع الله الهة أخرى ؟ من غير أن

(١) وبعبارة أخرى توحيد الربوبية ، باب يدخل منه الى توحيد الإلهية .

(٢) وفي نسخة « العبد » (٣) وفي نسخة « وأنه لا خالق سواه »

يكون المعنى « فعل » فتو له ضعيف نوجبين (أحدهما) أنهم كانوا يقولون : مع الله آلهة أخرى ، ولا ينكرون ذلك (الثاني) أنه لا يثبت الدليل ، ولا يحصل إضمارهم وإقامة الحجة عليهم إلا بهذا التقدير ، أي فإذا كنتم تقولون : أنه ليس معه إله آخر فعل مثل فعله ، فكيف تمهلون معه إلهاً آخر لا يخلق شيئاً وهو عاجز ؟ وهذا كقولاه (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) وقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟) وقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟) وقوله (والذين يبدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُسَخَّلون) وقوله (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُسَخَّلون) وهو كثير في القرآن وبه تتم الحجة كما تبين .

والمقصود أن العبد يحصل له هذا المشهد من مطالعة الجنايات والذنوب وجريانها عليه وعلى الخليفة بتقدير العزيز الحكيم ، وأنه لا عاصم من غضبه وأسباب سخطه إلا هو ، ولا سبيل إلى طاعته إلا بموجبه ، ولا وصول إلى مرضاته إلا بتوفيقه ، فوارد الأوامر كلها منه ومصادرها إليه ، وإزمة التوفيق جميعها بيديه ، فلا مستعان له بما دالا به ، ولا مشكل إلا عليه (١) كما قال : سميع خطيب الأنبياء (وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

﴿ فصل ﴾

(المشهد السابع مشهد التوفيق والخذلان)

وهو من تمام هذا المشهد وفروعه ، وليكن أفرد بالذكر لحاجة العبد إلى شهوده واتفاعة به . وقد أجمع المارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك (٢)

(١) أي أن الذي بدرك حقيقة معنى القدر يعلم أن ما آناه الله تعالى إياه من هدايات الخواص والنفوس والوجدان ، وما يصل إليه علمه المكتسب بها والضروري الذي هو أقوى منه ، كل ذلك لا يكفي لنصرف إرادته واختياره دائماً فما هو خير له ، فانه مهما اتسع علمه واختياره يختار لنفسه أحياناً كثيرة ما هو شر له في دينه ودنياه وعاجل أمره وأجله ، فإذا فقه هذا علم علم شهود أنه لا يستغني طرفه عين عن توفيق الله وعنايته . (٢) هذا تفسير بالائتزام وأما الملازم فيكون الأسباب الكسوية وغير الكسوية موافقة للمصلحة الحقيقية

والخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك . فالعبد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطمعه ويرضيه وينكره ويشكره . توفيقه له ، ثم يعصيه وبخلافه ويسخطه وينفل عنه بخذلانه له فهو دائر بين توفيقه وخذلانه ، فان وفقه فبفضله ورحمته ، وإن خذله فبعذله وحكمته ، وهو المحمود على هذا وهذا ، له أتم حمد وأكمله ، ولم يمنح العبد شيئا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يجنبه . فحق شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه ، علم ضرورته وحاجته الى التوفيق كل نفس وكل لحظة وطرفة عين ، وإن إيمانه وتوحيده بيده تعالى (١) ، لو تخلى عنه طرفة عين لثُلَّ عرش توحيده ، ولحُرَّتْ سماء إيمانه على الأرض ، وإن المسلك له من يسلك السماء ان تقع على الأرض إلا بإذنه ، فمجتبى قلبه (٢) ودأب لسانه « يا قلب اقلوب ثبت قلبي على دينك ، يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك » ودعواه « يا حي يا قيوم . يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك » ففي هذا المشهد يشهد توفيق الله وخذلانه ، كما يشهد ربوبيته وخلقته ، فيسأله توفيقه مسألة المضطر ويعوذ به من خذلانه عياذ الملهوف ويلقي نفسه بين يديه ، طريقا يبابه مستسلا له ، ناكس الرأس بين يديه خاضعا ذليلا مستكينا ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

والتوفيق إرادة الله من نفسه ان يفعل بعينه ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه ، ويريد له ، محبا له ، مؤثرا له على غيره ، ويبغض اليه ما يسخطه ويكرهه اليه . وهذا مجرد فعله ، والعبد محل له ، قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك

{ ١ } وفي النسخة الثانية « وتوحيده تمسك بيد غيره بيده تعالى » { ٢ } مجيرى الانسان بكسر الغاء وتشديد الجيم المكسورة والقصر) دأبه الذي يلازمه ولا يتركه . ويسمى الناس في بعض البلاد في هذا العصر « لازمة » فالذي يكثر في كلامه من كلمة « مثلا » يقولون : لازمة مثلا

هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم (فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له ، حكيم يضمه في مواضع وعند أهله ، لا يمتعه أهله ، ولا يضمه عند غير أهله . وذكر هذا عقيب قوله (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطعكم في كثير من الأمر لعدتكم) ثم جاء به (١) بهرف الاستدراك فقال (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) يقول سبحانه : لم تكن محبتكم للايمان وارادته وتزيينه في قلوبكم منكم ، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك فأثروا ورضيتوه . فذلك لا تقدموا بين يدي رسولي ، ولا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمره فإني حبيب اليكم الايمان أعلم بمصالح عبادي منكم ، وأنتم فلولا توفيقه لكم (٢) لما أذعنت نفوسكم للايمان ، فلم يكن الايمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم ، ولا تقدمتم به اليها ، ففروا عنكم ففروا عن ذلك ولا تبلغه ، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عليكم ذلك ، ولعلكم تفسدوا ومصالحكم وأنتم لا تشعرون ، ولا تظنوا ان نفوسكم تزيد بكم الرشد والصلاح ، كما اردتم الايمان ، فلولا اني حبيب اليكم وزينته في قلوبكم ، وكرهت اليكم ضده ، لما وقع منكم ولا سمحت به أنفسكم . وقد ضرب للتوفيق والخذلان مثل ملك أرسل الى أهل بلد من بلاد رسولا

وكتب مع (٣) كتابا إليهم أن العدو مصيبتهم عن قريب ، ومحتاجهم ومخرب البلد ومهلك من فيها ، وأرسل اليهم أموالا ومراكب وزادا وعدة وأدلة ، وقال : ارتحلوا الي مع هؤلاء الأدلة ، وقد أرسلت اليكم جميع ما تحتاجون اليه . ثم قال لجماعة من مماليكه : اذهبوا الى فلان فخذوا بيده واحملوه (٤) ولا تذروه بقدم ، واذهبوا الى فلان كذلك والى فلان ، وخذوا من عداهم فاقبلهم لا يصلحون ان يسكنوني في بلدي . فذهب خواص مماليكه الى من أمروا بمصالحهم فلم يتركوهم بقرون ، بل حملوهم حملا وساقوهم سوقا الى الملك ، فاجتاح العدو من بقي في المدينة وقتلهم ، وأمر من أمر . فحل بعد الملك ظالما لهؤلاء أم عادلا فيهم ؟ نعم خص أولئك باحسانه وعنايته وحرما من عداهم ، اذ لا يجب عليه التسوية بينهم في فضله واكرامه ، بل ذلك فضله

(١) سقط من النسخة الثانية لفظ « به » (٢) سقط من النسخة الثانية لفظ « لكم »

(٣) وفي نسخة « له » (٤) وفي نسخة « فاحملوه »

يؤتيه من يشاء .

وقد فسرت القدرة الجبرية التوفيق بأنه خلق الطاعة ، والخذلان (بأنه) خلق المعصية . ولكن بنوا ذلك على أصولهم الفاسدة من انكار الأسباب والحكم ، وردوا الامرالى بمحض المشيئة من غير سبب ولا حكمة . وقابلهم القدرة النفاة ، ففسروا التوفيق بالبيان العام ، واليهدي العام ، والتمكن من الطاعة والإقبال عليها وتميئة أسبابها . وهذا حاصل لكل كافر ومشرِك بلفظه الحجة وتمكن من الايمان . فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقدار والتمكين والدلالة والبيان قد عم به الفريقين (١) . ولم يفرد المؤمنين عندهم توفيق وقع به الايمان منهم ، والكفار بخذلان امنع به الايمان منهم ، ولو فعل ذلك لكان عندهم محاباة وظلما . والتزوا لهذا الاصل لوازم قامت بها عليهم صوق الشناعة بين العقلاء ، ولم يجدوا بدا من التزامها ، فظهر فساد مذهبهم ، وتناقض أقوالهم (٢) ، لمن أحاط به علما ونصوره حق نصوره ، وعلم أنه من أبطل مذهب (?) في العالم واردة .

وهدى الله الذين آمنوا لما اخافوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فلم يرضوا بطريق هؤلاء ، ولا طريق هؤلاء ، وشهدوا انحراف الفريقين عن الصراط المستقيم ، فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات وأثبتوا الأسباب والحكم والفايات والمصالح ، ونزهوا الله عز وجل أن يكون في ملكه ما لا يشاء ، أو أن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ولا مشيئته ، أو أن يكون شيء من أفعالهم وأقوالهم بغير اختياره وبدون مشيئته . ومن قال ذلك فلم يعرف ربه ، ولم يثبت له كمال الربوبية . ونزهوه مع ذلك عن العبث وفعل القبيح وأن يخلق شيئا سدى ، وأن تخلو أمثاله عن حكم بالغة لأجلها أوجدها ، وأسبابها سببها ، وغايات جعلت طرقا ووسائل إليها . وإن له في كل ما خلقه وقضاءه حكمة بالغة . وتلك الحكمة صفة له قائمة به ليست مخلوقة كما تقول القدرة النفاة للتدبر والحكمة في الحقيقة .

فأهل الصراط المستقيم يريثون من الطائفتين ، إلا من حق تضمنه مقالاتهم

فانهم يوافقونهم عليه ويجمعون حق كل منهما الى حق الاخرى ، ولا يطلون ما معهم من الحق لما قالوه من الباطل ، فهم شهداء الله على الطوائف أمناء عليهم ، حكام بينهم ، حاكون عليهم ، ولا يحكم عليهم احد منهم ، يكشفون أحوال الطوائف ، ولا يكشفهم الا من كشف له عن معرفة ما جاء به الرسول (١) وعرف الفرق بينه وبين غيره ولم يلتبس عليه ، وهؤلاء افراد العالم ونخبته وخلاصته ، ليسوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ولا من الذين تقطعوا أمرهم بينهم ذبرا ، بل ممن هو على بينة من ربه وبصيرة في إيمانه ، ومعرفة بما عند الناس ، والله الموفق .

﴿ فصل ﴾

المشهد الثامن مشهد الاسماء والصفات

وهو من أجل المشاهد وهو أعلى مما قبله وأوسع . والمطلع (٢) على هذا المشهد معرفة تعلق الوجود خلقا وأمر بالاسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وارتباطه بها ، وان كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها . وهذا من أجل المعارف وأشرفها ، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فان أسمائه أوصاف مدح وكال ، وكل صفة لها مقتضى ، وفعل : إما لازم وإما متعمد ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه وهذا . في خلقه وأمره وثوابه وعقابه ، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها . ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الاوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الافعال ، وتعطيل الافعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه ، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

واذا كانت أوصافه صفات كال ، وأفعاله حكما ومصالح ، واسماؤه حسنى ، ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه . ولهذا ينكر سبحانه على من عطاه عن أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، وانه نسبته الى ما لا يليق به ، ويتبرزه عنه (٣) وان

{١} وفي نسخة الرسل (٢) المطلع بفتح اللام . وخبره معرفة تعلق الوجود

(٣) وفي نسخة : بل يتبرزه عنه

ذلك حكم سيي من حكم به عليه ، وان من نسه الى ذلك فما قدره حق قدره ، ولا عظمه حق تعظيمه ، كما قال تعالى في حق منكري النبوة وارسال الرسل وانزال الكتب (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) وقال تعالى في حق منكري المماد والثواب والعقاب (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه) وقال في حق من جوز عليه القدوة بين المختلفين كالأبهرار والفجار ، والمؤمنين والكفار (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فأخبر ان هذا حكم سيي لا يليق به ، تأباه أسماؤه وصفاته ، وقال سبحانه (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم ألينا لن ترجعون ؟) فعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) عن هذا الظن والحسبان ، الذي تأباه أسماؤه وصفاته .

ونظائر هذا في القرآن كثير ، ينفي عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته ، اذ ذلك (١) مستلزم تعظيمها عن كمالها ومقتضياتها ، فاسمه الخيد المجيد يمنع ترك الانسان سدى مهلا معطلا ، لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب ، وكذلك اسمه الحكيم ، يأبى ذلك ، وكذلك اسمه الملك ، واسمه الحي يمنع أن يكون معطلا من الفعل بل حقيقة الحياة الفعل ، فكل حي فعال ، وكونه سبحانه خالقا قيوما من موجبات حياته ومقتضياتها ، واسمه السميع البصير يوجب مسموعا ومرئيا ، واسمه الخالق يقتضي مخلوقا . وكذلك الرزاق ، واسمه الملك يقتضي مملكة وتصرفا وتديبرا واعطاء ومنعا وإحسانا وعدلا وثوابا وعقابا . واسم البر المحسن المطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها .

اذا عرف هذا فن اسماؤه سبحانه الغفار الثواب العفو (٢) فلا بد لهذه الاسماء من متعلقات ، ولا بد من جنابة تغفر ، وتوبة تقبل ، وجرائم يعفى عنها . ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه (٣) اذ اقتضاء هذه الاسماء لا آثارها (١) ونسخة « ذاك » (٢) وفي نسخة بواو العطف في هذه الاسماء الثلاثة الأخيرة . وهنا محل الشاهد (٣) وفي نسخة « حكمة »

كافتضاء اسم الخالق الرازق المعطي المانع المخلوق والمرزوق والمعطي والمنوع وهذه الأسماء كلها حسنى ، والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه . فهو غفور يحب العفو ، ويحب المغفرة ويحب التوبة ، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال . وكان تقدير ما يقفرو ويعفون عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته . وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك ، وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه ، ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده . وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما ومن آثارهما مغفرة الرلات ، وإقالة المنكرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة على الجنايات ، هذا (١) مع كمال القدرة على استيفاء الحق ، والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها ، فحله بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك ، لست كمن يغفر عجزا ، ويسامح جبلا بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك ، قادر على استيفائه ، حكيم في الأخذ به .

فمن تأمل سر بيان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمور تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من المبدء ، وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال ، وغاياتها أيضا مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته ، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتميزات إلى عبادته بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له ، وتمييزهم له بأسمائه الحسنى ، إذ كل اسم فله تمتد مختص به علما ومعرفة وحالا ، واكمل الناس عبودية التمسيد بجميع الأسماء والصفات التي يطامع غالبا البشر ، فلا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التمسيد باسمه القدير ، عن التمسيد باسمه الحكيم الرحيم ، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي من عبودية اسمه المانع ، أو عبودية اسمه الرحيم وانغفرو والغفور عن اسمه المنتقم ، أو التمسيد بأسماء التودد والبر واللاطف والاحسان

عن اسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك .
وهذه طريقة الكمل من السائرين الى الله ، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن .
قال الله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) والدعاء بها يتناول دعاء المسئلة
ودعاء انشاء ودعاء التوسل . وهو سبحانه يدعو عباده الى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ،
ويثنوا عليه بها ، يأخذوا بحظهم من عبيديتها ، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه
وصفاته . فهو عليم يحب كل عليم ، وجواد يحب كل جواد ، وتر يحب الوتر ،
جميل يحب الجمال ، عفو يحب العفو وأهله ، حيي يحب الحياء وأهله ، بر يحب
الابرار ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، حلیم يحب أهل الحلم ،
فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو
عنه ، وقدر عليه ما يقضي وقوع المكروه والمبغوض له ، لا يرغب عليه المحبوب له
المرضي له ، فتوسطه كتوسط الاسباب المكروهة المفضية الى المحبوب .

فربما كان مكروه النفوس الى محبوبها سبباً ما مثله سبب
والاسباب مع مسبباتها أربعة أنواع : محبوب يفضي الى محبوب ، ومكروه
يفضي الى محبوب . وهذان النوعان عليهما مدار أفضيته وأقداره سبحانه بالنسبة الى
ما يحبه ويكرهه . والثالث مكروه يفضي الى مكروه . والرابع محبوب يفضي الى
مكروه . وهذان النوعان ممتعان في حقه سبحانه ، اذ الغايات المطلوبة من قضائه
وقدره - الذي خلق ما خلق وقضى ما قضى لأجل حصولها - لا تكون الا محبوبة
للرب مرضية له ، والاسباب الموصلة اليها منقسمة الى محبوب له ومكروه له .
فالطاعات والتوحيد أسباب محبوبة له موصلة الى الاحسان والثواب المحبوب له
أيضاً ، والشرك والمعاصي أسباب مسخوطة له ، موصلة الى العدل المحبوب له ،
وان كان الفضل أحب اليه من العدل . فاجتماع العدل والفضل أحب اليه من انفراد
أحدهما ، لما فيهما من كمال الملك والحمد ، وتنوع الثناء وكمال القدرة .

فان قيل : كان يمكن حصول هذا المحبوب من غير توسط المكروه . قيل هذا
سؤال باطل لأن وجود المازوم بدون لازمه ممتنع ، والذي يقدر الذهن وجوده شيء
آخر غير هذا المطلوب المحبوب للرب ، وحكم الذهن عليه بأنه محبوب للرب بحكم

بلاعلم ، بل قد يكون مبعوضا للرب تعالى لمنافاته حكمته ، فاذا حكم الذهن عليه بأنه محبوب له كان نسبة له الى ما لا يليق به ويتمالى عنه . فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التأمل فانه مزلة اقدام ، ومضلة افهام ، واوأمسك عن الكلام من لا يعلم لقل الخلاف ، وهذا المشهد أجل من ان يحيط به كتاب ، أو يشوعبه خطاب ، وانما أشرنا منه الى أدنى اشارة نطلع على ماوراءها والله الموفق (١) .

﴿ فصل ﴾

المشهد التاسع مشد زيادة الايمان وتمدد شواهد

وهذا من أطاف المشاهد وأخصها بأهل المعرفة . ولعل سامعه يبادر الى انكاره ويقول : كيف يشهد زيادة الايمان من الذنوب والمعاصي ؟ ولا سيما ذنوب (٢) العبد ومعاصيه ، وهل ذلك إلا منقص للايمان ؟ فانه باجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فاعلم ان هذا حاصل من الثغرات انعارف الى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره ، والى ترتب آثارها عليها . وترتب هذه الآثار عليها علم من أعلام النبوة ، وبرهان من براهين صادقي الرسل وصحة ما جاءوا به . قالت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم في معاشهم ومعادهم ، ونهوههم عما فيه فساد ظواهرهم وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبروهم عن الله عز وجل انه يحب كذا وكذا (٣) وانه يمتن كيت وكيت ، ويمساق عليه بكيت وكيت ، وانه اذا أطيع بما أمره شكر عليه بالإمداد ، والزيادة والنعيم في القلوب والابدان والأموال ، وتوجد العبد زيادته وقوته في حاله كائنا ، وانه اذا خواف أمره ونهى مرتب عليه من النقص والفساد والضعف والذل والهانة والخسارة وضيق العيش وتكد الحياة ما ترتب ، كذا قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال (قل : يا معبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، لانين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولندار الآخرة خير) وقال تعالى (وأن استغفروا ربكم

زيادة «فيايب عليه»

ثم تو بوا اليه بمتكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله (وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ، والصحيح أنها في الدنيا وفي البرزخ فان من أعرض عن ذكره الذي أنوله فله من ضيق الصدر ونكد العيش وكثرة الخوف وشدة الحرص والتعب على الدنيا وانتحسر على فواتها قبل حصولها وبعد حصولها ، والآلام التي في خلال ذلك - ما لا يشمر به القلب اسكرته وانغمسه في السكر . فهو لا يصبحو ساعة الا أحس وشعر بهذا الألم فبادر الى ازالته بسكران ، فهو هكذا مدة حياته . وأي عيشة أضيق من هذه او كان القلب شعور؟ فقلوب أهل البدع والمرضين عن القرآن وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل الجحيم الكبرى ، وقلوب الابرار في نعيم قبل النعيم الاكبر (ان الابرار في نعيم وان الفجار في جحيم) هذا في دورهم الثلاث ليس مختصا بالدار الآخرة ، وان كان تمامه وكأله وظهوره إنما هو في الدار الآخرة (١) وفي البرزخ دون ذلك ، كما قال تعالى (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) وقال تعالى (ويقولون: متى هذا الوعد ان كنتم صادقين؟ » قل: ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون) وفي هذه الدار دون ما في البرزخ ، ولكن بمنع من (٢) الإحساس به الاستغراق في سكرة الشهوات ، وطرح ذلك عن القلب وعدم التفكير فيه . والعبد قد يصيبه ألم حسي فيطرحه عن قلبه ويقطع التفاته عنه ، ويجهل أقباله على غيره لئلا يشمر به جملة ، فلو زال عنه ذلك الانتفات لصاح من شدة الألم فما الظن بعذاب القلوب والآلام ؟ وقد جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثارا محبوبة لذينة طيبة لذتها فوق لذة المنصية باضعاف مضاعفة لانسبة لها اليها ، وجعل للسيئات والمعاصي آلاما وآثارا مكروهة ، وحرزات ترابي على لذة تناولها باضعاف مضاعفة . قال ابن عباس : ان للحسنة نورا في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ، (١) مارأيت أحدا سبقني الى تقرير هذا المعنى والاستدال عليه بالقرآن مثل المصنف (٢) وفي نسخة بسقوط «من»

ونقصا في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق . وهذا يعرفه صاحب البصيرة ويشهده من نفسه ومن غيره ، فما حصل للعبد حال مكروهة قط الا بذنب ، وما يعمو الله عنه أكثر . قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وقال لخيار خلقه وأصحاب نبيه (أَوْ كَمَا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا فَلَنْتُمْ : أَتَى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) وقال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) والمراد بالحسنة والسيئة هنا النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله . ولهذا قال « ما أصابك » ولم يقل : ما أصبت . فكل تقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسيبه الذنوب ومخالفة أوامر الرب ، فليس في العالم شر قط الا الذنوب وموجباتها

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والابدان والاموال امر مشهود في العالم ، لا ينكره ذو عقل سليم ، بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وشهود العبد هذا في نفسه وفي غيره . وتأمله ومطالعه مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل ، وبالثواب والعقاب ، فإن هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم ، ومثوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو أعظم منها لمن كانت له بصيرة ، كما قال بعض الناس : اذا صدر عني ذنب ولم ابادره ولم اتداركه بانوبة انتظرت أثره السيئ ، فاذا أصابني اوفوقه اودونه كما حسبت ، يكون هجبراي « اشهد ان لا إله إلا الله ، واشهد ان محمداً رسول الله » ويكون ذلك من شواهد الايمان وادلتها ، فإن الصادق مني اخبرك انك اذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا ، فجعلت كما فعلت شيئا من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ، لم تزد الا علما بصدقه وبصيرة فيه ، وليس هذا لكل احد ، بل أكثر الناس يرين الذنوب على قلبه فلا يشهد شيئا من ذلك ولا يشمر به البتة . وانما يكون هذا قلبا فيه نور الايمان ، واهوية الذنوب والمعاصي تعصف فيه ، فهو يشاهد هذا وهذا ، ويرى حال مصباح ايمانه مع قوة تلك الاهوية والرياح ، فيرى نفسه كراكب البحر عند هيجان الرياح وقلب السفينة وتكفئها ، ولا سيما اذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح ، فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، اذا أريد به الخير ، وان أريد به غير ذلك قلبه في واد آخر .

وفي افتتاح هذا الباب للعبد انتفع بمطالعة تاريخ العالم واحوال الامم وماجرى من الخلق ، بل انتفع بما جرى من اهل زمانه وما يشاهده من احوال الناس ، وفهم حينئذ معنى قوله تعالى (انفس هوة تم على كل نفس بما كسبت) وقوله (شهد الله انه لا اله الا هو وللانكسرة اولو انظروا بالقيسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم) فكلما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة وجذب وقص في نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب تعالى بالقيسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وان اجراه على يد ظالم فالسلط له اعدل الماديين ، كما قال تعالى لمن افسد في الارض (بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجسوا خلال الديار) الآية . فالذنوب مثل السموم مفسدة بالذات ، فان تداركها من سقي بالادوية المقاومة لها . . . ، والا قهرت القوة الايمانية وكان الهلاك ، كما قال بعض السلف : المعاصي ريت الكفرة كما ان الحى يريد الموت فشهود العبد نقص حاله اذا عصى ربه ، وتغير اقلوب عليه رجفوها منه ، وانسداد الابواب في وجهه ، وتورع المسالك عليه وهوانه على اهل بيته واولاده وزوجته واخوانه (١) وتقلبه ذلك حتى يعلم من اين أتى ، ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يقوى ايمانه . فان اقلع وبأشمل الاسباب التي تقضي به الى ضد هذه الحال ، ورأى العز بعد النذل ، والغنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والامن بعد الخوف ، والقوة في قلبه ، بعد ضعفه ووهنه . ازداد ايمانه ، تقوى شواهد الايمان في قلبه ، وبرايته وادلته في حال معصيته وطاعته ، فهذا من الدين (يكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويمجزهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون) وصاحب هذا المشهد متى تبصر فيه واعطاه حقه صار من اطباء القلوب العالمين بدلائل ودوائها ، فقمه الله في نفسه

(١) هذه الآثار التي تترتب على الذنوب لا يشهد بها كلها الا المؤمن الذي يعيش بين المؤمنين الصادقين . واما الجاحدون والمنافقون والمناسقون المصرون ، فلا تغير اقلوب بعضهم على بعض لاجل المنصية ، ولا يشعرون بهواتهم على اهل بيوتهم ، الا قليلا وفي بعض المعاصي دون بعض . فالذين اعتادوا شرب الخمر في بيوتهم ، وغير بيوتهم يمدونها هم واهلهم كشراب الماء . وللمعاصي آثار أخرى في الاخلاق وفي الصحة لا يفضل عن قبورها وشؤمها الا من هو اجتهل من الانعام

ونفع به من شاء من خلقه * والله اعلم *

﴿ فصل ﴾

المشهد العاشر مشهد الرحمة

فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة ، والكيفية الغضبية التي كانت عتده من صدور منه ذنب ، حتى لو قدر عليه لا خلائكه ، ورعا دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذَه قَضِيًّا مِنْهُ لَه وَحَرَمًا عَلَى أَنْ لَا يَمُوتَ ، فَيَلْجِئُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةَ الْمَذْنُوبِينَ الْخَاطِئِينَ وَلَا يَرَاهُمُ الْآبِغِينَ الْاِحْتِقَارِ وَالْاَزْدِرَاءَ ، وَلَا يَذْكُرُهُمُ إِلَّا بِلسَانِ الطَّامِنِ فِيهِمْ وَالْمُيَبِّحِ لَهُمُ وَالذَّمِّ ، فَإِذَا جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ وَخَلَّى نَفْسَهُ اسْتَغْفَرَ بِاللَّهِ وَاتَّجَأَ إِلَيْهِ ، وَقَلَّلَ بَيْنَ بَدِيهِ قَلِيلِ السَّلِيمِ ، وَدَعَا دَعَاءَ الْمُضْطَرِّ ، فَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْغَلْظَةَ عَلَى الْمَذْنُوبِينَ رِقَّةً ، وَتِلْكَ الْقَسَاوَةَ عَلَى الْخَاطِئِينَ رَحْمَةً وَلِينًا ، دَعَا قِيَامَهُ بِمَجْدُودِ اللَّهِ ، وَتَبَدَّلَ دَعَاؤُهُ عَلَيْهِمْ دَعَاءًا لَهُمْ ، وَجَمَّلَ لَهُمْ وَظَفِيفَةً مِنْ عَمَرِهِ - يُسْأَلُ اللَّهُ فِيهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ، فَمَا أَنْفَعَهُ لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ ! وَمَا أَعْظَمَ جِدْوَاهُ عَلَيْهِ ! وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

﴿ فصل ﴾

فيورثه ذلك (المشهد الحادي عشر)

وهو مشهد العجز والضعف ، وأنه أعجز شيء عن حفظ نفسه واضعفه ، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول ولا قوة ، فبمشهد قلبه كَرِبَتْهُ مَقَاتَةُ بَارِضِ فَلَاقَةِ قَلْبِهَا الْوَبَاحُ فِيمَا وَشِيَالًا ، وَبَشَدَ نَفْسَهُ كَرَأْسِ مَغِيَّةٍ فِي الْبَحْرِ تَوَجَّحَ بِهَا أَرْبَاحٌ ، وَتَلَاوَعَ بِهَا الْأَمْوَاجُ ، تَرَفَعَهَا تَارَةً وَتَخَفَضَهَا تَارَةً أُخْرَى ، تَجَرَّى عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَدَرِ وَهُوَ كَالْآلَةِ مَارَّ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ وَلِيٍّ مَلَقَى بِهَا ، وَاضْمَا خَدَّهُ عَلَى ثَرَى اعْتَابِهِ ، لَا يَمَّاكَ لِنَفْسِهِ ضَرًا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْجَوَلُ وَالظَّالِمُ وَأَنَارُهَا وَتَقْضِيَّاتُهَا ، فَالْخَلْلُ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ شَرِّكَ نَفْسِهِ ، كَشَاةٌ مَقَاتَةُ بَيْنِ الذَّنْبِ وَالسَّابِعِ لَا يَرُدُّهُمْ عَنْهَا إِلَّا الرَّاعِي ، فَلَوْ تَخَلَّى عَنْهَا طَرَفَةٌ عَيْنٍ لِقَامَ مَوْتُهَا أَعْضَاءُ . هَكَذَا حَالُ الْعَبْدِ مَلَقَى بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، فَإِنْ حَمَاهُ مِنْهُمْ وَكَفَاهُمْ عَنْهُ لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، إِنْ تَخَلَّى عَنْهُ وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ لَمْ يَنْقُصْ

عليهم بل هو نصيب من خضر به منهم .

وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقاً ، ويعرف ربه ، وهذا احد التأويلات للكلام المشهور « من عرف نفسه عرف ربه » وليس هذا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو اثر اسرائيلي بنير هذا اللفظ ايضاً « يا انسان اعرف نفسك تعرف ربك » وفيه ثلاث تأويلات (احدها) ان من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالمعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعز ، ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم ، فان الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق والحمد والثناء والحمد والثناء ، والمبدقير ناقص محتاج ، وكلما ازدادت معرفة المبد بقصه وعجبه وفقره وذله وضعفه ، ازدادت معرفته لربه بوصاف كماله .

(التأويل الثاني) ان من نظر الى نفسه وما فيها من الصفات المدوحة من القوة والارادة والكلام والمشيئة والحياة عرف ان من اعطاه ذلك وخلق فيه اولى به ، فمطي الكمال أحق بالكمال ، فكيف يكون العبد حياً متكلياً سمياً بصيراً مريداً عالماً يفضل باختياره ، ومن خلقه وأوجده لا يكون أولى بذلك منه ؟ فهذا من أعظم المحال ، بل من جعل العبد متكلياً أولى أن يكون هو متكلياً ، ومن جعله حياً عالماً سمياً بصيراً باعلا قادراً ، أولى أن يكون كذلك . فالتأويل الاول من باب الضد . وهذا من باب الاولوية .

(والتأويل الثالث) ان هذا من باب التنفي . أي كما انك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الاشياء اليك ، فلا تعرف حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها ، فكيف تعرف ربك وبكيفية صفاته ؟ . والمقصود أن في هذا المشهد يعرف المبد أنه عاجز ضعيف ، فيزول عنه دعوات الدعاري والاضافات الى نفسه ، ويعلم انه ليس له من الامر شيء ، وليس بيده شيء ، ان هو الا محض الفقر والمعجز والضعف .

(للبحث بقية)

الرد المتين

على مقتريات المبشرين (*)

لقد اطلعنا على المجلة المدعوة « الشرق والغرب » التي يطبعها المبشرون بمصر وقرأنا العدد الاول الذي صدر في ١ كانون الثاني سنة ١٩١٤ والعدد الثاني الذي صدر في ١٥ من الشهر المذكور واذا فيها على زعم أولئك المبشرين تقنيده لما كتبناه في كتابنا الذي سميناه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » وجميع ما قالوه ينحصر في خمسة أمور (الاول منها) تطاولهم واستباحتهم لكلام البذاء والتطاول وهذا ليس له عندنا جواب فليقرحوا وليتسموا به

(الامر الثاني) ادعاهم أننا اعتمدنا في كتابنا على اقوال علماء نصارى اوربيين ملحدين . وهذا نجوابهم عليه بان لهم الخيار بما يصفونهم به . أما نحن فنقول بحمقهم انهم علماء مستقلون قالوا الحق الذي وصل اليه علمهم بشأن ديانة المبشرين غير مباليين بما لا يرضاه منهم (الامر الثالث) عدم تصديقهم باطلاعنا على الكتب التي ذكرناها في اول الكتاب . وهذا ايضا لهم الخيار فيه صدقوا أم لم يصدقوا . ونقول لهم ولبن هم على شاكتهم : ها هي ذى مكتبتنا حاضرة لكل من يروم الاطلاع عليها ، وزيدهم - ووربنا شهيد - انه عندنا عدة كتب غير التي ذكرناها لم تقل منها كلمة واحدة ، لشدة اعتراضاتها على الديانة النصرانية . وجميعها تأليف علماء مسيحيين اوربيين . وان احبوا قاطنا مستمدون لذكر اسمائها ، واسماء المدن التي طبعت فيها مع اسماء الطابعين (الامر الرابع) قولهم مانصه بالحرف « فاذا استزادنا حضرته من نقد بقية ما في كتابه فرما عدنا اليه في فرصة اخرى . ولكن لئلا نسمع لنا الآن بهذه التصيحة وهي ان لا نحشر نفسه بين العلماء الباحثين ، بل ليدع ذلك لرجال العلم وليبحث له عن شغل يرتزق منه والله يهدي سواء السبيل »

اما من جهة تقديم لقيمة ما في كتابنا قاطنا نشكره لهم سلفا ، قاتلنا فأت بكلمة واحدة من عندنا ، ولا بكلمة واحدة من كلام علماء المسلمين رضي الله عنهم ، بل جميع ما ذكرناه مأخوذ من كتب علماء الغرب المسيحيين خاصة ، واما امرهم ايانا بان لا نحشر نفسنا بين العلماء الباحثين بل لنندع ذلك لرجال العلم ، وأن نبحت عن

(*) لصاحب الامضاء من متخرجي الكلية الامريكانية ببيروت

شغل يرتزق منه ! فأجيبهم عنه بأسف عظيم : ان والذي منذ نسومة انطفاري وضعني بمدارس المبشرين ، ولم يعلم ان الدارس فيها يخرج محباً لتكسل البطالة والاهو والسباحة والانسول ، واكره شيء عليه السعي وراء شغل يرتزق منه : ويفضل التحول على السعي ، والفاقة على الفنى ، لرسوخ ما علوه اياه في عقله كتمليهم لتلاميذهم الصغار « فلانتموا للعد لان القديهم بما لنفسه » وكذلك « لانتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون » وكذلك « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوكم السماوي يقوتها » وكذلك فقال يسوع لتلاميذه : القوا أقول لكم انه يحسن ان يدخل غني الى ملكوت السموات ؟ وأقول لكم ايضا ان مرور رجل من ثقب إبرة أسير من أن يدخل غني الى ملكوت السموات ٠٠٠ فاجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن تركنا كل شيء وتبعناك ، فاذأ يكون لنا ٠٠٠ وكل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي ياخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية » وغير ذلك كثير مما هو على هذا النمط

أما لو وضعني بمدارس المسلمين ، لكانت لكم من الشاكرين ، لان نصيحتكم يكون تذكري لي بما درسته فيها من آيات القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، وكقوله تعالى { فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله } وكقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكاوا من رزقه واليه النشور) وكقوله تعالى (واعدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : كاد الفقر أن يكون كفراً » وقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل عمل امرئ يظن انه ان يموت أبداً ، واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غداً » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « ما اكل احد قط خيراً من ان يأكل من عمل يده » (٢) وكذلك أيضاً « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا : وبع هذا لو كان شبابه وجليه في سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم « لانهولوا هذا فانه ان كان يسمى على نفسه لبيكفتمها عن المسئلة ويفنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » (٣) واحسرتاه ! لبته وضعني بمدارس تعلم القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، أي تعلم الحكمة ، والهمة

(١) المفارج : رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو (٢) رواه البخاري عن المقدم

(٣) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة

والرحمة، ولا كان وضعي بمدارس تعلم الكسل والخنول والبلادة وحب التسول والفاقة وبفض المد وكره التقى

(الأمر الخامس) اعتراضهم على بعض علماء المسلمين الكرام وتهربهم باسم الامر صاحب التأليف المشهورة المبينة على آيات القرآن المجيد والحديث الشريف، ويكفهم رداً على اعتراضهم ونهامهم ما أبدوه من العداوة والبغضاء للحق وأهله أما اعتراضهم على آيات القرآن المجيد كقولهم مانصه بالحرف «ولأن نطلب من إخواننا المسلمين ان يبينوا لنا كيف يصح القول بأن هامان كان وزير فرعون، وأن صريم المذراء كانت أخت موسى وهرون، على ما يستفاد من القرآن، ولا غير ذلك من المشاكل التي يستحيل التوفيق بينها وبين التاريخ»

على رسلكم يا أيها المبشرون الزاعمون انكم لا تقولون الا الحق المبين : فاما معنى ذكر مثل هذه المسائل وما مدخاها مع تفسيدهم لكتابتنا ؟ اما أن لكم ان تركوا المفالطات والسفسطات والتوبيهات وتغنوها ؟ اما أن لكم أن تركوا التشديق بما يهود عليكم بالحيلة والخذلان ؟ والله لو كان قصدكم الاستفهام حقيقة لما كننا تتأثر باعتراضاتكم وتشدقاتكم، ولكن نعلم أن قصدكم بها اغواء عباد الله تعالى وتشكيك عوام المسلمين في دينهم . ومع ذلك نقول لكم يا صرحبا سلوا عما تشاؤون من المشاكل التي تظنون استحالة التوفيق بينها وبين التاريخ الذي كتبه أيدي الصادقين .

ونقول لكم مع أننا نعلم أنكم قصدتم بالتجاهل الاغواء وتشكيك عباد الله تعالى : ان المقصود من أخوية صريم المذراء هو أخوية تشبيه لا أخوية ولادة من أب وأم . وهذا التشبيه كثير ومشهور في اللغات الشرقية . ولقد جاء مثله في أنجيل متى ففي الفصل الثاني عشر من عدد ٤٦ الى ٥٠ « وفيما يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه فأجاب وقال للقاتل له : من هي امي ومن هم إخواني ؟ ثم مد يده نحو التلاميذ وقال ها امي واخوتي ، لأن من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » وجاء مثله في أنجيل مرقس { راجع الفصل الثالث من عدد ٣٢ الى ٣٤ }

وهكذا أخوة صريم لهرون عليهما السلام أي كاخوة المسيح عليه السلام لمن أشار اليهم بيده . وكما يشبهون الصالح بأحد المشهورين بالتقوى والعفاف في الايام الحالية كذلك يشبهون الشرير المشهور بالحياة في القرون الماضية كقولهم « أخو الحارث بن ظالم » وهكذا

ولنا على الأعداد التي ذكرناها من الانجيل سوالات عديدة نود الاستفسار عنها من حضرة المبشرين الذين انتقدوا اخلاق لقب « أخت هارون » على مريم ولكن خوفاً من أن يتوهم أحد المسيحيين الشرقيين بأننا نقصد الخط من المعتقدات النصرانية كما توهمونا قلنا عن البطارين وحلفائهم أنهم كفار ظالمون لاستباحتهم سفك دماء نساء وبنات وأولاد المسلمين ودفعهم جرحى المساكين القمائية تحت التراب وهم احياء يقاسون ألم الجراح وألم الموت خنقا ، واحراقهم النساء المسلمات ، وغير ذلك من الاعمال الوحشية التي لم يرو التاريخ صدور مثلها حتى ولا من القبائل المتوحشة في افريقية . لذلك نكتفي بهذين السؤالين مؤملين من حضرتهم افادتنا عنهما :

(١) انهم يقولون عن مريم المذراه عليها السلام انها لم تلد أحداً غير المسيح عليه السلام ، والانجيل تقول انه كان لها اولاد ، فهل تصدق كلامهم وانسرب بكلام الانجيل عرض الحائط ام تصدق كلام الانجيل ونكذب كلامهم .

(٢) يظهر من كلام الانجيل انها اي أمه لم تكن مؤمنة به ولا صالحة ارادة مرسله كتلاميذه . ولولا ذلك لما تبرأ منها هي ومن معها من اخوته وأشار نحو الحاضرين بانهم هم اخوته واخوانه وأمهم . فلو كانت مؤمنة به لما فعل هذا لان فيه اهانة عظيمة لها ، كما هو المتبادر من عبارة الانجيل لكل من يقرؤه . ومعلوم اننا نحن لا نؤمن بهذه القصة التي سموها انجيلاً ، بل نؤمن بان امه كانت مؤمنة نقية ، وأنه كان برا بها كما حكى الله عنه في قوله (ورا بوالدني)

وقد أرسلنا اليهم كتاب تاريخ الفحشاء هدية كي يتسلوا به الى ان نختصر بعض فصول كتابنا الذي سنبناه « مقام عيسى المسيح عليه السلام في النصرانية والاسلام » لتتشر في المثار الاغر أدام الله شمس صدقه نيرة سماء العدل والمدنية واما اعتراضهم على مسألة تحديد تعدد الزوجات ، وأقوال انصوفي المنتصر وغير ذلك مما ذكره بمجلتهم فسنرد عليه في الفصول الآتية ان شاء الله تعالى

(محمد طاهر التتير)

(المثار) نشرنا هذه النبعة وبتلوها الفصل الاول من الكتاب الذي أشار اليه انسكاتب ، وقد تصرفنا في المارة بمض التصرف قال في الاصل شدة في المارة لاحاجة اليها . وسنعلق على الفصل الآتي كلاماً نبين فيه الفرض من نشر أمثال هذه المقالات

مقام

﴿ عيسى (يسوع) المسيح عليه السلام ﴾

« في النصرانية والاسلام »

﴿ الفصل الاول في نسبه ﴾

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان اهانة الناس واحتقار اديانهم لمن أقبح الاعمال واعظمها كرها ومقتنا عند المسلمين كافة ، ولا يتأتى عنها الا السداوة والبغضاء ، على مخالفتها للشريعة القراء ، قال الله تعالى (لا) كراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وكل من يتدبر الحقائق بعين الصدق والانصاف يرى ان جميع ما كتبه علماء المسلمين { رض } قديما وحديثا بشأن النصرانية لم يكن سوى ردة على المفتربات التي رعى الغاللون بها دين الاسلام الميين ، بنيا وعدوانا حيناً بعد حين ، وهذا الافتراء الذي اتخذه المبشرون وغيرهم من قديسي الفرق النصرانية مهنة لهم في هذه الايام هو الذي اضطرنا الى كتابة هذه الكتب وهي (البقايا الوثنية) في الديانة النصرانية ومقام عيسى عليه السلام ، في النصرانية والاسلام) و (آداب الاسلام وتعاليم التوراة والانجيل) و (اخلاق عيسى المسيح عليه السلام في الاناجيل وفي القرآن المجيد) ولم يطبع منها سوى (كتاب العقائد الوثنية) وان شاء الله تعالى سنطبع البقية باقرب وقت بعد ما ننشر اكثر نصوصها باختصار في المنار الاخر .

وفد بنا الحقائق والله الحمد بطريقة رضى حتى أشد الناس عداوة لدين الاسلام الميين ، اذ لا خير يرجى من كتابة ما ينضب الناس ولا سيما في الامور الدينية التي هي اعز شيء عند الانسان ، مهما كان دينه . قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) نالمد لله على نعم . تعاليم القرآن المجيد ، الذي تولاه اسكنا مثل أولئك المبشرين ومن بنحو نحوهم ، الذين ألقوا تلك الكتب السافلة المشحونة بالباطل والتطاول والافتراء وغير ذلك مما هو من اخلاقهم وخصلاتهم .

وانا نلفت نظر القارئ الفضاضل الى امر ذي بال وهو اقتصارنا على ما جاء

في التوراة والأنجيل كي لا يقدر احد منهم على نسبة الكلام اليها كما فعلوا بنسبة كلام العلماء الا ورويين الذين استشهدوا بكلامهم في كتابنا (العقائد الوثنية) اليها ، مع انما ذكرنا اسماءهم بالعربية والافرنجية ، ولنتظار الآن ما ذا يقول أولئك القوم الذين ألفوا تلك الكتب السافلة ضد دين الاسلام المبين .

(الجد الاول من جدود الزنا)

عقد الفصل ٣٨ من سفر التكوين من اوله الى آخره لبيان زنا القديس (يهودا) بكنيته (ثامار) وحملها منه . وانها وضعت ولدين ذكرين سيماهما (فارص) و (زارح) والمبشرون المؤلفون لتلك الكتب والرسائل يقولون : ان فارصهم ومخلصهم وخالقهم «يسوع المسيح» من سلالة (فارص) المباركة وبما ان هذه القصة الشريفة لها علاقة مهمة مع هذا الرب المختار الولادة من الزنا تأتي عليها باختصار ، ومن يجب الزيادة فليقرأ الفصل المذكور بر فيه ما ملخصه أن يهوذا نزل عند رجل عدلاحي اسمه (حيرة) فرأى ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) فأخذها ودخل عليها وولدت له ثلاثة اولاد ذكور اسم الكبير (عير) والثاني (اوثان) والثالث (شيلة) ولما كبر عير اخذ له زوجة من بنات الكنعانيين اسمها (ثامار) فعمل الشر بعيني الرب فأهلكه فأمر يهوذا ابنه { اوثان } بأن يأخذ زوجة اخيه ويقم له نسلا فزوجها اوثان . وبما ان النسل الذي يأتيه منها يعد نسل اخيه لا نسله صار اذا ضاجعها يفسد على الارض { اي يعزل ماءه } لئلا يحمل منه فأماته وب التوراة وأبقى اياه القديس لانه لما زنى بها لم يفسد على الارض ولما مات أمرها يهوذا بأن تقعد أرملة بيت ابيها وانه متى كبر ابنه شيلة يعطيها اياه زوجا لها وقال في نفسه ربما يعمل كما عمل اخواه فيسيته الرب مثلها . فذهبت الى بيت ابيها ومضت الايام وكبر { شيلة } ولم يعطها . وبلغا ان حاماها المذكور (القديس يهوذا) ذاهبا الى {ثمة} مع صاحبه العدلامي ليقتص صوف غنمه تخلعت ثياب ترميلها وغطت وجهها وجلست على طريق { ثمة } فلما رآها نظنها هذا القديس زانية وراودها عن نفسها فقالت له : ماذا تعطيني ؟ فقال لها اعطيك جدي ممر أمته لك . فقالت له أعطني وهما فأعطاهما عصا بته وخاتمه وعصاه وزنى بها . ولما وصل الى ثمة أرسل لها الجدي مع صديقه العدلامي ليقتل الرهن . فلم يجدها فرجع واخبر يهوذا . فقال له لتذهب بما معها كي لا يلحقنا عار . فجلت منه ووضعت ولدين ذكرين سمتهما «فارص» و «زارح» ويسوع المسيح من نسل فارص المبارك

ولنا على هذه القصة عدة أسئلة وملاحظات مهمة ذكرناها في كتابنا «مقام عيسى المسيح عليه السلام» في النصرانية والاسلام تذكر منها هناك سأتين فقط لأن قصصنا الاختصار كي لا نضيق كثيرا من صفحات المنار الأغر لأن عليه أداء خدمات اسلامية مهمة .

(أولاهما) تقول التوراة انه ظنها زانية لأنها كانت مفطية وجهها . وهذا باطل عقلا وبكفي لردده واطهار بطلانه متجاه في التوراة والانجيل (منها) في قول سفر التكوين (٢٤ : ٦٤ - ٦٥) ورفعت رقيقة عنها فرأت اسحق فزلت عن الجمل وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا ؟ فقال العبد هو سيدي . فأخذت البرقع وتغطت) وجاء في الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس (١١ : ١٦) « لان المرأة ان لم تغط فليقص شعرها أو يحلق وإن كان عيا على المرأة ان يقص شعرها أو يحلق فليستط) فالحيجاب علم الخدرات الطاهرات ، وسيمة الخيرات الطيبات ، كما ان التبرج والابتذال من علامات الفواجر الزانيات

(ثانيها) تخبرنا التوراة عن ذهاب يهوذا مع صاحبه العدلامي ، وأنه كان معه لما راودها عن نفسها ، وأنه أرسل الجدي اوديع معه ، وأنه لم يجدها وغير ذلك ، لكنها لم تذكر هل زنى بها هذا العدلامي أيضا أم لا ؟ وبدل العقل والعادة بين الفساق في هذه الامور التي يشتركون فيها وارسل الاجرة أي الجدي اليها معه على انه زنى بها مع يهوذا . واذا صح هذا فن الحال معرفة ممن كان الحمل وربما حملت من كل واحد بولد ، ولا يبعد حينئذ ان يكون زارح ابن يهوذا ، وفارص ابن العدلامي . وكيفما كان فان هذا الجسد الاعلى للمسيح قد خاق من ماء الزنا

(الجسد الثاني)

جاء في سفر يشوع بن نون مانصه (٢ : ١) « فأرسل يشوع بن نون رجلين من شطرين جاسوسين تحت الحفاء قائلًا امضيا انظرا الارض واربحا . فانطلقا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وبنا عندها » وجاء في هذا السفر ذاته (٦ : ١٧) ولتكن المدينة بكل ما فيها مبسلة للرب ، ولكن راحب الزانية تحيا هي وجميع من معها في بيتها انتهى

وهذه راحاب الزانية زنى بها سلون وهو من سلالة فارص الذي هو الاصل الاول من اسول الزنا المقدس . فجلت ووضعت (بوعز) الذي من سلالة جيه « حمل الله الوديع » وما قلناه بخصوص عدم معرفة الحمل ممن كان عند ذكرنا الجسد الاول ،

هل كان من يهوذا أو من العدلامي ؟ نقوله هنا أيضا . لان كلا الجاسوسين باتا عند هذه الزاوية فكيف يعرف عن علقته ؟

{الشاهد الثالث} في سفر الملوك الثاني {١١: ٢-٥} نقلنا هذه الاعداد عن التوراة المطبوعة بمطبعة اليسوعيين بمدينة بيروت . واسم هذا السفر في تورات الابروسعانات {سفر صموئيل الثاني} : « وكان عند المساء ان داود قام عن سريره وتعمى على سطح بيت الملك فرأى عن السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا ، فارسل داود وسأله عن المرأة فقبل له هذه بثانين بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ، فارسل داود رسلا وأخذها فدخلت عليه فدخل بها ، وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها ، وحملت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت انني حامل » انتهى فوضعت ولدا وبات ثم زنى بها ثانية (على رءوسهم) فجلت ووضعت سليمان وهو الاصل الثالث من الثالث الزاوي وبما اتنا قصدا الاختصار بقدر الامكان لذلك لم نكتب ما جاء في تفاسيرهم على التوراة والتحليل وان كان موجودا في كتابنا ، لان على المنار الاغراض خدمات عظيمة فلا نضيق من صفحاته اكثر من هذا القدر

فهذا ما عندهم وهذا ما يدعون الناس الى الايمان والاهتداء به ، واما ما عندنا وندعو اليه أهل الفضل والعقل بعد تربية انبياء الله من الفسق والعجز فهو :

اعتقاد المسلمين

طهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم * فلما وضعتها قالت وبإني أعيذها أشيرة والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأُنثى ، وإني سميتها حسنة وإني أعطيهاها بك وذريتها من الأثبطان الرحيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأُنشئها نبلا حسنا وكفها زكرا)

وقال الله تعالى في سورة التكاوير بعد ذكر ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام

{ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذويته التوبة والسكناب، وآتيناه أجره في الدنيا وأنه الآخرة لمن الصالحين}

الله أكبر ! فليظفر المبشرون والاب لويس شينخو - الذي ألف رسالة منذ بضعة سنين ومباها (خرافات القرآن) وقد ترجمها المبشر المدعو « زويمر » { } ونشرها في مجته « العالم الاسلامي » - الى اعتقاد المسلمين بطهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام . فانهم اذا نظروه من جهة القرآن المجيد يرونه من سلالة طيبة زكية حياها الحلي القيوم من التلطيخ بأفذار وادوان الزنا والسفاح . فليظنوا أي الوصفين أحب اليهم بحق هذه الذات الثمينة وليتمسكوا به . وإيم الله اننا ما كنا نحجب كتابة ما ذكرناه على هذا الموضوع غير أن ضرورة الحال تمنعنا

اعتقاد المبشرين

أن المسيح إلههم صار لئمة

واللياذ لله تعالى

قال مقدسهم بولس في رسالته الى أهل غلاطية الاصحاح الثالث العدد (١٣: ٣)
« المسيح اقتدانا من لئمة الناموس اذ صار لئمة لاجلنا لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة »

يُعلم الناس ان النصارى يعتقدون أن المسيح هو إلههم وربهم وخالقهم ومخلصهم، وكتابهم المقدس يلقبهم أنه « صار لئمة » واللئمة غاية المبالغة في الشتم والازدراء وليس بعدها زيادة لمستزيد ، واي شيء يمكن ان يؤتى به ويكون اشد قبيحا من قول مقدسهم إنه « صار لئمة » اي انه نفس الالهة ؟ فما هذا الحب الذي قادهم الى القول بالوهية من جهة ثم قادهم الى القول بأنه « صار لئمة » من جهة أخرى ؟ ! . دع اعتقادهم بأنه من سلالة زناه مثلث كما يشاء سابقا ، فهم والحالة هذه أسوأ حالا من اشد أعدائه ، لأن مقام العداوة لا يطلب الا أصبح الاوصاف ، ومقام المحبة لا يطلب الا احسنها واكملها ، فهم يدعون محبة عليه السلام ويستفيدون أنه خالقيهم ورازقيهم وفاديتهم ومخلصهم ، ثم يصفونه بهذا الوصف فما بهم لا يتدبرون ما يعتقدون ! .

(١) هو زويمر الذي حراً دعاة التعرية في مصر وبلاد العرب حتى الفسار في الصين في الاسلام واهانة المسلمين وتهيج العداوة بينهم وبين النصارى

وبما انه إله على حسب اعتقادهم - والفاذ بالله تعالى - فن ذا الذي صيره لعنة ؟ هذا ما نود ايضاحه منهم ! وأغرب من ذلك اعتقادهم أن الإله ذو ثلاثة أقانيم (أي اشخاص) وهي الآب والابن والروح القدس ، وأن هذه الاقانيم الثلاثة هي إله واحد . فكيف صار الابن الذي هو ثلث إلههم « لعنة » دون الثلثين الآخرين ، أي الآب والروح القدس ؟ وما داموا يقولون بأن الثلاثة واحد حقيقة فلا بد من دخولهم جميعا تحت اللعن بهذا الاتحاد !! فتدبر هذا وسلمهم : من اللاعن ؟ ومن هو يا ترى ؟

(ستأتي البقية)
عبد الوهاب وولده محمد طاهر

(المار) قد غلا دعاة النصرانية في العام الماضي وفي هذا العام في الطمن بالاسلام قولاً وكتابة ، فلم يكتفوا بصحفهم الدورية ، ولا بالكتب التي تنشروها من قبل ، بل هم يلقفون رسائل جديدة بمعنى ما تقدمها في الطمن والقدح والتوبيخ ولكن تختلف أسماؤها واساليبها . وأكثروا الحافل والجمعات في القاهرة وسائر البلاد واقرى لاجل الدعوة الى النصرانية . ومن العجائب أنهم كانوا من قبل أصحاب صبر وإناة فخانهم الصبر في هذه السنة حتى صاروا يهينون من يرد عليهم في المجتمعات إهانته شديدة . وقد خدعوا أفراداً من فقراء العامة بالمال واداروا الرزق لأظهروا النصر ، ثم بدا لهم وندموا ، فصار من يريد الرجوع الى حظيرة الاسلام يهدد بالإيذاء ، حتى اخبرنا بعضهم انه لا يمكنه الا أن يفر من القاهرة الى بلد آخر يظهر اسلامه فيه لاجل هذا العدوان وجب علينا أن لا نقف عند حد رد مطالعهم التي يكررونها كما كنا نفعل من قبل ، وأن نبين لآخواتنا المسلمين حقيقة دينهم والمقابلة بينها وبين ديننا ، وبأن أئمتنا نحن نظم المسيح ونكرمه بالحق ، فلا نحتاج الى من يدعون الى الإيمان به إيماناً يجمع التناقض ككونه واحداً وثلاثة ، ومقدساً ولعنة ، برأه الله تعالى قالوا . وهذا مما يجب علينا شرعاً كالمصلاة وغيرها من الفرائض . ولهذا نشرنا هذه الرسالة بعد تصحيحها . نعم أنهم هددونا بالسلطة الإنكليزية ، واغروا القسود الإنكليزي بنا عسى أن يأمر الحكومة المصرية بأفعال النار ومقاومة (مدرسة دار الدعوة والارشاد) ومنع نظارة الاوقاف أن تساعدوا بشيء من أوقاف المسلمين بعد أن صارت الاوقاف تحت سيطرته ، ليتسنى لهم أن يقولوا : ان جميع المسلمين في مصر عجزوا عن الرد عليهم ، وليكتفوا مؤنة من يرد عليهم في المستقبل اذا نجحت مدرسة دار الدعوة والارشاد (فاعتبروا يا أولى الابصار)

مطامع الدول فينا^(١)

« وضعت الحرب أوزارها ، واتخذت المدافع انفساء ، واعيدت السيوف الى اغمداها ، وعادت الدول المتناحزة بالاسس عن مبادئ القتال الى ردهات المجنس فمقدت بعضها مع بعض مساهدات تضمن صيانة السلام الى حين . ثم خذت كل واحدة الى نفسها تناقشا الحساب ، وتبحث في ماناها من الغنم . فكانت الهمة الاولى منصرفة الى اقسام الاواضي المكتسبة . ثم الى النظر في مائثرته التفقات الحربية في ميزانياتها ، وما يقتضيه سد تلك النفود من الاموال الطائلة ، وهي لا سبيل اليها الا بمقد القروض . »

« ولو انحصر الامر في الدول الخارجة من ميدان القتال لكان الخطب ، ولكن تمت دولا أخرى أبت الا أن يكون لها من العنينة نصيب . »

« تنازات تركيا لابطاليا عن ولاياتها الافريقية . ثم تحت الحكومات البلقان عن ولاياتها الاوردية غير ولاية أدنه . ثم تقاسمت الدول ما بقي بشكل مناطق نفوذ كل واحدة بحسب ما توحى اليها مطامعها في الاملاية والجهر . »

« ورضيت انكلترا نصيباً لها سواحل خليج المعجم من الاوقيانس الهندي الى البحر الاحمر . فأصبحت سلطتها مبدسوفة على البلاد العربية من البصرة الى السويس ومن الخليج المعجمي الى رعة السويس . وأصبحت في يدها الطريقان البحران الموصلتان من املاكها الشرقية الى املاكها الغربية . واتصلت بمرافقها الاسيوية (الهند) بملكها الافريقي (مصر)

* * *

« أما ايطاليا ولية أمر طرابلس الغرب والواضعة يدها على جزيرة رودس وما جاورها من جزر البحر المتوسط فلها فازت بهذه البقعة الآهلة باليونانيين والاروام ، والقائمة بين خط بغداد والارخبيل ، ومنها ميناء اضاليا وخط حديدي يمتد الى الداخلية ، ويتصل بالخطوط الاملاية ، - خط بغداد وخط أزمير . »

« وأما ألمانيا فكان اضيها هذا الخط البغدادي الكبير بجماته لا مسيطر عليها فيه ولا مهيمن ، وهو الذي طمعت اليه ، ومن ورائه ما بين النهرين وكل البلاد الواقعة بين اسكودار والبصرة من البوسفور الى الخليج العجمي . »

« وان اتفاق بوتسدام مهد الانلانين السبيل الى بلاد ايران اذ خوهم حق تمديد

(*) بقلم انوسيو فلورنثس وزير خارجية فرنسا سابقا وترجمة جريدة الاهرام

خط حديدي من بغداد الى طهران . وفي مقابل ذلك جعلت روسيا ارمينيا الكبرى . وهي تقابل الاراضي الواقعة الى شمال الخط البغدادي والى جنوبه بجملتها بين انقره وبغداد .

« على أن تمت عمدة كان لا مندوحة عن تذييلها . فان الاستئثار بتلك البقاع الواسعة كان لا بد من تمويه بمهجة من الحجة ووسيلة من الوسائل فكانت هذه الوسيلة الاشغال العمومية والمشروعات النافعة الواجب اجراؤها . بيد أن روسيا لم يحظر لها أن تبدل أموالها الخاصة في هذا السبيل بل لجأت الى فرنسا . أفليست هي على الدوام مستعدة لبذل أموالها لخدمة تركيا لتخطي عن أراضيها ؟ وعلى هذه الصورة تم الاتفاق على أن فرنسا تتولى إنشاء مينائي يني بولي وهر كنه (على البحر الاسود) والخطوط الحديدية (سمسون سيواس - ديار بكر ، وديار بكر - أرضروم - طرابزون) مع العلم بملة ايراداتها المتوقعة ، لانها لازمة لروسيا أيداً لموقفها السياسي والاقتصادي والحربي أيضاً ، وإن كان لا فائدة لنا نحن منه على الاطلاق . وأما اعطينا في مقابل ذلك البقعة السورية في جنوب شرقي خط بغداد ، مع حق إنشاء مينائي حيفا ويافا وتمديد خط رياق الحديدي الى القدس ، تم الاتفاق على اقتسام الثقل بين خط دمشق - حماه والخط الحجازي ، وكلهما متصل بالسواحل السورية : الاول في بيروت والثاني في حيفا . وكلها امتيازات لا تتم لنا منها مادمت حكومتنا متعاضدة عن معاهدتنا الكاثوليكية في الشرق ، ضاربة بنا لنا من الحق في حماية الاراضي المقدسة وحماية المارونيين بخص المناطق ، ومهدت للايطاليين قطع السبيل علينا بما ينشئونه لانفسهم في رودس واذاليا وبلبرق وسراقوسة

« لا يتوهم متوهم ان الدولة العثمانية بذلت كل ممالك الاخذين على انفسهم صيانة كيانها . كلا ! انهي لاتزال باقية لها الاراضي الواقعة على ضفتي المضائق . وما زالت في عهدتها حماية البوسفور والدردنيل (١) . والله لا نعرف عظيم (٢) ونظر باق . وإن كان باقي على كامل صاحبه مسؤوليات عظمى . ثم انهم لا يزالون مالم يكن اعدته والاستانة وروسه وأزمير واسقانا مترامية الاطراف خضبة التربة تكفي ايراداتها . في ما يقولون . لدفع قواته ديونها المتراكمة (٣)

« هذا الترتيب الدولة العثمانية من الطور الثاني . واعني به طور التقسيم أو طور التجزئة . هي الطور الثالث واسمي بالحاجة الى المال . ومعلوم اننا نحن معاشير الفرنسيين لانبرح أبدأ من باله أحد . هي بلغت المسائل هذا الطور واعني طور الدفع . اذن الى

فرنسا أنجحت الابصار للمطالبة بسد الفراغ الذي سببته هفوات وحضون بل جنات الآخرين حتى يتوباً لأرباب الجشع والطمع ممن ذكر ان يستبعوا لتحقيق مطالبهم .
اما ما يباينونا به هذه المرة فثاني مئة مليون فرانك

« ولقد غاصرت الامة الفرنسية الى هذا الحين بمبالغ طائلة من توفيرات ابنائها في المشرعات الألمانية فلا يذكر عليها حق السهمي في استرداد ذلك المال . ولكن هذا لا يجب ان يخذ ذريعة لتضعية مصالح البلاد في سبيل منافع بعض المالبين ، فبعد تكبات الطيوس الألمانية انتفت الصحافة وأجمع الرأي العام في فرنسا والعالم كله على إنشاء لجنة تلك الانكسارات على عاتق جمعية الاتحاد والترقي . فان الاتحاديين هم المسؤولون عن سوء انتظام الجيش وسوء الادارة وضياغ أموال الحكومة . وان هؤلاء الاتحاديين هم أنفسهم المتقلدون الاحكام اليوم وفي أيديهم التصرف بالاموال العمومية . وهم أنفسهم الذين يتطلبون اليوم الاموال الفرنسية في حين ان لاستعمالها في فرنسا وجهة أولى وأرفع ، ولكن ما ثم من اعتراف ، فان قلم المراقبة في وزارة الداخلية كان قد ألقى بأعادة المسؤولين على شكل أعضاء لمصلحتهم

« ومن أهم ما يتهمون به جمعية الاتحاد والترقي نزعائها الألمانية وهي تكاد تكون محرماً بنا . ثم يتهمونها بأنها ألقت بين يدي الضباط الألمان تنظيم جديدتها حتى ألقى بعضهم على الجنرال فندرغولتز تيمة انكسارات للألمانيين في قرق كايسه ولوله برغاس « فلما استعاد الاتحاديون السلطة كان أول عمل قاموا به انتداب بئمة ألمانية

جديدة لتنظيم الجيش الألماني . ورخصي العاهل الألماني بإيفاد ثلاثة وأربعين رجلاً من ضباط جيشه الى الاسناتة ، ولكه اشترط أن تكون لهم مع تحمل المسؤولية المطلقة الفعلية ، وان تكون القيادة العليا لأعيم البئمة ، وان يكون الضباط الألمان في الجيش خاضعين للضباط الألمانين . ولما كان الخط البدادي الذي يجتاز آسيا الصغرى من أمانها الى أقصاعها من خليج المعجم الى البوسفور - وكل الخطوط الجديدة الاخرى فروع له ، هو الوساطة الوحيدة لتعبئة الجيش وسدده ، فان الجيش الألماني بقيادة الضباط الألمانين سيكون بمنزلة إحدى فرق الجيش الألماني ، فثاني مئة مايوت فرانك التي طالبنا الحكومة الألمانية بها اليوم ستنفق في تسليح ونجيز وتنظيم وتدريب جيش يكون في طليعة الجيوش المهاجمة لنا في أول حرب نخوض غمراتها . وتكون أموالنا نحن الفرنسيين قد تحولت الى حديد ورصاص يخرق صدور ابنائنا .

« ولقد بلغ من حرج الموقف ان الحكومة الروسية مع عدم رغبتها في انتهاج

خطة المجاعة والمساكنة إيسعيا الاقامة الحجة. في عاصمة السلطنة . وليست زارتنا الحرية والخارجية في فرنسا بيمدين عن وزارة المالية فخير بوزيرها ان يجتمعا بزميلها ويكشفاه بان في الحياة مواقف لا يجوز فيها تضحية الوطنية في سبيل مصالح بعض الافراد ، وان بعض القروض بحسب مصلابة قبولها في بورصة باريس

« أما أنا فاني لا ابدل فلسا واحدا من مالي الذي يساومون في تربة الوطن وفي موارده الطبيعة ترافا لبعض الظلماء ، ولا اعتبر من يجود بموال الأمة على هذه الصورة مؤثما أبداً »

« رب قائل يقول ليس في الأمر شيء مما تخشاه ، وكل ما هناك قاهم بيمين مناطق تتوكل دولة . نعم . ولكن لتحدث غداً فتة أو ثورة أو مذهبة . وليس ذلك بالأمر النادر حدوثه في آسيا الصغرى . اذن لا نثبت أن نرى العمارة الإيطالية في ايطاليا ، والانكلز في الكويت ، والالان في مرسين ، والفراوسيين في بيروت ، والروسيين في طرابزون . وحقى وطلت اقدامهم الارض فبهات ان تترجح عنها . وان لدينا في موقف ايطاليا اليوم في جزر البحر ابحه خير شاهد ، فالامر اذن ليس بمحصور في تبين مناطق النفوذ ، بل هو يتجاوز الى تقسيم الاملاك العثمانية الاسيوية والسلام . »

(الاهرام)

ثم علقت الاهرام عليه بما يلي :

هذا هو كلام ذلك الوزير وهو لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ولكنه يقول لنا وزدده على أنفسنا لتعظ وتأخذ الحيلة ونعمل بقول الشاعر :

ما حلك جلدك من ظفرك فقول أنت جميع أمرك

(المثار) صدقت الاهرام إن هذا السياسي الكبير لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ، أي لا يعرفه أهل البصرة منا ، ولكنهم - واحسرتاه - اقليلون فينا والجمهور مفرور بما يرى حيناً بعد حين من إعياض الذيل قبل الخلود ، كما أرمض لإغاضة حسبوا أنهم في عالم الحياة التورنية ما خلون ، وإذا أظلم عليهم عادوا في ظلمتهم يسمعون ، وإذا صاح بهم المتذرون ، : يا قوم ما فروا الى النجاة فانكم الى الدخ اساقون . وسوس لهم اللوسوسون ، : ان هؤلاء قوم غاشور ، وعن حظيرة الاخلاص الاتحاد خارجون ، وبالسنة أعدائنا الافرنج يطفون ، أما ترون وميض انوار التجديد ، يلوح لأعينكم من بعيد ، فابدلوا هؤلاء المجددين كل ما تملكون من ائمال ، تناولون جميع الامال !!

بيننا في الجدل الماضي وفيما قبله ما وصلنا اليه من الخطر القريب ، وبيننا ان الأوربيين لا يقبلون ان يأخذوا بلادنا الا بالفتح السلمي الذي يترتب عنه نجاح الاقتصاد والنموذ ، وبيننا طريقة التجاذب ولكن ان لا يسمع ولا يبصر ، وها نحن أولاء نرى غير الرسميين من سياسة الأفرنج يصرون بذهاب ملكتنا تصريحا ، والرسميين منهم يصرون بالصلب ويعرضون بالقول تعريضا وحسبنا ان نصيحنا وأدينا الأمانة . وان عرضنا أنفسنا للأذى والأهانة .

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تاريخ حرب البلقان الأولى ﴾

« بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني »

عني يوسف افندي البستاني أحد محرري الجريدة اليوم ، يتبع حوادث هذه الحرب من أول المهد بشوب نارها الى ان سحقت ووضعت أوزارها ، وقرأ ما كتبه أشهر كتاب الأفرنج في الجرائد الثورية ، وما ألفوه من الكتب في ذلك . وما كانت تنشره الجرائد الثورية لمراسليها في الأسبوع وغيرها . فتخذ ذلك مادة لوضع تاريخ لهذه الحرب كتبه بتعداد الرعية والاعتدال ، فله تاريخنا مفيدا جامعا لما فيه العبرة النافعة ، والموعظة الدالة ، بعيدا عن أهوال وهول . وبلغت صفحاته ٣٢٧ ماعدا صفحات المقدمة والصور والرسوم . (وفيه ١٠ دوسا وخريصان) وقد كتب في الحرب ندوة مصداق عربية : ندوة كورا مع هذا الكتاب فينبغي ان يكون مهول قراءة الثورية عليه دونها . وهو يطلب من مكتبة المعارف تصدق ونحن النسخة منه خمسة عشر قرشا خلا أحرة البريد

﴿ بيكي بحيرة سي ﴾

مجلة علمية شهيرة تركية تصدر في الأسبوع العلية صفحاتها ٩٦ قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية عن سنة واحدة بمعدلية ثمانية وفي روسية خمس ريال وحسب ١٥٥ فرنكا في سائر الممالك وهي مطبوعة طبعا حريدا على ورق أبيض وقيل العدد

﴿ كتب تقريظ هذا الجزء شقيقا السيد ساح عباس رضا ﴾

أولاً خمسة قروش عثمانية

(مجلة الناشئة) مجلة شهرية تبحث في الناشئة وشؤونها بمرورها طلاب المدرسة العلمية الوطنية في دمشق ، قيمة الاشتراك السنوي ١٥ قرشا وثلاثين للدراسة ١٠ قروش . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج ٠ وصفحاتها ٣٢ بالقطع الصغير . تبحث على مطالعتها تشجيعا لمرورها واطلاعا على سير العلم في ائمة الامة .

(لسان العرب) مجلة تاريخية استيعابية ادبية مصورة المنشأ أحمد عزت الاعظمي صفحاتها ٥٦ مطبوعة على ورق جيد ، قيمة اشتراكها السنوي ثلاثة ريالات بحرية في الممالك الاجنبية وللطلبة بنصف القيمة وعنوانها « الاسنانة . شارع ابو السعود . صندوق البريد عدد ١٤٩٠ . وهذه المجلة مسكاة في نفسي وارجو أن اوفق الى قراءة ما لدي من اعدادها فاعود الى تقريرها بالتفصيل الذي يليق بها

(مجلة كال) مجلة ادبية فلكية شهرية (سنتها عشرة أشهر) مطبوعة على ورق نظيف طبعا نظيفا صفحاتها ٩٦ بقطع المنار . يصدرها في بيروت كمال ائدي عباس . قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وريالان مجيديان وفي مصر والبلاد الاجنبية عشرة فرنكات (المرأة) جريدة اسبوعية مصورة سنتها خمسون عددا ، صفحاتها ٢٨ وهي في شكل مجلة من المجلات ذات الصفحات الكبيرة يصدرها في بيروت خليل ائدي زينية المعروف لدي كتاب وقراء العربية ، قيمة اشتراكها السنوي في بيروت ٨٠ قرشا سوريا وفي لبنان وسائر الولايات العثمانية ٢٠ فرنكا وفي الخارج ٢٥ فرنكا

باب الاخبار والآراء

﴿ لا بابوية في الاسلام ﴾ ولا تباع شناعة خير الانام

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المثاقين زين للاتحاديين ان يستقلوا حجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بوضع دقار فيها يكتب فيها اسماء الناس الذين يذلون لهم الذهب الاخر لتكتب اسماءهم في تلك الدقار ، وينا قباحة هذه البدعة المشتعلة على عدة جرائم منكرة ، وينا ان ساف الامة الصالح ما كانوا يتسامحون في إحداث بدعة من العادات المباحة في مسجد الرسول (ص) لئلا يدخل محدث ذلك وراضي به في عموم قومه (ص) » من أحدث في مسجدنا هذا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وهو الحديث الذي اجتج به الامام مالك على ابن مهدي العالم الزاهد لما

صلى على نوبه . وبنيها على ذلك انما لا نظن ان جمجمة الاتحاد والترقي قبل هذا الاقتراح ، ولا ان الحكومة تفذه

ثم بلغنا بعد ذلك ان موضوع المشروع ان تسمى تلك الدفطار دفطار المستضعفين . أي ان كتابة الاسماء في تلك الدفطار طريق أو سبب لشفاعة التي (ص) فهي اذا عبارة عن بيع شفاعة المصطفى (ص) لمن يريد ان يشتري ؛ وان أقل تمن لما يريد شفاعته في الشفاعة لأتلك فتباع ، ومن يدعي ان كتابة اسم أحد ووضعه في الحميم والسرور يكون سببا لشفاعة الرسول (ص) له فهو مقرر على الله ورسوله ، لأن هذا أمر لا يعلم الا بوحى من الله ، ولو أنزل الله تعالى فيه شيئا يدل عليه بالنص أو بالقوى لسكان أجدر الناس بمعرفة العمل به الصحابة (رض) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

لهذا تصح للذين لا يعرفون أصول الدين وغروعه من رجال الدولة الاتحاديين ان يجنبوا هذه البدعة ، فليست هذه المسألة كغيرها من الامور التي تجبروا عليها . ولينذروا ان مسألة بيع البابوات للقرآن هي التي احدثت الانقلاب الديني العظيم الذي لا يلقى سلب السلطة السياسية من البابوات ، بعد حروب شابت من هولندا والولان . على ان بيع القرآن له وجه ما في دين النصارى اذ يحتجون عليه بقول الانجيلهم ان ما يحلونه او يعقدونه في الارض يكون كذلك في السماء . وبيع الشفاعة بدعة في الاسلام ليس لها وجه ولا شبهة . بل تدل الحجاج الكثيرة على بطلانها وقبحها بالشرك بالله تعالى لانه قوله على الله بغير علم ، وشرع لم يأذن به الله ، وزيادة في الدين الذي اكمله ، وداخل في عموم الاحداث والبدع التي تنهى وحذر الشارع عنها ولعن محدثها . والآيات والاحاديث في هذا كثيرة . تدعمها الآيات التامة بأن يوم القيامة لا يملك فيه احد لاحد شيئا لشفاعة ولا غيرها ولا امر يومئذ لله وحده فلا يشفع أحد عنده الا باذنه ولا يأذن الا لمن رضى له فولا (ولا يشفعون الا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون) واضح المستفاد على انه ليس لاحد ان يشفع بمستقبل احد في الآخرة الا برض من الشارع . فليس لأحد من رجال الحكومة الشنانية ولا غيرهم أن يدعي ان النبي (ص) يشفع له او لأحد معين ، فمن لا يملك الشفاعة لنفسه ، كيف يدعيها لغيره ؟ فان كانوا في ذلك من مدحا لغيرهم في هذا المسألة فلمرضوها على علماء الفاضل وعلماء السليمانية ان يمسئتهم ويطلبوا منهم بذلك رأيهم فيها بالحرية التامة . وربما ذود الى بيان ذلك بالتفصيل ، وبدلائل السنة والتزويل « والله يقول الحق وهو سديد السبيل »

﴿ جمعية خدام الكعبة في الهند ﴾

جاءنا من هذه الجمعية رسالة وحيزة مايفضها ان الدولة العثمانية اصيبت على خطر مما يبيت لها الاعداء ، وان اكبر أمانى المسلمين ان تكون غنية قوية ، وان مؤسسي الجمعية احسوا بما سيصيب الحرمين الشريفين من المصائب الحاضرة فأسسوا هذه الجمعية لا يقصدون منها « الا مساعدة الدولة العثمانية في المحافظة على الحرمين الشريفين وبذلك المال والنفس في سبيل حمايتهما من الفوائت » ومن ذلك تعليم العرب الذين يقاطعون السبل على الحجاج كل هذا حسن . ولكن جاء بعده ان الجمعية تريد إنشاء جريدة باللغتين العربية والاوردية . قال الكاتب « حق نشتر افكارنا في جميع البلاد الاسلامية ونفبه المسلمين الى مايجب عليهم نحو دينهم ودولتهم الوحيدة » الخ وهذا هو الامر الذي لم يقم به : جمعية خدام الكعبة انشئت لخدمة الحرمين الشريفين فكيف يجوز لها صرف المال الذي يجمعه للحرمين الشريفين في انشاء جريدة سياسية . وما هي هذه الافكار التي يريد رئيس تحرير الجريدة ان يثبها في العالم الاسلامي ؟ هل هي افكاره ام افكار الذين يتبرعون بالمال لخدمة الحرمين الشريفين ؟ ومن اين وقف على افكارهم ؟ وهل دفعوا المال لاجل نشر الافكار السياسية أم لاجل خدمة الحرمين ؟

قد بينا رأينا من قبل في هذه الجمعية وفيما يجب ان تكون عليه فلا لبيده . ونقول الان انه لا يجوز لها بحسب قانونها الذي نشرناه وبحسب ما اقترعناه من تعديله ان تتفق شيئاً من ماله على انشاء الجرائد ، فهذه الفكرة الجديدة قد ازلت نفقنا بالجمعية الا ان يرجعوا عنها .

أما مساعدة الدولة العثمانية بالمال والنفس فهو عمل نشكره لسلك من قام به في الهند وغيرها فمن شاء فليؤلف له جمعية مستقلة ولينشئ له ما شاء من الجرائد بما شاء من اللغات . واما خدمة الكعبة والحرمين الشريفين فيجب ان يكون بمزول عن السياسة واهلها . وهو عمل تخدمه جميع الجرائد الاسلامية في جميع الاقطار وتشرع لجمعية ما شئت من غير أجرة فلا يحتاج الى جريدة خاصة .

ان مساعدة الدولة بالمال والنفس وبث فكرة الجامعة الاسلامية بوشك ان تقاومه حكومة تلك البلاد وتطلعه وتصادر جريدته ، فاذا كان مصلحاً بجمعية خدام الكعبة بوشك ان يكون شؤماً عليها وسبباً لزلها . لاجل هذا نحب ان تكون بمزول عن السياسة . وما دما نرى هذا الرأي فالتا تصح لسلك مسلم أن يقاوم هذه الفكرة الجديدة التي عزمت عليها جمعية خدام الكعبة لتكون جمعية خيرية محضة ، والسلام على من أتبع الهدى ، ورجع الخلق والمصلحة على الهوى .

﴿ مقاسد المتفرجين ، في أمر الاجتماع والدين ﴾

بهاجم الاسلام والمسلمين جيش خارجي من دعاة النصرانية ، وحيش آخر داخلي من دعاة التقاليد الافرنجية . والثاني أنكى من الأول وأضر ، وأدهى وأمر ، لأن جل أفراده من المارقين الذين بعدهم المسلمون منهم وما هم منهم ، وليسعون عدوا خارج الدار ، أهون من عدو واحد في الدار . فقد تمر السنون ودعاة النصرانية تبع أصواتهم من الصياح بالحطاب والجدل ولا يقع في شركهم في الفطر الكبير الا واحد أو آحاد يلجئهم الفقر الى ان يكونوا من خرافهم ، لانهم يجحدون من الموعى عندهم مالا يجحدون عند غيرهم . وقد ورد في الحديث « كاد الفقر ان يكون كفرا » وقلما تجد واحدا من هؤلاء الخراف يأنس مرعى له خارج دمنتهم الا ويتقتل منها

وأما هؤلاء المنافقون المتفرجون فانهم يفتشون المسلمين بأنهم منهم ، ينفعهم ما ينفعهم ويضرهم ما يضرهم ، وانهم لما يدعونهم الى الترتي عما هم عليه الى مدينة أعلى وحضارة أسمى ، وهي أن يكونوا مثل الافرنج في عزهم وروثهم وذخرفهم ، ويحبسون لصغر عقولهم ، وقصر نظرهم ، ان ما يوقنا به الافرنج من الثروة وأسباب القوة ، قد جاءهم من رقص نسائهم مع رجالهم ، ومن اختلاطهم بهم في مجامعهم ومحافلهم ، - أو من عدم مبالاة كثير منهم بالدين ، وان كان الا كثرون يتهصبون له ويبدلون له الملايين . - أو من طاعتهم في طعامهم وشرابهم وأزيائهم ، وفسقهم وجورهم ، واجتماعهم وافتراقهم ، قطعتوا يقدونهم في شر ما عندهم ، ويدعون المسلمين الى تقليدهم في أمثال هذه العنواهر ، على ان منها ما هو من سيئات مدنيتهم وقبحها التي ينكرها عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم ، ومنها ما هو مناسب لطبيعة بلادهم وأديانهم دوتنا ، ومنها ما لا تقع فيه ولا ضرر لذاته ولكنه يضرنا من حيث هو تقليد لهم يضيف روابط القومية ، ومشخصاتنا الاجتماعية ، ويحقر أمتنا في أنفسنا ويعظم أمهم فيها ، فيكون تمهيدا لقبول سيادتهم علينا بغير امتناع ، دع ما يتوقف عليه البقاء من الجهاد .

وقد قوي هجوم هؤلاء المتفرجين في فاتحة هذا العام فكان أشد مما كان عليه في العام الماضي ، فكان شأنهم معنا كشأن دعاة النصرانية سواء . ومنبت هذه الفتن ومطلع رؤوس شياطيننا الآستانة ومصر ، وقد اشتركت المدينتان في مسألة الدعوة الى تهتك النساء باسم تحرير المرأة ، وامتازت الآستانة بالقول في تعصية الجنسية ، وقطع ما امر الله بهان وحصل من الوشائع الدينية ، مثل كتاب (قوم حديد) و (رجمة القرآن) بالتركية وغير ذلك .

، أنه تحرير المرأة أو تهتكها

إن الاستانة ومصر فرنسا وهان في تهتك النساء وفي تجري المنفرحين على ذلك ، وقد نشر بعض النشأن في الجرائد المصرية دعوة الى جمعية تسعى لهك ما بقي من آثار الحشمة التي يسمونها حجابا ، لإبطال ذلك بالفعل ، وعقدوا اجتماعا في إدارة (الجريدة) التي هي لسان حالهم واقتضوا بعض النساء بحضوره حاسرات ففهم بعض النشأن الذين حضروا انهم في قبيضهم فذهبوا آخرون . وقد اختلفت الروايات عينا في تفصيل ما كان في هذا الاجتماع ، فلا يجوز شيء منه ولا فائدة في شرحه .

قام هؤلاء النشأن بهذه الدعوة في وقت سادت فيه الترقيات الأوروبية ببيان ضرب من الضروب ، ففانح اختلاط النساء بالرجال ما كان يذاع مثله من قبل . وهو أنه قد اقتضت عدة من العداوي النواقي بتلقيح العلوم المالية في مدارس المانية الجامعة . هذا وإن الأتراك أخذوا عناية من السكسونيين مدع اللاتينيين . في التربية الدينية والصيانة المالية . وإن كثيرا من الدعوة الى تهتك النساء الذي يهرون عنه تحرير المرأة ، لا يقولون إلا أن يمدوا السيل لا أنفسهم التمتع بالحيوان من ثياب وابتكار ، وقليل منهم يريد التطور بل بالاصح المدني وهو حاجز عن كل اصلاح فلا يرى أهون عليه من القبط بالكلام في هذه المسألة ، لأنه لا يتوقف على علم ولا عمل ، فاعلى الاغبط إلا أن يبرز ما كتب غيره من قبل في قالب جديد ، ويزيد عليه من شو الكلام ما يشاء أن يزيد . يقول في أهل السياسة مالك لا رد على ما يكتب هؤلاء المفسدون ، فترك نطلب ، وإليك ترجوه ، أن تتدب عوارهم ، وتعلم أطفالهم ، وإني أرى انفس الذين قاموا في وجوههم صائحين متهمكين قد كانوا لهم الصاع صاعين أو عدة أصع ، وليس عندهم شيئا تحبب تحتاج الى علم واسع وحجج قوية . بل لا يكاد يفهم مرادهم من كلامهم ، ولا أوامهم يبينون ما يريدون . فليست المرأة مستعدة فيكون طلبهم تحريرها طلب حقيق لها شرعي أو شكلي ، وليست بحجوبة في عصر حجابا مائلا لما من التعريف والرياضة ولا التبرج المذموم أو غير المذموم بل هي فعل ما تشاء . إلا أن القاعدة العامة في نساء الاعراف والموسطين في المدن أنهم لا يحضرون أندية الرجال ومجالسهم العامة ، وأما المجالس الخاصة والمحاكم ومجالس التجارة فيحضرها كثير منهن . وأنهن لا يحلون بالرجال إلا جانب في البيوت إلا شذوذا . والظاهر أن هؤلاء المنفرحين يطالبون الآن لإبطال هاتين المادتين دفعة واحدة . ولا يشك ذو عقل أن ذلك مما يستشري به الفساد ، ويغلب به فوضى الأعراس . وليس في حكمة فهو سيئة من سيئاته ، على أن دفع

المفسد مقدم عقلا وثقلا على جلب المصالح ، وابن هي في مسألتنا .

إن نساءنا في حاجة الى علم وأدب تنقف بهما عقولهن ، وتصاح بهما عاداتهن ، ويقدرن بهما على تدبير المنازل وربية الاولاد ، ويكن عوناً للرجال على تجديد حياتهم الامية الاجتماعية بمقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والعادات الحسنة . ولا يتم هذا الا بتأليف جمعية من أهل البصيرة والرأي تفتي المدارس الداخلية بالنسبة للفرجة والنسبة للمدينة بالعمل . وجمعية أخرى للنساء المتعلقات بالمهذبات غير المتقنات بالفرجة والنسبة لإصلاح البيوت الموقت . والتفرنجون لا يطلبون هذا وانما يريدون ان يسلط عليهم من الدين بما بقي من عاداتهن ويقدرن نساء الافرنج في الاستئطاط بالرجال غير النجس في البيوت والمجتمعات والأندية والملاعب والملاهي والتنزّهات ، وما يسبق ذلك من العادات في الزينة والموضة . ولو فرضنا ان جميع ما يسلطن منه بهذه الصفة فيصح أو ضار من بعض الوجوه وجميع ما يدخلن فيه حسن في ذاته ونافع لآلهه ، لا صدنا ذلك عن إنكار هذا التحول والاقبال ، لما يتسبب على التغيرات القومية من المضار وضيق عقولنا بالآداب ومشخصاتها ، وتراخي روابطها وانقسام عرى جامعها . ونأطيك به اذا كان تقديراً لامة أخرى تراها ارقى منها . فكيف اذا كان ما يطلب من نساءنا التحول اليه إما فيصح ضار لذاته أو ضاراً بامتدادون الافرنج

ان الضرر في تفرنج نساءنا أنواع : ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي ، ولا نذكر شرح هذا في تجالة كنهه . واسكن التفرنج فتنة ، وليسكن جديد فتنة . ونحن نرى ان ما يطلبه التفرنجون من نساءنا من تلك الطعاب الرقيق الخثال دون العلم والجد والجدد ما ذكرناه من بقايا العادات قريب غير بعيد فقد بدأ به بعضهم . ولا نرى من سريان التقليد فيه . بأن الذين يسافرون بأنسابهم الى أوروبا يلبسون لباسهم من ملابس الافرنج ويأكلون مع الرجال ويجلسون معهم في الملاهي والملاعب . ومنهم من يلبس نساءهم بلباسه بلقاء أصدقائهم ومجالستهم ومؤاكتهم ، يكون هذا بينهم وبين نساءهم لم يرض بعض الشبان لانه يدرجهم وهم يتألمون المأثرة . ومنهم من يلبس نساءهم باللباس الذي لا يحسن منظرهن من عادات نساءهم لرأى وسبح من المصالح . ومنهم من يلبس نساءهم بلباسهم وتودونه . وأنا ليحزن ان ترى عدداً لا يرى قد سريسا ليعلم ان نساءهم لا يلبسون باللباس الذي لا يحسن منظرهن . وانما سألنا يستعملون بلباسهم القديم . والجميع يشتمون بين الرسل قديماً الافرنج ، على انه ليس شريراً ولا صالحاً . ولا يفرقون بين تربيتهم وآدابهم وأخلاقهم الضرورية فيجب عليهم ان يلبسوا باللباس الذي لا يحسن منظرهن .

لا معنى بأشد ما يحتاج الى أنواع مثله من مزاج الأفرنج وفضائلهم لان في تحصيله مشقة، بل
 معنى بها كلهم في مظاهر الزينة والاندازة، وطلما اهلكت اندزة والزينة الامم القوية،
 فكيف يكون فعلها بالامم الضعيفة؟ ان مسلمي الهند من أشد أهل الارض مبالغة في
 حجب النساء ولم يمنع ذلك الطبقة المصرية منهم ان تكون أرقى من مثليها في الآسنة
 ومصر، ولكن من كان له هوى في شيء لا يلتفت الى ما يخالف هواه، وان كان مؤيدا بأقوى
 الحجج ومينا بأوضح الشواهد والامثال، فالعصريون والترك يريدون بالتفريق ان
 يكونوا مثل الأفرنج، هو الذي يبدهم عن ان يكونوا مثله، بما يجعلهم عالة عليهم،
 ويذهب بما بقي من استقلالهم السياسي، لانه منوط باستقلالهم الاجتماعي والحلقي،
 ان السواد الاعظم من الشعب التركي والشعب المصري عفت هذا التفريق، ولكن
 ليس للسواد الاعظم زعماء يستعملون قوته المنوية في المحافظة على مقومات الامة
 بعشخصاتها مع اقتباس ما يقو بها من الفنون والصناعات المصرية. وأما المتفرنجون فهم
 على قمتهم يمتزجون بالأفرنج أنفسهم، وناهيك بنفوذهم وساطتهم، وكون حل رجال
 الحكومة من سبك معاد لهم. ولا حظ لهؤلاء الأفرنج الا جعل جميع ممالك الشرق
 مزارع ومناجم لهم، وأهلها فداة لخدمتهم، وسوقا لأنواع سلمهم. ولله درهم! فان
 أرقى ما وصلوا اليه من العقل والعلم هو ما جعلهم يتصرفون في الامم والشعوب كما
 يتصرفون في الحيوان والنبات والجماد
 هذا ما أحيت أذكر به السكارهين لهذا القلوب والاستمجال، بالجمع بين النساء
 والرجال، وهو لا يقر شيئا من هذه الاحوال، وانما الذي يمكن ان يغيرها هو العمل
 الذي أشرنا اليه دون سواء.

العصبية الخفية

ان روح التعليم الأوروبي والسياسة الأوروبية أحدثت في امم الشرق كلها نزعة جنسية.
 وقد كان المسلمون أبعد الناس عن هذه النزعة فلذلك كانوا ضعافا فيها، وكان العرب
 أسداهم بعدا عنها وضعفا فيها، ولذلك كتبت في مقالات (العرب والترك) التي نشرتها
 في الآسنة ثم في المآزج ان تكون عصبية جنسية للعرب لا يمكن ان يكون الا من عمل الآسنة
 ان في الترك من غلاة العصبية الجنسية من يمز نظيرهم في غيرهم، واتفق ان
 كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي من هؤلاء الغلاة. فلما صار اليهم أمر الدولة، اندفعوا
 اندفاعا شديدا في نفوة العصبية التركية، ومحاولة ترك جميع الشعوب المملانية، فبهجوا
 بذلك عصبية هذه الشعوب حتى نجحت فروع الفتن، وسقطت الدولة دماء غزيرة في

بلاد الارنقووط وبلاد العرب ، وامتت سياسة الشدة والقوة بحرب البلقان التي خذلت بها الدولة ، وورث البلقانيون جميع ولايتها الاوربية الا (ادنه) فبقيت لها ، وبلاد الارنقووط فانها استقلت بنفسها . فاضطر الاتحاديون الى سياسة المداراة وتعزيز الجنبسية التركية في نفسها بالمدارس ونشر الكتب والرسائل والمصحف ، مع ترك سائر الشعوب العثمانية تنحبط بحملها اذا لم ترض الاصطباغ بالجنبسية التركية في مدارس الدولة الرسمية ، والمدارس الاهلية التركية ، والتي يجمعون لها الاعانات بنفوذ الدولة والحلابة من العثمانيين ومن مسلمي الممالك الاجنبية

يرى هؤلاء العاملون انه ليس في طريقهم عقبة تحول دون بلوغ المقصد بالسرعة التي يبغيون من وراء هذا العمل الاحاجة الترك الى اللغة العربية لاجل الدين . ويرون أن هذا الدين ولغته مما يبق تكوين أمة تركية ودولة تركية محضة على الطراز الافرنجي الفرنسي ، فاجتهدوا في ازالة هذا المانع بمزيلين (أحدهما) ترجمة القرآن بالتركية ودعوة الترك الى الاستغناء عن القرآن العربي بما سموه القرآن التركي ، واذا استغنوا عن القرآن يستغنوا بالاولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية (الثاني) نشر الكتب والرسائل التي تحمل الجنبسية التركية أعلى وأسمى في النفوس من رابطة الدين تمهداً لنسخ اثنائية بالاولى ، بمونة الكتب السكتية التي نطعن في الاسلام ككتاب تاريخ الاسلام الذي ألفه أعداء الاسلام من الايطاليين وترجمه الدكتور عبد الله بك جودت بالتركية ، فكان له تأثير شديد عند طلبة المدارس العالية ولاسيما مدرستي الطب والحربية ، الذين لا يكادون يعرفون من الاسلام شيئاً وقد نشروا في الآستانة كتاباً تركيا اسمه (قوم جديد) كان أنصح ممبر عن رأي هؤلاء المتفرجين من الترك ، وبما جاء فيه الانكار الشديد على وضع اسماء الخلفاء الراشدين وسبطي الرسول (رضوان الله عليهم) في ألوح معاقبة في قباب المساجد التركية مع ان أولئك الرجال من العرب ، فالكتاب ينكر عليهم ذلك ويقول للترك أليس عندكم من الخلفاء والرجال العظام من الترك من هم خير من أولئك العرب . انزعوا هذه الاسماء وضوا مكانها اسماء عظام انترك مثل طلعت بك وفتحي بك وانور بك « صلوات الله عليهم » (??) ويقول إن كل من يساعد رجال الدولة على الاعمال العسكرية يكون أفضل من الائمة المجتهدين ومن شيخ الاولياء المارفين الشيخ عبدالقادر السيكلازي الخ وهذا قليل من كثير ، والامر لله العلي الكبير .

(تنبيه) : سقط في الآية لفظ « في » في ص ١٠٧ السطر السادس فليصلح

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين همداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فمن عادى الذين يستمرون القول فينبوءون حسنة

أولئك الذين همداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فمن عادى الذين يستمرون القول فينبوءون حسنة

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الانور ١٣٣٢ هـ ق ٥ الشتاء الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٥ فبراير ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

افتتحنا هذا الباب لاحاطة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشر على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وصله (وطبقته) وله بعدد الشان برمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانفذنا كراستة بالتدريج قالها ورعا قد مناه تاخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه ورعا اجبتا غير مشترك لثقل هذا بيان مضى على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صريح لا فقا

﴿ دعاء البهائية ومجلة البيان المصرية ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في القاهرة

حضرة العالم الفاضل صاحب المنار الاغر

نشرت مجلة البيان التي تصدر في مصر مقالا عن البهائين وزعيمهم عباس افندي جاء فيه ما يأتي : - « ذلكم هو مولانا عباس افندي الملقب بعبد البهاء بطل الاصلاح الديني وحيد المصلحين الدينين، والمصدر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » البهائية هي كمال حيي « - هي الكا وليكية الصادقة ». وما دعوتها في الحقيقة الا دعوة اصلاح ورفق للاسلام « - ان انصارها استخرجوا اسمي تمايم القرآن فنقوها مما علق بها كما ليس من الدين الصحيح في شيء » - « ان نعم الاخرة وهم وخيال » هذا بعض ما جاء في تلك المجلة وما نشره صاحبها المسلم الازهري عقب مقابلته لزعيم البهائين في الاسكندرية

وقد رد على (البيان) الاستاذ صاحب (عكاظ) في عدة مقالات وتبعه كاتب في جريدة الشعب ثم تبعتها جريدة الافكار وكانهم كان يطلب الى صاحب (البيان) تكذيب ما نشره في هذا الموضوع والرجوع الى الحق، ولكنه كان يقول لهم اني كتبت واكتب عن البهائين وزعيمهم كما كتبنا عن فولتير وسبينسر ونيتشه، وكما كتب الاوربيون ويكتبون عن المظالم والفلاسفة والتافين

فأرأى العالم الحليل صاحب المنار في ما نشره «البيان» في موضوع البهائين وزعيمهم؟ وما رأيه في رد عكاظ أولا والشعب والافكار ثانيا؟ { ف - صحفي قديم }

(ج) ينال في المنار مرارا ان البهائية قد استحوذوا دينا جديدا في هذا العصر،

.....

هو أساس الاسلام ، واساس دين البهائية وثني مادي ، وهم يعبدون والد زعيمهم عباس افندي الملقب (بمبدالبهاء) وما هذا الا لقب الاعوان القول بألوهية البهاء . ولهم شريعة ملفقة من الأديان الخنافية ، وفلسفتها هي عين فلسفة سلفهم من فرق الباطنية ، الذين حاربوا الاسلام بالدسائس التي اخترعتها لهم جمعيات الجيوش السرية ، لافساد أمر المسلمين وازالة ملكهم انتقاما للمجوسية التي ابطلها الاسلام . الا وان مرزا حسين الملقب بالبهاء هو وولده الناهية عباس افندي قد جعلوا دينهما الجديد تنقيحها لما دعا إليه الأئمة الثرثار مرزا محمد علي الذي اشتهر بلقب (الباب) وانما مهد السبيل لدعوته في بلاد الفرس بدعة الشيخية ، الذين هم اكبر المنفسدين في الشيعة الامامية ، وسننشر في المناشر شيئا من فلسفتهم الخيالية ، التي انتزعوها من باطل الباطنية ، وزفوها في معرض الاساليب الصوفية .

وحجة القول ان دين البهائية دين مخترع ، اقتراه الباب الخدوع ، وقبحه بنيادي الزمان الباقعة عباس افندي . وهو أضر على الاسلام من كل دين في الأرض ، لان أهله يسلكون في الدعوة اليه مسلك سلفهم الطالح في خداعة عوام المسلمين ولهاهم أنهم يصالحون لهم دينهم ، واحتجاجهم بالشبهات التي يحرفون بها القرآن والاحاديث بالتأويلات البعيدة ، فهم أكبر فتنة على المسلمين في هذا العصر ولا سيما على الشيعة ، لان القلوب في التشيع سلم للباطنية ، ولهذا كان يقول بعض العلماء يقول : انني برافضي كبير اخرج لك منه باطنيا صغيرا ، واثنى باطني كبير اخرج لك زنديقا كبيرا . فن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو اصلاحا للاسلام ، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كانت بذلك مرتدا عن الاسلام ، وان زعم انه مسلم ، فهو زنديق منافق كسائر الباطنية اذا كانوا ضغفاء بين المسلمين فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الاسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم الى باطلهم وتحريف معاني القرآن الاستدلال عليها وإبطال ما يفهمه المسلمون منها . فانما كان صاحب البيان قد قال ما نقله عنه السائل متقدما له فالامر ظاهر ، وان كان قد كتبه عن جهل بحقيقة الفوم فكان الواجب عليه بعد ان نبهته جريدة تكانا وغيرها ان يرجع الى الحق ويهرح ببطالان دين البهائية وتحذير المسلمين من خداع دعوته (ويسموسم مبالغين) وأما ما ذكره السائل عنه من الاعتذار عن تقديس دين وثني مادي وتقديس داعيته واحده مخترعية - بان مدحه له كمدحه للفولير - فهو غريب ، فان مدحه للفولير إن

كان باطلا فهو تأييد للبطل بالبطل ، وان كان يراه حقا ويرى ان ما قلناه في عباس اقدي ودينه حق أيضا ، يكون ذرأته عن الاسلام ودخل في دين البهائية . والا فان من قال حقا وقال باطلا ، لا يكون قوله الحق صرة مذكرا له اذا قال البطل بعده . والذين مدحوا مثل فولتير من كتاب الاقرع كانوا مثله ماوقين من التصرائية ، فهل يرضى صاحب البيان ان يكون مدحه لباس كمدحهم لفولتير ؟ وليس ما نقله السائل عن البيان قول مؤرخ يحكي شيئا وقع لأرائي له فيه ، حق يقال « ان حاكمي الكفر ليس بكافر » بل ذلك مدح لهذا الدين الجديد وتفضيل له على غيره يتضمن دعوة المسلمين اليه . فاذ لم يكن هذا مراده فليصرح كتابة ببراءته من البهائية والتحذير من كفرهم بالاسلام . على ان فيما نقله السائل عنه ما هو ككفر في نفسه بالاجماع ، كانه نكار حقيقة اعم الآخرة ، وتسميته وهما وخيالا ، بناء على ان هذا من مذهبهم . وجهة القول ان من شأن المسلم ان لا ينشر شيئا يمدح كفرا في دينه ، وان لا ينقله عن غيره مقرا له ومستحسنا . فكيف ينوه بمدح دين جديد يراد به نسخ الاسلام وابطاله من الارض ويصفه بأنه هو الحق الذي لا يأتيه البطل من بين يولي من خلفه ؟ وقد قرأنا بعض ما نشر في عكاظ ردا على البيان فرأيناه مبني على اساس الصواب ولم نر ما كتب في جريدة الشعب لانا لانكاز قراءها بل قلما نراها . وكذا جريدة الافكار . والحق ظاهر في نفسه

(البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب)

(س) من صاحب الامضاء في مصر
فضيلة الاستاذ العالم العلامة منشي المجلد الاغر
بعد الاحترام نرجو من سيادتكم اجابتنا على السؤال الآتي في منازك الاغر :
هل يمد البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب من الوجهة العمرانية
وتبيان اضرارها في الناس من الوجهة الاقتصادية اهانة للدين الاسلامي
عبد الحميد حمدي بشرا مصر

(ج) حاشا لله ان يمد البحث في هذه المسائل اهانة للدين الاسلامي مطلقا .
بل كثيرا ما يكون البحث فيها كاشفا عن حكم الاسلام وفضائله ، ومبيناً وجه كونه
دين الفطرة الجامع بين مصالح الروح والجسد . ولكن غير المسلم قد يهين الدين

الاسلامي اذا خالب هواه ورأيه بعض أحكامه ، فيتخذ ذلك وسيلة للعطن فيه .
أما المسلم فانه يبحث عن الحقائق مع الادب فان عرضت له شبهة على حكم إسلامي
ثابت يزداد بحجنا ليزداد علماً ، ولكنه ينسب الفصور الى نفسه لا الى دينه ، ويجعل
هذا قاعدة للبحث ، الى ان يتبين له الحق .

* *

﴿ اسئلة من صاحب الامضاء في (العطف) من ٥ - ١١ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الاستاذ الأ واحد من شىء المنار المنير ، السيد محمد رشيد رضا ، شاد الله به
منار الدين

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فاني سائل فضيلتكم عن أمور أشكلت علي
مؤملاً اسعافى بأجوبتها لما انى لا ارى لذلك ممن اعرف اهلاً سواكم
(١) لماذا حمل الاستاذ الامام اخذ الكتب في القيامة بالايمان وبالشمائل من
وراء الظهور على اخذها بنشاط وسرور أو بضد ذلك مع إمكان الحمل على الظاهر
الذي يتمتع مخالفته بلا دليل ؟ واستبعاد تصوير وراء الظهر بما صور به لا يوجب
رفض الظاهر فلم لا يقال يأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره حقيقة ، ولا يزداد على
ذلك ؟ ويجعل النشاط والمسرور سبباً للأخذ باليمين وضد ذلك سبباً للأخذ بالشمال
من وراء الظهر ؟

(٢) هل يحل التداءوي بالخمر اذا ظن نفعها بخير طيب أخذاً من آية (ما جعل الله
عليكم في الدين من حرج) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات .
واذا جوزتم فما ترون في حديث «إنها داء ولا يست بدواء» أو كما ورد
(٣) هل الخمر نجسة وما دليل نجاستها ان قلتم بها ؟ فاني لم ار دليلاً شافياً بعد
شدة البحث

(٤) ما جواب مجوزي سماع الملاهي عن حديث تحريم سماع المعازف الذي في
البخاري

(٥) ما درجة حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وهل له معارض ؟ وما رأيكم
في هذا التعليم ؟ والحديث المشار اليه ذكره في فتح البيان عن البيهقي والحاكم وابن
مردويه وسكت عليه ، فهل ذكر الحاكم له يفيد تحته

(٦) ما درجة حديث جابر في خلق النور الحمدي قبل الأشياء فقد أنكر الشيخ عبد العزيز شاووش صحته مع ذكره في كتب جمعة كشرح الحمزية لابن حجر لكن لم أر من صححه بعد شدة بحث في كثير من كتب السنة

(٧) لم شرطم على المفتي ذكر دليل الحكم العامي مع أن كثيراً من الأدلة يصعب جداً تفهيمه إياها فالتكليف به مخرج شديد ؟ وإذا وسع العامي أن يثق برواية المفتي فلم لا يسمع أن يثق بأنه أخذ فتواه من دليل صحيح ؟ فانا إذا نظرنا إلى احتمال خطأ العالم في أخذ الحكم أو فتواه بما لا يعلم ثم أن ننظر إلى احتمال كذبه في الرواية أو في فهم مرويه ، ولا أخالكم ترابون في صعوبة تفهيم العامي بعض الأدلة لعلمكم بأن مأخذ الحكم قد يتركب من حديثين أو أحاديث أو من سنة وقرآن ، ويحتاج تقريره إلى فطنة والمأم بحجة علوم

هذه ياسيدي الأستاذ مسائل اشتدت حاجتنا إلى معرفة الحق فيها جداً فلجأنا إليكم والامل بتحقيق طلبنا ملء القواد لا برحمتك عضد الحق

خادم العلم الشريف
م . ز - بالعطف

﴿ أخذ الكتب بالإيمان والشكائل ﴾

حمل الأستاذ الامام الآية في سورة الانشقاق على الكتابة لانه الابلاغ الذي يظهر به معنى الوعد والوعيد الذي وردت الآية في سياقه . والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز أن يكون المراد هو ما فسر به الآية مع كون الاخذ بالإيمان والشكائل عندودة إلى ما وراء الظاهر يقع بالفعل . ولكن ارادة الحقيقة وحدها خير مجرد ليس فيه ما في الكناية من الموعظة وبيان حسن حال من يأخذ كتابه بيمينه من قبل وجهه ، وسوء حال من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وحمل كلام الله على بلغ الوجوه العربية وأظهرها انطباعاً على مقاصد القرآن هو الأولى بل المؤمنين ، وقد أنزل الله القرآن هدى وموعظة وعبرة وذكرى كما هو مبين في عدة آيات . نعم لا يجوز أن يتكلم المتفسر في كلام الله تعالى معاني لا يسيغها الأسلوب العربي البليغ للهروب من معنى متبادر لا يوافق ذوقه أو رأيه . وقد عهد في الاستعمال العربي البليغ التعبير بيمين وبالأخذ بيمين عن الثمين والنشاط والعناية ، وبالتعبير بالشمال عن ضد ذلك من الشؤم والكرهية . رسمت العرب اليد اليمين الثمين ، والشمال الشؤمى . وكانوا يمينون بالتبشير إذا مرت تبتاً وبتناعمون

بها اذا مرت شمالا . فقول العرب اخذ فلان كذا يمينه او بشاله ، قلما يريدون الا الكناية ، فهو من الكنايات المشهورة بينهم ، لأن ارادة الحقيقة قلما تكون لها فائدة . واما قول العلماء ان الاصل في الكلام الحقيقة ولا يصار الى المجاز أو الكناية الا بدليل وقرينة ، فلا يريدون به ان كل ما يمكن أن يراد به الحقيقة يحمل عليها مطلقاً ، فان من الكلام ما يحزم سامعه عند سماعه انه مجاز أو كناية مع إمكان ارادة المعنى الحقيقي . ثم ان تحديد الحقيقة في كل مواد الكلم والتمييز بينها وبين المجاز والكناية لبس من السهولة بحيث ينال من طرف التمام ، ولعسره انكر بعض النقاد المجاز من اصاله . وعد الجاهل كثيراً من المحازات حقائق ، وخطبت معاجم اللغة الحقيقة بالمجاز ولم يعن بالتريل بينهما الا افراد من الجهابذة كالرحشري في أساس البلاغة ، ورس هذا المقام بالذي يتسع لبيان ذلك

في التداوي بالخمر

التداوي بالخمر لمن ظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فاما الاضطرار فاما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح الحرام من طعام وشرب بنص قوله تعالى (وقد بين لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبني الخرج والعمر وغير ذلك من الأدلة . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بقمعة فكاد يختنق ولم يجد ما يسقيها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به للهلاك رداً سوى جرعة أو كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من اصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو اخبره الطبيب بأنه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع الحديث الافرنجي الذي يسمونه (كونيك) فانما نسمع من الأطباء انه يتعين في بعض الاحيان للعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون مبرراً للخمر وانما يؤخذ منه قطرة قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمر لمن يظن نفعها ولو بخبار الطبيب كتنوية المعدة او الدم ونحو ذلك فما نسمعه من كثير من الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونفى عنه النبي (ص) وصى الحديث الذي اشار اليه سائل «انه ليس بدواء ولكنه داء» رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذي . وسيدنا طائري بن سويد الجمعي سأل النبي عن الخمر وكان يستعملها فيها عناء ، فقال لما احسنها للدواء . فقله . وقوله

«ولكنه داء» هو الخمر وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المسكرة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسموم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في اعصابهم سُمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ، أي لا ليجرد التداوي بها ، فيتضررون بسُمها ، فلا يعترف مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لئلا ما يهينونها له عادة والله الموفق

﴿نجاسة الخمر﴾

ذهب جمهور الفقهاء الى نجاسة الخمر ، وروي عن ربيعة شيخ الامام مالك القول بطهارتها ، فاما نجاستها المعنوية فلا شك فيها ، واما النجاسة الحسية فلا تصدق على الخمر لئلا يفسد قذرة والنجس ما كان شديد القذارة ، ولا قام عليها دليل من الكتاب ولا من السنة . وقد شرحنا ذلك في المجلد الرابع من المنار (ص ٥٠٠ و ٥٢١ و ٥٦٦) فليرجع اليه السائل ان شاء . وقد جمعنا الايام بعد كتابة ما كتبناه في ذلك المجلد بجماعة من اكابر علماء الأزهر في قطار خاص من قطارات سكة الحديد كان يحملنا الى بلدة (ديروط) بدعوة قطب باشا قرشي (رحمه الله) للاحتفال بتأسيسه مسجداً ومدرسة فيها ، فدار الكلام بيننا في هذه المسألة ، فقال احد علماء المالكية انه يريد أن يكتب رسالة يثبت فيها نجاسة الخمر بالدليل فتكون رداً على المنار ، قلت له اذا جئت بدليل صحيح يقبله المنار وينشره في الاقطار ، والا رد عليك ما تكتب ، ويمكنك أن تذكر الآن ما عندك من الدليل ، قال «الاجماع» قلت لم ينقله احد بل نقلا عن الامام ربيعة التصريح بطهارتها ، قال «آية المائدة» قلت : إن لفظ «رجس» محمول فيها على الخمر والميسر والانصاب والازلام ، ولم يقل احد من المسلمين بنجاسة الميسر والانصاب والازلام ، فتعين ان يكون الرجس هو المستقيم عقلاً وشرعاً لضرره ، والرجس يكون حسياً وهو ما يدرك باحد الحواس ، ويكون معنوياً وهو ما يعرف بالعقل والشرع مجتمعين أو منفردين ، قال تعالى (ويحمل الرجس على الذين لا يعقلون) وقال (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ولا يمكن ارادة النجاسة الحسية بشيء من ذلك . . . ولما لم يستطع الاستاذ المالكي أن يقيم دليلاً ، سال احد الحاضرين مفتي الديار المصرية - وكان يسمع المناظرة - عن رأيه في المسألة . فقال

المتفق : ما مذهب الأستاذ ؟ يعني كاتب هذا قيل له شافعي . فقال لي : ما المعتقد عند الشافعية في المسألة ؟ قلت المعتقد ان الخمر نجسة . قال اتفق الامر . قلت لا ، انا تبحث في الدليل على نجاسة الخمر لا في نص المذهب . قال كان لديك دليل فلذكره لنا . فلم يأت بشيء ، ثم سكنت الشيوخ وسكتنا .

سماع المآزف

قد شرحنا في الجزئين الأول والثاني من المجلد التاسع هذه المسألة فذكرنا أدلة مجوزي السماع وأدلة حائطي . وأقوي أدلة الحائطين حديث البخاري الذي أشار إليه السائل . اذ لم يصح في الباب سواء . بل قال ابن حزم : لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه فوضوح . وبنينا أجوبة المجوزين عن هذا الحديث (فمنها) انه منقطع الاسناد فيما بين البخاري (ومنها) ان في اسناده صدقة ابن خالد وقد قال فيه يحيى بن معين انه ليس بشيء ، والامام احمد انه ليس بمستقيم (ومنها) انه مضطرب المتن والسند بما ينهه هناك (ومنها) ان كلمة المآزف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود . (ومنها) ان لنظف يستحلون ليست نصا في المحرم فقد ذكر القاضي ابو بكر بن السري لها معنيين أحدهما ان المعنى : يمتدحون في ذلك حلال . والثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال والاكتثار من ذلك (ومنها) ان لفظة المآزف تختلف في مدلولها والاختلاف يوجب الاحتمال المنقطع الاستدلال (ومنها) ان المآزف المنصوص عليها فيه هي ما كانت مقترنة بشرب الخمر كما استفاد من بعض روايات الحديث (ومنها) ان المراد بالحديث يستحلون مجموع ما ذكر فيه لا كل واحد منها . وحينئذ يستنون المآزف بدليل كون الدف والفناء منها جمعا بين الأدلة ، إذ ثبت في الأحاديث المتفق عليها سماع النبي (ص) واجازته لهما . واذا أراد السائل أن يقف على تفصيل هذه الوجوه والاجوبة عنها وملخص ما قاله المجوزون والمحرمون في المسألة فليرجع الى المجلد التاسع من المآزف .

والذي ظهر لي من مجموع ما ورد في هذا الباب ومن كلام العلماء المختلفين في المسألة ان سماع الفناء وآلات اللهو ليست محرمة لذاتها مطلقا ، ولكن الاكثار منها مكروه ولو لم يثبت على معصية ، فاذا كانت مخرجة بالشق كما يقع كثيرا حرمت لسد الذريعة . ولما كثر اللهو والفسق من التفريق بالمآزف وصارت أغانيهم كلها غرامية خلافا لما كان عليه الناس في القرون الاولى وصارت بذلك من دواعي السكر والشق انؤدي للفسق . اكثر علماء الدين من ذمها والتفريق منها والحزم بتحريمها - كما حرموا (المآزج - ج ٣) (٢٤) (المجلد السابع عشر)

أبداه المرأة لما ظهر من زيناها وكشفها وجهها وكشفها خوف الفتنة ، حتى نموا
النساء الصلاة في المساجد . وقالوا مثل ذلك في الاصرار الجليل الصورة . وحديث
البخاري أي المسئول عنه اخبار النبي عن حال هؤلاء الفساق ، فلم يبعد عن الفهم من
قال انه في تقييح حال هؤلاء النساق في جملة أمثالهم . فرواية البخاري « ليكون
من امتي قوم يستحلون الحر (١) ، والحرير والحُر والممازف » ورواية بعض السنن
« ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يزف على رؤسهم بالممازف
والمفنيات وفي لفظ « روي عنهم القيان وتعدو بالممازف » فالحديث مروي بالمعنى ولذلك
اختلفت الفاظه . ولا شك ان ما يؤخذ من تعدد الفاظه يدل على استفهام النبي (ص)
لجموع فعل هؤلاء الفساق ، ومنه عزف المفنيات لهم على شرهم وفسقهم . فهو مثل
حديث « صنفان من اهل النار لم اراهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون
بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، ماثلات عميلات ، على رؤسهن كأسنة البخت المائلة ،
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن ، وان رجحها ليوحد من مسيرة كذا وكذا » رواه
احمد ومسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة . قالما الرجال الذين يضربون الناس
بسياط كأذناب البقر فهم اعوان الحكماء الذين ابتدعوا السياط التي تسمى الكراشيح
وحاربوا يذنون الناس بها . واما النساء الموصوفات بما ذكر فمن مشاهدات في
زماننا . ولم يفهم المراد من وصفهن بما ذكر كثير من العلماء قبل وجودهن . وانت ترى
من وصفهن اسن بضمن على رؤسهن شيئاً مرفعاً شبه سنن البخت من الابل . وهذا
يحدد ذاته مباح بالاجماع ، ولكنه مع سائر تلك التبعات يمثل حال طائفة من الفواسق
العوان اللواتي يضلن كثيراً من الناس

﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

لم يصح في التهي عن تعلم النساء الكتابة شيء . وليس كل ما يرويه الحاكم
صحيحاً بل صحيح في مستدرک على الصحيحين أحاديث جزموا بان بعضها ضيف
وبعضها موضوع . ومنها هذا الحديث الذي يشير اليه السائل « لا تسكنوهن الغرف
ولا تعلموهن الكتابة » رواه في المستدرک من طريق عبد الوهاب بن الضحاک عن
عائشة ، وهو كذاب كما قال ابو حنيفة ، ماله لشكك قال نسأله ، انكر الحديث كما قال
الدارقطني ، قال الحافظ بن حجر في الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم : بل عبد

(١) الخمر والسكر والرج والمرأ الزانية وفي لفظ الخمر ، بغير . وهو نوع من التبايع
وعدا من الاضطراب في مثل الحديث

الوهاب متروكه، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامي عن شبيب بن اسحق ، و ابراهيم رماه ابن حبان بالوضع . وان حبان هو الذي روى حديثه هذا في كتاب الضعفاء . وقال الدارقطني فيه : كذاب . واخرج ابن حبان في الضعفاء أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً « لا تعلموا نساءكم الكتابة » وفي سننه جعفر بن نصر وهو منهم بالكذب كما قال الذهبي . وهذه الروايات الواهية او الموضوعه معارضة بروايات صحيحة في مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حديث الشفاء التي علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وقال لها النبي (ص) مرة مازها « الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » رواه احمد وابو داود بسند رجاله رجال الصحيح ، الا ابراهيم بن مهدي البغدادي المصيصي وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائي والحاكم ومجملهم ، وغيرهم . وقد صرح كثير من العلماء بأن حديث الشفاء يدل على جواز تعليم وتعلم النساء الكتابة ، وفي الأدب المفرد للبخاري ان عائشة بنت طلحة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين تكتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونها لمكتبتها من أم المؤمنين فتأمرها أم المؤمنين بأن تحجبهم على كتبهم وتيسرهم على هداياهم . وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكتابات المملات بالحدث والأدب والفنون . وهن يدخلن في عموم خطاب الشرع في جميع احكامه الا ما خصص . ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الايية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص في كتاب الله تعالى

حديث جابر في أول الخلق

نجدون الكلام على هذا الحديث وما في مفاه من كون نبينا (ص) كان نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره في ص ٨٦٥-٨٦٩ من مجلد المنازع الثامن . ولا عبرة بكلام مثل الشيخ عبد العزيز جاديش في انكار حديث ولا في اثباته فانه ليس من علم الحديث في شيء ، وهو جري على القول في الدين بالهوى والرأي حتى انه انكر بعض احاديث الصحيحين بغير علم ، فهو ينكر ما لا يوافق عقله ورأيه

ذكر المفتي للدليل

لنكمم ذكرتم في السؤال عبارتنا التي استنبطتم السؤال منها فانا لا تذكر مسألة الشرطية ولا تسكرها ، وانما نذكر اننا كتبنا مراراً انه ينبغي للمعلم والمفتي في الدين أن يبين للناس نصوص الكتاب والسنة في المسائل احر فوا اصل دينهم ، ومن ان أخذ الحكم الذي لقنوه أو افقوا به . وهذا هو الواجب الذي أخذ على اهل الكتاب المهد أن يبينوه

الناس ولا يكتموه ، فإذا تصدر أو تمذرو على بعضهم فربما الآية أو الحديث بمد يانه
بقدر الاستطاعة خرج المتي من تبعة الكتاب . واما المسائل التي لا نص فيها بينها
وتعذر على السائل فهم مأخذها ، كبعض مسائل الموارث التي يدخلها العول مثلا ، فلا
بأس ببيان الحكم فيها بدون ذكر مأخذها . واما تنويد الناس اخذ مسائل الدين بدون
وصلها بأصلها من الكتاب والسنة فهو قطع لحبل الله ورسوله بين المؤمنين ، وهو الذي
فتح البابلية وغيرهم من المضايين ، باب اضلال المسلمين . اذ صارت العامة تقبل كل ما يقال
لها انه من الدين . - فهذا سبب ما رأيتوه وسميتوه اشتراطاً ، ولولا ضبط الوقت
اراحتنا ما تشيرون اليه من مظانه واجبتا عند بعينه ، والخطب سهل ان شاء الله تعالى .

باب الانتقاد على المنار

في نقد عبارة في المنار ، والمناظرات بين دعاة النصرانية وعلماء الاسلام
ارسل اليها طاهر اخندي التتير من بيروت بذتين في الرد على دعاة النصرانية
الذين فتح لهم الدستور باب الجراءة على توزيع رسائل الطعن في الاسلام في سورية
حتى قاربوا ان يجهروا فيها كما يجهرون في مصر ، وقد رأينا في كل من البذتين
تمذودا في التعبير غذفنا ونقحنا وتصرفنا في العبارة مخذف بعض المعاني الشعرية
التي تؤثر تأثيرا رديئا بلا فائدة . وقد ظهر لنا بعد ذلك انه جني في الكلام ما يستند
على الكتاب ، وكذا على الناشر ، لانه يؤلم القارئ من النصاري ، اذ كاشفنا
بعض اصدقاتنا السوريين بما انتقدوه ، وقالوا ان مثل هذا لا يعهد من المنار ، فهو
يرد على المبشرين من ستين طوية ولم ننتقد عليه كلمة واحدة تعد جارحة أو بعيدة
عن الأدب ، ثم انه قد عرف بأنه داعية وفاق ومودة ، فلا ينبغي له ان ينشر لمن
لا يراعون مشربه هذا ما ينافي . فرأينا ان نكتب كلمات في هذا الموضوع
تزيل اللبس ، فنكرن هي القول الفصل ، وهي :

- (١) اننا نريد الله تعالى ان يجعلنا من دعاة الوفاق والمودة ، ومن محبي الأدب والزهادة ،
وانه ابرهنا ونحن نرا ان تقع في سمراد غلط يتاني ذلك وبما رخصه ، واننا نغري
سارع الى التوبة والندم ، ونعلا في ما يمكن تلافيه بما يحمله الطائفة ، وماله الاستطاعة .
- (٢) ان المنار لا يمتثل فيه النصاري كما يشترك المسلمون في محبتهم الدينية - دعى
نسيانية التي تسمى عامة - فلا يوجد في مشاركهم عشرة نفر من النصاريين لا اجل هذا
لا نحشر في بلنا عند كتابة كل شيء . فربما ان راسم فيه من قديم قهوسهم ، ربنا فيه
و من راسم في الأدب ، فلو لم نكتبه لكانه راسم . فربما ان راسم فيه من قديم قهوسهم ، ربنا فيه
و من راسم في الأدب ، فلو لم نكتبه لكانه راسم . فربما ان راسم فيه من قديم قهوسهم ، ربنا فيه

الواسعة ، فإذا هم استنكروا شيئاً لا يذيعونه في جمهور قومهم ، ونتيجة هذا أن ما ينشره المنار لا تأثير له في عامة النصارى حتى يقال أن الحملات كالجرائد يجب أن يراعى فيها شعور جميع الملل التي تقيم في الوطن التي تصدر فيه أو تنطق باللغة التي تكتب بها . فهو إذا من كتب الاسلام الدينية ، فلا وجه لمطالبتنا بأن يراعى شعورهم فيه ، ولا لدعوى أن ما ينشر مخالفاً لعقائدهم أو رداً عليها بوجوب التفرقة والمداوة .

(٣) إن دعاة النصرانية هم المعتدون على المسلمين بالظعن في دينهم بما ينشرون من الكتب والرسائل والصحف ، وبما يعقدون من المآجيع لدعوة المسلمين الى دينهم وفي مدارسهم ومستشفياتهم ، فصار من الواجب علينا شرعاً أن ندافع عن ديننا ، وننفر عوامنا عن قبول دعوتهم . فالفرق بيننا وبينهم أنهم مهاجمون ونحن مدافعون ، وانهم يكتبون مطاعنهم لينشروها في المسلمين ، كما ينشئون مطاعنهم القولية فيهم ، ونحن لا نشر مطاعننا بين النصارى ولا نشافهم بها ، ولا يكاد يطلع عليها الا عدد قليل من محبي الوقوف على الشؤون العامة . فن ياتخذ ما نكتبه بدعوى أنه بوجوب المداوة والتفرقة بين عامة الفرقين مخطيء ، وانما يكون مصيباً اذا قال ذلك فيما يكتبه اهل ملته ودينه ، لانهم ينشرونه بين المسلمين فيفرونهم من النصارى ، ولا يغفل عن هذا او يتغافل عنه الا الغالي في التعصب .

(٤) قال بعض اصحابنا إن الطاعنين في الاسلام من النصارى كلهم من الاجانب كالامريكيين والانكليز لا من ابناء وطننا ، فلا ينبغي ان نسيء الى ابناء وطننا بردنا عليهم . وتقول (اولاً) أن هذا القول غير صحيح ، فكتاب (الضلالة) المسمى بضد اسمه تأليف رجل من متعصبى القبط وهو افذر هذه الكتب وأقبح أدبها في الطعن في نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكتاب ابحاث المجتهد من مؤلفه سوري ، بل أقول ان أكثر تلك الكتب والرسائل والصحف الطاعنة في الاسلام يكتبها أجراء المبشرين من الوطنيين او يترجمونها اذ لا يكاد يوجد في أولئك الاجانب من يحسن الكتابة العربية ، وانما ينشرها الاجانب لان لديهم أموالاً كثيرة مرصدة لذلك من اهل بلادهم الذين يقول لنا ابناء وطننا أنهم هم البراءة من التعصب الدينى دون اهل الشرق . ولأن لهم من الامتيازات والنفوذ السياسى التي تمنحهم من سلطة الحكومة . ونحن نرى جمهور الوطنيين من ذنب أولئك الاجراء ولا نعدده مانعاً من الاتفاق بيننا وبينهم (وثانياً) اذا فرضنا ان هذا المدعى من الاجانب خاصة ، فهل من العدل ان يطالبنا النصارى ببلادنا بأن لا نرد عليهم ، ولا ننشر عوامنا ونحول دينهم وبين انفسهم لعقائدهم ، لان دفاعنا عن ديننا يجرح عواظهم الدينية ؟ أليس متعصبى التعصب والسعي للمداوة والتفرقة ان يطالب ابن وطنك بأن يترك الدفاع عن دينه ، ونعلم اهل ما يصرونهم عن الارتداد عنه . أو عن فسك العقيدة الذي قلما تسبح دعوة المبشرين

غيره، وأن رضى أن يكذب قرآنه ويشتم رسوله، إكراماً لحاطرك، ومراعاة لهواظك؟
 (٥) ان القاعدة الصحيحة المقولة للاتفاق هي قاعدة المنار الذهبية التي دعا اليها المختلفين في المذاهب والاجناس من المسلمين، والمختلفين في الاديان والاجناس من العثمانيين . وهي « تتعاون على ما نشترك فيه . ويعذر بعضنا بعضاً فيما نخاف فيه » وقد شرحتها غير مرة ولكن كثيراً من الناس لا يحبون الوفاق ، ومنهم اعوان المبشرين من الوطنيين ، وبعض الكتاب والصحافيين ، كالشيخ يوسف الحازن من نصارى السوريين ، الذي وضع قاعدة للخلاف ، ضد القاعدة التي وضعها للوفاق ، وصرح بها في ملاء من أدباء نصارى السوريين كنت اكلهم في وجوب السعي الى الوفاق والوحدة . فسخر من هذه الدعوة ، وقال : اذا كان الخلاف بين مسلم ونصراني فاما مع النصراني على المسلم كيفما كان - أي في الحق والباطل ، واذا كان بين كاثوليكي وغير كاثوليكي فأنامع الكاثوليكي مطلقاً ، واذا كان بين كاثوليكي ماروني وكاثوليكي غير ماروني فاما مع الماروني مطلقاً قال وكل الناس كذلك . فمثل هذا لا يذر المسلمين في كلمة يخالفون فيها النصارى ولا يقوهم ولو في كتبهم وصحفهم الخاصة بهم اننا على الحق والطاعن في ديننا على الباطل . ولذلك اقام النكير على المنار مرة لانه ذكر اسم المبشرين في سياق الكلام على ما افند بلادنا من سعي فساق الافرنج كواخير البغاء وحانات الخمر ويوت التمار . ونحن نرى المبشرين اشد إفساداً في بلادنا من غيرهم لان صاحب الحانة يحمل المسلم او يساعده على مخالطة الاسلام في امر واحد وهو السكر ، والمبشر يحمل على ترك دينه كله ، وزد على ذلك ان المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين انفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو اساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق . فمثل الشيخ يوسف الحازن من متعصبى النصارى السوريين ، وبعض اصحاب الجرائد من متعصبى القبط ، اشد سعيًا في التفريق بين المسلمين والنصارى من المبشرين الاجانب ، لانهم يخشون عن كلمة يقوها مسلم في الدفاع عن دينه فيجذبونها عن سببها والحامل عليها من الأعدار ويزفونها الى قومهم في صورة مشوهة وإذافات باطلة . وما بلغ المسكروه الا من قل (٤) ان مجالنا في الرد على النصارى احمق من مجالهم لاننا نؤمن بنبيهم المسيح ونعظمه ونعظم حواريه ، ونعد الطعن فيه كفراً وردة عن الاسلام (لا تفرق بين احد من رسله) وهم يطعنون بلا قيد ولا حد . فغاية ما يمكن ان يكتبه المسلم هو النقل من كتبهم الدينية او كتب احرار الاوربيين بشرط اظهار البراءة من كل مالا يليق بكرامة المسيح او غيره من انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، والتصريح بأن نقل ما ذكر من باب (ناقل الكفر ليس بكافر) واننا لا احب لثمنى سلوك هذه الطريقة . وهي التي اضطر اليها بعض من كتب في المنار ، وكتابة التنبيه من

هذا الباب، واني حبا في الزاخرة والأدب، وكراهة للشعريات في المناظرة والجدل، عملا بقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن) قد تقهتها ، فاذا كان قد بقي فيها كلمة شاذة ككلمة التالوث الزناني في سياق قصة ولادة سليمان عليه السلام ، فاننا ذلك من السهو الذي يظهر بما نبين من سببه ، وهو ان الكاتب جعل عنوان مقاله (التالوث الزناني المقدس) وصدر الكلام في كل قصة من القصص الثلاث التي نقلها من التوراة بقوله (الاقنوم الاول من التالوث الزناني المقدس) الخ وكان يختمها بنقل هذه الكلمة ، ويكررها في أثناء العبارة ، فرجنا (شطبنا) كل هذه الكلمات لان فيها امتنانا لاصطلاحات محترمة ، وغرضنا من تحذير عوام المسلمين من الاستجابة للمبشرين لا يتوقف على ذلك ، ولا هو مما يرضاه آدابنا ، وجعلنا مكان كلمة الاقنوم كلمة الجدة ، وحذفنا لفظ التالوث من العناوين ومن تضاعف الكلام ، واتفق اننا لم نقرأ تلك الاوراق في وقت واحد لكثرة الشواغل وضيق وقتنا عنها ، ولذلك جعلنا في القصة الثالثة لفظ (الشاهد) بدل (الجد) وبقي في آخرها كلمة « التالوث الزناني » على انني اذكرك جيدا انني حذفته هذه العبارة التي كانت في العنوان الاول وتكررت في الكلام . فلا أدري اكان يرميها (شطبها) غير ظاهر فجمعت حروفها ، ام كنت قد نسبتها لاني قرأت تلك الورقة التي هي فيها وحدها . ولهذا قلت فيها الشاهد الثالث بدل الجدة الثالث . وقد ظهر بهذا الذي شرحت ان هذه الكلمة قد بقيت في المقالة كالعضو الاثري . وان اللام فيها لام العهد الذكري . اي التالوث الذي تقدم ذكره . واني لما ذكرت لي ما صدقت حتى راجعت ورأيتها بعيني . وقد امتعضت امتعاضا شديدا ظهر علي وسثلت عن سببه . فان من خلقي وغيري أن انال مما يقع مني مخالفا لمشيروني ورأيي ، ولو سهوا او نسيانا . ولا أبالي بما ينتقده الناس اذا كنت اعتقد انه حق وصواب وغير خارج عن حدود الآداب . ومثل هذا الغلط والسهو يقع كثيرا وفي هذا الجزء من المنار غلط في آية من القرآن غفلنا عنها . لاجل هذا قلت لمن نهينى ولغيره : اني أحب ان أتلافى هذا الخطأ بما يرضي المتألمين ، منه وادع لاهل الانصاف من النصارى اقتراح ما يرونه ويرضونه من اعتذار او انتقاد لما كتب ، او حذف الكراسة من المنار وطبع كراسة بدلا خالية من كل كلمة جارحة . وانما اقبل في هذا قول المعتدلين البراءة من التعصب كاسكندر بك عمون وسامي افندي الجزائري من فضلاء المحاميين السوريين . على ان هذه الكتابة يصح ان تعد رضية للمنصفين ودليلا على اننا لم نشر تلك العبارة عمدا . وانما المتعصبون فلا يرضيهم منا الاخر وحننا من ديننا . فلا زالوا ساحطين وقد سموا مع بعض المبشرين من قبل لاقناع الوكالة البريطانية بالقضاء المنار ومنع اصداره ظنا منهم بان الجوى يخلو لهم ولغيرهم من اعداء الاسلام فلا يتجرأ احد على الرد عليهم .

(٧) ان سبب نشر هذه المقالة والمعنى الذي اردنا ان يفهمه المسلمون منها هو ان

إيماننا بالمسيح والانبياء اصبح من إيمان المبشرين، وتكرينا لهم خير من تكريمهم، فهم قد جمعوا فيما قالوه في المسيح عليه السلام بين الضدين فأطروه حتى أخذوه ربا وإلهاء، ونقلوا في نسبه لاهم وأبيه الناموسي (الاحقيقي) انه من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا وقد ثبت في العهد العتيق عندهم (لا عندنا) ان بعض أجداده في هذا النسب (الذي سردته متى ولوقا في انجيلهما) من اولاد الزنا. وثبت عن مقدسهم بولس أنه صار لعنة لأجلهم. ونحن المسلمين نقول انه عليه السلام اهل لكل كرامة وفضيلة، وانه من روح الله وآية منه، ولكن ما أخذ الله من ولد وما كان معه من الهو ونقول انه طاهر من نسب طاهر، فتحن نقول ما نقلنا عن العهدين العتيق والتجديد مما لا يسهم إنكاره، لاقامة الحجة عليهم، وإعلاما لعامة اهل ديننا باننا لسنا في حاجة الى من يدعونا الى الايمان به عليه السلام، بل نحن أحق بأن ندعوا هؤلاء الدعاة الى تبرئته من اللعنة ومن دنس النسب، كما نرى سائر الانبياء عليهم السلام مما لا يلبق بهم، ونحو التراب في فم من يزعم اننا نقول كلمة فيهم تشهر بنقصهم. قال الابوصيري رحمه الله في لاميته

وأنيك ما أعطى يهوذا خاتما لزنا بمحصنة ولا منديلا

لنوروا بغير الحق السنة بما قالوه في ليا وفي راحيلا

ودعوا سليمان النبي بكافر واستهوتوا افكاه عليه مقولا

﴿ ٨ - صفوة الكلام وفصل الخطاب ﴾

ان المسلمين مدافعون لامعتدون، وهذا الدفاع فرض ديني عليهم، والمنار الذي يرد عليهم يوزع على المسلمين أيضا ليحذروهم من الارتداد عن دينهم أو يحول دون شكهم فيه، والمشترون فيه من غير المسلمين يعدون على اصابع اليد، فإي يكتبون يثير سخف الرأي العام الاسلامي، ولذلك طفق المسلمون يؤلفون الجمعيات في مصر لمقاومتهم وما يكتبه المسلمون على كونه دفاعا لا يكاد يشعر العالم النصراني لانه يوزع على المسلمين دونهم، الا اذا بحث عنه بعض المتعصبين من اصحاب الصحف او غيرهم. والمعلول يدوم بدوام عذبه. فتحن لا تترك الرد عليهم ما داموا يدعوننا الى دينهم قولاً وكتابة ويتعرضون في خطبهم وكتبتهم وصحفهم لديننا، فان تركوا تركنا، واذا استمروا استمررنا، ولنلزم الادب في العبارات بقدر فهمنا واجتهادنا، فمن كان ساعيا في منع ذلك باخلاص وحج للوفاق فليبدأ بأسكات المبشرين عن ذكر كتابنا ونبينا واصول ديننا وفروعه، ويبقى لهم مجال واسع في الدعوة الى دينهم بذكر محاسنه وما عندهم من الدلائل عليه، ومن لم يرضه منا الا ان نكتب لهم عن الطعن في ديننا والتفكير عنه والتحرير انصوحه فلا زال ساخطاً غاضباً حاقداً - الى ما شاء من لوازم تعصبه - ولعل سوء تأثير هؤلاء المبشرين سيضطّر الحكومة والمعتدين الى وضع حد لهذا الامر إما بقانون أو بغير قانون، ولا نظن أن الانكليز يجرؤونا على السكوت ويدعونهم فيفون كما يريدون

فصل^(*)

فحينئذ يعطاه منه على (المشهد الثاني عشر)

وهو مشهد الذل والانكسار ، والخضوع والافتقار للرب جل جلاله ، فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة واقفارا تاما الى ربه ووليه ، ومن يده صلاحه وفلاحه ، وهذاه وسعاده ، وهذه الحال التي يحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها ، وانما ندرك بالحصول ، فيحصل فيه كسرة خاصة لا يشبهها شيء ، بحيث يرى نفسه كالاناء المروض تحت الارجل الذي لاشيء فيه ، ولا به ولا منه ، ولا فيه منفعة ، ولا يرغب في مثله ، وانه لا يصلح للارتفاع الابحجر جديده من صانعه وقيمه ، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه اليه من الخير ، ويرى انه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا ، فأني خير ناله من الله استكثره على نفسه ، وعلم أن قدره دونه ، وأن رحمة ربه اقتضت ذكره به وسياقته اليه ، واستقل ما من نفسه من الطاعات لر به ، ورآها ولو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما ينبغي لر به عليه ، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه ، فان الكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله ، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ! وما أدنى النصير والرحمة والرزق منه ! وما أظن هذا المشهد له وأجداه عليه ! وذرة من هذا ونفس منه أحب الى الله من طاعات أمثال الجبال من المداين المهجين بأعمالهم وعالومهم وأحوالهم وأحب القلوب الى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة ، وملكته هذه الذلة ، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه اليه حياء وخجلا من الله . قيل لبعض العارفين : أيسجد القلب ؟ قال : نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم الاقاء . فهذا مسجود القلب ، فقلب لا تبصره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه . واذا سجد القلب لله هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح ، وضنا الوجه حينئذ للحي القيوم ، وخشم الصوت والجوارح كلها ، وذلل العبد وخضع واستكان ، ووضع خذعه على عتبة العبودية ،

(*) تابع لما نشر في ص ١١٣ من المجلد السابع عشر

ناظرا بقلبه الى ربه ووليه نظر الدليل الى العزيز الرحيم ، فلا يرى الا متملقا لربه خاضعا له ، ذليلا مستعطفا له ، يسأله عطفه ورحمته ، فهو يترضى ربه كما يترضى الحب الكامل المحبة محبوبه المالك له ، الذي لاغنى له عنه ، ولا بد له منه ، فليس له هم غير استرضائه واستعطافه ، لانه لا حياة له ولا فلاح الا في قر به ورضاه عنه ، ومحبه له ، يقول : كيف أغضب من حياتي في رضاه ؟ وكيف أعدل عن معادتي وفلاحي وفوزي في قر به وحبه وذكره ؟

وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يفتنوه بأطيب الطعام والشراب واللباس ، ويريه أحسن الترفيه ، ويرقيه في درجات الكمال أتم ترقية ، وهو القيم ، صالحه كلما ، فبعشه أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدو فأمره وكنفه وشده وثاقا ، ثم ذهب به الى بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب ، وعامله بضد ما يكون أبوه يعامله به ، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه اليه الفينة بعد الفينة ، فيبيح من قلبه لواجع الحشرات كلما رأى حاله ، وتذكر ما كانت عليه ، وكل ما كان فيه . فبينما هو في أسر عدوه يسومه سوء العذاب ، ويريد نحره في آخر الامر ، اذ حانت منه التفاتة الى نحو ديار أبيه ، فرأى أباه منه قريبا ، فسعى اليه ، وألقى نفسه عليه بين يديه ، يستغيث يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه ! أنظر الى ولدك وما هو فيه ، ودموعه تستبق على خديه قد اعتنقه والنزعة ، وعدوه في طلبه ، حتى وقف على رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك له . فيل تقول ان والده يسلمه مع هذه الحال الى عدوه ويخلي بينه وبينه ؟ هذا الظن ؟ هو أرحم بعبد من الوالد بولده ، ومن الوالدة بولدها ؟ اذ فر اليه ، وهرب من عدوه اليه ، وألقى نفسه طريحا ببابه ، مرغ خده في ثرى أعتابه ، با كيا بين يديه يقول : يارب ! يارب ! ارحم من لا واهم له سواك ، ولا ناصر له سواك ، ولا موثي له سواك ، ولا مفيت له سواك ، مسكينك وقهرك وسائلك وموئلك ومرجيك ، لا ملجأ له ولا منجأ له منك الا اليك ، أنت معاذه ، وبك ملاذه

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يهجر الناس عظما أنت كاسره ولا يهبطون عظما أنت جابره

﴿فصل﴾

فاذا استبصر في هذا المشهد ، وتمكن من قلبه ، وباشره وذاق طعمه وحلاوته ، ترقى منه الى (المشهد الثالث عشر) وهو الغاية التي شمر اليها السالكون ، واما القاصدون ، ولحظ اليها العاملون

وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق الى اقائه والابتهاج به ، والفرح والسرور به ، فتقرب به عنه ، ويسكن اليه قلبه ، وتطمئن اليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية ، وارادات التقرب اليه والى مرضاته ، مكان ارادة معاصيه ومساخطه ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات ، مكان حركاتها بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبته ، ولحج لسانه بذكره ، وانقادت الجوارح لطاعته ، فان هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه .

ويحكى عن بعض العارفين قال : دخلت على الله من ابواب الطاعات كلها فادخلت من باب الادب : فله الزحام فلم أتمكن من الدخول ، حتى جئت باب الذل والافتقار فاذا هو اقرب باب اليه واوسع ، ولا مزاحم فيه ولا معوق ، فما هو الا ان وضعت قدمي في عتبة فاذا قد اخذ بيدي وأدخلني عليه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : من اراد السعادة لا بد ان يغلبه نية العبودية . وقال بعض العارفين : لا طريق اقرب الى الله من العبودية ، ولا حجاب اغلظ من الدنوى ، ولا ينفع من الاعجاب والكبر عمل وجهته . ولا ينفع مع الذل والافتقار طاعة ، يعني بعد فعل الفرائض .

واقصد ان هذه الذلة والكسرة الخاصة قد دخله على الله ، وربه على طريق المحبة ، ففتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق ، وان كانت طرق سائر الاعمال والطاعات تفتح لاعتاد ابواباً من المحبة ، لكن الذي يفتح بها من الطريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ، ورفقها بوجع الضمير والعجز والسبب والنقص والذم ، بحيث يشاهدها ضئيلة وعجزاً ونهزلاً وذليلاً وخفلة ، نوع آخر . وفتح آخر . والسالك بهذه الطريق غريب في الناس . هو في ود وهم في النار . وهي تسمى طريق الطير ، يسبق الذئب فيها على فراشه السادة فيسبغهم ، وقد قطع الزواكب ،

بيننا هو يحدثك وإذا به قد سبق الطرف وفات السماء . فآله المستعان وهو خير
 العافرين . وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده ، فآله
 سبحانه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح وأكمله ، فكلما طالع العبد نفسه
 سبحانه عليه قبل الذنب وفي حال مواقفته وبعبده ، وبره به وحملته عنه واحسانه
 اليه . هاجت من قلبه لواعيج محبته والشوق الى لقائه ، فان القلوب مجبولة على حب
 من احسن اليها ، واي احسان أعظم من احسان من يبارزه السيد بالمعاصي ، وهو
 عبده بنعمه ويماله بالطفاه ، ويسبل عليه ستره ، ويحفظه من خطائاته أعدائه
 المقربين له ادنى عثرة ينالون منه بها بنيتهم ، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه ،
 وهو في ذلك كله بعينه يرامو يطلع عليه ، فالسما تستأذن ربه ان تهبه والارض
 تستأذنه ان تضيف به ، والبحر يستأذنه ان يفرقه ، كما في مسند الامام احمد عن
 النبي صلى الله عليه وسلم « ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يفرق ابن آدم ،
 والملائكة تستأذنه ان تعاجله وتهلكه (١) والرب تعالى يقول : دعوا عبي فأننا أعلم به
 اذا نشأته من الارض ، ان كان عبيكم فشا نكم به ، وان كان عبي فني الى عبي
 وعزتي وحلاي ان أتاني ليل قتلته ، وأن أتاني نهارا قتلته ، وان تقرب مني شعرا
 تقربت منه ذراعا ، وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، وان مشى الي عرولت
 اليه ، وان استغفرني غفرت له ، وان استغاني أقلتته ، وان تاب الي تبت عليه . من
 اعظم مني جودا وكرما وانا الجواد الكريم ؟ عبيدي هيدويست بارزوتي بالخطائم ،
 وانا أكلوهم في مضاجعهم ، وأعرضهم على فرشهم ، من اقبل الي قتيته من بيده ،
 ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيده ، ومن تصرف بجولي وقوتي له الخديده ،
 ومن اراد مرادي ردت ما يريد . أهل ذكري أهل عيالي ، وأهل شكري أهل
 زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي ، ان تابوا
 الي فانا حبيهم ، وان لم يتوبوا فانا طيبهم ، أبتليهم بالمعائب ، لا أظهرهم من المعائب »

(١) أهل المراد ان الانساب عرضة للهلاك في البر والبحر بحمله وخطاياه ،

لولا عناية الله به ونسخيره هذه الخلوقات له . والسلام عن لسان الحال ، قد يكون

أفصح من لسان المقال

﴿ نموذج آخر من الكتاب ﴾

في بعض منازل اسير الى الله تعالى

فما تقدم هو نظر الصوفية في المصيبة واختلاف مشاهد اصناف الناس فيها بين من يعتبر ويندم ويزداد بعدها صلاحا ، ومن يرى انه مجبور ومعذور بالقدر ، ومن يرى انه مؤد لحق الطبيعة ووظائف الاعضاء الخ وذلك جاء كله في «باحث الثوبية» . واما هذا النموذج فهو من نظرهم في سبيل السالكين الى الله تعالى أي الى معرفته العليا وما لهم من المنازل في طريقهم

﴿ فصل ﴾

ثم ينزل القلب . نزل الاعتصام وهو نوعان : اعتصام بالله ، واعتصام بجبل الله . قال الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير) والاعتصام افتعال من العصمة وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المخذور والخوف ، فالعصمة الحمية ، والاعتصام الاحتماء ، ومنه سميت القلاع العواصم ، لمنعها وحمايتها . ومدار السعادة الدنيوية والاخرية على الاعتصام بالله ، والاعتصام بجبله ، ولا نجاة الا لمن تمسك بهذين المصمتين .

فاما الاعتصام بجبله فانه يعصم من الضلالة ، والاعتصام به يعصم من الملكة ، فان السائر الى الله كالسائر على طريق نحوه مقصده ، فهو محتاج الى هداية الطريق والسلامة فيها ، فلا يصل الى مقصده الا بعد حصول هذين الأمرين له ، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة ، وان يهديه الى الطريق ، والعدة والقوة والسلاح بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفتها ، فلا اعتصام بجبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل ، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلزم بها في طريقه ، ولهذا اختلف عبارات السلف في الاعتصام بجبل الله بعد إشارتهم كلهم الى هذا المعنى ، فقال ابن عباس : تمسكوا بدين الله . وقال ابن مسعود : هو الجماعة . وقال : عليكم بالجماعة فانها جبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة ، خير مما تحبون في الفرقة . وقال مجاهد وعطاء : بهد الله . وقال قتادة والسدي وكثير

من أهل التفسير : هو القرآن . قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان هذا القرآن هو جبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعة . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن « هو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاعقواء ، ولا يختلف به الأسان ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تسبع منه المياه » وقال : « قاتل باسم الله وطاعته ، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى . وفي المواد من حديث مالك عن سهيل بن أبي صالح عن ابيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرضي لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضي لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بجبل الله جميعا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم . ويسخطكم قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه مسلم في الصحيح .

قال صاحب المنار : « الاعتصام بجبل الله هو المحافظة على طاعة مراقبة الامر » ويريد بمراقبة الامر القيام بالطاعة لأجل ان الله أمر بها وأنها لا تخرج عن الطاعة أو لعلها باعثة سوى امثال الامر ، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديثه : « هي العروة بعبادة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وركب نصية نبي من الأنبياء . تخاف عقاب الله . وهذا هو الايمان والاحتساب المشددين في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من صام ومضاهى ابتغاء واحتمل من من قام ليلة القدر ابتغاء واحتسابا ... غفر له » فالحاصل والقيام هو طاعة ، ولا يان مراقبة الامر (١) . واخلاص الباعث هو ان يكون الايمان القادر (٢) لا شيء سوى طاعة الله . رجاء ثواب الله ، فالاعتصام بجبل الله يعني من البعد عن التفتت بغير الله تعالى .

(١) ضبط في نسخة اسم الشاهد . وفي نسخة اخرى الامر بعبادة المصدر وهي الموافقة لقول صاحب المنار : « فاسمها (١) » . وفي نسخة اخرى في نسخة علامة المد ، وفي نسخة اخرى ، والنصوات بالفتحة ، أي ان هذا في النص يجب ان تكون اسم فاعل معرف والاولى هي المصدر .

﴿ فصل ﴾

وأما الاعتصام به فهو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتواء به ، وسؤاله ان يحبي العبد ويعينه ويصممه ويدفع عنه ، فان ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد ، والله يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به كل سبب يقضي اني العاطب ، ويحميه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات ويكده عدوه الظاهر والباطن ، ويصرف نفسه . ويدفع عنه موجب آسياب الشر بعد انعقادها ، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه ، فيفتقد في حقها أسباب العاطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قدره بقدره ، واداته بآداته ، ويعينه به منه .

فصل

وأما صاحب المنازل فقال في الاعتصام بالله العزقي عن كل موهوم في الموهوم عنه ، ما سوى الله تعالى . والعزقي منه المصمود من شهود نفسه وبصره ، وعطائه وعنده وتأثيره ، الى الله تعالى . وهذه إشارة الى الفناء ، ومراده المصمود عن شهود ما سوى الله الى الله ، والكران في ذلك المصمود عن ارادة ما سوى الله الى ارادته . والاعتصامي بنفسه بالمصمود عن وجود ما سواه الى وجوده ، بحيث لا يرى لغيره وجودا البتة ، ويؤمن بوجوده ككل موجود هو وجوده ، فلا وجود لغيره الا في الوهم الكاذب عند

قال في مجموع على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالتعظيم والاستسلام ، واذا ما تصديق الوعد والتعظيم ، وتعظيم الامر والذمي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والاعتصاف ، يعني ان العامة اعتصموا بالتعظيم الوارد عن الله استسلاما من غير منازعة ، بل ايماناً واستسلاماً ، وانقادوا الى تعظيم الامر والذمي والادعاء لهما ، والتعظيم بالوعد والتوعد ، واسسوا معاملتهم على اليقين ، لا على الشك والتردد (١) وسلكوا طريقة الاحتياط كما قال القائل :

نعم التوهم والتعظيم كلاهما لا تلتفت الا لهما قلت اليكما

ان صحيح قولكما طلست بحمار أو صحيح قولي فلخشيت عليكما

(١) وفي نسخة : لا على شك والترديد . ولعله وتردد

هذه طريق أهل الريب والشك ، يقومون بالامر والنهي احتياطاً ، وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا يحصل لصاحبها السعادة ولا توصله الى المآمن .

وأما الانصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه ، فهو الانصاف في معاملتهم لله ولخلقهم . فأما الانصاف في معاملة الله ، فإن يعطي المبودية عقاباً ، وأن لا ينازع ربه صفات الآيته التي لا تليق بالمبدول لا تنبغي له ، من العظمة والكبرياء والجبرية . ومن انصافه له ان لا يشكر سواه على نعمه وينساه ، ولا يستعين بها على معاصيه ، ولا يحمده على رزقه غيره ، ولا يعبد سواه ، كما في الاثر الإلهي « أني والجن والانس في نبي عظيم : أخلقُ وبعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي » وفي أثر آخر « ابن آدم ما انصفني ، غيري اليك نازل ، وشرك اليّ ساعد ، أنجب اليك بالنعم ، وأنا عليك غني ، وتبخص اليّ بالمعاصي وأنت فقير اليّ ، ولا يزال الملك الكريم يعرج اليّ منك بمسبل قبيح » وفي أثر آخر « يا ابن آدم ا ما من يوم جديد ، الا يأتيك من عندي رزق جديد ، وتأتي عنك الملائكة بعمل قبيح ، تأكل رزقي ونصبي ، وتدعوني فاستجب لك ، ونسألي فأعطيك ، وأنا أدهوك الى جني فتأبى ذلك ، وما هذا من الانصاف » وأما الانصاف في حق العبيد فإن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به . ولعمرك الله هذا الذي ذكر أنه اعتصام العامة هو اعتصام خاصة الخاصة (١) في الحقيقة ، ولكن الشيخ ممن رفع له علم الفناء فقدم اليه ، فلا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا يرى مقاما أجل منه .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الارادة قبضاً ، واسبال الخلق عن الخلق بسطاً ، ورفض الملائق عزماً ، وهو التمسك بالبرودة الوثوق) يريد انقطاع النفس عن اغراضها من هذه الوجوه الثلاثة ، فيصون إرادته ويقبضها عما سوى الله سبحانه ، وهذا شبيه بحال أبي يزيد فيما أخبر به عن نفسه لما قيل له : ما تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد

(الثاني) إسبال الخلق على الخلق بسطاً . وهذا حقيقة التصوف فانه كما قال ابو بكر الكتاني : التصوف خلق فن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . فان حسن الخلق وتزكية النفس بمكارم الاخلاق ، يدل على سمة قلب صاحبه ، وكرم نفسه وبسببته . وفي هذا الوصف يكف الاذى ويحمل الاذى ، ويوجد الراحة ، ويدير خدع الايسر لمن لطم الايمن ، ويعطي رداءه لمن سلبه قميصه ، ويمشي يمين مع من سخره . ميلا (١) وهذا علامة اقتطاعه عن حظوظ نفسه واغراضها .

وأما رفض السائق عزماً ، فهو العزم التام على رفض العلائق وتوكلها في ظاهره وباطنه ، والاصل هو تعلم علائق الباطن ، فتى قطعها لم تنصره علائق الظاهر ، فتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر ، ومتى كان في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء . قيل للامام أحمد : أياكون الرجل زاهدا ومعه الف دينار ؟ قال : نعم على شريطة ألا يفرح اذا زادت ولا يحزن اذا نقصت . ولهذا كان الصحابة أزهق الامة مع ما بأيديهم من الأموال . وقيل لسفيان الثوري : أياكون ذو المال زاهدا ؟ قال : نعم إن كان اذا زيد في ماله شكر ، وان نقص شكر وبصر . وانما يحدد قطع العلائق الظاهرة في موضعين : حيث يخاف منها ضررا في دينه ، أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجعة ، والكمال من ذلك قطع العلائق التي تصير

(١) قوله : وفي هذا الوصف الخ يريد به تزكية النفس ، وهو غير حسن الخلق فان التزكية تهذيب فهي مبدأ ، وحسن الخلق غاية . وفي طور التزكية والتهذيب يحسن ما ذكره من العدل بوصايا الانجيل ، كقوله : من لطمك على خدك الايمن فأدركه الايسر . الخ ودين المسيح كله تمهيد للدين محمد عليهما السلام ، بل هما دين واحد جاء القسم الاول منه تمهيدا للثاني ، كما اخبر المسيح اصحابه بأنه لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء ، وبشرتهم بأنه سيأتي بعده البارقليط الذي يقول كل شيء من حقائق الدين . وهو محمد (ص) بدليل أنه لم يبق بعده في غيره ، وأنه هو الذي بين كل شيء . وفصل بين السائر الى الله تعالى بالتزكية والتهذيب وبين الواصلين اليه ، وبين فضايق البدل والاحسان وغير ذلك

كلاليب على الصراط تمنحه من العبور ، وهي كلاليب الشهوات والشبهات ، ولا يضره ما تعلق به بعدها .

﴿ فصل ﴾

قال (واعتصام خاصة الخاصة بالانصال ، وهو شهود الحق تفريدا ، بعد الاستحذاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا) لما كان ذلك الانقطاع ، موصلا الى هذا الانصال ، كان ذلك للتوسطين ، وهذا عنده لأهل الوصول . ويعني بشهود الحق تفريدا ، أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه ، وذلك لفناء الشاهد في الشهود ، والحواة في ذلك عند القوم على الكشف . وقد تقدم ان هذا ليس بكال ، وان الكال ان يقف بمراده عن مراد نفسه . واما فناؤه بشهوده عن شهود ماسواه ، فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم .

وأما قوله بعد الاستحذاء له تعظيما . فالشيخ قدس الله روحه لكثرة لهجه بالاستعارات عبر عن معنى لطيف عظيم بالغة الاستحذاء التي هي استعمال من المأذنة ، وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المأذني خارجا عما حاذاه . بل قد واجبه وقابله بكينته وجميع اجزائه . (١) ومراده بذلك القرب وارتفاع الوسائط المأذنة منه ، ولا ريب ان العبد يقرب من ربه ، والرب يقرب من عبده ، فاما قرب العبد فكما قوله تعالى (واسجد واقترب) وقوله في الاثر الاتي « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » وكقوله « وما تقرب اليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه » ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه ، فاما احبته كنت سمعته الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبما يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي » وفي الحديث الصحيح « أقرب

(١) هذا التفسير للاستحذاء لم نجده في معجم اللغة كلسان العرب والفارسي ونرجحه بل العرف فيها ان معني استحذى فلان فلانا ، طلب منه أن يلبسه حذاء . كما تعلمه واستكسأه ، وأطلق أن الاستحذاء في كلام المروني بطاء المعجمة وهو الخشوع والانكسار لله تعالى . واما تكلف المصنف له هذا التفسير لأنه وجد نسخا تنازل تذكره الاستحذاء بالمهمل

ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الأخير « وفي الحديث أيضاً أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فقال « يا أيها الناس أربعو على أنفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غافاً ، ان الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فمهر الشيخ عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لا تفرعون عابديه وأوليائه الاله ، بالاستحذاء . حقيقة موافاة العبد الى حضرة وقدامه وبين يديه ، عكس حال من نبذه وراء ظهره ، واعرض عنه ونأى بجانبه ، بمنزلة من ولى المطاع ظهره ، وهال بشقة عنه .

وهذا الامر لا يدرك معناه الا بوجوده وذهوقه ، وأحسن ما يهر عنه بالعبارة النبوية المحمدية « وأقرب عبارات القوم انه التقريب برفع الوسائط التي بارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التعظيم . فلذلك قال: الاستحذاء له تعظيماً . ومن اراد فهم هذا كما ينبغي فليهم اسم الله تعالى الباطن وفهم اسمه القريب ، مع امتلاء القلب بحبه ، وطج اللسان بذكره . ومن هاهنا يؤخذ العبد الى الفناء الذي كان مشمراً اليه ، عاملاً عليه ،

فان كان مشمراً الى الفناء المتوسط وهو الفناء عن شهود سوى ، لم يبق في قلبه شهود لغيره البتة ، بل تصححل الرسوم وتنفى الإشارات ، ويبقى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء طوعاً ورجة لا كرهاً ، لأن هذا المقام امتزج فيه الحب بالتمظيم مع القرب ، وهو متين سقر الطالبين لمقام الفناء وان كان هذا مشمراً للفناء العالي ، وهو الفناء عن ارادة سوى ، لم يبق في قلبه مراد بزاحم مراده الديني الشرعي النبوي اقرآني ، بل يتجدد المرادات فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد . وهذا حقيقة المحبة الخاصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح . وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الارادة . فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه اقدام السالكين ، وضأت فيه افهام الراجدين . وفي هذا الباب (١) حقيقة بقاء من لم يكن ارادة وإثارة ومحبة وتطلياً وخوفاً

ورجاء وتوكلا ، ويتقى من لم يزل . وفيه "ترفع الوسائط بين الرب والعبد حقيقة ، ويحصل (١) له الاستحذاء لئلا يذكور مقرونا بضاية الحب وغاية التعظيم . وفي هذا المقام يجب داعي الفناء في المحبة طوعا واختيارا لا كرها ، بل يتميذ به الى ان يجذب الى المحبة قلب المحب وروحه الذي قد ملأت المحبة قلبه ، بحيث لم يبق فيه جز ، فارغ منه ، الى محبوبه الذي هو اكمل محبوب واجله واحقه بالحب . وهذا الفناء اوجبه الحب الكامل المتميز بالتمظيم والجلال والقرب ، وبحو ما سوى . مراد المحبوب من القلب ، بحيث لم يبق في القلب الا المحبوب ومراده . وهذا حقيقة الاعتصام به وبمحله والله المستعان .

واما قوله : والاشتغال به قربا . أي يشغله قرب الحق عن كل ما سواه ، وهذا حقيقة القرب . ألا ترى ان القريب من السامعان جدا المقبل عليه المكلم له لا يشغل بشيء سواه البتة ؟ فعلى قدر القرب من الله يكون اشتغال العبد به . والله اعلم .

﴿ فصل ﴾

ومن منازل اياك نعبد واياك نستعين (منزلة الفرار) قل الله تعالى (ففرروا الى الله) وحقيقة الفرار الهرب من شيء الى شيء ، وهو نوعان : فرار السعداء وفرار الاشقياء . فرار السعداء الفرار الى الله عز وجل ، وفرار الاشقياء الفرار منه لا اليه . واما الفرار منه اليه ففرار اوليائه . قال ابن عباس في قوله تعالى ففرروا الى الله ففرروا منه اليه ، واعملوا بطاعته . وقل سهل بن عبد الله : فرروا ما سوى الله الى الله . وقال آخرون : هربوا من عذاب (٢) الله الى ثوابه بالامان والطاعة .

وقال صاحب المنازل (هو الهرب ما لم يكن الى من لم يزل ، وهو على ثلاث

درجات : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل الى التشمير رجدا وعزما ، ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء / يريد بما لم يكن « الخلق » وبما لم يزل « الحق » وقوله : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا - الجهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومتقضاه ، فكلاهما جهل لانه يعرفا وشرعا

وحقيقة . قال موسى (أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) لما قال له قومه (أنتخذنا هزوا) أي المستهزئين (١) وقال يوسف الصديق (وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم . وقال تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) قال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل ما عصى الله به فهو جهالة . وقال غيره : أجمع الصحابة ان كل من عصى الله فهو جاهل . وقال الشاعر

ألا لا يجبهان احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، اما لانه لم يتفهم به فنزل منزلة الجهول ، واما جهله بسوء ما ينبغي عواقب فعله . فالفرار المذكور هو الفرار من الجهلين - من الجهل بالعلم الى تحصيله اعتقادا و معرفة و بصيرة ، ومن جهل العمل الى السعي النافع والعمل الصالح قصدا وسعيا .

قوله « ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما » أي يفر من اجابة داعي الكسل الى داعي العمل والتشمير ، بالجذل والاجتهاد . والجذل هو هاهنا صدق العمل واخلاصه من شوائب القصور ووعود التوسيف والتهاون ، وهو تحت السين وسوف وعسى ولعل . فهي اضر شي على العباد . وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات . والفرق بين الجذل والعزم ان العزم عزم الارادة واستجماعها ، والجذل صدق العمل وبذل الجهد فيه . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجذل فقال (خذوا ما آتيناكم بقوة) وقال (وكنتم في الاوضاع من كل شيء موعظة وتذنيلا لكل شيء فخذوها بقوة) وقال (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) أي بجهد واجتهاد وعزم ، لا لكن ياخذ ما أمر به بتردد وفنور .

وقوله « ومن الضيق الى السمة ثقة ورجاء » يريد هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والنوم والاحزان والخاوف التي تملئه في هذه الدار من جهة نفسه ، وما هو خارج عن نفسه مما يتلاقى باسباب مصالحة ومصالح من يتلاقى به ، وما يتفق بماله وبدنه وأهله وعنده ، - يهرب من ضيق صدره بذلك كله الى سعة قضاء الثقة

بأنه مبارك وتعالى ، وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجليل صنعه به ، وتوقع المرجو من لطفه وبره . ومن أحسن كلام العامة قولهم : لا هم مع الله . قل الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) قال الربيع بن خيثم : يجعل له مخرجا من كل ماضق على الناس . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . وهذا جامع لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة . فان الله يجعل للمعتني من كل ماضق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا . وقال الحسن : مخرجا مما نهاه عنه ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافي من يتق به في نوائبه ومهماته . يكفيه كل ما أهمه . والحسب الكافي « حسبنا الله » كافيا لله . وكما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ، فن الله لا يخيّب أملة فيه أبته . فانه سبحانه لا يخيّب أمل آمل ، ولا يضيع عمل عامل . وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة ، فانه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الايمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به

﴿ فصل ﴾

قل (و فرار الخلاصة من الخبر الى الشهود ، ومن الرسوم الى الاصول ، ومن الحفظ الى التبسيط) يعني انهم لا يرضون ان يكون ايمانهم عن مجرد خبر حتى يترقوا منه الى مشاهدة الخبر عنه ، فيطلبون الترقى من علم اليقين بالخبر الى عين اليقين بالشهود ، كما طلب ابراهيم الخليل صلات الله وسلامه عليه ذلك من ربه إذ قال (رب أرني كيف نبئ الموتى) قل : أألم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمين قلبي) فطلب ابراهيم ان يكون اليقين عيانا ، والمعالم مشاهدا . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله « نحن احق بالشك من ابراهيم » حيث قال « رب أرني كيف نبئ الموتى ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ابراهيم حاشاها من ذلك . وانما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة . هذا احد الأقوال في الحديث . وفيه قول ثان انه على وجه النفي ، أي لم يشك ابراهيم حيث قال ما قال ، ولم تشك نحن . وهذا القول صحيح أيضا . أي لو كان ما طلبه للشك لسكننا نحن احق به

منه ، لكن لا يطلب ما طلب شكنا ، وإنما طلبه طائفة .

فلما رتب ثلاث : علم يقين يحصل عن الخبر ، ثم يتجلى (١) حقيقة الخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين ، ثم يباشره ويلبسه فيصير حق يقين ، فعلنا بالجنة والنار الآن علم يقين ، فإذا أزلت الجنة للمؤمنين في الموقف ، وبُرزت الجميع للغاوين ، وشاهدوها عيانا ، كان ذلك عين يقين ، كما قال تعالى (ترون الجميع * ثم لترونها عين اليقين) فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين . وسنزيد ذلك أيضا إن شاء الله تعالى أدا انتهينا إليه .

وأما قوله « ومن الرسوم الى الاصول » يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل ، وبالاصول حقائق الايمان ومعاملات القلوب وأذواق الايمان وواوداته ، فيفر من إحكام العلم والعمل الى خشوع السر للعرفان ، فان أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الاعمال وظواهرها ، ولا يستدون الا بأرواحها وحقائقها ، وما يثبت لهم التعرف الإلهي وهو نصيبهم من الامر . والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الامر كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية ، بل يستخرج منهم حقائق الامر واسرار العبودية وروح المعاملة ، فحفظهم من الامر حظ العالم براد المشكك من كلامه تصرحاً وإيماءً وتذبيها وإشارة . وحفظ غيرهم منه حظ التالي لمحض بلا فهم ولا معرفة لمراذه ، وهؤلاء احوج شيء الى الأمر لانهم لم يصلوا الى تلك التعرفات والحقائق الالهية ، فالمحافظة عليه لهم علما ومعرفة وعملا وحالا ضرورة لا عوض لهم عنه التية .

وهذا انقدر هو الذي فات الزنادقة وقطاع الطريق من المتسبين الى طريقة القوم ، فانهم لما علموا أن حقائق هذه الاوامر هي المطلوبة ارواحها ، لا صورها واشباحها ورسومها ، قالوا : نجمع همما على مقاصدها وحقائقها ، ولا حاجة لنا الى رسومها وظواهرها ، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة ، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره . وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الاعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وارواحها ، فأروا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك وهمهم اعلى ، وانهم المشتغلون باللب وأولئك بالقشر ، فتركب من تقصير هؤلاء

(١) لعلها تجلى بآئين ، وفي نسخة أخرى « تجلي » بناء ونون

٢٠٨ عبادة القلب والجوارح، الفرار من الحفظ إلى التجريد (المنار - ج ٣ ص ١٧)

وعنوان هؤلاء تعطيل جملة الامر - هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا انهم يصلون الى حقيقة ، من غير رسمه وظاهره ، فلم يصلوا الا الى الكفر والزندقة ، ووجدوا ما علم بالضرورة بحجج الرسل (١) به . هؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين . والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الامر متوجه الى قلوبهم قبل جوارحهم ، وان على القلب عبودية في الامر كما على الجوارح ، وان تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح وان قال العبودية قيام كل من الملك وجنوده (٢) بعبوديته ، هؤلاء خواص اهل الايمان ، واهل العلم والعرفان .

﴿ فصل ﴾

قوله « ومن الحفظ إلى التجريد » يريد الفرار من حفظ النفوس على اختلاف مراتبها ، فانه لا يعرفها الا الممتنون بمعرفة الله ومراده وحقه على عبده ، ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفتهم . ورب مطالب عالية لقوم من العباد هي حفظ نفوسهم وآخرين يستغفرون الله منها ويقرون اليه منها ، يرونها حائلة بينهم وبين مطلوبهم . وبالجملة فالحفظ ماسوى مراد الله الديني منك كائن ما كان ، وهو ما يبرح حظ محرم الى مكروه الى مباح الى مستحب غيره احب الى الله منه ، ولا يترك هذا الا في مقام السرخ في العلم بالله وامره ، وبالنفس وصفاته واحوالها . فهناك يتبين له الحفظ من الحقوق ، ويفر من الخط إلى التجريد . واكثر الناس لا يصالح لهم هذا لانهم انما يعبدون الله على الحفظ وعلى مرادهم منه ، واما عجز بعبادته على مراده من عبده -

فذلك منزلة لم يعطها احد سوى نبي وصديق من البشر
والزهدي زهدك فيها ليس زهدك في ما قد أبيع لنا في محكم السور
والصدق صدقك في تجريدك هو كذا (م) الا خلاص يخلصها ان كنت ذا بصير
كذا توكل ار باب البصائر في تجريد أعمالهم من ذلك الكدر
كذلك توبتهم منها فهم ابدا في توبة او يصيروا داخل الحفر

(١) وفي نسخة الرسول (ص) يريد بالملك القلب ومجنوده الاعضاء

وبالجملة فصاحب هذا التجريد لا يقسم من الله بأمر يسكن إليه دون الله ، ولا يفرح بما حصل له دون الله ، ولا يأسى على ما فاتته سوى الله ، ولا يستغني بربته شريفة وإن عظمت عنده أو عند الناس ، فلا يستغني إلا بالله ، ولا يقتر إلا إلى الله ، ولا يفرح إلا بموافقة لرضا الله ، ولا يحزن إلا على ما فاتته من الله ، ولا يخاف إلا من سخطه من عين الله ، واحتجاب الله عنه ، وكله بالله ، وكله الله ، وكله مع الله ، وسببه دائما إلى الله ، قد دفع له علم فشر إليه ، وتجرد له مطالبة فعمل عليه ، تناديه بالخطوط : التي ! وهو يقول : إنما أريد من إذا حصل لي حصل لي كل شيء ، وإذا عني قاتني كل شيء ، فهو مع الله مجرد عن خلقه ، ومع خلقه مجرد عن نفسه ، ومع الأمر مجرد عن خطئه — أعني الخط المراحم للأمر ، وأما الخط الممين على الأمر ، فإنه لا يحطه تناوله عن مرتبته ، ولا يسهطه من عين ربه .

وهذا أيضا موضع غلط فيه من غلط من الشيوخ فظنوا أن إرادة الخط تقص في الإرادة والتحقق فيه أن الخط نوعان : حظ يراحم الأمر ، وحظ يوزر الأمر فينزهه . الأول هو المذموم والثاني محمود . وتناوله من تمام العبودية . فهذا لون وهذا لون . (النموذج بقية)

(المنارج) : أرايتم أيها البشرون الذين تدعوننا إلى النصرانية هذه المعارف البالية في الإيمان ، والعالم بالله وتزايأ الإنسان بهذه النقضية والكسالة في الإسلام ؟ — هذا النموذج نقطة من بحر كلام عالمانا في منازل السالكين المارفين . أرايتم من ارتقى في الدين إلى الذروة العليا يمكن أفناؤه بأن النزول منها إلى الدرجات التي هي دونها ، خير له من البقاء على ارتقائه وكله فيها ؟ ارضى من هذا خطئه من الدين والإيمان أن يشغل خياله ولسانه باسم يسوع ، وصورة يسوع ، وتلايت يسوع ، وفداء يسوع . الذي لا يعقل ؟ أما والله لو كان يسوع وتلاميذ يسوع وبوخا الذي عمد يسوع ومسح رأسه ودعا له بالبركة ، ومعهم موسى وإسراييل وكل أنبياء أبنائه أحياء وجاءهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) بهذا القرآن لما وسعهم إلا اتباعه ، وقد كانوا كلبم على الحق والتوحيد الذي نسختموه بنسنت وفداء فارموا على ظلمكم ، وادعوا إلى دينكم البراهمة والبوذية ، وأتاكم الذين كانت لهم ثلاث كنولتكم ، فأولئك لا يبعد أن ينتقلوا من ثلاث إلى ثلاث . وأما صاحب التوحيد الذي هو أكل وأعلى معارف البشر ، فلا يترك التوحيد إلى ما هو دونه .

ثم ان الدكتور هرغونج ليس يعرف اللغة العربية فقط بل انه قبل ذهابه الى مدينة الاسلام المقدسة قضى عدة سنين يدرس التاريخ الاسلامي ، وكانت معرفته هذه للاسلام وسيلة استطاع بها ان يحافظ على تذكره مدة ثمانية اشهر قضاها في مكة ، وبلغ منه انه خدع السلاب الشاردة التي تفرق المسلم عن غير المسلم لانها تعرفه بقوة الشتم فهاجمه وقضض امره .

وقد وضع الدكتور المذكور بعد اقامته في مكة فصلا فيها وفي تاريخها وحياتها العمومية الحاضرة بتمر الكتابة الوحيدة التامة عن هذه المدينة الحمية وليس اهتمام هذا الدكتور بالاسلام اهتمام طالب علم فقط ، فقد قضى سبع عشرة سنة في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا في المسائل المتعلقة بإدارة سكان الهند الشرقية الوطنيين ، واستطاع بدرسه الاسلام دوسا عمقا واسعا ان يضم هولندا السياسة التي تجري عليها مستعمراتها الاسلامية التي تحتوي على نحو من خمسة وثلاثين مليوناً من تابع النبي محمد

ومن مضي سبع سنين عاد الدكتور الى هولندا ليكون استاذ الفقه العربية والسلافة في سيامسة (ليندن) فقبل هذه الوظيفة على شرط ان يبقى مستشارا عموميا للحكومة في المسائل الاسلامية

وزيادة على ذلك انه ساج لي اكثر البلدان الاسلامية ، وكان في خلال سبع قرن مضي يراقب الحركات البائدة على احداث تغيير ديني وسياسي في العالم الاسلامي كله ، ولذلك كانت صوره التي صوره بها حالة الاسلام الحاضرة ، والطريقة التي يجري عليها في تتبع نشوه في المستقبل ، اسرار تاريخيين عن المؤلف الذين يسترون ان الاسلام لا يزال حيا في شكله الشرقي بل انه يرى ان الجواهر بين الشرق والغرب تهتم بالتدريج بعدما يؤدي الى امتزاجهما التدريجي في خلال سنين تأتي

وقد القى هذا الدكتور محاضرة بالأمس في جامعة كولومبيا في الاسلام هذا ما قاله فيها : —

﴿ محاضرة الدكتور هرغونج في الاسلام ﴾

ان المدينة الاسلامية كانت في خلال الف سنة مضت ترتفع الى الدرجة الحاضرة الزاهية ، فن مضي الف سنة اعتقد المسلمون ان احوالهم الدينية راضية تمام الرضى ، وكان المعتقد الديني خدعهم مسألة مقررة ، وكان السواد الاعظم من المسلمين

يقولون ببصمة الدين الاسلامي ويقولون حقيقته المكشوفة بدون ريب، نظير اجماع النصارى على عصمة الكنيسة الكاثوليكية . وكانت للاسلام شرائع تتماق بالحياة في كل اطوارها من شخصية وعومية وفردية واجتماعية وعلى الجلة ان الاسلام كله قام على استقلال المسلمين السياسي، فقد كانوا في دائرتهم الخصوصية احرارا مستقنين اعتبروا العالم كله ملكا لهم، فالذي لم يكن لهم كان عليهم ان يفتحوه، وبذلك كان حكم السيف ممكنا اذا لم يكن محتلا، ولكن ثبتت استحالة في الالف سنة التي مضت . ففي خلال القرن الماضي تعرى الاسلام من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوروبية التدريجي عليه، وتبع ذلك ان الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله، وتأكد للمسلمين انه يجب عليهم ان يحسبوا حسابا لما تفعله الامم الاخرى ويحصل عليه وقد نجمت عن هذه الحالة مسألان - الاولى منهما هي: هل يستطيع الاسلام الذي يرشد حياة تابعيه وأفكارهم ان يجاري هذا التغيير عند ما يفقد استقلاله السياسي الذي قام عليه ؟

ان الذين درسوا القضايا الاسلامية استنجوا ان القضايا الروحية ، متصلة بتمام الاتصال بالقضايا المادية في الدين الاسلامي، بحيث ان سقوط الاستقلال السياسي يستلزم سقوط الاسلام نفسه ، ولكفي لا أوافقهم على هذا القول اما المسألة الثانية فهي اهم من الاولى وهي : هل اذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغيير - كما اعتقد انه قادر - بقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحيات الحديثة بطريقة يستطيع بها تابهوه بان يكونوا في مقدمة الصنف في ارتقاء العالم ومدنيته ؟ هاتان هما المسألان مع كل القضايا الاخرى المتفرعة عنهما ما اريد بهد فيه على مسلم الامم يتكبر رجاء ان اوقف الغربيين على الانقلاب العظم الجاري في العالم الشرقي ومحاري هذا الانقلاب

قتل محاولة تنصير المسلمين

والامر الجوهري في هذا الشأن هو الوجه المتطور فيه الى قضية مستقبل الاسلام، فاذا نظرتم اليها بعيني المرسل النصارى الديني فلا بد انكم تستنجون انه لا يرجى شيء كثير من نشوء الاسلام، لان الاسلام قبل صيرورته كفوا يجب عليه ان يتخذ النصارية أولا . ولكن هذا هو اسوأ رأي يقول عليه، وأنا مسرور بقولي انه ليس وأيأ شاملا، فالمسلمون لا يفسدون ان يتصهروا، وقد احتاطوا اعظم احتياط هذا الامر الذي اهدرته كل المبشرين النصارى المتورين في الاراضي الاسلامية، ففي

الهند الشرقية الهولندية - حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقا عام الاتصاق بالمؤسسات الإسلامية - لا يقدر المرسل النصارى الذي ان يرحل تابين لديه ، نعم يوجد كثيرون من المدعوين مسلمين ولا سيما سكان د خلية البلاد الذين لم يتغفل اليهم دين من الأديان ، وقد ابتدؤا خطوة واحدة عن - لهم الوثنية الفطرية ، ولم يمد يصعب تصغيرهم . وفي بعض جهات جاوه حيث انتشرت الديانة الهندية سابقا لم يجد المرسلون النصارى صعوبة في تصغير قبائل برمتها

ولكن أكثر دعاة النصارى الدينيين في البلاد الإسلامية المحضة - حيث الإسلام تقليد قديم لا دين يتدين به - يرون صعوبة كبرى في تصغير المسلمين ، وقد تحولوا عن التبشير بالمسيح الى التهذيب والأعانة ، وما داموا جارين على هذه الطريقة فالمسلمون مستعدون لقبول ما يقدمونه لهم

مثلا ان الذي تقدمه كلية روبرت الأمريكية في الاستانة يقبله كل مسلم . وقد كان للكلية المذكورة فضل كبير في نشر المعرفة والطرائق التي يعتبرها المسلمون منتهى التقدم . ولكن السكينة المشار اليها لم تحول مسلما واحدا عن معتقده

وقد حدثت مؤخرا احد زملائي الفرنسيين الذي قضى عدة - بين في الجزائر وامر فقي بهتبه المسلمين في شالي افرينيا سألته عن العمل التبشيري الذي تقوم به الجمعيات الكاثوليكية الدينية المتعددة فقال : انه عمل ناجح ولكن لا ذكر البتة للدين فيه .

هكذا وان هولندا تحكم على خمسة وثلاثين مليوناً من المسلمين ولم تعد تفكر قط في هدايتهم وتصغيرهم . وكل ما ادركناه هو حاجتنا الى تسليح هؤلاء الناس الذين وكالت أمورهم البنا بطيات الحوادث التاريخية . وادركنا ان افضل شيء لننوسم هو تطبيق دينهم الخاص ومؤسساتهم الخاصة على حاجات العصر الحاضر

ولا اعتقد ابداً ان الدين الإسلامي يستطع امام النصرانية ، لان المسلم محتاط اشد الاحتياط لتأدية الذنوب النصارى ، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئاً جديداً غير ماؤلف ، فقد عرفها صالها وطريقة اشوءها وهو يعتبرها ديناً فسد بالتدريج ، واخيراً نسخها وحى النبي محمد خاتم الانبياء الموصى اليهم . وبالتالي انه يعتبر النصرانية شيئاً غريباً ، ويرى تدنيه بها خطوة الى الوراء . ومهما كان التبشير الذي يقع على الإسلام في ربع القرن الجاري او نفسه فانه لا يكون تغييراً يتعاون المدين بالنصرانية ، اذ لا تدعو الضرورة في الإسلام الى هذا الاصلاح

ولا يخفى ان كل من عاش في اراضي الاسلام لا ينكر انه حدث في النصف الاخير من القرن الماضي تغير عظيم ، فقد اشتدت حاجة المسلمين الى كل ما هو ضروري للاشتراك في الحياة الحديثة التي تمت دخول الغزاة الغربيين الى الشرق ، ولم يعد المسلمون المتورون اليوم يتكفون بالتربية الاسلامية القديمة ، فهم يطلبون اطباء حديثين وكيمياء حديثة ، واحداث شيء في علم الحياة ، وصاروا يطلبون دروساً اجتماعية في مدارسهم ، وأتقنوا الحديثة والفن الحديث ، ولا يبالون من يقدم لهم هذه الاشياء اذا قدمت لهم في غير صبغة دينية

مرَّ زمان كان فيه المسلم يعرف انشاء المسلم والكتب طريفة مختلفة - كأخلاقه وطريقته - مذهبته ولباسه وأكله ، ولكن كل هذه المميزات أخذت تزول بالتدريج ، بل ان الميزة الوحيدة التي كان بها المسلم يفرد ان يعرف اعطاء في الدين سبيلها التهذيب والتعليم بقية معروفة من العقيدة الدينية

وفد زالت عادات اسلامية قديمة كثيرة ، واصبح كثير منها آخذاً الآن بالزوال ، فزى لباس الشائع الذي دخل من الغرب الى الشرق بجلب نأدية الصلوات الخمس الواجبة يوماً امراً مستحيلاً ، فلم يعد المسلم الشرقي يقدّر اليوم ان يصلي خمس مرات في اليوم بين مشرق الشمس وغروبها (الافرو) ، فسطر ان يستل ثابته في اليوم - بل انه لا يقدر ان يحافظ على مراكزه في الصناعة المنظمة التي يضطر الى مزاولتها بالتدريج ويحسوم مصابة التواري في شهر رمضان

وقد كانت هذه الامور قدراً شرايح لا بد من العمل بها - اما الآن فلها نصير اشياء لا يقدر ان يحاسبها غير مناج مكاة الاغمة المتورين - بل حدث تراخ في كل شيء فقد ساد الاسلام في وقت من الاوقات ، وقاوت سيادة التجارة ايضا ، واستكن حفت به المشاكل بالتدريج ، فهم ان لسان الحياة لا يزال عند المسلمين شكلاً من اشكال القاهرة ، والسكنى الريا في اهتمام المال صار تمكنا باعتبارهم نفساً من القارة الاصيلة درجة تأخر الانكار الانساني المتدين

تغلطت الافكار الأوروبية في كل جهة من الاوضاع الاسلامية ، ولكن لم يجد فيها المصور الأوروبي مركزاً رئيساً يحرأ على القول ان المسلمين سيسترون على دينهم مهما اتحدوا من التهذيب والحداثة الغربيين - ففي كل المدارس الأوروبية الكبرى نجد كثيرين من الطلبة المسلمين ، وهم من فئة المتورين الذين بواسطتهم تحدث التغييرات

الاولى في الاسلام . وهؤلاء الشبان من أهل العلم في العالم، فقد درسوا العلوم العربية فروعها نظير خيرة طلبة العربيين، وهم لا يقومون بكل الفرائض المطلوبة من المسلم الحقيقي، لانهم مثبنا في طرائق لباس والمأكل والمعيشة ولكن مجرى عقلم لا يزال اسلميا، فقد كان بين تلاميذ طلاب مسلمون، وعندما كنت انا اناول مباحثهم التي يكتبونها كنت أرى فيها مظاهر فكر اسلامي في شكل مختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلابي الآخرون، بل كنت دائما أعرف الطالب المسلم من مباحثه .

ثم انك ترى موقف المسلمين المتنورين تجاه شريعتهم وعقيدتهم القديمتين نفس موقف المتنورين بين الاسرائيليين في العصر الحاضر، وكلما عشت بين المسلمين ارددت اعتقادا ان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها الدين الاسرائيلي في تاريخه الحديث .

انتم انتم الضغط الشديد الذي وقع على الدين الاسرائيلي لم يقع على الاسلام فتفرق الاسرائيليين بين اتم الارض اضطرهم الى ان يطبقوا حياتهم على شرائع غير شرائعهم، وكذلك اضطر المسلمون الى ان يتقنوا الثقافة الكبرى من شرائعهم المسيطرة على حياة الفرد اليومية من جرائمناص الاراضي التي احتلتها مائتيه، والحال ان الممثلة التي اضطررنا الى العمل بنوعها

الاسلام واليهودية

وبين الاسلام والدين الاسرائيلي تشابه محقق بزاد ظهورا في مجالات تشويرون الاسرائيليين والمسلمين، فانوحيد هوناعمة الدينين، وليس الله سبحانه في هذين الدينين الا مشرق يرى كل قسم من حياة الرجل ينتج الى شريعتهم . ومن أجل ذلك صار درس الشريعة فيهما عاملا مهما . واسكن الوجه الجمالي في الدينين المذكورين انفس الخطاطا عظيمها، وأخذ يقتصر على الفنايين ضمن جدران المدارس، ولم يبق له خلافة قوية بمحاجات الحياة العقلية

وقد صار تفسير الشريعة في الدين الاسرائيلي منوطا بالتحايلين، وناعدا بعض مراسم دينية طارحية ترى أكثر المتنورين الاسرائيليين مكلفين بحفظ الفنا والادوية من دينهم، أما عامة القوم فانهم يضيفون اليها طائفة من الحرافات القديمة وتري الاسلام تاليا لوالدين الاسرائيلي . مثل القرآن مثلا وانظر الى التفسير الذي حدث في خلال ثلاثة عشر قرنا عشت على تأسيس الاسلام، فانهم العربي الكوكة لا يقدرو

ان يفهم آيات القرآن الا بعد درس طويل
ولا يخفى أن أكثر المسلمين يعتبرون القرآن كتاباً مغلفاً، فقد كان في وقت من
الأوقات قوة اصلاحية في العالم، وكان يقرأه كل مؤمن ورع، أما اليوم فإن الامة
والعلمانيين يقرأونه بتجويد دون أن يتدبروا معناه، حتى أن الكلمات التي
يجودونها حجة عليهم في اشياء يسمونها كل يوم حتى خلال التجويد
وسيقع أيضاً تغيير على الشرائع والؤسسات الاسلامية فيجعل درسها بالتدريج
محل ممارستها، بالرغم من التقليد المقدس الذي يسلط بان المعرفة بدون عمل لا فائدة
منها. وزد على ذلك ان الناشئة الاسلامية الباطنة لا تريد أن تكذب ذهنها في درس
الشريعة الاسلامية، كما هي تنصب رثائها بتجويد الآيات القرآنية، فان هذا الأمر
سيقتصر على فئة خاصة من المسلمين، كما هي الحال عند الاسرائيليين في الوقت الحاضر
ولكن ترك العادات القديمة والاعتراف بعدم اتفاق الشريعة القديمة مع حاجات
الحياة الحديثة لم يفهم منهما ان الاسرائيليين تركوا دينهم، وكذلك لا يفهم منهما ان
الاسلام سينحط. نعم ان بين المسلمين المتنورين اليوم تمصباتاً بيلا، ولكن في صدورهم
ميلاً قوياً الى النسيك بدین آباءهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة. بل ان المسلمين
المتنورين اليوم لم يودوا يذكرن الجهاد، ولكنهم يفتنون الانظار الى اغناء القسايل
وتوسع المعرفة التي تتناول في كل جهة من جهات العالم الاسلامي
وهنا أمر آخر هو أن المسلم المتنور يشعر نظير الاسرائيلي استواء بالرابطة
الروحية التي تربطه الى اخوته في الدين. وهو لا يريد أن يقطع هذه الرابطة. نعم ان
المراد الاعظم من المسلمين - ولا سيما حيث انغوز الاوربي لا يزال خفيفاً - هم "الذين
كانوا من مضي خمسمائة سنة". وكذلك توجد فئة بين الاسرائيليين لا تزال تمارس
شريعة لم تصدم باطية الحديثة بعد وتتمكن تطبيق التقليد المقدس على حاجات المحيط
المتغير ظاهراً باجلى مظهره في الدين الاسرائيلي. ولكن انتشاره في نشوء الدينين
الاسرائيلي والاسلامي يجعل الواحد عني أن يتوقع للاسلام نفس ما وقع في
الدين الاسرائيلي

ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الاسلام، لانه توجد بواعث خارجية تممه،
فالاسلام قوي ولم يصف لاسبها في "قرن الماضي"، وقتل فيه الانشغافات الداخلية.
وزد على ذلك أن الاسلام يربح أكثر من النصرانية تابعين له من الوثنيين. فالذي
يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير، اذ لا يوجد تقديس ولا طقس ديني ولا تعليم

طويل، فكل ما يطلب منه ان يعترف بالله أنه كالي القوة، ومن ثم يدرج الى تعلم الفرائض الاسلامية الدينية، وعندما يصير مسلما يتغير مركزه الاجتماعي، ولكن اذا تنصر فانه يبقى دون غيره، ويظل المرسل الديني غريبا ملهما متحميا عنه الاسلام بمكة وسلم علم الخطيب .

ولسكني باظهارى لكم هذه الصورة عن الاسلام والحوادث التي تدير مجراه لا اقول انه لا يوجد فيه كثير من التقاليد القديمة التي لا تصدق . فتي خلال الثمانية الاشهر التي قضيتها في مكة سكنت احسبني مقبلا في مدينة في القرن اثني عشر او الثالث عشر . فهناك درست الشريعة الاسلامية بكل فروعها وكل اسرار الاسلام في الاشهر الثمانية التي كانت فيها المدينة غاصة بمحتاجيها البالغ عددهم مائتي الف ولا توجد تجارة في مكة غير نهب الحجاج فان سكانها الوطنيين يسلبونهم كل ما يكون معهم من مال بالبيع المنبون

ولا شيء ادل على البداوة القديمة من مكة، فهي تمثل الاسلام في المصور القديمة فلا بيوت هناك . اما وسائل النور والحرارة والماء التي اعتدناها في العصر الحاضر فهي هناك كما كانت في المصور المظلمة . وليسكن الذي لم يذهب الى مكة ولا أقام في بيت اسلامي فيها ودرس في جوامعها لا يقدر ان يفهم الاسلام، او يحجد صعبوبة شديدة في معرفة نشوء بلاد اسلامية

وقد كثرت التحدث حينما بعد آخر عن مكة، أنها ستفتح العالم بالنوة، ولسكني لا ارى شيئا يدل على ان انكسرتا ستحاول فتح مكة، لأنها اذا اقدمت على هذا الامر جلبت لنفسها اضطرابات كثيرة في الهند . ولذلك ستظل مكة عدة سنين مركز القليد الاسلامي وعلى الجملة اني اقول ان نشوء الاسلام في القرن الحاربي لا يكون شيئا باسعا على الدهشة، بل سيكون طبعا للحركة العمومية التي تقرب بين الامم، الاديان، دون زوال الاحترام لتقاليد الموروثة عن السلف، ولا بد للاسلام من الاتصال بالعالم الغربي وسيمثل ذلك، ولكن قصصه العظيم او النقطة التي يحتاج فيها اشد الاحتياج الى اتخاذ الافكار والمبادئ الاوربية هي، وقفه تجاه نسائه، وقد اخذت ساهل في موقفه نحوهن تساهلا بطيئا تدريجيا، فلاسلام لا يمكن ان يرتقي ارتقاء حقيقيا الا اذا حرر نسائه الراسقات في سلاسل التقاليد القديمة التي لا تطبق على روح العصر الحديثة، التي هي روح الترقى الحقيقي

(الماراج ٣ م ١٧) سنين رأينا في هذه المحاضرة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

قوله تعالى «ولله الاسماء الحسنى» يعني الربوبية الثانية في الذات الظاهرة قال سيدهم في شرح الخطبة: ان الربوبية لها ستة مقامات (احدها) رتبة الذات البحت التي لا اسم لها ولا رسم (الثانية) رتبة الذات الظاهرة التي هي مظورة تلك الذات البحت (والثالثة) رتبة الذات في مقام يبر عنها هو (والرابعة) رتبة يبر عنها باله (والخامسة) رتبة يبر عنها بساتر الاسماء (والسادسة) هي الرتبة الربوبية، السارية في العبودية، وخمسها شيعه وكثرها الخائف الكرماني بغير حساب. قال في الارشاد: من نيكوكم انخذائكم سابق من يستد باطل بوده بلهك ميكوكم او حق بوده وعبادتش درست بوده ولكن امروز چون شعور شما زياد شده بايد بدانيد كه ان خدا نبوده بلهك بنده بوده واينكه امروز ميكوكم اين خدا است وبهست از اين شعورها زياد بشود ميسد ايندكه اين خدا ناست بلهك بنده اينست از ايندكان خدا وخدا ديكر است.

وقال الشيخ أحمد في شرح الزيادة في تفسير الدعاء: أنت الله عماد السموات يعني الحسن ابن علي. وقالوا أنت الله قوام الارضين يعني الحسين بن علي. وقالوا: ان انصار له في القرآن من الغيبة والخطاب والتكلم راجعة الى النبي والامام والركن الرابع في مرتبة المعاني. وقال الشيخ أحمد: كما ان له الاسماء الحسنى كذلك له الاسماء السوءى، لكن امرنا بدعوة بالحسين دون السوءى. وقال ان معنى قولك «الله علم قادر بصير» «آله الله الله». لا لمخادها في المفاهيم القوية كما لمخادها في المصادق الوجودي (وفي مرتبة معرفة الافعال) قالوا لا فعل لله تعالى، ولا انتسب اليه الفعل ولا يطاق على الذات اسم الخالق والفاعل وأمثالهما، لانها يجب ان يكون مقارنة للفعل والذات لا يقارن شيئا. واستدلوا بقوله: ان الارادة لا تكون الا والمراد معها، ولا يفهمون ان معية المراد مع الارادة حادثة هي لامع المريد الذي هو القديم تعالى.

(وفي مرتبة العدل) قالوا لا خصوصية العدل في حق معرفته من الاصول دون سائر الصفات. ولذلك جعلوا اصول دينهم أربعة (احدها) معرفة الله (والثانية) معرفة النبي (والثالثة) معرفة الامام (والرابعة) معرفة الركن. وعليه في الارشاد الحسن الكرماني (وفي معرفة النبوة) قالوا السكون نوع من الموجودات في نوعهم، فالجساد نبي من المجدات، والنبات هكذا، والحيوان ايضا. وقالوا ان الصفات المقررة في انبياء نبي آدم مقررة لها من كونها ظاهرة بمظاهرة «بصيرة» قالوا: لا حق، والافعال، موصولة بباطنة على ما يجب ان يكون. وهذا الحق من بعد ما حدثت نفسها وعلمها ونحوها. فسر به الشيخ احمد في معانيه: وان كان في الارشاد، وزاد اشياء اخرى.

فقال : ان محمداً أنزل وتطور في كل مقام في صورة كل نوع فينبئ فيها ويلبسها ، فانهم قد يظهرون في صور الجمادات والنباتات والحيوانات ، وصور بني آدم سيدهم وشقيهم . وبه قال الشيخ احمد في موارد من كتبه . منها ما ذكر في شرح الزيارة في تفسير « واجسادكم في الاجساد » وقال ان الائمة قد يظهرون في احسن صورة لا وليائهم ، وفي اوحش صورة لأعدائهم . ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله في قول طلحة : وقال في الاستشهاد لهذا الحديث : حيث ظهر امير المؤمنين (ع) في صورة قبيحة هي صورة مروان بن الحارث ورمى طلحة بسهم وقتله الاتفاق على ان طلحة قتل برمي مروان ، لكن طلحة لما عين الموت وكشف عنه غطاؤه رأى علياً (ع) في صورة مروان بن الحارث ، انتهى . وصرح به الحارث في ارشاده . والموجب من هذه المقالة انه كيف عرف طلحة ورأى علياً في صورة مروان ، ولم يعرف الحسن بن علي حيث قال في مجلس معاوية لمروان : أنت الذي وقت بين الصفيين ورميت طلحة وقتلته ؟

(وفي مرتبة الختمية) قالوا ان الخاتم (ص) اسمين (يعني ظهورين) اسم سماوي وهو احمد ، واسم ارضي وهو محمد . وقد ظهر باسمه الارضي منذ بعث في رأس كل مائة لترويج ظاهر شريعته ، حتى مضت عليه وعلى شريعته ستة مائة ستة مائة فكانت اثني عشر مائة (١) وانتهت الدورة الاولى لترويج ظاهر الشريعة ، وابتدت الدورة الثانية لترويج باطن الشريعة . وانقضت دورة ظاهر الشريعة ، فظهرت تلك الحقيقة الحميدة باسمها السماوي وهو احمد في الشيخ احمد لترويج باطن الشريعة . وهذه المقالة عين ما قاله السيد كاظم الرشتي في شرح قصيدة عبد الباقي ، مذكورة في عشرين ورقاً (٢) من أواخر الكتاب . وللإيضاح في هذا الميدان جولان ، حيث شبه الاجان بالانسان . وقال انه كان نطفة في زمن آدم (ع) ثم صار علقة في زمن نوح (ع) ومضغة في زمن ابراهيم (ع) وعظاما في زمن موسى (ع) ونفخ فيه الروح في زمن عيسى (ع) وتولف في زمن محمد (ص) فارتضع من الثدي ولاية الائمة (ع) ولما كان أوان فطامه غاب عنه المرتضعة (٣) فودعوه (٤) لدى المريات وهم الفقهاء ، وصار مراهقاً في زمن شيخنا ، فأخذناه من الاماء المريات لتعلمه الآداب والسنن . وجعل في المقام ، واطال في الكلام ، ولعب بذنبه والسبال ، حتى آل الحال الى مقالة

(١) المنار : السوابق ، المجلد ١٢ ، ص ١٠٠ . فكانت اثني عشرة مائة (٢) الصواب ورقة (٣) اي غاب عنه المرتضعة اي بنية الامام الثاني عشر الوصية (٤) يريد اودعوه من الودعية

قرة العين الفرونية راقصة بالنج واللال، انكحت وزوجت قد فر من الميدان (?) وقال الخان ايضا في ارشاده : ان بعث الانبياء والرسل ونصب الحجج وانزال الكتب كلها لاثبات الركن الرابع ، وهو بمنزلة اصل السكبة في مسجد الامامة في حرم النبوة في عالم ارض التوحيد . فعلى الاسلام السلام بعد هذه المقالة وقالوا بكفر من انكر الركن الرابع ، وانهم ناصيين (?) وطهاوتهم للثمة . وايضا قال في اول المجلد الرابع من ارشاده ما هذا لفظه : من يكونه بدست قاصر ونفس ضعيف اين صلب وابكر دن ابن خلق منكوس بكذارم كه هز اروده سال است كه در جاهليت غيبت كرفتاوند . وتاريخ كتابه في ست وستين فيكون من اول ولادة الحجة داخلا في الجاهلية الى ان بلغ قلعه موضعه من الكتاب . وقال كتابي هذا - بني الارشاد - مطابق لما هو مسطور في اللوح المحفوظ حرفا بحرف ، والسواد مطابق للاصل . وقال قراءة كتابي هذا واجبة وقراءة القرآن مستحبة . وقال من قرأ خمسة اوراق من كتابي فكأنما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، وما اثنى به الانبياء من عند الله . ولا تقتصر عباداته عن عبادة السيد مهزبا على محمد ابن السيد رضا الشيرازي في بيانه التازلاليه من السباه بزعمهم : ان لو اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بحرف من حروف البيان اذا لا يأتون بحرف منه ابدا

(وفي مرتبة الوحي) قالوا ان الوحي عبارة عن توجه خيال النبي (ص) الى نفسه ، ونفسه الى عقله ، وانزال عقله المعاني الى نفسه ، ونفسه الى خياله ، والعقل هو جبريل النازل عليه . صرح به الخان في ارشاده في المقصد الثالث في النبوة . وقال هناك ان الذي مهما كان متوجها الى مشكلة علمية كان غائلا عن سائر المسائل ، فيتدرج له العلم شيئا بعد شيء في الدنيا والبرزخ . وقال كثيرا ما يسأل عن الائمة من الاحكام الشرعية (١) ولم يكن لهم جواب حتى يلقى اليهم من عقلمهم ، فيقتصر زمان الاطفاء ويطول

فان قيل فكيف يرمون هؤلاء بالفلو في حقهم (ع) مع هذه المقالة ؟ يقال ان التناقض في كلامهم غير معدود ولا محدود ، ويقولون بجواز اجتماع التقيضين لاسما في ذات الواجب ، ويستدلون بوجود ملك نصفه من النار ونصفه من التلج . وهذا معروف منهم

(وفي مرتبة العصمة) قالوا يجوز الكبار والصغار تاييم عمدا وسهوا قبل

(١) لعل الاصل او المراد: كثيرا ما يسأل الائمة عن الاحكام الشرعية .

البعثة وبعدها . صرح بالسهو شيخهم في (جوامع الكلم) وقال يغيب عنهم الملائكة المسدد . وقال الخان في الارشاد: پس اكر خداوند مصاحبت داند در بقاء دين ان يقيمركه از دنيا ميرود البته قائم مقامى از براى ان يقيمير قرار دهد كه اقتلا در حفظ شريعت معصوم بوده باشد كرجه در جاهاي ديكر معصوم نباشد . وان كان في مبحث العصمة اكتبها لهم وقد قسمها بعصمة عقلية ، وعصمة نفسية ووجودية ، وقسمها الشيخ في شرح الزيارة بعصمة ذاتية - وقال بها لتبينا والائمة - وعصمة عرضية - وقال بها في سائر الانبياء - ولا يفهم مراده . وقال الخان بعصمة الركن الرابع الذي يسميه امام الزمان حيث يقول في ارشاده غير مرة : پس امام غائب بكارمر در نيم خودر و مردم امام حي حاضر معصوم ميخواهند

(وفي مرتبة الاذعان للمراجع) قالوا بما هو لفظ الشيخ في رسالته المسماة بالقطفية : قال انه تعالى لما اراد العروج الفنى في كل كورة ما منها نألفى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وهواؤه في الهواء ، وناره في النار . وكل قبضة (؟) في تلك السماء ، ثم لما رجع اخذ من كل كورة ما ألقى فيها . وصرح عليه في جميع كتبه . ومن بيانه تشبيه المراجع باكل الغذاء وتحويله واخراج قلبه ، الى ان يحصل الروح البخاري في القلب ، ثم يصعد الى الدماغ ، وقد صمدها الخان في معراج الغذاء المأكول الى ان جعلها نفسا وثقلا وفؤادا

(وفي مرتبة الامامة) قالوا ان امام الزمان غير الائمة الاثني عشر : ولا بد في كل زمان عن امام غيرهم ، وهذا صريح كلامهم . وقال الخان في ارشاده: پس جنايميه بخداى ناديدد اكنفا نيتوانيد نمود با امام غائب هم اكنفا نيتوانيد نمود . وقال في موضع آخر: سار غائب حكوند تربيت شا كرد ميتواند نمود .

(وفي مرتبة الاماد) قالوا ان الجسم جسمان ، والجسد جسدان ، جسد غصيري دنيوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت ذلك القمر ، وهذه تفتى ويلحق كل شيء الى أصله ، ويعود اليه عود تازجة واستهلاك ، فيعود ماؤه الى الماء وهوواء الى الهواء ، وناره الى النار ، وترابه الى التراب . ولا يرجع ولا يعود لانه كالثوب يلقى من الشخص . والثاني جسد أصلي من عناصر (هورقايا) وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الروح ، فيقوم للحساب ، وهو الجسد الذي يتألم ويتنعم وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة والنار . وقالوا : السؤال عن الروح والجسد الهورقايائي يضيون البرزخي . وقتئذ ان السراط والميزان والوسيلة كلها مؤولة مضمونة غير جسمانية

(وفي مرتبة تشكيل الناس في زمان الغيبة) قالوا : لابد في كل زمان من امام زمان غير الأئمة الاثني عشر ، ولهم في هذا المقام مناقضات شتى ، فتارة يعبرون بالشيعية ، وتارة بالنقاء والتجباء ، وتارة بالركن الرابع ، وتارة يفرقون بينهم . وجعلوا معرفة الركن الرابع اصلا من اصول الدين ، ونسبوا منكره الى الناصبية ، وتناقضوا في القول ، فقالوا : هذا الركن من الايمان كان خفيا حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كرب خان ، فمن لم يعرفهم ولم يحجبهم مات ميتة جاهلية ، وميتة كفر ونفاق ، ثم تفرقت كلماتهم من بعدهم على أشخاص كثيرين ففرقوا أيادي سبا ، كلها دخلت أمة لمت أخرى ، الا ان أكثرهم اجتمعوا على محمد خان حسب ما وصى اليه ابوه ، وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يقصر عن صفات الرسل والأئمة ، قال وحيم خان اخو محمد خان في منظومته : قدر تسان قدرت يزدان بود . وقال لهم السلطنة على العالم والقدرة الالهية على التصرف فيما يشاؤون ، وأمثال ذلك .

ويقولون صريحا بوجود الباب للامام ، وان كانوا ينفونه على السيد ميرزا علي محمد الشيرازي ، فالنزاع في الموضوع دون الحكم ، وتحصل كلامهم ان التصديق في مراتب التوحيد لا يكمل الا بالتصديق بالنبوة ، والتصديق بالنبوة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها ، والتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالركن الرابع ومعرفة صاحبها ، فالعلمة الغائية من المعرفة في معرفة أصول الدين والعقائد معرفة الركن الأخير . على ان الدين والايمان مركب من اربعة اركان ، ولا يتم معرفة الاول الا بالثاني ، ولا يتم هو الا بالثالث ، ولا يتم هو الا بالرابع ، فعرفته اصل ومعرفة المثلث الاول من باب المقدمة ، كما يفهم عن عبارات الحان في اوشاده . ولذا قالوا ان معرفة الركن الرابع ومحبه وموالاته من ضروريات الدين ، ومن انكرها انكر اصلا من اصوله ، وقد عبر الشيخ في كتبه عن هذا الاصل بالشبهة الخاصة ، وبعض آخر منهم بالنائب الخاص في زمن الغيبة الكبرى ، في مقابلة الامامية من قولهم ان الاحكام الشرعية والحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى واجبة الى النساب العام ، وهو الفقيه الجامع للشرائط ، حتى آل الامر بالحان فبر عنها بالركن الرابع ، وزاد في الطنبور تقمات أخرى لا فائدة في ذكرها والعجب كل العجب من الفتنة الحادثة بعده فان ابنه محمد حريم خان قال بوحدة الناطق أي الركنية الشخصية ، وقال بان الركن الرابع للدين في كل عصر من الأعصار شخص واحد يجب لكل مكلف في ذلك العصر متابعتها في الاحكام الصادقة عنه ،

وارجاع أموره التكليفية إليه ، ومعرفته وموالاة ومحبته ، بناء على أن هذه المعرفة بهذه الصفة من ضروريات الدين . وخالفه في هذه المقالة تلميذ الخان السيد ميرزا محمد باقر الحمداني ، وقال بكثرة الناطق أي الركنية التوعية ، وقال إن الركن الرابع في كل عصر يمكن أن يكون متعددًا متمسكًا بالتوقيع الصادر عن الامام القائم المنتظر {ع} وأما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة احاديثنا ، وكون محل الرجوع رواية يدل على تعدد الركن لا التشخص ، ولكل منهما كتب متعددة مبهدة لاثبات مدعاه . ولذا صارت الشيخية بمد الخان الممهود طائفتين ، وبقي الامر كذلك إلى زماننا هذا والاصحابيون منهم من الطائفة الحمدانية . وأما الطائفة الاولى أي تبة الكرمانى (فهم) متفرقون في سائر البلاد والاعقاب منهم ساكنون في طهران وكرمان . وكلهم متفقون في جواز التقليد من الميت ، والعمل بكل خبر ولو كان ضعيفا . ولذا يمدون من الاخباريين مع إعمالهم نبذة من قواعد أصول الفقه في مباني فتاويهم انتهى

« المنار »

ما أفسد دين الشيخ أحمد الاحسائي وأتباعه وأثار في أدمغتهم هذه الخيالات الا التشيع بما أثروه عن فرق الباطنية ، وما رأوه من اقرار الناس لمض زعماء الباطنية بالامامة ولبعضهم بالألوهية ، وعلمهم بأن أهل زمنهم أجدر من المتقدمين بالتقليد ، للاعراض عن القرآن والسنة والجهل بهما وبلغتهما ولما كان قبل من التمهيد . والظاهر ان كلا من الاحسائي والرشدي والكرماني كان بطمع أن يكون في شيعة المراق والقرص ، كامام بل لآله الاسماعيلية في الهند ، ولكن كان انتهى شوط أطبايهم التمهيد لباب ثم للبهاء ، الذين كانوا دونهم في الفلسفة والفصاحة والذكاء ، وما سبب رواج كفر الباطنية وشركهم المخترع - على اختلاف فرقهم من اسماعيلية ودروز ونصيرية وبكداشية وباية وبيهاية - الا الفلج في تعظيم آل البيت (وكذا غيرهم من العلماء والصالحين) والتقليد في الدين فهذان السببان هما اللذان أعدا الاذهان ، لقبول هذا الكفر والطغيان ، وما كانت فرقة الشيعة الامامية أشد غلوا من سائر فرق المسلمين في تعظيم آل البيت جعلها واضعوا هذه الاضاليل مباهلة ، وسلمًا لمقاصدهم منها .

تقريظ المطبوعات الجديدة^(*)

﴿ نشوء فكرة الله ﴾

« كراسة تحتوي على خلاصة كتاب لجرانت ألين الكاتب الانكليزي المشهور عن نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان من الوثنية الى التوحيد الحاضر مع بيان أصول المسيحية ونشوءها »

لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها ونشرها (سلامه افندي موسى) وهو شاب قبطني الجنس مادي الاعتقاد، يعنى باقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي واحول الاشتراكية ومنها على رايه تبعاً لبعض غلاة المادية من الافرنج - أن يجعل الاقوياء يهلك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ومن كل ما يظيل أيام حياتهم على الارض ، كما لجأ المرضى والصدقة على البائسين . وما نشر هذه الكراسة الا في سبيل مذهبه . وهذه الحملات التي يحملها الملاحدة على الدين تؤثر في التصراية دون الاسلام ، لأن التصراية الحاضرة وثنية متسلسلة من وثنية قدماء المصريين والهنود وغيرهم . وانا تنقل نصوصاً من هذه الرسالة بخروفيها ثابت ما قلناه ، ثم نقب عليها بمزاه ، قال الكاتب :

﴿ نشوء المسيحية كنشأ دني ﴾

اذا اخذنا المسيحية كنموذج للأديان واعتبرنا نشوءها نمجد أن كل ما فيها من العقائد والمراسم مأخوذ من الأديان السابقة لها اني كنت فاشية عند ظهورها . قاله المسيحية -- المسيح - كان انساناً كما كانت كل الآلهة القديمة عند اول ظهورها . وقد اعتبره المسيحيون الاولون ابناً لآله (كذا) تربها له عن الانسانية كما فعل اليونانيون مع اسكندر المقدوني . ونجد في المسيحية ما يسمى (بالثالوث الافدس) وهو عبادة عن ادراج ثلاثة آله وهم الآب والابن والروح القدس في إله واحد، على مثال ما كان يعتقد المصريون في الثالوث الالهى المكون من اوزيريس وايسيس وهوريس . والمسيحيون يعتقدون أن أم المسيح عذراء . ولا بد أن هذا الاعتقاد قد تسلسل من

(*) كذا - تقارن هذا الجزء ما عدا الاول منها - شقة السيد صالح مخلص ربا

(المنار ج ٣) (٢٩) (المجلد السابع عشر)

الاعتقاد المصري القديم الذي كان قائماً على اعتقاد البكارة في ايسيس ام هوريس . وكذلك ترى اذا بحثت عن الاصل في مراسم المسيحية كالصليب والقبر والكنيسة والهيكل انها مأخوذة من الاديان المصرية القديمة . كما ان نظام القرابين والسكهنوت مأخوذة منها ايضا .

(١٥ - الضحية والدم)

قد رأينا فيما سبق ان للضحية باعثن الاول هو الاعتقاد بانها تقدم كطعام للروح او الاله . والثاني هو الاعتقاد بان الاله ذاته تجسد فيها وتدفن اجزاؤها في الحقول لكي تنمي الزروع .

الى هنا لم نتكلم عن اكل الناس الاحياء للضحية . فقد رأينا الضحية تجزأ وتدفن في الحقول باعتبار انها اِلَهٌ ورأينا القرابين ايضا يوضع للميت اعتبارا بأنه سيجوع ويأكله . وسنتكلم الآن عن اصل عادة اكل الناس للضحايا .

من الشائع بين عوام مصر ان من اكل قلب ذئب صار قوياً مثل الذئب ويعتقدون في الهند ان من يأكل نمرا يصير شجاعاً جريئاً كالنمر . لهذا نشأت عادة ذبح الآلهة المتجسدة في الضحية ورد على خواطر المضحين ان يأكلوا هم ايضا قطعة من جسم الاله حتى يصيروا مثله في صفاته ، على نحو ما يفعل اكل الذئب والنمر . فصاوا و يضعون جزءا من الضحية المؤلفة في الارض ويأكلون جزء آخر منها . وهذا صيد المصطادين بحجر واحد : مباركة الحقل وتقوية الجسم . كذا تفعل قبائل الفوند . وكذا ايضا كان يفعل المكسيكيون . فانهم كانوا اذا ارادوا التضحية قبضوا على اسير من أسرى حروبهم وعاملوه معاملة الملوك مدة عام يقتلونه باحتفال عظيم في نهايته ويأكلونه . وبمضي الزمن ارتقى الانسان من التضحية البشرية الى التضحية الحيوانية الحاضرة في اعياده . وفي طريقة الذبح عند العرب والعبرانيين الآن بقايا اثرية من عوائد التضحية القديمة فانهم يذبحون الآن « باسم الله » ويتطلبون اراقه الدماء من المذبح ، والدم هو في المادة الجزء الذي يشبهه الاله لانه بخلاف اللحم - يحجب فيظن الرائي ان الاله قد شربه .

قلنا ان الانسان كان يشرب دم الذبيحة او يأكل لحما اعتقادا بأنه يأكل ويشرب من لحم الاله ودمه . وقد قلنا انه كان يعتقد بأن روح الضحية روح للاله تحل من الذبيحة عند الذبح وتنتشر في الحاصيل كالسكر وم والفلال .

من هنا نشأت عادة أخرى وهي أن يأكل المتدين خبزا أو يشرب نبذا باعتقاد أنه يأكل من لحم الاله ودمه . لان روح الاله قد تجسدت في محاصيل الحلال والسكرام . والخبز والتبذ هو ما يأخذه المسيحي من قسيسه باعتقاد أنه يأكل ويشرب من لحم المسيح ودمه .

(١٦ - ضحية الافتداء)

للضحية - كما قلنا - اعتباران عند المنوحشين (١) انها تقدم كطعام للروح أو للاله (٢) انها تقدم كأنها هي الاله ذاته

وهناك نوع ثالث من الضحايا يقدم باعتبار أنه يفدي القبيلة أو الامة من خطاياها وقد صلب المسيح لكي يفدي الناس من خطاياهم أي لكي يكفر عن ذنوبهم والاصل في هذه الضحية هو الاعتقاد بإمكان نقل المرض من شخص الى شخص أو الى شيء آخر . مثال ذلك ان ملكا في (بنشوانالاند) أصيب مرة بمرض ما فأحضر ثورا وتليت عليه الرقيات وأغرق بعد ذلك في النهر . ومنطق هذا العمل عندهم ان المرض قد انتقل الى الثور وذهب معه بعيدا عن الملك ، ولا يزال عندها نحن المصريين آثار باقية من هذا الاعتقاد في رقياتنا حيث نزيل الرقية المرض وتلقيه بعيدا عن المريض بالفائنا بعض اشياء كانت تحرقها في النار وقت الرقية

وقد نشأ من اعتقاد امكان نقل المرض اعتقاد امكان نقل الحظيئة . مثال ذلك ان بعض قبائل افريقيا يقتل كل سنة شخصين رجلا وامرأة - لكي يكفرا عن خطايا القبيلة . يعتقدون ان خطيئات القبيلة قد انتقلت الى هذين الشخصين وانهم يقتلها يفسلون القبيلة من ادران خطاياها ، ويبررونها امام آلهتها ، كما كان يقتل الاثنيون شخصا عند وفود وباء ما على يدهم اعتقادا بأن الوباء يموت بموته ونجبي الامة منه ، وكما تذوي الراقية قطعة الشب التي احرقها في النار وقت الرقية اعتقادا بأنها حملت المرض معها وذهبت بعيدا عن المريض

(١٧ - العالم قبل المسيح)

كان العالم الذي انتشرت فيه المسيحية تابعا للدولة الرومانية عند بدء انتشار هذه الديانة . وقد كانت هذه الدولة تشمل كل ممالك البحر المتوسط ، ودرجت الامة الرومانية على ألسن التجار فقربت بين هذه الامم وصبغتهم بالصبغة الرومانية . وقد بنت التجارة على المهاجرة والزواج الى المواني فكانت الاسكندرية ورومية

وانطاكية (١) ملأى بالسوريين والرومانين والاسبانيين وغيرهم من الجاليات التي هجرت مواطنها الاصلية واستعمرت هذه الموانئ الارترافق . وقد أدى هذا الى انتشار الاديان في اصقاع الامبراطورية ، وخرجها من مواطنها الاصلية ، فكانت الآلهة المصرية تعبد في انجلترا ورومية بسبب النزلاء المصريين كما كان يمد الآله (بهوه) في الاسكندرية ومرتيليا بواسطة اليهود . وقد كانت بعض هذه الآلهة تنحدر في الصفات فيعبدونها الناس وان كانت اجنبية عنهم الا انها تتفق في صفاتها مع احداً منهم . او كانت الظروف تقتضي عبادة الآلهة القريبة كما حدث مع البطالسة ، فانهم حينما تولوا حكم مصر عبدوا الآلهة المصرية مع انهم كانوا يونانيين . وقيل ظهور المسيحية كانت الاديان الوثنية قد ضعفت امام الفلاسفة وحصل بذلك اشتياق في النفوس للتوحيد اليهودي . ولولم يكن (بهوه) إله اليهود وطنياً متعصباً في الوهيته يكاد لا يتعرف بأمة حقيقة بالجنسية غير اليهود لعمت عبادته . لهذا تحول الناس الى العبادة المسيحية لانها في الحقيقة عبادة الآلهة كلها . لان المسيحية اشتقت مناسكها وسننها ومراسمها من آلهة مصر وسوريا ورومية وفرنسا وانجلترا وغيرها ، فكانت كل الامم تعرف شيئاً عنها وتمتد بصحة بعض سننها وأساطيرها . وما زاد في الاقبال عليها سهولة طريقة الدين بها وصعوبته عند اليهود

(١٨ - نمو المسيحية)

انا نملك في ان المسيح كان انساناً موجوداً . على اننا اذا صدقنا رواية وجوده كمنهخص ما ، فاننا نعتقد ذلك باعتبار انه وجد وقتل كضحية مؤلهة . وهي الضحية التي قلنا انها كانت تقدم لآله الغلال والنبذ . فقد كان السوريون المجاريون لليهود يبدون (أونيس) إله الغلال ، وكان من عادتهم أن يقدموا له ضحية سنوية . ولعل الاشاعة التي فشت بعد ظهور المسيحية عن ذبح اليهود للاطفال قد نشأت عن هذه التضحية ، وعندنا سبعة اشياء ترجح ان المسيح كان ضحية مؤلهة . وهي :

(١) اذا خضعت عظات بولس في رسائله الى الكورثيين نجد انه يصف المسيح كأنه يصف احد آله الغلال تماماً .

(٢) اكل تلاميذ المسيح وكل المسيحيين الآن الخبز والنبذ باعتبار انهما من جسد المسيح ودمه . وهذا ما كان يفعله تماماً عبدة (أدونيس وأونيس) آلهي الغلال لان الآلهة تجرد في المحصولات .

(٣) قول المسيح «أنا خبز الحياة» . «خذوا. كلوا من دمي» (١) وقد وصفوه بأنه قبحي الوجه وان شعره كالون التبيذ .

(٤) أنه دخل أورشليم بهيئة ملك مثل ضحايا أنيس وادونيس . لان الاعتقاد كان قاشيا بأن هذين الالهين يجعدان في الضحية التي تقدم لهما فيجب اذن اكرامهما ما داما على قيد الحياة . وقد جاء في الانجيل انهم وهم يقتلون المسيح ركعوا، وهذا مماثل لما كان يفعله كهنة أنيس بالضحايا .

(٥) ولما دخل المسيح أورشليم كان ممطياً حماراً وقد نثرت أغصان الاشجار على الارض، وهو عين ما كانوا يفعلونه مع ضحية ايتس وما زال في «أحد الزعف» (٢) الذي يسبق العيد الكبير عند النصارى بقية من بقايا أعياد آلهة الفلال .

(٦) لما قتل المسيح بكّت عليه النساء مؤلماً كان يحدث في نخايا أيتس لانهم كانوا يشتدون بأن الاله يجعد فيها وبالتالي سيكون عليه لانهم قتلوه .

(٧) بمئه بعد ثلاثة أيام . مثل أنيس وادونيس بالضبط فالنصارى قل لفرسين : انه نخية مؤله ولكي يقدي الشعب من خطاياهم وقد عرفنا اصل وهنى الفداء)

أما الثالث فقد جاء للمسيحية من مصر ونشأ اولاً عند الاقباط لان أديانهم الوثنية السابقة كانت تحتم هذا الاعتقاد .

أما الصليب فقد أتى ايضاً من مصر وتراه للآن على الجملان . وقد اختلط الموضوع على بطريرك مصري مرة فقال في احد كتبه عن المسيح انه «جمل الله» أي انه ظن الصليب والمسيح شيئاً واحداً لان الجمل كان يرسم عليه الصليب .

(١٩ - بقايا اثرية في المسيحية)

ما زال المسيحيون للآن يعبدون الموتى . وقد كانت الكنائس عند اول تشييدها قبوراً ليس الا . ومركز القديس الآن بين النصارى وقيمتهم عندهم كتركز رئيس القبيلة المتوفى بين قبيلته بالضبط . لان النصراني يحترم القديس ويتببه ويتقرب منه كأنه يعبد عبادته ولو أنكر ذلك . وقد كانت القرون الوسطى العصر الذهبي

(١) المنار : العبادة مضطربة لم تتودد هي ماني الانجيل وهو انه سمي الجوز جسده وأسمهم بـ «كلمة» وسمى جسده وأسمهم باسمها

(٢) أي يوم الاحد الذي يصفرون فيه سمك الجمل بأشكال مخصوصة

امادة الموتى والارواح . فانهم كانوا لا يبنون كنيسة الا اذا أحضروا لها شهيدا أو قديسا دفنوه في هيكلها . وقد تفانوا في هذا العمل حتى ان البندقيين قتلوا جثة مرقس الرسول من الاسكندرية الى البندقية لكي يضعوها في الكنيسة المسماة باسمه هناك . ودين الاسلام التوحيدى العظيم لم يهلك عن تقديس الموتى واعتبارهم . فالمسلمون ما زالوا للآن يتمسحون بقبور الاولياء ويتبركون بها ويبنون لهم - للاولياء - المساجد على قبورهم .

نريد بذلك ان الانسان الذي تشيع بالتوحيد ما زال يحن الى ميوله الوحشية وتبسته غريزة الدين الاصلية الى العبادة الاولى : عبادة الخلق والارواح . وترى للآن عند المسلمين اثرا من آثار العبادات القديمة في مشهد قتل الحسين حيث يمثلون قتل الحسين ويسرون به في الشوارع باكين ومترحمين عليه كما كان يفعل السوريون في البكاء على ادونيس سنوياً . اهـ

* *

(المنار) : ما أضل (جرائت آئين) الكتائب الانكليزي مؤلف الكتاب ، وأضل أمثاله من احرار الكتاب ، وحجبتهم عن الدين الحق ، وأوهبهم أنه من خرافات الخلق ، الا ما وأوه من مظاهر الوثنية بين الافوام ، مع جهلهم بحقيقة الاسلام ، وظنهم ان النصرانية هي أرقى الاديان ، مع شهادة التاريخ بأن جميع أصولها مأخوذة من تقاليد عبدة الاولئان ، كثنائية البشر والتثليث والفداء ، وتقديس كثير من الاشياء . ولو فهموا القرآن حق فهمه ، وعرفوا سيرة نبيه لعرفوا الدين الحق . فان الاسلام وحده هو الدين الذي حفظ أصله كما هو ، فهو الذي يجب ان يتخذ مقياسا وميزانا لا النصرانية ، التي لا يزال الكثيرون من العلماء والمؤرخين يشكون - كالمؤلف - في وجود من تنسب اليه (وهو عيسى بن مريم عليهما السلام) اذا كانوا يحكمون على الاديان مسائل استنبطوها من التقاليد التي اخترعت بسند دعاء تلك الاديان فكيف يكون حكمهم صحيحا ؟ ألم تر أنها القارى كيف عبدوا على الاسلام تقديس كثير من المسلمين الموتى وتمسحهم بقبور الصالحين وبناء المساجد عليها ، وتبيل الشيعة منهم لقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) كما كان يفعل الوثنيون الاولون ، اذ كان تقديس الموتى دكناً من أركان الوثنية ؟

يمدون هذا على الاسلام ، وأصول الاسلام تنفيه وتحرمه وتمد بعضه ككفرا وشركا وبعضه عصبية ، وقد اجمعوا على انه بدعة ، وتبست عن النبي (ص) في الصحيحين

والسنان انه لمن الذين يتخذون القبور مساجد او يوقدون عليها السرج، ونهى ان يتخذ قبره وثنا او يتخذ عيداً. ومن الظلم أيضاً ذكر الاسلام في سياق الكلام عن الدم والاخاخ الوثنية. فان اضحية الاسلام لا شائبة فيها للوثنية والقداء، وانما هي نفقة وتوسعة على العيال والفقراء، والله تعالى يقول (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما انه ينفي عقيدة القديسة تقيا صريحاً. فاذا كان الاسلام وهو الدين الوحيد الذي حفظت أصوله يمتقدون عليه ويمدون منه ما جاء لمدمه وابطاله ونهى عنه اشد النهي، فكيف يستدجا يسبونونه الى اليهودية والنصرانية ولم تحفظ أصولهما حتى يمكن الرجوع اليها؟

الحق ان أصل الدين فطري في البشر، انطوى عليه وجدانهم، وصدقته عقولهم، عند ماصاروا يبحثون ويستدلون، والماديون يتوهمون ان فطرتهم وعقولهم لا تؤمن بشيء ما يدركونه بحواسهم، وهذا غفلة منهم عن أنفسهم، وعن فرضهم وجود الاثير فرضاً تابعهم اليه الضرورة. وقد بينا من قبل كيفية طرؤه الوثنية على الناس، وحقيقة النشوء والارتقاء في الاديان وكيف قاومها الانبياء بالدين الحق ولا محل لاعادتها.

﴿ اعتناقي الاسلام ﴾

تأليف (الميتدي) عبد الكريم يوسف (جووص) الفرنسي طبع في المطبعة التونسية على ورق جيد بحرف كبير ص ١٠٧ « بقطاع الاسلام والنصرانية » يباع في المكتبة العلمية (عند^{٢٩} بشارع الكنيسة بتونس)

ما زال الله يزيدنا بصيرة ويقينا بدين الاسلام خاتم الاديان بما يهدي اليه من ارباب الارادة القوية والفكر المستقل، فن اسلام عبد الكريم يوسف (جووص) الفرنسي، الى اسلام اللورد هذلي الانكليزي، الى امثالهما من اخواننا الذين لحقوا بنا في الاسلام دين الحق والتوحيد والتنزيه، والايان بجميع الانبياء المصالحين.

ولا بد من تميم الدين الحق { دين الاسلام } في جميع اقطار المعمورة. (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) واليك صورة اهداء كتاب اخينا عبد الكريم قال حفظه الله

الحمد لله الواحد الاحد، الفرد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احد، والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي جاء بالحق ليظهره على الدين كله. مرغماً انتف من عاند وحقد وحسد، فدعا لسبيل ربه بالحسنة والموعظة

الحسنة ، وجادل الناس بالتي هي احسن ، فمنهم من تجبر ونفر ، ومنهم من انقاد
واذعن وافر ، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا ،
وعلى كافة الانبياء والمرسلين ، وجميع الآل والاصحاب ومن تبعهم وتلاههم الى يوم الدين .
اما بعد فان المنازل تسموي أبواب قاطنيتها بما يتاح لهم تحت اديمها من افانين السعادة .
والسعادة - لا زلت لها قرينا - نوعان : سعادة ارواح وسعادة اشباح ، بينهما من التفاوت
كما بين النار والنور ، والظل والحور .

وقد صادفت اثناء اقامتي بالفطار التونسي سعادة نفسي ، وراحة نفسي ، من
نصيب وكفاح مارسته عقدين من السنين ، اعني حين قر قراري ، وسكنت نفسي ، راغدا
ضميري ، لانواع دين الهدى وشريعة الاسلام ، فصار هذا القطر حينئذ وطننا لنفس
نحن اليه ، وتترف بأجنحتها عليه ، ومن كانت حر الضمير يصدر بالحق لا يخشى
لوما ولا تزييا .

لذلك اردت أن ابدي للناس عند ما نجز هذا التأليف مالفؤادي من الود والميل
نحو قطر يجرد لي ان ادعوه « فطر السعادة » فوطدت العزم على اهداء الكتاب
لأميره الاعظم ، وملاذه الانغم ، صاحب السؤدد والفخار ، سيدنا محمد الناصر باشا باي ،
صاحب المملكة التونسية ، لازال رفيع العمد ، طويل النجاد أمين

عبد الكريم جوصو

وهذا مقل متنى

« تقولت عني بعض الصحف الفرنسية عند ما اعتنقت دين الاسلام اني أريد
تمهيد السبيل للزوج ناربع نساء ، وامتلاك ما اشاء من الجواري ! سبحانك اللهم هذا
رجم بالغيب ، وقذف باليهتان ، بل اني اسلمت لله رب العالمين ، مخضعا له الدين ، وما
أنا اول المهتدين

وجدت الاسلام ديننا سهلا مأخذا ، بين العقيدة ، واضمح البرهان ، مجردا
من الغموض ، لا يقتدر أتباعه في عبادة خالفهم الى واسطه ، فارتضيت له نفسي والحمد لله
لقد كنت بادئ بدء اردت ان اقلد اسلافي السكاوليكيين ، ولكن الفكر ابى ان
يستغنى شيئا لادليل عليه ، وكيف يقام البرهان على صحة العقائد السكاوليكية وقاوسها
ورهبانها وكرديالها عاجزون عنها .

بعد ذلك مكثت نحو عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لا أكون من شيعته ، إذ لا غنى للخلق عن عبادة خالفه .

فاتفق لي في أواخر هذه المدة أن حجت بعض الاقطار الاسلامية ، فأثر جمال حياة أهلها تأثيراً عظيماً على فريحتي الفنية ، واستهوطني بحاشيتها الى أن اندفعت للبحث في شؤونهم أجمالاً وتفصيلاً ، وأذ ذاك أخذ دين الاسلام يستميلني شيئاً فشيئاً ، الى أن نحلي اليقين أمام عيني ، وعلمت ان الدين عند الله الاسلام .
وها أنا ابين للواقفين على هذا الكتاب خلاصة البحائي من اولها الى آخرها تفصيلاً لمزاعم الواهين . اهـ

ثم كتب له ملاحقا في المباحث الآتية وهي (تسامح الاسلام) و (انتشار الاسلام) و (في الخلق) تفصيلاً عن كتاب الاسلام الذي ألفه السكونت هنري دي كاستري . ثم (القرآن) قسماً من « البحث في أصل اللغات » تأليف جان بياك روسو ومن « حياة محمد » تأليف بولافير . ومن « الاسلام » تأليف هنري دي كاستري . وبعد ذلك مبحث (في المرأة) من مختصر « في حقوق المسلمين » تأليف رحمن حلوه . ومن « مختصر الانكليزي في الاسلام » تأليف ريفي . يتلوه مبحث (قضاء الكنيسة الكاثوليكية على المرأة) ثم (في تعدد الزوجات) من كتاب « الاسلام على حفض القرآن » تأليف فرسيان دي ناسي .

(الاسلام) مجلة دينية علمية أخلاقية سياسية فارسية تصدر في طهران في كل شهر عربي مرة صفحتها ٤٨ بالقطع الصغير . رئيس محرريها حسين كمال الساطان . قيمة اشتراكها ١٢ قرانا في إيران ويضاف اجرة البريد للخارج . وعن العدد الواحد قران واحد عنوانها « طهران خيابان حرية مركز توزيع كل حرائد داخلية وخارجية » (العرفان) مجلة شهرية شهيرة تصدر في صيدا ستها عشرة أشهر تبحث في العلم والادب والاجتماع وتنفى غاية خاصة بشؤون الشيعة ، وكانت حبيبت عن قرائها زمناً ثم عادت الى خدمتها وهي ذات أربعين صفحة بقطع المنار ، وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي وفي الخارج ستة فرنكات

(المنهل) مجلة ادبية تاوخيية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء . تصدر مرة في الشهر في القدس الشريف لمنشئها محمد موسى المغربي . صفحتها ٤٠ قيمة اشتراكها ريال ونصف ريال مجيدي في البلاد العثمانية وفي الخارج عشرة فرنكات

﴿الاصلاح اللامركزي وطلاجه في البلاد العربية﴾

تألف حزب اللامركزية بمصر لمطالبة الدولة بتغيير شكل ادارتها في المملكة كلها - وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين - لانهم يريدون الحياة للدولة كلها لا لبلادهم فقط ، ولو طالبوا الادارة اللامركزية لبلادهم وحدها لما كان ذلك أنفع لهم ولا أرحى لقبول طلبهم ، اذ رضاء الدولة بجملة ادارة بعض ولاياتها مركزية وبعضها غير مركزية بعيد عن العقل والنصور . وتألفت في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية ببروت لطلب اصلاح معين لولاية بيروت خاصة . وتنهى اهمية في البصرة لطلب الاصلاح لولاية البصرة خاصة . وما حفز العرب في هذه المواضع واهاب بهم الى طلب الاصلاح والدولة بتين من أعمال الحرب البلقانية التي غابت فهم على امراءها الاطوفهم أن يكون بفناء الخلل السابق سببا لاختلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي او الاحتلال العسكري .

ولما رفعت هذه الجماعات اصواتها بطالب الاصلاح رددت صداد جماعات المهاجرين السوريين في امريكا الشمالية والجنوبية وفي افريقيا ، واقترح بعض من في باريس منهم تأليف مؤتمر عربي بباريس لاعلان مقاومة كل استغلال اجنبي في البلاد وللبحث في حقوق العرب في الدولة العثمانية والمطالبة بها . وانهضوا الى حزب اللامركزية ادارة هذا المؤتمر ، فاختر الحزب لتقييم بذلك كلا من السيد عبد الحميد الزمرراوي واسكندر بك نمون ورشح الاول لرياسة المؤتمر علي ان يكون با انتخاب امضاء المؤتمر ، وكذلك كان . وكانت من امر انضمام المؤتمر ونعماسه واهتمام حكومة الاستانة به ما هو مشهور .

شعر اركان الحكومة الاتحادية بوجود العرب وعشوا بمبادلة الاحتفالات بينهم وبين من في الاستانة من العرب واكثرهم طلبة المدارس الاميرية . وسعوا لاستقدام الوفود من سورية ، واحتفلوا واحتفوا بمن ذهب منهم الى الاستانة ، وادبوا لهم المآدب ، واحبوا التأليف بين طلاب الاصلاح ومن عارضهم وشجع عليهم زلماً للحكومة ، ولكن لم ينم لهم هذا . وكانت هذه المظاهرات التي اهمت بها اهل الاستانة تذكر بالسخرية في غيرها ، ويعدها العرب في مصر وسورية والعراق وفي البلاد الاجنبية خداعاً وتخديراً .

وأما الامر الذي كانت محل النظر ، وموضع الامل عند بعض العرب ، فهو

الاتفاق الذي عقده جمعيّة الأنصار والتّرقى مع رئيس المؤتمّر العربي ، واعطته العهد والميثاق لتنفيذه كلّهُ . وهو مؤلّف من اثنتي عشرة مادة . ولهذا مكث رئيس المؤتمّر بضعة اشهر في باريس ينتظر تنفيذه ، وكانت الاستانة تجذبه اليها وحزب اللامركزية يجذبه عنها ، - حتى اختار الحزب أخيراً أن يعود الى مصر ، وان يمر بالاستانة مختبراً اذا شاء . فشاء وجه الاستانة ، وراجع رجال الحكومة في أمر تنفيذ الاصلاح الموعود به ، فقالوا إننا على عهدنا ، وقد بدأنا من التنفيذ بانشاء مدرستين سلطانيّتين باللغة العربية احدهما في دمشق والاخرى في بيروت ، وبتقرير جمل عسكري كل ولاية في مطلقها العسكري ، وبجعل اللغة العربية رسمية في الحاكم ودواوين الولايات العربية ، وباختيار الموظفين لهذه الولايات من المارفين باللغة العربية . واما ما يتعلّق بالامانة والاوقاف والمعارف فهو يتوقف على وضع القوانين له ونحن شارعون في ذلك بتقسيح قانون الولايات ووضع قوانين أخرى ، ثم ان تنفيذ بعض ذلك يتوقف على وجود المال ولا مال الآن . واما المناصب والوظائف في مجلس الاعيان ومصالح الحكومة العليا فلم ساعدنا على اختيار الاكفاء لها انفسهم بلندرج .

هذا ماخص ما نذكر من معنى أحوبة الحكومة للسيد الزهراوي بعد مراجعات متعددة ، وعود مسهية ، كان فيها بين اليأس والرجاء مدة طويلة ، حتى عزم على منادرة الاستانة . ثم شرعت الحكومة في تنفيذ ما لا يتوقف على القوانين ولا افعال من المطالب بالمشاورة معه ، ومنها تعيين ستة اعضاء من العرب في مجلس الاعيان احدهم السيد الزهراوي نفسه ، إذ اقضت الحال ان يكون في الاستانة مرافقاً لتنفيذ سائر ما وعدت به الحكومة من الاصلاح ، ومنها تعيين الشيخ اسماعيل الحافظ من علماء طرابلس الشام عضواً في مجلس المعارف الاعلى ، وهو في الذروة العليا من نابي العرب علماً وعملاً ، اخلاقاً وعقلاً ورأياً واستقامة . ومنها تعيين عبد الوهاب افندي الانكليزي (لقباً لا نسباً) وشكري افندي العسلي مقشين في بعض الولايات ، وهما من اشهر نابي العرب من سلك الحكومة الملكي المستحقين للمناصب العالية . ومنها تعيين اناس آخرين في (الدوائر) المالية في العاصمة .

وكان رجال الاستانة قبل هذا قد أرضوا بعض رجال جمعيّة بيروت الاصلاحية بالوعود الجميلة فسكنت - ركنها بالندرج ، واستمالوا السيد طالب بك النقيب زعيم البصرة ، اناساً في الجرائد الرشاء عن الحكومة والانفاق معها وتبرع للاستيول العثماني وجمع له مالا كثيراً

ثم ان حزب اللامركزية رأى من الصواب ان يحفظ صاته بالسيد الزهراوي كما حفظ هو صاته بالحزب بهذا قيامه بمآعهد اليه خير قيام . حتى انه لم يحل ولم يرسل ، ولم يحل ولم يقد ، الا باستشارة الحزب ، ولان زعماء الحزب يتقون كل التفة بصدق في القول وباخلاصه في العمل لمصلحة الامة ، فهو بهذا خير من يوقنهم على أعمال حكومة الناصحة فيكونون على صيرة منها ، فلا يذنون علمهم وسعيهم على الغشون والاورهام ، فقرر الحزب باتفاق الآراء ، إنراو السيد الزهراوي على قول منصب الاعيان واثمة به ، اي في التوسط لدى الحكومة بمطالب الإصلاح . فمل الحزب هذا وهو غير موقن ولا مرجح لانجاز الحكومة ما وعدت به السيد الزهراوي ، كما انه غير موقن بأنها لا تنجزها ، فكانت الحكمة في عدم قطع الصلة بالحكومة ، ومطالبتها بالبرهان والحجة ، على كون الحزب لا يألو جهدا في انسي الى الإصلاح من طريق الامة ، فهو يسلك الطريقين الى مقصده ، فذا لم يصل من احدهما وصل من الآخر .

اتفق ان الحزب لم ينشئ شيئا جديدا بعد يانه العام الذي نشره يوم المظاهرة البرقية السلمية ، طالب البلاد كلها للإدارة اللامركزية ، لانه لم يجد شيئا جديدا يدعو الى التمسك ، فظن البدء عن مركز الحزب والذين ليس لهم صلة مكاتبه به ، ان الحزب قد سكن وسكت او انحل كجمعية بيروت وجهية البصرة . وأنه رضي من الحكومة بما قالت وما فلت ، وطاعت الجرائد العربية في امرها تظلم في الحزب وفي طلاب الإصلاح كافة ، وزعماء بيروت منهم خاصة .

يسئل الكلام بهذا الموضوع في اربع مسائل : الجلسات الإصلاحية ، وانتقرون ساها الآن ، وما يعترضون به ، والحالة الحاضرة . ونسأ في كل مسألة ساها قول وجيز .

اما الجلسات الإصلاحية فثلاث كما تقدم : جماعة حزب اللامركزية وهي تعمل السكك كلها وان كان العالم فيها عربا وتأثير عملها الاول في البلاد العربية . وهي وجد الإصلاح في البلاد العربية يوجد في غيرها حتما اما سابقا واما لاحقا . وجماعة بيروت وجماعة البصرة ، ومطالب كل منهما موضعية ، ولكن زعماءها متفقون مع حزب اللامركزية في مطالبه العامة كلها ، اذ النسبة بينه وبينها كالنسبة بين الخالص والفساد . سكتت الجلسات اليوم عن مطالبها لانه لأسباب اقتضت ذلك ،

فذلك لا ينبغي بقاء اتفاق أهل الرأي منهم ، مع حزب اللامركزية في المطالبات الاصلاحية العامة ، وان لم يساعده على ذلك جميع افرادها في الشكل الاول ، فقد يساعده كثير منهم في شكل آخر . والحق الواقع ان الحزب الآن اقوى ناصرا واكثر عددا مما كان عليه من قبل ، خلافا لما يتوهمه البعض عنه ، فقد تشعبت شعبه وكثرت فروعه في الولايات ، ورسخت مقاصده في النفوس ، وقد قويت الامل فيه ، وانحصر رجاء الولايات في سعيه ، وان صلة السيد الزهراوي به لم تزد رجاء الولايات فيه الا قوة وثباتا ، وان كان أهل الرأي من شعبه ولجانه فيها منقذين مع اخوانهم الذين في سر على كون ما مفت به الحكومة على العرب لا يمس شيئا مذكورا في جانب مطالب الحزب ، ولا ينبغي ان يزيده الا جدا واجتهادا في السعي .

وأما المتراضون فمنهم الخاص الذي لا علم له بدخائل الاور وحقائقها ، ومنهم الخاص المطالع الذي يريد بالاعتراض حفظ الهيم ، والحث على الاسراع في العمل ، ومنهم من لا حظ له من المطالبة بالاصلاح الا التلذذ بمقاومة الدولة العثمانية والتهوؤ عليها ، وهو لا يرجو لها ولا منها صلاحا ، ولا يحب لها بقاء . فهو نصير المنابذين عليها ، وظهر المقاومين لها ، وعدو الراضين منها ، كيفما كانوا ، وبأيه شكل ظهروا ، ومراده ان تستولى الدول الاوربية عليها ولا يرضيه ما دعي من هذا . ومنهم من لا يسئل معرفة قصد ، ولا حقيقة مراده . فلما فالتخصون في طاب الاصلاح فلا يلبثون ان يرجعوا عن انكارهم ، وغير المتخصصون لا علاج لهم .

وأغرب ما رأى الحزب من المعارضة والمقاومة وأبعده عن المألوف ما كان من احد كتاب نصارى السوريين الذين اتقوا للحزب . فقد حضر كثيرا من جلسات اللجنة العليا بطريق الاستثناء ، كان ياتي فيها دلوه بين الدلاء ، فيفرد بالمعارضة ، ويابح بطالب حمل المصالح والمنافع قسمة بين المسلمين والنصارى ، وقد اتفق الفريقان على انكار هذا الرأي وضرر هذه القسمة ، وكونها تكون مثار النزاع والتخاصم والعداوة والبغضاء ، ويجزم أهل العلم والرأي من النصارى بأن ضرر هذه القسمة عليهم اشد ، وان السكوت عن كل ما يتناقى بالدين والمذاهب خير لهم وانفع ، لهذا الكتاب الذي كان يذكر ذكر الدين في امور السياسة وشؤون الدنيا في فكره هذا بما نشره في من حر انده مصر وأمر يكاد يقر نصارى المهاجرين في أمريكا من الحزب ، ونهاهم عن مساءلة باسم المسيحية وحقوق المسيحيين وحضر المسلمين لها ، حتى انه كتب في جريدة الهدى الأمريكية التي تبنى بنشر ما يكاد ان صاحب المنار أنكر على مسلمي بيروت اتفاقهم مع نصاراها على اجهل نصيب أعضاء المطالب الحلبية

من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم . وهي دعوى غير صحيحة ، فان النار أنكر من لأمتة جمية يروى الاصلاحية أكثر ما اعطته للمفتشين والمراقبين من الاجاب ولم ينكر مسألة المناصفة في المجالس بل عدها دليلا على اخلاص المسلمين وصدقهم الاتفاق مع النصارى لأنهم تنازلوا لهم عن بعض حقوقهم .

وأما الانتقاد والطمع الذي صوب اليهم فهو ان الترك ارضوهم ببعض المناصب والوظائف ، فظهر أن طلب الاصلاح كان شبكة لعميد المتافع ، ويحتجون على هذا بأن المؤتمر العربي قد قرر ان لا يقبل احد من المنتسبين الى لجان الاصلاح الرئيسية اي منصب في الحكومة العثمانية اذا لم تفد القرارات التي صادق عليها - الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتسبين اليها . وخص باشد الانتقاد السيد الزهراوي وعميدي المسلمين والنصارى في جمعية يروى الاصلاحية - محمد افندي يهم ونحله بك سرسوق اذ قبلوا ان يكونوا أعضاء في مجلس الاعيان ، قبل تنفيذ الاصلاح في البلاد العربية ولهذا ثلاثة ثلاثة اجوبة يردون بها تلك المتاعن (احدها) ان الحكومة قد شرعت في تنفيذ الاصلاح ولا يعقل أن لا يقبل العرب طلاب الاصلاح منصبا ولا غير فيها الا بعد تنفيذ الاصلاح كله بأيدي الترك ومقاومي الاصلاح من العرب ، كأننا نقول : اننا بعد ان يصاح لنا هؤلاء بلادنا تقبل المناصب والوظائف فيها ! (الثاني) ان عضوية الاعيان لا تعد وظيفة او منصبا في الحكومة ، لان عمل الاعيان كعمل المبعوثين (النواب) : وضع اقتوانين ومراقبة الحكومة في تنفيذها ، فهو سيطرة على الحكومة لا خدمة لها (الثالث) ان اللجان الاصلاحية التي تسمى اليها قد وافقت على ان تكون في مجلس الاعيان . وأما الذين قبلوا المناصب في غير مجلس الاعيان فيمكن لمن كان متميلا الى بعض لجان الاصلاح ان يجيب بالجواب الاول . وهو جواب ضعيف اذا لم يمزجه الثالث .

سواء على حزب اللامركزية اقتنع المنتقدون والطاعنون بهذه الاجوبة أم لم يقتنعوا : فان لجنة الحزب العليا لم تدخل في باب المناصب والوظائف ، وقد دعي رئيسه (رفيق بك العظيم) الى الاستانة مرارا قبل ذهاب الزهراوي اليها وبعده . وكان ولا يزال مرشحا لمنصب الوزارة - فلم يجب الدعوة ، والسيد الزهراوي - وان حضر تأسيس الحزب - لم يجب ان يدخل في لجنته الادارية ولا في الانتخاب لها ، لانه جاء مصر زائرا لا مقبلا . ولكن مكاتته العالية من قوس لجنة الحزب العليا ومن قوس - ثر طلاب الاصلاح في سورية وغيرها هي التي حملت اللجنة

على اختياره للمؤتمر، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر، وثباته بعد اتمام عمله فيه على السعي الى الاصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيد بقراراته، وانقطاعه عن كل عمل لأجله، على كونه ينفق من مال نفسه - وناهيك بسعة النفقات في أوربة - كل ذلك كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لمنصب عضوية الاعيان والتوسط لدي الحكومة في الاصلاح، واما السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في صدته واخلاصه وناريخه الحميد التي، كما أشيرنا الى ذلك من قبل.

بقيت المسألة الرابعة، وهي بيان حالة الحزب الحاضرة. وانقول الوجهز فيها ان الحزب - وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر - قد أصبح أقوى ثما كان، منذ أسس الى الآن، فقد كثرت فروعه في الولايات وانظمت. وتوطدت الثقة به وثبتت، وانحصرت آمال طلاب الاصلاح فيه أو كبرت. ويصح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل باعداد الافكار. ثم تألفت المجاهد، وقد انتهى الآن بطور القيام بالأعمال، وان قياده بالعمل، واضطلعه بالسمي، ذو خبر خدمة للدولة قبل الامة، لما أتمته الماضي لرجاله من الروية وحسن النية، فكانت المصالحة في أن يدبر هو الحركة، لئلا تقضي الى الفوضى، أو يغلب عليها الغلاة المتطرفون، الذين ظهرت في مدة سكونه اصواتهم بنفحة الثورة، وتزعيع منشورات أقلقت الحكومة وعتلاء الامة. ويقال انه يريد ان يبدأ عمله بجمع مؤتمره السنوي وتجديد انتخاب أعضاء اللجنة العليا، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها، ومنها تحويله الى جمعية، اذ لم تصدق عليه الحكومة. فقد افترح هذا كثيرون. وعمى ان تكفيه الحكومة هذا الامر، فتبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها والله الموفق.

الشيخ علي يوسف

٤

﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ المنار لا يعني بترجمة أحد ترجمة تاريخية محضه وإنما يعني من تراجم الناس ببيان الاخلاق الحسنة ولاعمل النافعة التي تكون مثالا حسنا، وقدوة صالحة، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعني بكل ما يتوصل به

الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، وان ذكرنا مايقابل ذلك فانما ندكره لان المعبرة لانتم الابه ، ولا يحفل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ما ذكرناه من ترجمة هذا الرجل دائر على هذا القطب ، وأحبينا أن نختارها بهذه الكلمات التي تذكر الناس وتنبه الغافل لما هو المصقود بالذات . فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهجه وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقته . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكمن متعلم نال الدرجات العلى في العلوم والفنون العربية والفرنجية يتنى أن يصل الى ماوصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه ، وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلا ، لأن من أبطأت به مساجيده وأخلاقه لا تسرع به علومه وفنونه ، فأحب أن تذكرنا بتأثير الرجل قد ارتقى بالزينة . وقوة الارادة والصبر والثبات وعلو الهمة ، والاخلاص العلة والامة . فن استطاع ان يتخلق بهذه الاخلاق ، فليقصد بها ماشاء من مراتب السكال ، ومقامات الرجال . ويحذر المعتبر بسير رجال عصره من الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا النابغة وأمثاله من النوايع (كقامم بك أمين) وهو يحاول استمجال الثروة الواسعة التي تلبق بمقامهم الاجتماعي بساوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتن بما افتن به كثير من كهرائنا المتفرجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعرصات الارض الممعدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التتالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت (سنة رد الفعل) بأمان المباني وعرضاتها الى ما دون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تفصيله في ادارة المؤبد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروفًا مشهورًا الا ليكمل الاعتبار بصورة فقيدنا النافذة طردا وعكسا ، ونسأل الله تعالى ان يتنمده برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

(تنبيه) وقع في السطر ٢٢ من ص ١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها (سبب)

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتلهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتلهون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٢ هـ ق ٨ الربيع الأول ١٢٩٢ هـ ش ٢٧ مارث ١٩١٤

﴿ استفتاء في فسخ نكاح المفسر ﴾

ماقولكم في امرأة فقيرة غاب عنها زوجها من مدة سنين وترك عنده ولدا ولم يترك لها شيئا لنفقة ولده ولم يرسل لها سوى شيء يسير لا يقوم بنفقة الولد وكتبت له عدة كتب طابت منه النفقة الكاملة لها ولولدها او الطلاق فتمت ولم يجوب عليها (?) ثم التمت من شيخه شيخ الجاوي فكتب له ولم (يجب) فهل لها طلب فسخ النكاح عند الحاكم الشافعي أم لا؟ وهل لو رفعت أمرها اليه وتحقق وثبت عنده جميع ما دعت به المرأة بالبينة الكاملة وفسخ نكاحها يكون فسخه واقعا وموقعا ولها بعد تمام العدة من الفسخ المذكور الزوج أم لا؟ أفتونا مأجورين

﴿ جواب مني الشافعية بمكة المكرمة ﴾

باسم سبجانه وتعالى أبدي الجواب ، واستمد منه تعالى العون والهداية لنصواب في الحقيقة يقع كثير من إيض الرجال الظلم والتعدي والابذاء في حق النساء البائسات ، وذلك حرام وقاعله آثم مخاف لما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حقهن ، ومن ذلك الزوج بين ثم السفر وتركهن بلا نفقة ولا منفق ، فجزى الله أماننا الشافعي رضي الله عنه خيرا حيث سوغ له فسخ النكاح عند ضرره. ويسوغ للحاكم متى رفق أمرهن اليه ان يفسخ نكاحهن ، ثم بعد تمام العدة يتزوجن بمن شئن. وكذلك أمام دار الهجرة الأمام مالك رضي الله عنه . قال المرأة المسئول عنها متى رفعت أمرها الى الحاكم وثبت لديه ضررها ودعواها فله حينئذ فسخ نكاحها من الزوج المذكور وفسخه سائغ وواقع وموقع ، ولها بعد تمام عدة الفسخ المذكور الزوج بمن يقوم بشأنها . قال في الأسنى مبنا وشرحا : واختار القاضي الطبري وابن الصباغ وغيرهما جواز الفسخ لها اذا تضرر تحصيلها للنفقة في غيبته لضرورة ، وقال الرزائي وابن اخته صاحب العدة أن المصلحة اقوى به . وقال في فتح المعين : واختار جمع كثيرون من محققي المتأخرين في غائب تضرر تحصيل النفقة منه الفسخ ، وقواه ابن الصلاح . وقال في فتاويه : اذا تضررت النفقة لعدم مال حاضر مع عدم إمكانها اخذها منه حيث هو بكتاب حكيم وغيره لكونه لم يعرف موضعه او عرف ولكن تضررت مطالبته عرف حاله في اليسار والاعسار أم لم يعرف فلها الفسخ بالحكم والافتاء بالفسخ هو الصحيح اهـ ونقل شيخنا كلامه في الشرح الكبير ، وقال في آخره وأفتى بما

قاله جمع من متأخري اليمى . وقال المحقق الطمبداوى فى كتابه : «والذى نختاره تبعا للأئمة المحققين أنه ان لم يكن له مال كما سبق لها الفسخ وإنه كان ظاهر المذهب خلافه لقوله تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) ولقوله (ص) » بثت بالحقيقة السمعة » ولان مدار الفسخ على الاضرار ولاشك أن الضرر موجود فيها اذا لم يمكن الحصول الى النفقة منه وإذ كان مومرا اذ سمر انفسه هو ضرر المرأه وهو موجود لاسيما مع اعسارها فيكون تضرر وصولها الى النفقة حكمه حكم الاعسار اهـ

وقال السيد عبد الله بن عمر الحضرمي أنه يجوز فسخ النكاح من زوجها حضر أو غاب بسمعة شروط إلى أن قال : ولو غاب الزوج وجهل يساره وإعساره بأقطع خبره ولم يكن له مال يمرحلتين فلها الفسخ بشرطه كما جزم به في النهاية وذكروا والمزجد والسباطي وابن زياد وابن قاسم والكروي وكثيرون . وقال ابن حجر في التحفة والفسخ وهو متجه مدركا لاقتلاها . بل اختار كثيرون واتفق به بن عجيل وابن الصباغ والرويان أنه لو تذر تحصيل النفقة من الزوج في ثلاثة أيام جاز لها الفسخ حضر الزوج أم غاب ، وقراه ابن الصلاح ورجحه ابن زياد والطمبداوي والمزجد وصاحب المذهب والكافي وغيرهم فيما إذا غاب وتذرت النفقة منه ولو بنحو شكية . قال ابن قاسم وهذا أولى من غيبة ماله وحده والمجوز للفسخ . أما الفسخ بتضررها بطول الفية وشهوة الوقاع فلا يجوز اتفاقا وأن خافت الزنا والله سبحانه وتعالى أعلم
أمر رقه مفتي الشافعية بمكة المحمية الراجي غفران المساوي

عبد الله ابن السيد محمد صالح الزواوي

كان الله لهما آمين

الحمد لله

صورة ما كتبه بعض كبار علماء الشافعية بالأزهر على هذه الفتوى

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أفاد العلامة السيد محمطى الذهبى فى المسائل الفقهيّة أن أصل مذهب الإمام الشافعى أنه لا يفسخ ما دام الزوج موسراً ، أى لم يعلم اعساره وإن انقطع خبره وتذمر استيفاء النفقة منه ، وأن الذى جرى عليه ابن الصلاح وشيخ الإسلام وكثير من المحققين أنه إذا تذمر استيفاء النفقة منه من كل الوجوه لا يقطع خبره أو تفرزه أى نواربه بحيث لا يمكن إلحاحه من خبره ، ولم يوجد إكل منهما مال فسخت الزوجة بإلحاحه ، قالوا لأن سر الفسخ بالإعسار هو الضرر ، والضرر موجود هنا ولو مع

اليسار ، فلا نأظر لعدم تحقق الاعصار . وظاهر أنه لا إهمال هنا لأن سبب الفسخ كما علمت هو محض الضرر من غير أنظر لليسار والاعصار انتهى وإن أردت بسط في المقام فراجع المسائل المذكورة صحيفة ٦٧ و ٦٨ والله أعلم

كتبه
عبد التجددي سليمان عبد بالأزهر الشريف محمد إبراهيم الغياثي الشافعي
كتبه
(المنار) إن ما علم به أولئك الفقهاء جواز الفسخ صحيح وإن رفع الحرج ونفي الضرر والضرر قاطعي في الشرعية . ومن أشد الضرر والحرج والعنت عدم القيام بحق الزوجية الثابت بمحدث « وأن لن زوجك عليك حقاً » المفق عليه . فلا عبرة بقوله من قال أنه لا يفسخ به وإن كانت الزنا على نفسها . لأنه تعالى لا تفسخ بالشرع الفطرية . وقد سبق لنا في المنار بيان فتوى المشيخة الإسلامية في الأساندة بالنسخ على القائل والمفسر ، وصدور الإرادة السنية بذلك

﴿ محاضرة الدكتور كريستيان سنوك هرونغ الهولندي ﴾

(في الإسلام ومستقبل المسلمين)

وعدنا أن نعلق شيئاً على هذه المحاضرة التي نشرناها في الجزء الماضي ووقتها

بالعدد نقول

(١) يظهر من كلام الدكتور أنه اعتبر المسلمين استناراً وإسماً قلنا يصل إلى مثل غوره الأجبي ، فهو قد أصاب في أكثر ما ذكره سليم من رأي ونهج ، ولكنه ما عرف حقيقة الإسلام وكنهه ، وأنى له أن يعرف ذلك ومن أين يعرفه يقول أنه درس الإسلام وعرف أصوله وفروعه ، من مكتبته الأكرمة حيث أقام ثمانية أشهر يتلقى عن بعض العلماء ، سبحان الله ! إن أهل مكة أهل الأمصار الإسلامية عناية بالعلم الديني وغيره ، ومن يوجد فيها من المدرسين العرب ، فقلنا يوجد فيهم أحد من المبرزين الأقوياء ، وإن وجد فيهم من يتغن بعض العلوم الشرعية ، فهو لا يقرأ الدروس الاعلى طريقة متأخري المسلمين العفيمية ، وطريقة المناقشة في عبارات بعض كتب المذاهب . قلنا ثمانية الأشهر لا تمكنه القراءة عتيدة كالتسنية أو السنوسية ، ونحوهما من كتب الكلام على مذهب الأشربة ، ولا القراءة باب الطائفة والصلاة من متوسطات كتب الشافعية أو الحنفية . بل علم الكلام الذي هو علم فلسفة العقائد الإسلامية يقول فيه الإمام الغزالي أنه ليس من علوم الدين وإنما هي حارس

للعقيدة كالسكر الذين يجرسون البلاد أو الحجاج مثلاً . بل تقول أننا على سمة اختيارنا للعالم الاسلامي لا نعرف مكاناً في الارض تبين فيه حقيقة الاسلام التي يمثلها القرآن وسنة الرسول المتبعة وسيرة السلف الصالح من العقائد والاخلاق والآداب ، والسياسة والادارة والنقضاء ، تبياناً سالماً من الشوائب والاهوام ، بحيث تلقى بعهولة في ثمانية اشهر أو اعوام (وارجو ان يوفق لهذا من يخرجون في مدرسة دار الدعوة والارشاد) .

(٢) اعترف هذا الدكتور الهولندي بأنه ادعى الاسلام تلقافاً او خداعاً للمسلمين ليسبر غورهم وغور دينهم من حيث تأثيره في حياتهم المدنية والسياسية . وقد فعل مثل هذا غيره من أفراد الشعوب الأوروبية اصحاب المستعمرات الاسلامية ، كالفرنسيين والروس والانكليز . ولو كان للمسلمين حكومات منظمة ، وجهيات اصلاحية عامة ، لما تبسر هؤلاء الجواسيس ما يفسر لهم دأمر المسلمين فوضى . واتسأ رى هؤلاء المستعمرين رافضون كل غريب يدخل مستعمراتهم ولا سيما اذا كان مسلماً . فلا يفنونه من حركته ولا اقواله شيء .

(٣) بين الدكتور ان الاسلام الديني ، كان قائماً على اساس الاسلام السياسي ، وان المسلمين كانوا واثنين يدينهم راضين به اذ كانوا احراراً برون انت العالم كله ملك لهم بالفضل او بالقوة ، عليهم ان يفتحوا منه ما لم يفتحوه . وهذا الذي ذكره عن المسلمين هو الذي عليه الافرنج الآن ، فهم يرون ان العالم كله ملك لهم ، ولذلك يتفقون فيما بينهم على اقتسام الممالك المستقلة ثم ينفذون ذلك . ولا مجال هنا للبحث في تفصيل هذا ويان ما خذه . واسكتما ننبه عقلاء القراء الى الاعتبار بمحاطم السابقة وحال الاوربيين الحاضرة ، ثم الميرة كل الميرة فيما رتبته هذا السياسي الكبير على هذا وهو .

(٤) بين ان الاوربيين قد سلبوا المسلمين ذلك الاستقلال والحرية بالتدريج ، فاضطار المسلمون الى تعديل افكارهم في الاسلام الديني ، بمد زوال الاساس الذي بني عليه وهو الاستقلال السياسي . ثم نقل ان بعض الناسة الاوربيين يرون ان سقوط الاسلام الديني يتبع سقوطه السياسي ، فيزول الاسلام من الارض ، وانه يتخلفهم في ذلك ، ويرى ان الاسلام الديني لا يزول كما أنه لا يبقى كما كان في عهد استقلاله وثاقه به ، وسند كرم ملخص رأيه فيه . والعبر الى يعقل من المسلمين في هذا كثيرة ، ومن اهمها غرور المفتونين من المسلمين الذين يفتنون أنهم يحفظون

استقلالهم السياسي او يؤسسون لهم استقلالاً جديداً مع ترك الدين ، فان هذا اذا جاز في غير الاسلام لا يجوز فيه ، لان جميع القومات للامة جعلها الاسلام اسلامية (٥) كما بين ازالة اوية لاستقلال الاسلام السياسي بالاستيلاء على ممالكه الواسعة ، بين تنصيرها في ازالة استقلال افراد المسلمين في انفسهم ، بما ينه من تعاقب الآراء الاوربية في افكارهم ، وزلزلتها لكثير من مقوماتهم ومشخصاتهم المالية التي يمتازون بها عن غيرهم ، وبها كانوا امة واحدة ، وبين ان ازالة بعض المميزات العادية كاللباس ، له دخل في ازالة المميزات الدينية كالصلاة ، فقال ان اداء الصلوات الخس صار متعذراً على المتفرجين ، الذين يلبسون الزي الافرنجي (قال) وسيتبعه الصيام . فخرم بأنهم يتركوه ، وبأن الشرائع التي كانت مقدسة عامة ستكون خاصة بمحاج مكة والمصوفة !

وطالبنا فيها المسلمين على ضرر هذا الانسلاخ من العادات والاخلاق تقليد الافرنج . وقد فطنا لهذه المسألة في اثناء اشتغالنا بطلب العلم بطرابلس اشام ، فكتبنا في بحث الزي واللباس فصلاً طويلاً ينا فيه انه ليس للاسلام زي ديني خاص ، وان ضرر تغيير الزي سياسي اجتماعي ، وانما يمس الدين ويكون محرماً شرعاً لاسباب عارضة ككونه ضيقاً يمنع من اداء الصلاة . ولكن جهاهير المسلمين لا يزالون يمزج عن فهم امثال هذه التنبهات والنصائح ، حتى انه يستخر بها من يدون انفسهم من الفلاسفة والسياسيين ، وانما هم من السفهاء المقتونين .

(٦) ذكر من اثر سلطان الاسلام في اهله ان الآراء الاوربية على شدة تعلقها في انفس المسلمين وتحولها لعاداتهم وافكارهم ، وتغييرها لتؤثرون حياتهم ، لم تقو على نحو الشعوب الديني من قلوبهم ، حتى انه كان يعرف تلاميذه المسلمين من غيرهم ، بمجرد قراءته منشاتهم ، لان روح الاسلام لا بد ان تتجلى في عبارتها

(٧) يعلى الدكتور بهذا وغيره ما رآه ورواه من خذلان دعاة النصرانية (المبشرين) فبا يحاولون من تنصير المسلمين ، ويجزم بأن التغيير الذي ادخلته اوربة على الاسلام لا ينهي بتنصير المسلمين ، لأنهم يعرفون النصرانية ويمتدنون انها فسدت وان الاسلام ارقى منها . وهذا القول الذي قاله صحيح وان كان يحمله من لم يكن له مثل علمه واختباره . فنحن نعتقد ان اصل النصرانية صحيح ، وانه طراً عليها التبدل والتغيير ، وان الله اكمل دينه بالاسلام ، على سنة في النشوء وترقي الاجتماع في الاقوام .

(٨) رأي الدكتور في مستقبل المسلمين الذي اطال في بيانه هو انهم يكونون

مثل اليهود في زوال انكسار الرضا بحكم الاوربيين وسيادتهم ، مع المحافظة على شعور دينهم وبعض تقاليدهم ، ومجاراة الافرنج في سائر الشؤون وان كان فيها ترك احكام الاسلام وآدابه . واستدل على ذلك بنحول افكار المسلمين عن الرضا بالتربية الدينية القديمة الى لغات الاوربيين وعلومهم وتربيتهم .

(٩) يرى هذا الدكتور الهولندي ما يراه الفرنسيون وغيرهم ان ما براد ادخاله على الاسلام من الآراء والافكار التي يريدونها دعاء النصرانية يجب ان يبت في المسلمين باسم المدنية لا باسم الدين ، فليقبل . وهذا ما تجري عليه فرنسا في مستعمراتها الاسلامية . يعني ان المسلمين قد فتنوا باسم المدنية الاوربية ومظاهرها فهم يقبلون من بابها كل شيء ، - وان لم يوصل اليها - لا يميزون بين كفر وايمان ، ولا بين ضار ونافع . واما فتنتهم بدينهم ورويتهم دين النصرانية دونها فها مما يحول دون قبولهم لشيء ما من دعاء النصرانية باسم النصرانية .

(١٠) ملخص المحاضرة أن أوربة ازالستقلال الاسلام السياسي وانزعزت ملك المسلمين من ايديهم بالندرج ، وانها شرعت في ازالة سائر مقوماتهم وخصائصهم القومية التي كانوا امة واحدة ، دينية وغير دينية ، حتى النكسات والعادات واركان الدين - وان اهل الرأي فيها يختلفون في دين الاسلام نفسه هل يمكن ازالته من الارض بعد اسقاط الحكومات الاسلامية كلها ام لا . فبعضهم يرون امكان ذلك فيذلون الملايين لدعاة النصرانية لتتصير المسلمين . وبعضهم يرى ان الاسلام لا يزول بالرة ، ولكن ينبغي ان تزال ثقة المسلمين به ، وأن يحولوا باسم المدنية عن جميع ما يربط بعضهم ببعض حتى التباس ، فهذا يكونون فلة وزراعا للسادة السالكين لبلادهم ، اذ لا يستغنون عنهم في استخراج خيرات الارض . وهذا ما يسعى اليه قوم آخرون .

ومن الجائبات ان محاضرة كهذه ترجحها جريدة سورية بالعربية ، وتجمل عنوانها (مقاومة الاسلام لنفوذ النصرانية !!) كانه كبر عليها قول الخطيب ان المبشرين لا يستطيعون تصير المسلمين ، فعدت هذا من مقاومة الاسلام للنصرانية ، وهكذا تقول بعض الجرائد القبطية هنا اذا قابل بعض المسلمين طعن المبشرين بجزء من الف جزء . فبني يفهم المسلمون ومتى يقولون ؟

(١١) نحن نسلم قول السكاتب رفاقا لكثير من احرار الافرنج : ان أوربة قد ازالستقلال الاسلام السياسي ، ولا يصدنا عن هذا التسليم ابقاءه او بقاء خيال من الاستقلال ضعيف في بعض البلاد ، يدير بعض النفوذ الاوربي ظاهرا وباطنا او

باطنا فقط ، ولا وجود بعض الامارات الصغيرة غير المنتظمة التي يدور حولها النفوذ الاوربي ولا يجد له الا الآن منفذا للدخول في احشائها كقلب جزيرة العرب . ولو كان عدد الغنلاء الذين يفهمون هذه الحقيقة ولا يفترقون بخيال الاستقلال الرسمي او ظلاله مثنا كثيرا ، لكان نهوض الاسلام من سقوطه السياسي والدني قريبا ، ولكن جمهور المسلمين الاكبر كالأطفال الذين يظنون ان الصور المتحركة التي يرونها في الملاعب تمثل الملوك والجيوش والوثائق هي من الاحياء التي تحرك وتعمل بأرونها . ولو عرف الدكتور الحاذق النبه حقيقة الاسلام كما عرف احوال المسلمين

الأحياء ، ولو دقق نظره بمد ذلك في شؤون المسلمين فضل تدقيق ، وقاس حاضرم الذي عرفه بماضيمه القريب المظلم ، وماضيمه البعيد المشرق ، - للم ان في الاسلام قوة كائنه لم يكن للبهود مثلها ولا ما يقرب منها عند ما زال ملكهم ، ولا قبل ذلك ولا بعده . وللم ان هذه القوة لو وجدت من يحسن استخدامها والانتفاع بها لكانته ان يملك بها الشرق كله ، او يكون سيده الاول ، ولكن من سوء حفظ الشرق انه لم يوجد في هذه القرون الأخيرة عقل ير ادرك هذا بقوة اشتمه ولاهمة عالية ارادت ان تصدى له ، الا عقل نابليون الكبير وهنته ولكن حالت الاقار بينه وبينه . ولو عقل الدكتور السياسي هذا وخبره لاقع دولته بأن تكون هي الدولة التي تسود الشرق بالمسلمين ، ولو اقمها لكانتها ذلك وان كان مسلمو بلادها اضعف من غيرهم في قوتي السلم والسلي ، وفي المجد والتألق والطارف . أما لو فطنت لمثل هذا العمل فرنسة أو انكلترة لكانت كل منهما اقدر عليه من غيرها .

فإذا ملكت هذه الدول التي تملك عشرات الملايين من المسلمين ، ومحجوبة عن هذه الحقيقة بما ضرب به التاريخ دونها من حجب السياسة والدن ، فليس من العبدان تقطن له دولة اليابان ، ان صح ما يظنه الأوروبيون من أنهم قطعوا طرق الحياة كلها على هذه البقايا من دول الاسلام

وأما الاسلام الدني فهو لا يزداد الا قوة وحدة مهما حل بالاسلام بالسياسي ، وقد حفظ الدكتور منه شيئا وغاب عنه اشياء . فان كان بعض المتفرجين قد تروا الصلاة والسياسي ، ويظن حوكما يظنون ان الجملة يرسيتمونهم في هذا الضلال ، افسانا بزخرف الشهورات المدنية ، وما ثبت بقولهم الآراء الأوروبية ، فليلم ان عدد المسلمين يزيد ولا ينقص ، وان هؤلاء المتفرجين للتقوين سيرجع بعضهم الى الهدى ، وبعضهم يمسكون ببعض الآخر نية النوى ، وأن الاسلام دين المستقبل « سترجم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يبين لهم انه الحق . أو لم يكذب بربك انه على كل شيء شهيد » ؟ ؟

الباطنية وغلاة المتصوفة

(بدوهم وأويلائهم من فصول كتاب الانصاف للامام الناطقي)

فصل

(ومنها) بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا عقل - يدعون فيها انها هي المتصدد والارادة لا ما يفهم العربي .. مسندة عندهم الى اصل لا عقل . وذلك انهم - فيما ذكر العلماء - قوم ارادوا ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً ، وإبقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في ايديهم ، فإني يمكنهم إبقاء ذلك صراحاً ، فيرد ذلك في وجوههم ، وتند اليهم احادي الحكماء - فصرفوا افعالهم الى التحال على ما قصدوا بأواع من الخيل ، من جهل تصرف لهم من الظواهر إحالة على أن لها برهان هي المقصودة ، وان الظواهر غير مرادة . فقالوا : كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكليف والخير والنشر والامور الإلهية ، فهي امثلة ورموز الى برهان .

فما زعموا في الشرعيات ان الجباية مبادرة الداعي للمستجيب بافشاء سر اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق . ومعنى القتل تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى مجامعة البيمة متباعدة من لا عهد له ولم يؤمن شيئاً من سدة النجوى .. وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم - قالوا : فلذلك اوجب الشرع القتل على الفاعل والمنعول به ، والا فالبيمة متى يجب القتل عليها ؟

والاحتلام ان يسبق اسائه الى افشاء السر في غير محله، فعليه الغسل، أي تجديد المعاهدة. والظاهر هو التبري من اعتقاد كل مذهب سوى متابعة الامام. والتيمم الاخذ من المأذون الى أن يسند بمشاهدة الداعي والامام. والصيام هو الامساك عن كشف السر.

ولهم من هذا الافك كثير في الامور الالهية، وامور التكليف، وامور الآخرة، وكله حوم على ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً، اذ هم ثوية ودهرية وإباحية، منكرون للنبوة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار والملائكة. - بل هم منكرون للربوبية. وهم المسنون بالباطنية. ^(١)

وربما تمسكوا بالحروف والاعداد بان الثقب في رأس الآدي سبع، والكواكب السيارة سبع، وايام الاسبوع سبع، فهذا يدل على أن دور الأئمة سبعة، وبه يتم. وان الطبائع اربع، وفصول السنة اربع، فدل على أن اصول الاربعة هي السابق والتالي الاكبران - عندهم - والناطق والاساس. - وهما الامامان. - والبروج اثنا عشر، يدل على أن الحجج اثنا عشر، وهم الدعاة، الى اواع من هذا القبل. وجميعها ليس فيه ما يقابل بالرد، لأن كل طائفة من المبتدعة سوى هؤلاء، ربما يتمسكون بشبهة تحتاج الى النظر فيها معهم. أما هؤلاء فقد دخلوا في الهذيان الربقة، وصاروا عرضة للزيم، وضحكة للمالين. وانما ينسبون هذه الاباطيل الى الامام المعصوم الذي زعموه، وابطال الأئمة معلوم في كتب المتكلمين.

(١) انقسمت الباطنية الى عدة فرق يجمعهم القول بجمل ظواهر النصوص غير مرادة، والذهاب في تأويلها مذاهب من التحكم لا تتفق مع اللغة في مجاز ولا كناية. وانقول بامام معصوم، وقد يسمونه باسم آخر، ويحملونه بعد ذلك إلهاً. وآخر فرقهم الباطية البهائية

ولكن لا بد من نكتة مختصرة في الرد عليهم .

فلا يخلو ان يكون ذلك عندهم ما من جهة دعوى بالضرورة وهو محال، لأن الضروري هو ما يشترك فيه العقلاء علما وادراكا، وهذا ليس كذلك. واما من جهة الامام المعصوم بسماعهم منه لتلك النواويلات. فنقول لمن زعم ذلك: ما الذي دعاك الى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم سوى المعجزة؟ وليس لا مامك بمعجزة، فالقرآن يدل على أن المراد ظاهره، لا ما زعمت. فان قال: ظاهر القرآن روي الى بواطن فيها الامام المعصوم ولم يفهمها الناس فتعلمناها منه. قيل لهم: من أي جهة تعلمتموها منه؟ أم بشاهدة قلبه بالعين؟ أو بسماع منه؟ ولا بد من الاستناد الى السماع بالاذن. فيقال: فامل لفظه ظاهر له باطن لم تفهمه، ولم يطلعك عليه، فلا يوثق بما فهمت من ظاهر لفظه. فان قال: صرح بالمعنى. وقال: ما ذكرته ظاهر لا رمز فيه، او: المراد ظاهره. قيل له: وبماذا عرفت قوله انه ظاهر لا رمز فيه، بل انه كما قال؟ اذ يمكن أن يكون له باطن لم تفهمه ايضا، حتى لو حلف بالطلاق الظاهر انه لم يقصد الا الظاهر، لاحتمل أن يكون في طلاقه رمز هو باطنه وليس مقتضى الظاهر. فان قال: ذلك يؤدي الى حسم باب التفهيم. قيل له: فاتهم حسموه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم، فان القرآن دأب على تقرير الوحدانية، والجنة، والنار، والحشر، والنشر، والانبياء، والوحي، والملائكة، مؤكداً ذلك كله بالقسم. واتهم يقولون: ان ظاهره غير مراد واز تحته رمزا. فان جاز ذلك عندهم بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة وسر له في الرمز، جاز بالنسبة الى معصومكم أن يظهر لكم خلاف ما يضمرة لمصلحة وسر له فيه، وهذا لا محيص لهم عنه.



قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : ينبغي أن يعرف الإنسان أن رتبة هذه الفرقة هي أحسن من رتبة كل فرقة من فرق الضلال ، إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية . إذ مذهبها إبطال النظر ، وتغيير الالفاظ عن موضوعها بدعوى الرمن . وكل ما يتصور أن تنطق به السانهم فاما نظر أو نقل . أما النظر فقد ابطأوه . وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه . فلا يبقى لهم معتصم . والتوفيق بيد الله .



وذكر ابن العربي في العواصم مأخذاً آخر في الرد عليهم أسهل من هذا . وقال أنهم لا قبل لهم به - وهو أن يساط عليهم في كل ما يدعونه السؤال « بكم » خاصة ، فكل من وجهت عليه - منهم سقط في يده . وحكى في ذلك حكاية ظريفة يحسن مودة هاهنا . وتصور المذهب كاف في ظهور بطلانه ، إلا أنه مع ظهور فساد وبعده عن الشرع قد اعتمده طوائف وبنوا عليه بدعافاً حشة (منها) مذهب المهدي المغربي . فانه عند نفسه الامام المنتظر ، وانه معصوم حتى أن من شك في عصمته أو في أنه المهدي المنتظر فهو كافر .

وقد زعم ذووه انه ألف في الامامة كتاباً ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم السلام . وأن مدة الخلافة ثلاثون سنة ، وبعد ذلك فرق واهواء وشع مطاع ، وهوى متبع ، وأعجاب كل ذي رأي برأيه ، فلم يزل الامر على ذلك ، والباطل ظاهر والحق

كامن ، واللم مرفوع - كما اخبر عليه الصلاة والسلام - والجلل ظاهر ، ولم يبق من الدين الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، حتى جاء الله بالامام فاعاد الله به الدين - كما قال عليه الصلاة والسلام « بدئ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدئ فطوبى للغرباء » وقال : ان طائفتهم الغرباء ، زعما من غير برهان زائد على الدعوى . وقال في ذلك الكتاب : جاء الله بالهدي ، وطاعته صافية نقية ، لم ير مثله قبل ولا بعد ، وان به قامت السموات ، والارض به تقوم ، ولا ضلله ، ولا مثل ، ولا ند . وكذب ، تعالى الله عن قوله . وهذا كما نزل احاديث الترمذي وايي داود في الفاطمي على نفسه وانه هو بلا شك .

واول اظهاره لذلك انه قام في اصحابه خطيبا فقال : الحمد لله الفاعل لما يريد ، القاضي لما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على النبي المبعوث رب المهدي ، يلا الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله اذا نسخ الحق بالباطل ، وازيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الأقصى ، وزمانه آخر الأزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ظهر جور الأمراء ، وامتلأت الأرض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل . يشير الى ما جاء في احاديث الفاطمي .

فلما فرغ باذر اليه من اصحابه عشرة . فقالوا : هذه الصفة لا توجد الا فيك ، فأتى المهدي . فبايعوه على ذلك . وحدث في دين الله احداثا كثيرة زيادة الى الاقرار به المهدي المأموم ، والتخصيص بالعصمة . ثم وضع ذلك في الخطب ، وضرب في السكك ، بل كانت تلك السكك عندهم

ثالثة الشهادة . فمن لم يؤمن بها أو شك فيها ، فهو كافر كسائر الكفار .
 وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها . وهي نحو من ثمانية عشر
 موضعا . كترك امتثال امر من يستمع امره ، وترك حضور مواظمه
 ثلاث مرات ، والمداينة اذا ظهرت في احد قتل ، واشياء كثيرة .

وكان مذهبه البدعة الظاهرية ، ومع ذلك فابتدع اشياء ، كوجوه
 من التوب ، اذ كانوا ينادون عند الصلاة « بتا صا ليلت الاسلام » و « بقيام
 تا صا ليلت » و « سور دين » و « باردي » و « واصبح لله الحمد » وغيره .
 فخرى العمل بجمعها في زمان الموحدين . وبقي اكثرها بعد ما انقرضت
 دولتهم . حتى اني ادركت بنفسي في جامع غرناطة الاعظم الرضا عن الامام
 المعصوم . المهدي المعلوم ، الى أن أزيلت وبقيت اشياء كثيرة غفل
 عنها أو غفلت .

وقد كان السلطان ابو العلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد
 المؤمن بن علي منهم . ظهر له قبيح ما هم عليه من هذه الابتداعات . فامر -
 حين استقر بمراكش - خليفته بازالة جميع ما ابتدع من قبله ، وكتب بذلك
 رسالة الى الاقطار يأمر فيها بتغيير تلك السنة ، ويوصي بتقوى الله
 والاستماتة به ، والترك كل عليه ، وانه قد نبذ الباطل واطهر الحق ، وان
 لامهدي الا عيسى ، وان ما دعوه انه المهدي بدعة ازلها ، واسقط اسم من
 لا تثبت عصمته .

وذكر أن ابا المنصور هم بان يصدع بما به صدع ، وان يرفع الحرف
 الذي رفع ، فلم يساعد الا لاجل لذلك . ثم لما مات واستخلف ابنه ابو محمد
 عبد الواحد المنقب بالرشيد ، وفد اليه جماعة من اهل ذلك المذهب المنسمين

بالموحدين ، قتلوا منه في الذروة والغارب ، وضمّنوا على انفسهم الدخول تحت طاعته ، والوقوف على قدم الخدمة بين يديه ، والمدافعة عنه بما استطاعوا ، لكن على شرط ذكر المهدي وتخصيصه بالعصمة في الخطبة والمحاطبات ، ونقش اسمه الخاص في السكك ، واعادة الدعاء بعد الصلاة ، والنداء عليها « بناصليت الاسلام » عند كمال الاذان و « بتقام ناصليت » وهي اقامة الصلاة ، وما اشبه ذلك من « سودرين » و « وقادري » و « اصبح ولله الحمد » وغير ذلك .

وقد كان الرشيد استمر على العمل بما رسم ابوه من ترك ذلك كله ، فلما انتدب الموحدون الى الطاعة اشترطوا اعادته ما ترك ، فاسعفوا فيه . فلما احتلوا منازلهم اياما ولم يعد شيء من تلك الموائد ، ساءت ظنونهم ، وتوقعوا انقطاع ما هو عمدتهم في دينهم ، وبلغ ذلك الرشيد ، فجدد تأنيبهم باعادتها .

قال المؤرخ : فيا لله ! ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح لسماع تلك الامور ، وانطلقت ألسنتهم بالدعاء بخلقيتهم بالنصر والتأييد ، وشملت الافراح فيهم الكبير والصغير . وهذا شأن صاحب البدعة ، فلن يسر بأعظم من انتشار بدعته واظهارها (ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئا) وهذا كله دائر على القول بالامامة والعصمة الذي هو رأى الشيعة .

فصل

(ومنها) رأي قوم التنالي في تعظيم شيوخهم ، حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه . فالمتقصد منهم يزعم أنه لا ولي لله اعظم من فلان ، وربما

اغلقوا باب الولاية دون سائر الامة الا هذا المذكور . وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون ابدأً مبلغ المتقدمين . غير القرون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهكذا يكون الامر ابدأً الى قيام الساعة . فاقوى ما كان اهل الاسلام في دينهم واعمالهم وقيمتهم واحوالهم في اول الاسلام . ثم لا زال ينقص شيئاً فشيئاً الى آخر الدنيا . لكن لا يذهب الحق جملة ، بل لا بد من طائفة تقوم به وتمتدده . وتعمل بمقتضاه على حسبهم في ايمانهم . لا ما كان عليه الاولون من كل وجه ، لانه لو اتفق احد من المتأخرين وزن احد ذهباً ما بلغ مئداً أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصيفه . واذا كان ذلك في المال فكذلك في سائر شعب الايمان ، بشهادة التجربة المادية .

ولما تقدم اول الكتاب انه لا يزال الدين في نقص فهو اصلي لا شك فيه . وهو عند اهل السنة والجماعة . فكيف يستبعد ذلك في انه ولي أهل الارض ؟ وليس في الامة ولي غيره ؟ لكن الجاهل الغالب ، والغالو في التنظيم ، والتمصب للنجس ، يؤدي الى مثله أو أعظم منه . والثوسط يزعم انه مساو للنبى صلى الله عليه وسلم ، الا انه لا يأتيه الوحي . بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه . والغالي^(١) يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى اصحاب الحلاج في الحلاج .

(١) نص النسخة التي تطبع عنها « والغالي »

وقد حدثني بعض الشيوخ أهل المدالة والصدق في النقل انه قال :
اقت زمانا في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار اليها
كثير - قال - فخرجت يوما من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم
قاعدين ، فاتهمتهما يتحدثان في بعض فروع طريقتهما ، فقربت منهما
على استخفاء لأسمع من كلامهم ، - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم -
فحدثنا في شيوعهم وعظم منزلته ، وانه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه
المقابلة طربا عظيما ، ثم قال أحدهما للآخر : أحب الحق ؟ هو النبي . قال :
نعم هذا هو الحق . قل الخبر : فقلت من ذلك المكان فأرا أن يصيدني
معهم قارعة .

وهذا نمط الشيعة الامامية . ولولا الغلو في الدين والتكالب على نصر
المذهب ، والتهالك في عجة المبتدع ، - لما وسع ذلك عقل احد ، ولكن
النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتبمن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع » الحديث . فهو لاء غلوا كما غات النصارى في عيسى عليه
السلام . حيث قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . - فقال : الله تعالى
(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد
ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل) وفي الحديث « لا
تظروني كأطرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » .
ومن تأمل هذه الاصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة
كثيرا ، لأن البدعة اذا دخلت في الاصل سهلت مداخلتها الفروع .

فصل

واضعف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الاعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلانا الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق مثل هذا كثيرا للمتوسمين ^(١) . رسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال لي كذا وامرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الانبياء لا يحكم بها شرعا على حال الا ان تمرض على ما في ايدينا من الاحكام الشرعية ، فان سوفتها عمل بمقتضاها ، والا وجب تركها والاعراض عنها ، وانما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة . وأما استفادة الاحكام فلا . كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله ان لا يميت قلبي . فقال « قل كل يوم اربعين مرة يا حي يا قيوم ، لا اله الا انت » فهذا كلام حسن لا اشكال في صحته ، وكون الذكر يحمي القلب صحيح شرعا . وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة . وانما يبقى الكلام في التحديد بالاربعين ، واذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله ، قال : رأيت ربي في المنام ، فقلت : كيف الطريق اليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال . وشأن هذا الكلام من الشرع موجود ، فالعمل بمقتضاه صحيح ، لانه كانتنبه لموضع الدليل ،

(١) تمرس بالشئ احتك به ، وتمرس بدينه نال به وغيب كما يهيم البعير ، والمراد بهم هنا المتبدلون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون اخلاقهم واعمالهم

لان ترك النفس معناه ترك هواها باطلاق ، والوقوف على قدم العبودية . والآيات تدل على هذا المعنى ، كقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى) وما أشبه ذلك . فلو رأى في النوم قائلاً يقول : ان فلانا سرق فأقطمه ، أو عالم فأسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فحده ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، والا كان عاملاً بغير شريعة ، اذ ليس بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي .

ولا يقال : إن الرؤيا من اجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل . وأيضاً إن المخبر في المنام قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قد قال « من رأى في النوم فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » واذا كان ... فأخبره في النوم كإخباره في اليقظة .

لانا نقول : ان كانت الرؤيا من اجزاء النبوة فليست لنا من كمال الوحي ، بل جزء من اجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجود ، بل انما يقوم مقامه في بعض الوجود ، وقد صرفت الى جهة البشارة والندارة ، وفيها كاف ^(١)

وأيضاً فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها ان تكون صالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد توفر ، وقد لا تتوفر .

وأيضاً فهي منقسمة الى الحلم ، وهو من الشيطان ، والى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض اخلاط ، فتعين الصالحة حتى

(١) كذا ولعل في الكلام حذفاً

يحكم بها وتترك غير الصالحة ؟

ويلزم أيضاً على ذلك ان يكون تجديد وحي يحكم به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو منهي عنه بالاجماع .

يحكي ان شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال :
عليّ بالسيف والنطع . قال : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي
كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني ، فقصصت رؤيائي على من عبرها ،
فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمّر معصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك
برؤيا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولا معبرك ييوسف الصديق عليه
السلام ، فبالاحلام الكاذبة تضرب اعناق المؤمنين ؟ فاستجّبي المهدي ،
وقال : اخرج عني . ثم صرفه وابعده .

وحكي الغزالي عن بعض الأئمة انه افتي بوجوب قتل رجل يقول
بخلق القرآن ، فروجع فيه ، فاستدل بان رجلاً رأى في منامه ابليس قد
اجتاز باب المدينة ولم يدخلها ، فقيل : هل دخلتها ؟ فقال : اغتاني عن
دخولها رجل يقول بخلق القرآن ، فقام ذلك الرجل فقال : لو افتي ابليس
بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلّدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا ! فقال : قوله
في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة .

**

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الرائي بالحكم .
فلا بد من النظر فيها ايضاً ، لأنه اذا اخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم
بما استقر ، وان اخبر بخالف ، فيحال ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ
بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لان الدين لا يتوقف استقراره

بعد موته على حصول المرائي النومية ، لأن ذلك باطل بالاجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : ان رؤياه غير صحيحة . اذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع .

لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى في النوم فقد رأى » وفيه تأويلان : احدهما ما ذكره ابن رشد اذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالمعدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما تحكم بهذه الشهادة ؟ فلما باطله . فاجاب بانه لا يحل له ان يترك العمل بتلك الشهادة ، لان ذلك ابطال لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتمد ، اذ لا يعلم الغيب من ناحيتها الا الانبياء الذين رؤياهم وحي ، ومن سواهم انما رؤياهم جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة .

ثم قال : وليس معنى قوله « من رأى فقد رأى حقاً » ان كل من رأى في منامه انه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل ان المرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه المرائي على صفة ، وغيره على صفة اخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه وسلم ولا صفاته . وانما معنى الحديث « من راني على صورتي التي خلقت عليها . فقد رأى » اذ لا يتمثل الشيطان بي » اذ لم يقل : من رأى انه رأى ، فقد رأى . وإنما قال : من رأى فقد رأى . واني لهذا المرائي الذي رأى انه رآه على صورته انه رآه عليها ؟ وان ظن انه رآه ، ما لم يعلم ان تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا ما لا طريق لأحد الى معرفته .

فهذا ما نقل عن ابن رشد . وحاصله يرجع الى ان المرئي قد يكون

غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وان اعتقد الرائي انه هو

والتأويل الثاني يقوله علماء التفسير : ان الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم . فيشير له الى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من اشبه هؤلاء ممن لا يمثل الشيطان به . فيوقع اللبس على الرائي بذلك وله علامة عنده . واذا كان كذلك امكن ان يكلمه المشار اليه بالامر والنهي غير الموافقين للشرع ، فيظن الرائي انه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون كذلك ، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى .

وما اخرى ^(١) هذا الضرب أن يكون الامر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الاول ، حقيق بان يكون فيه موافقا ، وعند ذلك لا يبقى في المسئلة اشكال . نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم ، لا مكان اختلاط احد القسمين بالآخر . وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الاحكام الاضعف المنة . نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يذنون عليها اصلاً ، وهو الاعتدال في اخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله اعلم .

فصل

وقد رأينا أن نختم الكلام في الباب بفصل جمع جملة من الاستدلالات المقدمة ، وغيرها في معناها ، وفيه من نكت هذا الكتاب جملة اخرى ، فهو مما يحتاج اليه بحسب الوقت والحال ، وان كان فيه طول ولكنه

(١) نص النسخة التي نطبع عنها « اجري » بالميم وهو غلط

يخدم ما نحن فيه ان شاء الله تعالى .

وذلك انه وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون انهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي يأخذون في الذكر الجمهوري على صوت واحد ، ثم في الغناء والرقص ، الى آخر الليل ، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء ، يرسمون برسم الشيوخ الهداة الى سلوك ذلك الطريق : هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

فوقع الجواب بان ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقة اصحابه والتابعين لهم باحسان ، فنعم الله بذلك من شاء من خلقه .

ثم ان الجواب وصل الى بعض البلدان ، فقامت القيامة على العاملين بتلك البدع ، وخافوا اندراس طريقتهم ، وانقطاع اكلامهم بها ، فارادوا الانتصار لأنفسهم ، بعد أن راموا ذلك بالانتساب الى شيوخ الصوفية الذين ثبتت فضيلتهم ، واشتهرت في الانقطاع الى الله ، والعمل بالسنة طريقتهم ، فلم يستقر لهم الاستدلال ، لكونهم على ضد ما كان عليه القوم ، فانهم كانوا بنواختهم على ثلاثة اصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال ، واكل الحلال ، واخلاص النية في جميع الاعمال ، وهؤلاء قد خالفوه في هذه الاصول ، فلا يمكنهم الدخول تحت ترجمتهم وكان من قدر الله ان بعض الناس سأل بعض شيوخ الوقت في مسألة تشبه هذه ، لكن حسن ظاهرها بحيث يكاد باطنها يخفى على غير المتأمل . فاجاب عفا الله عنه على مقتضى ظاهرها من غير تعرض الى ما هم عليه من البدع والضلالات ، ولما سمع بعضهم بهذا الجواب ارسل

به الى بلدة اخرى ، فأتى به فرحل الى غير بلده ، وشهر في شيمته ان بيده حجة لطريقتهم تهر كل حجة ، وانه طالب للمناظرة فيها ، فدعي لذلك فلم يقيم فيه ولا قعد ، غير أنه قال : ان هذه حجتى ، وألقى بالبطاقة التي بخط الحبيب ، وكان هو وحجبه ^(١) واشياعه يطايرون بها فرحاً ، فوصلت المسئلة الى غرناطة ، وطلب من الجميع النظر فيها . فلم يسع احد له قوة على النظر فيها الاول ^(٢) أن يظهر وجه الصراب فيها الذي يدان الله به لأنه من النصيحة التي هي الدين القويم ، والصراط المستقيم

ونص خلاصة السؤال : ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة ، يقرؤن جزءاً من القرآن ، ويستمعون من كتب الوعظ والرفاق ما امكن في الوقت ، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقديس ، ثم يقوم من بينهم قوال يذكّر شيئاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى من السماع ما توق النفس اليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين ، وذكر آلاء الله ونعمائه ، ويشوقهم بذكر المنازل المجازية ، والمعاهد النبوية ، فيتواجدون اشتياقاً لذلك ، ثم يأكلون ما حضر من الطعام ، ويحمدون الله تعالى ، ويرددون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتהלون بالادعية الى الله في صلاح أمورهم ، ويدعون للمسلمين ولا يماهم ويفترقون .

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ؟ أم يجمعون وينكر عليهم ؟ ومن دعاهم من المحبين الى منزله بقصد التبرك ، هل يجيبون دعوته ويجمعون على

(١) كذا ولعلها « ومجبه » أو « ومحبوه » (٢) لفظ الاول لا يظهر له معنى هنا والظاهر ان المقام مقام الاستثناء وان العبارة ربما دخل فيها التحريف والسقوط

الوجه المذكور أم لا ؟

فاجاب بما محصوله : يجالس تلاوة القرآن وذكر الله هي رياض الجنة . ثم اتى بالشواهد على طلب ذكر الله . واما الانشادات الشعرية . فانما الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وفي القرآن في شعراء الاسلام (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) وذلك ان حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعبا لما سمعوا قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) الآيات . بكوا عند سماعها فزل الاستثناء ، وقد أشهد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لآيات اخت النضر ، لما طبع عليه من الرأفة والرحمة .

واما التواجد عند السماع ، فهو في الاصل رقة النفس ، واضطراب القلب ، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن . قال الله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي اضطربت رغبا أو رهبا . وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم ، قال الله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) الآية . وقال (ففروا الى الله) فانما التواجد رقة نفسية ، وهزة تليسية ، ونهضة روحانية . وهذا هو التواجد عن وجد ، ولا يسمع فيه نكير من الشرع . وذكر السلمي انه كان يستدل بهذه الآية على حركة التوجد في وقت السماع . وهي (وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا) الآية . وكان يقول : ان القلوب مربوطة بالمكوت ، حركتها انوار الذاكر ، وما يرد عليها من فنون السماع .

ووراء هذا تواجد لاعن وجد ، فهو مناط الذم ، لمخالفة ما ظاهر

لما بطن . وقد ينرب ^(١) فيه الامر عند القصد لاستنهاض الغرائم ، واعمال الحركة في نقطة القلب النائم « يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتبكوا » ^(٢) ولكن شأن ما بينهما .

— واما من دعا طائفة الى منزله فتجاب دعوته ، وله في ذلك قصده ونيته . فهذا ما ظهر تقيده على مقتضى الظاهر ، والله يتولى السرائر ، وانما الاعمال بالنيات . انتهى ما قيده .

فكان مما ظهر لي في هذا الجواب : ان ما ذكره في مجالس الذكر صحيح اذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فانهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم ، حتى يتعلم بعضهم من بعض ، ويأخذ بعضهم من بعض ، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثاها من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الاجتماع على تلاوة كلام الله .

وكذلك الاجتماع على الذكر فانه اجتماع على ذكر الله . ففي رواية اخرى انه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة » الحديث المذكور . لا الاجتماع للذكر على صوت واحد ، واذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم ان كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس

(١) لعله « يعزب » (٢) لعله أراد حديث « أنلوا القرآن وابكوا ، فان لم تبكوا فتبكوا » فاقبسه بالمعنى ، وهو في سنن ابن ماجه من حديث سعد ابن ابي وقاص بسند جيد

إليه متعلمون ، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضاً بالعمل بطاعة الله والبعده عن معصيته . وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وعمل به الصحابة والتابعون . فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الاجر ما جاء .

كما يحكى عن ابن أبي ليلى أنه سئل عن القصص . فقال : ادركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجلسون ويحدث هذا بما سمع وهذا بما سمع . فلما أن جلسوا خطيباً فلا . وكان كالذي نراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية . أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمر دينهم ، ويذكرهم بأسه ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها ، ويتجنبوا مواطنها والعمل بها .

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرّمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف . وقلّ ما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلا على اللحن ، فضلاً عن غيرها ، ولا يعرف كيف يتعبد ، ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حُرّموا مجالس الذكر التي تنشأها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟ فإنهم ليسوا بهذا النور عنهم ضلوا ، فاتقدوا بجهال أمثالهم ، واخذوا يقرؤون الأحاديث النبوية والآيات القرآنية فيزولونها على آرائهم ، لا على ما قال أهل العلم فيها . فخرجوا عن الصراط المستقيم ، إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النعمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المنموم ، فينزلون

تعالوا نذكر الله . فيرفعون اصواتهم يشون ذلك الذكر مداولة ، طائفة في جهة ، وطائفة في جهة اخرى ، على صوت واحد يشبه الغناء ، ويرغمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا . فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح اولي بادراكه وفهمه والعمل به ، والا فآين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ؟ وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين) والمعتدون في التفسير هم الرافيون اصواتهم بالدعاء

وعن ابي موسى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاجل الناس يجهرون بالكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اربعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غافلاً ، انكم تدعون سميماً قريباً ، وهو معي » وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ، ولم يكونوا رضي الله عنهم يجهرون على صوت واحد ، ولكنه نهى عن رفع الصوت ليكونوا للآية ممثلين . وقد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر ، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون . وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ، وهي الربط التي يسمونها بالصفة . ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله .

فالخاص من هؤلاء انهم حسنوا الظن بانهم فيما هم عليه مصيبون ، واساءوا الظن بالسلف الصالح اهل العمل الراجح الصريح ، واهل الدين الصحيح . ثم لما طاب لهم لسان الحال بالحجة اخذوا كلام الحبيب بهم لا يملعون ، وقولوه ما لا يرضى به العلماء ، وقد بين ذلك في كلام آخر اذ سئل عن ذكر فقراء زماننا ، فاجاب بان مجالس الذكر المذكورة في الاحاديث انها

هي التي يتلى فيها القرآن ، والتي يُتلى فيها العلم والدين ، والتي تفرم بالعلم والتذكير بالآخرة والجنة والنار . كجالس سفبان الثوري والحسن وابن سيرين ، واضرابهم .

اما مجالس الذكر اللساني فقد صرح بها في حديث الملائكة السياحين ، لكن لم يذكر فيه جهراً بالكلمات ، ولا رفع اصوات ، وكذلك غيره . لكن الاصل المشروع اعلان الفرائض واخفاء النوافل ، واتى بالآية وبقوله تعالى (اذ نادى ربه نداء خفياً) وبحديث « ارفعوا على انفسكم » - قال - : وفقرء الوقت قد تمخروا بآيات ، وتميزوا باصوات ، هي الى الاعتداء ، اقرب منها الى الاقتداء ، وطريقتهم الى اتخاذها مأكلة وصناعة ، اقرب منها الى اعتدادها قرية وطاعة .

اتمى معناه على اختصار اكثر الشواهد . وهي دليل على ان فتواه المحتج بها ليس معناها ما رام هؤلاء المستدعة . فانه سئل في هذه عن فقراء الوقت ، فاجاب بذكرهم ، وان حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناول علمهم . وفي الاولى انما سئل عن قوم يجتمعون لقراءة القرآن ، أو لذكر الله . وهذا السؤال يصدق عن قوم يجتمعون مثلاً في المسجد فيذكرون الله ، كل واحد منهم في نفسه أو يتلو القرآن نفسه ، كما يصدق على مجالس المعلمين والمتعلمين ، وما اشبه ذلك مما تقدم التنبيه عليه ، فلا يسمعه وغيره من العلماء الا ان يذكر محاسن ذلك والثواب عليه ، فلما سئل عن اهل البدع في الذكر والتلاوة بين ما ينبغي أن يعتمد عليه الموفق ، ولا توفق الا بالله العلي العظيم . اه المراد منه

(١) في الاصل « بختلا » هكذا ، فصححها ناسخ الورق الذي نطع عنه فجعلها « بختلى » وكلاهما غلط

فصل^(*)

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين (منزلة التوكل)

قال الله تعالى (وعلى الله فتوكوا ان كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال عن اولياته - وانا عليك توكلنا وابلك انما واليك المصير - وقال - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا - وقال ارسوله - فتوكل على الله المك على الحق المبين - وقال - وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا - وقال - وتوكل على الحي الذي لا يموت - وقال - فاذ عزت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين - وقال - وما لنا ألا نتوكل على الله ؟ (١) الآية - وقال عن اصحابه - الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وتوكلوا على الله ونعم الوكيل - وقال - اما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، فزادهم إيمانا وتوكلوا على الله ونعم الوكيل) والقرآن مملوء من ذلك وفي الصحيحين في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب « هم الذين لا يسرقون ، ولا يظلمون ، ولا يكتون ، وعلى ربهم يتوكلون » وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك انبت ، وبك خاصمت ، اللهم أعوذ بعزتك ، لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي الذي لا يموت ، والجن والانس يعوتون » وفي « الترمذي » عن عمر رضي الله عنه ، مرفوعا « لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطائر ، تغدو خفاصا وتروح بطانا » وفي السنن عن الحسن رضي الله عنه

« ان يردج من الجزء الثاني من كتاب (مدارج السالكين . بين منازل « إياك نعبد

إياك نستعين) لابن القيم (١) زاد في البداية من الآية قوله تعالى « وقد هدانا سبيلا »

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال - يعني اذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ، ولا حول (١) ولا قوة الا بالله ، يقال له : هديت ووقيت (٢) وكفيت ، فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل هدي وكفي ووقي ؟ »

التوكل نصف الدين ، ونصفه الثاني الاثابة ، فان الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستعانة ، والاثابة هي العبادة ، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معمورة بالتأزولين لسمة متعلق التوكل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والابرار والفساد ، والطير والوحش والبهائم ، فأهل السموات والارض - المكلفون وغيرهم - في مقام التوكل ، وان تباين متعلق وكلهم . فاولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم ، وفي اقامته في الخلق ، فيتوكلون عليه في الايمان ونصرة دينه ، واعلاء كلمته ، وجهاد اعدائه ، وفي مجابهة وتفنيد أوامره . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في معلوم يتاله منه من رزق او عافية او نصر على عدو او زوجة او ولد ، ونحو ذلك . (ودون هؤلاء) من يتوكل عليه في حصول الآمن والفواش . فان اصحاب هذه المطالب لا يتألمونها غالبا الا باستماتتهم بالله ، وتوكلهم عليه ، بل قد يكون توكلهم (٣) أقوى من توكل كثير من اصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم في التالف والمهلك معتمدين على الله ان يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم ، فافضل التوكل في الواجب (اعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس) ، واوسعها وانفعه التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، او في دفع مفيدة دينية ، وهو توكل الانبياء في اقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الارض ، وهذا توكل ورثهم .

ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم ، فمن توكل على الله في حصول الملك ، ومتوكل في حصول رغبة . ومن صدق توكله على الله في حصول شيء . قاله ، فان كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه الماقبة المحبودة ، وان كان

(١) في نسخة « ولا حول » وفي البغدادية سقط الواو (٢) وفيها « وكفيت ووقيت »

(٣) في المجازية « توكلهم عليه »

مستحوطا بمفوضا كان ما حصل له بتوكله مضمرة عليه ، وان كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه ، ان لم يستعن به على طاعة (١) والله أعلم .

فصل

فلنذكر معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه .

قال الامام احمد : التوكل عمل القلب . ومعنى ذلك انه عمل قلبي ليس يقول الانسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والادراكات . (ومن) الناس من يحمله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو نعلم القلب بكفاية الرب لا يبد (ومنهم) من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب . فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، كانطراح الميت بين يدي الفاسل بقلبه كيف يشاء ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الاقدار . قال سهل : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد . (ومنهم) من يفسره بالرضا . فيقول : هو الرضا بما قدور . قال بشر الخافي : يقول احدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله ، لو توكل على الله رضي بما يفعل الله . ومثل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال اذا رضي بالله وكلا . (ومنهم) من يفسره باسماة بالله ، والطمأنينة اليه والسكون اليه . قال ابن عطاء : التوكل ان لا يظهر فيك نزاع الى الاسباب مع شدة فائق اليها ، ولا تزال (٢) على حقيقة السكون الى الحق مع وقولك عليها . وقال ذو النون : هو ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وانما يقوى البند على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه . وقال بعضهم : التوكل التعلق بالله في كل حال . وقيل : التوكل ان ترد عليك موارد الفاقات ، فلا تسو الا الى من اليه الكفايات . وقيل : نفي الشكوك ، والتفويض الى مالك الملوك . وقال ذو النون : خلع الارباب ، وقطع الاسباب . يريد قطعها من قلمى القلب بها ، لا من ملابسة الجوارح لها .

(ومنهم) من جملة موكبا من امرين او امور . فقال ابو سعيد الخزاز :

(١) في البصايدة طاعته (٢) في البصايدة . ولا نزول

التوكل اضطراب بلاسكون ، وسكون بلا اضطراب ، — يريد حركة ذاته في الاسباب بالظاهر والباطن — وسكون الى المسبب وركون اليه ، ولا يضطرب قلبه معه ، ولا تمكن حركته عن الاسباب الموصلة الى رضاه . وقال اوتراب النخشي : هو طرح البدن في المبردية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة الى الكفاية . فان اعطي شكر ، وان منع صبر . فجعله مركبا من خمسة أمور : اقيام بهركات المبردية ، وتعلق القلب بتدبير الرب ، وسكونه الى قضائه وقدره ، وطمأنينته بكفايته له ، وشكره اذا اعطي ، وصبره اذا منع . قال ابو يعقوب النهرجودي : التوكل على الله بكمال الحقيقة كما وقع لابراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام « اما اليك فلا » لا نه غائب عن نفسه بالله (١) . فلم ير مع الله غير الله .

واجمع اقوام على ان التوكل لا ينافي القيام بالاسباب ، فلا يصح التوكل الا مع القيام بها . والا فهو بطالة وتوكل فاسد . قال سهل بن عبد الله : من طمن في الحركة فقد طمن في السنة ، ومن طمن في التوكل فقد طمن في الايمان ، فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سته . وهذا معنى قول ابي سعيد « هو اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب » وقول سهل ابن ابراهيم وارفع . وقيل : التوكل قطع علائق القلب بغير الله . وسئل سهل عن التوكل فقال : قلب عاشق مع الله بلا علاقة . (٢) وقيل : التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق . وقيل : التوكل ان يستوي عندك الاكثار والافلال . وهذا من موجباته وآثره ، لا نه (٣) حقيقته . وقيل : هو ترك كل سبب يوصل الى مسبب ، حتى يكون الحق هو المتولي لذلك . وهذا يصح من وجه ، باطل من وجه ، فترك الاسباب للمأمور بها قادح في التوكل ، وقد تولى الحق افعال المبدء بها . وأما ترك الاسباب المباحة ، فان تركها لما هو أرجح منها . وهذا قد مدح ، والا فهو

(١) في البندادية — لا يتعلق نفسه بانه — (٢) هانان الفقير تان سقطتا من لسختنا فأبستاهما من البندادية (٣) وفيها — لا أنه —

مذموم . وقيل : هو إلقاء النفس في العبودية ، وإخراجها من الربوبية . يريد استئصالها مع الامر ، وبرأتها من حولها وقوتها ، وشهود ذلك بها ، بل بالرب وحده . (ومنهم) من قال : التوكل هو التسليم لامر الرب وقضائه (ومنهم) من قال : هو التفويض اليه في كل حال .

(ومنهم) من جعل التوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . قال ابو علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات — التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالتوكل يسكن الى وعده ، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . فالتوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . فالتوكل صفة المؤمن ، والتسليم صفة لاولياء ، والتفويض صفة الموحدين . التوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخواص ، والتفويض صفة خاصة الخاصة . التوكل صفة الانبياء ، والتسليم صفة ابراهيم الخليل ، والتفويض صفة نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين . هذا كله كلام الدقاق . ومعنى هذا التوكل اعتماد على الوكيل ، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراف عليه ، وإرادة وشائبة مازعة ، فاذا سلم اليه زال عنه ذلك ، ورضي بما يفعله وكيله . وحال المفوض فرق هذا ، فإنه طالب يريد ممن فوض اليه ، ملتزم منه ان يتولى أموره ، فهو رضا واختيار ، وتسليم واعتماد ، فالتوكل يندرج في التسليم . وهو التسليم يندرجان في التفويض ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

فصل

وحقيقة الامر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل الا بها . وكل اشار الى واحد من هذه الامور ، او اثنين او اكثر . فأول ذلك معرفة بالرب وصفاته ، من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الامور الى علمه ، وصدرها عن مشيئة وقدرته . وهذه المعرفة اول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام اتوكل . قال شيخنا رضي الله عنه : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ، ولا من القدرة النفاة الذين بأنهم يكون في ملكه ما لا يشاء (١) ولا

يستقيم ايضا من الجهة انفاة لصفات الرب جل جلاله ، ولا يستقيم التوكل الا من اهل الالابات . فأني توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم ؟ ولا هو فاعل باختياره ؟ ولا له ارادة ومشيئة ؟ ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم واعرف ، كان توكله اصح واغوى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

(الدرجة الثانية اثبات في الاسباب والمسببات) فأت من نفاها فتوكله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي ان الاسباب يقدر في التوكل ، وأن نفيها كمال (١) التوكل

فأعلم ان نفاة الاسباب لا يستقيم لم توكل البتة ، لان التوكل من اقوى الاسباب في حصول التوكل فيه ، فهو كاللحاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به ، فاذا اعتقد العبد ان توكله لم ينصبه الله سببا ، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء ، فإن التوكل فيه المدعو به حصوله ان كان قدر (٢) حصل توكل او لم يتوكل ، دعا او لم يدع . وان لم يقدر لم يحصل ، توكل ايضا او ترك التوكل . وصرح هؤلاء ان التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لها الا ذلك ، ولو ترك العبد التوكل والدعاء مافاته (٣) شيء مما قدر له . ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بدمد المؤاخذه على الخطاء والنسيان عديم الفائدة ، اذ هو مضمون الحصول .

ورأيت بعض متعمقي هؤلاء في كتاب له (٤) لا يجوز الدعاء بهذا ، وإنما يجره تلاوة لا دعاء . قال — لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك — شك في خبر الله ، فانظر الى ما قاد انكار الاسباب من العقائم ، وتحرير الدعاء بما ألقى الله على عباده وأوليائه بالدعاء

(١) نص لسختنا — كلام التوكل — وكلام يحرف عن كمال القلب ، كما هو نص الحجازية ، والبغدادية « تمام التوكل » (٢) في البغدادية « قد قدر » (٣) لسختنا والحجازية « مافاته » والبغدادية « لما فاته » (٤) نص الحجازية « في كتاب لا » وسقط من البغدادية كلمة « له »

به وبطلبه ، ولم يزل المسلمون من عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم الى الآن يدعون به في مقامات الدعاء ، وهو من أفضل الدعوات .

وجواب هذا الهمم الباطل ان يقال : بقي قسم ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكره ، وهو الواقع . وهو ان يكون قضي بمحصل الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء ، فنصيب الدعاء والتوكل مبين لمحصل المطلوب ، وقضي الله بمحصله اذا فعل العبد سببه ، فاذا لم يأت بالسبب امتنع السبب . وهذا اذا قضي بمحصل الولد اذا جامع الرجل من محبها ، فاذا لم يجامع لم يتخلق منه الولد . وقضي بمحصل الشبع اذا أكل ، والري اذا شرب ، فاذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو . وقضي بمحصل الحج والوصول الى مكة اذا سافر وركب الطريق ، فاذا جلس (١) في بيته لم يصل الى مكة (١) وقضي بدخول الجنة اذا أسلم وأتى بالاعمال الصالحة ، فاذا ترك الاسلام لم يدخلها أبدا (٢) وقضي بانقضاء الطعام بإيقاد النار تحته . وقضي بظهور الحبوب التي تزرع شق الارض وإناء البئر فيها ، فاما لم يأت (٣) بذلك لم يحصل الاطية . فوزان ما قاله منكرو الاسباب ان يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ، ويقول : ان كان قضي لي وسبق في الأول حصول الولد والشبع والري والحج ونحوها ، فلا بد ان يصل ، ان تهركت أو سكنت ، تزوجت أو تركت ، سافرت أو قدمت ، وان لم يكن قضي لي لم يحصل لي ايضا ، فملت أو تركت . فهل يعد أحد هذا من جملة العقلاء ؟ وهل البهائم الا اذنه ؟ فان البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة . فالتوكل من أنظم الاسباب التي يحصل بها المطلوب ، ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الاسباب لم يتم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون الى الاسباب ، وقطاع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بما ، وحال بدنه قيامه بها . فالاسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وتدره ، فلا تقوم عبودية الاسباب الا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل الا على قدم العبودية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في البداية « فاذا جلس في بيته لم يصل الى مكة أبدا » (٢) حذف من البداية لفظ « أبدا » (٣) نص البداية فان لم « يأت »

فصل

الدرجة الثالثة (رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل) (١) فانه لا يستقيم توكل العبد حتى يصبح له توحيد ، بل حقيقة التوكل توحيد القلب ، فادامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول بدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، فان العبد متى التفت الى غير الله أخذ ذلك الالفات شعبة من شعب قلبه ، ففقد من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ، ومن هاهنا ظن من ظن ان التوكل لا يصح الا برفض الاسباب ، وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح ، فتوكل لا يتم الا برفض الاسباب عن القلب ، وتسلق الجوارح بها ، فيكون منقطعا منها متعللا بها . والله سبحانه أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة الرابعة (اعتماد القلب على الله ، واستناده اليه ، وسكونه اليه) بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الاسباب ، ولا سكون اليها ، بل بجمع السكون اليها من قلبه ، ويلبسه السكون الى مسببها ، وعلى هذا (٢) انه لا يلي باقلاها وإدارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدار ما يحب منها وقبال ما يكره ، لان اعتماده على الله وسكونه اليه واستناده اليه ، قد حصنه من خوفها ورجائها ، فخاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به ، فرأى حصنا مفتوحا فأدخله ربه اليه ، وأخلق عليه باب الحصن ، فهو يشاهد عدوه خارج الحصن ، فاضطراب قلبه وخوفه منهم في هذه الحال لا معنى له . وكذلك من أعطاه ملك درهما فسرقة منه ، فقال له الملك : عندي اضعافه لاثنتي عشرة مائة ، فقلت لي أعطيتك من خزائني اضعافه . فاذا علم صحة قول الملك وثق به واطمأن اليه ، وعلم ان خزائنه مليئة بذلك - لم يحزنه فقده . وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه رطما نيته بشدي أمه لا يعرف

(١) نسختنا والحجازية « توحيد التوكل » وسقط من البغدادية كلمة « توحيد »

(٢) نسختنا والحجازية « الى مسببها وعلى هذا » وفي البغدادية « الى مسببها »

غيره ، وليس في قلبه التفات الى غيره ، كما قال بعض العارفين : التوكل كاللطف لا يعرف شيئاً يأوي اليه الا ندي أمه ، كذلك التوكل لا يأوي الا الى ربه سبحانه .

﴿ فصل ﴾

الدرجة الخامسة (حسن الظن بالله عز وجل) فملى قدر حسن ظلك بربك (١) ورجائك له يكون توكلك عليه . وذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن فقال : التوكل حسن الظن بالله . والتحقيق ان حسن الظن به يدعو الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء (٢) ظلك به ، ولا التوكل على من لا نرجوه ، والله أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة السادسة (امتثال القلب له) ، وانتهذاب دواعيها كلها اليه ، وقطع منازعاتها) وهذا فسرهم من قال : ان يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الفاسل يقبضه كيف أراد ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وهذا معنى قول بعضهم : التوكل اسقاط التدبير . يعني الامتثال لتدبير الرب لك . وهذا في غير باب الامر والنهي ، بل فيما يفعله بك لا فيما امرك بفعله . فلا امتثال كتسابم العبد الدليل نفسه لسيده واتباعه له ، وترك منازعات نفسه وارادتها مع سيده . والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فصل ﴾

الدرجة السابعة (التفويض) وهو روح التوكل وابه وحقيقته ، وهو إلقاء اموره كلها الى الله ، وانزاعها به طلباً واختياراً ، لا كرها واضطراراً ، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المطلوب أموره (٣) الى ابيه العالم بشقيقته عليه ورحمته ، وتوكله كفايته ، وحسن ولايته له ، وتدبيره له ، فهو يرى ان تدبيره له خير من تدبيره نفسه ، وقيامه بمصالحه وتوكله لها ، خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوكله لها ، فلا يجد له أصلح ولا أوفق من تفويضه اموره كلها الى ابيه ، وراحته من حمل كلفها (٤) رثقلها ، مع عجزه عنها ، وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال علم من فوض اليه وقدرته وشقيقته .

(١) في البعدانية « به (٢) في البعدانية « على من تسمي » (٣) كذا في استغنا وفي البعدانية ، وفي الحجازية قبل كلمة « اموره خروسة يوشك ان يكون اسلماء في »
 « وعل » تكون العبارة « المطلوب على اموره » وهي الصواب (٤) في البعدانية « كلها »

افضل الوسائل

لانهاض السلطنة

﴿ فصل جليل ختم به كتاب تاريخ الحرب البلقانية للبستاني ﴾

خطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، أن نستطلع آراء نخبة من أكاره العلماء وخول الكتاب ، عن أفضل وسيلة نهض بالسلطنة بعد كيوتهما ، وتزيد في بقطة الامة بعد غفوتها . فسلطنا من أصدقنا اخذ بالوصول اليه قبيل صدور هذا المؤلف أن يصوغ لنا فكرته الاساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتلبية الطلب ، أدامهم الله زهرا اضيرا في بستان العلم والادب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها

(رأي سياسي شهير)

كتب الي عالم كبير لم يشأ أن ينشر اسمه قال « ان الامر عويص جدا لان في السلطنة نواعل كثيرة متنافضة وبعضها خفي . ولقد سمعت مرة للمرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق يقول ان لورد دربي ألقي عليه سؤال مثل سؤالك وطلب منه أن يرأي رأيا أو يضع مشروعا نافعا للسلطنة الصربية ، قال نوبار : فأخذت القلم وكتبت « أن ينشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع اليها الشكاوي من المأمورين فتعاقبهم وتنفذ الحكومة ما تحكم به عليهم »
فأدق هذا الانتقاد ، وما أرق هذا التكميم ...

(رأي القانوني الكبير ، والعالم الاجتماعي الشهير)

سمادة فتحي باشا زغلول

أفرتك السلام وبعد فسؤلك هام ومطالبك أهم

الدولة العلية رعاك الله مجموع محتاج في سياسته وانهاضه الى حكمة عالية وبصر بالأمر كبير ، فإذا غلب الرأي الهوى ، وبطل التفاضل بين الضاير ، وأقيم وزن العدل وتساوى الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات ... وإذا خلعت نبات اهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضلوا مصالح الامة على المنافع الفردية ، وجدد الكل في طلب الاصلاح ، فنشروا التحليم وعضوا بالأمر الاقتصادي ، فاستبقوا لأنفسهم مراقي

البلاد وكنوزها ، وذلوا السبل وأمنوا السابلة وقربوا المسافات ، ثم ازدعوا واحترفوا
وتجبروا فأحرفوا ، وإذا حكموا نظم الجند وهذبوا - لاشك أن الدولة ناعضة من
سقطتها ، وإن الأمة ناشطة من عقابها ، وأما نائلة من الحضارة والناعمة مكانا عليا

(رأي العالم العامل الشهير ، والصحافي الخلد الخبير)

الدكتور فارس افندي نمر

صاحب المقطاف والمقطم

حضرة الفضل ! ان كان المقصود من « الساطنة » في سؤالكم « الحكومة
والامة » في حالتها الحاضرة أي الدستورية فوسائط انماها متعددة منها مادي
ومنها أدبي ولكل واسطة منها قوة لا يستغنى عنها ، وخصوصاً وسائط العلم والمال ،
على أن في الحكومة وفي الامة رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يجوزهم ادراك
ولا يسار ، ولكن الذي ينقصنا هو تربية الحكومة على الاخلاق القويمة ، والصفات
المنظمة والمراقبة لشؤون الهيئة الاجتماعية ، حتى نستطيع الاتحاد والتعاون على تدبير
أمرنا وإنجاح أعمالنا ونحن جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدبير أمورهم
وانجاح أعمالهم وهم أفراد .

(رأي شيخ الادباء ، وكبير الشعراء)

(سعادة اسماعيل صبري باشا)

التوظيف - إذا أراد التركي أن يستبقى ما بقي له من ملكه فلا يفرق بين التركي
وسائر الاجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية ، بل يجب عليه أن يفضل في التوظيف
في كل بلد أهل الكفاءة من بينها ، فلا يوظف التركي في بلد غير بلده الأصلي الا
إذا كان يمسر وجود أكفاء مثله من أبناء ذلك البلد ، فتعود جميع العناصر التي تتألف
منها الدولة حب الراية التي تظلمهم ، والاراضي التي تهمهم ، فيقوم عندئذ وطن غياني حقيقي
يحبهونه ويذوبون عنه في اليوم المصيب .

التعليم - التعليم من أوجب الواجبات لنهوض الشعب العثماني عما هو فيه ، ولا
يراد بالتعليم أن يصبح جميع الافراد من العلماء ، بل يكفي أن يكون هناك عدد وافر
من المعلمين يسرون بالدولة الى مقام الشوب الراقية ، وأن يتم باقي أفراد الامة
ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم .

العدل - العدل بسيط في معناه صعب في تقييده بين الافراد . وأكبر آفاته

العرض والرشوة . فإذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فلنصرف كل جهدها في ملائمة هاتين الآفتين ، ونحذر من أن تستعين بالأجانب في سن قوانينها وتوزيع العدل بين رعاياها ، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لإقامة العدل وسن القوانين . ولا تعذر عليها أن تعبد عدلاً وطنياً متفقاً مع أخلاق أممها وعاداتها . وما يقال في العدل يقال أيضاً في سائر فروع الإدارة . وإذا كانت الحكومة لا تعبد مندوحة عن الاستعانة بالأجانب الأكفاء فلا تطلبهم من حكوماتهم ، بل تكلفهم وضع التقارير بعد اختيارهم لحالة البلاد ، ثم نأخذ النافع والموافق لمادات الأهالي من تلك التقارير دون أن نجعل أصحابها موظفين رسميين

(رأي العالم الاجتماعي الشهير)

الدكتور شميل الشميل

الدولة لا تنهض إلا بثلاثة : رجال ومال ووقت ، والرجال بالمعلم والتربية ، والمال بالموارد . فهل ذلك متوفر ، ولاسيما الوقت ، وعالمنا في الاجتماع كما هي من قلة السكان ، مع ما هو عليه اليوم من شدة التنازع ؟ والجواب على ذلك يدل على المصير (رأي الأستاذ الفاضل الشهير)

أبو شادي بك

رئيس تحرير جريدة الأوبد

ورأي أن الدولة لا تمض من سقاعتها ولا تعود إلى سابق مجدها إلا إذا توفر لديها ما يأتي

أولاً : تميم التعليم في أنحاء البلاد وجعل الأولي منه إجبارياً
ثانياً : إزالة التنازع بين العناصر ولا يكون ذلك إلا بجمع كل ولاية استقلالاً
أدارياً داخلياً حتى يعلم كل فرد أن اجتهاده منصرف إلى بلده وإلى نفسه .

ثالثاً : إبعاد الأكفاء من الموظفين أذ بغير شك إن قوانين الدولة عادلة ولكن تنفيذها مدموم .

رابعاً : إصلاح حياة الضرائب بحيث تكون الضرائب متساهلة على الأعيان لأعلى الحاصلات وتنظيم أوقات تحصيلها .

خامساً نزع السياسة من افكار الحبش
سادساً تمجيد اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع اخص
وذلك لان مظاهر الدولة اسلامي والقرآن عربي
(رأي العالم الاسلامي الكبير)

السيد رشيد رضا

منتشئ مجلة المنار

الدولة كائن حي، يُحفظ وجودها بالسنة التي تحفظ بها حياة سائر الاحياء، وهي سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يمدو عليه من الخارج
فأما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه فانما يكون باقامة الشرع العادل في
القضية، والمساواة في الحقوق بين الرعية، وبناء ادارة المملوكة على أساس
اللامركزية، وحمل السلطة العليا شق الأمانة بين العنصرين الكبيرين فيها - العرب
والترك - بحيث يكونان منها كالعنصرين اللذين يتكون منهما المساء أو الهواء . وأما
وقايتها مما يمدو عليها من الخارج فهو الآن منوط بدول أوربة الكبرى فمن
اصحاب المطامع فيها ومطامعهم متمارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنة على
نفسها من اقتسامها اياها بالقوة ، فيجب ان تبقى استيلاءهم على البلاد بقوة المال
والسياسة ، أي بالفتح السلمي ، وان تقوي مزاج الامة بالذل والعلم واعادتها للدفاع
عن نفسها . فاذا هي فرطت في مراقبتها وأملأها فباعتها للأوربيين ، وبقيت على
تبذيرها ، وتوهنها انها تستطيع ان تحمي نفسها منهم بقوة الدولة البرية والبحرية
الرسميتين ، ولم يحمل كل اعتمادها على الامة ، فالخطر عليها من الفتح السلمي ، أقرب
واقوى من خطر الفتح الحربي .

(رأي الكاتب التحرير الشهير)

داود أفندي بركات

رئيس تحرير الاهرام

رأي في اصلاح السلطنة العثمانية ان تقسم مناطق، وان تكون كل منطقة مؤلفة
من العناصر المتفقة في التقاليد . العادات والتقاليد ، فتعطى الاستقلال الاداري تمتد من
أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة . وبين لسلطة

مندوب سام يماونه مجلس ادارة بؤائف من الفنين في الامور المالية والادارية
والقضائية والسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة ،
وتلقى الضرائب المشرية ، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين
لشركات على اختلاف انواعها ، ويوجد القضاء فلا يكون من اختصاص رجال
الدين الا الامور الشخصية . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة او مناطق متحدة .
ذلك رأيي في نهاض السلطنة بسرعة

(رأي العالم المؤرخ)

جرجي بك زيدان

صاحب مجلة الهلال

البلد الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم نقر الملكية واضطراب الحكومة .
والحكومة الدستورية في أيدي الامة ، والامة العثمانية ضعيفة الاخلاق ، عريضة
في الانقسام ، بسبب ما توالى عليها من أتصر الفساد .
أما الملكية ولعني الولايات الباقية منها في آسيا فليس فقرها اصليا فيها ، وكل ولاية
منها كانت في بعض الازمان ملكية قائمة بنفسها ، فالمراق كانت وحدها مملكة البابليين
والاشوريين ، وبما اعترى البابليين في ابان دولتهم ، وكانت جبايتها ثلث جباية مملكتهم
الواسعة الممتدة من حدود الهند الى شواطئ الأتلاتيك . وسوريا كانت مؤلفة
من عدة دول ثم اعترى بها السلوقيون احيالا ، وكذلك آسيا الصغرى ، وظلت مدة هي
اعظم أركان الدولة العثمانية .

فهذه الولايات اذا أحسنت سياستها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتم والامة
كما تقدم . فالوسيلة المثلى للتعرض بالدولة العثمانية انما هي ترقية الشعب ، وهو لا يقدر
ان يرقى نفسه رغم استمداده الطبيعي للرقى . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ،
انما يشترط أن يكون مستبدا ، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية . فلا بد من
الاستعانة بالاجانب ، وأسلم الطرق أن تخالف الدولة العثمانية مع دولة تتق بصداقتها ،
فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول
الاخرى ، بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مصلح في الاستعمار . فاذا وقعت الى ذلك
في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت ووقتها !

(رأي الشاعر الكاتب الطائر الصيت)

خليل افندي مطران

أخي - سأنتي عما أرتيه لاصلاح الدولة العلية . فالذي أرتيه انما هو أمر واحد يلخص في كلمة واحدة : التعليم

منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة واستقري ما يجري فيها . فالذي بدا لي من شأنها في كل حال : ان الحكام كانوا لا يهتمون باصلاحها اعتماداً منهم على جهل الامة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل . وان الحكوميين كانوا فاقدي الحيلة في التماس ما هو خير لهم وكاوا صارين على مضض . وربما أومض لهم بأرق الاصلاح في احدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجئ .

ف هؤلاء الحكوميون ما لم تعلموا لا يقيمون لائقهم وزراً ولا يفرقون بين حق لهم وحق عليهم . كما أن أولئك الحكام أيا كان جنسهم ودينهم يلبثون أبداً الدهر متكررين لامتهم جانبين عليها ، الا حيث تضطرهم الى الاصلاح اضطراراً ، وتأخذ منهم قسراً ما يأتونه عليها اختياراً . وكل ذلك لا يتم فيهم منه الا بالتعليم .

(رأي الكاتب الشهير)

محمد افندي مسعود

حياة الدولة في مستقبلها . ومستقبلها في حكومة كفيفة باسترجاع مجدها المضيء ، وهذه الحكومة لا توجد ، الا متى عرف رجالها قدر انفسهم . فوضعوها فوق عبث الاحزاب .

(رأي الصحافي الخبير والكاتب الالهي)

سامي افندي قصيري

المحرر في المقطم

لما كانت الدولة العثمانية فيما مضى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفرد كانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضعف بضعفه وتعمد بعمده وتشفى بشفائه . أما الآن وقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لاهوال الزمان والمكان وتبدلت

حكومة الفرد بحكومة الامة ، فصلاحي الحكومة قائم بصلاحي الامة . ولا يكون ذلك في رأي الانبشر التعليم الحز بين طبقاتها ، والفصل بين دنياها ودينها ، والتأليف بين عناصرها وطوائفها ، حتى تصبح جميعها كتلة واحدة يحررها من أعلاها الى أسفلها عامل واحد ، هو عامل الوطنية ، وتجميعها من أقصاها الى أذناها جامعة واحدة هي الجامعة العثمانية .

(رأي الكاتب الشير)

فرح افندي انطون

صاحب مجلة الجامعة

ان سنة التطور (evolution) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعي أمر لا مفر منه . فما السبيل الى جعل التطور في السلطنة لها لاعياها ؟ لا أظن أن صديقي المؤلف يكلفني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر . على ان كل ما يقوله الكاتب ويفكر فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم ، فما تنقصنا الاقوال ولكن تنقصنا الافعال . فقد يقال « المدل والسواء ونوسيع سلطة الولايات وقطع دابر الرشوة بحسن اختيار الموظفين وسددة مراقبتهم واصلاح المحاكم وتنظيم البوليس وتقويته وانشاء الطرق الحديدية واستثمار الارض ظهرها وبطنها (الزراعة والمعادن) واهياء الصناعة والجماعة والمستشارون الاجانب وتنظيف الدوائر العليا والدنيا الخ الخ » وكلها اشياء جميلة . ولكنني ارى امرا آخر مقدماً عليها وان وجد المال وقوة الارادة لانفاذها وهو ما أسميه « الانسلاخ » أعني به انسلاخ الرجل الشرقي القديم - وكلنا ذلك الرجل - من جلده القديم وروحه القديمة واتخاذة جلداً جديداً وروحاً جديدة . ومعنى هذا بكلام مجرد من الزخرف والخيال تغيير السياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيتمية (positiviste) وهنا المشكلة العظمى . فانه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه السياسة من غير أن يصدف هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها ، أي سوق التطور في طريق هذه السياسة من غير ان يؤدي الى كسر في أعضائها . ورأس سياسة الوزيمية ان يفصل الدين عن السياسة الدينية عند جميع العناصر العثمانية . وبعد هذا الفصل يمكن الاتجاه الى موحدة الامة وبنية اساس مسميتها أعني بها المدرسة الابتدائية الازامية - واحدة لحيم ابنا الامة - ويعمل عن المذاهب الدينية لتوحيد انفراد الامة واهوامها ما أمكن لتوحيدها وجمعها أمة واحدة لا أمماً مختلفة كما هي الآن .

(رأي الأستاذ القانوني الشهير)

عزيز خانكي بك

يجب ان تبدأ الدولة بإعطاء ولايتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تحمل الصلة بينها وبين ولايتها كالصلة بين ممالك ألمانيا والأمراطورية، أو كالصلة بين الولايات المتحدة الأميركية والجمهورية، ثم تعاون جميع الولايات على تكوين قوة الدولة البرية والبحرية بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها

هذه من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعها . أما رقي الولايات فلا أمل فيه الا بإنشاء الحاكم، ووضع القوانين النظامية على الطريقة المصرية، وإقامت المدارس، ومد السكك الحديدية، وتوطيد أركان الأمن العام، وإجراء الإصلاحات العامة اللازمة لكل بلد مثل إنشاء السكك الزراعية، وبناء القناطر الري، وتسهيل التواصيات البرية والبحرية، وتعميم بعض المنظمات القومية، مثل التفرقات والثقافات وتنظيم البريد داخل الولايات، وتشجيع الأهالي على إنشاء الشركات للاستثمار ببحيرات هذه الاقطار التي يقال انها كلها كنوز لا تقفد .

(رأي الأستاذ الفاضل الشهير)

اسكندر بك عمون

أصبح نظام للدولة على ما بين العناصر والولايات المبنية من التباين في الحاجات والاختلاف، والمبادئ والتقاليد، وعلى ما بين أهلها من التفاوت في الحضارة، ان تحمل ممالك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها الخاصة استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها، مع ارتباطها جميعاً في الشؤون العمومية على نحو نظام الولايات المتحدة الأميركية أو الممالك الجرمانية، فتسمى حينئذ الولايات أو الممالك المبنية للوحدة ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي : انه النظام الوحيد الذي يمكنه أن يجمع بين الولايات والإمارات القومية في جزيرة العرب وسائر الولايات المتنازعة وغير المتنازعة

(رأي الكاتب العام)

نجيب بك البستاني

أحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانية

اهم ما يجب لاجلاء امر الدولة المبنية واعلاء شأنها انما هو العدل الصحيح في

الرعية ، واصلاح المالية ، فهما اساس الملك وهما قوام الدول . ذلك بان تستمر
جميع عناصر المملكة على نسبة كل منها الى المجموع ، فيعبد في الوظائف ابن ذبي
الكفاية ، وتؤدي الرواتب في موافقتها ، وتوضع المكوس على ما تطبق الرعية ،
وتستمر المعادن ، وتقام اعمال الري والطرق الحديدية وغيرها على السوية في جميع
اقطار البلاد ، وتستعمل الدولة في الاب-الاصلاح وتعميم التعليم العلماء الراسخين من
الشرفيين والعلميين ، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل فئة المصلحة التي من
الاعيان والنواب دون محاباة أو تفاضل . فتي حصل ذلك توقرت الدول باخذت
كله الجيش ، وساد الامن واستوفت الرعية من الوازع ، وانتظمت السورى وحصلت
اللفة بين الامم الخلفة ، وانصرف هم القائمين بالامر الى استصلاح الزراعة ورفية
الصناعة والعناية باسباب العمران ، ونبذوا الشقاق وصدقوا في حب الوطن وتعاونوا على
الامر مخلصين مزهين عن المطامع الشخصية بما يزيد هبة الحكومة ويزيد سلطانها
بتم ذلك باذن الله اذا امتنعت الدول عن تفكير الامر على الممانين ، وتجرى
هؤلاء نحو ما تقدم رابع قرن أو ما يزيد ، لنال الناشئة - وعليها الممول في المحافظة
بعمل الاصلاح - من العلم والمدنية والمران على الاعمال ما يضمن لدولة مستقرة
وعظمتها ، وللممانين امجادهم واستقلالهم

﴿ رأى الكاتب البليغ ﴾

الاستاذ امين افندي البستاني

سألني رأيي في الدولة وهديرها : جاز بالدولة في هذا العام عبرة كبر ، وان لم
تعتبر بها نالها ما هو اشهر منها . والدولة الآن بقية ملك هو ابد مدني وانفع
حتى واطيب بقية من جل الممالك الاوروبية ، فهل لها أن تعدل في الباقي من هذا
الملك وتتمه حادثات الدهر ؟ الله اعلم . على أن الدولة لا تجهل اشراط الملك على
الملك وما هو سبق له وما هو ذاهب به ، حتى لقد اصبحت الدلالة على رجوه
الاصلاح المنشود من مبتذلات الكلام ، وملوكات الانواء والاقلام ، فهل الدولة أن
تعمل بما عليها الدهر على حين لم يبق لها من ناصر الا ما تسمي اليه من ترميم هذا
الملك المزبور ، والا فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانع له ، وحسبك الاشارة بآباء
هذه الدولة . فاعدلوا بين ضرور الرعية لان دولكم مستعدة من جهنم لا من
ابنفسهم وقد رموا الكفر على غيره مهما كانت نبعته ومنيت استهته ، واستملاوا الاجنبي

في تدبير ما أنتم ضاعفون عن تدبيره واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا
تقريط وخذوا بالحديد الصالح واخذوا الفديم المبذل ثم اعدوا للملك عدته من
رجال ومال ، والله لآتي في هذا الباقي

(رأي استاذنا الاجتماعي الكبير)

أحمد لطفي بك السيد

مدير الحريدة

(وصل في آخر ساعة لغياب حضرته عن القاهرة)

راجعت نفسي فوجدتني غير حاصل على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكون رأي
صحيح في الوسائل العملية لاصلاح الدولة العلية . وان الذين يستطيعون معرفة هذه
الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياستها والواقفون بانفسهم على ما احبهم من
المقدمات الضرورية لتكون رأي صحيح غير أن لقي الامم وهبوطها قوانين قد
تفني لتكون رأي اجمالي ونظري في الاصلاح

مهما كانت الاسباب التي سببت ازدياد على اضطهاد الدولة العلية فلا شك في أن
وقوعها في الضعف والحرم هو اهم تلك الاسباب ، وليس يوجد مانع طبيعي يمنع
الدولة بعد أن مسها الحرمان من استعادة شبابها بالآخذ بالتعليم الحديثة من حيث الحكم
والترقية والتأديب وتدريب حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة . ولست
أجد في هذا الحاضر ما يرجع كفة توقع الشر في المستقبل على كفة انتظار الخير .
فاذا قام المنصر الحاكم باحترام اطماع العناصر المحكومة والنهضة بالامة عن الجمود
الى التسارع بجميع الاسلحة الحديثة ان في الترقية وان في الاقتصاد ، أمكن الحكم
بهذه الدلائل على الاصلاح المنتظر . نعم ان لظروف الخارجية دخلا في اصلاح
الدولة ولكن الثنائيين هم المسؤولون وحدهم عن اجراء هذا الاصلاح . عليهم عمل
ما في قدرتهم والله يتولى امر ما لا يقدرون عليه

(المثار) هذه آراء أشهر حملة الافلام وعلماء السياسة والقوانين من المصريين
والسوريين ، وأكثرهم متفقون في الرأي فيما صرحوا به وما لم يصرحوا ، ولا تكاد
تري خلافا صريحا بينهم الا في مسألة استخدام الاجانب أو استئانة الدولة بهم ، أباها
أو أشار بها بعضهم صريحا أو تلويحا وحذر منها بعض أهلها الاكثرون . وصرح جماعة
بمسألة الامركزية أو الاستقلال الاداري للولايات أو الاقاليم . ولم يحفل هذا الجمهور
بمسألة القوة الحربية ولا البحرية التي تعدها الدولة بتقاليدها الموروثة كل شيء . وقد
انقردنا بابداء الرأي في مسألة الدفاع . فلتعتبر بهذه الآراء الامة وان لم تعتبر بها الدولة .

﴿ عبد العزيز بك علي المصري ﴾

عبد العزيز بك المصري - أو عزيز بك كما تقول الترك - من ضباط أركان الحرب المشهورين في الجيش السني . وقائد برقة في قتال الجيش الإيطالي . وقد قبض عليه في الأسنة منذ شهرين وسجن بأسر ديوان الحرب العربي ، ولم يعرف السبب الرسمي لذلك ، فحدث لذلك من التأثير السيء في مصر وسورية وغيرها من البلاد العربية فوق ما كان ينتظر ، وصار ذلك شغل الجرائد العربية الشاغلة ، وسرى هذا التأثير الى كثير من الجرائد الأوروبية . وتناقلت الجرائد عن الأسنة ان الذي وثى به هو الشيخ عبد العزيز شاوليش الذي وظفته التجسس على العرب . وقد دعا شيخ الجامع الأزهر اشهر علماء المصريين وفضلائهم الى عقد اجتماع للتشاور فيما يجب اتخاذه لانصاف هذا الرجل ، فاجتمع الوف من الناس في ٢٦ من هذا الشهر . وكانت قد دعي الى الخطابة فيها يتعاق بهذا الموضوع رفيق بك العظيم ومحمد قنديل لطفى جمعه ومحمد ابو شادي بك و ابراهيم بك الهلباوي - الثلاثة من الحامين - فخطب كل منهم فاجاد ، واتوا على عبد العزيز بك المصري واطروا خدمته لادولة واقاموا الدلائل والبيانات على استحقاق القبض عليه وقدموا ما شاع وما قصور من اتهماء به . وخطب صاحب هذه المجلة خطبة ارجالية وحيزة اقترحت عليه عندما وصل وأخذ مجلسه من مكان الاحتفال ، واختار ناظم عقد المجنة حسن باشا رضوان ان يكون الخطيب الثاني ، فأجبتا الطالب ، ثم اقترح علينا أن نكتب ملخص ما قلناه وننشره وهو هذا :

اقترح علي الآن أن أقول شيئاً في الموضوع الذي عقد لاجله هذا الاجتماع ولم يكن اسمي في جدول الخطباء - وهم كثير - فانا أقول كلمة وحيزة حتى لا اضع على الخطباء المستعدين وقته

سئم ما شرحه الخطيب الاول (رفيق بك) من خدمة عبد العزيز بك المصري للدولة والامة في إقامة الدستور وأييده ، وفي مقاومة حرب المصائب المسلحة في مكدونية ، وفي اليمن وبرقة . وستسمعون من سائر الخطباء شرحاً اوسع في اثناء على الرجل . وانني اظن كما نظنون أن الرجل يرى مما رماه به السعاة الواشون ، ولكنني اني كدت على غير الاساس الذي بنى عليه رفيق بك كلامه ،

(المنا - ج ٤) (٤٥) (المجلد السابع عشر)

فأنا لا افرض انه بريء ، وانه يخشى أن يؤثر في أعضاء المحكمة التي تغار في نصيبه ما يدور حولها من السعائيات والاولهام فتصدق بعضها وتبني عليه الحكم ، ولا أقول بوجوب عقابه اذا كان مذبناً أو طلب العفو عنه بعد الحكم ، بل أقول قولاً آخر فهاكموه : يجوز أن يكون عبد العزيز المصري قد أتى بذنب ، لأننا نحن المسلمين لا نقول بعصمة أحد من البشر غير الانبياء الذين يملفون رسالات وهم فيما يتوقف عليه امر التبليغ وحكمته ، كما يجوز أن يذنب كل واحد من الناس وليس فيهم ابياء مرسلون . يجوز هذا عقلاً وان كان لدينا دلائل متعددة تؤيد البراءة الاصلية ، أظهرها أن الرجل بقي زمناً في الاستانة بعد عودته من برقة كانت توكل اليه الاعمال العسكرية التي لا توكل عادة الى الجرمين المستعنين للسهجون ، ولم يؤخذ بالتهمة المبهمة الا بعد استنائه من الخدمة ، ولم يكن له بعدها عمل صالح ولا سيء . وانما أخذ بمسألة واثم ففسد . فنفرض انه مذبذب ، وان ذلك الواشي الحيث صادق

أنهم يملكون ان الامم لا تمز ولا ترتقي الا بالرجال القادرين على الخدمة العامة للأمة المؤمن بها ، وهؤلاء الرجال قليلون ، لذلك يجب ان يقضى بهم وتقال عزائمهم . وعزيز المصري من هؤلاء الرجال بديل ما قام به من الخدمة العامة للدولة والأمانة فإذا صدق ذلك الواشي التمام الحيث -- وما كان الا كذباً -- في زعمه انه قد أتى ذنباً يحاكم عليه ، اليس له من حسناته وخدمته العامة شفع يقضي أن تعفو الدولة عنه وتقبل عثرته ؟ وهل كان الذين يبرهنون الاتهام منه براء من الذنوب والعثرات ؟ أم نقول لهم كما قال المسيح عليه السلام حين حجب بالمرأة الزانية لاجل رحمتها ؟ كلا ان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، ولنا في سيرة اصحابه وأئمة العدل من خلفائه ما نهدي به في مثل حادثة عزيز المصري .

كان أبو محمد انفق مدمر خمر في الجلباعية وقد ايلم ولقى التي (ص) وروى عنه حديثاً . وكانت الحمرة قد احدثت له مرض الخمار فكان لا يستطيع تركها ، وكانوا يجلدونه اذا شرب فيرى الم الحند دون الم الخمار . وقد حضر حرب القادسية مع سعد بن أبي وقاص (رض) خمسة مئة وقيده بهيمة الشرب ، وقد اتهم المسلمون مع الجوس ، -- كفة شديدة ، وكان سعد يجره سائماً بحدس المذركة بن تميم بن سبط بن يثعيل المقتلون . فلما رأى أبو محمد رجى الحرب تارة وتارة ، على المسلمين ان يفلخوا ، وشب الى امرأة العائد التام أن يفته من قيده ليعود الى أسرته . ومعهذا بان يعود الى قيده اذا هو سلم . ففعلت . فوثب على فرس سعد بنك .

البلقاء ، وحمل برعه على جيش الاعداء ، فكان لا يحمل حمله الا انهزم الاعداء امامه . وكان سعد (رض) يرى ذلك ويتمجب ويقول : الكر كر البلقاء والحمل حمل أبي محجن (١) وابو محجن في القيد ! . ولا انهزم العدو وجع ابو محجن الى قيده كما وعد امرأة سعد . واخبرت هي سعداً بما كان ، فاطلقه من قيده ، وقال : لا احدث اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه . فقال ابو محجن : لقد كنت اشربها اذ يقام علي السد فيطهرني ، واذ قد حاييتني (٢) فوافقه لا اشربها ابداً . وقاب من ذلك اليوم ولدنا شاهد آخر من وقائع القادسية : زهرة بن حوبة هو الذي قتل الحارث بن عوف ، قائد جيش الجوس ، وقد اخذ سلبه بدون إذن القائد العام سعد بن أبي وقاص ، فانزعته سعد منه وأراد أن يؤاخذه ، ولكنه كتب الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب يسأله فيه ذلك . فكتب اليه عمر (رض) : تسمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به ، وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه ؟ (٣)

انكر سيدنا عمر على سعد عمله ، واهض زهرة سلبه ، لانه رأى أن عمله الماضي والحالية الى عمله في المستقبل أرحم من هذه الخلفة وأن المصلحة تقتضي ذلك .

ان لنا فوق هذا كله اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في خير حاطب بن ابي بلتعة : تقص مشركو قريش عهد النبي (ص) فاراد أن يزحف عليهم لفتح مكة ، وكان لحاطب أهل ومال بمكة خاف عليهم لانه ليس لهم احد يحميهم ، فكتب الى أهل مكة يخبرهم بزم النبي (ص) فلم النبي (ص) بما كان (وارسل من اخذ الكتاب من امرأة كانت محمله في عقاص شعرها) وائل حاطباً عن ذلك فاعترف واعتذر بالخوف على أهله وولده وأنه عمل ما لا يضر الله ولا رسوله . فقبل عذره . واراد عمر بن الخطاب ان يضر الامم بعدله لمتل أن يقتله ، لان افشاء سر الحرب من اكبر الذنوب العسكرية . فجعله عمر دليل التفاق ، واستأذن النبي (ص) بقتله فلم يأذن له ، وقال « انه شهيد بداراً »

عد النبي (ص) شهود غزوة بدر من اقوى آيات الايمان ، والصدق والاخلاص

(١) لفظ سعد (رض) « الضبير طير البلقاء » والطائر طائر ابي محجن « الخ والذير بالاضاء المعجبة كر الخيل وعدوها » والطير الونوب (٢) كلمة الأثمة « بهرجتي » ونحن ذكرنا المعنى الراد من هذه الكلمات لينهما جميع الحاضرين . وقد أشكل على بعض الناس ترك سعد لقائمة الخد وحملوا عليه ، وهو ان الحدود لا تقام في الحرب ولا دار الحرب ، كما تراه في الفتوى المطبوعة بالتفسير من هذا الجزء ، وسعد يمل هذا وهو مما روى به عمر ، ولا يبعد ان لا يبرء مثل ابي محجن (٣) الفرق بالقلم ، وضع الزنبر من السهم ، ويطلق على السهم معنى الخط ويمضي أعلى المضال .

في الاسلام، لان المسلمين كانوا وينتد في قبة عدد، وقلة مال، وقلة طرام، وقلة ركايب، كانوا في اشد الضعف، وكان المشركون في أوج قوتهم، فمن يبذل نفسه في سبيل الله في مثل تلك الحال، لا يبذلها الا بآيات الايمان وحافظ الاخلاص، وتلك حسنة تضاهل بارائها أي سبعة من السببات

فلنفرض أن عبد العزيز المصري قد اجترح ذنباً عسكراً كبيراً (كذب حاطب أو مالياً كذب زهرة بن حوية، أو شخصياً كذب أبي محجن رضي الله عنهم)، وأب ذلك الواشي الخبيث هادق نيا رماه به - وما كان الواشي التمام الخبيث الا كذوباً قاصفاً - ليس له من الجهاد في سبيل الحكومة الدستورية عند تكونها ومن الدفاع عنها أيام كان الخطر محمداً بها، ما يشبه حسنة حاطب في شهود غزوة بدر؟ وما كان حاطب متمزاً فيها بشيء انفرد به دون سائر من حضرها، ولا كان في مقدمة الذين ألبوا فيها وأنشؤا، وأما عبد العزيز المصري فكان في مقدمة الضباط الذين ألبوا في فتح الاسنة وفي غيرها من الاعمال العسكرية التي ابدت الحكومة الحاضرة. فهو حدير بان يكفى منه بالامتذار، اذا فرضنا انه ارتكب بعض الاوزار، دع خدمته للدولة في عهد الصالح بينها وبين اهل الجبل، بعد حرب استمرت عدة اجيال، سفت فيها دماء مئات الألوف من الرجل، وضاعت بها القناطير المقتطرة من الاموال، ولم تستند الدولة من ذلك فائدة ما، فكان ذلك الصالح من افضل الاعمال وانفعها للدولة ولاهل الجبل - ثم دع خدمته في قتال الجيش الايطالي في برقة

واذ كان هذا الاجتماع العظيم قد عقد لاجل التشاور في انصاف هذا الرجل، أو انتفاذه من الخطر، قد جعل تحت رعاية الاستاذ الأكبر شيخ جامع الازهر، وشهده طائفة من اكبر علمائه، مع هذا الجمع العظيم من خواص البلاد - فالذي اراه وأقترحه هو أن ترسل برقية باضاه الاستاذ الرئيس الى مولانا السلطان المعظم يخاطبه فيها بمنوان الخلافة، ويتنتجها بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ويطلب منه بان لا يؤاخذ عبد العزيز بك المصري بما عساه ينسبه اليه ديوان الحرب من ذنب أو تقصير، لاختلاصه وسابق خدمته للدولة، افتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة حاطب، وباعبر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امضاء سلب الجائوس لزهرة بن حوية وباسد بن ابي وقاص في مسألة أبي محجن (رضي الله عنهم اجمعين) ويظهر له رغبته ورغبة هذا الجمع الكبير من علماء مصر وفضلائها في ذلك، واكبر ظني أن هذا هو أرحم ما يرجي نفعه في الاسنة.

هذا وانني اختم كفي بالشكر لكم ايها الفضلاء الذين تصدتم هذا المكان للشيء في انقاذكم من الحلاك فان هذا خدمة للانسانية ، ومحافظه على حقوق البشر في الحياة والحربة ، وقد قال الله تعالى ﴿ ومن احباها فكأنما احيا الناس جميعاً ﴾ قال بعض مفسري السلف احياؤها السعي في انقاذها من الموت . والسلام .

هذا وان لجنة الاجتماع لم تعمل بهذا الاقتراح لانها كانت قد وضعت صورة بريقة باسم الصدر الاعظم تتضمن معنى شفاعة الامة المصرية بالرجل . فلهذا جواب من أنور باشا ناظر الحربية ، ملخصه ان المجلس الحربي مستقل تمام الاستقلال لا يطرأ عليه أقل تأثير !!

﴿ التنصب على المثار ﴾

هاج بعض غلاة التنصب على المسلمين هيجة شؤم على المثار في هذا العام ، وجددوا السعي الى الوكالة البريطانية اولا وبالذات والى الحكومة المصرية ثانياً وبالذات ، ليطش بصاحب المثار تنقله في غيابة السجن ، أو تنفيه من ارض مصر ، ولستة انوا على حملهم وسمايتهم ببعض الفسيسين وغير الفسيسين ، من الاجانب والوطنيين ، وفتوا سموم تعصبهم في جرائم القبط وبعض الجرائد الافرنجية التي يحرر فيها بعض السوريين . وكان محضه نار هذه الفتنة ، والمدير الاول لهذه المكيده ، يوسف الحزن اللبناني الذي يبدش من التحرير في حريدة الوطن القبطية ، حريدة دوكير الفرنسية ، وهو هو الراشح في نفس المسلمين الذي نقل عنه انه قال : اننا صانعه مسلم تضطرب اعصابه ، ولهذا لا نكاد تراه يبدأ مسانداً من ممارته بالمصافحة .

قد عرف القراء بما كتبناه في الجزء الماضي شيئاً من خبر هذه الهيجة التعصبية على المثار ، ولعل اذبه القراء ظنوا أن ما كتبناه في الجزء الماضي قد اطمأ بنا يتجلى فيه من حسن نيتنا نيرانهم ، واستخرج بحججه وسماعته اضافتهم ، كلا انه لم يزد هم الا بقاء وعدواً ، وسعاية ووشاية وزوراً وبهتاناً ، فنحن ثبت من تاريخنا وسماعنا كتبناه في المثار من أول نشأه الى الآن ، اتنا طلاب تسامح ووفاق ، وهم يريدون أن يتبدلوا الشيء بضده فيوهوا من يسمع كلامهم اتنا دعاء عداوة واقتراق ، فنحرق النصارى وندعو المسلمين الى بفضهم وعداوتهم لاجل دينهم !!

حسب الانسان أن يعلم من نفسه ومن نيته السعي للخير ، والاخلاص في العمل ، فان كان يبالي باطلاع الناس على عمله ، ومظاهر حسن قصده ، لاجل الاسوة الحسنة ،

والتعاون على الخدمة العامة ، فحسبه أنت يعرف أهل الاخلاص وحسن النية منه ما يعرفه من نفسه .

ونحن - ولله الحمد والمثمة - اصحاب تاريخ معروف ، واثري في السعي الى الاصلاح والافئاق مدون مطبوع ، يعرفه قراء العربية ، ولا يحمله خواص الأمم الافرنجية ، وحسبك ما نوه به في العام الماضي اصحاب المجلة الفرنسية انصيرية بتصر ، وجريدة فرنسا الاسلامية في باريس ، من حسن تأثير خدمة المنار في المسلمين بحسبهم على التسامح والمدينة ، وما سموه « المدرسة المدنية » هو ما يشه المنار من مشرب شحنا الاستاذ الامام من إثبات التسامح الاسلامي والدعوة اليه ، والتأليف بين قواعد الاسلام الثابتة ، وبين المدنية الصحيحة . وما قالته هاتان الصحيفتان اخيرا هو صدى ما كتب في جريدة الطان من بضع سنين في سياق الكلام عن مسلمي تونس ، وما كتبه لورد كرومر عن حزب الشيخ محمد عبده في تقريره الذي ذكره فيه عقب وفاته . وهل لمشرب الشيخ محمد عبده وآرائه مظهر عرفت به في الافطار ، غير مجلة المنار ؟ بل نقول ان هذا المشرب مما اتفق فيه رأينا مع رأي الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يكن مما اختلفنا عنه ، ومالنا فيه من القول والسعي اكثر مما كان له ، ومن الشواهد على ذلك ما كتبناه في فاتحة العدد الأول من المنار ، وفي اول نبذة فيه بعد الفاتحة ، ولم تكن يومئذ تلقينا عن الاستاذ درسا ، ولا بسطنا معه في هذه المسألة ومناقها قولا . قلنا في بيان خطة الصحيفة وما أنشئت لاجله ما نصه « ونحاول افئاع أرباب النحل المتباينة ، والمذاهب المختلفة ، ان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان ، وان المارضة والمناهضة ، والمناصبة والمواثبة ، تقضي الى خراب الاوطان وقضي على « دي الاديان »

ويست في التبذة التي بيد المقدمة ان لنظذ الكفر لم يستعمل في الكتاب والسنة للاهانة ، بل ليبان حقيقة من الحق . وأنه يستعمل الآن في غير ما كان يستعمل من قبل ، ومنه ارادة السب والشتم ، فلا يجوز ان يوجه بهذا المعنى في الخطاب بداه أو وصف الى من حرم الشرع إيذاهم وجعل لهم حقوقا محترمة من الذين والمعاهدن (الاجانب الذين بينهم وبين المسلمين عهد على ترك الحرب اي غير المحاربين) واستخرجت نصا من كتب الفقهاء على ذلك لا حاجة لاحادة ذكره هنا

بعد هذا التمهيد اقول لبوسف الحازن واصحاب الجرائد القبطية من غلاة المنصب ومبغضي المسلمين كيفما كانوا ولجميع من هو مثاهم من وطني واجنبي :

قولوا فينا ما شئتم ، وظنوا ما شئتم ، واعتقدوا ما شئتم ، وهيجوا من شئتم ،
ولتدب تقارب سمائكم الى من شئتم ، فحنن لا نبالي بكم ، ولا نأبه لرضاكم ولا
لسخطكم ، فن أخطأ الى مثلكم فهو الذي يحسن منه ان يصبر ولا يتذمر ، اذ لا
صارف لكم عن شيء من الثمر ، الا مكائتكم من الضيف والمجز ، وها انتم اولاء
قد اجمعتم كيدكم ، وبذلتهم في سبيل ابذاتنا جهنمكم ، فما كنتم الا خائنين مخذولين
« ان الله لا يصلح عمل للفسدين » نعم لو كان ساسة الانكبايز كساسة القبط في
عقولهم واخلاقهم ، وكان لورد كنشرف كيوسف الخازن في تعصبه وحنقه على
المسلمين ، لا أقل النار ، ونفي صاحبه من هذه الديار ، وتبته اقبال الازهر بعد
دار الدعوة والارشاد ، ولو رأيت من جمهور المشاورين لكم بلقب الدين مارأيت
منكم ، لقلت للمسلمين انه قد ظهر لي في السنة السابعة عشرة من دعوتي اياكم الى
الاتفاق والتعاون مع هؤلاء الناس على ترقية البلاد ، انهم لا يمكن ان يفقوا منكم ،
ولا يرضيهم منكم الا خروكم من دينكم ، أو اقامتكم فيه على خسف ، لا تدفون
عنه بحق ، ولا تقابلون بحاولي إبطاله وأخراجكم منه بائس ولا دون مثل ، ولكن من
فضل الله على عباد ان مثل هؤلاء الفارذ قليل ، ولهذا « ياأس من خعلتنا ، ولا ترجع
عن قاعدتنا وهي (تعاون على ما شئتم فيه ، وبذر بعننا ايضا فيما نختلف فيه)

المسائل الشرقية والصهرية

ما تبددت ثروة شريف باشا الكثير في مصر الا وكان بددها مكونا لثروات
جديدة لم تكن ، ومدا لثروات أخرى ومزيدا فيها . ذهبت تلك الثروة الكبيرة
من عجزوا عن حفظها بله تنجيتها ، الى ايدي الفادرين على ذلك . وكذلك تبدد
الدول فتألف من الكثير منها دول متعددة ، وتسمى وتتسع دول أخرى — سنة
الله في تغذي الاحياء بفرائسها ، من افراد الجنة (الميكروبات) والهوام ، الى
حيوانات البشر . ارقى انواع الحيوان .

ومن عجائب العرب ، في تفاوت همم البشر ، ان ترى كاتبا صغيرا في خدمة غني
كبير يطعم ان يرث ثروته او ينشئ نفسه مثلها ، وذلك النبي يأس من حفظ ثروته
واستبقائها وان تعجب من تكون ممالك البغارة اليونان والشرق والحبل الاسود والابان
من املاك الدولة النمانية في اورية ، وتغذي الدول الكبرى بأملأ كما في افريقية
وتفتح افواهم لا ابتلاع املاكها في آسية . فأعجب من ذلك كله تصدي جمعية من

يهود أوربة لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة تتألف من مهاجرة فقراء اليهود المزدقين في جميع اطراف الارض بمساعدة هذه الجمعية ؟ فكيف تسموهم جمعية أسسها رجل من اليهود الى تكوين دولة من اوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الارض فيها اقوى الامم والدول ، وتنفق همة اصحاب هذه البلاد عن حفظها لانفسهم ، دع سمو الهمة الى تأسيس ملك جديد ، في قطر قريب او بعيد . وهكذا تحوت الناس ونجيا ، وهكذا ردى وترقى ، واسباب ذلك ظاهرة لا تحل هنا لشرحها ، وكلها تدور حول العلم او الجهل ، وعلو الهمة او طوؤها ، وكبر المقاصد وصغرها . « والعلم ما يعرفك من انت بمن ملك »

علم الصهريون ان الدول الكبرى لا يسجن لواحدة منهم باستلاك مهبط الوحي ومصدر الدين الموسوي والميسوي وانه اذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين فلا بد ان تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول (وهذا رأي بعضهم في الحجاز ايضا) فطمعوا في ارضاء الدول بأن تحل اشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم اصحاب الاملاك في هذه المملكة ، بل طمعوا ايضا في ارضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك ، بل بذلوا انفسهم في تساعدهم على التمسك له لنفطع الطريق على العرب وتكثر خصومتهم في بلادهم ، ولا تحل هنا للبحث في اثبات هذا القول او نفيه ، وانما جئنا بهذه المقدمة كإلّا لاجل تذكير الذين اكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم ما قتموا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها .

يجب على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين . اما عقد اتفاق مع زعماء الصهريين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان امكن - وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من باب ، وطلوه بأسباب - وإما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهريين بكل طرق المقاومة ، وأولها تأليف الجمعيات والشركات ، وآخرها تأليف المصائب المسلحة التي تقاومهم بالقوة - وهو ما تحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو السكي - والسكي آخر العلاج كما يقال .

﴿ السيدة دُعمَى آل رضا ﴾

في النصف الثاني من ليلة الاحد سادسة ليلالي شهر ربيع الاثور وهبنا الله تعالى بنا سيناها دُعمَى ، والله نسال ان يحقق معنى الاسم في المسعى ، وقد قاتسا ان تذكر ذلك في الجزء القادم .

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هدامهم الله فاعلموا أن الله لا يهدي القوم الظالمين

أولئك الذين هدامهم الله فاعلموا أن الله لا يهدي القوم الظالمين

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « متارا » كنفار الطريق

٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٢ هـ ٨ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ ٢٥ أبريل ١٩١٤

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

الفتاوى هذا الباب لأجابه الأسئلة المشتركة بين خاصة، إذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وصلته (وطيفته) وله بعد ذلك أن يرسل اسمه بالحروف إن شاء، وأن يذكر الاستئذان بالتدريج قالوا وربما قدمناه تآخر السبب كعاجلة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران وثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صريح لأفحاله

﴿ حديث صحيفة علي كرم الله وجهه ﴾

(م ١٢) من صاحب الامضاء بمصر

سيدي الاستاذ الفاضل والعلامة الكبير صاحب المنار الأعز
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرجوكم شرح حديث عليّ الذي
نقلتموه في (ص ١٦٤٨٣) من المنار وقوله فيه (وما في هذه الصحيفة - العقل وفكلك
الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) فما الذي تعرفه عن هذه الصحيفة؟ وأين هي ولماذا
أحملها المسلمون؟ وهل ما فيها متفق عليه في جميع المذاهب؟ وإن لم يكن متفقا عليه
فلم ذلك؟ ولماذا أمر صلى الله عليه وسلم بكتابتها مع أنه نهى عن كتابة شيء عنه
غير القرآن؟ ومق أمر بكتابتها ومن كتبها وأين؟ وكيف لا يقتل المسلم بالكافر.
فأرجاء الاجابة الشافية عن كل هذه الأسئلة كما تدركم حتى لا تحتاج لزريد بيان بعد ذلك
(المخلص محمد توفيق صدقي)

(ج) الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. أما البخاري
فقد روى الحديث عن أبي حنيفة في كتاب العلم بلفظ قلت لملي: هل عندكم كتاب؟
قال: لا الا كتاب الله، أو فهم اعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قلت:
وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكلك الاسير ولا يقتل مسلم بكافر. ورواية
الكشميري «وان لا يقتل» الخ

وفي باب فكلك الاسير من كتاب الجهاد بلفظ: قلت لملي هل عندكم شيء من
الوحي الا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه
الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه
الصحيفة؟ قال العقل وفكلك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر.

وفي باب الديات بلفظ: سألت عليا رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في

القرآن ؟ - وقال ابن عينة مرة : مما ليس عند الناس - فقال : والذي فاق الحجة وبرأ النسمة ، ما عندنا الا ما في القرآن ، الا فيها يعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة . قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكك الاسير الخ ورواه في باب حرم المدينة من كتاب الحج عن ابراهيم التيمي عن ابيه بلفظ : عن علي (رض) قال : ما عندنا شيء الا كتاب الله ، وهذه الصحيفة عن النبي (ص) « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا من احدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » (وقال) ذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب ذمة المسلمين من كتاب الجزية بلفظ « خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة . قالوا وما في هذه الصحيفة ؟ فقال فيها الجراحات واسنان الابل ، والمدينة حرام ما بين عير الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل . ومتى تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك » وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه مثل ذلك .

وفي باب إثم من عاهد ثم غدر بلفظ : عن علي قال : ما كتبنا عن النبي (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال النبي (ص) « المدينة حرام ما بين عائر الى كذا ، فمن احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف » وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن وإلى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب إثم من تبرا من مواليه بلفظ : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله غير هذه الصحيفة (قال) فأخرجها فاذا فيها اشباه من الجراحات واسنان الابل (وقال) وفيها المندفة . ثم ام الخ : وذكر مسألة الولاء مسألة الذمة مثل ما تقدم) وفي باب كراهة التمسق والتنازع والفلو في الدين من كتاب الانضمام بلفظ : خطبنا علي على منبر من آجر فقال « والله ما عندنا من كتاب يقرأ الا كتاب الله

وما في هذه الصحيفة ، فنشرها فاذا فيها اسنان الابل ، واذا فيها المدينة حرم من غير الى كذا ، فن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله - ... واذا فيه : ذمة المسلمين واحدة يسمى بها ادناهم فن اخبر مسلما فعليه واذا فيها : من والى قوما بغير اذن مواليه فعليه (الا انه قال) : لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وروايات مسلم واصحاب السنن بمعنى روايات البخاري ، وصح مسلم بحديثي المدينة وهما غير وثور (جيلان) قال الحافظ في فتح الباري في السلام على حديث علي من طريق ابراهيم التيمي عن ابيه :

« وسبب قول علي هذا يظهر بما اخرجه احمد من طريق قتادة عن ابي حسان الاعرج أن عليا كان يأمر بالامر فيقال له « فعلناه » فيقول : صدق الله ورسوله . فقال له الا شتر : إن هذا الذي تقول اهو شيء عهده اليك رسول الله (ص) ؟ فقال ما عهد الي شيئا خاصة دون الناس الا شيئا سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي . فلم يزالوا به حتى اخرج الصحيفة فاذا فيها - فذكر الحديث - وزاد فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم . ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده (وقال فيه) ان ابراهيم حرم مكة واني أحرمت المدينة ما بين حرتيها وسماها كله ، لا يخلخل خلاها ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها ، ولا يقطع منها شجرة ، الا ان يعلق رجل بسيره ، ولا يحمل فيها السلاح لقتال » والباقي نحوه . وذكر في موضع آخر ان سبب سؤال علي زعم بعضهم ان النبي خصه بشيء دون الناس .

وقال في السلام على حديثه في باب لائم من تبرأ من غير مواليه : وكان فيها ايضا ما مضى في الحسن من حديث محمد بن الحنفية ان اباة علي بن ابي طالب ارسله الى عثمان بصحيفة فيها فرائض الصدقة ، فان رواية طارق بن شهاب عن علي في نحو حديث الباب عند احمد انه كان في صحيفته فرائض الصدقة .

وقال الحافظ : ان الصحيفة كانت مشتملة على كل ما ورد . أي فكان يذكر كل راو منها شيئا ، إما لاقتضاء الحال ذكره دون غيره ، وإما لان بعضهم لم يحفظ كل ما فيها او لم يسمعه . ولا شك انهم قلوا ما نقلوه بالمتى دون التزام اللفظ كله ، ولذلك وقع الخلاف في الفاظهم . ولم يقل الرواة أنه قرأها عليهم برمتها حفظوها او كتبوها عنه ، بل تدل الفاظهم على أنه كان يذكر ما فيها او بعضه من حفظه ، ومن قرأها لهم كلها أو

بعضها لم يكتبوها بل حدثوا بما حفظوا ومنه ما هو من لفظ الرسول (ص) ومنه ما هو اجمال للمعنى كقوله « العقل وفكاك الاسير » فان المراد بالعقل دية القتل وسميت عقلا لأن الأصل فيها ان تكون إبلا تعقل أي تربط بالهـُتْل في فناء دار المقتول أو عصيته المستحقين لها . وقوله « اسنان الابل » في بعض الروايات معناه ما يشترط في اسنان إبل الدية أو الصدقة . وفكاك الاسير ما يفك به من الاسر من فداء أو مال . ففي الصحيفة بيان ذلك ، لا لفظ « العقل » وفكاك الاسير ، واسنان الابل . • وجهة القول اتنا لا نعلم ان احدا كتب عن أمير المؤمنين ما كان في تلك الصحيفة بنصه ، ولا انه هو كتبها بأمر النبي (ص) لانه قال في رواية فتادة عن أبي حسان انه سمع شيئا فكتبه

واما كتابة الصحيفة مع ما ورد من النهي عن كتابة شيء عن النبي (ص) غير القرآن، فيقال فيه ان النهي عن الكتابة معارض بالامر بها كحديث « اكتبوا لابني شاه » وغيره ، والكتابة لاهل اليمن ، وكتاب الصدقات الذي كتبه ابو بكر (رض) الى انس لما وجهه الى البحرين أي عاملا على الصدقة . فانه قال فيه « ان هذه فريضة - وفي رواية فرائض - الصدقة التي فرض رسول الله (ص) على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله » الخ رواه الشافعي واحمد والبخاري وابو داود والنسائي وغيرهم . وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رض) قال : كتب رسول الله (ص) كتاب الصدقة فلم يخرج به الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه . فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض » الخ هذا لفظ أبي داود ثم بينه بنحو حديث انس مختصرا ولم يذكر الزهري البقر . وفي رواية عن يونس بن يزيد عن الزهري قال هذه نسخة كتاب رسول الله (ص) الذي كتبه في الصدقة وهو عند آل عمر بن الخطاب . قال ابن شهاب أقرأها سالم بن عبد الله ابن عمر فوعيتها على وجهها » ثم ذكر ان عمر بن عبد العزيز انتسخها . وقد تفرد بوصل هذا الحديث سفيان بن حسين وهو من رجال مسلم الا انه ضعيف فيما يرويه عن الزهري خاصة ، وتابعه سليمان بن كثير من رجال الصحيحين . وفي رواية أبي داود لحديث انس ان الكتاب كان عليه خم رسول الله (ص) وغير ذلك مما ورد في الكتابة .

فمن الناس من يحمل الاذن ناسخا ومنهم من يحمل احد النصين مطلقا والآخر مقيدا كتعبير كون الكتابة عنه لتبليغ نصها والتعبيد بلفظها عنه كالفرآن ، لثلا يشبهه

بعض الناس ، فيمتنع الثاني بينهما حينئذ . وقد سبق للمنار البحث في ذلك كما يعلم السائل .
 وأما الأخذ بالأحكام المروية عن تلك الصحيفة : هل هو متفق عليه أم لا ؟
 نجوابه أن العلماء لم يتفقوا على العمل بها ، فثمة من لم يحرم الدنية كككة ، ومنهم من يقول : يقتل المؤمن بالكافر . كالحنفية . ومن خالف من العلماء شيئاً مما في الصحيفة فله من الدليل المعارض له ما يراه مرجحاً عليه ، كاحتجاجهم بأقرار النبي (ص) لمن صاد الثور (طائر أحمر المنقار كالمصفور) على جواز صيد المدينة ، على أن تلك واقعة حال مجهول تاريخها ، واحتجاجهم على قتل المؤمن بالكافر بأن النبي (ص) قتل مسلماً بمأهده وقال « انا اكرم من وفي بذمتي » رواه البيهقي من حديث عبد الرحمن البيلمي مرسل وهو ضعيف . ويقول في بعض روايات حديث الصحيفة وفي احاديث أخرى « لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده » قالوا مضاه المناسب لمعطى على منع قتل المؤمن بالكافر : ولا يقتل معاهد حال كونه في عهده لم ينقضه بكافر . وحينئذ يكون المراد بالكافر الحربي ، أي من كان محارباً للمسلمين بالفعل او بالقوة بان لم يكن بينه وبينهم عهد ولا ذمة . لان المعاهد والذمي لا يقتل بالحربي اجماعاً ، وبعموم ادلة الفصاح ، وليس هذا محل تحرير هذا البحث ، وانك تجد تحرير الادلة فيه من غير تعصب في (فتح الباري) و (نيل الاوطار)

فنصح عنده قتل المسلم بالكافر فله ان يعده من عجائب مبالغة الاسلام في العدل والمساواة ، ومن صح عنده خلافه فلا يراه بدعاً في اعمال الامم الفاتحة ، والزمن زمن الاحكام العرفية او العسكرية ، بل ترى الافرنج لا يقبلون ان يكونوا مساوين لائم الشرق والجنوب في الدماء لا في البلاد التي يفتحونها فتحتا حرياً ولا سلباً ولا في البلاد التي يكونون فيها نزلاء معاهدين كالضيوف . اما احكامهم العرفية فحسبك نموذجاً منها ما جرى في (دنشواي) من هذه البلاد من مزيق جلود بعض المصريين بالضرب المبرح بالسياط ذات العقد ، ثم شقهم وصلبهم على أعين الناس من رجال ونساء وأطفال من أهلهم وغير أهلهم ، لانهم تجرؤا على بعض عسكر الانكليز الذين صادوا حمامهم عن يادهم بالمقاومة والضرب المعتاد الذي لا يقصد به القتل ، ولا يقتل مثله . هذا وقد اشتهر الانكليز بأنهم أعداء الاوربيين وأقربهم الى الرحمة . وحنة الافرنج في تمييز انفسهم على الشرقيين انهم ارق منهم عدلاً وفضيلة ، وهكذا كان المسلمون فوق جميع الامم عدلاً وفضيلة بشهادة جميع مؤرخي الامم . وانا ذكرت السائل بمسألة الاحكام العرفية وبهذا الشاهد منها ، وبما علمنا به الافرنج

في بلادنا ، ليهاج به من يجادل في أمثال هذه المسائل من المخالفين أو متفرنجي المسلمين ، محجوبين بظريات الحقوق عن سيرة العالم العملي . ومن لم يسدل على نظره هذا الحجاب يقول كما قال غوستاف لوبون الحكيم الفرنسي « ما عرف التاريخ قانها أعدل ولا أرحم من العرب » وكذا سائر المسلمين كانوا في قوتحاتهم أعدل وأرحم من غيرهم وإن كانوا دون العرب .

دليل منع الحائض من الصلاة وحكمته

(س ١٣) من صاحب الامضاء في (هيا - شرقية)

سيدي الاستاذ الرشيد المرشد

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت مباحثكم الرائقة الحكيمة في موضوع الموضوع والطهارة في المنار فاعجبني جدا ، واستفدت منها الشيء الكثير ، جزاكم الله عني وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . واني لمناسبة هذا المقام لسؤال عندي قديم ، أنهر هذه الفرصة لابديه ، عسى ان تكرموا بالجواب على طريقتكم العصرية فأقول :

هل سقوط فريضة الصلاة عن المرأة وهي حائض أو في نفاس من الاشياء المجمع عليها بين جميع فرق المسلمين ، واذا كانت كذلك أو كانت صحيحة فلم لم تذكر في القرآن مع أنه تعالى نهي عن الجماع في الحيض فكان من باب أولى أن ينهى عن الصلاة في مثل هذه الحالة لو كان اراد سبحانه وتعالى ان يكون النهي لسكل زمان ومكان ، كما ذكر مسوغات عدم الحج بقوله (والله على الناس حجاج البيت من استطاع اليه سبيلا) ومسوغات عدم الصيام او بالاحرى ما يمنع الصيام بقوله تعالى (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام آخر)

لم تذكر موانع للصلاة مطلقا وانما ذكرت أعمال يؤتى بها قبل الشروع فيها ، فلا الخوف من الاعداء أو غيرهم في الحرب أو غيرها مسوغ لترك أو تأجيل الصلاة ، فكيف يكون دم الحيض وهو ذلك الدم الذي يتغذى منه الجنين في بطن امه مانعا من الصلاة ؟ فان صح ان يقال انه نجس ، يصح ان يقال ان جسم الطفل بل جسم كل انسان نجس ، لأن اصله من ذلك الدم

العلم الحديث لم يثبت ان في دم الحيض عناصر خبيثة في ذاتها بل اثبت ان الانيان اثناء وجوده ضار جدا بالمرأة ، لأن أعضائها التناسلية تكون في حالة احتقان ، والالوعية الدموية فيها تكون ممتدة ، فيسهل حصول نزيف بسبب

حركة عنيفة، كما يسهل جدا دخول مكروبات الامراض، فتحدث التهابات موضعية وغيرها قد تذهب بحياة المرأة أو تورثها العقم الدائم مع الآلام الشديدة، ولا سيما عند مجيء الحيض في كل شهر. والرجل لا يخلو أيضا من الضرر، فقد يدخل بعض السائل من الحيض في مجرى البول من القضيبي فيحدث التهاب يشبه السيلان وهذا كله ينطبق على قوله عز وجل (ويسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)

فإن هذا من نهي الحائض عن الصلاة وهي عماد الدين؟ ومثلها في طهارة الارواح كمثل الماء في طهارة الاجسام، على ان حركاتها من قيام وركوع وسجود لا تضر الحائض غالبا، وان خيف منها الضرر فيمكن أن تؤتى بشكل خال من كل مضرة. ولكن أخذ ذلك من قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين). فان خفتم فرجالا أو ركبانا. فإذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون)

الحيض لا يمكن اعتباره الامراض شهريا من اخذ الامراض فلم تؤمر المرأة بالصلاة في أشد الامراض وأكثرها اذى لها ولغيرها وتنبى عنها في الحيض الذي لا ينهى عن القيام بأكثر أعمالها اليومية؟ فأرايكم دام فضلكم

المستفيد من علمكم والمستضيء بشاركم

الدكتور عبده ابراهيم

(ج) قل الحفاظ لإجماع المسلمين على ان الحائض لا يشرع لها الصلاة ولا الصيام، وانها تقضي الصيام دون الصلاة. الا انهم نقلوا ان سمرة بن جندب عن الصحابة (رض) كان يقول بمطالبة المرأة بقضاء الصلاة أيضا فأنكرت ذلك عليه ام المؤمنين ام سلمة (رض) ونقلوا أيضا مثل ذلك عن بعض الخوارج ولم يعتدوا به ولا رأوه محلا بالاجماع. وأما مخالفة سمرة فهي تخرق الاجماع، وظاهر كلامهم انه رجع الى قول ام سلمة لأن امهات المؤمنين هن القدوة فيما يرويهن من هذه الاحكام المتعلقة بالنساء، اذ لا يجوز ان يوجب الله على النساء قضاء الصلاة ولا يأمرهن به النبي (ص) بل لا يجوز منه السكوت عن ذلك أو إقرارهن عليه. وقد جعل العلماء حجة الاجماع على ذلك ما ورد فيه من الحديث

ويمكن ان يستنبط الدليل من القرآن على منع الحائض من الصلاة، فانه تعالى قد اشترط الطهارة للصلاة، والطهارة متعذرة على الحائض مع استمرار سببها وهو نزول الدم. أما الطهارة المشترطة للصلاة لإجماعا فهي الوضوء من الحدث الاصغر والغسل من الحدث الاكبر، واما المشترطة عند الاكثرين فقط طهارة البدن

والثوب والمكان . وقد صرح القرآن في آيتي الوضوء والتيمم بأن طهارة الجنب الغسل، والخائض ملحقة بالجنب لأن حدثهما كحدثه في تأثيره في الروح والجسد، كلاهما يحدث في الجسد ضرباً من الضعف والفتور يزيله تعميم البدن بالماء كما بيناه في حكمة الوضوء والغسل، وكلاهما يضعف الروحانية . وقد ثبت في السنة والاجماع القولي والعمل المتواترين أن المراد بقوله تعالى في بيان طهارة الحيض (فاذا تطهرن) فاذا اغتسلن، فطهارتهن الغسل بالكتاب والسنة والاجماع، وهي متعذرة مع وجود سببها وإنما يجب يزواله، فاذا تعذرت الطهارة تعذرت الصلاة شرعاً لأنها مشروطة بها . وتعذر عليها الطهارة من الخبث كما تنذر عليها الطهارة من الحدث، فإن الدم نجس شرعاً وعرفاً لأنه مستقذر جداً باتفاق الطباع السليمة من كل الأمم . ولا يلزم من نجاسته نجاسة الجنين الذي يتغذى به، كما لا يلزم أن يكون النبات الذي يتغذى بالعدرة والروث وغيرهما من الاقدار نجساً، فالنجاسة في الشرع والعرف لا تبنى على قواعد الطب، فإن جميع ادباء البشر بل جميع طبقاتهم تستقذر المطنخ بالدم وتعاف بجماله وهو كائنه ومصاحبته، وإن لم يضرهم ذلك الدم بافساد نخعهم عليهم، وخروج المني يوجب الغسل وهو طاهر عند بعض الأئمة . وصرح الفقهاء بأن الدم وغيره لا يحكم بنجاسته في معدنه من البدن بل بعد خروجه . ومضى خرج دم الحيض صار قدراً ولم يعد غذاءً للإجنة

وقد علم مما تقدم أن ما ثبت في السنة العملية والاجماع من سقوط الصلاة عن الخائض له مأخذ ما من القرآن، والقرآن لم يبين احكام الصلاة التفصيلية بل تركه لبيان النبي (ص) الذي خاطبه بقوله (واتزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) اذ يشمل هذا بيان الذكر المنزل وتبليغه، وبيان الحمل منه، وما يستنبط من دقائق تعبيره وأسايبه - كاستنباط النبي (ص) تحريم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة من قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) يجعل الاسراف في لزوم الشيء ومتعلقاته كالاسراف فيه نفسه، واستنباطه تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من تحريم الله الجمع بين الاختين، لاتحاد العلة، واطراد الحكمة .

ولم نذكر في سياق هذا الاستدلال ما عليه السواد الاعظم من المسلمين من تحريم قراءة القرآن على الجنب والخائض، والقرآن ركن من أركان الصلاة لا تقام بدونه، لأنه وقع فيه خلاف ما . ولهذا مأخذ من القرآن وإن لم يكن نصاً فيه، وهو قوله تعالى (لا يحسه إلا المطهرون)

وجملة القول أن الصلاة أكل العبادات إذا لم تصبح مع الجنابة فلا تصح مع الحيض بالأولى، وكلا السائلين فيهما من اسباب النسل . والخائض مرض قد تضر

معه الصلاة كما قلتم ، والفرق بينه وبين سائر الامراض التي تسقط معها الصلاة انه طبيعي دائم وسائر الامراض ليست كذلك ، وهي خلاف الاصل ومقتضي الطبيعة الممتدلة . واذا اسقطها الشرع عن المرأة تخفيفا عليها ، فان لها من العبادة المزية للروح ما لا يشترط فيه ما يشترط فيها وهو ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان والتفكير في خلق السموات والأرض (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولذكر الله أكبر)

*) حقيقة الإعجاز

اما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث ، واتبيننا اليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وانضاج الرؤية ، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد اسلوبه . ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقارنة واكتناه الروح التاريخية في اوضاع الانسان وآثاره ، وما نتج لنا من تتبع كلام البلاء في الأغراض التي يقصد اليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة الى اسرار الوضع اللغوي التي مرجعها الى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملاءمة ، حتى يكون اصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه - تقول : ان الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا أن هذا القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه . فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغاً ، وليس الى ذلك مأى ولا جهة ، وانما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع . وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها . وما نظنه الا الصورة الروحية للانسان . اذا كان الانسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله ،

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الانساني ، ومعجز في حقائقه . وهذه وجوه عامة لا تحالف الفطرة الانسانية في شيء . فهي باقية ما بقيت .

*) فصل من الجزء الثاني من كتاب آداب لغة العرب لمصطفى صادق افندي الرافعي

وقد اشرنا اليها في بعض الفصول المتقدمة، على انها ليست من غرضنا في هذا الباب. واتما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي. لانا انما نكتب في تاريخ الآداب. ونحن في كل ما نضعه من هذا الكتاب إنما نسلك الجانب الضيق من الطريق. ونقتص الأثر الطامس، ونلتزم الخطة التي تحمل عليها النفس حلاً. وقد كان فيما قدمناه بل فيما دونه مقنع لواءنا ما تستوسطه النفس. وعطفنا على ما تنازع اليه من السكون، كما انتهت الى حجة واضحة او استبانة لألحمة مسفرة، ولكننا نمضي ما اعترطنا فالله عونك واللهم عونك.

هذا ولا بد لنا قبل التمرسل في بيان ذلك الإعجاز ان نوطئ ببذ من الكلام في الحالة اللغوية التي كان عليها العرب عند ما نزل القرآن فستقلب من كتاب الدهر ثلاث عشرة صفحة تحتوي ثلاثة عشر قرناً لتصل بذلك العهد. حتى نخبز عنه كأننا من اهله وكأنه رأي العين، واما سبيل الصحة فيما نحن فيه أن يشهد عليه الشاهد ان العين والأذن إذ كان من شأنهما ان لا تثبت دعوى في حادثة دون ان يشهد عليها احدهما او كلاهما.

بلغ العرب في عهد القرآن مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل، فان كل ما وراءه انما كان ادواراً من نشوء اللغة وتهذيبها وتنقيحها واطرادها على سنن الاجتماع، فكانوا قد اطلوا الشعر واقتنوا فيه وتوافى عليه من شعرائهم افراد معدودون، كان كل واحد منهم كأنه عصر من تاريخه، بما زاد في محاسنه وابتدع من اغراضه ومعانيه، وما نفص عليه من الصيغ والرواق، ثم كان لهم من تهذيب اللغة واجتماعهم على نمط من القرشية يرونه مثلاً لكمال الفطرة الممكن ان يكون، واخذهم في هذا السمت ما جعل (الكلمة) نافذة في اكثرهم، لا يصدها اختلاف من اللسان، ولا يعترضها تناكر في اللغة، فقامت فيهم بذلك دولة الكلام، ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن.

وكل من يبحث في تاريخ العرب وآدابهم وينفذ الى ذلك من حيث تنفذ به الفطنة وتتأني حكمة الاشياء، فانه يرى كل ما سبق على القرآن من امر الكلام العربي وتاريخه انما كان توطيداً له، وتهيئة لظهوره، وتناهياً اليه، ودربة لاصلاحهم به،

وليس في الارض امة كانت تربيتها لغوية غير اهل هذه الجزيرة ، فما كان فيهم كالبيان آتقَ منظرًا وأبدع مظهرًا ، وأمد سببًا الى النفس ، وارتد عليها بالعاقبة ، ولا كان لهم كذلك البيان اذكى في ارضهم فرعا ، واقوم في سبائهم شرعا ، واوفر في انفسهم ريعا ، واكثر في سوقهم شراءً وبيعًا . وهذا موضع عجيب للتأمل ما ينفذ عجبه على طرح النظر وإبعاده ، وإطالة الفكر وترداده ، واي شيء في تاريخ الأمم اعجب من نشأة لغوية ، تنتهي بمعجزة لغوية ، ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الأمة مما تنطوي عليه هذه المعجزة ، وتأتي به على اكمل وجوهه واحسنها ، وتخرج به الدهر خير امة كان عملها في الأمم صورة اخرى من تلك المعجزة ؟ هذا على انه - كما علمت - انشأهم على الكبر ، ولم يجر معهم على المألوف من مذاهب تربية الأمم ، ولا هو كان طباقًا لروح الأخلاق التاريخية فيهم التي تظهرها العادات على كل دين وشريعة وسياسة ، إذ كانت ميراث الدهر ، وكانت مستقرة في كل عرق سار ، وفي كل شبه نازع . وكانت روح المجموع لا تكون الا منها ، ولا تعرف الا بها ، ولا تظهر الا فيها . فما عدا ان سفه احلامهم ، ونكس اصنامهم ، وازرى عليهم وعلى آبائهم الأولين وقام على رؤسهم بالتقريع والتأنيب ، وهم اهل الحمية والحفاظ ، واهل النفوس التي تصب كلمعاني في الالفاظ ، ثم ذهب بطريقة كانت لهم معروفة ، وعادات كانت لهم مألوقة ، وارسلهم في طريق العمر الى الفناء ، فكأنما طلع بهم من اولها ، وكأنهم بعد ذلك على آدابه نشأوا وهم اغفال واحداث ، بل كأنهم سلالة اجيال كانت القرآن في اوليتهم المتقدمة فكانوا هم الوارثين لا الموروثين ، والناشئين لا الملتزمين ، مصداقًا للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذي يليه » . ولعمرك ان هذا العجيب . وليس اعجب منه إلا ان اول جيل انسل من هؤلاء القوم كان هو الذي تناول مفتاح العالم فأداره . وقد خرج للغاية التي جاء بها القرآن ، وكأنه دارمها في الاصلاب دهرًا طويلا . حتى احكته الورثة الزمنية ، وردت عليه من الطباع ما لا يتهاى الا في سلالة بعد سلالة وجيل بعد جيل ، من قوم قد مروا منذ اولهم في ادوار الارتقاء . على سنن واضح وطريق نهج ، لم ينتقض لهم في (المنار - ج ٥) (٤٤) (المجلد السابع عشر)

أثناء ذلك طبع من طباع الاجتماع . ولا رذات شعبة ، ولا التوت طريقة ، ولا سقطت مروءة ، ولا ضل عقل ، ولا غوت نفس . ولا عرض لهم بقي ولا افسدتهم عادة . وابن هذا كله او بعضه من قوم كانوا بالامس عاكفين على الاوثان يأكل بعضهم بعضاً . ولم العادات المردولة ، والعقائد السخيفة . والطباع المزوجة الى غيرها مما يحمل عليه الافراط فيما زعموه فضيلة . كحمة الأنف واستقلال النفس . ومما كان من عكس ذلك كالتسليم للعادة والالتقياد لطبيعة التاريخ . والمضي على ما وجدوا ثم الموت على ما ولدوا ؟ لاجرم ان في ذلك سرا من اسرار الفطرة . فلو ان اكبر الأمر بينهم كان للنصاحة واساليبها بما استقام لهم من شأن الفطرة اللغوية وما بلغوا منها كما فصلناه في بابها ، حتى صارت هذه الأساليب كأنها اعصاب نفسية في اذهانهم . تنبعث فيها الإرادة بأخلاق من معاني الكلام الذي يجري فيها . وتعتزم على اخلاقهم وطباعهم فتصرّهم في كل وجه . كأنها إرادة جبار معتزم لا يلوي ولا يستأني ولا يتبدد .

ولو ان القرآن الكريم قد ملك سر هذه الفصاحة وجاءهم منها بما لا قبل لهم برده ، ولا حيلة لهم معه . مما يشبه على تمام اساليب الاستهواء في علم النفس . فاستبد بإرادتهم ، وغلب على طباعهم . وحال بينهم وبين ما نزعوا اليه من خلافه . حتى انعقدت قلوبهم عليه وهم يجهدون في تقضيا . واستنقادوا لدعوته وهم يبالغون في رفضها . فكانوا يفرون منه في كل وجه ثم لا ينتهون الا اليه . لأنه اخذ عليهم بفصاحته وإحكام اساليبه جهات النفس العربية . والمكابرة في الأمور النفسية لا تتجاوز اطراف الألسنة . فإن اللسان وحده هو الذي يستطيع ان يتبرأ من الشعور ، إذ هو أداة مغلبة تنعورها الألفاظ . والألفاظ كما يرمى بها في حق او باطل ، لا تمنع على من ارادها لأحدهما او لها جميعاً .

قلنا لو ان ذلك على وجه الذي عرفت لما صار امر القرآن الى اكثر مما ينتهي اليه امر كل كتاب في الأرض ، بل لما كان له في اولئك العرب امر البتة ، لأنهم قوم أميون قد تأثلت فيهم طباع هذه الأمة ، وكان لهم الشيء الكثير من العادات والأخبار والتواريخ ، وبينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى . ثم هم لم يعبدوا الحكمة من خطبائهم وشعرائهم ، ومن جنح الى التأله منهم . كامية بن ابي

الصلت وقس ابن ساعدة وغيرهما .

وما جاءهم القرآن بشيء لا يفهمونه ولا يثبتون معناه على مقدار ما يفهمون ، ولا كان هذا القرآن كتاب سياسة ولا نظام دولة ، ولو كان اسراً من ذلك ما حافوا به ولا استدعى هو منهم الإجابة ، لأن لم منزعا في الحرية لم تطبهم عليه دولة من دول الأرض . ولا أفلح في ذلك من حاوله من ملوك هذه الدول في الأكسرة والقيصرية والتبابعة . بل خلقوا عرباً يشرقون ويغربون مع الشمس حيث أرادوا وحيث ارتادوا . وهم على ذلك لم يجمعهم ولم يخرجهم الى الدنيا ولم يقلبهم على تصارييف الأور غير القرآن .

فلو ان هذا القرآن غير فصيح ، او كانت فصاحته غير معجزة في اساليبها التي ألفت اليهم . لما نال منهم على الدهر ما لا ، ونال منه موضعه الذي هو فيه ، ثم لكان سبيله يندم سبيل القضايد والخطب والأقاصيص ، وهو لم يخرج عن كونه في الجملة كلته موجود فيها بأكثر معانيه ، فليح ان يوجد بألفاظه واساليبه ، ثم لنقضه كلمة كلمة وآية آية . دون ان تتخاذل ارواحهم ، او تتراجع طباعهم . ولكن لم وله شأن غير ما عرف . ولكن الله بالغ امره .

وقد اوهانا في بعض ما سلف الى ان هذا القرآن يكبر ان يكون حيا بروح عصره الذي أنزل فيه . فلا يستطيع من يقول بعجازه ان يقصره على زمن الجاهلية . او يتعلل في ذلك . وهو بعد من الأحكام والسمو وشرف الغاية وحسن المطابقة ، بحيث تعرف منه روح كل أمة قد فرغت الأمم واستولت على الأمد التاريخي ، ونالت ما لا ينال الا مع بسطة في العلم ، وزيادة في المعرفة بوجوه العمل . وفضل من القوة . ومع كل المنزلة في كل ذلك واشباهه من مقومات الأمة . فذلك ما علمت .

وان ههنا وجهاً آخر هو اعجب مما اوهانا اليه ، على انه ضربه في الحكمة وقسيمه في الاعتبار . إذ هو متعلق بطبيعة الأرض كما ان ذلك متعلق بطبيعة اهلها ، فان من الثابت البين ان طبيعة الطبيعة حية من التأثير في تهئية الاخلاق ، فترى في الجهات المقفرة او المخوفة . او التي يلقي منظرها في نفسك اهبة دون المحبة والفرع دون الاطمان . اقواماً كأنما نشؤا في المعابد وولدوا في الصوامع ، فليس في اخلاقهم

الا الاستسلام للوهم والتخيل ، والا الخوف من كل شيء تكون فيه روح الطبيعة ، كما
 زعم العرب من البيات مع الغيلان وتزوج السعالى ومجاوبة الهوائف ، والروغان من
 الجن الى الجن . واصطياد الشق ومحاربة التناسل وصحبة الرئي ، وما كان لهم من خدع
 الكاهن وتدنيس العراف . ومن العياقة والتنجم والزجر والطرق بالحصى ^(١) وغيرها
 من خرافاتهم . ثم الخوف من كل شيء تعرف فيه روح الطبيعة كالأوثان
 وسائر ما قدسته العادات والشعائر ، وإن كانوا في غير ذلك اهل جلد ونجدة ومضاء
 وبديهة وعارضة ، لان هذه الصفات وامثالها تكتسب من طبيعة الخيال حدة وشدة ،
 وانت واجد عكس ذلك فيمن تكون طبيعة ارضهم ساكنة مطمئنة لا تحتاج اهلها
 ولا ترميم بالفرع ، فانهم لا يقرون على خوف وتوثر ، ولا يكون في اخلاقهم الجنوح
 الى عبادة ما يخيفهم ، او تقديس ما اتصلت به روح الطبيعة ، ثم لا يكونون الا اهل
 عمل بالحواس دون التخيل . قد غير احدهم دهره عاملا فليس يبالي الا بال حاضر
 الذي تتعلق به روح العمل . دون الماضي الذي يجتمع عليه حرص أولئك لانه غيب
 الطبيعة التي يقدرسونها . فكان من اخلاق العرب هو ما مشهور عنهم من التفاخر
 بالآباء والأجداد ، والذهاب مع الوهم في كل مذهب وعدم المبالاة الا بما يلحقهم
 بآبائهم ويجعلهم في عداد الماضين ، ليكون لهم فيمن يخلفهم من الشأن والتقديس
 والتعظيم بهم ما كان فيهم لمن تقدمهم ، فيتقون سوء القالة ونجس الأحداث ، وسائر
 ما يفسد عليهم هذا الشأن بكل ما وسعهم ، لا يألون في ذلك جهداً ولا يغمضون فيه ،

(١) للعرب مذاهب كثيرة من مثل ، اوصفنا ولا محل لبسط القول فيها ، ولكننا
 تقتصر على تعريف ما أتينا به تعريفاً لفظياً ، فالغيلان إناث الجن والسعالى جمع سعالاة
 وهي سحرة الجن . ويقال ان الغيلان من السعالى . والهوائف جمع هائف وهي الجن
 تهتف بهم وتندرمهم . والجن نوع من الجن والشق جنس من أجناسهم والتناسل
 جنس من الخلق بعد فيهم . والرئي جنى يكون لبعض الناس فيخبره بالغيب . والكاهن
 من يتنبأ بما سيقع . والعراف من يستدل بالاسباب والحوادث ويتنبأ من ذلك . والعياقة
 التمكن بالطير أو غيرها . والزجر أن يزجر الطير ليتسعد أو يتشأم اذا أراد ان يهم بأمر .
 والطرق بالحصى وسيلة من وسائل التمكن . وفي كل ذلك شرح طويل واختلاف كثير .

ولا يتقدمون في سد غيره قبل إحكامه واستفراغ قوتهم له . الى غير هذا مما هو معروف متظاهر عنهم .

ثم كان هوائهم كله في الشعر لانه عبادة ارواحهم لطبيعة ارضهم . وهو الصلاة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم فجاء القرآن يسفه تلك الطباع منهم . ويحول بينهم وبين ذلك الماض . ويصرفهم الى العمل . ويذهب عنهم نخوة الجاهلية . وتمتعها بالآباء . ويأتيهم بالبصائر من ربهم . ويهديهم بالعقل الى اسرار الطبيعة . ليعلموا انها مسخرة لهم فلا يسخروا انفسهم لها ، وحرم عليهم التقدس وما في حكمه . وبصرهم بما مسهم من طائف الشيطان وما نزعهم من امره خيالاً او وهماً او شعراً او عبادة ، وجعل افضل الفضائل في الذي قام يدعوه وهو النبي صلى الله عليه وسلم انه ابن يومه وابن عمله وابن عقده فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر ، وتلك اخص فضائلهم الاصطلاحية ، وخطبه بهذه الآية الكريمة التي هي روح الثبات في امم العلم والعمل وهي قوله « وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، اتم بريثون مما اعمل وانا بريء مما تعملون » . فكيف يمكن ان يكون هذا القرآن مع ذلك كله مما يطابق ارض العرب في طبيعتها وهي ما علمت ، وكيف يتفق ان يكون كل ذلك من صنعة رجل قد نشأ فيهم واتصل بهم ، وذهبت عروقه بينهم واشجته ، وهو من صميمهم نسباً ووراثته ، يعرفونه ويحققون جملة امره ، ولم يخرج عنهم قط للعالم او الطالب ، ولا طراً عليهم من غير ارضهم ، ولا انكروا عليه امراً من لدن نشأته الى حد الكهولة والى ان دب الشيب في عذاريه ، وهم مستيقنون انه ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه ؟

وما عهدنا رجلاً من عطاء التاريخ قد اهاب بأمة طبيعية كالعرب ذات بأس وصرامة وحية وحفاظ ، وذات خيال وتصور — يدعوها ان تتخلع نفسها مما هي فيه ، وان تضع اعناقها للحق الذي لم تألفه حقاً ، وان تعطيه مع ذلك محض ضمائرهما وتسوغه تاريخها وعاداتها ، وما هو اكبر من تاريخها وعاداتها . وهم لا يرون في ذلك الاستحسار الرأى ، ذاهب الوهم ، بعيداً منهم ومن نفسه ومن الحقيقة جميعاً . ولا يرون من امره ذلك الا قلة وضرباً وهو انما واستخفافاً ، وان كانوا يعرفونه من قبل بحسن الخلق

وصفاء الذمة وتخضع السمعة، ويعرفون انه لا يريد ملكا ولا يبغي دولة، ولا يتصنع لحديث من الاحداث السياسية، ولا يهتبل غرة ذاهلة، ولا يستمد لنهزة سائحة» وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون .

ثم هو على هذا كله من امره وامره لا يتأني اليهم بالتوبة، ولا يداخلمهم بالتفاق، ولا يتألفهم على باطلهم، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم، ولا يداين في خطابهم، ولا يرفق بهم فيما يتخيلون وما يعبدون، ولا يحكم ذلك الامر من ناحية الدهاء والمخاتلة، فيقرهم على طباعهم وعاداتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويمد لهم في الغي مداء من امر ما اعجبهم، ومن شأن ما استخفهم بكل يصنع دهاء السياسة وقادة الامم، وكما صنع داهية اوربا نابليون الذي اتحل السكتلسكة في حرب الفنديين، واسلم في مصر، وجبر بعصمة البابا في حرب ايطاليا، وقل مع ذلك، ولو كنت احكم شعبا يهوديا لأعدت هيكل سليمان... ثم يكون مع ذاك من فعله وفعلهم ان يثوب اليه الأمر، ويستوثق على ما اراد، وان تعطيه تلك الأمة عن يده وهي صاغرة للحق، وتبذل نصرها له بعد التخاذل عنه، وتسكن اليه بهوافها المستنفرة، وتعطف عليه بقلوبها الجاحجة، وهو الراغب عن سذمهم، ولمسه لأحلامهم، والطاعن عليهم وعلى آبائهم، والمفارق لشرائعهم وعاداتهم. وهو الذي خرج من الأمة أولا، ثم اخرج الأمة كلها من نفسه آخرأ، كما اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم.

ما عهدنا ذلك، ولا عهدنا ان الأمم تخرج عن طبائعها النفسية وتستقيم لمن يلبوي لها مثل هذا الاتواء، وتدخل في امره وتثبت على طاعته ومحبة، وهو اضعف نصراً واقل عدداً، الا ان يغلبها على انفسها ويمتلك خيالها ويستبد بتصورها. وكيف له ان يغلب على النفس، بتغييرها ويمتلك الخيال بالعنف عليه، ويستبد بالتصور وهو يسترذله؟ ومن اين له ذلك الا ان يأتي المفطرة التي هي اساس هذه كلها فيملكها، ثم يصوغها ثم يصرفها؟ فان الذي لا يدفع الطبع لا يدفع الرغبة، ومن لم يقدر الأمة من رغائبها لم يقدر في زمانه غير نفسه، وان كان بعد ذلك من كان؟ وهذا الذي وصفناه امر لو ذهبت تلتمسه في تاريخ الأرض كلها ما رأيت

اسبابه الفطرية في غير أولئك العرب، ولا رأيت تحقيقة في العرب، الا من ناحية القرآن وإعجازه بنظمه واساليبه، واقتنانه على هذه الوجود المعجزة، التي اقل ما توصف به انها السحر بل السحر بعضها (١)

(١) وذلك فيما نرى انما هو وجه الحكمة في نشأة هذا الدين عربياً واختصاص العرب بالقرآن دون غيرهم من الامم، وإفراد قريش بذلك دون غيرها من العرب. ومن يقرأ صدر التاريخ في الاسلام ويعتبر حوادثه ويتدبر آثار القرآن في قبائل العرب، يرى أن شدة الايمان كانت عند شدة الفصاحة، وان خلوص الضامركان يتبع خلوص اللغة، وأن القائمين بهذا الدين والذين افاضوه وصرفوا اليه جمهور العرب وقتلهم عليه وجمعوا ألفتهم وقوموا أودهم انما كانوا اهل الفصاحة الخاصة، من قريش الى سرة البادية، وان الفتن انما استطارت في الجزيرة استطارة الحريق فيمن وراء هؤلاء الى اطراف اليمن، فكانوا قوماً مدخولين منقوصين، وما كان ضعف اعتقادهم الا في وزن الضعف من لغتهم. وقد اسلفنا في غير هذا الموضع أن غربة الدين ما تزال تتبع غربة العربية. ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمرو بن العاص بعمان فأقبل منها الى المدينة ليخترق بلاد العرب فأطانت به قريش وسأوه فقال لهم إن العساكر معسكرة من دبا « سوق بعمان » الى حيث انتهت اليكم. فتفرقوا حقاً، ومر عمر بن الخطاب بجماعة فسألهم فيم اتم؟ فلم يجيبوه. فقال: اظن قلتهم اخوفنا على قريش من العرب. قالوا صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة انا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب في آثاركم. اهـ

وحسبك من اثر القرآن في العرب الفصحاء وصوغ فطرتهم وتصريفها ان احدهم كان اذا اتم في بعض اخلاقه لم يشكر ذلك بشد من قوله: يا سائل القرآن أنا اذن! ولما أعطي سالم مولى أبي حذيفة راية المسلمين يوم قتال مسيلمة الكذاب وكان من اشد الايام واعظمها نكابة قال لأصحابه: ما اعلمني لأي شيء أعطيتهم ونبيها! قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات؟ قالوا اجل فافطر كيف تكون. قال يا سائل والله حامل القرآن أنا ان لم اثبت. فتأمل. وكان صاحب الراية قبله عبد الله بن حنظل. وفي هذه الموقعة صاح أبو حذيفة وقد اضطرب المسلمون: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، ثم حمل على القوم فآزهم حتى انقذهم ولو أن هذا المعنى من غرض كتابنا لبسطناه بسطاً، ولكن القول فيه يتسع بما نخرجنا الى تاريخ الاسلام وفلسفة آدابه ومعانيه الاجتماعية، وهي اغراض انما لم بها إلماً في هذا الكتاب كما عرفت.

وليت شعري ما هو امر المعجز في العقل ان لم يكن هذا من امره ؟ « ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير » .

(المنازع)

ان مسألة إعجاز القرآن قد صارت من المسائل المألوفة بالضرورة بعجز العرب والمستعربين عن الاتيان بمثله ، ووقوفهم حيارى متبهرى الانفاس خاشعي الأبصار ناكسي الرؤس في نور شمس . ولا إعجازه وجوه كثيرة يعقل كل ذي علم وبصيرة منها مقدار ما توجه اليه ذهنه ، مما استعد لادراك عقله ، ومن الناس من لا يدرك من ذلك شيئا ، كالأطفال والعوام الذين لا يدركون علل عجز ضعفاء البنائين الاميين بغير نظام ولا هندسة عن بناء هرم مثل هرم الجيزة في عظمتها ، وما روعي فيه من دقائق الهندسة ، والاشارات العمرانية ، والتقاليد الدينية ، والمقاصد الخفية . وانما يفهم وجوه هذا المعجز الرياضي والفلكي والعالم بتاريخ مصر وآثارها ، كل بقدر بحثه في فنه .

وقد كتب كثير من العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن ، وما أطالوا الا في شرح فصاحته و بلاغته ، وقد تعب مصنف هذا الكتاب (تاريخ آداب العرب) في تصفح ما كتبوا ، وتبع ما صنفوا ، ولم يعجزه مع ذلك ان يكون مصداق المثل السائر « كم ترك الأول للآخر » ، فجعل ٢٨٨ صفحة من الجزء الثاني من كتابه في إعجاز القرآن ، وبقية الى ص ٣٦٤ في البلاغة النبوية . واذا كان قد انفرد ببيان نكت ودقائق لم تعرف لغيره ، فقد جلى بعض ما سبقه اليه من النكت والوجوه من قبله ، بعبارة مؤثرة بما ألبسها من حال الخيال ، حتى تحلت في أربع مثال .
و ثم مباحث مفيدة في هذا السبب ، تراها في الفصول الكثيرة من الكتاب ، وسترى الاشارة اليها في تقريره من جزء آخر من المنازع

بعد هذا كله نقول انه قد بقي من وجوه الاعجاز ما لم يغص المؤلف بحره ، حتى يستخرج دره ، وقد أجمعنا في (عقيدة الاسلام) التي كتبناها لطلاب المدارس ارسطى من هذه الوجوه ما يمكن شرحه في سفر أو أسفار . والتحقق ان اعجاز القرآن بمعانيه من الهداية والعلم اعظم من إعجازه بفصاحته وعبارته وبلاغته أسلوبه ، وهي التي كانت سبب بقاء الدين في العرب والعجم ، بعد ان قل من يذوق طعم تلك البلاغة .

﴿ الرضا بقضاء الله تعالى وقدره ﴾

قد اضطربت في هذه المسألة الافهام ، وزلت فيها أفلام وأقدام ، وأوردوا فيه آياتا يهودية حقيقية أو حكائية يقول فيها اذا: قضى الله ان يكون يهوديا وأمره ان يرضى بقضائه فما حيلته في ذلك . وأوردوا له أجوبة لم يرعا الكثيرون مقنة . ولذلك طالب الشرعني في بعض كتبه ممن ظفر بجواب أحسن مما أوردته ان يلحقه بما ذكره منها . ولم نر لأحد من العلماء تحرير هذه المسألة كتحرير ابن القيم لها في (كذب مدارج السالكين) وابن نجيد كابن اقيم في المحققين المحررين ؟ قل قدس الله روحه في شرح كلام المروي من الجزء الثاني :

قوله « وهو الرضا عنه في كل ما قضى » هاهنا ثلاثة أمور : الرضا بالله ربا ، (١) والرضا عن الله ، والرضا بقضاء الله . فالرضا به فرض ، والرضا عنه - وان كان من أجل الامور واشرف أنواع العبودية - فلم يطلب به العموم لمعزم ومشقته عليهم - وواجبته طائفة كما اوجبوا الرضا به ، واحتجوا بمحجج (منها) انه اذا لم يكن راضيا عن ربه فهو ساخط عليه - اذ لا واسطة بين الرضا والسخط - وسخط العبد على ربه مناف لرضائه به ربا . قالوا - وايضا فمقدم رضائه عنه يستلزم سوء ظنه ومنزاعته له في اختياره لعبده ، وان الرب تبارك وتعالى يختار شيئا ويرضاه ولا يختاره العبد ولا يرضاه ، وهذا مناف للمبودية . قالوا - وفي بعض الآثار الإلهية « من لم يرض بقضاي ، ولم يصبر على بلاي ، فليخذله (٢) ربا سواي » ولا حاجة في شيء من ذلك . اما قوله (٣) « لم يتخلص من السخط على ربه الا بالرضا عنه اذ لا واسطة بين الرضا والسخط » فكلام مدخول ، لان السخط بالمقضي لا يستلزم السخط على من قضاه ، كما أن كراهة المقضي وبغضه والنفرة عنه لا يستلزم تعاق ذلك بالذي قضاه وقدره ، فالمقضي قد يسخطه المبد وهو راض عن قضاءه وقدره ، بل يجتمع تسخطه والرضا بنفس القضاء - كما سيأتي ان شاء الله - واما (١) سقط من البندادية كلمة « ربا » (٢) سقط من البندادية كلمة « له »

(٣) وفيها « انه لم »

قولكم (١) انه يستلزم سوء ظن العبد بربه ومازعه له في اختياره « فليس كذلك ، بل هو حسن الظن بربه في الحالتين ، وانه انما يسخط المقدور وينازعه بمقدور آخر ، كما ينازع القدر الذي يكرهه ربه بالقدر الذي يحبه ويرضاه ، فينازع قدر الله بالله لله (٢) كما يستعبد برضاه من سخطه ، وبمقاتته من عقوبته ، ويستعبد به منه .

فاما « كونه يختار لنفسه خلاف ما يختاره الرب » فهذا موضع تفصيل لا يسحب عليه ذيل النفي والاثبات . فاختيار الرب تعالى لعبده نوعان (احدهما) اختيار ديني شرعي ، فالواجب على العبد ان لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده ، قال تعالى (وما كان يؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) فاختيار العبد ذلك مناف لايمانه وتسليمه ورضاه بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً (النوع الثاني) اختيار كوني قدري لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يبلي الله بها عبده ، فهذا لا يضره فراره منها الى القدر الذي يرفها عنه ويدفعها ويكسفها ، وليس في ذلك منازعة للربوية - وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر - فهذا يكون تارة واجبا ، وتارة مستحبا ، وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين ، وتارة يكون مكروها ، وتارة يكون حراما . واما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه ، مثل قدر المعاييب والذنوب ، فالعبد مأمور بسخطها ومنهي عن الرضا بها . وهذا هو التفصيل الواجب في الرضا بالقضاء . وقد اضرب النام في ذلك اضطرابا عظيما ونجا منه اصحاب الفرق والتفصيل ، فان لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به ، وهو من مقامات الصديقين ، فصارت له حرمة اوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل ، وظنوا ان كل ما كان مخلوقا للرب تعالى فهو مرضى له يذبح الرضا به ثم اقساموا فرقتين ، فقالت فرقة : اذا كان القضاء والرضا متلازمين فعلوم انا مأمورون بنقض المعاصي والكفر والظلم ، فلا تكون مقضية مقدرة . وفرقة قالت :

(١) في البغدادية هنا « قولهم » ونص نسختنا « قولكم » وفيها القولة السابقة « قوله » فيها وكان الاولى ان تكون « قولهم » فيها (٢) نص البغدادية « فينازع قدر الله بقدر بالله والله » .

قد دل العقل والشرع على أنها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها .
والطائفتان منصفتان جاثرتان عن قصد السبيل ، وأنتك اخرجوها عن قضاء الرب
وقدره ، وهؤلاء رضوا بها . ولم يخطوها . هؤلاء خالفوا الرب تعالى في رضائه
وسخطه ، وخرجوا عن شرعه ودينه ، وأنتك انكروا تعلق قضائه وقدره بها .

واختلفت طرق أهل الإثبات للقدر والشرع في جواب الطائفتين ، فقالت
طائفة : لم يقد دليل من الكتاب ولا السنة ولا الاجماع على جواز الرضا بكل
قضاء ، فضلا عن وجوبه واستحبابه ، فأين امر الله عباده او رسوله ان يرضوا بكل ،
ما قضاه الله وقدره ؟ وهذه طريقة كثير من اصحابنا وغيرهم ، وبه اجاب القاضي
ابو يعلى وابن الباقلاني قال — فان قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره ؟ قيل له :
نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه الذي امرنا ان نرضى به ، ولا نرضى من ذلك
ما نهانا عنه ان نرضى به ، ولا نتقدم بين يدي الله ، ولا نعرض على حكمه .

وقالت طائفة أخرى : يطلق الرضا بالقضاء في الجملة دون تفاصيل المضي
المقدر . فنقول : نرضى بقضاء الله جملة ولا نسخطه ، ولا نذاق الرضا على كل
واحد من تفاصيل المضي — كما يقول المسلمون : كل شيء بييد ويهلك ، ولا
يقولون : حجاج الله تبيد وتهلك ، ويقولون : الله رب كل شيء ، ولا يضيفون
ربوبيته الى الاعيان المستخبة المستندرة بخصوصها .

وقالت طائفة أخرى : نرضى بها من جهة اضافتها الى الرب خلقا ومشيته ،
ونسخطها من جهة اضافتها الى العبد كسبا له وقيامه بها .

وقالت طائفة أخرى : بل نرضى بالقضاء ونسخط المضي ، فالرضاء والسخط
لم يتعلق بشيء واحد . وهذه الاجوبة لا يتمشى شيء منها على اصول من يحمل
محبة الرب تعالى ورضاه ومشيته واحدة — كما هو احد قولنا الاشعري واكثر اتباعه .
فان هؤلاء يقولون : ان كل ما شاءه وقضاه فقد احبه ورضيه ، واذا كان الكون
محبوبا له مرضيا فنحن نحب ما احبه ونرضى ما رضيه . وقولكم : ان الرضا بالقضاء
يطلق جملة ولا يطلق تفصيلا . فذلك لا يمنع دخوله في جملة الرضا به ، فيعود
الاشكال . وقولكم : نرضى بها من جهة كونها خلقا لله ، ونسخطها من جهة كونها

كيا للعبد ، فكسب العبد أن كذب أمرا وجوديا فهو خلق لله فرفض به ، وإن كان أمرا عدميا فلا حقيقة له رضي ولا تسخط . وأما قواسم : رضي بالقضاء دون انقضي . فهذا إنما يصح على قول من جعل القضاء غير المنقضي ، والفعل غير المفعول ، وأما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا على أصله ؟

وقد أورد القاضي أبو بكر على نفسه هذا السؤال فقال - فإن قيل : القضاء عندكم هو المنقضي أو غيره ؟ قيل : هو على ضربين ، فالقضاء بمعنى الخلق هو المنقضي ، لأن الخلق هو المحلوق ، والقضاء الذي هو الإلزام والأعلام والكتابة غير المنقضي ، لأن الأمر غير المأثور والمخبر غير المخبر عنه . وهو الجواب لا يختصه إبطاء ، لأن الكلام ليس في الإلزام والأعلام والكتابة ، وإنما الكلام في نفس الفعل المقدر المالم به المكتوب : هل قدره وكتبه سبحانه راض به أم لا ؟ وهل العبد مأثور بالرضا به نفسه أم لا ؟ هذا حرف المسئلة .

وقد أنكر الله سبحانه تعالى على من جعل مشيئته وقضاه مستلزما لمحبة ورضاه ، فكيف يمكن جعل ذلك شيئا واحدا ؟ قال الله تعالى (سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا لعنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجهم لنا ؟ إن ثبتمون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون - وقال تعالى - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباءنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك قمل الذين من قبلهم - وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم . ما لهم بذلك من علم) فهم استدلوا على محبة ورضاه لشركهم بمشيئته لذلك ، وعارضوا بهذا الدليل أمره ونهيه . وفيه إرباب الرد لقول من جعل مشيئته غير محبته ورضاه ، فلا شك أنما نشأ من جعلهم المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بمحلهم الفعل نفس المفعول ، والقضاء عين المنقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضيا بمحبة لذلك ، والإلزام وضعتهم به .

والذي يكشف هذه القصة ، ويصر من هذه العماة ، وينجي من هذه الورطة التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فإنها ليسا واحدا ولا هما

متلازين، بل قد يشاء ما لا يحب، ويحب ما لا يشاء كونه، (فلا أول) كشيئه اوجود
ابليس وجنوده، ومشيتته العاة لجمع ما في الكون مع فضه لبعضه، (والثاني) كحبه
ايمان الخفار، وطغات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك
لوجد كله وكان جسيمه، فانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فذا تقرر هذا الاصل وان الفعل غير المبول، والقضاء غير النقضي، وان الله
صبحانه لم يأمر عباده الرضا بكل ما خلقه وشاء - زالت الشبهات، وانحت
الاشكالات، والله الحمد، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض بحيث يظن
ابطال احدهما الآخر، بل القدر ينصر الشرع والشرع يصدق القدر، وكل
منها يحقق الآخر.

اذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو اساس الاسلام، وقاعدة
الايمان، فيجب على العبد ان يكون راضيا به بلا هرج ولا مازعة ولا ممارسة
ولا اعتراض، قال الله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم،
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فقسم انهم لا يؤمنون حتى
يحكموا رسوله، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، ويسلموا لحكمه تسليما.
وهذا حقيقة الرضا بحكمه. فلتحكمكم في مقام الاسلام، وانتفاء الحرج في مقام
الايمان (١) وتسليم في مقام الاحسان. ومتى خالط القلب بشبهة الايمان،
واكتنحت بصبرته بحقيقة اليقين، وحجى روح الوحي، وتمهت طبيعته، وانقلبت
النفوس الامارة مطمنة راضية وداعة، وتلقى احكام الرب تعالى بصدره واسع منشرح
مسلم، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ورسوله.

والرضا بالقضاء الكوني القدرى الموافق لمحبة العبد وارادته ورضاه من الصحة
والفتى والعافية والذمة امر لازم بمقتضى الطبيعة، لانه ملائم للعبد، محبوب له، فليس
في الرضا به عبودية، بل المبودية في مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة، ووضع النعمة
مواضعها التي يحب الله ان توضع فيها، وان لا يصح المنم بها، ويرى التفسير في
جميع ذلك.

والرضاء بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبه مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره مستحب ، وهو من مقامات أهل الإيمان ، وفي وجوبه قولان ، وهذا كالمرض والفقر واذى الخلق له ، والحرق والبرد والآلام ونحو ذلك .

والرضاء بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه ، كأنواع الظلم والفسوق والمعصيان حرام يعاقب عليه وهو مخالفة لربه تعالى ، فإن الله لا يرضى بذلك ولا يحبّه ، فكيف تنفق الهبة ورضاء ما يسخطه الحبيب ويفضّهُ ؟ فعليك بهذا التفصيل في مسألة الرضا بالقضاء .

فان قلت : كيف يريد الله سبحانه أمرا لا يرضاه ولا يحبّه ؟ وكيف يشاؤه ويكونه ؟ وكيف تجتمع ارادة الله له وبفضه وكراهيته ؟ . قيل : هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا ، وتباينت عنه طرقهم وأقوالهم . فاعلم ان المراد نوعان : مراد لنفسه ومراد لغيره . فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته ومافيه من الخير ، فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد ، والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا للمريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر الى ذاته ، وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث افضائه وإبصاله الى مراده ، فيجتمع فيه الامران بفضه وارادته ، ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما ، وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة اذا علم متناوله أن فيه شفاء ، وكقطع العضو المتأكل اذا علم ان في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم انها توصله الى مراده ومحبوبه . بل الماقل يكتفي في اثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان خفيت عنه عاقبته وطويت عنه مغيبته ، فكيف بمن لا تخفى عليه العواقب ؟ فهو سبحانه وتعالى يكره الشيء وبفضه في ذاته ، ولا ينافي ذلك ارادته لغيره (١) وكونه سببا الى ما هو احب اليه من فوته .

مثال ذلك انه سبحانه خلق ابليس الذي هو مادة لفساد الاديان والاعمال والاعتقادات والارادات ، وهو سبب شقاوة المييد وعلمهم بما يغضب الرب تبارك

(١) أي لاجل أمر غيره وهو ما بينه بقوله : وكونه سببا الى

وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه بكل طريق وكل حيلة . فهو مبهوض للرب سبحانه وتعالى مسخوط له ، لعنه الله ومقته وغضبه عليه ، ومع هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة للرب تعالى تربت على خلقه ، وجودها احب اليه من عدمها .

(ومنها) ان تظهر للمباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات التي هي من اخبث الذرات وشرها ، وهي سبب كل شر ، في مقابلة ذات جبرائيل صلى الله عليه وسلم التي هي اشرف الذوات واطهرها وازكاها ، وهي مادة كل خير ، فبارك الله خالق هذا وهذا . كما ظهرت لم قدرته التامة في خلق الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والداء والدواء ، والحياة والموت ، والحر والبرد ، والحسن والقيح ، والارض والسماء ، والماء والنار ، والخير والشر . وذلك من ادل الدلائل على كمال قدرته وعزته وسلطانه وملكوته ، فانه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسطا بعضها على بعض ، وجمعا محال تصرفه وتديبره وحكمته ، فخلق الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل حكمته وكال تصرفه وتديبره بملكته

(ومنها) ظهور آثار اسمائه القهرية ، مثل القهار والمنتقم والعدل والضار ، وشديد العقاب ، وسريع الحساب ، وذوي البطش الشديد ، والعاقل والمنزل ، فان هذه الاسماء والافعال كمال فلا بد من وجود متعلقها ، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة الملك لم يظهر اثر هذه الاسماء والافعال

(ومنها) ظهور آثار اسمائه المتضمنة للحمه وعفوه ومغفرته وسره وتجاوزه عن حقه وعفقه ان شاء من عباده ، فلولا خلق ما يكرهه من الاسباب المنفضية الى ظهور آثار هذه الاسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد ، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا بقوله « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجا بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »

(ومنها) ظهور آثار اسماء الحكمة والخبرة ، فانه سبحانه الحكيم الخبير الذي يضم الاشياء مواضعها ، وينزلها منازلها الثلاثة بها ، فلا يضع الشيء في غير موضعه ، ولا ينزله غير منزلته ، التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته ، فلا يضم الحرمان

والمنع موضع العطاء والففضل ، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع ، ولا الشواب موضع العقاب ولا العقاب موضع اشواب ، ولا انقضى موضع الرفع ولا الرفع موضع الخفض ، ولا المزمكان الذل ولا الذل مكان المزم ، ولا يأمر بما ينهي النهي عنه ، ولا ينهي عن ما ينهي الامر به . فهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وألم بمن يصالح لقبولها ويشكره على انتهائها اليه ووصولها ، وألم بمن لا يصالح ذلك ولا يستأمله ، وأحكم من ان يمنها أهلها وبضها عند غير أهلها ، ولو قدر عدم الاسباب المكونة للبيضة له لتمطت هذه الأثر ولم تظهر لحقه ، ولما تمت الحكمة والمصالح المرتبة عليها ، وفواتها شر من حصول تلك الاسباب ، فلو عطت تلك الاسباب لما فيها من الشر لتمطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الاسباب . وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضاف أضاف ما يحصل بها من الشر والضرر ، فلو قدر تمطيلها لثلا يحصل منها ذلك الشر الجزئي لتمطل من الخير ما هو أعظم من ذلك الشر بما لا نسبة بينه وبينه .

فصل

(ومنها) حصول العبودية المتنوعة التي اولا خلق الاله لما حصلت ، ولكن الحاصل بعضها الا كلها ، فان عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية اليه سبحانه ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتمطت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة فيه سبحانه والمعاداة فيه والحب فيه واليقض فيه . وبذل النفس له في محاربة عدوه ، وعبودية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخافة الهوى ، وإيثار محاب الرب على محاب النفس .

(ومنها) عبودية التوبة والرجوع اليه واستغفره ، فانه سبحانه يحب التوابين ويحب توبتهم ، فلو عطت الاسباب التي يشاب منها لتمطت عبودية التوبة والاستغفار منها .

(ومنها) عبودية مخافة عدوه ومراعاته في الله وإعظامه فيه ، وهي من أحب أحب أنواع العبودية اليه ، فانه سبحانه يحب من وليه ان يفيظ عذره وبراعته ويسوه ، وهذه عبودية لا يتفطن لها الا الأكياس .

(ومنها) أن يتعبد له بالاستعاذة من عدوه وسؤاله أن يجبره منه ويمصمه من كيد وأذاه .

(ومنها) أن عبيده يشتد خوفهم وحذرهم إذا رأوا ما حل بعبده بخالفته وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المرتبة الشيطانية ، فلا يتخلدون إلى غرور الأمل بعد ذلك .

(ومنها) أنهم يبالغون ثواب مخالفته ومعاداته الذي حصوله بشروط بالمعاقبة والمخالفة ، فأكثر عبادات القلوب والجوارح مرتبة على مخالفته .

(ومنها) أن نفس تتخذه عدواً من أكبر أنواع العبودية ، أحبا ، قل الله تعالى (أنت الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدواً) فتخذه عدواً أنفع شيء للعبد وهو محبوب للرب .

(ومنها) أن الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر ، والطيب والخبث ، وذلك كامن فيها كونه النار في الزناد ، فخلق الشيطان مستخرجاً ما في طبايع أهل الشر من القوة إلى الفعل ، وأرسل الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل ، فاستخرج أحكم الحاكمين ما في قوى هؤلاء من الخير الكامن فيها لترتب عليه آثاره ، وما في قوى أولئك من الشر لترتب عليه آثاره ، وتظهر حكمته في الفرية وينفذ حكمه فيهما ، ويظهر ما كان معلوماً له مطابقاً لعلمه السابق . وهذا هو السؤال الذي سأله ملائكته حين قالوا (انجبل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قل : اني اعلم ما لا تعلمون) فظنت الملائكة ان وجود من يسبح بحمده ويطيعه ويبدعه أولى من وجود من يمصبه ويخالفه ، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والمصالح والفايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا تعلمه الملائكة .

(ومنها) ان ظهور كثير من آياته وعجائب صنمه حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة والظالمة ، كآية الطوفان ، وآية الريح ، وآية إهلاك نوح وقوم لوط ، وآية انقلاب النار على إبراهيم برداً وسلاماً ، والآيات التي أجزاها

الله تعالى على يد موسى ، وغير ذلك من آياته التي يقول سبحانه عيب ذكر كل آية منها (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين) وان ربك هو العزيز الرحيم) فلو لا كفر الكافرين ، وعناد الجاحدين ، لما ظهرت هذه الآيات الباهرة التي يتحدث بها الناس جيلا بعد جيل الى الابد .

(ومنها) ان خلق الاسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضا ، ويكسر بعضها بعضا ، هو من شأن كل الروبية ، والقدرة النافذة ، والحكمة النامة ، والمالك الكامل ، وإن كان شأن الروبية كاملا في نفسه ولو لم يتحقق هذه الاسباب ، لكن خلقها من لوازم كماله ومملكته ، وقدرته وحكمته ، فظهور تأثيرها واحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال ، ووجوب من موجباته . فتعبر مراتب الغيب والشهادة بأحكام الصفات من آثار الكمال الإلهي المطلق بجميع وجوهه وأقسامه وغاياته .

وبالجملة فالعبودية والآيات والمعاني التي ترتبت على خلق ما لا يحبه ولا يرضاه وتقديره وشيئته . أحب الى الله سبحانه وتعالى من فواتها وتعطيلها بتهطيل أسبابها .

فإن قلت : فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الاسباب ؟ : فهذا سؤال باطل اذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه . كفرض وجود الابن بدون الاب ، والحركة بدون المتحرك ، والتربة بدون الثوب .

فإن قلت : فإذا كانت هذه الاسباب مرادة لما تنضي اليه من الحكم ، فهل تكون مرضية بمحبوبه من هذا الوجه ؟ أم هي مستخيلة من جميع الوجوه ؟ قلت هذا السؤال يورد على وجهين (أحدهما) من جهة الرب سبحانه وتعالى . وهل يكون محبا لها من جهة افضائها الى محبوبه وإن كذب بعضها لذاتها ؟ (والثاني) من جهة المبد . وهو انه هل يسوغ له الرضاء بها من تلك الجهة أيضا ؟ فهذا سؤال له شأن .

فإن ان الشر كله يرجع الى عدم الخير واسبابه المنفضة اليه ، وهو من هذه الجهة شر ، وأما من جهة وجوده المنفض فلا شرفية . مثاله ان النفس . الشريعة وجودها خير من حيث هي وجودية ، وأما حصل لها الشر بقطع

مادة الخير عنها ، فنها (١) خلقت في الاصل متحركة لانسكن ، فان اعيت بالعلم وإطام الخير تحركت (٢) ونزعت تحركت بطبها الى خلافة ، وحركتها من حيث هي حركة خير ، ونما تكون شرًا بالاضافة ، لا من حيث هي حركة . والشر كله ظم ، وهو وضع الشيء في غير موضعه ، فلو وضع في موضعه لم يكن شرًا ، فلم ان جهة الشر فيه بنسبته بمشيئته (٣) اضافية ، ولهذا كانت المقوبات الموضوعات في محلها خيرا في نفسها وان كانت شرًا بالنسبة الى المحل الذي حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قبله لضعفه من اللذة ، مستعدة له ، فصار ذلك الألم شرًا بالنسبة اليها ، وهو خير بالنسبة الى الفاعل ، حيث وضعه موضعه ، فانه سبحانه لا يخلق شرًا محضًا من جميع الوجوه والاعتبارات (٤) فان حكيمته تأتي ذلك بل قد يكون ذلك الخلق شرًا ومفسدة ببعض الاعتبارات ، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر أرحح من اعتبارات مفسده ، بل الواقع منحصر في ذلك ، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله ان يريد شيئًا يكون فسادا من كل وجه بكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه متا . هذا من أبين المحال ، فانه سبحانه يده الخير ، والشر ليس اليه ، بل كل ما اليه خير ، والشر انما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه ، فلو كان اليه لم يكن شرًا ، فتأمل . فاقطاع نسبته اليه هو الذي صيره شرًا .

فان قلت : لم تقطع نسبته اليه خلقا ومشيئة . قلت : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فان وجوده هو المنسوب اليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذي فيه من عدم امداده بالخير واسبابه ، والعدم ليس بشي (٥) حتى ينسب الى من يده الخير .

فان اردت مزيد إيضاح لذلك ، فاعلم ان اسباب الخير ثلاثة : الوجود ،

(١) حذف من البعدادية كلمة « به » ولله الصواب (٢) في الحجازية « تحركت في الخير » (٣) حذف من البعدادية كلمة « بمشيئته » (٤) في الحجازية « من جميع وجوه الاعتبارات » وفي البعدادية « من جميع الوجوه والاعتبارات » وانهدت نسختنا باللفظ ونصها « من جميع الوجوه الاعتبارات » (٥) في البعدادية « بشر »

والاعداد، والامداد. فهذه هي الخبرات واسبابها، فإيجاد هذا السبب خير وهو الى الله، واعداده خير وهو اليه أيضا، وامداده خير وهو اليه، فإذا لم يحدث فيه اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس الى الفاعل، وإنما اليه ضده.

فإن قلت: فهلاً أمدّه اذ أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة ايجاداه وامداده فإنه سبحانه يوجده ويمده، وما اقتضت الحكمة ايجاداه وترك امداده اوجده بحكمته ولم يمدّه بحكمته، فإيجاداه خير، والشر وقع من عدم امداده.

فإن قلت: فهلاً امد الموجودات كلها؟ فهذا مؤلّ فاسد، يظن مورده ان التدوير بين الموجودات الباطن في الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة في هذا اتفاوت العظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت، والتفاوت إنما وقع بامور عدمية لم يتعلق بها الخلق، والافليس في الخلق من تفاوت، فإن اعتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول القائل:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

كما ذكر ان الاصمعي اجتمع بالخابل بن احمد وحرص على فهم العروض فاعياه ذلك، فقال له الخليل يوما: قطع لي هذا البيت. وانشده (إذا لم تستطع) البيت، ففهم ما اراد فامسك عنه ولم يشغل به

وسر المثلثة ان الرضاء بالله يستلزم الرضاء بصفته وأفعاله واسماؤه واحكامه، ولا يستلزم الرضاء بمفعولاته كلها، بل حقيقة المودبة ان يوافق عبده في رضاء وسخطه، فيرضى منها بما يرضى به ويسخط منها (١) ما يسخطه. فان قيل: فهو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة. فكيف يمكن العبد ان يرضى بعقوبته له؟ قيل: او وافقه في رضاء بعقوبته لا قلبت لذة وسرورا، ولكن لا يقع ذلك (٢) فإنه لم يوافقته في محبته وطاعته التي هي سرور النفس وقوة العبد وحياة القلب، فكيف يوافقته في محبته للعقوبة التي هي اكره شيء اليه، واشق شيء عليه؟ بل

كان كارها لما يحبه من طاعته وتوحيده ، فلا يكون راضيا بما يخناره من عقوبته ، ولو فعل ذلك لارتفعت عنه العقوبة .

فان قلت : فكيف يجتمع الرضا بالقضاء الذي يكرهه العبد من المرض والفقر والألم مع كراهته ؟ قلت : لا تنافي في ذلك فانه يرضى به من جهة افضائه الى ما يحب ، ويكرهه من جهة تألمه به ، كالدواء الكريه الذي يعلم ان فيه شفاؤه ، فانه يجتمع فيه رضاؤه به وكراهته له .

فان قلت : كيف يرضى لعبد شيئا ولا يهينه عليه ؟ قلت : لأن اعاقته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي اكراهه الى سيئانه من محبته لتلك الطاعة ، بحيث يكون وقوعها منه مستلزما لمفسدة راجحة ، ومفوتة لمصلحة راجحة ، وقد اشار تعالى الى ذلك في قوله (ولو ارادوا الخروج لا دعوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فبططهم وقبل : اقموا مع القاعدین * او خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضموهم خلا لکم بفونکم الفتنة وفيكم ساعون لهم ، والله عالم بالظالمين) فاخبر سبحانه انه كره انبعاثهم مع رسول الله للفرز وهو طاعة وقرية ، وقد امرهم به ، فلما كرهه منهم بططهم عنه ، ثم ذكر سبحانه بعض المفسد التي كانت تترتب على خروجهم او خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا » أي فسادا « ولا وضموهم خلا لکم » أي سمعوا فيما ينكم بالفساد والشر « بفونكم الفتنة وفيكم ساعون لهم » أي قابلون منهم مستجيبون لهم ، فيتولد من بين سعي هؤلاء بالفساد وقبول اولئك منهم من الشر ما هو أعظم من مصالحة خروجهم ، فانقضت الحكمة والرحمة ان منعهم من الخروج وأقدمهم عنه . فاجمل هذا المثال اصلا لهذا الباب وقس عليه .

فان قلت قد تصور لي هذا في رضا الرب تعالى لبعض ما يخلقه من وجه وكراهته من وجه ، فكيف لي بان يجتمع الامران في حقي بالنسبة الى المعاصي والنسوق ؟ قلت : هو تصور ممكن ، بل واقم ، فان العبد يستخط ذلك ويغضبه ويكرهه من حيث هو فعل له واقم بسببه وارادته واختياره ، ويرضى بعلم الله

وكتابتة ومشيتته واذنه الكوني فيه ، فيرضو بما من الله ، ويسخط ما هو منه .
فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان ، وطائفة أخرى رأوا كراهة ذلك مطلقا ،
وعدم الرضاء من كل وجه ، وهؤلاء في الحقيقة لا يخالفون أولئك ، فان العبد
اذا كرهها مطلقا فان الكرامة انما تنعم على الاستيثار المكروه منها ، وهؤلاء لم يكرهوا
علم الرب وكتابتة ومشيتته وإلزامه حكمه (١) الكوني ، وأولئك لم يرضوا بها من
الوجه الذي سخطها الرب وابغضها لأجله .

وسر المسئلة ان الذي الى الرب منها غير مكروه ، والذي الى العبد منها هو
المكروه والمسخرطه ، فان قلت : ليس الى العبد شيء منها - قلت : هذا هو الجبر
الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المكان الضيق ، والقدري اقرب الى
التخلص منه من الجبري ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم اسعد
بالتخلص منه من الفريقين .

فان قلت : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ، ومع شهود
القيومية والمشيتة النافذة ؟ قلت : هذا الذي أوقع من عمية بصيرته في شهود الامر
على خلاف ما هو عليه ، فرأى تلك الافعال طاعات لموافقة فيها المشيتة والقدر ،
وقال : ان عصيت أمره فقد اطمت ارادته في ذلك . قيل

أصبحت منفلا لما تخزاه مني فقل لي كله طاعات

وهؤلاء اعنى الخلق بصائر ، واجهاهم بالله واحكامه الدينية والكونية ، فان
الطاعة هي موافقة الامر لا موافقة القدر والمشيتة ، ولو كانت موافقة اقدر طاعة الله
لكان ابليس من اعظم المطيعين لله ، وكان قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم
فرعون كلهم مطيعين له ، فيكون قد عذبهم اشد العذاب على طاعته ، وانتم منهم
لاجلها ، وهذا غيبة الجهل بالله واسمائه وصفاته وافعاله .

فان قلت : ومع ذلك فاجمع لي بين الندم والتوبة وبين مشهد القيومية
والحكمة . قلت : العبد اذا شهد عجز نفسه ونفوذ الانذار فيه ، وكال فقره الى
ربه ، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين - كان (٢) بالله في هذه الحال

لا بنفسه ، فوقع الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال البتة ، فإن عليه «صنا حصينا من » فيسمع وبني يبصر وبني يطعمش وبني يمشي » فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال ، فإذا حجب عن هذا المشهد وسقط الوجود الطبيعي وبقي بنفسه استولى عليه حكم النفس والطبع والهوى ، وهذا الوجود الطبيعي قد نسبت فيه الشبك والاشراك ، وأرسلت عليه الصيادون ، فلا بد أن يقيم في شبكة من تلك الشباك ، ومترك من تلك الاشراك ، وهذا الوجود وهو حجاب بينه وبين ربه ، فمعد ذلك يقيم الحجاب ويقوى المقضي ، ويضعف المانع ، وتشد الظلمة ، وتضعف القوى . فأتى له بالخلاص من تلك الاشراك الشباك ؟ فإذا انتشع ضباب ذلك الوجود الطبيعي وانجاب ظلامه ، وزال قتامه ، وصرت برلك ، ذاهبا عن نفسك وطبعك

بدالك سر طال علك اكنتمه ولاح صباح كنت انت ظلامه
فان غبت عنه حل فيه وطنيت على منكب المكشف المصون خيامه
فانت حجاب القاب عن سر غيبه ولولاك لم يطعم عليه ختامه
وجاء حديث لا يدل سماعه شهبي الينا نثره ونظامه
اذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القاب المعنى قتامه

فهذا لك يحضره الندم والتوبة والانابة ، فنه كان في المعصية (١) بنفسه ، محجوبا فيها عن ربه وعن طاعته ، فلما فارق ذلك الوجود وصار في وجود آخر بقي بربه لا بنفسه ، وإذا عرف هذا فالتوبة والندم يكونان في هذا الوجود الذي هو فيه بربه ، وذلك لا يتأتى مشهد الحكمة والقيمة ، بل يحاميه ويستمد منه ، وبالله التوفيق .

(١) سقط من المجازبة « في المعصية »

القول السديد

﴿ في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد ﴾ *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

اللهم ارنا الحق حقا واهدنا لاتباعه ، وارنا الباطل باطلا ووفقنا لاجتنابه
الحمد لذاته وجهيل صفاته ، والشكر له على آلائه ونعمائه وعطائه
وهباته ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث بالدين النبين ، والكتب
المبين ، سيدنا ومولانا ونبينا محمد الرسول الامين ، وعلى آله واصحابه
الهداة المهتدين .

أما بعد فهذه تعليقة موسومة (بالقول السديد . في بعض مسائل
الاجتهاد والتقليد) اذكر فيها ما حضرني من بعض مسائل الاجتهاد ،
واقترء المقلد بامام يرى خلاف قول مقلده - بفتح الهمزة - إما اجتهدا
او تقليدا ، وما يتعلق بذلك ويتبدل عليه ، متصدا لاتبع في ذلك ، بل
قيدت ما سنع للاخطار الفار ، في الوقت الحاضر ، من غير تقيد بمراجعة
في ذلك ، وهي نبذة يسيرة من شيء كثير . فانول وباتت الاعانة
الكلام في هذه المسائل على فصول .

{ * هذه الرسالة هي تأليف الفقيه الاصولي الشيخ محمد بن عبد العظيم المكي
الحنفي ابن المقدسي للبروز الملا فروخ بن عبد الحسن الرومي الموروي ، اتم تأليفه
سنة ١٠٥٢ للهجرة طفر بنسخة خطية منها صديقنا الشيخ مصطفى بن محمد سليم
الفلايني فأرسلها الينا فاستحيينا نشرها في المنار لقوائدها والاستشهاد بها على وجود العلماء
المتصفين بالبسرين اطماعين للكلمة في كل شعب اسلامي وكل عصر من عصور ضعف العلم

الفصل الأول

إِعلمَ أَنَّهُ لم يكلف الله أحدا من عباده أن يكون حنظيا أو مالكيًا أو شافعيًا أو حنبليًا ، بل أوجب عليهم الإيمان بما بهت به محمد صلى الله عليه وسلم ، والعمل بشريعته . غير أن العمل بها متوقف على الوقوف عليها ، والوقوف له طرق ، فما كان منها مما يشترك به العوام وأهل النظر كالعلم بربضة الصلاة والزكاة والصوم والحج والوضوء أجمالاً ، وكالعلم بحرمة الزنا والخمر والناوأحة وقتل النفس ، وغير ذلك مما علم من الدين بالضرورة ، فذلك لا يتوقف فيه على اتباع مجتهد ومذهب معين ، بل كل مسلم عليه اعتماد ذلك . فمن كان في العصر الأول فلا يخفى وضوح ذلك في حقه ، ومن كان في الأعصار الأخيرة ، فلوصل ذلك إلى علمه ضرورة من الإجماع والنوادر وسماع الآيات والسنن ، أي الأحاديث الشريفة المستفيضة المصرحة بذلك في حق من وصلت إليه .

وَأما ما لا يتوصل إليه إلا بشرب من النظر والاستدلال فمن كان قادراً عليه بتوفر آلاته وجب عليه فعله ، كالائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن لم يكن له قدرة عليه وجب عليه الاتباع إلى من يرشده^(١) إلى ما كلف به ممن هو أهل النظر والاجتهاد والعدالة ، وسقط عن العاجز تكليفه بالبحث ، والنظر لمجزئه بقوله تبارك وتعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وزوله عز من قائل (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم

(١) المنار : حق العبارة أن تكون « اتباع من يرشده »

لأنهم (لنعملون) وهي الأصل في اعتماد التقليد، كما أشار إليه المحقق السكّال ابن الهمام في التحرير^(١).

فصل

إذا علمت ذلك، فاعلم أن أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد بن محمد ابن حنبل رحمة الله عليهم أجمعين، كلٌّ كان من أهل الذكر الذين وجب سؤالهم لمن لم يصل إلى درجة النظر والاستدلال، فإذا عمل أحد من المقلدين في طهارته وصلاته أو شيء مما جرى به التكليف بقول واحد منهم مقلداً له فيه - لو صادف قوله، ولو لم يعلم به حين العمل فقلده فيه بعد انقضائه على ما ظهر لي في المسئلة، كما يدل عليه ما استشهد به في المسئلة بعد هذا - فقد أدى ما عليه، وليس لأحد ممن هو في درجته التقليد له. قلت: بل ولا للمجتهد الإنكار عليه، كما صرح به في غير كتب عندما من تصانيف الصدر الشهيد حسام الدين وغيره من كتب المذهب المعتبرة، كالتبجيس والمؤيد لشيخ الإسلام برهان الدين صاحب الهداية كما نقلته بخطي عنها في مظانه.

أذا ثبتَ ذلكَ فليس لحنفي أو مالكي أو شافعي من المقلدين أن يتمتع من الاقتداء بالإمام المخالف لمذهبه، وليس له أن يحتج بأنّ لما قلدت الشافعي وأبا حنيفة - مثلاً - فقد وجب علي الحكم بطلان ما خالف

(١) المنار: التقليد الأخذ بالرأي من غير دليل. وإنما تدل الآية على السؤال عن الدليل، وهو ما تواتر عند أهل الكتاب من كون جميع الرسل كانوا رجالاً. ومثله طلب النصّ دون الرأي. هذا وإن الاجتهاد يجزأ فمن لم يقدر على معرفة جميع الأحكام أو أكثرها بالنظر والاستدلال يجوز أن يقدر على ما يحتاج إليه منها كله أو بعضه، ويجتنب يتمتع عليه أن يأخذ فيه برأي غيره واجتهاده، كما ثبت في علم الأصول

اجتهاده ، لاننا نقول : انما ايجع التقليد بقدر الضرورة . وذلك يندفع بتقليدك له في عملاك وكيفيته فقط ، وان شئت قل : في كيفية ايقاع ما كانت به فقط . واما الحكم ببطالان مخالفه فليس ذلك اليك ، بل للكلام مجال في تسوية ذلك للمجتهد الذي قلدته .

وَأَمَّا أَنْتَ ، ومن هو في مرتبتك من المقلدين ، فقول « كل مجتهد » عنده على حد سواء ، اذ ليس الترجيح بالدليل من وظائفك ، والا كنت في درجتهم ووجب عليك الاجتهاد وارتفع التقليد ، ولكن لا بد للعمل في تصحيحه من مستند ، فانت استندت الى امامك - ونعم الامام - وهذا الآخر استند الى امام في فعله مثل امامك أو أعلى منه ، فلا يمكنك الحكم على عمله بالبطالان البتة ، فلست حينئذ في تخلفك عن الاقتداء به الا عاملا بمحض التعصب ، وقد نص علماؤنا وغيرهم من اصحاب المذاهب على حرمة التعصب وتصويب الصلاة في المذهب ، ومعنى الصلاة أي^(١) الثبات على ما ظهر للمجتهد من الدليل ، وليس ذلك الا للمجتهد نفسه او لمن هو من اهل النظر ممن اخذ بقوله

والتعصب هو الميل مع الهوى لاجل نصره المذهب ومعاملة الامام الآخر ومقلديه بما يحطط عنهم . وقد نص في جواهر الفتاوى وغيرها من كتب اصحابنا ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى لم يكن له تعصب على امتنا رحمهم الله تعالى .

(١) لفظ « أي » لاحاجة اليه . فلهذه سبق قلم من الناسخ أو المؤلف

فصل

وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقْتَدِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَكَذَا
التَّابِعُونَ لَهُمْ ، - وَفِيهِمُ الْمُجْتَهِدُونَ - وَلَمْ يَنْزِلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّانِفِ
رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى الْاِقْتِدَاءَ بَيْنَ يَخَالَفِ قَوْلَهُ فِي بَعْضِ
الْمَسَائِلِ وَلَوْ فِي خُصُوصِ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ ، بَلْ نَأَن يَقْتَدِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ،
وَرَبَّمَا اعْتَمَدَ بَعْضُهُمْ وَلَايَةً بِبَعْضٍ ، حَتَّى أَنَّ الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَمَثِ
يَنْتَابِ قِيَصِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مِنْ بِنْدَادٍ يَسْتَشْفِي بِهِ فِي مَدَّةٍ مَرَضُهُ
بِنَفْسِهِ وَشَرِبَ مَائِهِ - كَمَا رَأَيْتُهُ مُثَبَّتًا فِي مَنَاقِبِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَدْ
رَوَى ذَلِكَ بِالْمَكْسِ^(١) وَكَذَلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ يَمَامِلُ
بَعْضُهُمْ بِبَعْضًا ، كَمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ سِيرِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ

وَلَا يَأْتِيَتْ إِلَى مَا قَدْ تَمَسَّكَ بِهِ مِنْ لَا مَعْرِفَةٍ عِنْدَهُ بِأَنَّ الْاِخْتِلَافَ
بَيْنَهُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو بِهِ هَذِهِ الصَّنِئَةُ الَّتِي عَالِيهَا الْمَذَاهِبُ الْآنَ ، لَأَنَّا تَقْدُورُنَا
أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغُ ، لِأَنَّ السَّكَلَ كَانُوا فِي طَلَبِ الْحَقِّ عَلَى حَدِّ مَتَسَاوٍ ،
وَاجْتِهَادِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ كَعَمِيرِهِ بَعْدَ تَسْلِيمِ بُلُوغِهِمْ دَرَجَةَ
الْاجْتِهَادِ ، وَأَنَّ تَفَاوُتُوا فِيهِ .

(١) فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلصَّبْغِيِّ أَنَّ الشَّافِعِيَّ أَرْسَلَ إِلَى أَحْمَدَ كَتَابًا مِنْ
مَعْرُوهٍ هُوَ بِفَدَاٍ مَعَ الرَّيْبِ يَذْكُرُ لَهُ فِيهِ أَنَّ الْي (ص) أَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ « لَمْ
سَمِعْتُمْ وَتَدْعَى إِلَى الْفَوْلِ بِخِلَافِ الْقُرْآنِ فَلَا تَجِيبُهُمْ فَيَرْفَعُ اللَّهُ لَكَ عِلْمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »
وَأَنَّ أَحْمَدَ أَعْطَى الرَّيْبِ قِيَصَهُ بِشَارَةٍ ، وَأَنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ لِلَّيْبِ مَا عَادَ : لَيْسَ تَقْجَمُكَ
بِهِ وَلَسْكَنَ بِهِ وَارْفَعُ إِلَى الْمَاءِ لَا تُبْرِكَ بِهِ . فَهَذَا أَصْلُ الْحِكَايَةِ وَبَعْضُ النَّاسِ يَتَصَرَّفُونَ
فِيهَا - وَالسَّنَدُ الَّذِي ذَكَرَهُ السَّبْغِيُّ لَا يَصِحُّ ، وَلَسْكَنَهُمْ يَقْبَلُونَ مِثْلَهُ فِي الْمَنَاقِبِ

فَإِنْ قُلْتَ : قد نقل الامام سافظ الدين النسفي صاحب الكنز والكافي في مصنفه عن المشايخ المتقدمين : انا اذا سئنا عما ذهبنا اليه في الفروع نجيب بأن مذهبنا اليه صواب يحتمل الخطأ ، وما ذهب اليه الغير خطأ يحتمل الصواب . انتهى بمعناه ، وان لم يكن بلفظه . وهذا يوجب امتناع المقلد من اتباع امام يرى مخالفة قول امامه لكونه خطأ ، وما قلده فيه صواب عنده .

ثُمَّ : المراد من هذا تخصيص (أن) مذهب اليه ائمتنا هو صواب عندهم مع احتمال الخطأ ، اذ كل مجتهد قد يصيب وقد يخطئ في نفس الامر . واما بالنظر اليما فهو مصيب في اجتهاده ، وهو معنى ما روي ان كل مجتهد مصيب ، فليس معناه ان الحق يتمدد .

وَيَتَّبِعُنِي ان يكون قد اراد الكلام^(١) ان لم يجتهد الحكم ظننا لا قطعيا بأن اجتهاد غيره خطأ . واما نفس المجتهد المخالف فهو مصيب في العمل باجتهاد نفسه لا يخطئ في ذلك ، وان كان محكوما بخطأ اجتهاده عند غيره ، لانه مأمور باجتهاد نفسه كما لا يخفى .

قال الامام نضر الاسلام علي بن محمد البزدوي في شرح الجامع الصغير في مسألة التحري بالقبلة في الليلة المضطمة : وهذا نص من اصحابنا على انهم لم يقولوا : كل مجتهد مصيب . خلافا للمعتزلة ، فان من نسب ذلك اليهم فقد تقول عليهم . هذا لفظ نضر الاسلام رحمة الله عليه .

قُلْتُ وقد ذهب بعضهم الى ان الحق يتمدد في المسئلة ، وهو ما أدى

(١) المنار : كانت هذه الجملة الى الاربعة الاستطر موضوعة في الفصل السابق

قبل قوله « وأما أنت » الخ ولا معنى لها هناك ولا مرجع لضميري يكون وأراد .

اليه اجتهد كل مجتهد فيها ، فقد جعل الله تبارك وتعالى حكم المسئلة ما أدى اليه اجتهد كل مجتهد . ولكن لا نقول به ، بل معناه انه مصيب في اجتهداه ثم العمل به ، والحق عند الله واحد ، ولكن لما ظهر اهم بالدليل حكم من الاحكام وجب عليهم اتباع الدليل ، ومن ضرورة وجوب الاتباع التصويب ، والا فالشرع لا يأمر باتباع الخطأ . ثم من ضرورة تصويب قواهم منخطئة قول مخالفهم مع احتمال الاصابة من مخالفهم ، لان المجتهد لم يحصل له الا الظن لا القطع بذلك ، ولهذا لو حكم بشيء من القطعيات في العقائد يحزم بالاصابة ومنخطئة المخالف ، كما ذكره النسفي في تلك المسئلة في المصنفى ايضا .

فَالْحَاصِلُ ان المراد من أئمتنا ومن اخذ بقولهم من اهل النظر - كشايخ المذهب الكبار المتقدمين ، كالشيخ ابي الحسن الكرخي والامام ابي جعفر الطحاوي ، والمتأخرين مثل شمس الأئمة الحلواني وتلميذه السرخسي وغير الاسلام البردوي وامثالهم من النظائر في القرن الخامس ، والامام قاضي خان وخسرويه صاحب الهداية ، واضرابهما من اهل الانظار ذوي القدر الخطير في القرن السادس - لو سئلوا لكان جوابهم ما ذكره . ويرشد الى ذلك تعبيره بقوله « لو سئلنا » وقوله « عما ذهبنا » الى آخره . ولم يقل : لو سئل المقلد . فهذا الجواب مقدر من جانب الأئمة انفسهم فيما ذهبوا اليه ، وليس المراد ان يكلف كل مقلد ان يمتد ذلك فيما قلده فيه ، اذ ذلك تقليد فيما لا يحتاج اليه ، وهو ممنوع ، كما افدتك من قبل ان التقليد انما يسوغ بقدر الضرورة ، وهو محتاج الى العمل ، فلا بد من التقليد في كيفية حصوله ، واما اعتقاد صحة ما قلده

فيه ولا يدري^(١) بطلان كل ما عده فليس مكلفاً .
فَإِنْ قُلْتَ : بل هو مكلف ، والألزم إذاً التكليف مع اعتقاد
عدم صحتها .

قلت : لا يلزم ذلك إلا لو اعتقد عدم صحة ما قلده فيه ، ونحن لا نقول
به ، بل هو على الصواب ظاهراً حيث فعل ما عليه ، وهو الأخذ بقول
مجتهد ، وأما تخطئة من أخذ بخلاف قول مقلده فما هو مكلف بها .
وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَلَا يَسُوغُ لِحَنِي أَوْ شَافِي وَجَدَ فِي الْمَسْجِدِ أَمَاماً
عَلَى خِلَافِ مَذْهَبِهِ إِمْدَانٌ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ تَرْكُ الْاِئْتِدَاءِ بِهِ ،
نُظَرًا إِلَى عَدَمِ صَحَّةِ صَلَاتِهِ عَلَى مَقْتَضَى مَذْهَبِ إِمَامِهِ^(٢) .

فصل

يؤيد ما ذكرته ما نقله التقي الشهني في شرح المختصر والشيخ
عثمان الزليبي وصاحب البحر الرائق وغيرهم عن الامام الجليل أبي بكر
الرازي رحمه الله من صحة الاقْدَاءِ بامام رُفِعَ ولم يتوصَّأ ، وهذا يشمر
بالاكتفاء باعتقاد الامام نفسه في صحة صَلَاتِهِ ، ولا عبرة حينئذ بفسادها
في اعتقاد المقتدي ، كما اشار اليه النسفي ايضاً ، وهذا القول هو المقصود
روايته وان اعتمد خلافه رواية عندنا . وهو الذي اميل اليه ، وعليه

(١) انبار : كذا في الاصل ولعل في الكلام حذف والمراد ظاهر . أي : وأما
اعتقاد صحة ما قلده فيه ولا يدري مادليه ، وبطلان كل ما عده فليس بما يمكنه .
{ } تقيده بأهل السنة فيه بحث فقد أجازوا الاقْدَاءَ بالفاسق . ولو في الاعتقاد
كالبتدع ولكن مع الكراهة وهذا مما يحتاج به كونهم أهل الجماعة أي بجمعون كلمة
المسلمين ولا يفرقونها

يتمشى ما ذهبنا اليه في هذه الوريقات .

بل أزيد واقول : والذي يقتضيه النظر — فيما ذهبنا اليه — لا ينبغي تخصيص عتيدة الامام بالاعبار في الصحة ، بل يقول : يمكن حصول الصحة على قول مجتهد - واء في ذلك مطابقة عتيدة الامام والمأموم او غير مطابقة ، كمثل شافعي من فرجه وصلى ناسيا اماما واقتدى الحنفي باشافعي ثم نسي ودخل في الصلاة ، والحنفي كان عابسا به وهو ذاكر له ، فنقول : له ان يقتدي به لانه في حاله بدد المس ، وهو مترضى في اعتقاد الحنفي المقتدي فيكون ذلك .

وقد قال الحق في فتح القدير في مثل هذه الصورة : ان الاكثر على الصحة خلافا للمذاهب وغيره ، ففي هذه الصورة تدابرنا اعتقاد الحنفي المنتدى ، واكتفينا بصحتها في عتيدته ، وصححنا الاقتداء ، كما انه في مسئلة اقتداء الحنفي بالامام الذي دفع ولم يتوضأ اكتفينا بصحتها في عتيدة الامام الراعي ، وصححنا الاقتداء به ، وهو الذي نقلوه عن الامام الرازي .

وقد ذكر الشيخ الامام المحقق كمال الدين بن الهمام في شرحه على الهداية عن شيخه الامام سراج الدين الشيرازي القاري الهداية انه كان يعتقد قول ابي بكر الرازي ، وانه انكر مرة ان يكون فساد الصلاة بذلك مرويا عن المتقدمين انتهى .

ورأيت في رسالة لبعض الفضلاء ، ان بعض الفضلاء كانوا يرجحون قول ابي بكر الرازي بناء على قوة دليله ووضوح بيانه ، وهو ان شرط صحة صلاة المأموم صحة صلاة الامام في نفسها ، وصلاة كل

مكلف انما تصح في نفسها اماماً ومأموماً باعتبار رأيه ومذهبه، لا على مذهب الغير، إذ كل مجتهد مطاع في حكمه، ومجزي عن عمله الذي رآه ومثاب عليه، وان لم يصب الحق، فالحنفي لا يجزم بفساد صلاة مجتهد خرج منه الدم وهو يرى انه غير ناقض، وان قطع بفسادها من حنفي ابتلي به - على رأيه - . قوله : لا يجزم . وقوله : وان قطع . لا يخفى انه لا يجزم ولا قطع في الظنيات ، فالصواب ان يقال : لا يحكم . او لا يقول بفسادها . وكذا ان يقول : وان حكم - أو - وان قال بفسادها ، بدل قوله : وان قطع . قال جامعا .. وان قطع بفسادها من حنفي ابتلي به بناء على رأيه ومذهبه - الى آخر ما ذكره مما تركت ذكره قصد الاختصار على ما هو المقصود منه .

وكذلك ايضاً اجاب عنه الشهني في شرح المختصر وغيره من المصنفين في مسألة صحة اقتداء مقلد ابي حنيفة في الوتر بمن يرى عدم وجوبه ، بانه لا يجب عليه اعتقاد الوجوب . يدل ايضاً على ما ارشدتك اليه من ان التقليد انما هو بقدر الحاجة ، واعتقاد الوجوب في عمل لم يجمعوا على وجوبه لا يجب ، بل ربما لا يسوغ كما سيأتي قريباً . فلذلك نقول : المقلد محتاج الى ايقاع ما كلف به بطريقة لا غير . فتنبه ! فقد نقل صاحب البحر الرائق - وهو خاتمة المتأخرين مولانا العلامة ابن نجيم رحمه الله تعالى في (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) عن (شرح منية المصلي) انه صرح بعض مشايخنا بانه لا ينوي في الوتر انه واجب للاختلاف في وجوبه ، ونقل هو ايضاً عن المحيط والبدائع انه ينوي صلاة الوتر والعيد فقط ، انتهى . وهذا نص فيما اشرت اليه .

فصل

قد استفاض عند فضلاء العصر منع التلفيق في التقايد ، وذلك بأن يعمل - مثلاً - في بعض أعمال الطهارة والصلاة ، أو أحدهما بمذهب امام ، وفي بعض العبادات بمذهب امام آخر . ولم اجد على امتناع ذلك برهاناً ، بل قد اشار الى عدم منعه المحقق في التحرير ، وانه لم يرد ما يمنع ، ونقل منع التلفيق عن بعض المتأخرين . قال شارح تحريره العلامة ابن امير حاج : القائل بالمنع العلامة القرافي رحمه الله تعالى .

قلت : والقرافي رجل من فضلاء الأصوليين من المالكية ، ولا طينا ان نأخذ بقوله ، خصوصاً وقد وجدت عن بعض أئمتنا ما يدل على جوازه ، بل على وقوعه ، وهو ما نقل في البرازية ان من علماء خوارزم من اصحابنا من اختار عدم فساد الصلاة بالخطأ في القراءة فيما أخذوا بمذهب الامام الشافعي رحمه الله . فتيل له : مذهبهم في غير الفاتحة^(١) . فقال : اخترت من مذهبهم الاطلاق ، تركت القيد^(٢) . لما تقرر في كلام محمد^(٣) رحمه الله تعالى : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . حتى صح القضاء بصحة النكاح بعبارة النساء على الغائب ، انتهى . نقله عن العلامة خاتمة المتأخرين ابن نجيم في بعض رسائله في الوقف . فانظر كيف لقي اخذاً بمذهبهم بأن الفاتحة ليست بركن فلا يضر نقصان بعضها

(١) أي ذلك مذهبهم في غير الفاتحة (٢) سينقل المصنف قريباً قول الخوارزمي في هذا السياق « وتركه القيد في غير محله » - أي الشافعي - فهل هو عين هذه العبارة ووقفت هنا محرفة ؟ أم سقطت من الكلام هنا ؟ (٣) سيعيد العبارة بلفظ « من كلام محمد »

فيا خطأ فيه ، اعني خطأ فاعشا كن قال : اياك انما واياك نستعين . نسبه
 اللسان خطأ . فان الفاتحة نقصت كلمة تعبد فلم تجز صلاته على مذهب
 الامام الشافعي رحمه الله ما لم يعد قراءة تعبد ، فاذا اعادها صحت صلاته
 ولم تفسد عنده بهذا الخطأ ، لأن عنده الكلام الخطأ لا يفسد اذا كان قليلا
 وعندنا هو مفسد ، فاذا اعادها على الصحة لا يفيد لأن الصلاة قد فسدت .
 هذا وقد قال بعدم الفساد عندنا بعض المشايخ ان اعادها على الصحة
 كما نقله الزاهدي ، ولكن ظاهر ما في البرازية من بعض علماء خوارزم
 انه لا تفسد ولو لم يعد على الصحة ، وان اخذه بمذهب الشافعي في عدم
 الفساد بالخطأ ، وهو عين التقيق .

فان قلت : ان ذلك البعض من علماء خوارزم لعله انما قال بذلك
 اجتهادا بدليل قوله : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . قلت : يمنع من
 ذلك قوله : اخذا بمذهب الشافعي ، فان المتبادر من ذلك انه قلده في
 ذلك . ومعنى قوله حينئذ : لما تقرر من كلام محمد . الى آخره . يعني
 ان المجتهد كما يتبع ما دل عليه الدليل باجتهاد لا باتباع من قال بمثل ما اداه
 اليه اجتهاده ، فكذلك المقلد انما يلزمه خصوص ما قلده فيه ، لا اتباع ذلك
 المجتهد الذي قلده في جميع ما قال به ، وخصوص ما قلت فيه انما هو عدم
 الفساد بالخطأ في القراءة مطلقا ، سواء كان ذلك في الفاتحة او غيرها ،
 وذلك هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن سائر الائمة
 المجتهدين . وفساد الصلاة بوقوع الخطأ في الفاتحة عنده ليس لخصوص
 كونه في الفاتحة ، بل لنوات بعض الفاتحة عنده في الصلاة ، ولهذا لو
 اتى خطأ فيه منها على الصحة فانه لا يقول بفساد صلاته حينئذ .

والخوارزمي لم يقلده في ركنية الفاتحة ، بل قلده في عدم الفساد بالخطأ في القراءة - اعني الشافعي رحمه الله تعالى يقول باطلاقه ، وقول القائل «له مذهبه في غير الفاتحة» غير صحيح ، - كما تقدم بيانه - وكذلك قول الخوارزمي له ، وتركه القيد واقع في غير محله ، لانه لم يقيده الشافعي بغير الفاتحة ، بل خرج ذلك من الخوارزمي للمشكلة في الجواب لمن نسب اليه القيد ، اي الى الشافعي ، وذلك إما جهل من ذلك القائل بمذهب الشافعي ، او توسع في العبارة وتسامح ، لانه لما كان الشافعي يقول بالفساد بوقوع الخطأ في الفاتحة اذا لم يمد على الصحة ، فكأن غير الفاتحة صار كالقيد لا لطلاق الجواز ، وليس قيذا حقيقة - كما بينته في اول الكلام فانهم - والحاصل انه لم يثبت من كل وجه كون الخوارزمي قال بذلك الاجتهاد ، ولو فرضنا ثبوت ذلك فما ضرنا ذلك فيما قصدنا اليه من جواز التلقيق ، فكما انه لو حصل التلقيق بالاجتهاد حكمنا بالصحة ، فكذلك اذا حصل التلقيق بالتقليد حكمنا بالصحة ، لان الاجتهاد اصل في العمل والتقليد فرع . التكليف في الاصل انما هو بالاجتهاد عند عدم النص ، فان عجز عن ذلك الاجتهاد نزل إلى التقليد ، فني كل موضع قلنا بالصحة مع الاجتهاد نقول بها مع التقليد عند العجز عنه من غير زيادة امر آخر ، وما زاد على ذلك فهو قول مخترع لا يقوم به دليل مرضي ، ولا تنهض به حجة .

وما يزعمه من منع التلقيق من ان كلام المجتهدين الذين قلدهما - مثلاً - يقول بطلان صلاته الملققة - مثلاً - او سئل عنها باتتراده ، فغالطه مدفوعة بما لا يسع هذا المحل بيانه .

واجمال ذلك انه اما يقول له : انها باطلة ان كنت اخذت في ذلك الامر الذي حكمت اذا بطلانه من اجله بمذهبي . واما ان كنت قلدت فيه غيري فلا احكم ببطلانها حينئذ في حقك ان كنت متمسكا بقول مجتهد . وكذلك يقول له الآخر والآخر والآخر ، فبطل اطلاق قولهم : يمنع التلقيق بان كلام من المجتهدين حاكم ببطلان صلاته مثلاً ، بل يقيد الحكم منه ببطلانها بما اذا كان متمسكا فيها بمذهبه فيما يرى ذلك المجتهد ببطلانها بسبب فعله او تركه ، لا ان قلده غيره فيه ، فافهم ما فيه ، فتندفع تلك المغالطة التي حكم من حكم بمنع التلقيق بسببها . فان ايدت وقات : لا بل المجتهد يطلق القول ببطلانها على رأيه . فتقول : لا يليق هذا الابطال بما اذا قلده مجتهدا غيره في ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ، كما لا يليق ابطاله بنقض قول ذلك المجتهد المصحح لها مع وجود ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ذلك المجتهد الآخر ، فسمت له صلاته — اي المقلد — بتقليده لها كل امر من امورها مجتهدا يرى صحة ذلك ، فصار حكم المجتهد المبطل في مصروفه عنه بتقليده من يرى الصحة بذلك الامر ، وبذلك ينصرف عنه حكم كل المجتهدين ، ويبطلانها ببيان قول المانع فيما اذا قلده المكلف ابا حنيفة رضي الله عنه في ان المس غير ناقض مثلاً ، وقلد الشافعي رحمه الله تعالى في الاكتفاء بمسح بعض شعرات من الرأس لا تبلغ الربع ، او مقدار ثلاثة اصابع باعتبار الرواية الاخرى في مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه في المقدار المفروض في مسح الرأس ، فان المانع يقول : ان ابا حنيفة والشافعي حاكمان ببطلان صلاته ، فابو حنيفة لقده مسح المقدار المفروض عنده ، والشافعي لوجود المس ، فهي غير جائزة عندهما .

اقول : وجوابه ما بيناه بأن هذه مغالطة ، واطلاق في عمل تقييد ، بل الحكم بطلانها عند كل منهما مقيد بما اذا كان آخذا في ذلك الامر الذي حكم من حكم بطلانها بسببه بذهب المبطل - كما تقدم بيانه قريبا - فافهم والله اعلم بالصواب .

الهم لو ذهب مجتهد الى ان المفروض من الرأس في المسح مقدار ما قل به الشافعي ، والى ان المس غير ناقض ، والى ان الدلك والمواالة في الوضوء لا يلزمان ، لم يسوغ امانع له حينئذ اجتهاده ؟ (١) فكذلك عليه ان يسوغ للمقلد تقليده في كل واحد من المذكورات لمجتهد قال بذلك . كما لا يخفى ، فان تأبى متأبى عن تلقي هذا البيان بالقبول بعد صحته ووضوحه فافقره بما تقدم قريبا من عدم لحوق الإبطال من المجتهد بالمقلد لغيره فيما اطله بسببه ، وان صادف حكمه عنه بذلك .

ثم رجع ونقول : وكذلك مسألة النكاح . فانه لا يصح بعبارة النساء على الغائب ، وعندنا الحكم بالعكس في المستثنين ، فاذا حكم بصحته بعد وقوعه بعبارة النساء على الغائب فقد لفق ، ومع هذا فتد حكموا بصحة هذا الحكم الملتقى من المذهبيين . وكذلك مسألة الامام أبي يوسف رحمه الله تعالى لما صلى بالناس الجمعة فاخبر بوجود فأرة في ماء الحمام الذي كان اغتسل منه للجمعة . فقال : نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا » قال في المحيط البرهاني والفتاوي الظهيرية

(١) قوله لم يسوغ الخ جواب لو . وفي النفي باطل لأن مانع التلقيق لا يمنع المجتهد من القول بهذه المسائل ، ولا يصح المعنى الا اذا جعلت الجملة للاستفهام ولا تبعد على المصنف اضعفه في العربية ، والا فالعبارة محرفة

وغيرها من كتاب النكاح مستشهدا بها في مسألة من مسائل النكاح سيأتي ذكرها : لأحفظي أن يعمل فيها بنير مذهبه .

أقول : فهذا أبو يوسف رحمه الله امام المذهب وكبيره المجتهد الكامل قد قلد عند الضرورة ولم يكن ذلك مذهبا له ، بل مذهبه تنجس الماء القليل وإن لم يتغير بوقوع ما يتنجسه فيه ، ولا شك أن الظاهر أنه فعل الطهارة وصلى الصلاة على مقتضى مذهبه وإنما قلد في خصوص الماء فقد حصل التلقيق منه ، وهو أوفى حجة لنساء ، ويستفاد منه أيضا أنه يقلد إذا احتاج ، أذ هو الظاهر من فعله هنا ، وإن كان نقل في جواهر التناوى عن الخاوي من كتبنا : أن أبا يوسف رحمه الله بقي على هذا المذهب ستة أشهر ، ثم رجع إلى مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى في المسئلة . فإنه يحتمل أنه ظهر له بالدليل بعد التقليد صحة ما ذهب إليه غيره ممن قلده في المسئلة خصوصا ، ولتغلظ نقل المحيط والظهيرية « ولم يكن ذلك مذهبا له بل يدل على وقوعه تقليدا »

وهذه المسئلة وهي : هل للمجتهد أن يقلد مجتهدا في مسألة فيمـا خلاف ؟ المشهور أنه ليس له ذلك ، وروى عن الامام محمد رحمه الله جواز تقليد العالم للأعلم ، والفقير للأفقه ، وفرع أبي يوسف هذا يوافقه . ثم رأيت في أصول الإمام شمس الأئمة أبي بكر بن محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي رحمه الله تعالى — وهو صاحب — المبسوط ما نصه : على أصل أبي حنيفة رحمه الله تعالى — إذا كان عند مجتهد أن من يخالفه في الرأي أعلم بطريق الاجتهاد فإنه مقدم عليه في العلم فإنه يدع رأيه لرأي من عرف زيادة قوة في اجتهاده — إلى أن قال — : وعلى قول أبي

يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى « لا يدع المجتهد في زماننا رأيه لرأي من هو مقدم عليه في الاجتهاد من اهل عصره » الى آخر ما ذكره . فافاد عن محمد خلاف ما رأيتُه عنه ، فلعل ان له في المسئلة روايتين ، ونقل صاحب الفتاوى الصيرفية عن فوائد تجنيس المتن : اشترى الامام الشافعي رحمه الله تعالى البافلاء من منادى السمك ، فاكل واكلوا وصلوا بعد ما حاق وعلى ثوبه شعر كثير ، فقل له في ذلك ، فقال : حين ابتلينا انحططنا الى مذهب اهل العراق . وهو يفهم بظاهره انه قد

في ذلك .
فقد تلخص من المنقول عن الأئمة ان التلقيق^(١) من مسألي ابي يوسف وبعض طلاء خوارزم ، ومسئلة صحة الحكم على الغائب بصحة النكاح بحدود قوعه - كما سبق في المسئلة التي ذكروها - واستثنائي بمقالة المحقق في التحرير ، وما على الانسان ان يختار الاسهل في العمل .
ثم وجدت شيخ الاسلام خاتمة الأئمة المتأخرين مولانا العلامة زين الدين ابن نجيم صرح في رسالة الفها في بيع الوقف على وجه الاستبدال - بان ما وقع في آخر التحرير من منع التلقيق فانما عزاه الى بعض المتأخرين وليس هذا المذهب . انتهى . فحمدت الله تبارك وتعالى على موافقة ما ادعيتُه لما نص عليه مولانا العلامة ابن نجيم .

(للمسئلة بقية)

{١} كذا والمعنى مأخوذ من مسألي ابي يوسف الخ

الصهيونية

(تنقل هذا الفصل من جزء نوفمبر سنة ١٩١٣ لـ مجلة الهلال المفيدة لاطلاع من لم يطلع عليه من قراتنا في هذه الايام التي كثر فيها الخوض في هذه المسألة)

تاريخها وأعمالها

الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الامة الاسرائيلية باواخر القرن الماضي وكثر تحدث الناس فيها بالاعوام الاخيرة . وقد همتنا امرها على الخصوص في اثناء رحلتنا بفلسطين . ولا بد لنا من بحثنا عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والاقتصادية من الاشارة الى هذه الدعوة وتأثيرها الشديد في تلك الاحوال . فرأينا ان تأتي على خلاصة تاريخها وحقيقة غرضها لزيادة الايضاح فنقول .

موضوعها

قد تقدم في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي كيف نشأت اليهود في انحاء العالم بعد ان جاهدوا في الدفاع عن اورشليم دفاع الاسود . وقد مضى عليهم في هذه الهجرة نحو ١٩ قرنا وهم يندبون وطنهم ودولتهم وهياكلهم . ولا سيما هيك سليمان الباقية آثاره في القدس الى الآن كما سنبينه مهورا في رحلتنا . وقد حاولوا استرداد ذلك الوطن عينا ونظموا الاشعار في رثائه . ولا يزالون الى اليوم يكون ذلك المجد الناهب كل اسبوع عند احجار يعتقدون انها من بقايا هيكل سليمان . وقد حاول اليهود المهاجرون السعي في استرجاع ذلك الوطن غير مرة بأساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي نحن في صدها

ولا بد لكل دعوة اجتماعية او سياسية من غرض ترمي اليه وغرض الصهيونية « جمع الشعب الاسرائيلي في فلسطين وجعلها وطنها خاصا به » وهي مبنيّة من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر ارميا الفصل ٣٠ عدد ١٠ حيث يقول « لا تخف يا عبيدي يعقوب يقول الرب ولا تفرح يا اسرائيل فاني اخلصك من الغربة وذريتك من ارض جلاهم ف يرجع يعقوب ويستقر في الراحة والحصب ولا يرعبه احد » وفي حزقيال (ص ٣٩ عدد ٢٨) « فيعلمون اني انا الرب اهتم باجلائي اياهم الى الامم ثم جمعي

اياهم الى ارضهم بحيث لا ابقى هناك منهم احداً من بعد » وفي عاموس قول صريح (ص:٩: ١٤) « واردة شعبي اسرائيل فينبون المدن الخربة ويسكنونها ويفرسون كروما يشربون من خرها وينشئون جنات يأكلون من ثمرها واغرسهم على ارضهم فلا يقتلون فيها بعد من ارضهم التي اعطيتها لهم »

وهناك نبات أخرى بهذا المعنى او نحوه في زكريا واسميا وميخا وغيرها . -
 ماغندهم من الاعتقاد بالمسيح الذي سيأتي ويجمع بني اسرائيل حوله . ويزحف على
 القدس ويميد العبادة للباكل وغير ذلك مما جاء في التلمود

على ان هذه الاقوال وامثالها لا تكفي لاجماع الامة على العمل بها ان لم يتوقع
 اصحابها قوما اقتصاديا او سياسيا من ورائها او ان يدفعهم للعمل جوع او اضطهاد
 او ظلم . وكمن اعتقاد يقتضيه الناس ولا يجتمعون للعمل به لمعجزهم عن ذلك او لعدم
 الاضطرار اليه ؟ واتما يجتمعون للعمل في ما يرون لهم فيه مصلحة حقيقية . وينذرعون
 الى الاجتاع غالبا بسباب دينية يتوكلون عليها ويؤولونها الى ما يساعدهم على ذلك القيام
 ولا يد في مثل هذه الحال من محرك يبعث على النهوض . وقد بعث اليهود على
 هذه الحركة اوان : الاول تمكن الروح المالية من نفوسهم على اثر الارتقاء الاجتماعي
 والعلمي في العالم المتقدم . فان شيوع الحرية الشخصية ولد في نفوس الامة عصبية
 عنصرية غلبت على الحماقات الاخرى . وبهذه العصبية يطلب المجر التخلص من النسا
 ويحاول البلقانيون الخروج من سلطة تركيا . والبلقانيون انفسهم يتحاربون الآن
 باسم العنصرية مع انهم من مذهب واحد واقلية واحد . والامر الثاني مبالغة الامة
 النصرانية في امتنان اليهود باسم الانتماسية (Antisemitism) ومعنى اللفظة « مقاومة
 الساميين » لكنهم يريدون بهم اليهود خاصة . قال ذلك طبعا الى اجتماع كلمة اليهود
 باوربا وفيهم طائفة حسنة من اصحاب الاموال ورجال السياسة والعلم وأهل المهمة والنشاط
 فآخذوا يبحثون في الدفاع عن اممهم . وآنسوا في انفسهم المقدرة على العمل بتلك
 الآيات فوجها عنيتهم الياء ، فأخذ كتابهم يحرضون قومهم على الاستعمار في فلسطين
 لتخلص من اضطهاد الامة لهم . وقال بعضهم « اذا لم يكن ابتاع فلسطين يمكننا
 فانقلب وطنا في مكان آخر على وجه هذه البسيطة »

ونشط آخرون لاستعمار الجماعات الخيرية الاسرائيلية كجمعية الاتحاد الاسرائيلي على
 القيام بهذا العمل سنة ١٨٩٣ ولكن هذا الجمعية عرضها الرئيسي تهذيب الشبيبة اليهودية .
 وحاول غيرهم استنهاض جمعية اليهود الانكليزية في لندن وجمعيةهم في برلين فترتب

على ذلك تأسيس الجمعية العمومية الفلسطينية وجمعية الاستعمار الفلسطيني . لكن الدعوة لم تكن تفضحت بعد فلم تأت هذه المساعي بشمرة . فوجهوا انتقاهم الى وادي الفرات لعله يصح ان يكون مهجرا لهم . وبذل السياسي اولفانت الانكليزي جهده في نيل امتياز خط حديدي في ذلك الوادي ليسكن فيه مهاجري اليهود من روسيا . واقترح انشاء مهجر يهودي في فلسطين بنواحي الساط على ان تتألف جمعية رأس مالها عشرة ملايين فرنك تباع مليون فدان يستثمرها يهود بولندا ورومانيا والاناطول . فلم يأذن لهم السلطان — وقس على ذلك سائر مساعيهم في هذا السبيل

لكن روح الصهيونية اخذت تتمكن من قلوب اليهود . وهم يزادون تمسكا بالعضوية كلما زاد مقاومتهم شدة . فكثرت الجمعيات التي تألفت لهذه الغاية . واول جمعية افلحت في استئثار ارض فلسطينية نشأت سنة ١٨٧٩ ولما التأم المؤتمر الاسرائيلي سنة ١٨٨٤ للظفر في احوال المستعمرين والاخذ بناصرتهم حضره مندوبون عن خمسين جمعية فازداد القوم نشاطا وبلغت الحركة اشدها سنة ١٨٩٤ واوشكوا ان يبلشوا غايتهم لكن العثمانيين انتبهوا لاغراضهم فخالوا بينهم وبين ما يريدون . ولم يستقر عملهم على قواعد متينة الا بعد ظهور الدكتور تيودور هرتسل صاحب الدعوة الصهيونية

وهو رجل نمساوي شديد الفيرة على العنصر الاسرائيلي عالي الهمة قوي الحجة كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥ كتابا في استعمار اليهود سماه « الوطن الاسرائيلي » لم يزعم انه يستنهض به الهمم او يستثير الزام بل قال انه كتبه لنفسه ولا يقف بعض اصدقائه على آرائه . ولكن الكتاب مالبث ان طبع في فينا بالنمساوية حتى نقل الى الفرنسية والانكليزية والبرانية واعيد طبعه مرارا وراج رواجا عظيما . وحرك الهمم فوق ما كان يتوقع الناس منه . وقد عارضه كثيرون لكن المجاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمره لان فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت واستعدت لها الازدهان وناقت اليها النفوس

وخلاصة آراء هرتسل في ذلك الكتاب « ان اعداء الساميين آخذون في الازدياد ولا يستطيع اليهود مقاومتهم لتشتت شملهم في الارض فهم في حاجة الى الاجتماع في وطن خاص بهم » فاقترح انشاء شركة يهودية اقتصادية رأسها ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مركزها لندن . وان تتألف جمعية سياسية يهودية تدبر اعمال هذه الشركة وتسير عليها بما ينهي عمله . واقترح القيام بذلك ابقاع فلسطين او الارجتنتين على ان

المجلد

١٣١٥

فجر جادي الذي يستور للقول فيجبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتواهم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق ﴿﴾

(ج) ما ذكره البرماوي ليس بسنة ، ولم يرد فيه حديث يثبت السنية ولا الاستحباب ، بل لم يرد في التلقين حديث صحيح ولا حسن ، وإنما ورد فيه حديث واحد ضعيف لم يخرج أصحاب الصحاح ولا السنن ، بل رواه الضعاف والمناكير والموضوعات وغيرها لأجل تدوينها ، على أن الاعتماد في مسألة الاحتجاج على أسانيدھا ومتونها ، وقد اختلفت ألفاظهم فيه بعض الاختلاف ، وهو حديث أبي أمامة رضي الله عنه . رواه ابن عساکر وابن النجار والطبراني والديلمي ، وهالك روايتهم مرموزا فيها اليهم ، من سنن الاقوال ، من كنز العمال ، وهي ثلاث :

١- «إذا مات الرجل فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فيقل: يا فلان ابن فلانة! فانه سيسمع، فيقل يا فلان ابن فلانة! فانه سيستوي قاعدا، فيقل يا فلان ابن فلانة! فانه يقول له أرشدني رحمك الله، فيقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور. وان منكرا ونكير عند ذلك كل واحد يأخذ بيد صاحبه ويقول: قم ما تصنع عند رجل لقن حجته؟ فيكون الله حجيجهما دونه (كر عن أبي أمامة)

٢- «إذا مات أحد من اخوانكم فثرتم عليه التراب فليقم رجل منكم عند رأسه ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولكن لا يجيب. ثم ليقل يا فلان ابن فلانة، فانه يستوي جالسا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فانه يقول أرشدنا رحمك الله، ولكن لا نشمرون. ثم ليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وانك رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً.

فانه اذا فعل ذلك أخذ منكرا ونكير أحدهما بيد صاحبه ثم يقول له: اخرج بنا من عند هذا، ما تصنع به فقد لقن حجته؟ ولكن الله عز وجل حجته دونهم. قال رجل يارسول الله فان لم أعرف أمه؟ قال انسبه الى حواء (طب. كر الديلي. عن أبي أمامة)

٣- «يا أبا أمامة: ألا ادلكم على كلمات هي خير للميت من الدنيا وما فيها وما غابت عليه الشمس وطلعت؟ اذا مات اخوك المؤمن وفرغتم من دفنه فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة! والذي نفس محمد بيده انه ليستوي قاعدا، ثم يقولون يا فلان ابن فلانة: فيقول أرشدني الى ما عندك برحمتك لله (١) فيقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا. شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله، وقد كنت رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيا، فيقوم منكرا يأخذ بيد نكير فيقول قم بنا ما يقعدنا عند

(١) لمن يذكر البدء في هذه الرواية الامرتين ، ولعله الافق من النسخ

هذا وقد لقن حجته ؟ ريبكون الله حبيبيهما دونه . قيل : ان كُتِبَ لا احفظ اسم أمه ؟ قال فانسبه الى حواء (ابن النجار عن أبي امامة)

واورده في سنن الافعال معزوا الى ابن عساکر بهذا اللفظ : عن سعيد الأموي قال شهدت أبا امامة وهو في النزع فقال لي : يا سعيد اذا مات قافلوا بي كما أضرنا رسول الله (ص) قال لنا رسول الله (ص) « اذا مات احد من إخوانكم فسونم عليه التراب » الخ ما تقدم

فانت ترى أنه ليس في شيء من ألفاظ هذا الحديث شيء من تلك الآيات ، ولا تلك السجعات ، ولهذا سكت بعض الفقهاء عن مسألة التلقين وقال بعضهم باستحبابه بناء على تساهلهم في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، وقد أدخل هذا التساهل بدعا كثيرة في الاسلام ، كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام ، وحسبك منه ما نقله عنه في هذه الايام ، من اثبات بدعية الدعاء بعد الصلاة من الجماعة مع الامام . حتى الادعية والاذكار المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام ، فان ما ثبت عمله على الاقتراد ، لا يجوز فيه التزام الاجتماع ، والمدققون من الفقهاء لم يزيّدوا على ما ورد في حديث أبي امامة

قال النووي : هذا التلقين استحبه جماعات من اصحابنا منهم القاضي حسين وصاحب التتمة والشيخ نصر المقدسي في كتابه التهذيب وغيرهم . ونقله القاضي حسين عن الانتخاب مطلقا . والحديث الوارد فيه ضعيف ولكن احاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم . وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد من الاحاديث الصحيحة كحديث « اسألوا الله له التثبيت » ووصية عمرو بن العاصي اه المراد منه أقول أن حديث الدعاء للثبوت بالثبوت لا يعضد شرعية التلقين التي يراد بها منح السؤال الذي ثبت الدعاء بالتثبيت لاجله ورجاء السداد فيه ، ولو كان التلقين بحول دون السؤال اسكان تلقينه خيرا من الدعاء له . وكذلك وصية عمرو لا تمضده ، فانه أوصى بان يقيموا عند قبره قدر ما ينحر جزور ويفرق لحما ، لاجل أن يستأنس بهم ، يعني ان روحه تشعر بوجودهم فتستأنس بهم في ذلك الوقت الذي هو أول العهد بذلك العالم وحيث يمتحن الداخل فيه . فمسائل التشريع لا تبني على مثل هذا . وأنت ترى فيما نقله الشاطبي عن الامام مالك اصلا واسطحا من أصول الشريعة وهو ان ما تركه النبي (ص) والصحابة (رض) مع وجوده وسببه وداعيته فتركهم إياه لإجماع على أنه غير مشروع ولا جائز في الدين - أي في العبادات دون العادات -

وقد ذهب بعضهم الى تقوية الحديث بعمل أهل الشام به من العصر الاول في زمن من يقتدى به . قال في شرح الاقناع من كتب الحنابلة بعد ذكر المتن استحباب الاكثر للتلقين وذكر الحديث وضعفه ما نصه : وقال الأثرم قلت لابي عبد الله (أي الامام أحمد) هذا الذي يصنعون اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان ابن فلانة اذكر ما فارقت عليه . شهادة أن لا إله الا الله - فقال ما رأيت احدا فعل هذا الا أهل الشام حين مات أبوالمغيرة ، جاء إنسان فقال ذلك . وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن مريم عن اشياخهم أنهم كانوا يفعلونه اهـ

أقول أبو بكر بن أبي مريم ضعيف وقد احتاط عقله . وأما أبو المغيرة فهو عبد القدوس بن الحجاج المحصي روى عنه أحمد والبخاري في غير الصحيح وأصحاب السنن وهو ثقة وقال النسائي لا بأس به وقد ذكر التلقين أبو عبد الله ابن القيم في سياق الاستدلال على سماع الموتى بعد الدفن . قال وقد سئل عنه الامام أحمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل . وروي فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة . - فذكر الحديث وقواه باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار من غير انكار . ثم ذكر حكايات مناسبة لمعنى التلقين

أقول لو أن ابن القيم رحمه الله تعالى اراد تحقيق هذه المسألة في حد ذاتها لكتب غير هذا ، ولكنه أوردها في سياق يريد تقويته بسرد الدلائل الكثيرة كعادته فجاء كلامه فيه موضعا للنظر والنقد . فاما جواب الامام أحمد عنه للأثرم فلا يدل على استحسانه ولا على تقويته بالعمل به ، اذ لم يتقل العمل به الا عن أهل الشام من رواية أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، فيدل لفظ الامام أحمد على ان التلقين في عصره من القرن الثالث لم يكن مرموقا الا عن أهل الشام ، فسقط بهذا قول ابن القيم باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار . والحق أن العمل لا يمد حجة الا اذا كان مستفيضا عن أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين فما حدث بعد ذلك فلا قيمة لشيوعه وكثرة العمل به ، فيكم من بدعة عمت الاقطار والامصار ، يقيم الجميع على بطلانها وقبحها مثل ابن القيم واستاذه ابن تيمية من انصار السنة . وحجة القول ان التلقين لم يثبت بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا قال احد من المحققين انه سنة ، بل قال بعض الفقهاء باستحبابه لتسهيل في العمل بالحديث الضعيف والاستئناس له بما يناسبه . والبرماوي ليس قدوة ، ولم يكتب أمثاله وكتب من هم اعلم منه من البدع ، فلا ينبغي لاحد ان يثق الا بما يصرح المحققون بثبوت نقله عن النبي وجمهور السلف ، هون ما يذكر غفلا

فصل^{*)}

وكذلك مسألة التحرير ايضاً - وهي التي عبر عنها بعضهم بقوله :
 « لا تقليد بعد العمل » - فيها نظر . وهو ان هذه العبارة لها معنيان (احدهما)
 انه اذا عمل وصادف الصحة على مذهب امام ولم يكن عالماً بذلك ، والحال
 انه على مقتضى مذهبه بطل ذلك العمل ، فهل له ان يقول : اخذت بمذهب
 من يرى صحة ذلك ، ام لا ؟ فعلى ما ذكر ليس له ذلك على تقدير تفسير
 العبارة بهذا المعنى . اقول : وفرع ابو يوسف المنقول في مسألة الفأرة
 يرده ، اذ هو عين التقليد بعد انتهاء العمل ، وهو الذي اذهب اليه واقول
 به ، بل قد اختار عالم قطر اليمن في زمانه الامام العلامة الفقيه عبد الرحمن
 ابن زياد الشافعي في فتاويه - ان العاقل اذا وافق فعله مذهب امام من
 الائمة الذين يجوز تقليدهم صح وان لم يقلده ، توسعة على العباد ، واختلاف
 الائمة رحمة . وقال المحقق ابن حجر : لا يكون صحيحاً الا ان قلد ذلك
 القائل بالصحة ، لأن تقليده لامام من الائمة المذكورين اتزم متابعتة في
 الاحكام كلها ، فلا يجوز في خلاف ذلك الا بتقليد صحيح .

وقد ذكر بعض أولياء الله تعالى الصالحين انه كشف له ان الله
 لا يمتدح من عمل في المسئلة بقول امام مجتهد من الذين يجوز تقليدهم ،
 وهم الآن الائمة الاربعة المدونة مذاهبهم ، والمحركة اصول وفروع
 مسائلهم ؛ أما المجتهدون السابقون فلا ، للجهل بضوابط الاحكام عندهم ،

(*) تابع لما نشر في ص ٣٦٨ ج ٥

١٨٤ انتقال العامي من مذهب الى غيره ولو يعض المسائل (المنار-ج ١٧م)

لفقد التدوين، لتناول السنين. كذا رأيت ما حكيته في بعض المجاميع.

قلت: وفي تخصيص الاثمة الاربعة كلام لا يسع في هذا المحل بيانه
ثم رأيت في البحر الرائق شرح الكنز للعلامة ابن نجيم في باب
قضاء الفوائت عند قوله: ويسقط بضيق الوقت والنسيان، ما نضه:
وان كان عاميا ليس له مذهب معين فذهبه فتوى مفتية - كما صرحوا
به - فان أفتاه حنفي أعاد العصر والمغرب، وان أفتاه شافعي فلا يدهما
ولا عبرة برأيه؛ وان لم يستفت أحدا وصادف الصحة على مذهب مجتهد
أجزأه، ولا إعادة عليه إنتهى. وهذا موافق لما اختاره عالم قطر اليمن
في زمانه وفقهه العلامة عبد الرحمن بن زياد الشافعي رحمه الله تعالى.

والمعنى الثاني انه ليس للانسان اذا عمل في مسألة بمذهب ان يعمل
بخلافه فيها ثانيا، وهذا أيضاً مدفوع من وجوه (الاول) انه لم يقم عليه
دليل الازوم صورة التلاعب، وذلك لا يلزم الا لو قصد به ذلك، أو
دلت عليه قرائن احوال، أو مكلف ضاق به الحال فالتجأ الى الاخذ في
واقعة كان عمل فيها مرة بقول امام فوقعت له مرة ثانية، فاراد الأخذ
فيها في المرة الثانية بقول امام آخر، لدفع ضرورة الجأته الى ذلك
- والغرض صحيح - فلا ينسب الى التلاعب، وقد صح وثبت عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه رجع عن قوله في مسألة كان حكم فيها بحكم،
ثم تكررت فتبدل نظره فيها فحكم بخلافه، وقال: تلك على ما قضينا
وهذه على ما نقضي.

فان قلت: انه مجتهد وهذا حال المجتهد انه يجب عليه الرجوع الى
ما سنع له من الدليل بخلاف المقلد. قلت: مهلا يا اخي! فان المقلد لم

يظهر له بالدليل صحة ما قلد فيه أولا كما ظهر للمجتهد ، وهنا يجتهد آخر قائل بخلافه فهو احرى بتجوزر الانتقال له .

ثم ظهر لي بعد مدة من تسطيري هذه الاسطر ظهوراً بينا منكشفا لا ريب فيه - ان مرادهم من قولهم : لا تقليد بعد العمل . انه اذا عمل مرة في مسألة بمذهب في طلاق أو عتاق أو غيرهما واعتقده وأمضاه ، ففارق الزوجة مثلاً واجتنبها وعاملها معاملة من حرمت عليه ، واعتقد اليئونة بينه وبينها بما جرى منه من اللفظ مثلاً ، فليس له ان يرجع عن ذلك ويبطل ما أمضاه ويعود اليها بتقليده ثانياً اماماً غير الامام الاول الذي قلده فيها ، حيث كان الثاني يرى خلاف مارآه الامام الاول ، فهذا معنى قولهم « ليس له التقليد بعد العمل ولا يرجع عما قلد فيه وعمل به » ونحو ذلك من المبارات ، فاما اذا وقعت تلك الواقعة مرة ثانية مع امرأة اخرى أو مع زوجها بنكاح جديد ، فله الاخذ بقول امام آخر ، ولا مانع منه - كما سيأتي قريباً -

على انه قد نقل العلامة ابن امير الحاج الحلبي الحنفي تلميذ المحقق ابن الهمام عن الزركشي من أئمة الشافعية في شرح التحرير - ان في كلام بعض الائمة ما يقتضي جريان الخلاف في جواز التقليد بعد العمل أيضاً وان منعه ليس باتفاق فاعلمه . وقد نقل صاحب الفتاوى الصرفية عن الظهيرية والنسفية والنصاب - واللفظ من الظهيرية - انه سئل شيخ الاسلام عطاء بن حمزة السندي ، عن الصغيرة اذا زوجها ابوها من صغير وقبل ابوه وكبر الصغير وبينهما غيبة منقطعة وقد كان التزويج بشهادة النسقة : فهل يجوز للقاضي ان يبعث الى شافعي المذهب ليبطل

هذا النكاح بينهما بهذا السبب ؛ قال : نعم . وللعنفى أن يفعل ذلك بنفسه أيضاً اخذاً بمذهب الخصم ، وإن لم يكن ذلك مذهبه . انتهى . ثم اورد في المحيط والظهيرية مسألة ابي يوسف في الفأرة عقبها مستشهداً فاعلم ذلك . وكذا مولانا خاتمة المتأخرين العلامة ابن نجيم رحمه الله في البحر الرائق في مسألة اليمين المضافة عن البرازية عن أصحابنا أنه لو استفتى فقيها عدلاً فأتى ببطلان اليمين : هل له العمل بفتواه وامساكها ؛ وروى أوسع من هذا وهو انه لو افتاه مفت بالحل ، ثم افتاه آخر بالحرمة بعد ما عمل بفتوى الاول ، فانه يعمل بفتوى الثاني في حق امرأة أخرى لا في حق الاولى ، أي في هذه المرأة التي مضت - كما نهتك عليه قريباً - وانظره فقد صرح بجواز العمل بخلاف ما عمل للعامة ، وانما منع من ان يفتي به المفتي لئلا ينسب الى الغرض والنشهي والتلاعب ، ولئلا ينسب العلماء الى التناقض من جهة العوام ، فافهم ^(١) . هذا ما قام عندي في وجه ذلك ، ورأيت في عبارة بعضهم تعليله « بكيلا يتطرق به الى هدم مذهب أصحابنا » أو نحو ذلك من العبارة والله أعلم .

واعلم أن من المسائل ما يقع التصريح بها من بعض المتأخرين رحمة الله عليهم أجمعين - وخصوصاً في الاصول التي ألفها المتأخرون - وليست

(١) هذا التعليل ضعيف وأضعف منه ما يذكره بعده عن بعضهم . وله تعليل آخر أقوى منهما وهو ان تقليده الثاني يجب ان لا يبطل عمله بالتقليد الأول بعد التزامه لأنه تناقض في حقة . ولا يباح لأحد ان يلتزم التناقض ويسلم به وهولاً يتحقق الا في الموضوع الواحد والمسألة الواحدة كالطلاق والعنق الذي أمضاه بالفعل . ومثله المجتهد اذا تغير رأيه في المسألة بعد إمضائها لا ينقض اجتهاده الثاني ما أمضاه بالأول

بمرضية، بل ربما يقع التصريح بخلافها من المتقدمين، ويوجد من هذا النوع في كتاب التحرير الذي ألفه المحقق وجمع فيه من مقالات المتأخرين من فضلاء عصره فن قبلهم بقليل حتى من كلام أرباب المذاهب غير مذهبنا، فلا علينا ان نأخذ بما ظهر لنا صواب خلافه ^(١) ان أنعم الله علينا بحصول ضرب من النظر يمكن الوقف به على الصواب. هذا ونحن مع ذلك بحمد الله تعالى لانخرج عن درجة التقليد لآماننا الاعظم ابي حنيفة رحمة الله عليه، ونحن مقلدون له ولكبار أصحابه ومن بعدهم من كبار أئمتنا كشمس الأئمة واضرا به ^(٢). وأما ما يبحثه ويقرره المتأخرون من أهل التاسع والعاشر ^(٣) من فضلاء المذهب فلنا النظر فيه ان أمكن، وعلينا التمسك بما هو منقول عن المتقدمين وخصوصاً اذا انتهض متمسكاً لنا فيما نرتضيه. والله الموفق الى الصواب وبه الاعتصام.

فصل

ومما ينشأ من الجهل والتعصب تفويت فرض من فروض الله تعالى مع امكان اقامته على رأي يتبهد جليل، بل على رأي جمع من المجتهدين، وذلك (ان) جهالة المتعصبين يمتنعون ويمنعون من جمع الصلاتين في السفر التي ذهب الى جوازها الامام الشافعي وغيره من صدر الاسلام رحمة الله عليهم، ويؤدي ذلك الى تفويت الفرض رأساً، وذلك انهم

(١) يوشك ان يكون قد سقط بعض الكلم من هذا السياق (٢) يريد بتقليدهم العمل بأصولهم والسير على طريقتهم في الفهم والعمل (٣) أي أهل القرنين التاسع والعاشر والمصنف من أهل القرن الحادي عشر. فهو بعد أهل دينك القرنين كأهل قرنه لغلبة التقليد الحض عليهم وبعدهم عن الاستقلال والاجتهاد حتى في المذهب

لما يعزمون على السير عند الزوال مثلاً فيصلون الظهر ^(١) لاول وقتها ويمتنعون من جمع العصر اليها ، فيركبون ويسيرون بناء على انهم ينزلون قبل المغرب آخر وقت العصر فيدركونها ، والحال انهم قد لا يتهيأ لهم النزول الا مع المغرب أو الغروب بحيث لا يتسع الوقت الى الطهارة والصلاة ^(٢) وخصوصاً في حق من تمسر الطهارة عليه فتفتوهم الفرصة ، وقد كانوا يمكنهم اداؤها في المنزل ^(٣) بمجموعة جمع تقديم الى الظهر على مذهب الامام الشافعي رحمة الله عليه ، وعلى مذهب غيره ممن جوز الجمع لاجل السفر ، فيمتنعون عن ذلك ويرضون بتفويتها ، ولا يفعلها ^(٤) على مذهب مجتهد يجوز لهم أو عليهم يجب اتباعه ، والحال ماقرر ، لأن تحصيل الفرض من وجه مقدم على تفويته من كل وجه ، وما هذا الا محض التعصب والجهل . وقد (ذكر) الامام الاجل ظهير الدين الكبير المرغيناني عن استاذة السيد الامام أبي شجاع رحمه الله تعالى : انه سئل شمس الائمة الحلواني عن كسالى بخارى انهم يصلون الفجر والشمس طالعة : فهل تمنعهم من ذلك ؟ فقال : لا يمتنعون ، لانهم لو منعوا يتركونها اصلاً ظاهراً . (أي مما يظهر من حالهم) ولو صلوها تجوز عند اصحاب الحديث ، ولا شك ان الاداء الجائز عند البعض اولى ^(٥) من الترك اصلاً . هذا جواب الحلواني ، وناهيك به اذ هو شيخ المذهب في عصره تخرج به الفحول النظار من اثمتنا كشمس الائمة السرخسي ونفر الاسلام

(١) كان الظاهر ان يقول : وذلك انهم عند ما يعزمون على السفر بعد الزوال يصلون الظهر الخ (٢) الصواب للطهارة والصلاة . يقال اتسع لكذا لا الى كذا (٣) لعل أصله « في المنزل الاول » اي من منازل السفر (٤) لعل أصله « ولا يرضون بفعلها » الخ (٥) لعل الاصل « وهو اولى من الترك »

البزدوي صاحب المبسوطين واخبرهم من رؤساء المذهب الذين هم
قدما الدهر، وعظماء ما وراء النهر .

هذا مع أن الجاهل المتعصب النفي يكفيه ايقاعها مجموعة مع الظهر
تقليد الامام^(١) الشافعي وغيره، ثم ان اراد الاحتياط وادرث في الوقت
فسحة اعادها على مذهبه أو قضاها بعد المغرب احتياطاً ان لم تقطعه
نفسه في ادائها مجموعة مع الظهر، والله أعلم والموفق لأرب غيره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

قال جامها محمد عهد العظيم المكي الحنفي غفران الله تبارك وتعالى
له ولوالديه ولسائر المسلمين : ثم بعد تسطير هذه الاسطر ظفرت في
اثناء المطالعة بمدة من النقول تؤيد ما ذكرته بهذه الرسالة وتشهد له لم
انشط لا لحاقها . ثم رأيت كلاماً للإمام الكبير المجتهد في العلوم رأس
الفقهاء والمحدثين الشهير بابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى فاحببت تلقيب
في ذيل هذه الرسالة وهو مؤيد لما اشرنا اليه مطابق الى جميع^(٢) ما اوردته
فيها ، فالخاصل وان كان في كلامي زيادة ايضاح وبيان فهو لا يخالفه بل
يعضده ويؤيده . ولفظ ما رايته :

« مثل الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس أحمد بن
عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى عن أهل
المذاهب الاربعة : هل يصح اقتداء بعضهم ببعض في الصلوات المفروضة
وغيرها أم لا ؟ وهل قال احد من السلف انه لا يصلي بعض المسلمين

(١) لا بد ان يكون الاصل : بتقليد الامام - أو - بتقليد الامام الخ

(٢) الصواب « لجميع »

خلف بعض اذا اختلفت مذاهبيهم أم لا ؛ وهل قائل ذلك مبتدع أم لا ؛
واذا فعل الامام ما يعتقد ان صلاته صحيحة والمأموم يعتقد خلاف ذلك
مثل ان يكون الامام تقياً او رعيف او احتجم او اس النساء بشهوة أو
مس ذكره أو قهقهه في صلاته أو أكل مامسته النار أو أكل لحم الابل
وصلى ولم يتوضأ ، وهو لا يعتقد وجوب الوضوء من ذلك ، أو كان
الامام لا يقرأ البسملة أو لم يتشهد التشهد الاخير أو لم يسلم من الصلاة
والمأموم يعتقد وجوب ذلك - : فهل تصح صلاة المأموم والحالة هذه ؟
افتونا مأجورين ولكم الثواب .

«أجاب رحمه الله تعالى : الحمد لله رب العالمين . نعم تجوز صلاة المسلمين
بعضهم خلف بعض كما كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم
من الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم أجمعين يصلي بعضهم خلف بعض
مع تنازعهم في هذه المسائل المذكورة وغيرها ، ولم يقل أحد من السلف
الصالح رحمهم الله تعالى : انه لا يصلي بعضهم خلف بعض . ومن انكر
ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الامة
وائمها ؛ وكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم منهم من يقرأ البسملة
ومنهم من لا يقرأها ومنهم من يحجر بها ومنهم من لا يحجر بها ، وكان منهم
من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت ، ومنهم من يتوضأ من الحجامة
والرعاف والقيء ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ من
لس النساء بشهوة ومس الذكر ومنهم من لا يتوضأ من جميع ذلك ، ومنهم
من يتوضأ مما مسته النار ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ
من أكل لحوم الابل ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومع هذا كان بعضهم

يصلي خلف بعض مثل ما كان ابو حنيفة واصحابه والشافعي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين يصلون خلف الائمة المرتبة من المالكية وغيرهم وان كانوا لا يقرؤون البسملة لاسراً ولا جهراً . وصلى الرشيد إماماً وكان قد احتجم فصلى الامام ابو يوسف خلفه ولم يعد صلاته ، وكان أفتاه الامام مالك بأنه لا وضوء عليه ، وكان الامام أحمد ابن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة ، فقليل له في ذلك اذا كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ تصلي خلفه ؛ فقال كيف لا أصلي خلف مالك وسعيد بن المسيب ^(١)

وفي الجملة فهذه المسائل لها صورتان (احدهما) ان لا يعرف المأموم ان امامه فعل ما يبطل الصلاة ، فهذا يصلي خلفه باتفاق السلف والائمة الاربعة وغيرهم ، وليس في هذا خلاف متقدم ، وانما خالف بعض المتعصبين من المتأخرين فرعوا ان الصلاة خلف الحنفي لا تصح وان أتى بالواجبات — قل — لانه اذاها وهو لا يعتقد وجوبها . وقائل هذا القول الى ان يستتاب كما يستتاب أهل البدع احوج منه الى ان يعتد بخلافه ^(٢) ، فانه ما زال المسلمون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه رضي الله عنهم يصلي بعضهم ببعض ، وأكثر الائمة لا يميزون بين المسنون والمفروض بل يصلون الصلوات الشرعية ، ولو كان العلم بهذا واجبا لبطلت صلاة أكثر المسلمين ولم يمكن الاحتياط ، فان كثيراً

(١) كأن سقط من هذه العبارة كلمات أوقرأت من نسختنا فأتممتها من أصل فتاوى ابن تيمية ، وفي الاصل تقدم سعيد بن المسيب على مالك لأنه اعلم التابعين
(٢) هذا نص الفتوى وعبارة نسختنا « الى ان يعتقد بطلانها »

من هذا فيه نزاع وادلة ذلك خفية ، وأكثر ما يمكن المتقدمين ان يحتاط من الخلاف ، وهو لا يجزم باحد القولين وان كان الجزم باحدهما واجبا ؛ فأكثر الخلق لا يمكنهم الجزم بذلك ، وهذا القائل ليس معه الا تقليد بعض الفقهاء ، ولو طولب بأدلة شرعية تدل على صحة قول امامه دون غيره لعجز عن ذلك ، ولهذا لا يعتد بنقل مثل هذا فانه ليس من أهل الاجتهاد .

(والصورة الثانية) ان يتيقن المأموم ان الامام فعل ما لا يسوغ عنده ، مثل ان يمس ذكره أو يلمس النساء بشهوة ، أو يحتجم ، أو يتقايأ ثم يصلي بلا وضوء . فهذه الصورة فيها نزاع مشهور ، فاحد القولين : لا تصح صلاة المأموم لانه يعتقد بطلان صلاة امامه — كما قال ذلك جماعة من اصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى — والقول الثاني: تصح صلاة المأموم ؛ وهو قول جمهور السلف وهو مذهب مالك رحمه الله ، واحد قولي الشافعي وأحمد ، بل وأبي حنيفة ، وأكثر نصوص الامام أحمد على هذا ؛ وهذا هو الصواب ، لما ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يصلون بكم فان أصابوا فلكم ولهم وان اخطؤا فلكم وعليهم » فقد بين صلى الله عليه وسلم ان خطأ الامام لا يتعدى الى المأموم ، ولأن المأموم يعتقد ان ما فعله سائغ له ، وأنه لا اثم عليه فيما فعل فانه مجتهد ، أو مقلد مجتهد ، وهو يعلم ان هذا قد غفر الله له خطأه ، فهو يعتقد صحة صلاته ، وأنه لا يأتى اثم اذا لم يعدها ، بل لو حكم حاكم بمثل هذا لم يجز له نقض حكمه ، بل كان ينفذه ؛ واذا كان الامام قد فعل باجتهاده — ولا يكلف الله نفسا الا وسعها — والمأموم قد فعل ما يجب

عليه كانت صلاة كل منهما صحيحة، وكان كل منهما قد أدى ما يجب عليه؛ وقد حصلت موافقة الامام في الافعال الظاهرة .

وقول القائل: «ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام» خطأ منه لأن المأموم يعتقد ان الامام قد فعل ما وجب عليه، وان الله قد غفر له ما اخطأ فيه، وانه لا تبطل صلاته لاجل ذلك؛ ولو أخطأ الامام والمأموم فسلم الامام خطأ واعتقد المأموم جواز متابعتة فسلم كما سلم المسلمون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين سهوا مع علمهم بانه انما صلى ركعتين، وكما لو صلى خمسا سهوا فصلوا خلفه سهوا مع علمهم بانه صلى خمسا لاعتقادهم جواز ذلك فانه تصح صلاة المأموم في هذه الحالة، فكيف اذا كان المخطئ هو الامام وحده؛ وقد اتفقوا كلهم على ان الامام لو سلم خطأ لا تبطل صلاة المأموم اذا لم يتابعه، فدل ذلك على أن ما فعله الامام خطأ لا يلزم فيه بطلان صلاة المأموم والله أعلم .

انتهى بلفظه فانظره فانه مطابق ومؤيد لما ذكرته في هذه الرسالة والله الحمد على موافقة من مضى من كبار الأئمة .

وكثيرا ما أختار شيئا الا فأجد من قد سبقني الى اختياره الفحول من الرجال من الأئمة ^(١) أو أستشكل شيئا فأجد استشكله منقولا عن كبار المتقدمين، وكذلك اذا ابدت قولاً لم يكن وقف من رأي كلامي على

(١) كلمة « الا » وكلمة « من » قبل الأئمة زائدتان . أي كثيرا ما اختار شيئا فأجد الذين قد سبقوني الى اختياره هم الفحول من الرجال والأئمة . وسبب موافقة المصنف في كثير من المسائل لهؤلاء عدم التمسك بالمذهب وحب الانصاف . ولو عني بالتفسير والحديث كما عني بالقرآن الحنفى مع زيادة اتقان للعربية لكان مجتهد مستقلا تمام الاستقلال

نقله فيقع منهم موقع الانكار ويحملهم الجهل والتعصب على رده ثم اجده منقولاً بعد ذلك بعينه أو بما يوافقه عن السلف فمن بعدهم من كبار الأئمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بل ربما افعل أموراً من الأمور المعادية فيستغربه الناس ويتعجبون من صدورده مني، وربما عيب علي، بل ربما أنسب به عند بعض الجهال إلى سخافة العقل ثم اجده أو مثله محكياً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين أو عن بعض الخلفاء أو السلاطين الكبار المجمع على اصابة فعلهم وجلالتهم، والحمد لله رب العالمين ثم خلص لي تلخيصاً شافياً شافعي زمانه السيد الجليل عمر بن عبد الرحيم البصري المكي رحمه الله تعالى، ومن خطه الكريم نقلت مانصه: «قال الامام الرافعي في^(١) وان كانت صلته صححية

في اعتقاد الامام دون المأموم أو بالعكس، فان كان الاختلاف في الفروع كما اذا مس الحنفى فرجه وصلى، أو ترك الاعتدال أو قرأ غير الفاتحة: ففي صحة اقتداء الشافعي به وجهان (أحدهما) يصح؛ وبه قل القفال لان خطاه غير مقطوع به (والثاني) - وبه قال الشيخ ابو حامد: لا يصح لفسادها عند المأموم - فأشبه ما لو اختلف اجتهاد رجلين في القبلة لا يقتدي احدهما بالآخر، وهو اظهر عند الاكثرين انتهى.

قال الامام الزركشي في الخادم ما حاصله: وخلاصة ما رجحه ونقله عن الاكثرين غير مسلم فانما تعرض له طائفة كالبرزنجي والرويانى في الحلية والبنغوي وصاحب الكافي والغزالي في فتاويه، ولم يذكر المسئلة طائفة

(١) يياض في الاصل والذي سقط اسم الكتاب وامله «الشرح الكبير» للوجيز ولا يبعد ان يكون مما سقط اسم الباب او البحث

كلما لوري والدارمي والشيخ في المذهب والتنبية ، وكلام الشيخ أبي حامد فيها محتمل فانه قال : لو اقتدى به وهو يحتمل الكراهة وعليها جرى الروايات في البحر ، ولم يصح عن القاضي أبي الطيب شيء ، بل حكى عن الدارمي الجواز ، وعن أبي اسحاق المنع ، والقائلون به لم يقفوا للشافعي على نص ، بل قالوا : إنه قياس مذهبه في المختلفين في القبلة والاولاني . وهذا ممنوع نقلًا وتوجيهًا . (أما) النقل ، فان المنصوص للشافعي - ما نقله القفال - الصحة ، ومما يشهد للصحة ما حكاه المحامي في المجموع قال : قال الشافعي رحمه الله تعالى في الامالي : واذا دخل الرجل بلدًا فنوى ان يقيم أربعين يومًا ، وكان يرى جواز القصر حينئذ ، ومعه رجل يعتقد عدم جوازه ، فيكره له ان يقدمه ويصلي خلفه لانه يعتقد ان صلاته المقصورة لا تجوز ، فان قدمه وصلى خلفه جاز لانه محكوم بصحة صلاته في حقه . هكذا حكاه القاضي أبو الطيب عن الامالي .

ولو كانت العبرة باعتقاد المأموم لكان اقتداؤه به باطلا لان عند المأموم ان نية القصر لا تنعقد معها الصلاة . ومع ذلك صحح الشافعي الاقتداء به اعتبارا باعتقاد الامام ، وهذا النص ذكره الامام النزي في أيضاً في باب صلاة المسافر في شرح المذهب ، ووقع في بعض نسخ شرح المذهب هكذا « والمختار والظاهر قول القفال » فلم تزل الائمة المختلفون في الفروع يصلي بعضهم خلف بعض ويشهد له تصحيحهم ان المساء الذي توضع منه الحنفي وغيره - ممن لا يرى وجوب النية - مستعمل وان لم ينو على الاصح ، وهذا هو الصواب الذي ينبغي ان تكون الفتوى عليه ، وقد كان الامام الشافعي رحمه الله تعالى يصلي خلف أئمة المدينة ومصر ،

٤٣٥ الخلاف في العبرة برأي الامام او المأموم خاص بالمجتهدين (الماراج ٦ م ١٧)

وكانوا لا يسمون ؛ ولم ينقل عنه الامتناع عن الاقتداء بهم ، وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه آثم بمنى مع عثمان رضي الله عنه مع انكاره عليه ذلك ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : الخلاف شر فنته .

وأما توجيه المانعين بقولهم : « ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام » فردود ؛ فانها مسألة اجتهاد واعتقاد ، وخطأ فيها لا يسوغ كما في غيرها من المسائل الاجتهادية ، كالحكم بصحة حكمه وامتناع نقضه بشرطه وأما قياسهم على المجتهدين في القبلة أو في الاواني فيصرف بان الامام والمأموم فيها يعتقدان فساد صلاة من صلى بطهارة من اثناء نجس ، أو صلى الى غير القبلة ، بخلاف المأموم في اقتدائه بتارك الفاتحة فانه لا يعتقد بطلان صلاته مع تركها ، لانه مستند لاجتهاد من جملة عقيدة المأموم التي يدين بها ربه اعتقاد صحته ؛ وبان المجتهد لو بان له في مسئلتي الاواني والقبلة ان الامر على خلاف ظنه يقينا لزمته الاعادة ، بخلاف المجتهد في الفروع لو عثر على نص جلي مخالف لاجتهاده السابق ، لاتلزمه اعادة ما صلاه بالاجتهاد السابق ؛ وسر ذلك ان الاجتهاد الاول مستند الى أمر عادي وقرائن تشير ^(١) الظن اكتفى بها الشارع تخفيفا على الامة ، فان تحقق الخطأ فيها رجع الى الاصل وتبين عدم صلاحيتها لمن ظن بها ، بخلاف الاجتهاد الثاني فانه مستند الى امر شرعي أو جب الشارع عليه اتباعه ، فلم يقع عمله السابق على خلاف حكم الله تبارك وتعالى ؛ وان فرض وصرح النص الثاني المعثور عليه بحيث افاد اليقين أو ما قاربه من

(١) سقط من هنا كلام والمعنى ان الاجتهاد الأول مبني على قرائن ظنية لا هي علم ولا شرع وانما اجازها الشرع للضرورة

(الشارح ج ٦ م ١٧) العوام لامذهب لهم وانتسابهم للمذاهب عصبية ٤٣١

الظن القوي؛ وأيضاً الاجتهاد الاول يمكن التوصل^(١) الى القطع بالخطأ فيه بخلاف الثاني

ومن اختار ذلك من المتأخرين صاحب الذخائر وأفرد المسئلة بتصنيف سماه « بيان المشروع في الاقتداء بالمخالفين في الفروع » وقال ابن أبي الدم في باب الجناز من شرح الوسيط : لعل الاصح الصحة مطلقا ، واقام الدليل على الجواز من وجوه ، ثم نبه على أمر حسن فقال : وهذا الخلاف كله في المجتهدين ، وأما عوام الناس فليسوا مقصودين في الخلاف فانهم لا مذهب لهم يعولون عليه ، وانما فرضهم التقليد عند نزول المنازعة فنأقنهم من أهل الفتوى وجب عليهم قبول قوله؛ وانتسابهم الى المذاهب عصبية، ومعناه ارتضى ان يعمل في عبادته وكل احواله بقول امام انتسب اليه ، فهو لاء يصح قدوة كل منهم باي امام كان من غير تفصيل .

وقتل عن الامام أحمد بن حنبل : رحمه الله تعالى أنه كان يرى الوضوء من الدم الكثير فليل له : اذا كان الامام لا يتوضأ من ذلك أتصلي خلفه ؟ فقال : سبحان الله تعالى : أقول إنه لا يصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك رضي الله عنهما ؟

وكان القاضي أبو عصام العاصري الحنفي مارا في باب مسجد القفال والمؤذن يؤذن المغرب فنزل عن دابته ودخل المسجد ، فلما رآه القفال أمر المؤذن أن يثني في الاقامة ، وقدم القاضي أبا عصام فتقدم وصلى

(١) لعل الاصل « يمكن التوصل به »

وجهر بالبسطة ، وأم بشعار الشافعية في صلاته ، وكان ذلك منها تهوينا
لأمر الخلاف في الفروع . وقال القاضي الحسين في تعليقه : والمختار
أن كل مجتهد مصيب ، إلا أن أحدهم أصاب الحق عند الله واللباقون
أصابوا الحق عند أنفسهم . وقال ابن السمعاني : قال علماؤنا : من أخطأ
كان مخطئاً للحق عند الله مصيباً في حق عمل نفسه ، حتى إن عمل نفسه
يقع صحيحاً عند الله شرعاً كأنه أصاب الحق عند الله . وقد حكى الامام
الشافعي رحمة الله عليه الاجماع على أن كل مجتهد اداه اجتهاده الى أمر
فهو حكم الله تعالى في حقه ولا يشرع له العمل بغيره حينئذ ، فمن صلى
بحكم اجتهاده فصلاته صحيحة عنده وعند من يخالفه في المسئلة لا اعتقاده
ان ذلك حكم الله تعالى عنده ، وصلاته صحيحة لا يانه بها على الوجه
المأثور به حينئذ ، فكيف يمنع الاقتداء به مع الحكم بصحة صلاته
في نفسه ؟ انتهى مع تلخيص وتحرير . واقتضى نسخه الى هنا انتهى
مارأيت بخط المذكور دامت افادته ، وقد أرسل به الي في ذيل نسخة
من هذه الرسالة بعد اصرار نظره السعيد عليها ، وهذا بحمد الله تعالى
أيضاً مؤيد لما أشرت اليه ، واعتمدت فيها عليه ، والله الموفق الى الصواب .

قال جامعها ومؤلفها محمد بن عبد العظيم المسكي الحنفي بن المقدسي
الميروز الملا فروخ بن عبد المحسن الرومي الموروي حفظه الله تعالى في
نفسه واولاده وجميع نعم الله تعالى عليه ، واحياه حياة طيبة سالمة من
الاسواء فيما وصل ويصل من منة الله اليه ، بعد ان علم بانه سر عليه
مطالعة وتصحيحاً وتمت في يوم الجمعة الثانية من شوال سنة اثنى وخمسين
والف من الهجرة النبوية ، والحمد لله على ذلك ، وصلى الله على نبيه كذلك .

فصل

﴿الابتداع بالتشدد في الدين . والزام مالم يرد وتبع آثار الصالحين﴾
من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي

نبت بمضمون هذه الفصول المتقدمة آتفا ان الحرج مني عن الدين
جملة وتفصيلا ، — وان كانت قد ثبت ايضا في الاصول الفقهية على
وجه من البرهان ابلغ — فلننبت عليه فنقول :

قد فهم قوم من اصول^(١) السلف الصالح واهل الاتقطاع الى الله من
ثبتت ولايتهم اهم كانوا يشددون على انفسهم ، ويأزمون غيرهم الشدة
ايضا والزام الحرج ؛ ديدنا في سلوك طريق الآخرة . وعدوا من لم
يدخل تحت هذا الالتزام مقصرا مطرودا ومجروما . وربما فهموا ذلك
من بعض الاطلاقات الشرعية ، فرشحوا بذلك ما التزموه ، فافضى الأمر
بهم الى الخروج عن السنة الى البدعة الحقيقية او الاضافية .

فمن ذلك ان يكون للمكلف طريقان في سلوكه للآخرة ، احدهما
سهل والآخر صعب ، وكلاهما في التوصل الى المطلوب على حد واحد ؛
فياخذ بعض المتشددين بالطريق الاصعب الذي يشق على المكلف مثله ،
ويترك الطريق الاسهل بناء على التشديد على النفس ، كالذي يجحد للطهارة
ماءين سخن وبارد فيتحرى البارد الشاق استعماله ، ويترك الآخر .
فهذا لم يعط النفس حقها الذي طلبه الشارع منه . وخالف دليل رفع
الحرج من غير معنى زائد ؛ فالشارع لم يرض بشرعية مثله ، وقد قال تعالى

(١) كلمة « أصول » لا يظهر لها معنى ههنا ولعلها احوال

(ولا تقتلوا انفسكم ، ان الله كان بكم رحيمًا) فصار متبعاً لهواه ؛ ولا حجة له في قوله عليه السلام « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء عند الكريهات » - الحديث . من حيث كان الاسباغ مع كراهية النفس سبباً لمحو الخطايا ورفع الدرجات ، ففيه دليل على ان للانسان ان يسمى في تحصيل هذا الاجر باكره النفس ، ولا يكون الا بتحري إدخال الكراهية عليها . لانا نقول : لا دليل في الحديث على ما قاتم ، وانما فيه ان الاسباغ مع وجود الكراهية ، ففيه امر زائد ، كالرجل يجد ماء بارداً في زمان الشتاء ولا يجمده سخناً فلا يمنعه شدة برده عن كمال الاسباغ .

واما الفصل الى الكراهية فليس في الحديث ما يقتضيه ، بل في الأدلة المتقدمة ما يدل على انه صرف نوع عن العباد ، ولو سلم ان الحديث يقتضيه لكانت ادلة رفع الحرج تعارضه ، وهي قطعة وخبر الواحد ظني ، فلا تعارض بينهما للاتفاق على تقديم الظني . ومثل الحديث قول الله تعالى (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة) - الآية . ومن ذلك الاقتصار من المأكل على اخشنته وافظته لمجرد التشديد لا لغرض سواء ، فهو من النمط المذكور فوقه ، لان الشرع لم يقصد الى تعذيب النفس في التكليف ؛ وهو ايضا مخالف لقوله عليه السلام « ان لنفسك عليك حقاً » وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطيب اذا وجدته ، وكان يحب الخلاء والعسل ، ويعجبه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء . فان التشديد من هذا ؟

ولا يدخل الاستعمال المباح في قوله تعالى (أذهبتم طياتكم في

حياتكم الدنيا) لان المراد به الاسراف الخارج عن حد المباح ، بدليل ما تقدم . فإذا الاقتصار على البشيع في المأكول من غير عذر تنقطع ؛ وقد صرح مافيه في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تهرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية .

ومن ذلك الاقتصار في اللبس على الخشن من غير ضرورة ، فانه من قبيل التشديد والتنطع المذموم . وفيه ايضا من قصد الشهرة ما فيه . وقد روي عن الربيع بن زياد الحارثي انه قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : أتدبي على اخي عاصم . قل : ما باله ؛ قل : لبس العباء يريد النسك . فقال علي رضي الله عنه : علي به . فأتى به مؤثرا بعباءة مرتديا بالآخرى ، شعث الرأس والمحية ، فلبس في وجهه وقال : ويحك ! أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟ أرى الله أباح لك الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيئا ؛ بل انت اهون على الله من ذلك ؛ اما سمعت الله يقول في كتابه (والارض وضعا للانام - الى قوله - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ؛ أفترى الله أباح هذا لمبادء الا ليتدلوه ^(١) ويحمدوا الله عليه فيثيبهم عليه ؛ وان ابتدالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول . قال عاصم : فما بالك في خشونة مأكلك وخشونة ملبسك ؛ قال : ويحك ! ان الله فرض على أئمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس . فتأملوا كيف لم يطالب الله العباد بترك اللذذات ؛ وانما طالبهم

(١) الابتذال ضد الصون ، وما يستعمل يتنزل ، فالمراد استعمال النعم والطيبات والارتفاع بها . ويستعمل الابتذال في لازمه وهو الامتهان والاحتقار ، وليس بمراد هنا .

بالشكر عليها اذا تناولوها ، فالمتحري للامتناع من تناول ما اباحه الله من غير موجب شرعي مفتات على الشارع^(١) وكل ما جاء عن المتقدمين من الامتناع عن بعض المتناولات من هذه الجهة وانما^(٢) امتنعوا منه لارض شرعي يشهد الدليل باعتباره ، كالامتناع من التوسع لضيق الحال في يده ، أو لأن المتناول ذريعة الى ما يكره أو يمنع ، أو لأن في المتناول وجه شبهة تقطن اليه التارك ولم يقطن اليه غيره ممن علم بامتناعه . وقضايا التجوال لا تعارض الادلة بمجردھا ، لاحتمالھا في أنفسھا . وهذه المسئلة مدكورة على وجهها في كتاب الموافقات .

ومن ذلك الاقتصار في الافعال والاحوال على ما يخالف محبة النفوس ، وحملها على ذلك في كل شيء من غير استثناء ، فهو مع قبيل التشديد . الا ترى أن الشارع اباح اشياء مما فيه قضاء مهمة النفس وتمتعها واستلذاذھا ، فلو كانت مخالفتها برأا شرع ، ولتدب الناس الى تركه فلم يكن مباحا ، بل مندوب الترك او مكروه الفعل .

وايضاً فان الله تعالى وضع في الامور المتأولة ايجاباً أو تدباً اشياء من المستلذات الحاملة على تناول تلك الامور ، لتكون تلك الذات كالحادي الى القيام بتلك الامور ، كما جعل في الأوامر اذا امتثلت وفي النواهي اذا اجتنبت اجوراً منتظرة ، ولو شاء لم يفعل ، وجعل في الاوامر اذا تركت والنواهي اذا ارتكبت جزاءا على خلاف الاول ، ليكون جميع ذلك منهضاً لعزائم المكلفين في الامتثال ، حتي انه وضع لاهل الامتثال

(١) يقال افتأت على فلان افتئاتا وافتأت افتياتا . اذا تصرف بشيء من شؤونه بدون إذنه ولا رضاه (٢) لعل الاصل « قالوا » والجملة خبر قوله « وكل ما جاء عن المتقدمين » ويبدو ان يكون خبر المبتدأ قوله « من الجهة »

التأثرين على المباينة^(١) في انفس التكاليف انواعا من اللذات العاجلة ،
والانوار الشارحة للصدور ، ما لا يدمله من لذات الدنيا شيء ، حتى يكون
سببا لاستلذاذ الطاعة والفرار اليها وتفضيلها على غيرها ، فيخف على
المامل العمل ، حتى يتحمل منه ما لم يكن قادر اقبل على تحمله الا بالمشقة
المنهي عنها ، فاذا سقطت سقط النبي .

بل تأملوا كيف وضع للأطعمة على اختلافها لذات مختلفات
الالوان ، وللأشربة كذلك ، ولذا قاع الموضوع سببا لاكتساب العيال -
وهو أشد تعباً عن النفس - لذة أعلى من لذة المطعم والمشرب ؛ الى غير
ذلك من الامور الخارجة عن نس المتناول ، كوضع القبول في الارض
وترفع المنازل ، والتقدم على سائر الناس في الامور العظام ، وهي ايضا
تقتضي لذات تستصغر في جنبها لذات الدنيا

واذا كان كذلك ، فاین هذا الموضع الكريم ، من الرب اللطيف
الخبير ؟ فن يأتي متعبدا بزعمه بخلاف ماوضع الشارع له من الرفق
والتيسير والاسباب الموصلة الى محبته ؛ فيأخذ بالاشق والاصعب ؛
ويجعل له هو السلم الموصل والطريق الاخص ؛ هل هذا كله الاغاية
في الجهالة ، وتلف في تيه الضلالة ؟ عافانا الله من ذلك بفضله .

فاذا سمعتم بحكاية تقتضي تشديدا على هذا السبيل ، أو يظهر منها
تنطع أو تكلف ؛ فإما ان يكون صاحبها ممن يعتبر كالسلف الصالح ،
او من غيرهم ممن لا يعرف ولا ثبت اعتباره عند اهل الحل والمقد من
العلماء ، فان كان الاول فلا بد أن يكون على خلاف ماظهر لبادي

الرأي - كما تقدم - وان كان الثاني فلا حجة فيه ، وانما الحجة في المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه خمسة في التشديد في سلوك طريق الآخرة يقاس عليها ما سواها .

فصل

قد يكون اصل العمل مشروعاً ولكنه يصير جاريًا مجرى البدعة من باب الذرائع ، ولكن على غير الوجه الذي فرغنا من ذكره . وبيان ان العمل يكون مندوباً اليه - مثلاً - فيعمل به العامل في خاصة نفسه على وضعه الاول من الندية ؛ فلو اقتصر العامل على هذا المقدار لم يكن به بأس ، ويجري مجراه اذا دام عليه في خاصيته غير مظهر له دائماً ، بل اذا ظهره لم يظهره على حكم المتزامات من السنن الرواتب والفرائض اللوازم ، فهذا صحيح لا اشكال فيه . واصله ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إخفاء النوافل والعمل بها في البيوت ، وقوله « افضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم الا المكتوبة » فاقصر في الاظهار على المكتوبات - كما ترى - وان كان ذلك في مسجده عليه السلام او في المسجد الحرام او في مسجد بيت المقدس ؛ حتى قالوا : ان النافلة في البيت افضل منها في احد هذه المساجد الثلاثة بما اقتضاه ظاهر الحديث . وجرى مجرى الفرائض في الاظهار السنن كالعيدين والخسوف والاستسقاء وشبه ذلك ؛ فبقى ما سوى ذلك حكمه الاخفاء ؛ ومن هنا تبار السلف الصالح رضي الله عنهم على اخفاء الاعمال فيما استطاعوا او خف عليهم اقتداء بالحديث وبعمه عليه السلام ؛ لأنه القدوة والاسوة .

ومع ذلك فلم يثبت فيها اذا عمل بها في البيوت دائماً ان يقام جماعة في المساجد البتة، ما عدا رمضان - حسبما تقدم - ولا في البيوت دائماً، وان وقع ذلك في الزمان الاول في الفرط^(١) كقيام ابن عباس رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما بات عند خالته ميمونة، وما ثبت من قوله عليه السلام «قوموا فلا صلي لكم» وما في الموطأ من صلاة يرفأ^(٢) مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الضحى، فن فعله في بيته وقتاً ما فلا خرج، ونص العلماء على جواز ذلك بهذا القيد المذكور، وان كان الجواز قد وقع في المدونة مطلقاً - فما ذكره تقييد له، واطن ابن حبيب نقل^(٣) عن مالك مقيداً، فاذا اجتمع في النافلة أن تلتزم التزام السنن الرواتب إما دائماً وإما في اوقات محدودة وعلى وجه محدود، واقامت في الجماعة في المساجد التي تقام فيها الترائض، او المواضع التي تقام فيها السنن الرواتب، فذلك اتباع^(٤). والدليل عليه انه لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه ولا عن التابعين لهم باحسان فعل هذا المجموع هكذا مجموعاً، وان اتى مطلقاً من غير تلك التقييدات. فالتقييد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقييدها رأي في التشريع، فكيف اذا عارضه الدليل، وهو الاصر باخفاء النوافل مثلاً؟

(١) كذا ولا يظهر لهذه الكلمة هنا معنى. والمثل الذي ذكره ثابت في الصحيح هو ان ابن عباس أراد ان يعرف صلاة النبي (ص) في الليل فبات عند خالته ميمونة في ليلتها، فلما قام النبي (ص) من الليل قام معه واقتدى به فصلى إحدى عشرة ركعة فهي قيامه ووتره (٢) كذا في الاصل (٣) لعله «قله» أو قل ذلك (٤) كذا. وصوابه «ابتداء» اذ لا تبيح تسميته اتباعاً الا بمحتمل بعيد

ووجه دخول الابتداع هنا ان كل ما واظب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوافل واظهره في الجماعات فهو سنة ؛ فالعمل بالنافلة التي ليست بسنة على طريق العمل بالسنة ، وإخراج النافلة عن مكانها المخصوص بها شرعاً . ثم يازم من ذلك اعتقاد العوام فيها ومن لا علم عنده انها سنة . وهذا فساد عظيم ، لأن اعتقاد ما ليس بسنة والعمل بها على حد العمل بالسنة نحو من تبديل الشريعة ؛ كما لو اعتقد في الفرض انه ليس بفرض ، او بما ليس بفرض انه فرض ، ثم عمل على وفق اعتقاده فانه فاسد ، فهب العمل في الاصل صحيحاً فخرجاه عن بابه اعتقاداً وعملاً من باب إفساد الاحكام الشرعية . ومن هنا ظهر عذر السالف الصالح في تركهم سنناً قصداً لئلا يعتقد الجاهل أنها من الفرائض كالاصحية وغيرها . - كما تقدم ذلك -

ولأجله ايضا نهى اكثرهم على اتباع الآثار ، كما خرج الطحاوي وابن وضاح وغيرهما عن معروز بن سريد الاسدي قال : واخيت الموسم مع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما انصرفنا الى المدينة انصرفت معه ، فلما صلى لنا صلاة الغداة قرأ فيها (ألم تركيف فعل ربك) و (لا يلاف قرش) ثم رأى ناساً يذهبون مذهبا ، فقال : اين يذهب هؤلاء ؟ قالوا يأتون مسجدا هاهنا على فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً ، من ادركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل فيها والا فلا يتعمدها . وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس

يقول : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها يخاف عليهم الفتنة .

قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك الآثار للنبي صلى الله عليه وسلم ماعدا قباه وحده - وقال - وسمعتهم يذكرون ان سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا من يقتدى به ، وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان - قال ابن وضاح - فليكنم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى : كم من امر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى ؟

وقد كان مالك يكره كل بدعة وان كانت في خير . وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ما ليس بسنة ، أو يعد مشروعا ما ليس معروفا . وقد كان مالك يكره المجيء الى بيت المقدس خيفة ان يتخذ ذلك سنة ، وكان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباه خوفا من ذلك ، مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه . ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة واشهب : سمعنا مالكا يقول : لما اتاه سعد ابن أبي وقاص قال : وددت ان رجلي تكسرت وأني لم أفعل .

وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة فقال : اثبت ما في ذلك

عندنا قباء ، إلا ان مالكا كان يكره مجيئها خوفا ان يتخذ سنة .

وقال سعيد بن حساف : كنت اقرأ على ابن نافع ، فلما مررت بحديث التسعة ليلة عاشوراء قال لي : حرق عليه ^(١) قلت : ولم ذلك ما ابا محمد ؟ قال خوفا من ان يتخذ سنة .

فهذه امور جائزة او مندوب اليها ، ولكنهم كرهوا فعلها خوفا من البدعة ؛ لان اتخاذها سنة انما هو بأن يواظب الناس عليها مظهرين لها ؛ وهذا شأن السنة ؛ واذا جرت بحرى السنن صارت من البدع بلا شك . فان قيل : كيف صارت هذه الاشياء من البدع الاضافية ؛ والظاهر منها انها بدع حقيقية ، لأن تلك الاشياء اذا عمل بها على اعتقاد انها سنة فهي حقيقية ، اذا لم يضعها صاحب السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا لم توجه ^(٢) فصارت مثل ما اذا صلى الظهر على انها غير واجبة واعتقدها عبادة فلها بدعة من غير اشكال ؛ هذا اذا نظرنا اليها بآلها ، واذا نظرنا اليها أولا فهي مشروعة من غير نسبة الى بدعة اصلا .

فالجواب ان السؤال صحيح ، الا ان لوضعها اولا نظرين (احدهما) من حيث هي مشروعة فلا كلام فيها . و (الثاني) من حيث صارت كالسبب الموضوع لاعتقاد البدعة ، أو لاهل به على غير السنة ، فهي من

(١) لعلها حقوق بالواو . يقال حقوق عليه السلام اذا خلطه وأفسده عليه بحيث لا يفهم ، او لا يقرأ اذا كان مكتوبا . وهو من الحواقة اي الكناسة التي يختلط بها ما يكسب بعضها ببعض . يقال حاق الدار بالحوقة : كنسها . ومما حفظته من صبيان المكتيب اذ كنا نتعلم الخط « حقوق » عليه أي السطر (مثلا) أي رحمه او جعل حوله خطا ليعلم انه غير مقصود . وهو استعمال عربي . وأما حرق عليه بالراء فلا يظهر له معنى هنا الا اذا كانوا استعملوا التحريق بمعنى برد المعدن بالمبرد في حك الحروف المكتوبة بجزء القلم ولم أره (٢) لعله « على هذا الوجه »

هذا^(١) غير مشروعة ؛ لأن وضع الاسباب للشارع لا للمكلف ، والشارع لم يضع الصلاة في مسجد قباء أو بيت المقدس — مثلا — سببا لان تتخذ سنة ؛ فوضع المكلف لها كذلك رأي غير مستند الى الشرع ، فكان ابتداعا .

وهذا معنى كونها بدعة اضافية . أما اذا استقر السبب وظهر عنه مسببه الذي هو اعتقاد العمل سنة والعمل على وقفه ، فذلك بدعة حقيقية لا اضافية ؛ ولهذا الاصل أمثلة كثيرة وقعت الاشارة اليها في أثناء الكلام ، فلا معنى للتكرار .

واذا ثبت في الامور المشروعة أنها قد تمد بدعا بالاضافة ، فما ظنك بالبدع الحقيقية ؛ فانها قد تجتمع فيها ان تكون حقيقية واطافية ، مما ، لكن من جهتين ؛ فاذا بدعة « اصبح والله الحمد » في نداء الصبح ظاهرة . ثم لما عمل بها في المساجد والجماعات مواظبا عليها لا ترك كما لا ترك الواجبات وما اشبهها ، كان تشريعا او لا يلزمه ان يعتقد فيها الوجوب او السنة ، وهذا ابتداع ثان اضافي ؛ ثم اذا اعتقد فيها ثانيا السنة او الفرضية صارت بدعة من ثلاثة اوجه . ومثله يلزم في كل بدعة اظهرت والتزمت ، واما اذا خفيت واختص بها صاحبها فالامر عليه اخف ؛ فيا لله ويا للمسلمين ؛ ما ذا يخني المبتدع على نفسه مما لا يكون في حسابه ؛ وقانا الله شرور انفسنا بفضلہ .

(١) لعل الاصل « من هذا القبيل » أو « من هذا الوجه » وكتب في الاصل « فهي من هذه البدعة غير شرعية » ووضع فوق كلمة « البدعة » علامة الترميز

فصل

من تمام ما قبله

وذلك انه وقعت نازلة : أمام مسجد ترك ما عليه الناس بالاندلس من الدعاء للناس بآثار الصلوات بالهيئة الاجتماعية على الدوام - وهو ايضا معهود في اكثر البلاد ، فان الامام اذا سلم من الصلاة يدعو للناس ويؤمن الحاضرون - وزعم التارك ان تركه بناء منه على انه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فعل الأئمة بعده ، حسبا تقله العلماء في دواوينهم عن السلف والفقهاء . أما أنه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر ، لان حاله عليه السلام في ادبار الصلوات مكتوبات او نوافل - كانت بين امرين : إما ان يذكر الله تعالى ذكره هو في العرف غير دعاء ، فليس للجماعة منه حظ ، الا ان يقولوا مثل قوله او نحو من قوله كما في غير ادبار الصلوات ، كما جاء انه كان يقول في دبر كل صلاة « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجند » وقوله « اللهم انت السلام ومنك السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » وقوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » الآية ، ونحو ذلك . فانما كان يقوله في خاصة نفسه كسائر الاذكار ، فمن قال مثل قوله لحسن ، ولا يمكن في هذا كله هيئة اجتماع .

وان كان دعاء فعامة ما جاء من دعائه عليه السلام بعد الصلاة مما سمع منه انما كان يخص به نفسه دون الحاضرين ، كما في الترمذي عن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة المكتوبة رفع يديه - الحديث الى قوله : ويقول عند انصرافه من الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ، انت إلهي لا إله الا انت » حسن صحيح . وفي رواية ابي داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة قال « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني ، انت المقدم وانت المؤخر لا إله الا انت » .

وخرج ابو داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة ، اللهم ربنا ورب كل شيء اجعاني مخلصاً لك واهلي في كل ساعة في الدنيا والاخرة ، يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب ، الله اكبر الله اكبر ، الله نور السموات والارض ، الله اكبر الله اكبر ، حسبي الله ونعم الوكيل » . ولا في داود في رواية ^(١) « رب اغني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وأمكن لي ولا تمكّن علي ، واهدني ويسر هداي الي ، وانصرني على من بنى علي » - الى آخر الحديث .

وفي النسائي انه عليه السلام كان يقول في دبر الفجر اذا صلى « اللهم اني اسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً طيباً » . وعن بعض الانصار قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة « اللهم اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور » حتى يبلغ مائة مرة .

(١) حذف لفظ رواية من نسختنا

وفي رواية ان هذه الصلاة كانت صلاة الضحى .

فتأملوا سياق هذه الادعية كلها مساق تخصيص نفسه بها دون الناس !
فيكون مثل هذا حجة لفعل الناس اليوم ؟ الا ان يقال : قد جاء الدعاء
للناس في مواطن ، كما في الخطبة التي استسقى فيها ، ونحو ذلك . فيقال :
نعم ، فاين التزام ذلك جبراً للحاضرين في دبر كل صلاة ؟

ثم نقول : ان العلماء يقولون في مثل الدعاء والذكر الوارد على اثر
الصلاة : انه مستحب لا سنة ولا واجب . وهو دليل على امرين (احدهما)
ان هذه الادعية لم تكن منه عليه السلام على الدوام . (والثاني) انه لم
يكن يجبر بها دائماً ولا يظهرها للناس في غير مواطن التعليم ؛ اذ لو كانت
على الدوام وعلى الاظهار لكانت سنة ، ولم يسمع العلماء ان يقولوا فيها بغير
السنة ؛ اذ خاصيته — حسبما ذكره — الدوام والاظهار في مجامع
الناس . ولا يقال : لو كان دعاؤه عليه السلام سرا لم يؤخذ عنه . لانا نقول :
من كانت عادته الاسرار فلا بد أن يظهر منه ، او يظهر منه ولو مرة ، اما ^(١)
بحكم المادة بقصد التنبيه على التشريع .

فان قيل : ظواهر الاحاديث تدل على الدوام بقول الرواة « كان
يفعل » فانه يدل على الدوام كقولهم « كان حاتم يكرم الضيفان » .
قلنا : ليس كذلك ، بل يطلق على الدوام وعلى الكثير والتكرار على
الجملة ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان اذا
أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة . وروت أيضاً انه كان

(١) يظهر ان في العبارة تحريفاً وحذفاً . ولعل الاصل « فلا بد ان يظهر منه
إما بحكم المادة وإما بقصد التنبيه على التشريع »

عليه السلام ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء ، بل قد يأتي في بعض الاحاديث « كان يفعل فيما لم يفعله الاصره واحده » نص عليه اهل الحديث . ولو كان يدوم ^(١) المداومة التامة للحق بالسنن كالوتر وغيره ؛ ولو سلم : فإين هيئة الاجتماع ؟

فقد حصل ان الدعاء بهيئة الاجتماع دائماً لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما لم يكن من قوله ولا إقراره .

وروى البخاري من حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يمكث اذا سلم يسيراً . قال ابن شهاب : حتى ينصرف الناس فيما نرى . وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها : كان اذا سلم لم يقعد الا مقدار ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام . تباركت يا ذا الجلال والاكرام » . واما فعل الأئمة بعده فقد نقل الفقهاء من حديث أنس في غير

كتب الصحيح : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا سلم يقوم . وصليت خلف ابي بكر رضي الله عنه فكان اذا سلم وثب كأنه على رصفه (يعني الحجر المحمي) ونقل ابن يونس الصقلي عن ابن وهب عن خارجة انه كان يميب على الأئمة فمودهم بعد السلام ، وقال : انما كانت الأئمة ساعة تسلم يقوم . وقال ابن عمر : جلوسه بدعة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لأن يجلس على الرصف خير له من ذلك . وقال مالك في المدونة : اذا سلم فليقم ولا يقعد الا ان يكون في سفر او في فئائه .

(١) اي على ما ذكر من الادعية والاذكار . ويوشك ان يكون قد سقط من النسخ ما يدل على ذلك . والمداومة والاجتماع لا تكون الا لشعائر الدين وانما ثبتت الشعائر بعمل الرسول

وعده الفقهاء اسراع القيام ساعة يسلم من فضائل الصلاة، ووجهوا ذلك بأن جلوسه هنالك يدخل عليه فيه كبر وترفع على الجماعة، وانفراده بموضع عنهم يرى به الداخل انه امامهم ؛ واما انفراده به حال الصلاة فضروري . فل بعض شيوخنا الذين استفدنا منهم : واذا كان هذا في انفراده في الموضع، فكيف بما انضاف اليه من تقدمه امامهم في التوسل به بالدعاء والرغبة وتأمينهم على دعائه جهراً ؟ - قل - ولو كان هذا حسناً لفعله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم، ولم يقل أحد من العلماء مع تواضعهم على تقل جميع أموره، حتى : هل كان ينصرف من الصلاة عن اليمين أو عن الشمال ؟ .

وقد نقل ابن بطال عن علماء السلف انكار ذلك والتشديد فيه على من فعله بما فيه كفاية .

هذا ما نقله الشيخ بعد أن جعل الدعاء باثر الصلاة بهيئة الاجتماع دائماً بدعة قبيحة ، واستدل على عدم ذلك في الزمان الاول ، بسرعة القيام والانصراف لأنه مناف للدعاء لهم وتأمينهم على دعائه ؛ بخلاف الذكر ودعاء الانسان لنفسه ، فان الانصراف وذهاب الانسان لحاجته غير مناف لهما . فبلغت الكاثنة بعض شيوخ العصر فردى على ذلك الامام رداً اصرع فيه على خلاف ما عليه الراسخون، وبلغ من الرد - على زعمه - الى أقصى غاية ما قدر عليه، واستدل بامور اذا تأملها الفطن عرف ما فيها ، كالامر بالدعاء إثر الصلاة قرآناً وسنة ، وهو - كما تقدم - لا دليل فيه ، ثم ضم الى ذلك جواز الدعاء بهيئة الاجتماع في الجملة الا في اذبار الصلوات ، ولا دليل فيه أيضاً - كما تقدم - لاختلاف المتأصلين .

وأما في التفصيل فزعم انه مازال معمولاً به في جميع اقطار الارض
أو في جلها من الأئمة في مساجد الجماعات من غير نكير الا نكير ابي
عبد الله ؛ ثم اخذ في ذمه . وهذا الثقل تهوّر بلا شك ؛ لانه ثقل إجماع
يجب على الناظر فيه والاحتج به قبل التزام عهده ان يبحث عنه بحث
اصل عن الاجماع ، لأنه لا بد من النقل عن جميع المجتهدين من هذه الأمة
من اول زمان الصحابة رضي الله عنهم الى الآن . هذا أمر مقطوع
به . ولا خلاف انه لا اعتبار باجماع العوام وان ادعوا الامامة .

وقوله «من غير نكير» تجوز ، بل مازال الانكار عليهم من الأئمة ؛
فقد نقل الطرطوشي عن مالك في ذلك اشياء تخدم المسئلة ، فحصل انكار
مالك لها في زمانه ، وانكار الامام الطرطوشي في زمانه ، واتبع هذا
اصحابه وهذا اصحابه ؛

ثم القرافي قد عدّ ذلك من البدع المكروهة على مذهب مالك ،
وسلمه ولم ينكره عليه أهل زمانه — فيما نلمه — مع زعمه ان من البدع
ما هو حسن ؛

ثم الشيوخ الذين كانوا بالاندلس حين دخلها هذه البدعة — حسبما
يذكر بحول الله — قد انكروها ، وكان من معتقدهم في ذلك أنه مذهب
مالك . وكان الزاهد ابو عبد الله بن مجاهد وتلميذه ابو عمران الميرتلي
رحمهما الله ملتزمين لتركها ، حتى اتفق للشيخ ابي عبد الله في ذلك
ماسند كره إن شاء الله .

قال بعض شيوخنا راداً على بعض من نصر هذا العمل : فانا قد

شاهدنا العمل الأئمة^(١) الفقهاء الصالحاء المتبعين للسنة المتحفظين بأمور دينهم يفعلون ذلك أئمة ومومنين ، ولم نر من ترك ذلك إلا من شذ في احواله . - فقال - وأما احتجاج منكر ذلك بأن هذا لم يزل الناس يفعلونه فلم يأت بشيء ؛ لأن الناس الذين يقتدى بهم ثبت أنهم لم يكونوا يفعلونه . قال - ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول : لو كان هذا منكرا لما فعله الناس . ثم حكى أثر الموطأ « ما عرف شيئا مما ادركت عليه الناس الا النداء بالصلاة » - قال - فاذا كان هذا في عهد التابعين يقول : كثرت الاحداث فكيف بزماننا ؟ ثم هذا الاجماع لو ثبت لزم منه محذور ، لأنه مخالف لما نقل عن الأولين من تركه ؛ فصار نسخ اجماع باجماع ، وهذا محال في الاصول .

وأيضاً فلا تكون مخالفة المتأخرين لاجماع المتقدمين على سنة حجة على تلك السنة ابداً ؛ فما شبه هذه المسئلة بما حكى عن ابي علي بإشاذان^(٢) بسند يرفعه الى ابي عبد الله ابن اسحاق الجعفري ، قال : كان عبد الله بن الحسن - يعني ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم - يكثر الجلوس الى ربيعة ، فتذاكروا يوماً ، فقال رجل كان في المجلس : ليس العمل هذا^(٣) فقال عبد الله : رأيت ان كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكم ، أفهم الحجة على السنة ؟ فقال ربيعة : اشهد ان هذا كلام ابناء الانبياء . انتهى .

(١) لعله « من الأئمة » (٢) شاذان لقب رجلين من رواة الحديث احدهما الاسود بن عامر أبو عبد الرحمن الشامي نزيل بغداد مات سنة ٢٠٨ و ثانيهما عبد العزيز بن عثمان بن جبلة مات سنة ٢٢١ وظاهر ان في عبارة نسختنا تحريفاً (٣) لعل الاصل « ليس العمل على هذا » أي الذي تقولونه

الا اني اقول : ارأيت ان كثير المقلدون ثم أحدثوا بأرثهم فحكموا بها ، افهم الحجة على السنة ولاكرامة ؟

ثم عضد ما ادعاء بأشياء من جملتها « قوله » : ومن امثال الناس « أخطئ مع الناس ولا تصب وحدك » أي ان خطأهم هو الصواب ، وصوابك هو الخطأ . — قال — ومعنى ما جاء في حديث « عليك بالجماعة فانما يأكل القاصية » ^(١) فجعل تارك الدعاء على الكيفية المذكورة مخالفا للاجماع . كما ترى . — وحض على اتباع الناس وترك المخالفة لقوله عليه السلام « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » وكل ذلك مبني على الاجماع الذي ذكروا ^(٢) ان الجماعة هم جماعة الناس كيف كانوا . وسيأتي معنى الجماعة المذكورة في حديث الفرق ، وانها المتبعة للسنة وان كانت رجلا واحدا في العالم . قال بعض المناطقة : لا تبع بما يعرض من المسائل ويدعى فيها الصحة بمجرد التهوريل ، أو بدعوى ان لاخلاف في ذلك . وقائل ذلك لا يعلم احدا قل فيها بالصحة فضلا عن نفي الخلاف فيها ، وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يقدر المخالف ^(٣) — قل — وفي مثل هذه المسائل قل الامام أحمد بن حنبل : من ادعى الاجماع فهو كاذب وانما هذه دعوى كثير وابن علي يريدون ان يبطلوا السنن بذلك . يعني أحمد ان المتكلمين في الفقه على أهل البدع اذا ناظرتهم بالسنن والآثار قلوا : هذا خلاف الاجماع . وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه الا عن

(١) لفظ الحديث « ... فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (٣) كذا في نسختنا ، والظاهر ان الناسخ قد اسقط كلاما من هذا الموضع واقل ما يفهم به الكلام ان يقال « وان الجماعة » الخ (٣) كذا في نسختنا ، ولعله : لا يعذر المخالف بجهله

بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة - مثلاً - فيدعون الاجماع من قلة معرفتهم باقوال العلماء، واجترأهم على رد السنن والآراء، حتى كان بعضهم تسرد عليه الاحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الاحكام فلا يجد لها معصماً الا ان يقول: هذا لم يقل به احد من العلماء؛ وهو لا يعرف الا بأبا حنيفة أو مالكا، لم يقولوا بذلك، ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قل بذلك خلقاً كثيراً.

ففي هذا الكلام ارشاد لمعنى ما نحن فيه، وانه لا ينبغي ان يتقل حكم شرعي عن أحد من أهل العلم الا بعد تحققه والتثبت، لانه مخبر عن حكم الله؛ فإياكم والتساهل فانه مظنة الخروج عن الطريق الواضح الى البنيات. ثم عدّ من المفسد في مخالفة الجمهور انه يرميهم بالتجهيل والتضليل؛ وهذا دعوى من خالفه فيما قال، وعلى تسليمها، فليست بمفسدة على فرض اتباع السنة، وقد جاء عن السلف الخض على العمل بالحق، وعدم الاستيحاش من قلة أهله.

وأيضاً فمن شنع على المبتدع بلفظ الابتداع فاطلق العبادة بالنسبة الى المجتمعين يوم عرفة بعد العصر للدعاء في غير عرفة - الى نظائرها - فتشنيه حق كما يقوله بالنسبة الى بشر المريسي ومعبد الجهني وفلان وفلان؛ ولا يدخل بذلك - ان شاء الله - في حديث «من قال: هلك الناس - فهو أهلكهم» لان المراد ان يقول ذلك ترفماً على الناس واستحقاراً، واما ان قاله تحزناً وتحمساً فلا بأس. قال بعضهم: ونحن نرجو ان نخرج على ذلك - ان شاء الله - فلا استدلال به ليس على وجهه.

وعدّ من المفسد الخوف من فساد نيته بما يدخل عليه من المعجب

(المنار-ج ١٧٦) ترك السنة المهجورة خوف الرمي بالبدعة وإدارة العامة ٥٦٣ هـ

والشهرة المنهي عنها ، فكأنه يقول : أترك اتباع السنة في زمان الغربة خوف الشهرة ودخول العجب . وهذا شديد من القول وهو معارض بمثله ؛ فإن انتصابه لا يكون داعيا للناس بأثر صلواتهم دائما مظنة لفساد نيته بما يدخل عليه من العجب والشهرة ؛ وهو تعليل القرافي ، وهو اولى في طريق الاتباع ، فصار تركه للدعاء لهم مقرونا بالاقتداء ، بخلاف الداعي فإنه في غير طريق من تقدم ؛ فهو اقرب الى فساد النية .

وعد منها ما يظن به من القول برأي اهل البدع القائلين بأن الدعاء غير نافع ؛ وهذا كالذي قبله لانه يقول للناس : اتركوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في ترك الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الصلوات لئلا يظن بك ^(١) الابتداع . وهذا كما ترى .

قال ابن العربي : ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند رفع الرأس منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وتفعله الشيعة - قال - فحضر عندي يوما في محرس ابي الشعراء بالشعر موضع تدريسي عند صلاة الظهر ، ودخل المسجد من المحرس المذكور ، فتقدم الى الصف الاول وانا في مؤخره على طاقت البحر ، أتسمم الريح من سدة الحر ، ومعني في صف واحد ابو ثمنة رئيس البحر وقائده في نفر من اصحابه ينتظر الصلاة ، ويتطالع على صراكب المنار ؛ فلما رفع الشيخ الفهري يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه ، قل ابو ثمنة واصحابه : الاترى الى هذا المشرق كيف دخل مسجدنا ؛ قوموا اليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا

(١) المناسب لقوله « اتركوا » ان يقول هنا « بكم » ويعبر عن هذا المعنى بعبارة اخرى فيقال : ابتدعوا بالفعل لئلا يظن باطلا انكم ابتدعتم . او اتركوا السنة بالفعل ، لئلا تهموا بتركها بسوء الظن

٤٥٤ اتفاق أئمة المساجد في الدعاء بهيئة الاجتماع لاحجة فيه (المنار - ج ١٦ ص ١٧)

يراكم احد . فطارقاي من بين جوانحي ، وقلت : سبحان الله - هذا الطرطوشي فقيه الوقت . فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؛ فقلت كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه ، وجعلت أسكتهم واسكنهم حتى فرغ من صلاته ، وقت معه الى المسكن من المحرس ؛ ورأى تغير وجهي فانكره ، وسألني فأعلمته فضحك ، وقال : من اين لي ان اقتل على سنة ؛ فقلت له : ويحل لك هذا ؛ فانك بين قوم ان قتل بها قاموا عليك ، وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره . فناموا في هذه القصة فنيها الشفاء ، اذ لا مفسدة في الدنيا توازي مفسدة امانة النفس ، وقد حصلت النسبة الى البدعة ، واسكن الطرطوشي رحمه الله يرى ذلك شيئا ^(١) فكلامه للاتباع ^(٢) اولى من كلام هذا الراد ، اذ ينبغي في العلم ما ينبغي .

وأیضا فلو اعتبر ما قال لزم اعتباره بمثله في كل من انكر الدعاء بهيئة الاجتماع يوم عرفة في غير عرفة ، ومنهم نافع مولى ابن عمر ومالك والليث وعطلة وغيرهم من السلف ؛ ولما كان ذلك غير لازم فسلطنا كذلك ثم ختم هذا الاستدلال الاجماعي بقوله وقد اجتمع أئمة الاسلام في مساجد الجماعات في هذه الاعصار في جميع الافطار على الدعاء اذبار الصلاة ، فيشبه ان يدخل ذلك مدخل حجة اجماعية عصرية فان اراد الدعاء على هيئة الاجتماع دائما لا يترك كما يفعل بالسنن - وهي مسألتنا المفروضة - فقد تقدم ما فيه . (انتهى الفصل والبحث طويل)

(١) كذا في نسختنا ، والسياق يقتضي ان لا يرى ذلك شيئا - والاظهر ان تكون العبارة : لم يرد ذلك شيئا . (٢) لعله بالاتباع

﴿ حظر الشحاذة والسؤال والذل لغير الله ﴾

فصل من فصول كتاب (مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) للامام المحقق ابن القيم . ذكره في بحث منزلة الرضاء بالله ومن الله ، فخر المسألة به تحريرا كهادته ، قال أجزل الله ثوابه :

(فصل) والمسئلة في الاصل حرام ، وانما أيجت للحاجة والضرورة ، لانها ظلم في حق الربوبية وظلم في حق المسئول ، وظلم في حق السائل

(أما الاول) فلانه بذل سؤاله وقهره وذله واستعطاءه لغير الله ، وذلك نوع عبودية ، فوضع المسألة في غير موضعتها وانزلها بغير اهائها ، وظلم توجيده وخلاصه وقهره الى الله وتوكله عليه ورضاه بقسمه ، واستغنى بسؤال الناس عن مسئلة رب الناس ، وذلك كله يهضم من التوحيد ويطفى نوره ويضعف قوته

(واما ظلمه) المسئول فلانه سأله ما ليس له عنده ، فوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه ، وعرضه لشقة البذل أولوم المنع ، فان اعطاه اعطاه على كراهة ، وان منعه منعه على استحياء وانماض . هذا اذا سأله ما ليس عليه ، واما اذا سأله حقا هو له عنده ، لم يدخل في ذلك ، ولم يظلمه بسؤاله .

(واما ظلمه لنفسه) فانه اراق ما وجهه ، وذل لغير خالقه ، وأنزل نفسه ادنى المنزلتين ، ورضي لها بأجنس الخالتين ، ورضي باسقاط شرف نفسه وعزة تعففه وراحة قناعتة ، وباع صبره ورضاه وتوكله وقنعه بما قسم له واستغناءه عن الناس بسؤالهم ، وهذا عين ظلمه لنفسه ، اذ وضعها في غير موضعها ، وأخل شرفها ، ووضع قدرها ، وأذهب عزها ، وصفرها وحقرها ، ورضي ان تكون نفسه تحت نفس المسئول ، ويده تحت يده ، وأولا الضرورة لم يبح ذلك في انشرع . وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في

وجهه مزة لحم « وفي صحيح مسلم عن (١) أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس أموالهم تكثرا ، فإنما يسأل جمرا ، فيسقط أو ليستكثر » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خير له من ان يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه » وفي صحيح مسلم عنه أيضا قل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يفتدوا أحدكم فيحطب على ظهره فيتمدق به ، ويستغني به عن الناس ، خير له من ان يسأل رجلا ، أعطاه أو منعه ذلك فمن (٢) اليد العليا خير (٣) من اليد السفلى وابدأ بمن تعول - زاد الامام أحمد - ولأن يأخذ ثوبا فيجعل في فيه خير له من ان يجعل في فيه ما حرم الله عليه » وفي صحيح البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها (٤) وجهه ، خير له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعه » وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم . حتى نفذ ما عنده ، فقال لهم حين انفق كل شيء بيده « ما يكون عندي من خير فان ادخره عنكم ، ومن يستغف (٥) يعفه الله ، ومن يستغني يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وعن عبد الله بن عمر (٦) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتغف عن المسئلة (٧) « اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة » رواه البخاري ومسلم .

(١) في الحجازية « عنه أيضا » وهو الحديث الآتي « لأن يفتدوا أحدكم » الخ
حذف منها حديثان (٢) في نسختنا والبغدادية « بأن » وفي الحجازية « فان »
(٣) في البغدادية « افضل » (٤) حذف من الحجازية اسم الجلالة (٥) في غير الحجازية « يستغف » (٦) وفي غيرها « ابن عامر » وهو غلط (٧) وفي غيرها « والسائلة »

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سأته فأعطاني ثم قال « يا حكيم ! ان هذا المال خضيرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف (١) نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ احدا بعدك شيئا حتى افارق الدنيا . وكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكما الى العطاء فيأبى ان يقبله منه ، ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى ان يقبل منه شيئا ، فقال عمر : اني اشهدكم يا مفسر المسلمين على حكيم اني اعرض عليه حقه من هذا الفيه ، فيأبى ان يأخذه . فلم يرزأ حكيم احدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي . متفق على صحته .

وعن الشعبي قال حدثني كاتب المغيرة بن شعبة ، قال كتب معاوية الى المغيرة ابن شعبة ان اكتب الي شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب اليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله كره لكم ثلاثا . قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه البخاري ومسلم . وعن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تلحفوا في المسئلة » فوالله لا يسألني احدكم شيئا فخرج له مسأله مني شيئا وانما له كاره فيبارك له فيما اعطيته » — وفي لفظ — انما انا خازن ، فمن اعطيته عن طيب نفس يبارك له فيه ، ومن اعطيته عن مسئلة وشرة كان كالذي يأكل ولا يشبع » رواه مسلم .

وعن ابي مسلم الخولاني قال حدثني الحبيب الامين — اما هو فحبيب الي واما هو عندي فأمين — عوف ابن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسعة او ثمانية او سبعة فقال « ألا تباعون رسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم — وكنا حديث عهد ببيعة — فقلنا قد بايعناك يا رسول الله . قال « ألا تباعون رسول الله ؟ » فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال . — الا

(١) في البغدادية « باشراف » والرواية بالمعجمة . ومعنى الاشراف التطلع

الى الشهيء بمرص

تتابعون رسول الله ؟ - قال فبس - طنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فلي م نبايعك ؟ - قال . أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات (١) الخمس وتقيموا الله - واسر كلمة خفية - ولا نسألوا الناس شيئاً « فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدى فإيسأل احداً يتأوله إياه . رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المسئلة كد يكذب بها الرجل وجهه الا أن يسأل الرجل سلطاناً او في امر لا بد منه » رواه الترمذي وقال . حديث حسن صحيح .

وفي مسند الامام احمد عن زيد بن عتبة الفزاري ، قال دخلت على الحجاج ابن يوسف الثقفي فقلت : أصلح الله الأمير ، ألا أحدثك حديثاً سمعته من سمرة ابن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعته يقول « المسائل كد يكذب بها الرجل وجهه ، فمن شاء ابقى على وجهه ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل رجل ذا سلطان ، او يسأل في امر لا بد منه »

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يقبل لي بواحدة اتقبل (٢) له بالجنة - قلت انا . قال - لا نسأل الناس شيئاً « فكان ثوبان يقيم سوطه وهو راكب فلا يقول لاحد ناولنيه ، حتى ينزل هو فيتناوله . رواه الامام احمد واهل السنن . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن انزلها بالله اوشك الله له بالفتى ، اما بموت عاجل او غنى عاجل » رواه ابو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح (٣)

وعن سهل بن الحظظية قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عينة بن حصن والافرع بن حابس فسألاه فامر لها بما سألا ، وأمر معاوية فكتب لهم بما سألا ، فأما الافرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق ، واما عينة فأخذ كتابه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابيه ، فقال : يا محمد أراني حاملها الى قومي كتابا .

(١) في البغدادية « وتقيموا الصلوات » (٢) كان نص نسختنا « واتقبل »

(٣) حذف من البغدادية - لفظ حسن -

لا أدري ما فيه كصحيفة المناسم ، فأخبر معاوية بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وعنده (١) ما يقضيه فلانما يستكثر من النار - وفي لفظ آخر - من جهرتهم قالوا : يا رسول الله ! وما يقضيه ؟ - وفي لفظ - وما الفى الذي لا تبغى معه المسألة ؟ قال - قدر ما يرضيه ويعشيه - وفي لفظ - ان يكون له سبع يوم ليلة » رواه ابو داود والامام احمد .

وعن ابى افراس (٢) قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أسأل يا رسول الله ؟ قال « لا ، وأن كنت سائلا لا بد فسل (٣) النساخين » رواه النسائي .

وعن قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال : تحملت حمالة فأنتيت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله فقال « أتم حتى تأتينا الصدقة فأنمر لك بها - قال ثم قل - يا قبيصة إن المسئلة لا تحمل الا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمساك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش - او قال - سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجة من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش - او قال - سدادا من عيش ، فما سواه من المسئلة يا قبيصة سحنا يأكلها صاحبها سحنا » رواه مسلم .

وعن عائذ بن عمرو ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله فأعطاه ، فلما وضع رجله على اسكفة الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو يعلمون ما في المسئلة ما مشى احد إلى احد يسأله شيئا » رواه النسائي .

وعن مالك بن فضالة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الايدي ثلاثة - فيد الله العليا ، ويد المعطي التي تليها ، ويد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا

(١) في البغدادية « وله » بدل « وعنده » (٢) في البغدادية « وعند ابن الفراس ان الفراس » والنصواب « وعن ابن الفراسي أن الفراسي » . وفي الاصابة ان البخاري سماه فراسا . وأطلق عليه غيره لفظ الفراسي . فليل هو اسم وقيل نسب والاسم مجهول ، وعزى الحديث الى ابن ماجه وابن حبان ، أقول : وهو في ابى داود أيضا (٣) وفيها « فاسأل »

تُعْجِزُ عَنْ نَفْسِكَ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ سَأَلَ مُسْئِلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ كَانَتْ شَيْنًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتَ خَالِفًا عَلَيْهِمْ : لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ، فَتَصَدَّقُوا ، وَلَا يَغْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَتَغَنَّى بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا ، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مُسْئِلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُني أُمِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ . فَأَتَيْتُهُ فَقَعَدْتُ - قَالَ - فَاسْتَقْبَانِي فَقَالَ « مَنْ اسْتَعْفَى اغْنَاهُ اللَّهُ ، وَمَنْ اسْتَعْفَى عَنْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ ، وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ فِجْءٌ أَوْ قِيَّةٌ فَلَقَدْ أَلْخَفَ » فَقُلْتُ نَاقِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَوْقِيَّةٍ ، وَلَمْ أَسْأَلْهُ . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ (١) . وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عَدِيِّ الْجُهَنِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ جَاءَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافٍ وَلَا مُسْئِلَةٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ . فَإِنَّمَا هُوَ رَزَقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ » رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

(١) هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يُخْرَجْهُ أَبُو دَاوُدَ وَإِنَّمَا أَخْرَجَ حَدِيثَهُ الْمُتَّفِقُ عَلَيْهِ فِي سَوَالِ الْأَنْصَارِ وَتَقَدَّمَ فِي ص ١٣٠ وَأَمَّا هَذَا الْحَدِيثُ فَمِزَاجُ الْخَافِظِ فِي الْفَتْحِ إِلَى النَّسَائِيِّ . وَاعْلَمْ هَذَا مِنْ سَهْوِ النَّسَاجِ لَا الْمُصَنِّفَ ، إِذْ وَابَتْ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ اغْلَاطًا كَثِيرَةً صَحَّحْتُهَا عَلَى الْأَصُولِ

تشریف امیر البلا

مدرسة دار الدعوة والارشاد

ان عناية مولانا عزيز مصر العباس (أيده الله تعالى) برفع منار العلم والعرفان، مما سارت به الركبان، وعرف فضله فيه الثقلان، وقد أدرك حفظه الله بنور بصيرته الثاقب، أن التعليم الذي شيد لمعاهده أركانها، وأقام من مدارسه بنيانها، لا تصلح به حال الأمة الا اذا قرن بالتربية العملية، وتهذيب الاخلاق في المدارس الداخلية، ولما وقف على مشروع مدرسة دار الدعوة والارشاد، ورأى قواعد نظامها قائمة على هذا الاساس، أظهر ميله الشريف اليها، واستحسنه لطريقتها، وقد أراد في هذه الايام أن يظهر للأمة ميله اليها، وعنايته السامية بها، تشجيعاً للقائمين بأمر المدرسة على عملهم، وارشاداً للحبي الخير الى شد أزهرهم، فأظهر لناظر المدرسة عزمه الشريف على زيارتها في ضحوة يوم الاثنين (٢ جمادى الآخرة) وأنه يجب أن يراها كما هي من غير زينة ولا كلفة، ولم يأذن لي بدعوة أحد الى استقباله فيها، الا من حضر من أعضاء جماعتها. وكان ذلك اليوم قد ضرب موعداً لاجتماع مجلس النظار في الساعة العاشرة صباحاً، وموعد خروج الامير من قصر القبة رأس الساعة التاسعة. فكان اجتهد رجال التشريفات انه يشرف قصر عابدين أولاً ثم يؤم المدرسة منه، وان مدة مكثه في المدرسة تكون من عشر دقائق الى ١٥ دقيقة

ولما تشرفت يوم السبت الماضي بتهنئته بعيد مولده السعيد في

المقابلة العامة تفضل بإجلاسي بجانبه وقال لي عند الانصراف انه سيخرج من قصر القبة على رأس الساعة التاسعة ويقصد المدرسة نوًا، فاستبشرت حينئذ بأن مدة تشریفه ستكون طويلة

وفي ضحوة ذلك اليوم الميمون جاء المدرسة صاحب العزة محمد بك فعمي التشریفاتي الاول فتعبد المدرسة والطريق الموصل اليها، وكان قد تعبد الطريق غيره من رجال المعية السنية وكذا مهندس السيارات، ثم جاءت فصيلة من العسكر المصري ووقفت عند طريق المدرسة اخاص لاداء السلام العسكري لسموه

ولما كان تمام الساعة التاسعة جاء نيا المسرة بلسان المدرسة (التلفون) من قصر القبة بأن الركاب العالي قد تحرك، وكان قد جاء المدرسة لاستقبال سموه صاحب الفضيلة السيد عبد الحميد البكري رئيس جماعة الدعوة والارشاد، وكل من الاستاذ الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي والاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بمدرسة البوليس وأصحاب العزة محمود بك سالم ومحمود بك صادق ومحمد بك ليب البتانوني وعبد الله بك فائق والطبيب محمد توفيق افندي صدي من أعضاء جماعة الدعوة والارشاد، وشقيقي السيد صالح رضا، خفف الجميع مع محمد بك فعمي الى باب حديقة المدرسة، ووقفنا خارجه، وبعد ربع ساعة من نيا المسرة وصل سموه الى المدرسة في سيارة كهربائية تسابق البرق، فصافح المستقبلين كما هو دأبه الشريف، وكان مع سموه رئيس حجاب معيته السنية، وجاء أيضا صاحب السعادة علي باشا ذو الفقار محافظ العاصمة وحده ليكون في خدمته مدة زيارته للمدرسة

ثم دخل سموه المدرسة فكان أول شيء رآه وتماهده فيها مسجدها في الطبقة الاولى منها . ثم صعد الى الطبقة الثانية فشرف حجرة الناظر أولا ، ثم حجرة المعلمين . فقدمت له المعلمين واحداً بعد واحد ، فكان يسأل كل واحد عن العلم الذي يدرسه وعن عدد دروسه . ثم دخل حجرة السنة التمهيدية ، فبينت لسموه أجناس الطلبة بالإشارة اليهم فكان يسأل : أين كانوا قبل الانتساب الى المدرسة ، وعن درجة فهم الاعاجم منهم للمرية ونطقهم بها . فاستأذنته بسماع إلقاء طالب هندي لبعض محفوظه من الشعر العربي فأذن . فقام الطالب عبد الله خديار وأنشد بلسان فصيح أبيات أبي تمام التي أولها

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما تريا وجوه الروض كيف تصوّر
تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقرر
فأعجبه إنشاده وإلقاؤه وفصاحة لسانه . ثم عرضت على سامع سموه ان بعض الطلبة قد نظموا على ضيق الوقت شيئاً من الشعر ترحيباً بتشريفه: فهل يأذن بإنشاد شيء منها؟ فأذن فأنشدوا ما سيذكر بعد ، وهو واقف يسمع ، وقد جبر قلوب المنشدين بإشارة الرضا والاستحسان . ثم مرّ سموه من وسطهم متفرساً فيهم ، ودخل حجرة السنة الاولى ، فاستأذن الطالب الاول فيها وهو محمد أبو زيد وأنشد هذين البيتين :

شرفت دار المرشدين ياملي كما نورت أضواءه لمن سلك
عباسنا في رفع شأن شعبه لم يأل جهداً فهو خير من ملك
وكان بعض الطلبة من هذه الفرقة قد نظموا شيئاً من الشعر أيضاً فلم

أر من الذوق استئذان سموه بانشاده .

ثم انه حفظه الله تعالى سألني عن جميع الدروس التي يتلقونها ؛ وأصر أن يسألهم معلم اللغة الانكليزية أمامه بعض الاسئلة ، وأن يطلعه على خطوطهم وترجمتهم ففعل ، ونطق حفظه الله تعالى بكلمات من الحكمة في منافع لغات العلم الاوربية وحاجة طلاب هذه المدرسة اليها في هذا العصر . ثم عاد الى حجرة ناظر المدرسة فاستأذنته بالقاء بعض مايجالج القاب من واجب الشكر والدعاء ، فأذن فألقيت ما سيدكر بعد ، وهو حفظه الله واقف والجميع وقوف في خدمته ، فتكرم بكلمة القبول المؤذنة بتواضعه المجهود ، وأظهر استحسانه لكل مارأى . ووعد بأن يزور المدرسة في كل سنة . ودعا الله تعالى بأن يراها تزداد تقدما وارتقاء في كل عام . فشكرت له هذا بما يليق بالمقام ، وأطلعت على دفاتر ذات جداول وضعناها في هذا العام لتكون سجلات لتاريخ الطلبة في تربيتهم وتعليمهم ، تحصى فيها درجات الامتحانات المختلفة ، وأنواع المخالفات والعقاب عليها ، وغير ذلك ، فأظهر استحسانه لها .

ثم انه نزل الى الطبقة الاولى فتنفقد حجرات النوم والطعام ، والمتوضأ والحمام ، فأعجبه كل ذلك . وعلم برؤية ذلك اننا جددنا عمارة في المدرسة لم تكن ، فسأل عن ذلك فذكرت لسموه ما جددناه فيها . وسأل عن اجارتها وأجرتها وكم بقي لنا من مدتها ، فأجبتة عن ذلك ، وقد كرر عبارات استحسان المكان في بنائه وموقعه ، فذكر ذلك في بدء الدخول وعند ارادة الخروج

وبعد أن أتم بحبه وتفتيشه بدقة يعجز عن مثلها أمر المفتشين خرج

مشیما بالقلوب والاجسام . حتی اذا ما بلغ باب حدیقة المدرسة ودع
المشیعین وودعوہ بتقییل یدہ الکریمۃ . وأراد أن یمشی فی الشمس الی
الشارع العام ، فلما رآنا نرید المشی فی خدمتہ ركب سيارتہ . وأمر سعادۃ
محافظ العاصمة بالركوب معه . وانصرف والالسنة تلجج بمحمدہ والدعاء
لہ . وكانت الساعة بلغت ١٠ و٥ دقائق .

وعلى أثر ذلك تألف وفد من رئيس الجماعة والشيخ محمد المهدي
والشيخ عبدالوهاب النجار وكاتب هذه السطور (ناظر المدرسة) لاداء
واجب الشكر الى سموہ ، فجئنا قصر عابدين ، فأبلغنا رجال التشریفات
أن موعد انعقاد مجلس النظار قد حان ، فلا وقت لمقابلة سموہ الآن .
فاكتفينا بكتابة أسمائنا فی الدفتر كما هي العادة المتبعة

ثم ان كاتب هذه السطور أم قصر عابدين مرة أخرى فی أصیل
ذلك الیوم ففكرم الجنب العالي بمقابلته مقابلة خاصه ، فأدیت ما یجب
من الشكر بلساني ولسان اخواني ، وتفضل أیدہ اللہ تعالی بابداء سرورہ
من زیارة المدرسة ورضاه عنها ، وبعض الاواصر الارشادية المتعلقة بها
وبما تبرع به لها ، فخرجت حامداً شاكراً داعياً . أما ما تبرع به لها فهو
خمسائة جنيه مصري . وما یرجى من عنايته وبره فوق ذلك ، أدام اللہ
توفيقه وتأییدہ ، آمین .

كلمة الدعاء والشكر

التي وجهها الى سمو أمير البلاد، ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد^(١)
وهو واقف بين يديه في حجرته من المدرسة
مولانا العزيز العظيم !

ليس في طاقتنا ولا في طاقة الامة أن تقوم بما يجب لك من
الاجلال والتكريم، بتشريفك هذا العهد الاسلامي من معاهد التربية
والتعليم، ولكن لسان كل منا يردد قول ابو صيري :
ماله حيلة سوى حيلة العا جز إما توسل أو دعاء
فنقول : أعز الله بك أيها العزيز الاسلام، ورفع بهمتك منار العلم
والعرفان، واحيا بهديك السنة، وجدد بعنايتك مجد الامة .
نحمد الله تعالى اسماؤه ثم نحمدك، ونشكره جل ثناؤه ثم نشكرك،
ولو كبر عن الثناء محسن لكبرت يا مولاي عن الحمد، ولو جل عن
شكر الصنيعة منم جللت صنائعك عن الشكر .

فانت أنت الذي انفرت دون أمراء المسلمين، بالجمع بين المدنية
الصحيحة واقامة شعائر الدين . ففي أوروبا تراحم بتكبك مناكب أعظم
الملوك، وفي حرم الله ورسوله يراحم بتكبه البدوي والصلوكة .

وأنت أنت الذي أفضت المال والنظام على مباحث العلم الدينية، ولم
تنس من فيضك مدارس الفنون الدنيوية، ولم ترض بما رفعت من شأن
الازهر حتى أنشأت أزهاراً ثانياً في مدينة الاسكندرية، كما نفخت

(١) نشرت هذا وما قبله في الجرائد اليومية المشهورة عقب تشريف الامير
نشرته هنا بالتصدي الذي نشر في الجرائد سلفها هذا قلت وجهها ناظر المدرسة ولم أقل وجهها

روح الثقة في جسم الجامعة المصرية ، باعائك المالية وعنايتك المعنوية .
وأنت أنت الذي رقيت بعلمك وعملك الزراعة ، وجددت في
قطرك السعيد أعمال الصناعة ، ووسعت بهديك دائرة التجارة .
تفعل كل هذا بحق ، بما آتاك الله من الهمة العلية ، وتجري فيه على
عرق ، بالورثة المحمدية العلوية .

فأنت أنت الذي لله مافعلا وأنت أنت الذي لله ماصنعا
وأنت أنت الذي لله ماوصلا وأنت أنت الذي لله ماقطعا
ولكن : هل رضيت نفسك الكبيرة بكل هذا ووقفت همتك
العلية عنده ؟ كلا ! انك أيدك الله بروح منه قد توجهت الى ما وراعه من
الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، والاصلاح الديني الروحي
أما الاول : فقد أشهدت الشرق والغرب - وكفى بالخافقين شاهدي
عدل - على انك تريد أن تشاركك أمتك في سلطتك الذاتية ، وتجعل
حكومتك حكومة نياية ، ولا تزال تمهد لذلك السبيل ، وتخرج مع الامة
من كل قبيل ؛ وهذه رحلتك الميمونة المباركة التي أزمعتها . آية بينة على
احيائك سنة الراشدين في احترام الامة ومعاشرتها ، ومحبتها والتجيب
اليها ^(١)

وأما الثاني : فهو عنايتك بأمر هذه المدرسة ورغبتك في نجاحها ، على

(١) كنت بدأت في صبيحة يوم تشریف الامير بكتابة كلمة الدعاء والشكر
لأجل أن ترسل الى الصحف بنصها ولكنني كتبت قليلا منها وشغلني استقبال
من حضر وتعاهد نظام المدرسة عن اتمامها كتابة فأتممتها ارنجالا ، ولما نشرتها في
الجرائد قال لي غير واحد ممن كان حاضرا ان ما قلته في هذه الرحلة كان اوسع
نما كتب وابلغ عبارة وأحسن تأثيرا

علم منك بأنها تقوم في الاسلام بخدمة لا يفي غيرها غناءها ، من حيث انها رباط تربوية الاخلاق والاداب الاسلامية ، على ما كان عليه السلف الصالح وقدماء الصوفية ، ومعهد لتعليم العلوم الدينية ، وما يحتاج اليه المرشدون والدعاة من العلوم الكونية والعقلية ، وان الفرض منها احياء دعوة الاسلام والدفاع عنه بحسب ما تقتضيه حال العصر ، وارشاد عامة المسلمين الى ما يصلح به أمر دينهم وديارهم ، ويحارون به غيرهم ويمشون عيشة الوفاق مع من عداهم .

وان ارتباط جماعة الدعوة والارشاد بمشيخة الطرق الصوفية . مما يعهد السبيل للمرشدين الذين يتخرجون في هذه المدرسة لاصلاح شؤون العامة ، لان أكثر العامة تنتمي الى طرق الصوفية ، فاذا انبث المرشدون المستعدون بالتأثير بالوعظ والخطابة في هؤلاء الناس ، وعهدت اليهم المشيخة الصوفية بارشادهم وتعليمهم . فالمرجو بحسب سنة الله تعالى في تأثير الدين في النفوس أن يصلح حالهم في أقرب وقت ، وبذلك تقل الجرائم والجنايات ، والتعدييات على الزرع والبهايم والناس ، بعد ان أعيا الحكومة أمرها ، وحارت في الوسائل التي تقللها . فعنايتك يا مولانا بهذه المدرسة ستكون عهد اصلاح جديد للامة والبلاد . ان شاء الله تعالى

هذا . ولولا أن أشق على مولاي باطالة الوقوف لاطلت القول بحمده وشكره ، وشرح ما أعتقد من الخير والنفع للامة بعنايته وبره . ولكسني أكثفي بما في القلب ، وما في القلب كثير .

القصائد والمقاطيع التي انشدها الطلاب

على مسامع مولانا الامير

القصيدة الاولى لمحمد افندي الشريفي اللاذقي من الطلاب المستمعين في القسم الخارجي الذين يختلفون الى المدرسة في هذا العام ، وهو حسن الالفاء والانشاد ، وكنت اشترت اليه بعد انشاد ابيات من الغزل أن يختصر منه ، فناديا من طول وقوف مولانا العزيز على قدميه ، فأشار أعزه الله وأشارته أمر مطاع ، وحكم لا يقرن الا بالتنفيذ والاتباع ، بأن يتم الطالب إنشاده فأتمه ، وهذا نص قصيدته :

بلا بل الروض بالتفريد تطربنا	وبالنواح حمام الروض يشجينا
وما أحلى نسيات الصبا سحرا	رسائل الحب نهديها وتهدينا
والطلل يخنوع على الأزهار يلثمها	حسبته والها بالحب مفتونا
وقفت أرنو إلى الأزهار مبتسما	لله يازهر ما أحلى تدانينا
وقفت والقلب لا يدري محبته	أيعشق الورد أم يهوى الريحينا
حتى اذا ما بدت والنصن قامتها	مليكة الروض عن بعد تحيينا
شعرت ان الهوى قد دب في كبدي	يا وجد رفقا بأكباد المحبينا
رنت الي بطرف زانه حور	فالوجه يحذبنا والطرف يرمينا
راقت ورقت فلما جثتها ولها	قطفت من خدها وردا ونسرينا

دع الخيال خيال الشعر ما خطرت	بنت الحقيقة تجلي في مغانينا
ما ذاك الروض عندي غير مدرسة	وما أزهرها الا المريدنا
وما مليكة ذاك الروض باسمه	الا مثال حياة العلم تحيينا
حياة مدرسة نقضي مراحلها	والدرس رائدنا والجهد حادينا
تير أذهاننا تعلي مداركنا	فلا يلذ لنا الا تأخيننا

كم قربت بيننا سقيا لعاملها وأشرق النور وانجابت ليالينا
حياة مدرسة قلبي بها وله سلوت في حبها الغزلان والعينا
حياة مدرسة تذكى قرائنا نظل من بعدها غرا ميامينا
نبغي الحقائق مهما عز مطلبها نقدر العقل والوجدان والدينا

*

أرى بأفق العلا نورا يجللنا لله نور أضاء اليوم نادينا
نور الأمير الذي قد عم نائنه وغيث نعمائه أروى مغاينا
فاسجع حمام الحمى واطرب بلا ملل واهتف لعباسنا وأحمد خديونا
إني أرى مصرفي أيام دولته بغدادنا وأرى العباس هارونا
والنيل يجري فراتا في كنانته وما وردناه إلا راح يروينا
مولاي أني عشقت العلم من صغر ولا أزال بحب العلم مفتونا
وأنت خير أمير شاد معبده وقام للعلم والتحصيل يدعونا
لذا سكنت فؤادي دون ما عجب وكنت أفضل من أحياء أمانينا
هذا فؤادي باخلاص أقدمه على وفائي إلى مولاي عربونا

ثم أنشد الطالب الشيخ أحمد كمال الغزي الطالب الداخلي في القسم التمهيدي هذه القصيدة وجعل عنوانها (الترحيب)

أهلاً بمن طلعت شمس سموده وفعاله تاج لكل زمان
أهلاً بمن نال المعالي والذي سهر الدجى لمصالح الأوطان
أهلاً بمن ملك النفوس وساسها بالحزم فاتقادت مع الأبدان
أهلاً بعباس الذي لولاه ما نشرت علينا راية العرفان
فلأنت للإسلام أقوى ساعد يسعى إلى الإصلاح والعمران

وأقمت صرح العلم والأدب الذي
وأريتنا كيف الصعود الى العلى
لو تعرف الأبطال فعلك بالوغى
أو يشهدونك في المكارم والندى
ولقد نرى ملك البلاد كأنه
مولاي ان المسلمين كما ترى
والدين أنت نصيره وحفاظه
وانهض فدار الرشيد تعلي شأنه
فتنارها للشرق أعظم مصلح
فأقم دعائها وشيد ذكرها
لازلت عز المسامين وكهفهم

أخنت عليه نواب الحدائن
وعظمت حتى لا يرى لك ثان
علموا بأنك فارس الميدان
شهدوا بأنك نجمة الأزمان
ملك بدا في صورة الانسان
ما بين مظلوم وبين مهان
فارفع دعائه على الأديان
تهدي القلوب بساطع البرهان
يحيى النفوس بمحكم القرآن
فهي السبيل الى هدى الانسان
ماغرد القمري في الافنان

ثم أنشد الطالب الداخلي في ذلك القسم الشيخ عبد السميع البطل هذه الايات

أهذا كوكب أم ضوء صبح
وذا ملك كريم أم ملك
هو العباس مولي كل خير
ملك القطر انا قد بسطنا
فتحن غراسكم نجما اذا ما
اترضى ان يكون لكل دين
ولا يدعو الى الاسلام داع
عباس هداة الناس أموا
فأنت المرتجى لسداد أمر

أم القمر المنير أم الأمير
أم العباس يملوه السرور
وطل عطائه بحر غزير
اليك يدا الى الجدوى تشير
سقاه ماء جودكم المنير
دعاة في ممالكنا تسير
ولا يبدي حقائقه بشير
علاك وملء قلوبهم سرور
وأنت لدينا نعم النصير

مصاب مصر والشام

رجال العلم وحلة الاقلام

اكبر مصائب البلاد موت العلماء والادباء والكتاب الذين يقدون العقول
ويذكرون النفوس بالتعليم والتصنيف ونشر العلوم والاداب . وقد رزمت الديار
المصرية والسورية في هذه الايام بوقاة اربعة كهول من اشهر رجالها في علوم الدين
والدنيا واللغة ، يعدون من عوامل التحول والاقطاب الاجتماعي في الامة
العربية . وهم احمد فتحي باشا زغلول المصري والشيخ حسن المدور والشيخ محي
الدين الخياط البيروتيان - والشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي

١ - احمد فتحي باشا زغلول

في آخر يوم من الشهر الماضي شيعت مصر جنازة نابغة العرب فيها صديقنا احمد
فتحي باشا زغلول ، وشعر كل ذي بصيرة فيها بأنها فقدت رجلا لا خلف له في
مواهبه ومزاياه

ولد الفقيه لليلتين او ثلاث خلت من شهر رمضان ١٢٧٩ (الموافق اول شهر
الشتاء الثاني سنة ١٢٤١ هجرية شمسية - ٢٢ فبراير ١٨٦٣ م) والده من بيت كريم
ينتمي الى بعض قبائل العرب التي استوطنت القطر المصري ، ووالدته من بيت كريم
يسمى بيت بركات وهما من قرية من قرى مديرية الغربية اسمها (إيان) وكان
والده سماه (فتح الله صبري) ثم غير اسمه ناظر المعارف فسماه باسمه (احمد) لما
ظهر له من نجاحه ، ولقبه بفتحي للاشارة الى اسمه الأول . وتلقى التعليم الابتدائي
والوسط في مدارس الحكومة بمصر والاسكندرية ، واختار له ناظر المعارف ان
يتلقى التعليم العالي في فرنسا ، فكان في مدارس التعليم كلها آية الذكاء والاجتهاد .
ولما عاد من اوروبا دخل في خدمة الحكومة في النيابة والقضاء حتى صار رئيسا لمحكمة
مصر الاهلية ثم وكيلًا لنظرية الحفانية ، ونال مانال من رتب الحكومة واوسمتها
العالية ، وكان العارفون يجزمون بأن ترقيه دون استحقاقه واستعداده . فهل هذا
هو احمد فتحي باشا زغلول ؟

تعلم في مدارس مصر واوروبا ألوف ، عاش اكثرهم ومات كما يعيش ويموت
الملايين من الجهلة والمضمولين ، وتقلب كثيرون منهم في مناصب الحكومة واعمالها .
وما كل واحد منهم يستحق ان يترجم في الصحف ويخلد اسمه في دواوين التاريخ ،
اللهم الا توارىخ المناقبين الذين يعظمون كل صاحب منصب او روة وان لم يكن

له أثر يذكر ، او منقبة تؤثر ، الا جمع المال واقتناء العقار ، والتعالي على الناس ولو بالظلم والافساد .

احمد فتحي زغلول ذلك الرجل الذي شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بانه بذ الاقران ، وكان المتجلي من حلبة المدنية في كل ميدان ، لم يجمع مالا ، ولم يتأكل عقارا ، ولم يترك درهما ولا دينارا ، وانما كان هو ذلك الرجل بما آتاه الله من الذكاء واللوعذية والعقل والروية ، والهمة العلية ، وما تربى عليه من مملكة الاستقلال ، وما اكتسبه من العلوم وما احسنه من الاعمال .

خلق احمد فتحي زغلول كبير الاستعداد ، آتاه الله فؤاداً ذكياً ، وذهناً لودعياً ، والأذكىاء في أمتنا العربية كثيرون ، فان كان حظ هذا الرجل من الذكاء عظيماً فكم من عظم الذكاء اطفال التربية السوءى والبيئة الفاسدة نور ذكائه ، وهدمت ما بنته الفطرة من قوة استعداده ، وكم من ذكي وجهت القذوة السوءى ذكائه الى ما يضره او يضر أمته كلها ، وقد اتفق لهذا الذكي اللودعي ان نبث في بيئة خاصة ، مثل فيها امام عبيه من اول العهد بالتمييز إمام الاصلاح في هذا الزمان ، ومن حوله من المريدين والاخوان ، الذين لم يكن لهم سمر ولا حوار ، الا في شؤون التربية والاصلاح ، فكان يرى منذ عهد التعلم الابتدائي الاستاذ الامام متجلياً في فضائله وحكمته ، والشيخ عبد الكريم سلمان متجلياً بآدابه وفطنته ، واخوه (سعدا) معتصماً باستقلاله وحقته ، مع أتراب لهم من مريدي السيد جمال الدين حكيم الاسلام ، وخليفته الاستاذ الامام ، وكل في فاك العلم والحكمة يسبحون ، وحول قطب الاصلاح ومجديد حياة الامة يدورون ، فاقبح استعداد احمد فتحي بفكرة العمل والسعي لتجديد حياة الامة ، وعجب الاستاذ الامام بعد عودته من أوربة ودخوله في اعمال الحكومة كاخيه الاكبر (سعد باشا) بحجة المريد الصادق ، للمرشد الكامل ، فاستفاد من تلك الافكار السامية والمقاصد العلية ، والفصاحة الخلاصة ، والبلاغة الجذابة ، ما شاء الله ان يستفيد . وكان زيتيه صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسه نار ، فنصل بذلك القبس المتألق فشتعل نورا على نور .

أروي عن فقيدنا البتة كلمة في أستاذنا الامام رحمه الله تعالى . الاولى سمعتها منه في أول مجلس لقيته فيه : زار التقيد طراباس انشام بصحبة الاستاذ ايام كنت اطلب العلم فيب ، فكانت مدة مكثهما في طرابلس ملازماً لهما من الصباح الى وقت النوم ، لاني كنت اطاعت على ما صدر من جريدة (العروة الوثقى)

فعمقت السيد جمال الدين مديري سياستها، والشيخ محمد عبده رئيس تحريرها، وصرت مريدا لهما بالغيث. وقد جئت الدار التي ناما فيها ليلة قدما فقيل لي انهما ذهبا الى حمام عز الدين، جئت الحمام فألقيت بعض العلماء والوجهاء قعودا في خارج الحمام ينظرون مع الفقيه، والاستاذ في الداخل، فترجني الشيخ خير الدين الميقاتي من علماء طرابلس للفقيه، وكان مما قاله: انه اكتب الكتاب عندما وهو لا يرى لنفسه استاذنا في الكتابة الا الاستاذ الشيخ محمد عبده على انه لم يره. فقال الفقيه كلنا ليس لنا استاذ في الكتابة غير الاستاذ. واحسب انه فسر ذلك بان التمايز في الكتابة انما هو بالافكار واساليب التصرف في الكلام، وأن كل من يقرأ ما كتبه الشيخ او يسمع كلامه يجد فيه القدوة المثلى والمادة الغزيرة في ذلك. ولم احفظ من كلامه بنصه وقتئذ الا تلك الكلمة

واما الكلمة الثانية فقد قالها منذ ثلاث سنين اذ كنا نتذاكر في داره ببعض المسائل الاجتماعية، فذكرنا كلمة من حكم الاستاذ في ذلك فسرتها الحوادث فقال: ان كثيرا من كلام الشيخ لم يظهر لنا معناه المراد الا بعد موته. وقد كان يقول الكلمة فنظن اننا فهمناها ثم يظهر لنا بعد عدة سنين اننا لم نكن فهمنا بعد غوره فيها، حتى كشفه طول البحث وسعة الاختبار. اه بلعني

تلك البيئة الاصلاحية هي التي جعلت من استعداد احمد فتحي زغول خطيبا مفوها، كما جعلته كاتباً قديرا، فكان في مصر ثاني الاستاذ الامام في فصاحة لسانه، والزام الفصيح في اكثر كلامه، اما الاستاذ فقد كتب الشيخ ابراهيم اليازجي في ترجمته، - وناهيك بنقده ودقته - ان كلامه الذي كان يلقيه في مجالسه العادية كابلغ ما يكتبه المتروسلون المتأفقون. أقول: وناهيك به قدوة صالحة، ومرىيا للملكة.

تلك البيئة الطيبة والقدوة الصالحة هي التي لقيت ذلك الذهن الوقاد بلقاح الاستقلال، الذي به تظهر ثمرات العلوم عند القيام بالاعمال، فكان مضطاما بالعمل بما تعلم، وكان علمه ملكة ثابتة، وصفة راسخة، وشجرة مثمرة، واكثر المتعلمين منا مقلدون، يودعون العلم بوداع المدرسة، وما عرفنا رجلا مثله كانت الحكومة تشعر بحاجتها الى علمه، وترجع اليه حتى في القوانين والاعمال التي لا تتعلق بمهله، فهو واضع اللائحة الاصلاحية للمحاكم الشرعية، وهو واضع قانون إصلاح الأزهر، وناهيك بهما، وبما يتوقف عليه وضعهما، وقد اشتهر أنه كان في نظارة الحفانية الركن الركين، لوضع جميع الانظمة واللوائح والقوانين. لم تشغل الفقيه خدمة الحكومة التي كان يتقنها من كل وجه، عن خدمة الامة بالعلم والعمل، فقد كان عضوا عاملا في الجمعية الخيرية الاسلامية، وألف

وترجم عدة كتب ينفعي بها الاصلاح والنهوض بالامة ، دون الكسب والثروة ، وكان أول ما اخرجته للغة العربية من نقائس مصنفات الافرنج (كتاب أصول الشرائع) لبنام ، وهو كتاب جليل في فلسفة القوانين وعلاها ومداركها ، يعجز عن ترجمته من لم يكن راسخا في علوم القوانين والفلسفة ، وسعة الاطلاع في علم اللغة ، ولو كان العلم في الامة حيا لاعيد طبع هذا الكتاب مرارا .

وكان آخر كتاب ألفه في القضاء (شرح القانون المدني المصري) شرحه شرح العالم المجتهد المستقل ، وتصرف في تنسيقه وترتيبه تصرف المصالح المنقح ، وغير في هذه الترجمة كثيرا من الاصطلاحات القضائية المترجمة عن اللغة الفرنسية ترجمة غير صحيحة ، فأعجبت الحكومة وجمهور رجال القضاء بهذا الشرح ، واعترفوا بشدة الحاجة اليه ، وكان هو الباعث على احتفالهم بالشارح ذلك الاحتفال الذي نوهنا به في وقته وله في هذه المباحث القضائية كتاب حافل سماه (الحاماة) وقد بين في هذا الكتاب تاريخ الحاماة عند الامم القديمة بالاجمال وعند الامم النورية بالتفصيل ومنه الكلام في نظامها عند هذه الامم ، والمؤتمر الذي عقد لها ، ثم افاض القول في الحاماة في مصر ، وبيان حال المحاكم المصرية وتاريخها وتأسيس الحكومة المصرية ودخولها في سلك النظام الاوربي ، واطال الكلام على القضاء فيها ، وبعد استيفاء كل ما أوراده من الكلام على الحاماة وأهلها من التاريخ والنظام والقوانين والآداب وما يناسب ذلك ختم الكتاب بملحقات في قوانين مصرية سابقة ولوائح وأوامر رسمية مصرية متممة للموضوع . فكانت صفحات الكتاب ٤٣٤ و صفحات الذيل ٢١٠ وله رسالة قضائية في التزوير مفيدة في بلها

وله ترجمة كتاب (الاسلام - خواطر وسوايح) للكونت هنري دي كاستري الفرنسي ، في رد معتريات الصليبيين وأشباههم على الاسلام ، فقد كان هذا الكونت واسع الاطلاع في كتب المسلمين ، ونقل في هذا الكتاب من مطاعن الافرنج في الاسلام ما لم يخطر على بال مسلم في الدنيا ، وردّها واثق على الاسلام خير الثناء . وقد ترجم هذا الكتاب وطبعه في اواخر سنة ١٣٠٥ وهي التي هدد فيها المنار ، وقرظناه في العدد الحادي عشر من السنة الاولى ، ونشرنا مقدمته للترجمة العربية التي نقل الفقيه فيها نبذة من المنار . وكان غرضه من ترجمة هذا الكتاب الدفاع عن الاسلام وبيان محاسنه وتوبيه المسلمين الى ذلك

وأما الكتب التي ترجمها لفرض النجدة العلمي والمدني في مصر وسائر الامة

المرية فهي كتاب (سر تقدم الانكليز السكسونيين) في الطريقة المثلى للتربية والتعليم، لعالم فرنسي اسمه (آدمون ديمولان) وكتاب (روح الاجتياح) وكتاب (تطور الامم) كلاهما للفيلسوف الفرنسي الكبير (غوستاف لوبون) فكان غرضه من هذه الكتب بث فكرة التربية الاستقلالية والتعليم العملي في الامة ، واعتماد الافراد على انفسهم لاعلى حكوماتهم (١) وتيسيرها الى اسباب التحول والانتقال في الامم والشعوب، وكونه لا يحصل الا بالتدريج البطيء ، وتذكرها بالآفات والميل الكامنة في التطورات الاجتماعية الحديثة في الافرنج ، كالاشتراكية والحزب والجماعات السياسية والاقتصادية وغيرها . ولغوستاف لوبون مذهب خاص في هذه المباحث يخالفه في كثير من آرائه بعض علمائهم . والتاخر المستقل لا يقلد أحدا من المختلفين ، وانما يحص المسائل وينبع قوة الحجة والدليل

ويقال انه كان بدأ بترجمة كتاب مدينة العرب أو حضارة العرب لغوستاف لوبون أيضا ، وكان الاستاذ الامام حضه على ترجمته . وآخر ما أخرجه قلمه للناس ترجمة رسالة سياسية في سوء حال الدولة العثمانية وشدة حاجتها الى تغيير وضعها ونظامها ، وهي الامير مصطفى قاضل باشا زعيم الاحرار الاول في الآستانة خاطب بها السلطان عبد العزيز ، ورسالة أخرى في قواعد وفكرات اجتماعية لغوستاف لوبون جعلها كالمذكرات والناشرين لما فصله في كتبه الاجتماعية . فترجمها الفقيه بالمرية وسماها (جوامع الكلم)

وقصاوى القول في صفة الرجل الاجتماعية والسياسية انه حجة على كفاءة العربي وقدرته على العلم والعمل بالنظام الاوربي كأدري الاوربيين، لانه ركن في العمل بذلك. وأما صفاته الشخصية فقد كان حسن المعاشرة، حلو المفاكمه، زبه النفس واللسان، يقدر على إرضاء كل جليس ينير دهان ، لا يعل جليسه جده ، ولا يثبت بوقاره هزله، وقلمه تربي في اوربة شاب مثله في عفنه وصيائه، والاعتصام من استخفاف حرية الفسق لشرة الصبا وخفته. وكان دقيق النظام في كل شيء متأقفا جد النائق في زبه ومعبشته بالانكاف، ولا اضاءة وقت في المبت . وأما رأيه في الاصلاح والتجديد فهو ان يبني ولا يهدم، لان الامة اذا وجدت البناء الجديد اصلح لها ، تركت المباني القديمة تسقط

(١) كذبت في منار اول المحرم سنة ١٣١٧ مقالة عنوانها (الاعتناء على النفس) فقال لي وقد كنت : انني استعملت هذه الكلمة في ترجمة كتاب (سر تقدم الانكليز) الذي يطبع الآن واراك سبقتني الى استعمالها ، ثم كثر استعمال هذه الكلمة بانتشار ذلك الكتاب لا بمقتني

من تلقاه نفسها ، فلم يكن يدعو الى ترك العادات الضارة ويشنع على أنصارها ، لذلك لم يطمئن الناس في رأيه ومذهبه كما طمئنا في صديقه قاسم بك أمين ، بل لم يكن الجمهور يرفون أن له رأياً يرمي اليه في الانقلاب الاجتماعي . فان فهم بعض أذكياه الحرب الوطني أن ما شرحه كتاب روح الاجتماع من أمر اندفاع الجماعات بغير عقل ولا شعور ينطبق على حزبهم ، فهل كان يسهل عليهم أن يطمئنا بوطية مترجم الكتاب وبمدونه خصماً لهم ؟

هذا وإن الفقيه قد كان ميالاً الى الإصلاح الديني ، معتقداً أنه شطر أو شطر للإصلاح المدني والسياسي ، وقد كان أخبرني في أوائل العهد بإنشاء المنار أن إبراهيم باشا فؤاد ناظر الحفانية مقبض بالمنار ويرى وجوب تعميم نشره بين المسلمين . وأنه هو قد سر بذلك وتواعد مع الناظر بالتخاذ وسيلة لذلك يوزع بها ألوف من النسخ على طلاب العلم وقراء القراء ثمن قليل . ثم لم أراجعه ولا كتبت إبراهيم باشا في ذلك عندما كنت ألفاء وأسمع منه أثناء على المنار . ولا هما وفقاً لشيء مما تحدثنا به .

ولما توفي شيخنا الأستاذ الامام تذكر أصدقائه ومريدوه في عمل شيء يذكر به ، فافترحت أن تنشأ باسمه مدرسة كلية يجمع بها بين التربية الدينية الصحيحة وتعليم العلوم الدينية والدنيوية على طريقتيه التي كان يسمى لها سعيها بالإصلاح الأزهر ، فقبلوا الاقتراح بكل ارتياح ، واتخذوا في دار سعد باشا زغول لجنة لوضع نظام المدرسة مؤلفة من حسن باشا حاصم والفقيه وصاحب هذه المجلة ، فكان الفقيه مهتماً بهذا ، وذاكر به لورد كرومر - كما تقتضي المصلحة - فاطهر اللورد له الاستحسان . ووعده بأن يحضر له نظام وبرنامج مدرسة عليكرة الإسلامية الهندية للاقتباس منه واستحسن أن يبدأ بالعمل صغيراً ليكبر بالتدرج . ويعلم الذين يقرؤن المنار منذ سنين أن الذي كان دون إنشاء هذه المدرسة هو ظهور مشروع مدرسة الجامعة المصرية ونوط أسرها بسعد باشا زغول وقاسم بك أمين . وكان سعد باشا هو الركن الركن لثمرونا فتركه للجامعة وما كان يمكن أن يشتغل به وبمشروع الجامعة مما

ولما عزمت على السفر الى الاستانة منذ أربع سنين لاجل مشروع الدعوة والإرشاد أهم بذلك الفقيه أهتماً عظيماً ، وجاءني ليلة من ليالي رمضان الذي سافرت فيه واقترح أن تتكلم في المشروع منفردين ، فاقبلنا باب الدار ، وظللنا نتحدث في المشروع الى ما بعد نصف الليل ، فلما شرحت له وسائله ومقاصده سر به وبالغ في استحسانه ، وواعد بأن يساعد الجمعية التي تؤسس له هناك بقدر الطاقة . وعهد إليّ

بأن أتماعده بالكتابة من الآسنة ، فكانت الكتابة ينشأ متصلة في ذلك ، ولم أر
أحداً من أصدقائي بمصر أهتم بذلك بعض اهتمامه رحمه الله تعالى
كان سبب موته مرض ألمّ بدماغه ، سببه كثر تفكيره واختلاله ، ولا غرو فقد
كانت قوة ذلك الدماغ أعظم من مادته ، وعمله فوق استطاعته ، وذلك منتهى أكثر
الرجال الذين همتهم أكبر من قوتهم ، تنسى تقوّلهم حقوق أديانهم ، فيجنّون على
امتهم بحبايتهم على أنفسهم ، إذ يترعّهم القدر منها ، أقدر ما كانوا على خدمتها ، فمنهم من
يقتصر في سن الشباب ، ومنهم من باقى مصرعه عند الاكتمال ، وبلوغ قواه كلها
مستوى الكمال ، كمن فقدنا اليوم ، ومن فقدنا بالأمس ، ورحمهم الله تعالى .

محاربة متعصب القبط وغيرهم للمنار

في يوم السبت في ٢١ جمادى الآخرة دعانا بالمسرة (التلقون) رئيس النظار حسين
رشدي باشا الى داره فوافيناه فيها فاذا هو في سرير النوم لانحراف حنجرته ، واذا بجانبه
جريدة مصر القبطية ، فأطلعنا عليها ، وسألنا عما تنسبه الى المنار من الطعن المعلم عليه
بالجبر الأحمر فيها ، وملخصه أنه يجعل النصراني كلهم وثنيين وان طعنه يكاد يضرهم
نار الثورة في البلاد ؟؟ فلما قرأت ، فيها قلت للرئيس : يا عطوفة الرئيس ! انت قاض
قبل كل شيء ، وقد اشتهرت في حياتك القضائية بالاستقلال ، ومن مقتضى ذلك ان تقرأ
الطعن الذي تشير اليه جريدة مصر ، قبل ان تحكم في المسألة بشيء . هذه العبارة التي تشير
اليها جريدة مصر اوردها المنار كعنوان لموضوع كتاب في سياق تقر يظله . هذا الكتاب
اسمه «نشوء فكرة الله» مؤلفه انكليزي ، ولخصه بالعربية سلامة افندي موسى القبطي ،
وطبعه بمطبعة يوسف افندي الخازن الماروني السوري ، محرر جريدة الوطن القبطية ،
وقرظته الجرائد والحجالات السورية والقبطية والاسلامية ، ولم يعب المترجم والناشر احد
منها بانه عاب النصرانية وكاد يضرهم نار الثورة في البلاد ! ولكن لما قرظتة مجلة
المنار الاسلامية وذكرت ان ملخصه اثبات كون الديانة النصرانية وثنية الاصل
- وقيدتها بالحاضرة تبرئة للمسيحية الصحيحة التي كان عليها المسيح عليه السلام
وحواريه رضي الله عنهم - صار ذلك اكبر الجرائم المحركة للثورات والفتن ، واستحق
صاحب المنار النفي من مصر ، واستحققت الحكومة هذا الانذار من جريدة مصر
- اذ فيها : ان من انذر فقد اعذر - بعد الاقتراح على الحكومة ان بان تعاقب
صاحب المنار بمثل ما عاقبت به عبد العزيز شاويش عدو القبط من سجن ونفي .
ثم اعطيت للرئيس نسخة المنار فلما قرأ التقرير فيها ضحكك مستغربا كتابة

جريدة مصر . ثم ذكرت لها ان المنار لما كان هو الحجة الاسلامية الوحيدة التي اخذت على نفسها الدفاع عن الاسلام في هذه البلاد الحرة التي ينشر المبشرون فيها الصحف والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والقرآن والنبي (ص) وجب علينا شرعا ان نرد عليها اعتدائها ولو بما هو دونه ، اذ لا يسمح لنا ديننا أن نطعن في سيدنا عيسى ولا في اصل دينه وكتابه . فانا لا نأترك مدافعة المبشرين الا اذا كانت الحكومة تريد منع حرية المسلمين في دينهم وتجعل الحرية للتصاري وحدهم . فقال الرئيس كلا ان الحكومة لا تسلب حرية الدفاع عن الاسلام ولكن توصيك بالاعتدال والزام خطة الدفاع . قلت انني أعني بالدفاع انهم البادئون وانا نجزهم بما دون عملهم ، وانهم اذا تركوا الكلام في ديننا تركنا الكلام في دينهم ، وانني مستعد لتقديم جدول للحكومة بالشواهد من كتب المبشرين ورسائلهم على ما فيها من الطعن الفاحش في الاسلام الخ ...

كان ما أطلعني عليه الرئيس اول ما اطلعت عليه من المطاعن الكثيرة التي وجهتها الي والى المنار جريدة مصر ، وكنت اسمع بها ، ولا احاول الاطلاع على شيء منها . ثم جاءني واحد الاصدقاء بمد يد من منها فاذا في احدهما ما نصه تحت عنوان (صاحب المنار) « اتصل بنا ان ولاية الامر قد اهتموا بما كتبناه عن الشيخ صاحب المنار وطعنه الطعن الجارح في الدين المسيحي واهله فاستدعاه عطوفة رئيس النظار الى منزله وحذره من الكتابة في مثل هذه المواضيع المهيجة وانذره بتعطيل مجلته ان عاد الى تلك الكتابات . فمسي ان يكون هذا الانذار مانعا من الوقوع في المصائب التي يريد صاحب المنار جلبها على البلاد واهلها . »

دع كذب جريدة مصر على رئيس الحكومة في هذا العدد واقتصر ما كتبت في الآخر : كنت كتبت مقالة في الرد على جريدة (دوكير) التي تصدر بنصر باللغة الفرنسية اذ نشرت مقالة تنكر فيها على المنار ما كتبه في النصرانية يظهر انها لاحد السوريين ، ينسب فيها طريقة المنار في الجمع بين الاسلام والمدينة الصحيحة والتأليف بين المسلمين وغيرهم ، والصحف الفرنسية التي شهدت له بذلك ، وكون رده على دعاة النصرانية لا ينافي ذلك . وارسلت المقالة الى المؤيد فلم ينشرها الا بعد زهاء شهر من ارسالها اليه . وقد هاج نشرها جريدة مصر فكتبت مقالة في اليوم التالي انشر المقالة في المؤيد (وهو ٢٧ جمادى الآخرة) استفرغت فيها ما في قلب صاحبها ومحررها من السباب والشتائم والحق والضمينة على صاحب المنار ، فظهر من خوى ذلك سر من الاسرار ، وهو سبب حملة جريدة مصر علينا في هذا الشهر ، مع ان المنار يرد على المبشرين من بضع عشرة سنة . وهالك ما فضح السر منها : « ولكن هذا الرجل المسكين لم يمد يده لمطف أحد عليه . فالوطنيون يكرهونه

لانه بما كسب مبادئهم . والانكيز يفضونه لانه عدو مدنيهم . وعلماء المسلمين يكرهونه لانه غير واقف على اسرار الدين . وقد ادركت الحكومة سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب .

« اننا اذا اغتبرنا لهذا الرجل كل سيئاته وتفاضينا عن مدرسته التي لا تدري القرض منها . فانه لا يرضينا منه تداخله في ما لا يهنيه وشرحه للدين المسيحي نرجا يخالف ما يعتقد به اهله . وطنه ذلك الطعن الاليم في المذنية الاوربية ، ووضعه لقناصل والمبشرين والمؤسسات والقوادين في مستو واحد .

لذلك كله نرى من واجباتنا الوطنية ان نلاحق هذا الرجل ونعمل جهد

استطاعتنا لمحاربته كما نحارب الحكومات الامراض المعدية ولو تسلب برضا بعض

ولاة الأمر عنه وشد جريده مثل المؤبد لأزره بقولها عنه : « ان صاحب النار مهضوم الجانب وفي حاجة الى الدفاع عن نفسه ودينه » اه بحروفه

(النار) ظهر لنا من هذا التصريح الذي لا يحتمل التأويل ان سبب انقجار

بركان التعصب على صاحب النار في جريدة مصر هو تشريف مولانا الامير عزيز

مصر مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وما تضمنته هذه الزيارة من اعلان ثقته

بالمدرسة وعظفه السامي على ناظرها صاحب النار ، ولذلك عرضت جريدة مصر

بذكر المدرسة وقالت انها تقاضت عنها ، على كونها لا تدري القرض منها !! كانه

يجب على كل مسلم يعمل للاسلام عملا ان يوقف جريدة مصر على غرضه من عمله ؟

تقول جريدة مصر في صاحب النار ان المصريين والانكيز يفضونه وإن

الحكومة قد ادركت سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب : أثبتت جريدة

مصر كل هذا ، فكان ينتظر من مديرها ومحريها انصار الديانة المسيحية بزعمهم

ان يجد صاحب النار من قلوبهم عطفة او نفحة من الرحمة المسيحية المبني اساسها

على محبة الاعداء ومباركة الالاعين !! ولكنهم لم يزدادوا الا قسوة وحقدًا عليه ،

فبعد الجزم بجميع ما ذكر قالوا ان الواجب عليهم أن يعملوا جهد استطاعتهم

لمحاربته ولو تسلب برضا بعض اولياء الامور عنه ؟ فاذا كان الانكيز ورجال

الحكومة غاضبين عليه . فمن تعني ببعض أولياء الامور المتسلح برضاهم عنه ??

ثم ماذا تريد جريدة مصر بالمحاربة الجديدة التي توعدتنا بها ، بعد ما كان من تمهيجها

المبشرين وغيرهم من رجال النصرانية علينا ، وبعد هذه السباب والشتائم وبعد ائذار

الحكومة بمخاطر الثورة اذا لم تنكل بصاحب النار ؟ وهل بعد هذا من حرب تقدر

عليه جريدة ؟ نعم بل في عن بعض محرري جريدة مصر أنهم يبنون بهذه المحاربة

الاستعانة بنفوذ المبشرين في انكثرة على اقناع حكومة لندرة نفسها بوجوب إلغاء

النار والتنكيل بصاحبه وإقفال مدرسة دار الدعوة والارشاد . — الى هذا الحد وصلت ثقة متمسبي القبط بكيدهم للمسلمين ، فاعتبروا يا أولي الابصار

المجلد

١٣١٥

يقضي الحكمة من يشاء ومن يات الحكمة قد
أوتي خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فينبذوا
أولئك الذين هداموا أولادهم أولوا الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق »

مصر سلخ رجب ١٣٣٢ هـ ق ٦ الصيف الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٣ يونيو ١٩١٤

فَسَاءَ الْمَسْأَلَةِ

الفتنة هذا الباب لا حاجة لسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع عامة الناس ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرد الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان تأخذ كرا لا سئلة بالتدريج غالباً وربما قد ناهت عن السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبتا غير مشترك كمثل هذا ، ولن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

(السكرتة والحريز)

(س ١٥) من صاحب الامضاء الرمزى بدمياط

صاحب الفضيلة حضرة الاستاذ المرشد والامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

سدد الله ووفقه

ما قولكم يا فضيلة الاستاذ في هذه الثياب المعروفة بمصر التي تسمى بالسكرتة وما حكم لبسها مع اختلاف الناس فيها هي حريز أم من نبات ؟ فبعضهم يقول انها من حريز البدوة المحرم . وبعضهم يقول انها ألياف نباتية تنبت بارض الهند كالثيل والكتان . واختلف الناس في شأنها كثيرا ، وقد اصبح الناس يلبسونها كثيرا وخصوصا علماء الدين فلا تجد واحدا منهم الا وهو يقتني منها ثوبا او ثوباً ، بل ربما يديم لبسها طول الصيف ويقتي الناس بحلبها ، بناءً على انها نباتية ، ويقول ذلك ويقرره بجرأة غريبة ، وقد وقع الناس الآن في شأنها كثيرا في بلدة دمياط ، وهتموا بهذا الموضوع اهتماما ذابال ، فترجو فضيلتكم اجابتنا بما ترونه في ذلك منطبقا على دين الله ، وما تعلمونه عن حقيقة مادة السكرتة هذه ، مع ذكر مسألة الحريز وتحريره في الدين وحكمة التحريم ، ورايكم الخاص في ذلك . فان الخلاف فيه قديم بين الجمهور وقيل من السلف واختلفوا واقبلوا مزيد الاحترام (م . ل)

(ج) من اعتقد من الرجال ان النسيج المسمى بالسكرتة حريز حرم عليه لبسه ، ومن لم يعتقد ذلك لم يحرم عليه . والمتبادر من التسمية ان السكرتة غير الحريز . وقد سألت تاجرا مسلما سوريا يتجر بهذا الصنف في (شنغاي) من وائي الصين فقال ان الذي يعلمه هو ان السكرتة من نسيج دود غير دود الحريز ، اي فلهذا وضع لها

اسم غير اسم الحرير . وتفاقر الحرير في اخص صفاته وهي النعومة . ولا يمكن ان يقال ان جميع ما تنسجه الحشرات حرير ، فقد كان نسج العنكبوت معروفا عند العرب ولم يسمه احد حريرا . وبلغنا أن الأفرنج يتخذون منه قفافيز وغيرها .
والحكمة في تحريم السنة لبس الحرير الخالص على الرجال هي كونه مبالغة في الترف والتعظيم المضعفين للرجولية ، والمفسدين لبأس الأمة . وكان ولا يزال عند أكثر الأمم من خصائص النساء . ولمثل هذه العلة ورد النهي في السنة عن لبس المعصفر والمزعفر اذ كان من زينة النساء خاصة . فاعلم من حكمة تحريم الحرير لا يوجد في السكروته . نعم ان الرقيق من السكروته اذا كوي بالسكواة يكون له لمان كالحرير ، ولكن من نسيج القطن والسكتان مثل ذلك . فالظاهر لنا ان لبس السكروته غير محرم . والله اعلم واحكم

تكرار الفدية بتأخير قضاء الصيام

(س ١٦) من نوح ابن الحاج عبد القادر القاهري السندي
ما قولكم ايها العلماء الاعلام وأئمة الاسلام في قول المنهاج في كتاب الصيام :
« والأصح تكرره بتكرار السنين » ما المراد بتكرار السنين ؟ هل هو تأخير قضاء رمضان
او أكثر الى رمضان آخر ؟ أم تأخير قضاء رمضان الواحد الى رمضان فصاعدا ؟ فان
قلتم بالثاني فما المراد بقول الشرقاوي في حاشيته على شرح التحرير : قوله « الى رمضان
آخر » بالتأخير مصر وفا لانه نكرة اذ المراد به غير معين ، بدليل وصفه بالنكرة وهي
« آخر » وزالت منه احدي العلتين وهي العلمية . وبقاء الألف والنون الزائدتين
لا يقتضي منعه من الصرف اه وما المراد بقول السيد الفاضل المصطفى الذهبي في
تقريبهما على على هامش تلك الحاشية : قوله رمضان آخر هو مصروف لانه غير
معين ، انظر ما الفرق بينه والاول ؟ وغاية ما يقال الاول مقصود منه الشهر الذي يستقبله
المدرک بعينه بخلاف الثاني فانه يتناول ما بعده لا الى نهاية ، فتكرر الكفارة بكل
رمضان يأتي بعد الاول فهل يكفي هذا في منع الصرف حرره اه وما المراد بقول
السيد علوي ابن السيد احمد سقاف في حاشيته على فتح المعين : قوله « لكل سنة »

اي لصوم كل يوم من رمضان كالسنة ، وبه قال مالك واحمد اه وقد قال العلامة
الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح المختصر ما نصه : فاذا كان عليه يومان من
رمضان ومضى عليه ثلاث رمضانات او اكثر فانه انما يلزمه مدان . افيدونا بالسطور
جزاكم الله خير رب غفور .

(ج) مراد المنهاج : « والأصح تكوره بتكرار السنين » أن من أخر قضاء ما فاتته
من رمضان واحد الى رمضانين فأكثر يطعم عن الرمضانيين مسكينين لكل مسكين
مد - وعن ثلاث رمضانات ثلاث مساكين وهلم جرا ، ولا يمكن أن يكون معناه
من أخر قضاء يومين فأكثر من رمضانين فأكثر الى رمضان آخر لزمه عن كل
يوم مد . لأن هذا لغو من القول للاستغناء عنه بما قبله وهو قوله « ومن أخر قضاء
رمضان مع امكانه حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد » ولأنه
لا خلاف فيه حينئذ فلا يكون لوصفه بالأصح معنى ، اذ مقابل الأصح - وهو
الصحيح - انه لا يتكرر . فهل يمكن ان يكون المراد بعدم التكرار على الصحيح
ان من أخر قضاء يومين من رمضانين الى رمضان آخر لا تجب عليه فديتان ؟
لا لا . واذا تبين الحق فمن إضاعة الوقت البحث في كلام من لم يعرفه والاهتمام
بفهم المراد منه . على ان بحث الشرقاوي والذهبي في العلة التحوية لصرف رمضان
لا ينافي هذا ، ولا حاجة الى العناية والبحث فيما جاء به السقاف ، ولا الرجوع الى
عبارة الدسوقي المالكي فانه ليس تنقيها لعبارة المنهاج ولا يتفق مع مذهب الشافعي .
فلغنى واضح والمذهب معروف .

(التقليد والمذاهب وجمع المسلمين على الكتاب والسنة)

(س ١٧) من صاحب الامضاء المصري في (السودان)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ منار الدين الحق السيد محمد رشيد رضا اداماه الله ساميا لدينه .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيدي ارفع سؤالي هذا ولي عظيم الأمل في اني سأحصل على الجواب الشافي
الذي يريح ضميري واغلب المسلمين . نرى اختلافا كثيرا بين الأئمة المجتهدين

رضوان الله عليهم في مسائل عديدة ، الا انا نعتقد فيهم مثابون ومصبيون في ذلك ، لما فعل من اعذارهم في مثل هذا ، كبلوغ احدهم الدليل وعدم بلوغه للآخر ، او بلوغه وعدم صحته . فهم مثابون ومصبيون من حيث تحريم الحق ، لا من حيث اصابتهم لحقيقة الحكم ، اذ يستحيل ان يكونوا كلهم مصبيين مع هذا الاختلاف ، والا فيكون هذا حكما صريحا على ان في الشرع تناقضا وحاشاه من ذلك . اذا علمنا ان هذا هو سبب اختلافهم واقوالهم بين ايدينا فلماذا نختلف نحن ايضا ويتبع كل فريق منا مذهباً ؟ وهل يتعين على المسلمين في هذه الحالة ان يستخلصوا الأدلة الصحيحة الثابتة ويتركوا ما عداها وقد علموا عذر الأئمة في ذلك ؟ والا فان المقلد لا يسلم من ان يكون متبعا امامه فيما أخطأ فيه او على الأقل فيما كان مذموا وخواو مرجوحا . وهل يصح ان يلتمس له عذرا من قلده مع خلوه عنه ؟ وهل الخطاب بالكتاب والسنة عام لكل اناس او مختص بالأئمة الاربعة فقط ؟ واذا كان الخطاب عاما فما عذرون عدل عنها الى سواها ؟ وان قيل ان الاستدلال بالكتاب والادلة لا يتأتى الا للعلماء وهم الأقلون ، فهل يتحتم على هؤلاء العلماء ارشاد العامة الى السبيل القيم مبنية لهم الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله تاركين هذه الاختلافات القديمة التي لا تخلو من ضرر وقد اصبح ذلك يسورا ؟ . رجائي الاجابة على هذه على صفحات مناركم الأغرى ، مبينين السبيل الحق في ذلك ، أثابكم الله وادامكم نورا يستضاء به ، تفضلوا بقبول احتراماتي محسوبكم سليمان حلي

(ج) قد سبق المنار بيان هذه المسائل كلها مرارا ، وأول ما كتبناه فيها (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع . ثم جمعت في كتاب على حديثها . ثم وقفنا على مناظرة في بحث الاجتهاد والتقليد للمحقق ابن القيم نشرناها في المجلدين السادس والسابع . وتكرر ذلك في التفسير والفتاوى ، وما ورد في باب الفتوى اجوبة المسائل الباريسية التي سئل عنها أحمد باشا زكي في باريس فارسلها لنا . وقد طبعت في ذيل كتاب محاورات المصلح والمقلد . فاذا لم يتيسر للسائل مراجعة هذه المسائل في مواضعها المتفرقة من مجلدات المنار فليكتف بقراءة كتاب محاورات المصلح والمقلد وذيله ، ثم اذا بقي عنده او تجد لديه بعض

الاسئلة في ذلك فليسأل عنها . ونزيده هنا فائدة ينبغي ان يفكر فيها بعد ان يقرأ في اواخر ذلك الكتاب ما قرره المصلح في مسألة وحدة الأمة . وهي ان هذه الوحدة الدينية قد توجهت اليها نفوس عقلاء المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار . وانه لا يرجى حصولها في وقت قريب الا اذا ايد الاصلاح الديني دولة او ايمارة اسلامية . على ان الأمة لا بد ان تنبذ كل خلاف ، وتسير الى الوحدة ولو بعد جيل او اجيال .

﴿ الخلاعة في التمثيل ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء في بيروت

سلام على امامنا السيد الرشيد ايده الله

وبعد فلا يخفى ان مولانا السيد كان اقنى في المنار من استفه من دمشق في امر التمثيل الروائي بانه جائز اذا لم يكن فيه خلاعة . ونظر الاستاذ ذلك الجواز بكتب الأدب واللغة التي هي روايت خيالية ، وعلمية لا عملية كالمتمامات . ولما كان الداعي مختلفا هو وبعض العلماء في تلك الخلاعة اتفقنا على ان استغني سيادة الاستاذ في بيان وجهها . فسر الداعي تلك الخلاعة بما يتخذه الفساق ويحصل في المراقص لاني الروايات التي يمثل فيها النساء مع الرجال ، وهي روايات ادب وعلم وصدق وعدل . وفسر ذلك البعض الخلاعة بحال تلك النساء الممثلات . فانهن يكن كاشفات الرأس والوجه واليدين حتى ما فوق المرفقين واعلى الصدر . مع المعاينة الجريئة بين العاشق والمعشوقة وتقبيل جبهتها حسب ما يقتضي التمثيل . ويمكن ايضا لابسات الفخر الثياب مع زينة الحلي . فذكرت لهذا المفسران هذه الحال لا تكون الا لجرد التمثيل كي تظهر نتيجةها من حيث التوفيق بين العاشقين او الحكم عليهما حسب مقتضى امرهما كما هو من فوائد التمثيل التي تحدث عظة او خلق في نفس الراي .

ثم اتني ذكرت لذلك العالم انه يسوغ أن يقاس ما فسرنا انا على الحديث الصحيح الذي فيه ان عائشة رضي الله عنها كانت تنظر مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الرجال وهم يلعبون . فلما اورد هذا الحديث على الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو يحرم نظر الاجنبية الى الاجنبي . اجاب ان نظرها انما هو للعب نفسه ولم يكن مقصودا به النظر المجرد الى الرجال . فقال لي ذلك العالم ان ذلك كان في

زمن غير زمنا المعروفة احواله . فاجبته بان تخيل الفسق يكون امة على من يتخيله .
فهذا خلافتنا رفعته الى مولاي الاجل كي يحكم بيننا بالحق . فلنرجو الجواب في الجزء
الآتي من المنازع اعز الله به الاسلام وناصريه والحمد لله اولاً وآخراً .

بيروت : الأربعاء ٢٤ رجب سنة ١٣٣٢ الهادي : راغب القباني

(ج) ان الخلاعة التي ينبغي ان تكون مانسة من رؤية تمثيل القصص هي
ما كان ذريعة للفسق وفساد الأخلاق . فانه ليس لأحد ان يحرم شيئاً غير محرم
الله ورسوله بالنص او اقتضاء النص وهو سد الذرائع . فمن يخاف ان يغريه هذا
التمثيل في بعض القصص بفعل محرم وجب عليه اجتنابه . ومن لا يخاف على نفسه
ذلك تباح له رؤيته . واذا غلب فيه كونه ذريعة لمجرم يصح اطلاق القول بتحريمه .
ولم يثبت هذا . بل المعروف ان من يحضرون هذا العمل يكون جل همهم مراقبة
الاعمال كروية عائشة للعب الحبش ، وان يعرفوا الوقائع وعاقبتها وما لها . وقلم سمعنا
أن احداً منهم يحفل بغير ذلك . فان وجد من افتتن في بعض البلاد باصراً مثلاً فلا
يصح ان يجعل نفس التمثيل ذريعة لذلك على الاطلاق . اذ ثبت في كل زمن ان
بعض الناس يقتنون ببعض الحسان في الطرق او المعابد . اما النساء التي يمثلن في بعض
القصص مكشوفات الرؤوس والسواعد فلسن — كما يفهم في هذه الاقطار — بمسلمات
ولا يكلفن من فروع الشريعة ما تكلفه المسلمات . وقد جرى عرف أهل ملتهن
على اسقاط حرمة الستر فلا يعدونه فضيلة بل نقصاً . وهن يمشين في الأسواق والشوارع
حاسرات كما يكن في معاهد التمثيل . ولا فرق بين رؤيتهن في الأسواق ورؤيتهن
في تلك المعاهد ولا بين الاختلاف الى الأسواق وهن فيها والاختلاف الى تلك المعاهد
وهن فيها . والعبرة في ضرر ما يمثل من حيث الخلاعة والتهاك وغيره بموضوع القصة .
فاذا كان موضوعها اعمالاً منكورة بحيث يكون تأثيرها سيئاً ضاراً ، فلا وجه للتردد
في حظر ما كان كذلك ومنعه ان امكن والا فلا امتناع من رؤيته . واما ما كان
موضوعه حسناً مرغباً في الفضيلة ، منفراً عن الرذيلة ، اوميناً لعواقب ظلم الحكم ،
واستبدادهم في الاحكام . ومرشداً للأمة الى ازالة الظلم ، وأطر الظالمين على الحق ،
ومجرثاً لها على مقاومة العدوان والبغي — فهو الذي يعده الحكماء من مربيات
الأمم ، ومهذبات الاخلاق ، وينظمونه في سلك اساليب التربية العملية

نموذج آخر من مدارج السالكين

من بحث تغير الاخلاق وعدمه في ضرب مثل للاتضاع بكل خلق وكل غريزة وعدم محاولة تغييرها

فصل

نافع جدا عظيم النفع للسالك بوصله عن قريب ، ويسير باخلاقه التي لا يمكنه ازالها ، فان اصعب ما على الطبيعة الانسانية تغير الاخلاق التي طبعته عليها ، وأحباب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة انما عملوا عليها ولم يظفروا اكثرهم بتدليلها ، لكن النفس اشتغلت بتلك الرياضات عن ظهور سلطانها ، فاذا جاء سلطان تلك الاخلاق وبرز كسر جيوش الرياضة وشتها واستولى على مملكة الطبع . وهذا فصل يصل به السالك مع تلك الاخلاق ولا يحتاج الى علاجها وازالتها ، ويكون سيره أقوى وأجل واسرع من سير العامل على ازالها .

ونقدم قبل هذا مثالا نضربه مطابقا لما نريده وهو : نهر جار في صبيه ومنحدره ، ومنته الى تفریق ارض وعمران ودور ، وأحبابها يعلمون انه لا ينتهي حتى يجرب دورهم ويتلف أراضيهم واموالهم ، فاقسموا ثلاث فرق : فرقة صرفت قواها وقوى أعمالها الى سكره وحبه وإيقافه فلم تصنع هذه الفرقة كبير أمر ، فانه يوشك ان يجتمع ثم يحمل على السكر فيكون إفساده وتخريبه أعظم . وفرقة رأت هذه الحالة وعلمت انه لا يعني عنها شيئا فقالت : لا خلاص من محذوره الا بقطعه من أصل ينبوع ، فرامت قطعه من أصله فتمذر عليها ذلك غاية التمذر ، وأبت الطبيعة النهرية ذلك اشد الالباء ، فهم دائما في قطع ينبوع ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع ، فاشتغل هؤلاء بشأن هذا النهر عن الزراعات والعمارات وغرس الاشجار . فجاءت فرقة ثالثة خالفت رأي الفريقين وعلموا أنهم قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراه المنتهي الى خراب العمران ، وصرفوه الى موضع ينتفعون بوضوئه اليه ولا يتضررون به ، فصرفوه الى ارض قابلة للنبات وسقوها به ، فانبتت انواع العشب والكلام والثمار المختلفة الاصناف ، فكانت هذه الفرقة هم أصوب الفرق في شأن هذا النهر :

فإذا تبين هذا المثل فالله سبحانه اقتضت حكمته ان ركب الانسان بل سائر الحيوان على طبيعة محمولة على قوتين غضبية وشهوانية وهي الارادة ، وهاتان القوتان هما الحاملتان لالاخلاق النفس وصفاتها ، وهما مركزتان في جبهة كل حيوان ، فقوة الشهوة والارادة يجذب المنافع الى نفسه ، وقوة الغضب يدفع المضار عنها ، فاذا استعمل الشهوة في طلب ما يحتاج اليه تولد منها الحرص ، واذا استعمل الغضب في دفع المضرة عن نفسه تولد منه القوة والعزة ، فاذا عجز عن ذلك المضار أورثه قوة الحقد ، وان اعجزه وصول ما يحتاج اليه ورأى غيره مستبدا به أورثه الحسد . فان ظفر به أورثته شدة شهوته وارادته خلق البخل والشح ، وان اشتد حرصه وشهوته على الشيء ولم يمكنه تحصيله الا بالقوة الغضبية فاستعملها فيه أورثه ذلك العدوان والبغي والظلم ، ومنه يتولد الكبر والتعثر والخيلاء ، فانها اخلاق متولدة من بين قوتي الشهوة والغضب ، وتزوج احدهما بصاحبه .

فاذا تبين هذا فالنهر مثال هاتين القوتين ، وهو منصب في جدول الطبيعة ومجرها الى دور القلب وعمرانه وحواصله بذهبها وتلفها ولا بد ، فالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجره تغرب ديار الايمان وقلع آثاره وهدم عمرانه ، وانبت موضعها كل شجرة خيشمة من حنظل وضريع وشوك وزقوم ، وهو الذي يأكله أهل النار يوم القيامة يوم المعاد ، واما النفوس الزكية الفاضلة فانها رأت ما يؤول اليه امر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق ، فمخاطب الرياضات والمجاهدات والحلوات والتمرنات راموا قطعه من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجملة البشرية ، ولم تنقد لهم الطبيعة ، فاشتد القتال ودام الحرب وحمى الوطيس وصارت الحرب دولا وسجالا ، وهؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدة النفس على ازالة تلك الصفات .

وفرقة عرضوا عنها وشغلوا نفوسهم بالاعمال ولم يحيموا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها ، لكن لم يمكنوا نهرها من إفساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحصين العمران واحكام بنائه واساسه ، ورأوا ان ذلك النهر لا بد ان يصل اليه فاذا وصل الى بناء محكم لم يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا ، فهؤلاء صرفوا قوة عزيمتهم وارادتهم في العمارة واحكام البناء ، وأولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء . وسألت يوما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقطع الأكفات والاشتغال بتنقية الطريق وتنظيفها ، فقال لي جملة كلامه : النفس مثل الباطوس (وهو جيب القدر) كلما نبشته ظهر وخرج

ولكن ان أمكنك ان تسقف عليه وتعبره ونحوه فافعل ، ولا تشتغل بنبشه فانك لن تصل الى قراره ، وكلما نبشت شيئا ظهر غيره ، فقلت : سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ فقال لي : مثل آفات النفس مثال الحيات والمقارب التي في طريق المسافر فان اقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولم يمكنه السفر قط . ولكن لتكن همتك المسير والاعراض عنها وعدم الالتفات اليها . فاذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك . فاستحسن شيخ الاسلام ذلك جدا ، واثني على قائله .

اذا تبين هذا فهذه القرعة الثالثة رأيت ان هذه الصفات ما خلقت سدى ولا عشا ، وانها بمنزلة ماء يسقى به الورد والشوك والثمار والحطب ، وانها صوان واصداف لجواهر منطوية عليها دواما فاخاف منه أولئك هو نفس سبب الفلاح والظفر ، فرأوا أن الكبر نهر يسقى به العلو والفخر والبطر والظلم والعدوان ، ويسقى به علو الهمة والانفة والحمية والمراغمة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم ، وهذه درة في صدفته ، فصرفوا مجراه الى هذا القراس واستخرجوا هذه الدرة من صدفته وأبقوه على حاله في نفوسهم ، لكن استعملود حيث يكون استعماله اتفع ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ابا دجانة يتبختر بين الصفيين فقال « انها لمشية يبخسها الله الا في مثل هذا الموضع » فانظر كيف خلى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق مجري في احسن مواضعه ، وفي الحديث الآخر واظنه في المسند « ان من اخلبلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فالخلبلاء التي يحبها الله احتمال الرجل في الحرب وعند الصدقة » فانظر كيف صارت الصفة المذمومة عبودية ، وكيف استحال القاطع موصلا . فصاحب الرياضات والعامل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات ، هيئات هيئات ، انما يوقع ذلك في الآفات والشبهات والضلالات ، فان تزكية النفوس مسلم الى الرسل ، وانما بغضهم الله لهذه التزكية وولاهم اياها ، وجعلها على ايديهم دعوة وتعلما وبيانا وارشادا ، لا خلقا ولا اطلاما ، فهم المبعوثون لاعلاج نفوس الامم ، قال الله تعالى (هو الذي بعث في الامم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم - الى قوله - لقي ضلالا مبين) وقال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحسمة ويعلمهم ما لم تكونوا تعلمون » فاذا كررتي اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وتزكية النفوس أصعب من علاج الابدان واشد ، فن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجنى بها الرسل ، فهو كالمرضى الذي يعالج نفسه برأيه ، وأين رأيه من معرفة الطبيب ؟ فالرسل اطباء القلوب فلا سبيل الى تزكيتها وصلاحتها الا من طريقهم وعلى ايديهم ، وبحض الاقياد والتسليم لهم ، والله المستعان .

الدين والتدين . والاحاد والتعطيل

التدين غريزة فطرية ، والدين حاجة من حاجات البشر الطبيعية ، والاحاد والتعطيل إما نقص في الفطرة ، كما يولد بعض الناس مخدوجا بنقص حاسة من حواسه ، او تشوه عضو من اعضائه ، واما تصرف سيئ في الفطرة ، وحماية على الطبيعة . وقد خلق الله الانسان في هذه الأرض واعطاه فيها سلطان التصرف فيها وفي نفسه . واسجد له من فيها من ملائكته ، الذين هم كالملكات والقوى في تدبير الأمر ، واقامة النظام في الخلق ، فهو بهذا التصرف فيها يفد فيها ويسفك الدماء ، كما يصلح ويعمر وينفع الناس : يجني على نفسه فيحملها فوق طاقتها ، ويعرضها للأمراض التي لا قبل له بها ، ويجني على غيره بالعدوان والبغي ، واهلاك الحرث والنسل . فلا غرو اذا جنى على الدين ، بشبهة دليل او بغير دليل .

كان السواد الأعظم من الناس متدينا ، ولا يزال السواد الأعظم من الناس متدينا ، وسبق السواد الأعظم من الناس متدينا . ولكنهم يتصرفون في اديانهم كما يتصرفون في انفسهم وابدانهم ، وسيظلون زمنا طويلا في اضطراب ومخض ، بين رفع وخفض ، وابرار ونقض ، حتى تزول العصبيات الدينية ، وتسقط الرياسات المذهبية ، ويكون الدين لله ، لا للخلفاء والاشياخ ، ولا للرهبان والأجبار ، ويكون للانسان الحرية فيه والاستقلال ، فيتفق أكثر المختلفين ، ويجتمع أكثر المتفرقين ، فتنتشع السحب عن دين الفطرة ، ويدخلون في السلم كافة

كان الناس متدينين ، وكان يكون في كل جبل منهم في كل عصر اناس من المعطلين ، وافراد من الملحدين ، كما يوجد فيهم العمي الذين لا يبصرون . والصم الذين لا يسمعون ، والبكم الذين لا ينطقون . (٥ : ٣٣) وقالوا ما هي الاحياتا الدنيا ، نموت ونهيا ، وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) هذه حكاية القرآن عن بعض جاهلية العرب . وحكى مثله عن قوم نوح أقدم من أثر تاريخهم من الامم . ولكن بعض ملاحدة عصرنا يظنون لجهلهم بالتاريخ ان هذا الشذوذ خاص بالفلاسفة ، واصحاب الافكار الراقية ، ولهذا الامتياز الوهي

صار بعض الفوضىاء يكفر بالتقليد ، لينتظم في سلك الفلاسفة الجديدين . ويتفلسف من قيد التكليف

نعم يوجد من أهل النظر من حججه نظريات الفلسفة ، ومسائلها وتطبيقاتها المسئلة ، عن الدين وجوهره ، وما كان من حسن أمره ؛ ففطقوا ينفقون بتلك النظريات والمسلّمات ، ظواهر الدين وتقاليد المحدثات ، وخيل اليهم أنهم فازوا بقصب الزهراء ، وأبرهوا جيوش الأوهام بسيف البرهان . وما ذلك إلا وهم يناطحونها ، هذا يسميه هدى وذلك يدعوه علما ، ولو كانت تلك النظريات علما يقينيا لما تنازعت فيها الأفكار ، واختلفت باختلاف الأجيال والأعصار ، فإن فلسفة هذا الزمان ، قد تقصت معظم فلسفة اليونان ، وينقص بعضها بعضا في كل عام . وأما علم اليقين ، فلا شيء منه بمنقضى لهداية الدين ، وإن نقص بعض تواريج الكتب المقدسة في بعض الأديان ، وبعض عقائدها المحترمة التي ما أنزل الله بها من سلطان . وحاشا دين القرآن ، الذي كفل حفظه الرحمن ، فلم تؤثر فيه تأويلات المتكلمين ، ولا تعليقات المنقّحين ، دع باطل أهل الزيغ أو الزندقة ، كالباطنية والمنطسفة . ان في الفلاسفة متدينين ، كما ان فيهم ماديين ، وكذلك اصحاب العقول الكبيرة من العلماء والقواد والسياسيين . فلولستوي الفيلسوف الروسي كان متدينا . والبرنس سبارك كان متدينا ، وإمام الاطباء باستور كان متدينا ، وإن اكبر قائد حربي في فرنسا اليوم متدين . كما كان ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد من فلاسفة المسلمين متدينين . وأمثالهم كثيرون في كل أمة

نعم ان دين امثال هؤلاء قديخا في أصوله وفروعه دين العوام المقلدين ، لان لعلومهم وفلسفتهم طريقا خاصا في فهمهم الدين ، والعامي المقلد تابع لمن يلقه ، والبيئة التي يعيش فيها كل منهم تأثير في فهم ما يتلقه . فاذا كان العالم المستقل يخطئ في فهم حقيقة الدين في قليل من المسائل ، فالجاهل المقلد اجدر بالخطأ في فهم الاكثري منها . يفتخر كثير من مقلدة الإلحاد في أمتنا بمن اشتهر من ملاحدة علماء الأفرنج ، غافلين عن الاعتبار بحال المتدينين منهم ، وما كل من طعن في الكنيسة واهلها من علماء الأفرنج كافر بالله ورسوله . بل هؤلاء دين غير دين الكنيسة ، وتكفر الكنيسة

لهم ككثير من المتكلمين والصوفية لابن سينا وامثاله. فمن متدنيي الافرنج المقلدون، ومنهم العقليون والموحدون. ولعل دين السواد الاعظم من المتعلمين المذهبيين منهم كدين (مدام كلابر) : عجوز فرنسية ذات علم وادب، من بيت في ليون محترم، جاورتنا مرة في الدار، قرأتها لا تذهب الى الكنيسة في ايام الاحاد، فسألتها : ما بالك لا تذهين الى الكنيسة؟ الست متدينة؟ قالت : انا مؤمنة بالله وأصلي له في بيتي، وما فضل الكنيسة على البيت؟ انها لا فضل لها الا ان فيها رجالا يأكلون اموالنا... قلت : اتدينين بعقيدة التثليث؟ قالت لا اعرف التثليث، اعرف ان الرب واحد. قلت وما تقولين في السيد المسيح عليه السلام؟ قالت « مثل نبي » فهذه حال اهل التعليم العالي في التوم. دع السواد الاعظم من العامة، وكثيرا من يمدون من الخاطئة، الذين يتمسكون بمذاهبهم التقليدية، لا يثنيهم عنها انكار العقليين ولا غيره

أفلا ينظرون من وراء ذلك كله - جهلوه ام عرفوه - الى ما يبذله الإفرنج من ملايين الجنيهات لجمعياتهم الدينية لأجل نشر دينهم في الخاطئين، وتعميمه في المشرقين والمغربين؟ يقول بعضهم بغير علم: ان الغرض من ذلك سياسي لا ديني. كذبوا، وحكموا بما لم يعلموا، ان تلك الملايين يبذلها الشعب الذي لا يعرف السياسة. ولا ننكر ان اهل السياسة يستفيدون من سعي المبشرين، فاذا كانت حكومة روسيا تستفيد بسياستها من تنصير دعاة الارثوذكسية لسلبي بلادها، وانكثرة تستفيد من تنصير دعاة البروتستانتية لمن ينصرون من اهل الهند والسودان، فاي فائدة سياسية لأمرىكة في بث دعاة النصرانية في بلاد العرب والترك والفرس والهند وسائر الأقطار؟

تأملت في حال ملاحدة هذا العصر، فما رأيت اشد حماية، وابعد غواية، واضل سبيلا، وافسد قبيلا، من ملاحدة المسلمين الجغرافيين.

ما رأيت احدا منهم صاحب دعوة سياسية في أمة قد ثبت عنه ان الاسلام يعارضها، ويحول دون التحول السياسي والاجتماعي الذي يراد بها، فهو يفر من الاسلام ويفر عنه لأجلها، كيف وهم يعترفون تبعاً لحكام الافرنج بان الدين اقوى

عوامل السياسة ولا سيما دين الاسلام ، كما صرح بذلك علماء الاجتماع ما رأيت احدا منهم صاحب مذهب فلسفي أدبي ثبت عنده أن حكمة الاسلام تناقضه ، وأن صلاح الأمة لا يكون الا به ، فهو يلجج بالاعتراض على الاسلام ، لانه عقبة في طريق ما يحاول من الاصلاح . كيف وان الترية عند أئمتهم - أكثر الافرنج لانزال قائمة على اساس آداب الدين ؟

ما رأيت احدا منهم عني ببقه القرآن وصحيح السنة . وما كان عليه سلف الأمة ، ثم عرضت له شبه قوية على صحة تلك الهداية فهو يريد التفصي منها ، وقد خاتمت اليينات والدلائل المزيلة لها . كيف ونحن نعلم ان أكثرهم لم يقرأ تفسير سورة من السور . ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الأثر ؟ وان من له العلم بشي من علم الدين ، قلما يعرف الا بعض القشور من هذه التقاليد ، فهو يهزأ بالدين لأجل خرافة او بدعة ، يحسب انها عقيدة ثابتة اوسنة .

ألا انهم على ما هم عليه من جهل بحقيقة الاسلام ، وقصور عن النهوض بدعوة الى الاصلاح ، يطلقون للسانهم العنان ، فيجمع بهم في كل ميدان . فمنهم من يتشدد بالسياسة ، ومنهم من يتفهب بالمقابلة بين القانون والشرعية ، ومنهم من يهتد بالأخلاق والآداب . ومنهم من يهذي بالاعتراض على العبادات ، يتخفون الكلام في ذلك هزوا ولها ، وافا كيه يتلذذون بها تلذذا ، في زمن قل فيه العلم بأسرار الدين ، والبصير بحكم التشريع ، الذي يفرق بين الأصول الثابتة بالدليل ، والنصوص التي لا تحتمل التأويل . وبين الفروع المستنبطة بالاجتهاد ، والظواهر التي لم يعم منها المراد . على ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته ، ومن مفصح للشرع عن حكمته ، ولكن هؤلاء بمعزل عن الحجة واهلها . هي مجهولة لهم فهم لا يطلبونها ، ثقيلة عليهم فاذا تليت عليهم آياتها لا يسمعونها . الا من كان سليم الفطرة ، قريب العهد بهذه الهجورة . وطالما تأذتهم المنازع بما يذهب بالتملات والاعذار من الاستعداد لانزاله كل شبهة ، والتصدي لكشف كل غمة .

يا سبحان الله ! أتبيع السياسة لبسمرك أعظم رجال أوربة في القرن الماضي - وهو كما قال جمهوري بالطبع - ان يكون على دين يناقض طبعه فيجعله عبدا للملك

بروسية ، لأنه يقول له ان سلطة الملوك من الله ؟ - ولا تبيح هؤلاء المتشددين منا ان يكونوا على دين سبق كتابه الى وضع اعظم اساس للحكم الذاتي بقوله (وامرهم شورى بينهم) ؟ واقام على هذا الاساس اركان المصالح المرسلة ، وجعل رفع المفسدة مقدما على جلب المصلحة ؟ - الى غير ذلك من الاركان الثابتة ، ثم قس على هؤلاء المتشددين ، أمثالهم من المثنيقيين والمهاذين والمهاذرين .

وان تمعج فمعجب خوضهم في مسائل الاخلاق والآداب ، فقد اقبلت عقولهم فيها شر الاقلاب ، حتى صار فيهم من يعد المنة والغيرة والرحمة من الرذائل ، وأضدادها من الفضائل ، بناء على قاعدة الانتخاب الطبيعي التي تعري القوي بالضعيف ، وتبيح له ان يجعل بسلب حياته ويستأثر دونه بزوجه وماله ، ولعل واحدهم لا يرجع عن هذه الغواية الا اذا مسه الضر ، وعضه ناب الفقر ، وتصدى اخوانه في الكفر لا زهاق روحه ، وتعدى أخذانه في الاحاد على عرض زوجه ، ومنعواها من خدمته ومواساته . بناء على قاعدتهم في كون الحق في ذلك للقوي القادر على الإتيان ، والقيام بشؤون الاجتماع !

ألا إن من بلغ هذه الغاية من ارتكاس الفطرة ، وانتكاس الفكرة ، فصار يرى الحقائق بغير صورها ، ويزن الاشياء بغير ميزانها ، فلا طمع في هدايته ، ولا رجاء في مناظرته ، أولئك الذين حتم الله على قلوبهم وسمهم وأبصارهم ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، ويمارونك في البهيمى وقد تبين .

واما أكثر الخدوعين ، بأوهام هؤلاء المبطلين ، فهم مستعدون لقبول الدليل ، والاهتداء الى سواء السبيل ، اذا تداركهم العلماء والراسخون ، وتجاهدهم الحكماء الربانيون ، ولكن قل العلماء القادرون على كشف الهميات ، وكثير المشتهبون ، فالاصلاح موقوف على تكثير سواد المصلحين الجامعين بين علوم الدنيا والدين ، مع استقلال الفكر ، وتركية النفس ، ولا يكون هذا التربية وتعليم ، على صراط الحق المستقيم . فقل للذين هم على الدين يقارون : : لمثل هذا فليعمل العاملون . فسارعوا اليه ان كنتم صادقين ، . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

فصل^{*}

﴿الاجتناع بالتشدد في الدين . والتزام ما لم يزد وتبني آثار الصالحين﴾
من كتاب الاعتصام للشاطبي

ثم اني بماخذ آخر من الاستدلال على صحة ما زعم ، وهو أن الدعاء على ذلك الوجه لم يرد في الشرع نهى عنه مع وجود الترغيب فيه على الجملة ، ووجود العمل به . فان صح أن السلف لم يعملوا به ، فالترك ليس بموجب لحكم في المتروك الاجواز الترك وانتفاء المخرج خاصة ، لا تحريم ولا كراهية .

وجميع ما قاله مشكل على قواعد العلم وخصوصا في العبادات - التي هي مسائلنا - اذ ليس لأحد من خلق الله أن يحترع في الشريعة من رأيه امرا لا يوجد عليه منها دليل ، لانه عين البدعة ، وهذا كذلك ، اذ لا دليل فيها على اتخاذ الدعاء جهرا للحاضرين في آثار الصلوات دائما ، على حد ما تقدم ، بحيث يمد الخارج عنه خارجا عن جماعة أهل الاسلام متجزا ومتميزا^(١) - الى سائر ما ذكر ، وكل ما لا يدل عليه دليل^(٢) فهو البدعة والى هذا^(٣) فان ذلك الكلام يوم ان اتباع المتأخرين المتقلدين خير من اتباع الصالحين من السلف ، ولو كان في احد جائزين ، فكيف اذا كان في امرين احدهما متيقن انه صحيح والآخر مشكوك فيه ؟ فيتبع

(*) تابع لما نشر في ص ٤٣٣ ج ٦

(١) كذا في الاصل (٢) سقط لفظ دليل من الاصل (٣) لعله : وعلى هذا

المشكوك في صحته ، ويترك ما لا مزية في صحته ولو لما من يتبعه ^(١)
ثم إطلاقه القول بأن الترك لا يوجب حكماً في المتروك إلا جواز
الترك ، غير جارٍ على أصول الشرع الثابتة . فنقول إن هنا أصلاً لهذه
المسئلة لعل الله ينفع به من أنصف من نفسه : وذلك أن سكوت الشارع
عن الحكم في مسألة ما أو تركه لأمر ما على ضريين .

(أحدهما) أن يسكت عنه أو يتركه لأنه لا داعية له نقضه ، ولا
موجب يقرر لاجله ، ولا وقع سبب تقريره ، كالنوازل الحادثة بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنها لم تكن موجودة ثم سكّت عنها مع وجودها ،
وأما حدثت بعد ذلك ، فاحتاج أهل الشريعة إلى النظر فيها وإجراء ما على
ما تبين في السكيات التي كل بها الدين ، وإلى هذا الضرب يرجع جميع
ما نظّر فيه السلف الصالح مما لم يسته رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الخصوص مما هو معقول المنى ، كتنمين الصناعات ، ومسئلة الحرام ،
والجد مع الأخوة ، وعول الفرائض . ومنه جميع المصحف ، ثم تدوين
الشرائع ، وما أشبه ذلك مما لم يحتج في زمانه عليه السلام إلى تقريره
للتقديم ^(٢) كلياته التي تستنبط منها ، إذا لم تقع أسباب الحكم فيها ولا القوتى
منه عليه السلام ، فلم يذكر لها حكم مخصوص .

فهذا الضرب إذا حدثت أسبابه فلا بد من النظر فيه وإجراء ما على
أصوله إن كان من العاديات ، أو من العبادات التي لا يمكن الإقتصار فيها
على ما سمع ، كمسائل السهو والنسيان في إجراء العبادات . ولا اشكال

(١) كذا في الأصل (٧) كذا في الأصل وهو محرف . ولعل في الكلام
حدثاً أيضاً والمعنى المراد ظاهر ، وهو أن ما لم يحتج إلى تقريره في عصر النبوة
من جزئيات الأحكام قد وجد في الشريعة من القواعد الكلية ما دخل به ويسمته تنبسط هو

في هذا الضرب ، لان أصول الشرع عقيدة ، واسباب تلك الاحكام لم تكن في زمان الوحي ، فالكسوت عنها على الخصوص ليس بحكم يقتضي جواز الترك أو غير ذلك ، بل اذا عرضت النوازل روجع بها اصولها فوجدت فيها ، ولا يجدها من ليس بجتهد ، وانما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه .

(والضرب الثاني) أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص أو يترك امرا ما من الأمور ، وموجه مقتضي له قائم ، وسببه في زمان الوحي وفيما بعده موجود ثابت ، الا انه لم يحدد فيه امر زائد على ما كان من الحكم العام في امثاله ولا ينقص منه ، لانه لما كان المعنى الموجب لشرعية الحكم العقلي الخاص موجودا ثم لم يشرع ولا به على السبطا (١) كان صريحا في ان الزائد على ما ثبت هنالك بدعة زائدة ومخالفة لقصد الشارع ، اذ فهم من قصده الوقوف عند ما حد هنالك لا الزيادة عليه ولا النقصان منه ولذلك مثال فيما نقل عن مالك بن أنس في سماع اشهب وابن نافع هو غاية فيما نحن فيه ، وذلك ان مذهبه في سجود الشكر الكراهية وانه ليس بمشروع وعليه بني كلامه . قال في العتبية : وسئل مالك عن الرجل يأتيه الامر يحبه فيسجد لله عز وجل شكرا ؟ فقال : لا يفعل هذا مما مضى من امر الناس . قيل له : ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه - فيما يذكر - سجد يوم اليمامة شكرا لله . أفسمعت ذلك ؟ قال : ما سمعت ذلك ، وانا أرى ان قد كذبوا على أبي بكر . وهذا من الضلال ان يسمع المرء الشيء فيقول : هذا لم تسمعه مني . قد فتح الله على رسول الله صلى

(١) كذا والمعنى ولم ينه على قاعدة لاستنباطه منها

الله عليه وسلم وعلى المسلمين بعده . أفسمت ان احدا منهم فعل مثل هذا ؟ اذ ما قد كان في الناس وجرى على أيديهم سمع عنهم فيه شيء ، فمليك بذلك فانه لو كان لذكر ، لانه من أمر الناس الذي قد كان فيهم ، فهل سمعت ان احدا منهم سجد ؟ فهذا اجماع . واذا جاءك امر لانه فانه فدعه ... تمام الرواية - وقد احتوت على فرض سؤال والجواب بما تقدم .

وتقرير السؤال ان يقال في البدعة - مثلا - : انها فعل سكت الشارع عن حكمه في الفعل والترك ، فلم يحكم عليه بحكم على الخصوص ، فالأصل جواز فعله ، كما أن الأصل جواز تركه ، اذ هو معنى الجائز ، فان كان له أصل جملي فاحرى ان يجوز فعله ، حتى يقوم الدليل على منعه أو كراهته ، واذا كان كذلك ، فليس هنا مخالفة لقصد الشارع ، ولا ثم دليل خالفه هذا النظر ، بل حقيقة مانحن فيه انه أمر مسكوت عنه عند الشارع ، والسكوت عند الشارع لا يقتضي مخالفة ولا موافقة ، ولا يمين الشارع قصدا مادون ضده وخلافه ، واذا ثبت هذا فالعمل به ليس بمخالف اذ لم يثبت في الشريعة نهى عنه .

وتقرير الجواب : معنى ما ذكره مالك رحمه الله ، وهو أن التشديد عن حكم الفعل أو الترك هنا اذا وجد المعنى المقتضي له اجماع من كل ساكت على أن لازائده على ما كان . اذ لو كان ذلك لائقا شرعا أو سائما لتعلوه ، فهم كانوا احق بادراكه والسبق الي العمل به ، وذلك اذا نظرنا الى المصلحة ، فانه لا يخلو إما أن يكون في هذه الأحداث مصلحة أو لا . والثاني لا يقول به أحد . والاول إما ان تكون تلك المصلحة الحادثة آكد

من المصلحة الموجودة في زمان التكليف أولاً ، ولا يمكن ان يكون ^(١) مع كون الحادثة زيادة تكليف ، ونقضه ^(٢) عن المكلف اخرى بالأزمة المتأخرة ، لما يعلم من قصور الهمم واستيلاء الكسل ، ولأنه خلاف بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، ورفع الحرج عن الأمة ، وذلك في تكليف العبادات ، لان العادات أمر آخر - كما سيأتي - وقد مر منه ^(٣) فلم يبق الا ان تكون المصلحة الظاهرة الآن مساوية للمصلحة الموجودة في زمان التشريع أو أضعف منها ، وعند ذلك تصير هذه الاحداث عبثاً أو استندراكاً على الشارع ، لان تلك المصلحة الموجودة في زمان التشريع ان حصلت للأولين من غير هذا الاحداث اذا عبث ^(٤) اذ لا يصح أن يحصل للأولين دون الآخرين ؛ فقد صارت هذه الزيادة تشريعاً بعد الشارع بسبب الآخرين ما فأت للأولين ^(٥) فلم يكمل الدين إذا دونها ، ومعاذ الله من هذا المأخذ .

وقد ظهر من العادات الجارية فيما نحن فيه ان ترك الأولين لأمر ما من غير أن يمينوا فيه وجها مع احتماله في الأدلة الجمالية ووجود المظنة ، دليل على ان ذلك الأمر لا يعمل به ، وأنه إجماع منهم على تركه .

(١) انظر اسم أن يكون وخبره / الظاهر انه قد سقط من النسخ . والمعنى الذي يقتضيه السياق وبتعين مما يأتي هو نفي كون المصلحة الحادثة أكد ، لانه يقول انها مساوية أو أضعف . فلعل أصل الكلام : « ولا يمكن ان يكون أكد » وقوله مع كون الحادثة الخ تعليل للتفني (٢) كذا ولعل الأصل نقصه بالصاد المهملة ، أي نقص التكليف وتخفيفه

(٣) كذا ولعل الأصل « وقد مر شيء منه » أو ما هو بمعنى هذا

(٤) لعل الأصل « فبني اذا عبث » (٥) لعل الأصل « بسبب الآخرين ما فأت الأولين »

قال ابن رشد في شرح مسألة العتبية : الوجه في ذلك انه لم يره مما شرع في الدين - يعني سجود الشكر - فرضاً ولا نفلاً ، اذ لم يأمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله ، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله ؛ والشرائع لا تثبت الا من احد هذه الامور - قل - واستدلالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولا المسلمون بعده ، « بان ذلك لو كان لنقل » صحيح ، اذ لا يصح ان تتوفر الدواعي على ترك نقل شريعة من شرائع الدين ، وقد أمروا بالتبليغ - قال - وهذا أصل من الاصول ، وعليه يأتي اسقاط الزكاة من الخضر والبقول مع وجود سبب الزكاة فيها ، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم « فيما سقت السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر » لا نأزلك ترك نقل اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة منها كالسنة القائمة في ان لا زكاة فيها ؛ فكذلك نزل ترك نقل السجود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشكر كالسنة القائمة في ان لا سجود فيه . ثم حكى خلاف الشافعي والكلام عليه ؛ والمقصود من المسئلة توجيه مالك لها من حيث انها بدعة ، لا توجيه انها بدعة على الاطلاق .

وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل ، وانه بدعة منكرة ، من حيث وجد في زمانه عليه السلام المعنى المقضي للتخفيف والترخيص للزوجين باجازه التحليل ليتراجعا كما كانا أول مرة ، وانه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاعه على رجوعها اليه دل على أن التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها . وهو أصل صحيح اذا اعتبر وضع به ما نحن بصدده ، لأن التزام الدعاء بآثار الصلوات جهرا للحاضرين

في مساجد الجماعات لو كان صحيحاً شرعاً أو جائزاً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك أن يفعله .

وفد على المسكر هذا الموضع بعلة تقتضي المشروعية ، وبني على فرض أنه لم يأت ما يخالفه وإن الأصل الجواز في كل مسكوت عنه .
أما أن الأصل الجواز فيمتنع ، لأن طائفة من العلماء يذهبون إلى أن الأشياء قبل وجود الشرع على المنع دون الإباحة ؛ فما الدليل على ما قال من الجواز ؟ وإن سألنا له ما قال : فهل هو على الإطلاق أم لا ؟ أما في العاديات فسلم ، ولا نسلم أن مانح فيه من العاديات ، بل من العباديات ، ولا يصح أن يقال فيما فيه تعبد : أنه يختلف فيه على قولين :- هل هو على المنع ؟ أم هو على الإباحة ؟ بل هو امر زائد على المنع ، لأن التعبديات إنما وضعوا للشارع^(١) فلا يقال في صلاة سادسة - مثلاً - : إنها على الإباحة ، فلم تكف وضعها - على أحد القولين - ليعتد بها لله . لأنه باطل باطلاق ، وهو أصل كل مبتدع يريد أن يستدرك على الشارع . ولو سلم أنه من قبيل العاديات أو من قبيل ما يعقل معناه ، فلا يصح العمل به أيضاً ، لأن ترك العمل به من النبي صلى الله عليه وسلم في جميع عمره ، وترك السلف الصالح له على توالي أزمنتهم ، قد تقدم أنه نص في الترك واجماع من كل من ترك ، لأن عمل الاجماع كنصه - كما أشار إليه مالك في كلامه - .

وأيضاً فما يعقل له لا يصح التعليل به ، وقد أتى الرادّ بأوجه منه (أحدها) أن الدعاء بتلك الهيئة ليظهر وجه التشريع في الدعاء ، وأنه

بآثار الصلوات مطلوب . ومأقاله يقتضي ان يكون سنة بسبب الدوام والاظهار في الجماعات والمساجد ؛ وليس بسنة اتفاقا منا ومنه ؛ فانقلب اذا وجه التشريع .

وأيضاً فان اظهار التشريع كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والى ، فكانت الكيفية المتكلم فيها أولى للاظهار ، ولما لم يفعله عليه السلام دل على الترك مع وجود المعنى المقتضي ، فلا يمكن بعد زمانه في تلك الكيفية الا الترك .

(والثاني) ان الامام يجمعهم على الدعاء ليكون باجتماعهم أقرب الى الاجابة . وهذه الملة كانت في زمانه عليه السلام ، لأنه لا يكون احد اسرع اجابة لدعائه منه ؛ اذ كان محاب الدعوة بلا اشكال ، بخلاف غيره وان عظم قدره في الدين فلا يبلغ رتبته ، فهو كان احق بان يزيدهم الدعاء لهم خمس مرات في اليوم والليلة زيادة الى دعائهم لأنفسهم .

وأيضاً فان قصد الاجتماع على الدعاء لا يكون بعد زمانه أبلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فكانوا بالنسبة لهذه المنقبة أولى .

(والثالث) قصد التعليم للدعاء ليأخذوا من دعائه ما يدعون به لانفسهم لئلا يدعوا بما لا يحوز عقلاً أو سرعاً . وهذا التعليل لا ينهض ، فان النبي صلى الله عليه وسلم كان المعلم الاول ، ومنه تلقينا ألفاظ الأدعية ومعانيها ؛ وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول :

رب العباد مالنا ومالك انزل علينا الغيث لا اباك

وقال الآخر :

لا همّ أن كنت الذي بمهدي ولم تغيرك الأمور بمهدي
وقال الآخر :

أبني لبني لا احبكم وجد الآله بكم كما اجد
وهي الفاظ يفتقر اصحابها الى التعليم ، وكانوا أقرب عهد بجاهلية
تعامل الاصنام معاملة الرب الواحد سبحانه ، ولا تنزهه كما يليق بجلاله ؛
فلم يشرع لهم دعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات دائماً ليعلمهم أو يعينهم
على التعلم اذا صلوا معه ، بل علم في مجالس التعليم ، ودعا لنفسه إثر الصلاة
حين بدا له ذلك ، ولم يلتفت اذ ذاك الى النظر للجماعة ، وهو كان أولى
انطلق بذلك .

(والرابع) ان في الاجتماع على الدعاء تعاوناً على البر والتقوى ، وهو
مأمور به . وهذا الاحتجاج ضعيف . فان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
انزل عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) وكذلك فعل . ولو كان الاجتماع
للدعاء أثر الصلاة جهرًا للحاضرين من باب البر والتقوى لكان أول
سابق اليه ، لكنه لم يفعله أصلاً ولا احد بعده حتى حدث ما حدث .
فدل على انه ليس على ذلك الوجه بر ولا تقوى .

(والخامس) ان عامة الناس لا علم لهم باللسان العربي ، فربما لحن
فيكون اللحن سبب عدم الاجابة . وحكى عن الاصمعي في ذلك
حكاية شعرية لا فقهية . وهذا الاحتجاج الى اللعب أقرب منه الى الجد ،
وأقرب ما فيه ان احداً من العلماء لا يشترط في الدعاء ان لا يلحن كما يشترط

الاخلاص وصدق التوجيه^(١) وعزم المسئلة، وغير ذلك من الشروط .
وتعلم اللسان العربي لاصلاح الالفاظ في الدعاء - وان كان الامام اعرف
به - هو كسائر ما يحتاج اليه الانسان من أمر دينه ؛ فان كان الدعاء
مستحبا فالقراءة واجبة، والفقهاء في الصلاة كذلك ؛ فان كان تعاليم الدعاء إثر
الصلاة مطاوعا ، فتعليم فقه الصلاة أكد ؛ فكان من حقه ان يجعل ذلك
من وظائف آثار الصلاة .

فان قيل بموجبه في المحرف المتعارف . فهذه القاعدة تجتث أصله ؛ لأن
السلف الصالح كانوا أحق بالسبق الى فضله لجميع ما ذكر فيه من الفوائد ،
ولذلك قال مالك فيها : أترى الناس اليوم كانوا ارغب في الخير ممن مضى ؟
وهو اشارة الى الاصل المذكور ، وهو أن المعنى المقتضي للاحداث -
وهو الرغبة في الخير - كان أتم في السلف الصالح وهم لم يفعلوه ، فدل
على انه لا يفعل .

وأما ما ذكر من آداب الدعاء فكله مما لا يتعين له إثر الصلاة ؛
بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم منها جملة كافية ولم يعلم منها
شيئا إثر الصلاة ، ولا تركهم دون تعليم ليأخذوا ذلك منه في آخر الصلاة ،
أولستغفوا بدعائه عن تعليم ذلك ؛ ومع ان الحاضرين للدعاء لا يحصل
لهم من الامام في ذلك كبير شيء ، وان حصل فلمن كان قريبا منه دون
من بعد .

(١) أي توجيه القلب الى الله تعالى المأخوذ من قوله (وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض) ويحتمل ان تكون (التوجه) الذي هو مطاوع التوجيه

فصل

ثم استدلل المستنصر بالقياس فقال : وان صح ان السلف لم يعملوا به ، فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم مما هو خير - ثم قال بعد : قد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « تحدث للناس افضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفجور .

وهذا الاستدلال غير جار على الاصول : (أما أولاً) فانه في مقابلة النص ، وهو ما أشار اليه مالك في مسألة العتبية ، فذلك من باب فساد الاعتبار . (وأما ثانياً) فانه قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي ؛ وهذا ليس كذلك . (وأما ثالثاً) فان كلام عمر بن عبد العزيز فرع اجتهادي جاء عن رجل مجتهد يمكن أن يخطئ فيه كما يمكن أن يصيب ، وانما حقيقة الاصل أن يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أهل الاجماع ؛ وهذا ليس عن واحد منهما . (وأما رابعاً) فانه قياس بغير معنى جامع أو بمعنى جامع طردي^(١) ؛ ولكن الكلام فيه سيأتي - إن شاء الله - في الفرق بين المصالح المرسلة والبدع .

وقوله « ان السلف عملوا بما لم يعمل به من قبلهم » حاش لله ان يكونوا ممن يدخل تحت هذه الترجمة . وقوله « مما هو خير » أما بالنسبة الى السلف فاعملوا خيراً ، وأما فرعه المقيس فكونه خيراً دعوى ، لأن كون الشيء خيراً أو شراً لا يثبت الا بالشرع ، أو لأن الدعاء على تلك الهيئة غير خير شرعاً .

(١) لعل الاصل « غير طردي »

وأما قياسه على قوله «تحدث للناس أفضية» فما تقدم^(١) وفيه أمر آخر، وهو التصريح بأن إحداث العبادات جائز قياساً على قول عمر، وإنما كلام عمر بعد تسليم القياس عليه في معنى عادي يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم، كتضمين الصناعات، أو الظنة في توجيه الإيمان، دون مجرد الدعاوى، فيقول: إن الأولين توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة؛ فلما حدثت اضدادها اختلف المنافع فوجب اختلاف الحكم، وهو حكم رادع أهل الباطل عن باطلهم؛ فآثر هذا المعنى ظاهر مناسب بخلاف مانحن فيه، فإنه على الضد من ذلك؛ ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلا عن التوافل - وهي ماهي من القلة والسهولة - فماظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها، ويرخصون^(٢) على استعمالها؛ فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدي إلى أعظم من الكسل الأول، وإلى ترك الجميع. فإن حدث للعامل بالبدعة هو في بدعته، أو لمن شايعه فيها، فلا بد من كسله مما هو أولى^(٣)

فتنحن نعلم أن سائر ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدثه لا يأتيه الصبح الا وهو نائم أو في غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح،

(١) كذا والظاهر انه سقط منه شيء. ولعل أصله «فما تقدم بعلم بطلانه»

(٢) كذا والتريخيص هنا غير مناسب ولا يتعدى بعلى فعل الاصل «ويحضون»

(٣) ظاهر ان في هذه العبارة غلطاً. والمعنى المفهوم من السياق ان صاحب البدعة اذا كان يعرض له الكسل في بدعته ولمن شايعه عليها، فلا بد من عروض الكسل له في غيرها من الاعمال بالأولى. لان نظرية البدعة انها بجدها تحدث نشاطاً بعد الفتور كما تقدم

وكذلك سائر المحدثات ، فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو اولى منها بالابطال أو الاخلال ؛ وقد مر أن ما من بدعة تحدث الا ويموت من السنة ما هو خير منها .

وأيضاً فإن هذا القياس مخالف لاصل شرعي ، وهو طلب النبي صلى الله عليه وسلم بالسهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد . وزيادة وظيفة لم تشرع فتظهر ويعمل بها دائماً في موطن السنن ، فهو تشديد بلا شك . وان سلمنا ما قال ، فقد وجد كل مبتدع من العامة السبيل الى احداث البدع ، وأخذ هذا الكلام بيده حجة وبرهانا على صحة ما يحدثه كائناً ما كان ؛ وهو صريح بعيد .

*
* *

ثم استدلل على جواز الدعاء إثر الصلاة في الجملة ، ونقل في ذلك عن مالك وغيره انواعاً من الكلام ، وليس محل النزاع ^(١) بل جعل الادلة شاملة لتلك الكيفية المذكورة . وعقب ذلك بقوله : وقد تظاهرت الاحاديث والآثار وعمل الناس وكلام العلماء على هذا المعنى ، كما قد ظهر — قال — ومن المعلوم انه عليه السلام كان الامام في الصلوات ، وانه لم يكن ليخص نفسه بتلك الدعوات ، اذ قد جاء في سنته « لا يحل لرجل ان يؤتم قوماً الا باذنهم ، ولا يخصص نفسه بدعوة دونهم ، فان فعل فقد خانهم » . فتأملوا يا أولي الاولباب ! فان عامة النصوص فيما سمع من ادعيته في اديار الصلوات انما كان دعاء لنفسه ؛ وهذا الكلام يقول فيه : إنه لم يكن ليخصص نفسه بالدعاء دون الجماعة ؛ وهذا تناقض . ومن الله نسأل التوفيق .

(١) لفظ محل منصوب خبر ليس ، أي وليس هذا محل النزاع

وانما حمل الناس الحديث على دعاء الامام في نفس الصلاة من السجود وغيره ، لا فيما حملة عليه هذا المتأول . ولما لم يصح العمل بذلك الحديث عند مالك اجاز للامام ان يخص نفسه بالدعاء دون المأمومين . ذكره في النوادر . ولما اعترضه ثقل العلماء وكلام السلف مما تقدم ذكره ، أخذ يتأول ويوجه كلامهم على طريقته المرتكبة^(١) ووقع له في كلام على غير تأمل لا يسلم ظاهره من التناقض والتدافع لوضوح أمره ، وكذلك في تأويل الاحاديث التي نقلها ، لكن تركت هنا استيفاء الكلام عليها لطوله ، وقد ذكرته في غير هذا الموضع والحمد لله على ذلك

فصل

« بحث جليل في كون المشتبهات تدخل في البدع الاضافية »

من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي ، قال رحمه الله تعالى :

ويمكن ان يدخل في البدعة الاضافية كل عمل اشبهه أمره فلم يتبين أهو بدعة فينهى عنه ؛ أم غير بدعة فيعمل به ؛ فاننا اذا اعتبرناه بالاحكام الشرعية وجدناه من المشتبهات التي قد ندبنا الى تركها حذرا من الوقوع في المحذور ؛ والمحذور هنا هو العمل بالبدعة ؛ فاذا العامل به لا يقطع انه عمل ببدعة ، كما انه لا يقطع انه عمل بسنة ؛ فصار من جهة هذا التردد غير عامل ببدعة حقيقية ، ولا يقال أيضا : انه خارج عن العمل بها جملة . وبيان ذلك ان النهي الوارد في المشتبهات انما هو حماية ان يقع في ذلك المنوع الواقع فيه الاشتباه ؛ فاذا اختلطت الميتة بالذكية نهيناه عن الاقدام ، فان أقدم امكن عندنا ان يكون آكلا للميتة في الاشتباه ؛

فالنهي الاخف اذاً منصرف نحو الميتة في الاشتباه ، كما انصرف اليها النهي الأشد في التحقق .

وكذلك اختلاط الرخصة بالاجنبية : النهي في الاشتباه منصرف الى الرخصة كما انصرف اليها في التحقق ، وكذلك سائر المشتبهات انما ينصرف نهي الاقدام على المشتبه الى خصوص الممنوع المشتبه ؛ فإذا الفعل الدائر بين كونه سنة أو بدعة اذا نهي عنه في باب الاشتباه نهي عن البدعة في الجملة ؛ فمن أقدم على منهي عنه في باب البدعة لأنه محتمل ان يكون بدعة في نفس الأمر ، فصار من هذا الوجه كالعامل بالبدعة المنهي عنها — وقد مر أن البدعة الاضافية هي الواقعة ذات وجهين — فلذلك قيل : ان هذا القسم من قبيل البدع الاضافية . ولهذا النوع أمثلة .

(أحدها) اذا تعارضت الادلة على المجتهد في ان العمل الفلاني مشروع يتعبد به ، أو غير مشروع فلا يتعبد به ، ولم يتبين له جمع بين الدليلين ، أو إسقاط احدهما بنسخ أو ترجيح أو غيرهما — فقد ثبت في الاصول ان فرضه التوقف ، فلو عمل بمقتضى دليل التشريع من غير مرجح لكان عاملاً بمتشابهه ، لا مكان صحة الدليل بعدم المشروعية ، فالصواب الوقوف عن الحكم رأساً ، وهو الفرض في حقه .

(والثاني) اذا تعارضت الاقوال على المقلد في المسئلة بمينها ؛ فقال بعض العلماء بكون العمل بدعة . وقال بعضهم : ليس ببدعة . ولم يتبين له الأرجح من العاملين بأعمية أو غيرها ؛ فحقه الوقوف والسؤال عنها حتى يتبين له الأرجح فيميل الى تقليده دون الآخر ، فان أقدم على تقليد احدهما من غير مرجح كان حكمه حكم المجتهد اذا أقدم على العمل باحد

الدليلين من غير ترجيح ، فالمثالان في المعنى واحد .

(والثالث) انه ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم انهم يتبركون^(١) بأشياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فأثني بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به ، الحديث . وفيه : كان اذا توضأ يقتتلون على وضوئه . وعن المسور رضي الله عنه في حديث الحديبية « وما انتخم النبي صلى الله عليه وسلم مخامة الا وضعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده » وخرج غيره من ذلك كثيرا في التبرك بشعره وثوبه وغيرها ؛ حتى انه مس بأصبعه احدهم بيده فلم يحلق ذلك الشعر الذي مسه عليه السلام حتى مات وبالغ بعضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته ؛ — الى اشياء لهذا^(٢) كثيرة . فالظاهر في مثل هذا النوع ان يكون مشروعا في حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يتبرك بفضل وضوئه ، ويتدلك بنخامته ، ويستشفى بآثاره كلها ، ويرجي نحو مما كان في آثار التبوع الاصل^(٣) صلى الله عليه وسلم^(٤) .

إلا أنه عارضا في ذلك أصل مقطوع به في متنه ، مشكل في تنزيهه ؛ وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من احد منهم شيء من ذلك بالنسبة الى من خلفه ، اذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الامة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فهو كان

(١) لعل الاصل : كانوا يتبركون (٢) لعله : كذا (٣) يظهر ان هذه الجملة محرفة

(٤) قد استفاض انه (ص) كان ينهى عن الطلوي في تعظيمه

خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا أمر رضي الله عنهما ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ؛ ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ان متبركا تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها ؛ بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالافعال والاقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الاشياء .
ويبقى النظر في وجه ترك ما تركوا منه ، ويحتمل وجهين :

(أحدهما) ان يعتقدوا فيه الاختصاص وان مرتبة النبوة يسم فيها ذلك كله ، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير ؛ لانه عليه السلام كان نورا كله في ظاهره وباطنه ، فن التمس منه نورا وجدته على أي جهة التمس ؛ بخلاف غيره من الأمة وان حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ماشاء الله - لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته ، ولا تقاربه ؛ فصار هذا النوع مختصا به كاختصاصه بشكاح ما زاد على الأربع ، واحلال بضع الواهبة نفسها له ، وعدم وجوب القسم على الزوجات ^(١) وشبه ذلك ؛ فعلى هذا المأخذ : لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على أحد تلك الوجوه ونحوها ؛ ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة ، كما كان الاقتداء به في الزيادة على أربع نسوة بدعة .

(الثاني) ان لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب الذرائع خوفا من ان يحمل ذلك سنة - كما تقدم ذكره في اتباع الآثار -

لعل اصله : وعدم وجوب القسم عليه للزوجات

والنهي عن ذلك ؛ أو لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد ، بل تتجاوز فيه الحدود ، وتبالغ في جعلها في التماس البركة ، حتى يدخلها للتبرك به تعظيم يخرج عن الحد ، فربما اعتقد في التبرك به ما ليس فيه ، وهذا التبرك هو أصل العبادة ، ولأجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي ببيع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل هو كان أصل عبادة الاوثان في الامم الخالية — حسبما ذكره أهل السير — تخاف عمر رضي الله عنه ان يتمادى الحلال في الصلاة الى تلك الشجرة حتى تمبد من دون الله ؛ فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم .

ولقد حكى الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري عن الحلاج ان اصحابه بالنوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، حتى ادعوا فيه الآلهية . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .
ولأن الولاية وان ظهر لها في الظاهر آثار فقد يخفى أمرها ، لانها في الحقيقة راجعة الى أمر باطن لا يعلمه الا الله ، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي ، او ادعاها هو لنفسه ، أو أظهر خارقة من خوارق المادات هي من باب الشموعة لا من باب الكرامة ، أو من باب ^(١) أو الخواص أو غير ذلك ؛ والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر ، فيعظمون من ليس بمعظم ، ويقتدون بمن لا قدوة فيه . وهو الضلال البعيد . الى غير ذلك من المفاسد . فتركوا العمل بما تقدم — وان كان له أصل — لما يلزم عليه من الفساد في الدين

(١) يفاض في الاصل ، ولعل الساقط لفظ « السحر » فانه يذكره قريبا

وقد يظهر بأول وهلة ان هذا الوجه الثاني ارجح، لما ثبت في الاصول العلمية ان كل قرينة أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم فإن لأئمة انموذجا منها، ما لم يدل دليل على الاختصاص.

الا ان الوجه الاول أيضاً راجح من جهة أخرى، وهو إطباقهم على عدم التبرك، اذ لو كان اعتقادهم التشريع لعمل به بعضهم بعده، أو عملوا به ولو في بعض الاحوال، إما وقوفاً مع اصل المشروعية، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع.

وقد خرج ابن وهب في جماعة من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب، قال: حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشريوه ومسحوا به جلودهم، فلما رآهم يصنعون ذلك سألهم «لم تفعلون هذا؟ قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان منكم يحب ان يحبه الله ورسوله فيصدق الحديث، وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره» فان صح هذا النقل فهو مشعر بان الاولى تركه^(١) وان يتحرى ما هو الآكد والاحرى من وظائف التكليف؛

(١) قد يقال: ان هذا يدل على الانكار وكراهة النبي (ص) لهذا الفعل، ويؤيده ما ثبت من مجموع سيرته من كراهة الغلو فيه واطرائه، ووجه للتواضع ومساواة الناس بنفسه في المعاملات كلها: الا ما خصه الله به، حتى انه طلب ان يقتصر منه من اهل آذاه - وهو القائد والمرابي الذي جعله الله اولى بالمؤمنين من انفسهم - ولم يعرف من الاحوال التي تبركوا فيها بفضل وضوئه وبيصاقه الا يوم الحديبية. وظهر له يومئذ حكمة، فان مندوب المشركين في صلح الحديبية لما حدثهم بما رأى من ذلك هابوا النبي (ص) وخافوا قتال المسلمين فاعل المسلمين قصدوا هذا لهذا

ولا يلزم الانسان في خاصة نفسه ؛ ولم يثبت من ذلك كله الا ما كان من قبيل الرقية وما يتبعها ، أو دعاء الرجل لغيره على وجه سيأتي بحول الله .
فقد صارت المسئلة من اصلها دائرة بين أمرين : ان تكون مشروعة ،
فدخلت تحت حكم التشابه والله أعلم .^(١)

فصل

ومن البدع الاضافية التي تقرب من الحقيقة ان يكون أصل العبادة مشروعا إلا انها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل ، توهماً انها باقية على أصلها تحت مقتضى الدليل ؛ وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي ، أو يطلق تقييدها ، وبالجملة فتخرج عن حدها الذي حد لها .

ومثال ذلك ان يقال : ان الصوم في الجملة مندوب اليه لم ينحصر الشارع بوقت دون وقت ، ولا حذفيه زماناً دون زمان ، ما عدا ما نهى عن صيامه على الخصوص كالعيدين ، وندب اليه على الخصوص كعرفة وعاشوراء بقول ؛ فاذا خص منه يوماً من الجمعة بعينه ، أو أياماً من الشهر بأعيانها - لا من جهة ما عينه الشارع - فان ذلك ظاهر بأنه من جهة اختيار المكلف ، كيوم الاربعاء مثلاً في الجمعة ، والسابع والثامن في الشهر ، وما أشبه ذلك ؛ بحيث لا يقصد بذلك وجهاً بعينه مما لا يثنى عنه . فاذا قيل له : لم خصصت تلك الايام دون غيرها ؛ لم يكن له بذلك حجة غير التصميم ، أو يقول : ان الشيخ الفلاني مات فيه أو ما أشبه ذلك ؛ فلا شك انه رأي محض بغير دليل ، ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها

(١) ينظر أين الامر الثاني ؟ ولعل الساقط « او تكون غير مشروعة »

دون غيرها . فصار التخصيص من المكلف بدعة ، إذ هي تشريع بغير مستند

ومن ذلك تخصيص الايام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصاً ، كتخصيص اليوم القلاني بكذا وكذا من الركعات ، أو بصدقة كذا وكذا ، أو الليلة القلانية بقيام كذا وكذا ركعة ، أو بمجتم القرآن فيها أو ما أشبه ذلك ^(١) فان ذلك التخصيص والعمل به اذا لم يكن بحكم الوفاق أو بقصد يقصد ومثله أهل العقل والفراغ والنشاط ، كان تشريعاً زائداً

لا حجة له في أن يقول : ان هذا الزمان ثبت فضله على غيره فيحسن فيه ايّاع العبادات . لانا نقول : هذا الحسن هل ثبت له أصل أم لا ؟ فان ثبت فستلنا ^(٢) كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس فان لم يثبت فاما مستندك فيه - والعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا شرع يستند اليه ؟ فلم يبق الا انه ابتداع في التخصيص ، كاحداث الخطب وتحري ختم القرآن في بعض ليالي رمضان . اهـ

(١) ومنه صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، ومنه تخصيص أيام معينة لزيارة القبور والصدقة تندها كاول جمعة من رجب . كل ذلك من البدع والتشريع الذي لم يأذن به الله . وقد يتصل بالبدعة الواحدة بدع ومما يصح أخرى توجب تركها - ولو لم تكن بدعة - لسد ذريعة هذه المفاسد (٢) أي فهو مسألتنا

الجنسيات في المملكة العثمانية

الجنس في عرف اهل السياسة كالصنف في عرف علماء المنطق ، فيطلق على الأجيال التي تنفصل بينها الفصول العامة (كالنسب واللغة) وهما اقدم روابط الجنسية ؛ ويليهما الدين والوطن الأرضي والسياسي . ولم يوجد دين من الاديان ألف بين شعوب وقبائل مختلفة في جميع روابط الجنسية وجعلها أمة واحدة وجنسا واحدا الا الدين الاسلامي وقد يننا هذا مرارا فلا نعيده الآن . ولما كان اتحاد الأمة لا يتم الا بوحدة لغتها كان من مقاصد الاسلام جعل لغة القرآن لغة لجميع المسلمين ، وعلى هذا جرى المسلمون في خير القرون بالعمل ، فصارت العربية لغة المسلمين في المشرق والمغرب من القرن الأول . وقد زال من نفوس المسلمين الشعور بالفرية الجنسية زمنا طويلا ، حتى أحياء الفرس والترك كما يننا من قبل .

ان العصبية الجنسية في هذا العصر قد دخلت في طور سياسي جديد ، وكان العرب آخر الأجناس شعورا بها ، لأن سوادهم الأعظم مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسية الدينية . ولكن الاستانة بسياسة حكومتها وادارتها بعد الدستور وسياسة جرائدها قد كونت هذا الشعور وجعلته حيا ناميا ، فصدمت كلتي المحفوظة : « ان العرب يمجزون بأنفسهم ، عن تكوين جنسية عربية سياسية لهم ، ولا يقدر على ذلك الا الآستانة وحدها » ولما رأينا بوادر هذا الأمر وكنا نعلم ان التحولات الاجتماعية السريعة تكون دائما محفوفة بالاعطال - سعينا لتدارك الخطر في الآستانة نفسها ، ومقالاتنا الست التي نشرناها هنالك تحت عنوان (العرب والترك) لا تزال محفوظة تشهد لنا بأننا سعينا الى الوحدة بين العنصرين جد السعي ، وبيننا من الحجاج على ذلك ما لم يبينه أحد ، ولكن ذلك كله لم يفد ، ولماذا ؟

ان من المقاصد الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي احياء الجنسية التركية وتقويتها لتوحد منها أمة تركية كأم أوروبا في مدينتها ، ودولة تركية كدول أوروبا في عزتها وحضارتها ؛ وكانوا يظنون انهم يستطيعون بقوة الدولة أن يتركوا جميع الأجناس العثمانية في البلاد الخضرية القابلة للعمران ، ويجعلوا سائر البلاد مستعمرات ليس لها

من الحقوق ما لسائر العثمانيين . ولهذا كانوا يجدون في تقوية الجنسية التركية ونشر اللغة التركية ، ويعاقبون من يقتدي بهم في ذلك من غير الترك اشد العقاب

دار الفلك دورته ، فثبت للاتحاديين ضرر هذه التجربة — محاولة تريك شعوب المملكة — ، وكان من نتائجها المشؤومة الفتنة الالبانية ، فطرب البلقانية العثمانية ، فرجعوا عن فكرة تعميم تريك الشعوب كلها الى الاكتفاء بتريك الضعيف منها ، اما بقله العدد كاللاز والشركس ، واما بقلة العلم وعدم تدوين اللغة كالآكراد ، واما بالخضمة في اللغة كالعرب المتصلين بالترك بالقرب من الاناضول ، ثم بتقوية اللغة التركية في جميع البلاد العثمانية ، وجعل الارتقاء في الحكومة والعلوم والمدنية موقوفا عليها . وترتب على هذا ترك الضغط السابق على المستيقطين من الشعوب الكبيرة ، اذ كانت الجرائد تحاكم وتقتل اذا ذكرت اسم جنسها ، والاعتصام بحبل لغتها ، والتذكير بمجد سلفها ، حتى ان المجلس العسكري العرفي في بيروت حاكم مدير جريدة المفيد وعده مجرما وحكم بمنع صدور الجريدة بذنب غريب جدا في هذا الباب ، وهو كلمة (يا قوم) وردت في قصيدة ، نشرت في تلك الجريدة ! ! قرر رئيس المجلس واعضاؤه من الترك ان كلمة (يا قوم) معناها عنصر العرب ، فذكروا تفريق بين العناصر العثمانية ، وهو من اعظم الجنايات ! ! . [كما مر] ذلك بأن الترك يستعملون كلمة « قوم » بمعنى الجنس والجيل من الناس الذي يعبرون عنه بالعنصر . ولم يلتفت المجلس لاحتجاج المتهم بأن القصيدة المنشورة في جريدته عربية ولفظ القوم في اللغة العربية معناه الجماعة من الناس ، كما هو منصوص في المعاجم ، قيل يشمل الرجال والنساء ، وقيل هو خاص بالرجال ... وان الشعراء يستعملونه الآن بمعنى (ياناس)

كانت جمعية الاتحاد والترقي قد صرحت بتصريحها نشرته جريدتها (طنين) بالرجوع عن فكرة « تريك العناصر » وكان ذلك مدارة لم يصدق العمل ، ولكنها في العهد الأخير عقدت اتفاقا مع (جمعية الشبيبة العربية) التي يمثلها (المتتدي الادبي) في الاساتنة ، واشهروا هذا الاتفاق بالاحتفالات والمآدب ، وجعلوه وسيلة وذريعة للاتفاق بين جمعية الاتحاد والترقي والمؤتمر العربي الذي انعقد في

باريس . وصار زعماء الجمعية من وزراء الحكومة يزورون المنتدى الأدبي ويحضرون بعض احتفالاته ، وتمثيل القصة العربية التي يمثلها أعضاؤه كل سنة ، وقد احتفل أعضاء المنتدى في هذا العام بذكرى المولد النبوي الشريف فحضر احتفالهم فيه طلعت بك ناظر الداخلية وجمال باشا ناظر البحرية (الآن) وخطب طلعت بك بالتركية باستمسالك الترك بالعرب ، وانهم اذا فروا منهم يتبعونهم ويلتزمونهم ، فاهتزت لهذه الخطبة اسلاك البرق في العالم ، ووعد الزعيم الكبير في خطبته هذه بأن يخطب في احتفال مولد العام القابل بالعربية . هذا بعد ان كانت أعضاء المنتدى الأدبي لا يسمون انفسهم جمعية خوفا من افعال الحكومة الاتحادية لناديهم ، ومحاكتهم على ذلك في المجلس العسكري العرفي . فأين هذا من تسقط هذا المجلس لبعض أعضاء المنتدى بتسميتهم جمعية ليعترف بعضهم بذلك فيحكم المجلس فيهم حكمه ؟ وقع هذا التسقط في تحقيق المجلس مع المتهمين في حادثة الاعتداء على صاحب جريدة (اقدام) التركية الشهيرة ، عقب نشر مقالة أهين بها العرب ، وكان المنتدى الادبي لم يشجاوز السنة الأولى من عمره .

علم من هذا ان السياسة الجديدة التي ظهر بها الاتحاديون في العاصمة هي ان العصبة الجنسية نافعة او ضرورية لترقي كل جنس ، وانه يمكن الجمع بينها وبين الوحدة العثمانية ، ولا سيما الوحدة بين العرب والترك من العثمانيين . وانه يجب على كل جنس ان يرقى نفسه من غير ان يضر غيره او يحول دون الوحدة العثمانية . وقد سر جمهور المعلمين من العرب بهذه السياسة الجديدة ، وهم لا يشترطون لاعتقاد اخلاص الاتحاديين للعرب فيها الا اطلاق الحرية لجرائدهم وجماعاتهم وافرادهم كما اطلقوها للترك ، ومساواة الحكومة بينهما في التربية والتعليم والمساعدة على الاعمال . ولكن الترك في هذا الطور الجديد قد ألفوا عدة جمعيات تركية محضة ، وقاموا بعدة مشروعات تركية خالصة ، وألفوا عدة كتب ورسائل في النهضة التركية والرابطة الجنسية البحتة ، وصار شغل جرائدهم الشاغل وجوب انشاء أمة تركية محضة ودولة تركية محضة وكان كلام بعضهم في هذا ان الدولة تركية لا عثمانية ، وان العثمانية وهم من الاوهام . ولم يفعل العرب شيئا يذكر من ذلك . نعم ان بعضهم

يتكلم او يكتب في الجرائد كتابة تعد ضئيلة نحيلة اذا قيست بما يكتبه الترك . ولم أر لأحد منهم مصفا خاصا في هذا الموضوع الا رسالة لأحد أدباء بيروت من آل الفاخوري . ونشر بعض الثلاثة منشورات تهيج وتيرة وقالوا فيها ان لهم جمعية ، وانا لا اصدق ذلك

الجنسية والاسلام وحزب اللامركزية

بعد هذا كله قلم من كتاب العرب كاتب من طائفة لها دين لا يتفق مع دين الاسلام في اصوله ولا فروعه ^(١) فكتب كتابا جعل نفسه فيه اشد اسلاما من جميع علماء الاسلام . واشد عصبية تركية من غلاة الترك انفسهم ، واشد اتحادية من زعماء جمعية الاتحاد والترقي ووزرائها ، إذ قام بجاهد في الجنسية العربية وحدها ، ويجعلها هادمة للاسلام الذي يفار عليه بزعمه ما لا يفار عليه الذين افتوا اعمارهم في القيام به علما وعلا ودعوة ودفاعا . ويصق تهمة هذه الجناية على الاسلام بحزب اللامركزية وحده . على ان حزب اللامركزية عثماني محض ليس في برنامجه ولا في بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية ، او تنفر من الجنسية التركية ، وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة الحكومة بالادارة اللامركزية . بالطرق المشروعة القانونية . نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ، ولم يقدروا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي . وذلك الكاتب المنجي عليهم يقول : ان دعوتهم لم يحصل بها احد يذكر . ولم يستجب لها الا عدد لا يقدم ولا يؤخر . فلماذا عني اذا تأليف كتاب خاص في التشجيع عليهم ؟

ما رأيت مثالا لإطالة هذا الكاتب القدح في حزب اللامركزية - بدعوى الجناية على الاسلام بتقوية الجنسية العربية وجعلها هي واللامركزية التي تراد لاجلها اسرع ما يحمو الاسلام ويوقع للمملكة في ايدي الاجانب . ١١ - الا

(١) دين هذه الطائفة سري ومن المعروف عنهم جواز مشايعة غير اهل دينهم على سبيل التقية . ولهذا صرح بعض الفقهاء بعدم الاعتداد باظهار احد منهم للاسلام . واما انا فأرى صحة اسلام من تدل القرائن على صدقه ، كمن يصرح على مسمع من اهل ملته بالخروج منهم وبخططهم في دينهم مع التزام الاسلام بالعمل .

ما اطال به كاتب امريكاني في التشجيع على جمعية ابطال المسكرات في امريكا . ذلك بان هذه الجمعية سلكت اخيرا السبيل القانوني الموصل الى غرضها الشريف ، وهو السعي لانتخاب اعضائها ومشايخها لمجلس النواب . وقد فازوا في بعض الولايات فوزا عظيما ، فانبرى لمحاربتهم تجار المسكرات ، الذين يربحون منها الملايين من الولايات ، وكان اغرب حربهم القلمية ، مقالات لأحد الكتاب عنوانها (الحرية الشخصية) مترك هذا الكاتب شيئا اهتدى اليه باطلاعه وذكاؤه في مدح الحرية الشخصية الا وقاله ، وجعل ابطال المسكرات مزيلا له ، كأنه الذي يهدم الحكومات الدستورية ، ويوقع العالم في الفوضى والهمجية !! فكثير من كلامه حق أريد به باطل ، ومنه ما هو باطل أريد به باطل ، وهكذا فعل كاتبنا العربي . وتقول في كل منهما : انه يمكن تنفيد مقالاته ، ودحض شبهاته ، بمقالات اصح منها دليلا ، واقوم قبلا ، واوسع تفصيلا . ولكن الرد على ما يكتب اتباعا للهوى ، وارتيدا للنصاب إضاعة للوقت ، وسبب للتمادي في الباطل والنفور .

قد يظن هذا الكاتب ويظن من تقرب اليهم بما كتب ، ممن لا يحبون ان تقوم للعرب قائمة ، ولا تستيقظ لهم عين نائمة ، ان مثل هذه الكتابة تنفع السواد الاعظم من مسلمي العرب بأن لا ينجسوا دعوة لمن يدعونهم الى احياء لغتهم ، وإلى قيامهم بعمران بلادهم ، والاستئثار بخيراتهما دون الصهيونيين والاجانب ، الذين تقذفهم بهم الحكومة المركزية من كل جانب ، بما تعطيم من امتياز ، وما تمكن لهم من امتلاك البلاد ، وان يبنوا هؤلاء الدعاة الى الاصلاح نبذ النوى ، اعتقادا بصديق ذلك الكاتب في زعمه أن هذا يبيت الاسلام ويزيل هداية السنة والقرآن ! وان هذا هو الذي يرمي اليه زعماء اللامركزية ، بدعوتهم الى احياء الجنسية العربية . وسيعلم الظانون كذب ظنهم ، وان هذه الكتابة لا تمخض هامة العرب فضلا عن خاصتهم ، بل تكون سببا لقوة نهضة العرب ، واساءة الظن بمصادر هذه الخدع .

كنا عزمنا على ترك الكتابة في هذه المسائل ، ثم بدا لنا بعد هذه الخلافة والخذلية ، ان نبين للامة والتاريخ لباب الحقيقة ، وان ننشر نموذجا من كلام دعاة الجنسيين التركية والعربية . لأجل المقارنة بينهما ، وليرف اعتدال حزب اللامركزية

بين غلاتها ، ومنه يظهر ان تخصيصه باللوم والتعنيف ، ليس نصرا للدين الخفيف ، اذ الدين لا يحيا الا بحياة لفته ، وارتقاء أمته ، واننا نبداً بنموذج من كتاب (قوم جديد) لأنه جاء الدعوة الى الجنسية التركية من طريق الدين ، بما فيه اكبر عبرة للمعتبرين ، من التحريف والتبديل ، والتحريم والتحليل والتكفير بمحض الرأي والهوى ، وجعل الدين كله كالمحصور في بذل المال والنفس لحكومة الاستانة الاتحادية

نموذج من كتاب (قوم جديد)

(مترجم عن النسخة التركية المطبوعة في الاستانة)

جاء في الصفحة ١٤ من هذا الكتاب :

يجب تعطيل المساجد والتكايا الموجودة في الاستانة ماعدا الجوامع التي بناها السلاطين . وتخصيص نفقاتها الى الشؤون الحربية والعسكرية كما ورد في الآيات الكريمة والاعمال النبوية .

وفي الصفحة ١٥ :

ورد منذ مدة في احدى الجرائد السياسية انه من الضروري الاهتمام بتعميم تعلم اللغة العربية لفهم الامة على الاقل الخطب التي تلقى ايام الجمع في المساجد . وهذا الكلام يدل على البلاء اذ بدلا من تعلم جميع الازراك اللغة العربية تلقى الخطبة باللغة التركية ، وهل هناك امر اسهل من هذا ؟ لاسيا وان ترجمة الحديث والخطب والقرآن جائز في مذهب الامام الاعظم (١) . ان النبي لم يبعث الى العرب فقط لذلك أصبحت ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى فرضا من الفروض (٢) (وما اوسناك الا راحة للعالمين)

نعم ان القرآن الذي نزل على سيدنا محمد المأمور بدعوة العالم جميعا الى الاسلام نزل باللغة العربية ولكن لا يستدل من هذا ان كل قوم دعوا الى الاسلام يكونون مضطرين الى تعلم اللغة العربية

وفي الصفحة ٢٥

وهنا اكرر ما قلته آنفاً من أن أكثر الناس يستكنون منهم الفقير المعدم والاعرج والاعور ومنهم المشايخ الذين يدعون انهم ورثة الانبياء والمدرسون والمفتون والقضاة (١) كذب الكتاب في هذه الدعوى (٢) جعل الكتاب الجاهل نفسه شارحا . وقد اتفق شيخ الاسلام في الاستانة بدم جواز ترجمة القرآن

مشايخ الطورق والدرائش والتجار والصناع، والحاصل جميع الناس اسبحوا في حكم القرآن المجيد مرتدين ومن زمرة المنافقين ومن ثم وجب قتالهم، لانهم تمعدوا ترك الجهاد بالمال والنفس الثابت بوجود آلاف من الآيات البينات (وأورد هنا اثنتين منها) الاولى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين... الخ) (والثانية (فرح الخلفون... الخ) قال: وبوقوف محمد بن ايمان هؤلاء اولا على الاشتراك بدنا بالحرب وثانيا على اعطاء نصف ما يمتلكونه الى دار الخلافة الاسلامية اذا كانوا من اصحاب الفنى والاموال ليتسنى لرجال الاسلام الانتقام من الكفار الفجار، ونزع البلاد التي انتزعوها من ايديهم، واعادة ذكر كلمة «الله» في مساجدنا وجوامعنا، واذا لم يفعلوا هكذا (أي اذا لم يدفعوا نصف ما يمتلكونه للدولة) فلا يقبل منهم تجديد الايمان فيحسرون وهم مرتدون وكفرة، ويلحقون بأهل جهنم. وهذا لا بد منه ولو قرؤا في اليوم مئة الف مرة «آمنت بالله...» ولو صلوا الليل والنهار ولو كانوا من الذين صلوا وراء النبي، ولو حجوا الى بيت الله الحرام مئة الف مرة، ولو كانوا بدرجة الامام الاعظم من العلم او بدرجة النبوة عبد القادر الكيلاني من القطبية.

وفي (ص ٢٧)

ان بعض المشايخ والحفاظ والحجاج في الاستانة وكثيرين ممن يقبضونهم وكلهم من الذين يجرؤن على ارتكاب انواع المنكرات اشتغلوا بالكتب كالتحليل التي تحمل التوراة فتركوا الجهاد، والبعض منهم فسروا الآيات والاحاديث حسب ما تقتضيه منافقهم، وللحصول على غرض دنيوي. فلعنة الله على أمثال هؤلاء الحفاظ الذين يقرؤن القرآن بالدراهم وعلى المنافقين الذين تسلطوا بالاشتراك مع اعداء الدين على فرقة الاتحاد والترقي التي هي في الحقيقة الفرقة المحاربة والساعية لاتحاد الاسلام، والمجاهدة في سبيل تشييد قوى الاسلام، وبالنتيجة لعنة الله على الذين كانوا سبباً لدوس الملايين من المسلمين تحت اقدام اعداء الاسلام، وعلى اولئك الذين سلكوا طرق الدسائس والتفيل والتزوير لئتم الذين كانوا يريدون ان يجاهدوا باموالهم وأنقسمهم في سبيل الله، لعنة الله عليهم وعلى آلهم واقوالهم وعلى تأليفاتهم ومصنفاتهم وامعاتلهم أجمعين

وفي (ص ٣١) يفسر آية (فرح الخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله) بما يأتي: ان الذين ثبتوا في الصوم والصلاة والحج اعرضوا اليوم عن الجهاد المفروض مالا وبدنا واصبحوا خلاف رسول الله ف هؤلاء من المنافقين

ان البروغرام القديم البالي الفاسد يعرف به بقاء الدين بالصوم والصلاة والحج .
والحقيقة ليست كذلك بل هو حسب البروغرام الجديد بالجهاد مالا وبدناً . وهذا
ثابت ايضاً بهذه الآية : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ...) فيفهم من هذه
الآية صراحة ان المسلمين الموجودين تحت حماية ملوك النصارى ليسوا مسلمين بحق
لان ملوكهم النصارى راضون عنهم ويضفونهم في صف اممهم ، على ان الملل النصرانية
لا ترضى عنهم الا بعد ان يرتدوا الى دينهم الباطل .

وفي (ص ٣٢)

اذا رضي الكافر بغضب الرحمن ، وكذلك اذا غضب الرحمن رضي الكافر .
يعني اذا رضي كافر تمام الرضا عن مسلم فهذا المسلم يكون على كل حال موضوع قهر
الرحمن وغضبه مثل المسلمين الساكنين في البلاد المسيحية . وبالعكس كل كافر يغضب
ويماذي مسلماً يكون موضوع رضاء الرحمن ووجهه مثل خلفاء المسلمين من الأتراك .

وفي (ص ٣٣)

يفسر هذه الآية (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) بما يأتي :
فيفهم من هذه الآية الجليلة ان دين المسلمين الموجودين تحت التامية أو الحماية
الروسية والانكليزية والفرنسية لا يمت ولا يمدون من المسلمين ماداموا لا يشتركون
في الجهاد المقروض وما داموا محرومين من اعانة الاستانة مالا وبدناً .

وفي (ص ٣٦)

ان من لا يشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطم (١)
من العرب أو التار أو الألبان أو أبناء مكة واليمن ، والحاصل جميع الأقوام المختلفة
اذا لم يشتركوا مالا وبدناً ونقداً بالجهاد الذي هو أعظم العبادات في صفوف حضرات
عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكر وجاويد وروثف واتور وعزت وطلعت وأمثالهم
من أبناء الترك الذين هم أولياء الله صلى الله تعالى عليهم وعلى آلهم وأصحابهم وقديس
الله أسرارهم ، يكونون في صف المرتدين عن الدين والمعتقين طوعاً لدين الصليب
الباطل . ومن هذا القبيل الأتخاذ ، فانهم ارتدوا عن الاسلام - إما لاستعمالهم السلاح
ضد الجنود الاسلامية مشتركين مع الكفار الفجار في ذلك ، أو لإضافة قوة الجيش
الاسلامي بفراهم من ساحات القتال ، فسيبوا بذلك التزام الاسلام وأصبحوا من
الكفرة الفجرة ، ومن هذا القبيل ايضاً المصريون والهنود والبخاريون والتار

الروسيون وسكان قاس وتولس والجزائر وأهل الحجاز واليمن فانهم لم يجدوا الخلافة الاسلامية بالنقد ، ولم يكتشف قسم من النشانيين الاثر بذلك بل انهم اتفقوا مع قوزميدي وبوشو والبطرك كخانة الرومية واعانوا دين الصليب ، واعلنوا العصيان سماً وطوعاً على الاسلام ، واقاموا الدنيا على أهل الايمان .

وفي (ص ٣٩)

ان القوم الصديق (أي القدماء الذين لا يتبعون كتابه هذا) يتكون الاوامر الالهية الاصلية التي تعد بالآلوف ويحسبون بالصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة فقط ، ويتخذون كتب البركوي والحلبي والشافعي والسكنز ومنية المصلي والمالكي والحنبلي دستور العمل في أعمالهم وحرركاتهم ، مع ان هذه الكتب مملوءة بالاتفاق والشافعي والشافرة (كذا) والاختلافات الكثيرة ، فالعمل بما فيها غير جائز

وفي (ص ٥٢)

أما القوم الجديد (ويريد بهم من مدحهم في كتابه من الترك الاتحاديين ومن يسير على طريقته وطريقه) فانهم لا يبالون بمثل هذه الخرافات القديمة بل انهم استخرجوا من الاحكام القرآنية والحديثية الاركان الدينية الآتية : (١)

- ١ - العقل
- ٢ - كلمة الشهادة
- ٣ - الاخلاق الحسنة
- ٤ - الجهاد مالا وبدناً والحرب .
- ٥ - السعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد والاتفاق تحت راية الخلافة المعظمة الشمانية .

وفي (ص ٥٦ - ٥٧)

يجب ان تقرأ الخطب أيام الجمع والاعياد باللغة التركية ثم تقرر خطبة كل جمعة يتلقين من الحكومة تضمن الاحوال السياسية . ويجب أيضاً ان تفضل الامور السياسية في بعض الاحوال على الامور الشرعية حتى ولو لم تكن منطبقة على الاحكام الشرعية !! فتعطل موقفاً الامور الشرعية . ويوجد جواز شرعي للعمل هكذا بدليل وضع النبي توقيعه على عهدة الصلح في وقعة الحديبية مجرداً من ألقاب وفتوت النبوة حسب طلب

(١) اي ليس في دين (القوم الجديد) صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا نسج فهم لا يمشون الى المساجد لاكل أموالهم ومشاركتهم في حقوقهم الا بعد انكار الشهادتين . وعلى هذا كثير من ملاحدة النصر ومناقضيه كما قال المؤلف

كفار فريش ، وكما تقتضيه الاحوال وبوجبه الزمان . وكذلك الآيات التاسعة
والمسوخة هي من مقتضيات السياسة .

وفي (ص ٩٠)

وعليه فان الهنود الذين هم تحت حماية الصاري من الانكليز لو كانوا من اصحاب
الاخلاق الحسنة فانهم لاريب محرومون من العقل ولو كانوا عقلاء لما رضوا بالذلّة
تحت حكم دولة ظالمة شريرة تسلك دين الصليب

(وفي ص ٩٣)

وبهذه الصورة سيخرج المسلمون المحكومون بالصاري من دينهم بالتدريج
ويندججون بدين حكامهم . وسبب ذلك عدم ارتباط هؤلاء المسلمين مالا وبدنا
بالخلافة الاسلامية

(وفي ص ٧٠ - ٧١)

كثير من المسلمين حتى من علمائهم ومشايخهم اثبتوا في الحرب البلقانية الحاضرة
انهم اوتدوا عن دينهم لانهم اثلفوا { عبر بلفظ الائتلاف في الاصل } مع البطريركخانه
لاجل الدراهم والمنافع ، ومن هذا القليل أيضاً الضباط والجنود والمعصومون الذين
فروا من ساحات القتال ، فهؤلاء ليسوا مسلمين بل هم منافقون ومرتدون عن
دينهم . أما المسلمون الحقيقيون فهم الذين حاربوا في حرب طرابلس الغرب وحرب
البلقان تحت امرة انور ورضا واسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم ، وبقيّة
رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، الذين لم يولوا ظهورهم الى العدو بل داوموا
في جهادهم في سبيل الله ، فهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون . وقد كان عدد الذين
ينتسبون الى جمعية الاتحاد والترقي في هذه الحرب لا يتجاوز مئة الف . اما الباقيون
فانهم كانوا من المرتدين المتبعين الى الائتلاف (أي حزب الائتلاف) والبطريركخانات .

وفي ص ٧٦

يفسر آية (انا انا بشر مثلكم) - الحرب بينا وبينهم سجل بالون منا وقال
منهم - انا انا مات ٠٠٠٠ ألح فيقول : انا بشر مثلكم فلا تستبدوا موتي ، ان
الاتصار في الحرب يتوقف على التجهيزات العسكرية ٠٠٠٠

وفي ص ٨٩

ما هذا الجبل ؟ وما هذه النفقة التي استولت عليكم ايها الناس ؟ تعلقون اسماء

﴿ ٥٤٤ ﴾ دعوة الترك الى رفع ساستهم على أئمة الدين من العرب (المنار - ج ٧ ص ١٧)

خلفاء العرب على جدران جوامعكم (١) وتكون اسماء خلفاء الترك الذين قدسهم الاحاديث النبوية ولا تكتفون بذلك بل ينزل الخطيب قدمه واحدة عند ما يذكر اسماء خلفاء الترك تنزيلا لمقامهم وتنزيلا ثم تزيدون ركعتين يوم الجمعة باسم « آخر ظفر » فكل هذا مبتدع ومحدث للحط بشانكم سياسة .

انكم ايها الاتراك قوم مقدسون ومبجلون ومع ذلك قدسوا عبدالقادر السيكلاني والشيخ البدوي والشيخ الفلاني وتدعون ان الله وملائكته حتى الموكلين منهم بعذاب القبر منكر ونكير يتكلمون باللغة العربية وتقولون دائما « أوله شام وآخره شام » وتسعون دائما لتفيل ابناء الترك بأنه سيخرج من العرب مهدي . والحاصل تشغلون منذ سبعماية سنة بثل هذه الحرافات ، فتشوش العالم ويحتقرون بذلك ابناء العثمانيه الجياع الذين ما فتوا يجاهدون في سبيل الله للدفاع عن الاسلام ويدفون عنه تعرض الكفار الفجار له ، فكل ما ذكرته موضوع بصورة خصوصية ومقصود بالذات لتحقيركم والحط من منزلتكم

أما سمعتم الآية (والهاديات ضبيحا) فان الله قدس بهذه الآية الحيوش التركية فخير هذه الجوش هي اشرف واقدس اضفاف مضافه من شرافة وقداة رؤساء واشراف الشعوب الاخرى الذين قدسواهم وتحرموهم . (٢)

(المنار) هذا نموذج من كتاب (قوم جديد) الذي صنف لاقناع الترك بما يجب ان يكونوا عليه في هذا العصر . ولا شك في كون جميع علماء الدين من الترك كفيرهم يشكرون هذه الضلالات المودعة في هذا الكتاب ويعلمون ان هذه الحرافة على تحريف القرآن واتخاذ الاسلام هزوا ولما ، وهدم اركانه ، وتكفيرا له ، والكذب على الله : رسوله ، المراد به تقوية الجنسية التركية - كله كفر وضلال . ولكن الملاحظة الذين ليس لهم من الاسلام الا اللقب الرسمي او الجفرافي يرضون بهذا ويتشوشون به جهلة الطامة من الترك فالمنكر على حزب اللامر كزمية تقوية الجنسية العربية باسم الاسلام ، لا يؤلف كتابا في الرد على هؤلاء الثلاثة الحرفين للقرآن . الهادمين للاسلام؟؟

(١) جرت عادة اخواننا الترك بأن يملقوا في قباب مساجدهم الراحيا فيها اسماء الخلفاء الاربعة (وض) وسيطى الرسول (ص) (٢) اي كالحلفاء الراشدين وأئمة آل البيت الطاهرين عند العرب

* (نمؤذج من إنشاء طلبة دار الدعوة والارشاد) *

اقترحنا الموضوع الآتي على طلبة السنة الأولى لاختبار انشائهم وآرائهم في هذه المسألة ، فاخترنا أن ننشر ما كتبه بعضهم كما كتبوه مع تصحيح بعض الغلط في الهامش ، وهو :

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب يس ابراهيم

لم ير التاريخ من لدن آدم الى ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالا سلام في معاملته وعدله ، ولم ينقل الينا أثر يدل على أن الاسلام عامل مخالفه بالقسوة ، بل تواترت الآثار والشواهد الدالة على عدله ، وأنه ماجاء الالهديا البشرية فيه صلاحهم في الحال وصلاحهم في المال ، وأنه رحمة للناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وإن اهم ما يستشرف منه على عدل الاسلام في مباشرة مخالفه النظر في نصوص الدين ، فانه الميزان الذي يبين العدل من الجور ويفصل بين الضبط والحرية ؛ تأمل تر أن الاسلام قد بلغ حدا من القوة لا يقاومه صاد ، ولا يحرکه مزحزح ، ومع ذلك ينادي الاسلام (لا اكراه في الدين)

فلوان الاسلام فيه شائبة من ظلم لحل الناس على الدخول فيه كرها أيام استكمال القوة في عزه وشبابه ، كما يفعل اهل الأديان الأخرى في العصر الحاضر والقرون الخالية ، على ان السابقين معذرون ، فانهم ما وصلوا الى درجة من العلم والحضارة تحمّلهم على الاتّجاء الى العدل ، بخلاف اهل هذا الجيل فلا عذر لهم مع صياحهم بصوت العدل ، ولا يخفى على احد ما يفعلونه بالناس من حملهم على دينهم وسلب اموالهم وجعلهم خدما وعبيدا ، إما بالظلم البين ، او الجور المستتر ، وهو ما يسميه الاستاذ بالسياسة اللينة . فوريك أما تشر الآن بأن الاسلام دين الرحمة والعدالة في القرون الظلمة خير من جميع الاديان وقوانين السياسة في عصر العلم والحضارة ؟

ان الاسلام لم يضبط على معاشريه ، ولم يحملهم على المعاملة بأحكامه ، بل جعل

لم الحرية التامة في وضع احكامهم، وجعل عقوبة لمن يتعرض لهم بالاذى من المسلمين ، هكذا كان الاسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء بعده. وما يروى أن يهوديا جاء الى سيدنا عمر بن الخطاب شاكيا سيدنا عليا رضي الله عنهما من اجل دين ادعاه عليه ولما كان الخليفة يحكم بينهما رأى ان امير^(١) جالسا قال « قم فساو خصمك » فيا لله ما هذا العدل والانصاف بين يهودي ومسلم لدى امير المسلمين ؟ ما نشأ هذا العدل الامن نور الاسلام وسياحته . ولا يتهمن أحد ان القتال الذي وقع بين المسلمين ومعاشرهم ومن ساعدهم ينافي العدل ما دام يعلم ان الذنب على المعتدي ، وان البادئ اظلم ، فعلوم ان المسلمين ما آذوا أحدا ولم يكن غرضهم الا ابصال هذا النور الى القلوب، وكل ما وقع منهم انما هو دفاع عن انفسهم بأمر من الله تعالى بعد التعدي عليهم (فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين. فان اتهموا فان الله غفور رحيم)

وان الاسلام لم يته معتقيه عن موالاة من خالفهم ، ولم يمنهم من مواساتهم الا اذا كانوا يقاتلونهم ويعادونهم، والقرآن اعظم دليل على ذلك (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤم وتسخطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الفاسقون) اترك بعد سماع هذه الآيات تشعر بان الاسلام ليس دين العدل والرحمة اذا ازلت عن بصرك عشاء العصبية ؟

فلو نظرت نظرة الانصاف ما وسعت الا التسليم بان آداب الاسلام في معاشره الخالفين احسن الآداب ، وكما عفا صلى الله عليه وسلم عن مذهب واحسن الى مسيئ ؟ وان التاريخ يدلنا على انه كان يتحمل اذى الاعداء ، ودائما يتبع أثر السلم ولو بالحكم الشاق ، ألا تراه مع كثرة تطلعه الى مكة ، وشدة شوقه الى الكعبة ، وحنينه الى حجر أبيه ابراهيم ، كيف قبل ان يرجع ، مع وفرة القوة وامكان الوصول، وقساوة الشروط، التي منها أنه اذا ارتد احد من شيعته يقبلونه، واذا اسلم أحد منهم

(١) هذا غلط والمراد انه رأى عليا كرم الله وجهه

لا يقبله - على ما يقول التاريخ - وقد ترك زيارة البيت في هذا العام ^(١). هكذا كان الاسلام ولم يزل في تسامحه وعدله بين أهليه ومعاشريه . ومن أدب الاسلام انه لم يسمح للمؤمنين أن يساعدهوا الذين آمنوا ولم يهاجروا على من كان بينهم وبينهم ميثاق ^(٢) (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فليحكم النضر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير)

ولعمري ما انتشر الاسلام على ما ترى الا بحسن آدابه وعدله في المعاملة. فان العدل يجمع القلوب ، وبالأدب الحسنة تملك الازمة ، ولا رأي للقائلين بالضغط والغلظة . والقول الفصل في هذا قول الله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) فان الله تعالى اعلم بقلوب عباده ، خير بما يوحدكم ويجمع كلمتهم ، وقد انزل القرآن وضمنه ما يكفل ذلك ان قام به اهله . ولو نصفحت القرآن آية آية لا تجده يأمر بالغلظة على من التزم حده . وإنما قل (ادفع بالتي هي احسن) وقال (فبإرحمة من الله لتت لهم) الخ

وقد اجمع عقلاء الاجتماع ^(٣) على ان الدين خير من الشدة مهما كانت القوة ، وانه ما أثر هذا التأثير رجل واحد الا باعطاء الحرية وانتشار العدل ومخاطبته العقول ، ويخيل لي بل ربما كان اقرب الى الحقيقة ان الذي يحتاج الى استعمال الشدة والقوة والغلظة هو من يدعو الى شيء باطل ، فان العقول بطبعها تفرغه ، فان اخذ اصحاب الباطل وسائل القسوة والضغط ربما امكن ان يخضعوا بعض الناس في الظاهر زمانا ماء ، ولا يلبث ان يحصل رد الفعل ويرجع الناس الى فطرتهم ، وان الاسلام ما جاء بشيء يناقض الفطرة فكان مقبولا بمجرد وصوله الى الأذان الصاغية . ولذلك قال الله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فلو ان المسلمين قاموا بما اوجب الله عليهم وبلغوا هذا الدين الى الناس كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وتدبره الناس لاسلخوا في دين الله افواجا ؟

(١) المنار : يشير الكاتب الى صلح الحديبية ولكنه قصر في البيان واختار الاختصار الخلل (٢) أي من المشركين (٣) الظاهر انه كان يريد ان يقول « علماء الاجتماع » فسبق القلم

آداب الاسلام في معاشرته المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب محيي الدين رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربي ما احكمك ، واحكم شرعك ونيك ، لقد صبيت الآداب والفضائل كلها في كتابك الحكيم ، واجريتها على لسان خاتم المرسلين ، فأبى لسان نحمدك ونمجدك ؟ وبأي عمل نشكرك على آلائك واحساناتك ؟ فشكرا لك من عبد ضعيف ، وصلاة وسلاما على نبيك الأمين .

الاسلام وما ادراك ما الاسلام ؟ الاسلام هو ذلك الدين الذي سوى بين الامير والحقير (بل لاحقير عنده) أما بلغك خبر الأمير العادل «عمر بن الخطاب» مع ذلك الأمير الفسافي جيلة بن الابهيم الذي وطئ الاعرابي وصفقه ^(١) على قفاه ؟ هل قبل منه عمر أن يجعل بينهما درجات متفاوتات ؟ كلا ! ثم كلا ! ولذلك فر الفسافي هاربا الى القسطنطينية ولا تسأل عما حل به من الندم بعد ذلك ، فشعره يشهد على ندمه العظيم هذا ما كان من عمر في قضية الأمير الفسافي والصعلوك العربي ، وانظر الى ما كان منه مع ابن عمرو بن العاص حينما ساط القبطي الذي سبقه (ولا تنس فضل ابيه الفاتح وانه كان صغير السن قد يهفو) فقد كتب الى ابيه : يا عمرو منذكم استعبدتم ^(٢) الناس وقد ولتتم أمهاتهم احرارا ؟

ما هذا بعبد انسان ، انما هو من هدى القرآن ، نعم هذا هو سبيل الاسلام وأمرائه ، وليس بعجيب ان قلنا ان التاريخ لم ير أعذل منه . ولعلك تذكر أن عليا (وهو صهر الرسول وابن عمه) تحاكم مع يهودي امام قاض مسلم ^(٣) فكناه القاضي ونادى الآخر يا يهودي ! فغضب علي من القاضي وقال له : ما كان لك ان

(١) الصواب : وطئ الاعرابي ذيله فصفقه الخ (٢) الرواية المشهورة « منذكم تبعتم الناس » الخ وان عمر استقدم عمرا مع ولده الى المدينة وأمر القبطي ان يضرب ابنه كما ضربه وقال له « اضرب ابن الاكرمين » اذ كان ابن عمرو لا يضرب القبطي يقول : انا ابن الاكرمين . (٣) انما تحاكم الى عمر بن الخطاب مخاطب عمر اليهودي باسمه ، لا بنسبته الى قومه

تفعل هذا في موقف القضاء بل كأن يجب أن تسيني وتسميه .

خير الأمور التسامح في محله وقد جرت الشريعة الإسلامية على هذه الفضيلة وحشت عليها في مواضع شتى . وكمن موقف لأمراء الإسلام وعلمائه اسرع التراجع اليه فاقضيه وحلي به جوده العاطل ، فالشريعة تنادي اهلها أن : خالفوا الناس بمخالق حسن . (واذا حيتيم بتحفة فموا بأحسن منها أو ردوها) « من غشنا فليس منا » (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤثما تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل » الآية . (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) . (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) .

ولو أردنا تتبع ما ورد في الشريعة من الآي والحكم الواردة بخصوص الخالفين لنا فقط لما أمكننا في هذا الموقع ، غير اننا نعلم بالجملة من تاريخ السلف الصالح وما اقتبسناه وأرشدنا الى تدبره من قرآن وحديث ، أن الدين الاسلامي خير دين قد أخرج للناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحترم المصالح العامة والمصلحة ، ولا يأمر الا بكل خير وصالح لمعتقيه والمستظلين برايته البيضاء ، حتى يجعل الجميع في هناء ، يرفلون في حلل السعادة وطيب العيشة الراضية :

لا تظن ان الاسلام احقر اهل الذمة واهتضم حقوقهم . كلا ! بل هو مع ذلك لم يرغمهم على الدين به وهو خير دين (لا اكراه في الدين) فالدين قد جعل لهم أحكاما ترضيهم ، فعند لتلك الفقهاء الابواب والفصول ؛ وكلها مستمدة من الدين القويم ، فقد جعلهم احرارا ، واي حرية اكبر من حرية ذلك اليهودي الذي اخذ بتلايب النبي صلى الله عليه وسلم يمجذ به اليه ويصيح به . فهم عمر باستلال السيف فناداه النبي : دعه فانه له حقا ^(١)

(١) الرواية ان اليهودي اراد اختيار خلق النبي (ص) فاشتري منه تمرا الى اجل واعطاه اثنان وجاء يطالبه بالتمر قبل الاجل بيومين ، فاخذ بمجامع قبضه وردائه ونظر اليه بوجه غليظ وقال : الا تهضيني يا محمد حقي ؟ فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل . فوبخه وهدده عمر فقال له النبي (ص) يهدوه « اما وهو كذا =

هذه الواقعة التي وقعت من أبي المسلمين محمد (ص) تعطينا درساً اجتماعياً كبيراً الأهمية عظيم المنفعة ، وتعظم منزلة الدين في نفوسنا ، ولعلنا نقوم فنحيا كي سلفنا الصالح ونسير على نهجه اقوييم فنعود أمة حية ، وليس بعجيب على التاريخ أن يعيد نفسه ؛ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لهذا بدون إثارة الغبار على من خالفنا ، كما نسأله أن يهدي مخالفينا ويحفظنا أمة صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

إنشاء الطالب عبد الرحمن عاصم

اقتضت حكمة الله تعالى بأن يرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، بدين الفطرة السليمة والعقل الصحيح . ليكون الناس أمة واحدة مجتمعهم جامعة الدين على كلمة الاخلاص لله وحده ، والشهادة لبيته محمد (ص) بالرسالة ، فجاء صلى الله عليه وسلم بمشراونديرا ، وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا ، جاء كما قال (ص) لقيم مكارم الاخلاق ، جاء بالآداب السامية والاخلاق الشريفة ، من بعد ما اعد الله تعالى لقبها نفوسا زكية وأرواحا طاهرة ، فقبلتها بقبول حسن ، وأبنتها نباتا حسنا ، فكان الناس يدخلون في دين الله افواجا ، لما يرون من السعادة في لباسها . وقد سمعت عن كاتب فرنسي ترجم رواية عربية وكتب لها مقدمة قال فيها ما معناه — إن من سوء حظ فرنسا أن صادمت العرب [ويريد المسلمين] . ومنعتهم من استثمار بلادها ، لأنها لو تركتهم يعمرون البلاد لسبقت فرنسا الأمم الى المدينة والحضارة بسنين عديدة ^(١) هذي شهادة رجل بعيد عن الآداب الاسلامية — والفضل ماشهدت به الأعداء — ^(٢) يقول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

= احوج الى غير هذا منك يا عمر : تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التفاضي ، اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته » فأسلم اليهودي لذلك . رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي . (١) الصواب لسبقت الامم الاوربية بعدة قرون . والرواية التي اشار اليها هي رواية العباسية أخت الرشيد لجرى بك زيدان (٢) (إيراد هذا المثل هنا حجة على الكاتب

عن المنكر) وبين طريقة الدعوة واسلوبها بقوله سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) فبهذه الآية أمرنا الله تعالى بأن ندعو ونخاطب مخالفتنا ومعاوندتنا باللين والالطف، ونحاجتهم بالتي هي احسن، حتى نستميلهم الى الاسلام ليكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

والآثار التاريخية التي تدل على تسامح المسلمين مع مخالفيهم كثيرة منها أن يهوديا لقي النبي (ص) وطالبه بدين له ثم أمسك بثوبه وهزه، وصفح عنه الرسول (ص) الصفح الجميل. ومن آداب الاسلام في معاملة المخالفين أن الرسول (ص) كان غائما في غزوة من غزواته فلما كثرة وجاءه احد كبار المشركين وراها ترى فأعجب بها فوهبه اياها الرسول (ص) فأسلم المشرك لما رأى من ساحة النبي (ص) وكرم اخلاقه. ومن آداب الاسلام في معاشرة المخالفين أن ابن قنق مصر كان يتسابق مع المتسابقين فسبقه قبطي فأخذته العزة فلطمه، ووصل الخبر لصاحب العدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني، فكتب الى ابن العاص يعاتبه على هذا ويزجره قال (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد وضعتم أمهاتهم احرارا) (١)

ومن ذلك ما يحكى عن جبلة بن الايهم أنه كان يطوف في البيت مسلا إزاره ومر به فزاري فوطئ الأزار فسقط عن منكبى جبلة فلطمه جبلة لطمه فشكا الفزاري جبلة لسيدنا عمر (رض) فأمر عمر بأخذ حق الفزاري من جبلة - وكان من كبار العرب - فقال جبلة لعمرو أنساوين بهذا الرجل وأنا ابن الايهم؟ فقال عمر (رض) الاسلام قد ساوى بينكما. الخ

ومن آداب الاسلام التسوية في الحقوق بين الناس. ومن ذلك ما روي في رسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس في القضاء (٢) (سو بين الناس في عدلك وبحسبك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يأس ضعيف من عدلك) هذا وان من ينظر في جميع الأديان التي عليها الناس فلا يجد دينا كالدين الاسلامي في آدابه في معاشرة المخالفين ومعاملتهم. فقد روي عن نبي الرحمة محمد (ص) انه

(١) بينا الصواب من الرواية في هامش النبعة التي قبل هذه (٢) كتاب عمر في القضاء هذا كتبه الى ابي موسى الاشعري (رض)

قال في الذميين ما معناه (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ^(١) وقد عرفنا التاريخ ذلك فاتهم بقوا في أوطانهم يقيمون شعائر دينهم آمنين على انفسهم متمتعين بالرأفة والنعيم . كل ما اتيت به من حسن معاشرة المسلمين للمخالفين ومن المساهلة في معاملتهم انما هو أثر من آثار الدين الاسلامي الذي جاء به محمد (ص) نورا وهدى وحزكيا ، جاء الناس بسلام من عند ربه ليكونوا به آمنين ، جاء مسهلا لا معسرا ، مبشرا لا منفرا ، ليجمع الناس على صفاء واخلص يجب الرجل لأخيه ما يجب لنفسه ، بل (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة)

اذا تبين لنا ما جاء به الاسلام من حسن المعاشرة ، واللين في المعاملة ، فلا يضربنا قول جاحد . ولا يهينا صوت مفسد ، اذ ليس من كل الاصوات تحجب الهية . بل نقول لأولئك المنكرين لهذه الفضائل (لكم دينكم ولي دين) كيف لحولاء الناس يقولون على دين الله ما لا يعلمون ، يزعمون أن الاسلام شديد في معاملاته ، والله يقول (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء المنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)

آداب الاسلام في معاشرة المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب عبد العزيز التقي

الدين الاسلامي دين الرحمة والعدل ، دين الحكمة والعقل ، دين الاحسان والفضل ، دين يأمر بالاحسان لجميع البشر ، دين يأمر بالرأفة بالحيوان فضلا عن الانسان ، يظهر ذلك في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وجميع السلف الصالح من بعده

أجل نظرة في سيرته الطاهرة تجدناها حافلة بالمواعظ مشحونة بالوصايا بالحث على الاحسان لجميع الخلق كقوله (ص) « انطلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله » وقوله « في كل ذي كبد حري صدقة » ^(٢) ما هذه الرحمة والحنان ! ما هذه الشفقة

(١) الحديث ورد في المهاجرين ، واستعمل العلماء العبارة في حقوق الذميين

(٢) الحديث « في كل ذات كبد حري اجر »

والاحسان اما هذه الرأفة التي لم تقصر على بني البشر بل عمت كل من اتصف بالحياة .
الله اكبر ان دين محمد وكتابه اقوى واقوم قبلا
لا تترك الكتب السماوية^(١) عنده طلع الصباح فأطفى القنديلا
أدر بصرك في أفصاله (ص) تجد انه كان يقابل السيئة بالحسنة . اضرب لك
مثالا صغيرا تقيس عليه ما لم تعلم . كان احد اليهود يؤذيه (ص) ويضع الاقتدار
في طريقه اذا خرج الى المصلى ، فلما مرض ذلك اليهودي فقده (ص) بفقد ما كان
يضع فسأل عنه (ص) فقيل انه مريض فذهب (ص) لزيارته . فلما رأى ذلك اليهودي
فعله وحفاوته به مع علمه انه يعلم ما كان يصنع في اذيه ، قال اشهد ان لا آله الا الله ،
وان محمدا عبده ورسوله . فيا حبذا لو جرى المسلمون على هذه القاعدة في معاملة
مخالفهم في الدين ، اخوانهم في الوطن والبشرية . فوالله لو جروا على هذه القاعدة
لسلخ الناس في دينهم افواجا .

من راجع القرآن الشريف وجد نصوصه الكريمة في كيفية الدعوة تدور على
محور الحكمة والعقل والاحسان والفضل . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وسجادهم بالتي هي احسن) وامتن تعالى على نبيه (ص) بقوله (فيما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تعالى
(لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن)

نرجع الى النظر فيما جرى عليه السلف الصالح في ذلك اي في معاملة مخالفهم
في الدين ، نجد أنهم جعلوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين المسلم وغيره في
الحقوق . انظر الى ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لعمر بن العاص قائم مصر
حينما تسابق ابنه مع ابن القبطي فسبقه فاطمه ابن عمرو واختر عليه بآبائه ، فلما بلغ
ذلك عمر رضي الله عنه ارسل اليه يهدده ويقول له : « متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد
ولدتهم أمهاتهم احرارا » وحكم عليه بان يرضي القبطي او يقتص منه^(٢) . وقصة اليهودية

(١) الصواب : السوائف (٢) تقدم الصواب في الرواية

صاحبة البيت الذي كان في المسجد مشهورة ، بل نرى من تسامحهم انهم قد أرقوهم (١) الى اعلى المراتب فانخذوا منهم الكتاب وغيرهم ، وقد اتخذ الحرس في المدينة المنورة في يوم من الايام من النصارى . ومن راجع تاريخ الدولة العباسية في عنوان التمدن الاسلامي رأى أن للذميين من ذلك حظا وافرا ، فقد أرقوهم (٢) الى اعلى المناصب فصار منهم الاطباء والندماء للولوك وغيرهم . هذه المعاملة تمثل لنا عدالة الدين الاسلامي وتسامحه وآدابه الراقية

فعلى رجال الدعوة والارشاد الذين قد اخذوا على عواتقهم هذه الامانة وعاهدوا الله عليها - وهي ارشاد المسلمين الى اوامر دينهم ودعوة غيرهم اليه - أن يظهره في ثوبه الحقيقي ، وان يجعلوا نصوص الكتاب والسنة وأعمال النبي « ص » والسلف الصالح امام اعينهم ليسيروا عليها ، وليفطنوا لمقاصد الدين التي جاء اليها ، وهي اصلاح نفوس البشر وتخليتها بالفضائل ، وتطهيرها من الرذائل ؛ لتسكون اهلا لجوار الله تعالى في الآخرة ، واصلاح حال المجتمع الانساني في هذه الدار التي قدر له ان يعيش فيها برهة من الزمن . وليعلموا الناس أن الله قد جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان الله فني عن العالمين .

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملاتهم

انشاء الطالب محمد أبو زيد

قال الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤم وتسقطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) من فقه حكمة الاسلام ووقف على مقاصده وما يرمي اليه ، عرف أن المراد منه اتمام الفطرة البشرية بما يصلح به شأن الانسان في حياته الاولى ، ويتال به الرضوان الاكبر في حياته الاخرى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

ولما كان حسن المعاشرة والمعاملة من اعظم ما يكون في النفس الملكات الفاضلة ، ويقوي الصلة بين الافراد والامم ، كان مما امتاز به ذلك الدين العناية بشأنها ، والحث عليها ، غير ناظر الى ما يكون عليه المعاشرة او المعامل من المخالفة - وليست المخالفة قاصرة على الدينية فقط بل يدخل فيها الجنسية والعقوبة وغيرها

ولقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فلم يتجاوز امر ربه في دعوة مخالفتي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) حتى كان من تمام رفته في مخاطبته ما حكاها عنه ربه (وانا اءاياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) ولم يترك التلطف في معاملاتهم حتى جعل لمن دخل في حوزته واطمان من جهته الامان من كل ما يشينه ، وحافظ على حقوقه كما يحافظ على جميع المسلمين . وسار من بعده من اهل العدل على قوله (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) حتى لقد شغل كثير منهم مراكر في الحكومات الاسلامية المتقدمة وغير ذلك مما يشهد به التاريخ

هذا وان الاسلام يرى مما يرميه به اعداؤه من التعصبات الدينية - على زعمهم - نظرا لما قرره في اصوله المبينة على الدليل والبرهان « قد تبين الرشد من الغي » كما وانه (؟) قد قضى على الجنسيات والامتيازات بشير ما فيه التقى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) فما اعظمه من دين سوى بين الطبقات بعده ، فانفذ الناس من العبودية القديمة ، وما اعرفه بحقوق الانسان ! قرر القضية برتبتها - العدل والاحسان - فقبضى له بالاولى ليكون مرفوع الرأس آمنا من الدل (وجزاء سيئة سيئة مثله) وخيره في الثانية ليدوق حلاوة فضله ويشعر بلذة احسانه (فمن عفا واصبح فآجره على الله)

فوالله ما وجد للبشر دين أرحم على الانسان منه ، ولا عرف ضمير المخالفين معاملة أوفى من معاملته ، دين يقول كتابه (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) جدير بان يسود بمتبعيه

دين يقول نبيه « سلم على من عرفت ومن لم تعرف » « خالق الناس بخلق حسن » حقيق بان يسعد من دخل في حظيرته . دين يقول كتابه (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ويقول نبيه « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » لا يسع كل مجرد عن الاعراض بعيد عن الهوى الا ان يقر بفضله ، ويخر ساجدا لآياته

دين قد شهد لنفسه بما أحدثه في العصور الخالية من الانقلاب المدهش ، وأقر له اعداؤه - والفضل ما شهدت به الاعداء - بان التسامح لم يرا أكثر عدلا ولا احسن معاملة من امله ، لا شك في تسامحه ، ولا ريب في كونه دين الاصلاح العام لجميع البشر

مصائب مصر والشام . برجال العلم وحملة الاقلام

٢ - الشيخ حسن المدور

هو من بيت معروف في بيروت . اشتغل من اول نشأته بطلب العلوم العربية والشرعية ، وصحب الاستاذ الامام ايام هجرته في بيروت وتلقى عنه ، فاستنار عقله ، واشرب حب الاصلاح في قلبه ، ولكنه كان يداري الجاهلدين ، ويخاف شر المستبدين ، فلهذا لم ينهض بالدعوة الى الاصلاح ، ولم يقم بمظاهرة الظاهرين بها في زمن الاستبداد . على انه كان يدرس ويفيد الطلاب باعتداله ورويته ، وقد رغب الي منذ سنتين ان ارسل اليه ما طبع من (تفسير القرآن الحكيم) ليقرأه درساً في الجامع الكبير ، فلم ابادر في ارساله اليه ، فكنت في ذلك مخطئاً ، وما كنت التمسه لنفسي من المدر في التأخير كان ضعيفاً .

وكان العقيد كريم الاخلاق ، حسن المعاشرة ، واسع الحلم ، شديد الاحتياط في أموره ، فوجود فقيه مثله في بيروت كان ضرورياً ، اذ كان رحمه الله تعالى وسطاً بين تشديد الجاهلدين ، وشذوذ المتساهلين المفرطين ، فهو من الافراد الذين لا تستفي أمتنا الاسلامية في قطر ولا مصر عن واحد أو أحاد منهم في هذا العصر - عصر التحول والاقبال . وقد كان مسلمو بيروت مستفيدين من هذه المزية من مزاياء وان لم يعرفها له الجمهور منهم .

وقد صار في العهد الاخير أميناً للفتوى في بيروت فكان خير عون وظهير لمفتيها لهذا العهد صديقنا الشيخ مصطفى نجبا . ويسوعنا اننا لا نعرف من ترجمة هذا الصديق شيئاً كثيراً ثابتته في ترجمته ، ليكون ذكراً باقياً له ، فنحن نعلم انه كان يفيد طلاب العلم والمستفتين بعلمه وعقله وأدبه . ولا ندري أكتب شيئاً من الكتب والرسائل المفيدة أم لا . وقد خسرت بيروت بفقد خسارة لا عوض لها الآن عنها ، لضعف الاشتغال بالعلوم الدينية فيها . وهو قد دخل في العقد السادس من عشرات سني عمره ، وكان جيد الصحة فعرض له المرض أياماً معدودات انتهت باجله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

٣ - الشيخ محي الدين الخياط

ولد بمدينة صيدا في رجب سنة ١٢٩٢ ، فكانت وفاته في أواخر السنة القمرية لثمئة للاربعين : ورايتا في بعض جرائد بيروت التي أبنته ان والده من السلالة العلوية ، وأنه رغبته عن التفاضر بالانساب لم يكن يعرف عنه كلمة تدل على ذلك ، وان أمه ألبانية الاصل ، وكانت كريمة الخلق ذكية الفؤاد ، فهي التي تولت تربيته

وعنت بتعليمه . وقد تعلم التعليم الابتدائي في مدرسة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت ، وتلقى بعض علوم الادب والدين عن الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي والشيخ يوسف الاسير البيروتي اللذين انتهت اليهما رئاسة العلوم العربية والشرعية في بيروت . ثم كان جل تحصيله بمجده واجتهاده في المطالعة والمراجعة والتعليم ، وعني بالكتابة المصرية ونظم الشعر فكان في الرعيل الأول من فرسانها في وطنه . وعلم في بعض المدارس ، وحرر في عدة جرائد ، وألف عدة كتب قرظها المنار في ازمته نشرها ، حتى صار أشهر شيان النهضة الاسلامية في بيروت

لقيته في بيروت قبل هجرتي الى مصر ، فاذا هو شاب يتدفق غيرة على الامة وشعورا بسوء حالها ، وشدة حاجتها الى الاصلاح وبجارة الامم الحية . ولما أنشأت المنار جعلته وكيلا له في بيروت وما يتصل بها ، فقبل ذلك بالارتياح ، وكان مقتطعا بالمنار اشد الاغتياب ، على ما كان في ذلك من الخطر والتعرض لاذي الحكومة الحميدية . ولكنه عهد بعد ذلك بتوزيعه وجمع مال اشتراكه لصاحب له من ذوي المطامع الدينية وفاسدي الاخلاق ، ففشنا به - غير متعمد - عدة سنين ساعده الله وعفا عنه . كان الفقيه صاحب همة عالية ، وحب للاستقلال الفكري والحرية ، وميل شديد للسياسة ، ولو أتبع له ان يعيش في بلاد حرة يعمل يستقل به لظهر من استعداده ما كان كائنا ، ولصار من أشهر كتاب العصر المصلحين . ولكنه كان ضعيف الثقة باستقلال نفسه في العمل ، فلم يتجرأ على الهجرة ولا على النهوض بعمل مستقل غير مضمون الرج ، ولهذا باع قلمه لاصحاب الجرائد بالاجرة مراعيا مشاربهم ومذاهب سياستهم فيها ، فكان لا يؤلف كتابا الا بعد ان يتعاقد مع رجل يطبعه على نفقته ، ويكون ملكا لطابعه من دونه ، وكان الباعث له على ذلك الحاجة الى المال ، وحسب التعجل برج قطعي بلا ثقة ولا انتظار ، وكان من لوازم هذه الطريقة من الكسب بالقلم اختيار ما يروج عند الطابعين وسرعة التأليف ، فالوقوف به عند ح - في استطاعة المؤلف ما هو أعلى منه . ولولاها لم يحرص جل ما كتبه في كتب التعليم الابتدائي ، فانه لم يؤلف الا كتب دروس التاريخ الاسلامي والعربية والفقه والمطالعة للمدارس الابتدائية . وعاق على دبواني ابي تمام وابن المعتز تفسيراً لقرئيهما سلك فيه مسلك الاختصار المخل ، وواقعه الاستعجال في كثير من الغلط ، على أنه كان من أحرص كتاب العصر على ضبط اللغة وصحة العبارة ، والثقة مما يضبطه بدقة المراجعة . فكان بضاهي الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا . وكان يعرف اللغة التركية ، وترجم عنها قصيدة (الوطن) لنا مق كمال بك الشبير . وكان يرجي من خدمته للغة العربية ما هو اعظم من ذلك ، ولكن كان من سوء حظ الامة العربية ان فقدته عند ما بلغ اشده واستوى ، وقوي في اتقان خدمة الامل والرجاء . عرضت له حمي وهو في عنفوان

قوة ، فقضيت في اسبوع واحد على حياته ، فخرت بفقده الامة العربية قلما سيلا ، وذهنا جوالا ، وهمة لا تعرف ملالا ولا كلالا .

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

هو علامة الشام ، ونادرة الايام ، والجديد لعلوم الاسلام ، حيي السنة بالعمل والتعليم ، والتهديب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن ، الفقيه الاصولي ، المنقصر الحدث ، الاديب المثقف ، الفقي الاواب ، الحليم الاواه ، العفيف الزهيد ، صاحب التصانيف الممتعة ، والاجنات المكننة ، صديق الصفي ، وخلنا الوفي ، واخوانا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، واحسن عزاءنا عنه .

نشأ الفقيه في بيت من بيوت العلم والدين في دمشق الشام ، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين والف . وتلقى مبادئ العلوم العربية والشريعة عن والده الشيخ سعيد بن الشيخ قاسم الملقب بالخلق . والقاسمي نسبة الى الشيخ قاسم هذا . ووالدته علوية يتصل نسبها بنسب الشيخ ابراهيم الدسوقي الشهير . وقد عني الفقيه في آخر عمره باثبات هذا النسب ، وكتب له شجرة ، وجاء مصر في العام الماضي لشؤون تتعلق بذلك . فسررنا بلفاته ، وجددنا ما لانتحلقة الايام من عهود إخوانه . وكتبنا له كما أحب كلمات على نسبه . وقد صار بعض تلاميذه ومحبيه يطلقون عليه لقب « السيد » بعد تحريك هذا النسب ، بناء على القول بمصوم شرف الاسباط . ولكن المعروف الذي عليه أكثر المسلمين على خلاف هذا القول . والكثيرون من أهل سورية يطلقون لقب « السيد » على من ليس له لقب علمي ولا رسمي ، ولعل ذلك من نزغات الامويين ، في هضم حقوق العلويين . والشيخ غني عن هذا اللقب ، الذي لا يفهم المراد منه أحد .

وقد تلقى العلوم المتداولة في الشام عن الشيخ بكرى المطار اشهر علمائها وفقهاء الشافعية فيها ، وكان يحضر مجالس الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار محمد مذهب السلف في الشام ، وقد استفاد من علمه وعقيدته الاثرية وهديه واخلاقه المرضية ، ما لم يستفده من غيره . وصحب الاستاذ المعن الملقب بالشيخ طاهراً الجزائري ، فاستفاد من محبته علما بحال العصر ، ومعرفة بنوادر الكتب وثرائب المسائل ، وصحب العالم المستقل الشيخ سلم البخاري ، وأثرا من خيرة شبان العصر المذنبين كرفيق بك العظم ومحمد افندي كرد علي وغيرها وجماعتهم . فكان له محبة هؤلاء الشيوخ والشبان ، وهم خير من ائنت الشام في هذا الزمان ، تأثير عظيم في حياته العلمية ، من حيث فمحت لاستمداده الفطري ، واستقلاله الوحي ، ابواب البحث والتحقيق ،

وعدم الوقوف عند المسلمات من التقاليد ، ونهته الى حاجة الامة الى الاصلاح المدني كحاجتها الى الاصلاح الديني . وجاء مصر مع الاستاذ البطار ، على عهد الاستاذ الامام ، فاختبطا بلقائه واغبط بلقائهما ، وصارت المكتبة بمذلك متصلة بينه وبينهما وإنما كان جمال الدين ذلك الرجل بجوهر نفسه ، وقوة استعداده ، وكم من طالب علم سمع مثل ما سمع ، وأقي من الشيوخ والشبان مثل من لقي ، فأنكر كل ما خالف - وعلى كل من خالف - ما عرف وألف . ولم يهده ذلك الى طلب علم جديد ، ولا الى مراجعة النظر واستشارة الدليل . فالحق ان الافراد الذين امتازوا في هذا العصر من أمثا بالعلم الصحيح والتصدي للاصلاح ، انما امتازوا اولا بقوة الاستعداد ، والدليل القطري الى الاستقلال ، ثم سلوك النظر والاستدلال ، فن كان هكذا نفسه لقاء اهل الاختصاص ، والاطلاع على احسن الكتب والاسفار ، فيكون في ذلك كالمحبة في الروض ، تحني من ناضر الازهار ويانع الثمار اطيب ما فيها .

رغبت بعض المدرسين ، في قراءة كتاب احياء علوم الدين ، قلب اوراقه كلها او بعضها ، فلم يقع اختياره على شيء قرأه منها ، الا بعض حكايات الصالحين ، وبعض الآثار في فضائل الاعمال . فهو لم يستفد من علم الغزالي مسألة ما ، ولم يقتل من خصائص الكتاب شيئا . ذلك بان هم ذلك المدرس كان محصورا فيما رأى عليه أمثاله ، وهو انتفاء ما يرضي الناس ويلذ لهم ، ولا يذكهم بشيء من جهلهم ، ولا يكشف لهم الستار عن شيء من عيوبهم ، ولا يندبهم سوء اقية افراطهم وتفریطهم . نعم ان كل فرد من أولئك الافراد القلائل الذين نعدم في هذا العصر من المصلحين - وصديقنا المترجم منهم - لم يكن امتيازهم الا بصفاء جوهرهم وقوة استعدادهم القطري للاستقلال والكمال . مع التوفيق للطلب والاشتغال ، واتفاق لقاء بعض أصحاب المزايا من الرجال ، ذلك بأنه ليس في أمثا مربون ، ولا معلمون مصلحون ، لا في البيوت ولا في المدارس ، ولو وجد فينا كثير من المصادر على التزية الصحيحة والتعليم الاستقلالي ، لوجد في كل بلد - لاني كل قطر قط - كثير من أمثال القاسمي .

ظهر الشيخ جمال الدين في الشام على حين فترة من العلماء ، فقد كانت من ادركه من كبار شيوخها آخر الذين عنوا بدراسة الكتب الممهودة التي يطلق على مدارسها لقب (علماء) على ان العلم الصحيح - وهو العلم الاستقلالي المبني على الدليل - كان قد حُجِر عليه وحُكِمَ بحججه من عدة قرون ، فلم يكن أحد يشم ريحه ولا يشم وميضه الا قليلا ، وصار الناس كالحفايف لا يفحصون في هذا النور عينا ، ولا يجولون في شعاعه فكرا . . ظهر التقيد وفي ذمته الشام أفراد ورتوا عن آبائهم واجدادهم عمائم العلماء والقابهم والرواتب التي كانوا يأخذونها من اوقاف المسلمين

ولم يروا عنهم من العلم بتلك الكتب شيئا . فاتهم العلم ولم يقتهم صرف الاوقات كلها في استنباط الحيل للتمتع بحجابه وعبده ، بما للتمتع بالقابه وأزيائه ونفقه ، فكان من اكبر الخطوب عليهم ان يروا في الشام عالما بتعدي للتدريس والتصنيف ، ويبين حاجة البلاد الى الاصلاح والتجديد . فاذا تعدي لذلك أحد يكيدون له المكائد ، وينصبون له الحبال ، ويغفونه الفتنة ، ويجهلون في موقف الظنة ، فيسبون به الى الحكام ، انصار كل متافق ، ويهيجون عليه العوام ، اتباع كل ناعق . فاذا يعمل العالم المصلح بينهم ؟

اذا كان عمل القاسمي للاصلاح وتجديد علوم الدين صغيرا في نفسه ، فهو كبير جدا في بلاده و بين قومه ، فا القول فيه اذا كان عمله كبيرا في الواقع ، وقد عظم المطلوب وقل المساعد ؟

كان رحمه الله تعالى يقرأ الدروس العربية والشرعية للطلبة وللعمامة ، ويخطب في المسجد خطبة الجمعة ، ويصنف الرسائل والأسفار الممتعة ، ويصحح ما يرى نشره فانما من كتب المتقدمين ، ويشرح المختصر ويختصر المطول منها ، ويسمى في طبعمها ونشرها ، ويستروح الاستقلال والاستدلال في ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي احسن . ولم يسعى فيه وكاد له أولئك المسمون الجاهلون فأنجاه الله منهم ، وان اكبر الكبائر التي يتهمون بها كل من يدعو مثله الى العلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هي محاولة هدم الدين ففتح باب الاجتهاد والاستدلال ، وما يستلزمة ذلك بزعمهم من تحقير الأئمة ، ومن اتبعهم من علماء الأمة !! وقد اتهم مرة بذلك مع بعض اصدقائه وعقد لهم مجلس في المحكمة الشرعية وسألهم القاضي عن تلك التهمة ، واخذ القعيد من دونهم الى دار الشرطة ، وحبس فيها بضع ساعات .

كان له رحمه الله تعالى دروع سافعات من اخلاقه وسيرته ، تقيه بغي أعداء العلم والاصلاح من حساده ، اذ كان نزهة اللسان ، بعيدا عن المراء والجدال ، متجنبيا للازراء بغيره ، والتعريض بميزة خصمه او مدح نفسه ، غير مزاحم لوارثي المائث على الخطام ، ولا مسابق لهم الى ابواب الحكام ، - الى ما كان عليه من العبادة ، والعفة والاستقامة .

(للترجمة بقية)

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « متاراً » كنفار الطريق ﴾

مصر سلخ شعبان ١٣٣٢ هـ ق ٢ الصيف الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٤ يوليو ١٩١٤

فَتَكُنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

استفهام هذا الباب لا حاجة لثلاثة مشتركين خاصة ، إذ لا يسم طاعة الناس ، ونشترط على السائل ان يذكر اسمه ولقبه وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحرف وفي ان شاء الله تعالى ذكر الاسئلة بالتسوية قالوا ورعا قد علمنا غير السبب كعبادة الناس الى بيان موضوعه ورعا لاجتنابه مشترك لئلا هذا ، ولم يفهم .

(ووجوب تعلم العربية على كل مسلم)

(١٩ س) من صاحب الامضاء بنصر

السيد الامام صاحب المنار

قرأنا في أعداد سابقة من مجلتكم المنار أدلة وجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم وأشرتم في بعض الأجزاء الى ان الامام الشافعي (رح) قال بذلك . ثم قرأنا في الجزء السابع من المجلد ١٧ قول عبيد الله صاحب « قوم جديد » باستثناء المسلمين عن تعلم العربية . فترجوا أن تنشروا قول الامام الشافعي بذلك الجأماً لذلك السجال واطمئناناً لقوم يؤمنون ؟

مستفيد

يقرأ المنار

(ج) جاء في رسالة الامام الشافعي التي هي أول رسالة كتبت في أصول الفقه برواية الربيع بن سليمان المرادي ما نصه :

(قال الشافعي) رضي الله عنه والقرآن يدل على أن ليس في كتاب الله شيء الا بلسان العرب ، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليدا له وتركنا للسائلة له عن صحته ومساءلة غيره ممن خالفه ، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم . ولعل من قال : ان في القرآن غير لسان العرب ، وقيل ذلك منه ذهب الى أن من القرآن خاصا يجهل بعضه بعض العرب ، ولسان العرب أوسع الاسنة مذهبها وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب

منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء ، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره ، وهم في العلم طبقات ، منهم الجامع لا أكثره ، وإن ذهب عليه بعضه ، ومنهم الجامع لأقل مما جمع غيره ، وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها دليلا على أن لا يطلب علمه عند غير أهل طبقة من أهل العلم ، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه حتى يوثق على جميع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ، فينفرد بهجة العلماء بحسبها ، وهم درجات فيما وعوا منها . وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلا من قبله عنها ، ولا يشرکہا فيه إلا من أتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ، وإنما صار غيرهم من غير أهل بتركه ، فإذا صار إليه صار من أهل . وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أهم من علم أكثر السنن في أكثر العلماء .

فإن قال قائل : فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب ؛ فذلك يمتثل ما وصفت من تعلمه منهم ، فإن لم يكن من تعلمه منهم فلا يوجد ينطق إلا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه ، ولا ينكر إذا كان اللفظ قبل تعلمه أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليل من لسان العرب ، كما ياتفق (١) القليل من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها ، مع ثنائي ديارها واختلاف لسانها ، وبعد الاواصر (٢) بينها وبين واقعت بعض لسانه منها

فإن قال قائل : ما الحاجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخطئه فيه غيره ؟ فالحاجة فيه كتاب الله ، قال الله تبارك وتعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد صلى الله تعالى عليه (١) قوله ياتفق هو مضارع بمعنى يوفق لكن لم تدغم فيه فاء الانفعال بل قلبت حرفا ليما من - نس الحركة قبلها وهي لغة أهل الحجاز يقولون : ايتفق ياتفق فهو موثق ولغة غيرهم الادغام (٢) الاواصر جمع أصرة وهي الرحم والقراة

وسلم كانوا يرسلون الى قومهم خاصة وأن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، قيل : فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه أو ما أطاقوه منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم ، فإن قال قائل : فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ؟ (قال الشافعي) رحمه الله تعالى : فالدلالة على ذلك بينة في كتاب الله عز وجل في غير موضع ؛ فإذا كانت الالسنه مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يجوز — والله تعالى أعلم — أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ؛ بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله فطليهم اتباع دينه . وقد بين الله تعالى ذلك في غير آية من كتابه . قال الله عز ذكره (وانه لتنزىل رب العالمين . نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) وقال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وقال (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى (حم ، والكتاب المبين ، انا جعناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها . ثم أكد ذلك بأن فقه عنه جل وعز كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا قالوا : لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربي ؟)

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : وعرفنا قدر نعمه بما خصنا به من مكانه فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه) الآية — وقال (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) الآية ، وكان مما عرف الله تعالى نبيه عليه السلام من انعامه عليه ان قال (وانه لذكر لك ولقومك) فخص قومه بالذكر منه بكتابه

وقال (وأُنذر عشيرتكَ الاقربين) وقال (لتُنذر أُم القرى ومن حولها) وأُم القرى مكة وهي بلده وبلد قومه ، فجعلهم في كتابه خاصة وأدخلهم مع المنذرين عامة ، وقضى أن يندروا بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة . فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتأوبه كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما اقترض عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له . كما عليه ان يتعلم الصلاة والذكر فيها ، ويأتي البيت وما أمر باتيائه . ويتوجه لما وجه له ويكون تبعاً فيما اقترض عليه ونذب اليه لا متبوعاً

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى وانما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمها انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها ، فكان تنبيه العامة على ان القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين ، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، أو ادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه وترك موضع حفظه ، فكان يجمع بين النصيحة لهم قياما بايضاح حق ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين طاعة لله . وطاعة الله جامعة للخير

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : أخبرنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال سمعت جرير بن عبد الله يقول : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وأخبرنا سفيان بن عيينة عن سهيل ابن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة — قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال — لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم » اه المراد منه

فصل *

إذا ثبت هذا انقلنا منه الى معنى آخر :

وهو أن الحرم ينقسم في الشرع الى ما هو صغير وإلى ما هو كبير -
 حسباً بين في علم الاصول الدينية - فكذاك يقال في البدع المحرمة
 إنها تنقسم الى الصغيرة والكبيرة اعتباراً بتفاوت درجاتها - كما تقدم -
 وهذا على القول بأن المعاصي تنقسم الى الصغيرة والكبيرة . ولقد اختلفوا
 في الفرق بينهما على أوجه ، وجميع ما قالوه لعله لا يوفي بذلك المقصود على
 الكمال . فنترك التفريع عليه .

وأقرب وجه ينسب لهذا المطلب ما تحرر في كتاب الموافقات ان
 الكبار منحصرة في الاخلال بالضروريات المعتبرة في كل ملة ، وهي
 الدين والنفس والنسل والمال . وكل ما نص عليه راجع اليها ،
 وما لم ينص عليه جرى في الاعتبار والنظر مجراها ، وهو الذي يجمع
 اشتات ما ذكره العلماء وما لم يذكره مما هو في معناه ،

فكذاك نقول في كبار البدع : ما أخل منها باصل من هذه
 الضروريات فهو كبيرة ، وما لا فهي صغيرة . وقد تقدمت لذلك أمثلة
 أول الباب . فكما انحصرت كبار المعاصي أحسن انحصار --- حسباً أشير
 اليه في ذلك الكتاب - كذلك تنحصر كبار البدع أيضاً ، وعند ذلك
 يمتز في المسئلة إشكال عظيم على أهل البدع يسر التخلص عنه في
 اثبات الصغائر فيها . وذلك ان جميع البدع راجعة الى الاخلال بالدين

(*) تابع لما قل من كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي

إما أصلاً وإما فرعاً، لأنها إنما أحدثت لتلحق بالمشروع زيادة فيه أو نقصاناً منه أو تغييراً لقوافيه، أو ما يرجع إلى ذلك؛ وليس ذلك بمختص بالعبادات دون العادات، إن قلنا بدخولها في العادات، بل تم الجميع

وإذا كانت بكميتها إخلالاً بالدين فهي إذا إخلال بأول الضروريات وهو الدين، وقد أثبت الحديث الصحيح أن كل بدعة ضلالة، وقال في الفرق: «كلها في النار إلا واحدة» وهذا وعيد أيضاً للجميع على التفصيل. هذا وإن تفاوت مراتبها في الإخلال بالدين فليس ذلك بمخرج لها عن أن تكون كباراً، كما أن القواعد الخمس أركان الدين وهي متفاوتة في الترتيب، فليس الإخلال بالشهادتين كالإخلال بالصلاة، ولا الإخلال بالصلاة كالإخلال بالزكاة، ولا الإخلال بالزكاة كالإخلال برمضان، وكذلك سائرهما مع الإخلال؛ فكل منها كبيرة. فقد آل النظر إلى أن كل بدعة كبيرة ويحجب عنه بأن هذا النظر يدل على ما ذكر، ففي النظر ما يدل من جهة أخرى على إثبات الصغيرة من أوجه:

(أحدها) أنا نقول: الإخلال بضرورة النفس كبيرة بلا إشكال، ولكنها على مراتب أدناها لا يسمى كبيرة؛ فالقتل كبيرة وقطع الأعضاء من غير أجهاز كبيرة دونها، وقطع عضو واحد كبيرة دونها، وهلم جرا إلى أن تنتهي إلى اللطمة؛ ثم إلى أقل خدش يتصور، فلا يصح أن يقال في مثله كبيرة، كما قال العلماء في السرقة: إنها كبيرة، لأنها إخلال بضرورة المال. فإن كانت السرقة في لقمة أو تطفيف بحجة فقد عذوه من الصغائر. وهذا في ضرورة الدين أيضاً.

فقد جاء في بعض الأحاديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول

ما تفقدون من دينكم الامانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، ولتنقض عرى
الايان عروة عروة ، وليصلين نساء وهن حيض - ثم قال - حتى تبقى
فرقتان من فرق كثيرة تقول احداها : ما بال الصلوات الخمس ؟ لقد ضل
من كان قبلنا ، انما قال الله « أتم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل »
لا تصلن الا ثلاثاً . وتقول أخرى : انا لنؤمن بالله ايمان الملائكة ، ما فينا
كافر . حق على الله ان يحشرهما مع الدجال « وهذا الاثر - وان لم يلتزم
عهدة صحته - مثال من أمثلة المسئلة .

فقد نبه على ان في آخر الزمان من يرى أن الصلوات المفروضة
ثلاث لاجل خمس ، وبين ان من النساء من يصلين وهن حيض ، كانه يعني
بسبب التعمق وطلب الاحتياط بالوساوس الخارج عن السنة . فهذه
مرتبة دون الاولى

وحكى ابن حزم ان بعض الناس زعم ان الظهر خمس ركعات لاربع
ركعات ، ثم وقع في العتبية ، قال ابن القاسم : وسمعت مالكا يقول : أول
من أحدث الاعتماد في الصلاة حتى لا يحرك رجله رجل قد عرف
وسمي الا أنني لا أحب ان اذكره ، وقد كان مُساءً (أي يساء الثناء عليه)
قال - قد عيب ذلك عليه ، وهذا مكروه من الفعل . قالوا « ومساءً » أي
يساء الثناء عليه . قال ابن رشد : جائز عند مالك ان يروح الرجل قدميه
في الصلاة ، قاله في المدونة . وانما كره ان يقرنها حتى لا يعتمد على
احداها دون الاخرى ، لان ذلك ليس من حدود الصلاة ، اذ لم يأت
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف والصحابة
المرضيين ، وهو من محدثات الامور . انتهى .

فمثل هذا - ان كان يمدده فاعله من محاسن الصلاة وان لم يأت به أثر - فيقال في مثله : إنه من كبائر البدع . كما يقال ذلك في الركعة الخامسة في الظهر ونحوها ، بل انما يمد مثله من صفات البدع ان سلمنا ان لفظ الكراهية فيه ما يراد به التنزيه ، وإذا ثبت ذلك في بعض الامثلة في قاعدة الدين ، فمثله يتصور في سائر البدع المختلفة المراتب ، فالصفات في البدع ثابتة كما أنها في المعاصي ثابتة .

(والثاني) ان البدع تنقسم الى ماهي كلية في الشريعة والى جزئية ، ومعنى ذلك ان يكون الخلل الواقع بسبب البدعة كلياً في الشريعة ، كبدعة التعسين والتقييع العقليين ، وبدعة انكار الاخبار السنية اقتصاراً على القرآن ، وبدعة الخوارج في قولهم : لاحكم الا الله . وما أشبه ذلك من البدع التي لا تختص فرعاً من فروع الشريعة دون فرع ، بل تجدها تنتظم ما لا ينحصر من الفروع الجزئية ، أو يكون الخلل الواقع جزئياً انما يأتي في بعض الفروع دون بعض ، كبدعة الثبوت بالصلاة - الذي قال فيه مالك : الثبوت ضلال . - وبدعة الاذان والاقامة في العيدين ، وبدعة الاعتماد في الصلاة على احدي الرجلين ، وما أشبه ذلك . فهذا القسم لا تتمدي فيه البدعة محالاً ، ولا تنتظم تحتها غيرها حتى تكون اصلاً لها .

فالقسم الاول اذا عدّ من الكبائر اتضح مغزاه وأمكن ان يكون منحصراً داخلاً تحت عموم الثنتين والسبعين فرقة ، ويكون الوعيد الآتي في الكتاب والسنة مخصوصاً به لا عامافيه وفي غيره ، ويكون ماعداً ذلك من قبيل اللهم المرجو في العفو ، الذي لا ينحصر الى ذلك اعداد ، فلا قطع على أن جميعها من قبيل واحد ، وقد ظهر وجه اتقسامها .

(والثالث) ان المعاصي قد ثبت انقسامها الى الصغائر والكبائر، ولا شك ان البدع من جملة المعاصي - على مقتضى الأدلة المتقدمة - نوع من أنواعها، فاقضى اطلاق التقسيم أن البدع تنقسم أيضاً، ولا يخص وجوها (؟) بتعميم الدخول في الكبائر، لأن ذلك تخصيص من غير مخصص، ولو كان ذلك معتبراً لاستثنى من تقدم من العلماء القائلين بالتقسيم قسم البدع، فكانوا ينصون على ان المعاصي ما عدا البدع تنقسم الى الصغائر والكبائر، الا أنهم لم يلتفتوا الى الاستثناء وأطلقوا القول بالانقسام، فظهر أنه شامل لجميع أنواعها.

فان قيل: إن ذلك التفاوت لا دليل فيه على اثبات الصغيرة مطلقاً، وإنما يدل ذلك على أنها تتفاضل، فمنها ثقیل وأثقل، ومنها خفيف وأخف؛ وانخفة هل تنتهي الى حد تعد البدعة فيه من قبيل اللهم؟ هذا فيه نظر، وقد ظهر معنى الكبيرة والصغيرة في المعاصي غير البدع؛ وأما في البدع فثبت لها أمران: أحدهما أنها مضادة للشارع ومراغمة له، حيث نصب المتبدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة، لانه نصب المكسبي بما حذر له.

والثاني أن كل بدعة - وإن قلت - تشريع زائد أو ناقص، أو تغيير للأصل الصحيح؛ وكل ذلك قد يكون على الأفراد، وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع، فيكون قادحاً في المشروع. ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر، اذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير قل أو كثر كفر، فلا فرق بين ما قل منه وما كثر. فمن فعل مثل ذلك بتأويل فاسد أو برأي غلط رآه، أو ألحقه بالمشروع، اذا لم نكفره لم يكن في

حكمه فرق بين ما قل منه وما كثر ، لان الجميع جناية لا تحملها الشريعة بقليل ولا بكثير .

ويمضد هذا النظر عموم الادلة في ذم البدع من غير استثناء ، فالفرق بين بدعة جزئية وبدعة كلية ، وقد حصل الجواب عن السؤال الاول والثاني .

وأما الثالث فلا حجة فيه لان قوله عليه السلام « كل بدعة ضلالة » وما تقدم من كلام السلف يدل على عموم الذم فيها . وظهر أنها مع المعاصي لا تنقسم ذلك الانقسام ، بل إنما ينقسم ما سواها من المعاصي . واعتبر بما تقدم ذكره في الباب الثاني يتبين لك عدم الفرق فيها . وأقرب منها عبارة تناسب هذا التقرير أن يقال : كل بدعة كبيرة عظيمة بالاضافة الى مجاوزة حدود الله بالتشريع ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها فيكون منها ضار وكبار ، أما باعتبار ان بعضها أشد عقابا من بعض ، فالا شد عقابا أكبر مما دونه ، واما باعتبار قوت المطلوب في المفسدة ، فكما انقسمت الطاعة باتباع السنة الى الفاضل والأفضل ، لانقسام مصالحها الى الكامل والاكمل ، انقسمت البدع لانقسام مفسدها الى الرذل والارذل ، والصغر والكبر ، من باب النسب والاضافات ؛ فقد يكون الشيء كبيرا في نفسه لكنه صغير بالنسبة الى ما هو أكبر منه .

وهذه العبارة قد سبق اليها امام الحرمين لكن في انقسام المعاصي الى الكبائر والصغائر فقال : المرضي عندنا أن كل ذنب كبيرة وعظيم بالاضافة الى مخالفة الله ، ولذلك يقال : معصية الله أكبر من معصية العباد -

قولا مطلقاً ، إلا أنها وإن عظمت لما ذكرناه ، فإذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها ، ثم ذكر معنى ما تقدم ، ولم يوافق غيرهُ على ما قال ، وإن كان له وجه في النظر وقعت الإشارة اليه في كتاب المواقفات . ولكن الظاهر يأتى ذلك - حسبما ذكره غيره من العلماء - . والظواهر في البدع لا تأتى كلام الامام اذا نزل عليها - حسبما تقدم - فصار اعتقاد الصغائر فيها يكاد يكون من المتشابهات ، كما صار اعتقاد نفي الكراهية التنزيه عنها من الواضحات .

فليتأمل هذا الموضع أشد التأمل ويمط من الانصاف حقه ، ولا ينظر الى خفة الأمر في البدعة بالنسبة الى صورتها وإن دقت ، بل ينظر الى مصادمتها للشرعية ورميها لها بالنقص والاستدراك ، وأنها لم تكمل بعد حتى يوضع فيها ، بخلاف سائر المعاصي فانها لا تمود على الشرعية بتقيص ولا غرض من جانبها ، بل صاحب المعصية متصل منها مقر لله بمخالفته لحكمها .

وحاصل المعصية أنها مخالفة في فعل المكلف لما يعتقد صحته من الشريعة ، والبدعة حاصلها مخالفة في اعتقاد كمال الشريعة ، ولذلك قال مالك بن أنس : من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول « اليوم أكملت لكم دينكم » الى آخر الحكاية . وقد تقدمت .

ومثلها جوابه لمن اراد أن يُحرم من المدينة وقال : أي فتنة فيها ؟ إنما هي آميال أزيدها . فقال : وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك فعلت فعلاً قصر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى آخر الحكاية ، وقد تقدمت

أيضاً. فإذا يصح أن يكون في البدع ما هو صغيرة .
فالجواب أن ذلك يصح بطريقة يظهر أن شاء الله أنها تحقيق في
تشقيق هذه المسئلة ؛

وذلك أن صاحب البدعة يتصور أن يكون عالماً بكونها بدعة وأن
يكون غير عالم بذلك . وغير العالم بكونها بدعة على ضربين ، وهما المجتهد
في استنباطها وتشريعها والمقلد له فيها . وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبه
فيها ولا يفارقه إذا حكمنا له بحكم أهل الاسلام ، لأنه مصادم للشارع
مراغم للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له ؛ فلا بد له من
تأويل كقوله «هي بدعة ولكنها مستحسنة» أو يقول «إنها بدعة ولكنها
رأيت فلانا الفاضل يعمل بها » أو يقربها ولكنه يفعلها لحظ حاجل ،
كفاعل الذنب لقضاء حظه الماثل خوفاً على حظه ، أو فراراً من خوف
على حظه ، أو فراراً من الاعتراض عليه في اتباع السنة ، كما هو الشأن اليوم
في كثير ممن يشار اليه ، وما أشبه ذلك .

وأما غير العالم وهو الواضع لها ، فإنه لا يمكن أن يمتدحها بدعة ،
بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات ، كقول من جعل يوم الاثنين يصام
لأنه يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثاني عشر من ربيع الاول
ملحقاً بأيام الاعياد لأنه عليه السلام ولد فيه ، وكن عد السماع والغناء مما
يتقرب به الى الله بناء على أنه يجلب الاحوال السنية ، أو رغب في الدعاء
بهية الاجتماع في اذبار الصلوات دائماً بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة ،
أو زاد في الشريعة احاديث مكنوبة لينصر في زعمه سنة محمد صلى الله عليه

وسلم . فلما قيل له : إنك تكذب عليه . وقد قال « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال : لم أ كذب عليه وإنما كذبت له . أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار (إِنَّ يَتِمُّونَ إِلَّا الظَّنَّ) وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) فاسقط اعتبار الاحاديث المنقولة بالأحاديث لذلك ولما أشبهه ، لأن خبر الواحد ظني ؛ فهذا كله من قبيل التأويل . وأما المقدف فكذلك أيضاً لأنه يقول : فلان المقتدى به يعمل بهذا

المعمل ويتني (؟) كاتخاذ الفناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ، ومنهم من مات بسببه ، وكتزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه لانهم قد فعلوه ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين الى التصوف ،

وربما احتجوا على بدعهم بالجند والبسطامي والسبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح ، ويتركون أن يحتجوا بسنة الله ورسوله وهي التي لا شائبة فيها اذا نقلها المدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها . ولكنهم مع ذلك لا يقرون باختلاف السنة بحثاً ، بل يدخلون تحت اذيال التأويل ، اذ لا يرضي منتم الى الاسلام بابداء صفحة اختلاف السنة اصلاً . واذا كان كذلك فقول مالك : من أحدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم خان الرسالة . وقوله لمن اراد ان يحرم من المدينة : أي فتنة أعظم من أن تظن أنك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الى آخر الحكاية - انها الزام للنخعي على عادة أهل النظر ، كأنه يقول : يلزمك في هذا القول كذا .

(المنار - ج ٨) (٧٦) (المجلد السابع عشر)

لا أنه يقول قصدت اليه قصداً ، لأنه لا يقصد الى ذلك مسلم ، ولازم المذهب : هل هو مذهب أم لا ؟ هي مسألة مختلف فيها بين أهل الأصول ، والذي كان يقول به شيوخنا البجائيون والمغربيون ويرون أنه رأي المحققين أيضاً : ان لازم المذهب ليس بمذهب ، فلذلك اذا قرر على الخصم أنكره غاية الانكار^(١) ، فاذا اعتبار ذلك المعنى على التحقيق لا ينهض ، وعند ذلك تستوي البدعة مع المعصية صفائر وكبائر ، فكذلك البدع . ثم أن البدع على ضربين : كلية وجزئية ، فأما الكلية فهي السارية فيما لا ينحصر من فروع الشريعة ، ومثالها بدع الفرق الثلاث والسبعين فانها مختصة بالكليات منها دون الجزئيات ، حسبما يتعين^(٢) بعد ان شاء الله .

وأما الجزئية فهي الواقعة في الفروع الجزئية ؛ ولا يتحقق دخول هذا الضرب من البدع تحت الوعيد بالنار ، وإن دخلت تحت الوصف بالضلال ، كما لا يحتقق ذلك في سرقة لقمة أو التطفيف بحبة ، وإن كان داخلاً تحت وصف السرقة ، بل المتحقق دخول عظامها وكلياتها كالنصاب في السرقة ؛ فلا تكون تلك الأدلة واضحة الشمول لها ، ألا ترى أن خواص البدع غير ظاهرة في أهل البدع الجزئية غالباً ؛ كالفرقة والخروج عن الجماعة ، وإنما تقع الجزئيات في الغالب كالزلة والفتنة ، ولذلك لا يكون اتباع الهوى فيها مع حصول التأويل في فرد من افراد الفروع ، ولا المفسدة الحاصلة بالجزئية كالمفسدة الحاصلة بالكلية ؛ فملي هذا اذا اجتمع في البدعة

(١) ما كل لازم للمذهب ينكره صاحبه لو عرض عليه ولذلك جعل بعضهم الانكار شرطاً لكون لازم المذهب ليس بمذهب وهذا التفصيل هو التحقيق (٢) لعله يتبين

وصفان - كونها جزئية وكونها بالتأويل - صرح أن تكون صغيرة، والله أعلم.
ومثاله مسألة من نذر أن يصوم فأما لا يجلس، وضاحيا لا يستظل،
ومن حرم على نفسه شيئا مما أحل الله من النوم أو لذيذ الطعام، أو النساء
أو الأكل بالنهار، وما أشبه ذلك مما تقدم ذكره أو يأتي؛ غير أن
الكلية والجزئية قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية، كما أن التأويل قد
يقرب مأخذه وقد يبعد؛ فيقع الاشكال في كثير من أمثلة هذا الفصل،
فيمد كبيرة ما هو من الصفات وبالعكس، فيوكل النظر فيه إلى الاجتهاد اهـ

فصل

وإذا قلنا: إن من البدع ما يكون صغيرة. فذلك بشروط (أحدها)
أن لا يداوم عليها؛ فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة
إليه، لأن ذلك ناشئ عن الاصرار عليها، والادمرار على الصغيرة يصيرها
كبيرة، ولذلك قالوا: لا صغيرة مع اصرار، ولا كبيرة مع استغفار.
فكذلك البدعة من غير فرق؛ إلا أن المعاصي من شأنها في الواقع أنها
قد يصير عليها؛ وقد لا يصير عليها، وعلى ذلك ينبغي طرح الشهادة وسخطة
الشاهد بها أو عدمه، بخلاف البدعة فإن شأنها في الواقع المداومة والحرص
على أن لا تزال من موصفيها، وأن تقوم على تاركها القيامة، وتنطق
عليه السنة الملامة، ويرى بالتسفيه والتجهيل، وينبذ بالتبديع والتضليل،
ضد ما كان عليه سلف هذه الامة، والمقتدى بهم من الائمة؛ والدليل
على ذلك الاعتبار والنقل، فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالنكير
على أهل السنة إن كان لهم عصبه، أو لصقوا بسلطان تجري أحكامه في

الناس وتنفذ أوامره في الاقطار . ومن طالع سير المتقدمين وجد من ذلك ما لا يخفى .

وأما النقل فما ذكره السلف من أن البدعة اذا أحدثت لا تزيد الا مضيا ، وليست كذلك المعاصي ، فقد يتوب صاحبها وينيب الى الله ؛ بل قد جاء ما يشد ذلك في حديث الفرق ، حيث جاء في بعض الروايات « تتجارى بهم تلك الالهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه » ومن هنا جزم السلف بأن المبتدع لا توبة له منها — حسبما تقدم — .

(والشرط الثاني) أن لا يدعو اليها ، فان البدعة قد تكون صغيرة بالاضافة ، ثم يدعو مبتدعها الى القول بها والعمل على مقتضاها فيكون إثم ذلك كله عليه ، فانه الذي أثارها ، وسبب كثرة وقوعها والعمل بها ، فان الحديث الصحيح قد أثبت ان كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ؛ والصغيرة مع الكبيرة انما تفاوتها بحسب كثرة الاثم وقلته ، فربما تساوي الصغيرة من هذا الوجه الكبيرة أو تربى عليها ؛

فمن حق المبتدع اذا ابتلي بالبدعة ان يقتصر على نفسه ، ولا يحمل مع وزره وزر غيره ، وفي هذا الوجه قد يتعذر الخروج ، فان المصيبة فيما بين العبد وربه يرجو فيها من التوبة والغفران ما يتعذر عليه مع الدعاء اليها ، وقد صر في باب ذم البدع . وباقي الكلام في المسئلة سيأتي ان شاء الله .

(والشرط الثالث) ان لا تفعل في المواضع التي هي مجتمعات الناس ، أو المواضع التي تقام فيها السنن ، وتظهر فيها اعلام الشريعة . فاما اظهارها في

المجتمعات ممن يقتدى به أو ممن به ^(١)الظن فذلك من أضر الأشياء على سنة الاسلام ، فانها لا تمعدو أصريين : اما ان يقتدى بصاحبها فيها ، فان العوام اتباع كل ناعق ، لاسيما البدع التي وكل الشيطان بتحسينها للناس ، والتي للنفوس في تحسينها هوى ، واذا اقتدى بصاحب البدعة الصغيرة كبرت بالنسبة اليه ، لان كل من دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، فعلى حسب كثرة الأتباع يعظم عليه الوزر ؛

وهذا يعنيه موجود في صفات المعاصي ؛ فان العالم مثلا اذا أظهر المعصية — وان صغرت — سهل على الناس ارتكابها ، فان الجاهل يقول : لو كان هذا الفعل كما قال من أنه ذنب لم يرتكبه ، وانما ارتكبه لأمر عمله دوننا . فكذلك البدعة اذا أظهرها العالم المقتدى فيها لاجالة ، فانها في مظنة التقرب في ظن الجاهل ، لان العالم يفعلها على ذلك الوجه ، بل البدعة أشد في هذا المعنى ، اذ الذنب قد لا يتبع عليه ، بخلاف البدعة فلا يتعاشى أحد عن اتباعه الا من كان عالما بانها بدعة مذمومة ، فحينئذ يصير في درجة الذنب ، فاذا كانت كذلك صارت كبيرة بلا شك ، فان كان داعيا اليها فهو أشد ، وان كان الاظهار باعثا على اتباع ، فبالدعاء يصير ادعى اليه . وقد روي عن الحسن أن رجلا من بني اسرائيل ابتدع بدعة فدعا الناس اليها فاتبع ، وأنه لما عرف ذنبه عمد الى ترقوته فنقبها فادخل فيها حلقة ثم جعل فيها سلسلة ثم أوثقها في شجرة فجعل يبكي ويهج الى ربه ، فادعى الله الى نبي تلك الامة ان لا توبة له قد غفر له الذي أصاب . فكيف بمن ضل فصار من أهل النار ؟ .

وأما اتخاذها في المواضع التي تقام فيها السنن فهو كالإهداء اليها بالتصريح ، لأن عمل اظهار الشرائع الاسلامية^(١) توهم ان كل ما أظهر فيها فهو من الشعائر ، فكأن المظهر لها يقول : هذه سنة فاتبعوها .

قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمقه الناس بإبصارهم ورمقوا مالكاً — وكان قد صلى خلف الامام — فلما سلم قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان . فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فجلس ، فقيل له : انه ابن مهدي ، فوجه اليه وقال له : ما خفت الله واتقيته ان وضعت ثوبك بين يديك في الصف ، وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ان لا يفعل ذلك ابداً في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في غيره . وفي رواية عن ابن مهدي قال : فقلت للحرسين : تذهبان بي الى أبي عبد الله ؟ قالان ان شئت ؛ فذهبنا اليه . فقال : يا عبد الرحمن ؛ تصلي مستتباً ؟ فقلت يا أبا عبد الله إنه كان يوماً حاراً — كما رأيت — ففضل ردائي عليّ . فقال : الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه ، قلت : الله^(٢) . قال خلياه .

وحكى ابن وضاح قال ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك ، فارسل اليه مالك فجاءه ، فقال له مالك : ما هذا الذي تفعل ؟ فقال : أردت أن

(١) هذا قسم حذف أداته . لقنه القسم خلف على ما لقنه فكأنه قال له : قل والله ما أردت بهذا الطعن الخ فقال : والله . أي ما أردت ذلك (٢) كذا وأمل فيها تحريفاً وسقطاً والمراد ظاهر من القرينة

يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا شيئا لم يكن فيه ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه ، فكف المؤذن عن ذلك وأقام زمانا ، ثم انه تنحج في المنارة عند طلوع الفجر ، فأرسل اليه مالك فقال له : ما الذي تفعل ؟ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له : ألم انهك ان لا تحدث عندنا ما لم يكن ؟ فقال : إنما نهيتني عن الثوب . فقال له لا تفعل . فكف زمانا . ثم جعل يضرب الابواب ، فأرسل اليه مالك فقال : ما هذا الذي تفعل ؟ فقال : أردت ان يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه .

قال ابن وضاح : وكان مالك يكره الثوب — قال — وإنما احدث هذا بالعراق . قيل لابن وضاح : فهل كان يعمل به بمكة أو المدينة أو مصر أو غيرها من الامصار ؟ فقال : ماسمت الا عند بعض الكوفيين والاباضيين .

فتأمل كيف منع مالك من احداث أمر يخف شأنه عند الناظر فيه ببادي الرأي وجعله أمرا محدثا ، وقد قال في الثوب : إنه ضلال . وهو بين ، لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ولم يسمح للمؤذن في التنحج ولا في ضرب الابواب ، لأن ذلك جدير بان يتخذ سنة ، كما منع من وضع رداء عبد الرحمن ابن مهدي خوف أن يكون حدثا احده .

وقد أحدث بالمرج المتسمى بالمهدي تشوبا عند طلوع الفجر وهو قولهم « أصبح والله الحمد » اشعارا بان الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ،

ولحضور الجماعة، وللغدو لكل ما يؤمرون به. فيخصه هؤلاء المتأخرون
تثويبا بالصلاة كالأذان. ونقل أيضاً إلى أهل المغرب الحزب المحدث
بالاسكندرية، وهو المعتاد في جوامع الاندلس وغيرها، فصار ذلك
كله سنة في المساجد إلى الآن، فانا لله وانا إليه راجعون.

وقد فسر الثوب الذي أشار إليه مالك بأن المؤذن كان إذا اذن
فابطاً الناس قال بين الأذان والاقامة: قد قامت الصلاة، حي على
الصلاة، حي على الفلاح. وهذا نظير قولهم عندنا: الصلاة - رحمكم الله.
وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دخل مسجداً أراد أن يصلي
فيه، فتوب المؤذن، فخرج عبد الله بن عمر من المسجد، وقل: أخرج بنا^(١)
من عند هذا المبتدع. ولم يصل فيه. قال ابن رشد: وهذا نحو ما كان يفعل
عندنا بجامع قرطبة من أن يفرد المؤذن بعد أذانه قبل الفجر النداء عند
الفجر بقوله: حي على الصلاة. ثم ترك - قال - وقيل: إنما عني بذلك
قول المؤذن في أذانه: حي على خير العمل. لأنها كلمة زادها في الأذان
من خالف السنة من الشيعة. ووقع في المجموعة أن من سمع الثوب وهو
في المسجد خرج عنه كفعل ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي المسئلة كلام المقصود منه الثوب المكروه الذي قال فيه مالك
إنه ضلال. والكلام يدل على التشديد في الأمور المحدثه أن تكون في
مواضع الجماعة أو في المواطن التي تقام فيها السنن، والمحافظة على المشروعات
أشد المحافظة، لأنها إذا اقيمت هنالك أخذها الناس وعملوا بها، فكان

(١) يظهر أنه كان معه صاحب قال له ذلك. وهل كان في كلام المصنف
تصریح بذلك سقط من النسخين أم لا؟ الله أعلم

وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً ، فيكثر وزره ويمتد خطر بدعته .
(والشرط الرابع) ان لا يستصغرها ولا يستحقرها — وان فرضناها صغيرة — فان ذلك استهانة بها ، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب ؛ فكان ذلك سببا لعظم ما هو صغير . وذلك ان الذنب له نظران : —
(نظر) من جهة رتبته في الشرط ، ونظر من جهة مخالفة الرب العظيم به ؛ فاما النظر الاول فن ذلك الوجه يعد صغيرا اذا فهمنا من الشرع انه صغير ، لانا نضعه حيث وضعه الشرع ؛ وأما الاخر فهو راجع الى اعتقادنا في العمل به حيث نستحرم جهة الرب سبحانه بالمخالفة ، والذي كان يجب في حقنا ان نستعظم ذلك جدا ، اذ لا فرق في التحقيق بين المواجهتين —
المواجهة بالكبيرة والمواجهة بالصغيرة .

والمعصية من حيث هي معصية لا يفارقها النظران في الواقع أصلا ، لأن تصورهما موقوف عليهما ، فالاستعظام لوقوعها مع كونها يعتد فيها انها صغيرة لا يتناقضان ، لانها اعتباران من جهتين : فالمعصية وان تعدد المعصية لم يقصد بتعمده الاستهانة بالجانب العليّ الرباني ، وانما قصد اتباع شهوته مثلا فيما جعله الشارع صغيرا أو كبيرا ، فيقع الاتم على حسبه ، كما ان البدعة لم يقصد بها صاحبها منازعة الشارع ولا التهاون بالشرع ، وانما قصد الجري على مقتضاه ، لكن بتأويل زاده ورجحه على غيره ، بخلاف ما اذا تهاون بصغرها في الشرع ، فانه انما تهاون بمخالفة الملك الحق ، لان النهي حاصل ومخالفته حاصلة ، والتهاون بها عظيم ؛ ولذلك يقال : لا تنتظر الى صغر الخطيئة وانظر الى عظمة من واجهته بها .

وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم الحج الاكبر. قال - فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، لا يبغني جان الا على نفسه، ألا لا يبغني جان على ولده ولا مولود على والده، ألا وان الشيطان قد يئس ألا يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولا تكون له طاعة فيما يحقرون من أعمالكم فسيرضى به» ^(١) فقول له عليه السلام «فسيرضى به» دليل على عظم الخطب فيما يستحق.

وهذا الشرط مما اعتبره الغزالي في هذا المقام، فانه ذكر في الاحياء ان مما تعظم به الصغيرة ان يستصغرها - قال - فان الذنب كلما استعظمه المبد من نفسه صغر عند الله، وكلما استصغره كبر عند الله. ثم بين ذلك وبسطه.

فاذا تحصلت هذه الشروط، فاذا ذاك يرجي ان تكون صغيرتها صغيرة، فان تخلف بشرط منها أو أكثر صارت كبيرة، أو خيف ان تصير كبيرة، كما ان المعاصي كذلك، والله أعلم.

*

(١) كذا في نسخة الكتاب. ولا أذكر لاحد روايته بهذا اللفظ. وفي حديث عمرو بن الاحوص عند أصحاب السنن ماعدا ابا داود «ألا ان الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم فيرضى بها»

ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ^(١)

هو ابراهيم بن موسى بن محمد النخعي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي . الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصولياً مفسراً ، فقيها محدثاً ، لغوياً بيانياً ، نظاراً ثبّتاً ، ورعاً صالحاً ، زاهداً سنياً ، اماماً مطلقاً ، بجائناً مدققاً ، جدلياً بارعاً في العلوم ، من افراد العلماء المحققين الاثبات ، واكابر الأئمة المتفنين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولاً ، وتفسيراً وحديثاً ، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق ، له استنباطات جليلة ، ودقائق منيفة ، وفوائد لطيفة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محققة ، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصاً على اتباع السنة ، مجانباً للبدع والشبهة ، ساعياً في ذلك مع ثبّت تام ، منحرفاً عن كل ما ينحو للبدع واهلها ، وقع له في ذلك امور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل .

وله تأليف جليلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات وتحقيقات شريفة . قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه الامام المحقق العلامة الصالح ، ابو اسحاق . انتهى ، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله اهله .

اخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها مالا يطعم فيه لسواه ، بحثاً ، وحفظاً ، وتوجيهاً ، ابن الفخار الألبيري . لازمه الى ان مات ، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية ، ابو القاسم السبتي ، شارح مقصورة حازم ، والامام المحقق اعلم اهل وقته ، الشريف ابو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته باجماع ، ابو عبد الله المقرئ ، وقطب الدائرة ، شيخ الجلة ، الامير الشهير ، ابو سعيد ابن لب ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجد ، والعلامة المحقق

(١) تأليف أحمد بن أحمد بن عمر اقيمت المعروف بابا التكروري ثم التنبكي

المولود سنة ٩٦٣ والمتوفى سنة ١٠٣٢

المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البليسي ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو العباس القَبَّاب ، والمفتي المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ، وتسكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كالقَبَّاب ، وقاضي الجماعة الفشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير ابي عبد الله بن عباد . وجرى له معهم اجاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مشكلة مراعاة الخلاف في المذهب ^(١) فيها له بحث عظيم ، مع الامامين القباب وابن عرفة . وله اجاث جلية في التصوف وغيره . وبالجملة فقد رده في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر .

الف تواليف نفيسة ، اشتملت على تهريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو ، في اسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بجا وتحقيقا فيما اعلم . وكتاب (المواقفات) في أصول الفقه سماه « عنوان التعريف باصول التكليف » كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأوه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب المواقفات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتاليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (المجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، ما لا يعلمه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في (كراسين فيه طرف وتحف ، وملح ادبيات وانشادات . وله ايضا كتاب (عنوان الاتفاق ، في علم الاشتقاق) وكتاب (اصول النحو) ، وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها ، وفناوي كثيرة ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

(١) اشار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب المواقفات

بليت يا قوم والبلوى منوعة بمن اداريه حتى كاد يردني
دفع المصرة لاجل المصلحة فغشي الله في عقلي وفي ديني
انشدها تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ، ابي يحيى بن عاصم الشهير ،
واخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم ، والشيخ ابي عبد الله البيازي ، وغيرهم .
وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعمائة ولم اقف على مولده رحمه الله .
(فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ،
عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع
للشيخ المالقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ،
ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا الآن .
لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف
بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وانما النظر في القدر
الحاج اليه من ذلك ، وذلك موكول الى الامام ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول
كما قال القائل لمن اجاز شرب العصير بعد كثرة طبعه وصار رُبًّا : احللتها
والله يا عمر . يعني هذا القائل احللت الخمر بالاستعجار الى قصص الطبخ ، حتى تحل
الخمر بمقالك ، فاني اقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا احل شيئاً حرمه الله ،
ولا احرم شيئاً احله ، وان الحق احق ان يتبع ، (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)
وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الاندلس في زمانه موظفاً على
اهل الموضع ، فستل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد
ابن لب ، فأفتى انه لا يجوز ولا ينوع ، وافق صاحب الترجمة بسوغه ،
مستنداً فيه الى المصلحة المرسلة ، معتمداً في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم
يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي
في كتابه ، فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وقهائنه كلام
مشهور ، لا نظيل به .

وكتب جواباً لبعض اصحابه في دفع الوسواس العارض في الطهارة وغيرها

« وصلي جوايكم فيما تدفعون به الوسواس ، فهذا امر عظيم في نفسه ، وانفع شيء فيه المشافهة ، واقرب ما اجد الآن ، ان تنظروا من اخوانكم من تدلون عليه وترضون دينه ، ويعمل بصلب الفقه ، ولا يكون فيه وسوسة ، فتجعلونه امامكم على شرط أن لا تخافوه ، وان اعتقدتم ان الفقه عندكم بخلافه ، فاذا فعلتموه رجوت لكم النفع ، وان تواظبوا على قول « اللهم اجعل لي نفسا مطمئنة توقن بقلائك ، وتفتح بغطائك ، وترضى بقضائك ، وتخشاك حق خشيتك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » فانه نافع للوسواس ، كما رأيت في بعض المنقولات .

وكان يقول : لا يحصل الوثوق والتحقيق بشأن الرواية في الأكيال المنقولة بالأسانيد ، واختبرت ذلك فوجدت الأكيال مختلفة ، متباينة الاختلاف ، وهي ذوات روايات ، فالكيل الشرعي تقريبا منقول عن شيوخ المذهب ، يدركه كل احد ، حفنة من الزهر أو غيره بكلمة اليمين مجتمعين ، من ذوي يدين متوسطتين ، بين الصغرى والكبرى ، فالصاع منها اربع حفنات ، جربته فوجدته صحيحا . فهذا الذي ينبغي ان يعول عليه ، لانه مبني على اصل التقريب الشرعي ، والتدقيقات في الامور غير مطلوبة شرعا ، لانها تنطع وتكلف ، فهذا ما عندي .

ومن كلامه : اما من نصف وطلب المحتملات ، والغلبة بالمشكلات ، واعرض عن الواضحات ، فيخاف عليه التشبه بمن ذمه الله في قوله (فاما الذين في قلوبهم زيغ) الآية .

وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين ، ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك ، من بعض اصحابه ، فيوقع له : واما ما ذكرتم من عدم اعتماد علي التآليف المتأخرة ، فليس ذلك مني محض رأي ، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولان بعض من اتيته من العلماء بالفقه ، اوصاني بالتحامي عن كتب المتأخرين ، واتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة ، والتساهل في القل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله . ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف ، ونقل عن بعض

الأصحاب ، لا تجوز مخالفته ، وذلك مشعر بالتساهل جدا ، ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما علم .

والعبارة الخشنة التي اشار اليها ، كان ينقلها عن صاحبه ابي العباس القسّاب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفتة . وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة . اما للجهل بموثوقيتها اولتأخر ازمتمهم جدا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيته ، وعمدني كتب الأقدمين المشاهير . ولتقتصر على هذا القدر من بعض فوائده .

الجنسيات في المملكة العثمانية

٢

بيننا في المقالة الاولى من هذا البحث ان الحكومة العثمانية الاتحادية تركت في طورها الاخير عقاب من يلهمج بالعرب والعربية من اصحاب الجرائد العربية وغيرهم ، وان العرب لم يفلوا في إحياء الجنسية العربية كما غلت الجمعيات والجرائد التركية ، التي جاهرت بالدعوة الى كل شيء في الدولة تركيا . بالقول والقول ، وهر اسم « العثمانية » ولم نسمع لاحد من كتاب الترك صوتا في انكار هذا الغلو والانتصار للجامعتين الاسلاميه والعثمانية على التركية الالعلي بك كمال ، فقد كتب في جريدة (بيام) ردا على أولئك الغلاة بين فيه ان الحياة التركية ، لا تقوم الا بالجامعة العثمانية السياسية ، وان المجاهرة بمحصر كل شيء في الترك والتركية يبعث العرب والكرد وغيرهم من العناصر العثمانية الى مثل هذه الدعوة فلا يبقى للترك شيء . واشتدت المناظرة بينه وبين (اقچورا) وغيره من غلاة الجنسية التركية حتى انتهت الى السباب والشتم وكان مما كتبه (اقچورا) في (تورك بوردي) بالاستانة في اوائل ربيع الآخر من هذا العام ما ترجمته بالاختصار والاجمال :

« يجب ان نعدد الى الحقائق فنقررها . ما العثمانية ؟ وماذا لا تقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة الى عثمان التركي ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ، ومن الحال العقلي ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطا بعضها ببعض وراء ستار وهمي ، وتحت اسم خلق بال !

« يجب علينا ما دام في استطاعتنا الحياة ان نعتمد الى الجيش والاسطول والعلوم والآداب والشرائع والقوانين وكل شيء فنصبغه بالصبغة التركية المحضة (ليت شعري هل تدخل الشريعة الاسلامية في هذه الشرائع التي عناها ام هم في غنى عنها لان الله تعالى يقول « إنا أنزلناه حكما عربيا » ؟)

« يجب ان نعلم اننا من أمة ظهر فيها قواد اعظم من نابليون . وعظماء اشهر من بولوبوس قيصر ، وشعراء اكبر من هيفو . وان في استطاعتنا ان نفعل ما يفعله الجرمان والسكسونيون لحياة قومهم ، فلا ينبغي ان نظل مقيدين بالواهام والخرافات الماضية »

وقد انهزم علي كمال بك امام حملات الغلاة واضطر الى مجاراتهم . واننا نرى اشد كتاب العرب لهجا بالعربية لا يعدون غلاة بالنسبة الى الكتاب المعتدلين من الترك بل يعدون مقصرين ، وان جماعة حزب اللامركزية لم يجعلوا مسألة الجنسية العربية من موضوع حزبهم ، الا اذا كانت المحافظة على اللغة العربية بين اهلهما بعد دعوة الى الجنسية العربية . ولهذا انكرنا على ذلك الكاتب العربي رميهم بالعصبية الجنسية التي ذهبا دما اسلاميا ، وجعلها هادمة للاسلام اكان الاسلام الذي دخل فيه يموت بحياة لغته العربية ، ويحيا باللغة التركية !

استدلنا بتخصيص الحزب بهذا الذم و بسكوته عن غلاة العصبية التركية ، على انه لم يكتب ما كتب الا تزلها وثقافا ، وجعل اسم الدين الاسلامي شبكة لصيد المال والجاه . ولو أنكر على أولئك الغلاة والمعتدلين في العصبية الجنسية ، واتبع هواه باضافة اللامركزيين اليهم ، وأشراكه معهم ، لما اعتقدنا فيه كل هذا الاعتقاد

سلكت الجماعات العربية كلها مسلك الاعتدال فيما تطلبه لامتها من الدولة وفيما تنصح به للامة ، الا ما عرض لجماعة البصرة ، فقد كان في بعض كلامها شيء من الشدة ، ثم كان زعيمها السيد طالب بك النقيب ساعد الحكومة وعضدها في عقد الوفاق بينها وبين الامير عبد العزيز بن سعود أمير نجد ، وفي غير ذلك مما عهدته اليه من خدمتها في تلك البلاد ، وقد تبرع هو ووجهاء البصرة للاسطول وغير الاسطول بما بلغ قلما رأيت مثلها الدولة من بلد آخر . على انها لم تحيهم الى شيء مما طلبوه من الاصلاح . فكان ذلك دليلا على ان أشد العرب في ولايات الدولة شكيمة ، وأقوام عصبية ، لا يني ولا يقصر في خدمتها ، اذا هي أظهرت الثقة به ، وعهدت اليه بعمل يعمل به .

الجنسية اللبنانية

نعم ان بعض الجرائد والجمعيات اللبنانية ، قد غلت في الدعوة الى الانسلاخ من كل صفة عثمانية ، والاستقلال بجنسية لبنانية لا عربية . فلينان يتمتع باستقلال داخلي لا يشاركه في مثله جبل من الجبال ، ولا سهل من السهول ، ولا ولاية ولا مملكة في الارض ، حتى قال الدكتور يعقوب صروف - وهو من افتخر لبنان بمكانه من العلم والفلسفة ومعرفة شؤون العالم - : إن كل تغيير يطرأ على نظام لبنان يكون شراً ، اذ لاخير مما هو عليه . ولكن كثيراً من اللبنانيين لا ينظرون الى هذه النعمة بالعين التي ينظر بها هذا العالم الخبير ، فترى صراخ شكواهم قد ملا فضاء امريكا الشمالية والجنوبية ومصر ، وثقلت الجرائد صدها الى كل قطر يوجد فيه لبنانيون أو سوريون . فنههم من يدعو الى الاستقلال التام ، ومنهم من يدعو الى احتلال فرنسا للبلاد . ولهم عدة جمعيات سياسية يشترك فيها ألوف منهم في الوطن وفي ديار الهجرة من مصر الى أوروبا وامريكا وغيرها من الممالك .

وقد قرأنا كثيراً من مقالاتهم وقصائدهم وانشيدهم الاستقلالية فرأيناهم يفخرون فيها بمراقبة هذا الجبل في الاستقلال ، وامتناعه على القاطنين من جميع الامم والاجيال ، أي فهم لا يطلبون الآن ، الا الاستقلال الذي كانوا متمتعين به في كل زمان . وقد جددوا لاقتسام علماء وطوابع بريد ، ومنهم من يختار الاستقلال تحت حماية فرنسا والاستقلال بعلمها . وقد عرف أهل الحافقين ما كان من مبالغة أهل الجبل في الحفاوة بضباط الاسطول الفرنسي والمظاهرات الولائية لهم عند ما زاروا بطرقة المارنة وبعض البلاد منذ اشهر ، اذ كان الاسطول في مياه بيروت . وبلي ذلك ما كان لسيو جورج ييكو قنصل فرنسا عند ما زار لبنان مصاحباً لسيو مورسي بارس احد اعضاء مجلس النواب الفرنسي . وهذا النوع من الاحتفالات والمظاهرات قد تكرر ، وتكررت الوعود من فرنسا بأمالة الجبل ما يريد .

لسنا نريد الاستقصاء التاريخي في هذه المسائل فنفضل القول فيه ، ولا الانتقاد على الغلو والشذوذ الذي كان يتخلل ذلك مما لا يعهد له نظير للاجانب في مملكة من الممالك ، فنتج من ذلك ما قيل وما كتب ، وما انتقده بعض المسلمين في جرائد بيروت على ذلك وما رد به اللبنانيون على هؤلاء . وانما نريد أن نبين بالأجمال ان اللبنانيين منهم المعتدلون فبا يتقنون من الدولة وما يطلبون لبلادهم ، ومنهم الغلاة . وأن ذلك الكاتب العربي المدافع عن الجامعة العثمانية أو الجامعة الاسلامية ، المعادي للجنسية العربية والموضعية (كاللبنانية) لم يكتب كلمة في انتقاد هؤلاء الغلاة من

أبناء وطنه ، وأن منهم مؤسسو حزب اللامركزية ، الذين لم يدخلوا حزبهم في باب مباحث المسألة الجليلة .

وأثنا ثبت ما قلناه عن اللبنانيين أولاً بنشر ما جاء في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك من مطالب جمعية النهضة اللبنانية التي يرأسها مدير تلك الجريدة وهذا نصه :

من مبادئ النهضة اللبنانية ومنازعها

« لئلا نرى من دهره ما تعودا » وما تعودناه ان نصون الوعد فلا نخلفه ، والعهد فلا نخزله ، وان نكت التاكثون ، وعيث العابثون ، مستأثرين بأيام ، نزجو ان نقضي على سلام ، فلا يلوم فيها احد ، بما يحبه من الفيش والفتد .

أرسلنا في « الاغراض من سياحتنا » كلمة ، وترسل الآن في بعض مبادئ النهضة اللبنانية أخرى نحن دون احد من الناس المشغولون عنها .

كنا في رحلتنا بنشر بهذه المبادئ بلساننا ، ونحن الآن بنشرها بقلمنا ، الى ان تعود الخطابة ، فتتوب عن الكتابة .

اللبنانيون مظلومون وظالمون — مظلومون لان السلطة ضعيفة ضاغطة وجائرة ، وظالمون لانهم وهم تحت الضغط والجور يتناذرون ويتطاحنون مؤثرين الخصوصيات على العموميات . فيجب على خدمتهم — ونحن منهم — التجرد في النصح لهم ، والدعوة الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ، ووضع مبادئ يقوم عليها حزبهم السياسي الاكبر المدعو « النهضة اللبنانية » .

قد يقوم من اللبنانيين افسهم من يناكرو ويصادرون ويشاكس ويبعاكس ، ولكن لبنانية المناوئين هؤلاء غير صحيحة ، لقيامها على التعصب والحزب والناكبة والفئوية . والحق ظاهر ، والاخلاص ظاهر .

فن مبادئ النهضة اللبنانية

١ جمع اللبنانيين بدين الوطنية الشامل الكامل الفاضل « وتزريق الانجيل الطائفة لبسم انجيل المسيح » وما قال عن الانجيل يقال عن القرآن والتلمود وكل كتاب مقدس عند اهله . إلا ان ذلك لا يعني الكفر ولا التعطيل ، فليعبد الناس إلههم في كنسبتهم وكنسبهم وجامعهم وخلوتهم وتحت افياء الشجر وظلال الصخور اذا شاؤوا وانما فليجتمعوا (؟) بدين الوطنية الواحد وهم المفلحون .

٢ استقلال المهاجرين « بنهضتهم اللبنانية » ما زال الاصلاح لا يتم الا عن طريق المهاجرة وعلى هم المهاجرين . الا ان هذا الاستقلال لا يعني الانفصال ، بل

توحيد قوة الله حاجرين ما بين القطبين وجعلهم قوة واحدة تسمى للإصلاح سعيًا مجردًا صادقًا ، الى ان يغفلت المتخلفون من قيود الوظائف ، وبكشفوا عنهم غيوم السفساف ، التي لا يزال حتى في المهجر أثر مجلوب (?)

٣ - طلب امير اجنبي من دول أوروبا الست الضامنة استقلال لبنان تكون غايته غايتنا ومصالحته ومصالحتنا ، ولتتنا لفته ولغة اولاده ، فلا يكون دخيلا لا يشعر بشعورنا ، ولا يهيمه وهو المرجح الاكبر في الجبل ان يتعلم لغة الناس فيه ليكون حكمه معقولا وقضاؤه مقبولا - امير اجنبي يكون لنا ما كان مثله لرومانيا وبلغاريا واليونان وألبانيا ولا تعود تهمة « المدة » تنقضي ، ينقضي الاهتمام بعد الابتداء بها بياض - الشجب الخامل الغافل يرضى بحاكمه وقاضيه دخيلا عجميا لا يشعر معه ولا يفهم لنته ليقضي بالمدل ، ولا يهيمه الا تناول المرتب وربما الرشوة (?) مباشرة وبواسطة ، وتقريظ الناس لانتخاب الاحزاب منهم . وقد يكون ضيعا قبل ان يصير حاكما بلقب كبير ومرتب كبير ونظرس كبير وعمل صغير .

٤ - ارجاع لواء لبنان الذي كان منذ بدء التاريخ على كثير من الاستقلال حتى وقوع حوادثه الاخيرة التي زعم انه نال بعدها حكما ذاتيا لا نرى له اثرا

٥ « تعديد لبنان بعد قسمة » اي اعادة حدوده الاولى والطبيعية اليه ما بين نهري القاسمية والمعاصي . ومعنى ذلك ان تكون حدوده كما كانت على عهد امرائه الاصلاء من القاسمية الى جبل الشيخ الى لبنان الشرقي الى حصص فالنهر الكبير وهي حدود تتناول بيروت وطرابلس وصيدا والسهول المحيطة به - اللبنانيون لا يطلبون التوسع بهذه المطالب بل اعادة الحدود التي انتزعها المنتزعون اليهم

٦ اعادة الجمارك والبريد والبرق الى لبنان لان الدولة « ضمتها من لبنان ضمانا » ولكنها لم تنفذ بشروط الضمان ولم تدفع الى لبنان ما هو من حقوقه ولكل صاحب ملك حق باستمادة ملكه الذي لا يدفع الضامن ضمانه او المستأجر اجرتة ، فضلا عن ان اللبنانيين لم يطلبوا المرافعة لتكون بغير جمارك ، ولا البريد لفضل عمال الاتراك عاجبين ومتلاعبين به و باقصد اسراره وغير حافلين بغير سرقة الحوالات المالية حتى من الكتب المضمونة وبمصادرة الصحافة الحرة لئلا يستفيق الشعب من غفلته

٧ جعل كل قدم تنكسر عليها امواج البحر المتوسط من شواطئ لبنان مرقأ له اذا شاء اللبنانيون عدم الاكتفاء بمجونة والنبي يونس .

٨ اطلاق حرية الفكر والخطابة والكتابة وانتفاء الجمعيات اذ لا يوجد في نظام لبنان ما يحول دون ذلك « لولا انتصاب التماثيل الشمعية المحركة بزنا برك (?) الما رب

والمفاسد في مجلس ادارة لبنان » - ان مجلس ادارة لبنان هو المجلس المشرع في الاصل ويجب ان يكون الكفاء دون سواهم فيه لا ان يجاز القمار، الذي هو على كل شعب متمدن عار، لمجرد ان اعضاء مجلس الادارة مقمرون ... - ان حرية الصحافة ضرورية للبنان الا اذا رضى مجلس الادارة بان يكون خائنا متلاعبا خوفا من الانتقاد وعملا بالاستبداد ولكن كم يطول هذا الوقت ... - يجب ان يكون لبنان في الشرق مثل سويسرا في أوروبا فهل تحرك « التماثيل » لابقاء آثار وطنية لا آثار عار واقدار !!!

٩ اقامة مندوب في أوروبا يمثل اللبنانيين ويطالب بحقوقهم ولا يكون له اهتمام بغير مفاوضة الدول الضامنة استقلال لبنان ومفاوضة وزاراتها الخارجية بكل ما يحتاج اليه الجبل

١٠ اقامة « رقيب » على الحكومة اللبنانية في نفس لبنان يتاصر الاكفاء المخلصين للوطن ويصادر الادنياء الخونة فيه وينشئ الفروع للنهضة في كل قضاء ومديرية وبلدة ويكون الحزب من ورائه يشد أزره وأزر كل مندوب أمين .

١١ ما زالت اكثرية المهاجرين من اللبنانيين فيجب (?) ان يكون القناصل في كل مخرج من المهاجرين اللبنانيين او يستغنى عنهم وتهاوض قناصل الدول الضامنة في امر حماية اللبنانيين ومصالحهم .

١٢ انشاء مدارس عمومية في لبنان تعلم فيها لغة البلاد قبل سائر اللغات وتتصرف فيها الهمم الى تعليم الصناعة والتجارة والزراعة والتعدين وغير ذلك مما يحتاج اليه اللبنانيون ويجب ان يوضع لبنان تاريخ صادق وخريطة صحيحة لمدارسه العمومية. والهدى الذي يقترح هذا الاقتراح يقوم بنفقات الطبع فلا نفل تنعلم تواريخ الامم العربية وحدودها ونجمل تاريخنا وحدود بلادنا

١٣ وضع قانون عام للنهضة اللبنانية لا يجوز لاي فرع منها الزيادة عليه او الحذف منه الا في الترتيبات المحلية التي لا علاقة لها بالمبادئ ويجب ان يكون المركز الرئيسي للولايات المتحدة وكندا والمكسيك وجزائر الهند الغربية وبعض الجمهوريات اللاتينية واحدا في نيويورك اما في سائر المهاجرين فيجب ان يكون النظام واحدا باستقلال كل بلاد بنهضتها وفروعها بشرط التقيد « النظام الواحد » الاشتراك في العمل الواحد على حد ما هي الولايات من « مركز الاتحاد » او مقاطعات من العاصمة (??)

١٤ اصدار كتاب كل عام من اقلام ادباء النهضة اللبنانية في كل بقعة من العالم تكون مواضيعه الاصلاح والتربية والسياسة والاجتماع والتعليم وفروعه وغير ذلك

مما تدعو اليه الحاجة ويجب ان تكون اسماء الاعضاء وبيان الدخل والمخرج في آخر هذا الكتاب مع قانون النهضة المعدل .

١٥ تعديل قانون النهضة اللبنانية عند النظام كل مؤتمر تعقده يكون مؤلفا من ثواب كل فرع مستقل او مرتبط في مدينة متوسطة وموافقة للجميع وقبل انتهاء مدة التصرف بسنة (??)

١٦ من حق كل مشترك في النهضة اللبنانية التصويت لمرشحي المركز الرئيسي مباشرة لمن كان غير منضم الى فرع او بواسطة الفرع الذي يكون منه ويعلم التشريع مقدما

١٧ للمرأة الحقوق الوطنية بالانضمام الى النهضة اللبنانية وبانشاء الفروع لها او بالانتخابات عموما (?)

١٨ السعي مع الممولين لانشاء الشركات على اختلافها لا تكون النهضة فيها الا منشطة (?) وتكون كل شركة مستقلة بإدارتها ونظامها - الشعب الذي لا يتحد في الشركات لا يستطيع الاتحاد في غيرها وبكل اسف نقول انه لا يكون ارتقى كثيرا .

١٩ المدول عن التبرعات للمشاركة المدعوة في الوطن عمومية وهي خصوصية لم يتم منها حتى الآن مشروع واحد على ما نعلم بعد جمع عشرات ألوف الدولارات ولا سيما ان (?) فضل المهاجرين غير معترف به واذا كان من اعتراف فبتفوق عليهم (?)

وبذكر واجب لا ندرى مصدره قبل الاعتراف الخالص بالمساواة (?) - المهاجرون ساعدوا كل مشروع وهمي في الوطن منذ ثلاثة عقود من السنين ولم يساعدوا المتخلفون بشيء حتى في اصلاح البلاد فن العدل ان يعدلوا عن الاستئثار الى الخدمة

الوطنية المتساوية وامام المهاجرين واجبات كثيرة من الضروري القيام بها - يجب المدول عن التبرعات الى ان يتم المشروع الوطني على الاقل

٢٠ تكافل المهاجرين والمتخلفين في كل ما يعود على الوطن بالاصلاح والرقى
٢١ الاهتمام بالجندية اللبنانية اهتماما تنظر فيه النهضة

٢٢ بذل العناية التامة لاحتياج قلم المهاجرة وصون اموال واعراض المهاجرين الجدد

٢٣ اذا كان المهاجرون مطالبين بالاموال الاميرية وسائر الضرائب فن الواجب ان يكون لهم رأي في حكومتهم واعمالها وانتخاباتها .

٢٤ عضو مجلس الادارة « شيخ مشرع » او « ستاتور » فن العار على البلاد ان يكون غير متملم ولا مهذب ان لم يكن متشرعا

٢٥ ترمي النهضة اللبنانية الى انشاء مدرسة داخلية في امريكا الشمالية لاجل اللغة العربية وبها الوطنية ولتنشئة الصغار على المبادئ القويمة واهم ما ترمي اليه حل مدارس الوطن على تعديل انظمتها فلا ينفق التلميذ ربع عمره قاتلا ويخرج بعد هذه التجربة غافلا

٢٦ جعل لبنان مصيفا جميلا وقبلا بالآداب والاخلاق مثله بالماظر والماء والهواء (٢)

٢٧ تحويل افكار المهاجرين عن اقامة الدور والقصور - الا ما كان ضروريا -

الى انشاء المحامل والعناية بالزراعة والصناعة واستتارة دقائق كنوز لبنان

٢٨ تعليم الاقتصاد على انواعه وترويج المصنوعات والمستغلات الوطنية

٢٩ تحويل اعضاء النهضة اللبنانية دون العلاقات الطائفية والقومية والبلدية

والفصل بين المختلفين منهم في عاكم النهضة الخصوصية الا اذا عاز التوفيق

٣٠ انشاء جريدة رسمية مساهمة في كل بلاد فيها مركز رئيسي للنهضة وانشاء

مجلة نسائية عند الحاجة والمقدرة

٣١ الاهتمام بالشرف التجاري الضرورية للمهاجرين

٣٢ السعي لاقامة رؤساء اساقفة في المهاجر للطوائف الناطلة امتيازات في الوطن

لصون الشرف ومنع الاستئثار اسوة بالطوائف الممتازة في اوربا

٣٣ مساعدة نواب اعضاء النهضة او نواب ابنائهم

٣٤ عدم مساعدة الكنائس الا اذا كان لها مدارس في الوطن والمهجر

٣٥ التزام مع رؤساء الاديان بخدمة الشعب وافادته بتنفيذ غاية الواقفين من

الأوقاف دون تعرض لأي حق رافض لهم

٣٦ يجب اقامة وكلاء للنهضة حيث لا يوجد فروع او حيث يكون انشاء

الفروع مبددا لا موحدا

٣٧ مرتب الدخول دولار واحد في السنة يجب ايصاله الى المركز الرئيسي من

كل عضو في النهضة الا اذا شاء العضو التبرع. اما الفروع فلها ان تتفاهم مع الاعضاء

على طرائق القيام بالنفقات المحلية (٢)

٣٨ ينتخب نائب الرئيس وامناء الصندوق والمديرون من التجار اما الرئيس

فيجب ان يكون غير تاجر صونا لحقوق مصالح سائر التجار

٣٩ لا يقبل الامي - الذي لا يحسن القراءة - عضوا الا في السنين الخمس بعد

اعداد القانون الاساسي ولا يقبل غير المستقيم على الاطلاق

٤٠ يجب ترغيب الشبان في تعليم الصناعات والفنون استعدادا لخدمة الوطن بما يكونون تعلموه

٤١ يعتبر مفشي أسرار الجمعية « خائنا » ويطرد بعد المحاكمة

٤٢ لا يقبل عضو في النهضة كل (?) من يكون منتظما في سلك جمعية في مبادئها ما يخالف مبادئ النهضة اللبنانية

٤٣ للجمعية شارة وكلمة تعارف وقوانين تعرف من النظام العمومي بعد طبعه

٤٤ تسعى النهضة اللبنانية لاهياء ذكر التوايح في العلم والوطنية من رجال ونساء بطبع نتائج قرايحهم واقامة تماثيل للعظماء منهم

٤٥ من مساعي النهضة اللبنانية انشاء المتاحف الوطنية وصون كنوز الحفريات والمعادينات وحفظ كل ما يهتم القوم الراقي (?) بحفظه

٤٦ يجب ان يكون لنا « جمعية علماء » تبذل منتهى العناية باحياء اللغة والفنون الجميلة ومنها تتفرع فروع العلوم والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك

هذا ام ما مر في خاطرنا من المبادئ والمنازع التي قبل المسؤولية عليها دون احد من الناس ولنا في اكثر هذه البنود كلام تبسط فيه ونرجو ان يكون عند صادق الوطنية مقبولا

الا اننا لاندعي بان ما جئنا به يجب ان يعتبر فصل الخطاب وانما اردنا ان نوقف الشعب على الاهم من مرامي هذا الحزب الا كبر المدعو نهضة لبنانية وهو حزب لم يظهر مثله حتى يومنا هذا في العالم العربي ولا انضوى تحت لواء اي جمعية عربية العدد المتضوي تحت لوائه

في كل مصر وقطر انصار لهذا الحزب لا نعلن اسماء جميعهم لحوائل سياسية ونؤكّد اللبنانيين اننا بعد سنة واحدة نصبح ٢٥ الفا في المهاجر وحدها فن كان مؤمنا بكتاب اللبنانية الشريف فليحمل لواءه بالاخلاص خفاقا، وينشر تعاليمه بالوطنية لطاقا، والفوز للمجاهدين اه

(الناشر) نشرنا هذه المقالة بحروفها ووضعنا بجانب بعض المفردات والجل علامة (?) للاشارة الى ما فيها من خطأ أو ضعف لفظي او مضوي (ولولا ان استحسننا انشاء الكاتب لما أشرنا الى ذلك). ويظهر منها ان هذه الجمعية سياسية علمية اقتصادية ادبية خيرية سرية جهرية. وفي هذه المواد المنشورة تعارض وتهافت، يعني بعضها بعمسكة مستقلة، كما بني بعضها على تابعة مبهمه. واهل رئيس النهضة البارح يصححها ويرتبها بعد اعادة النظر فيها. ولا نسأل عن القوة التي يؤسس المهاجرون بها هذا الملك العظيم

ولنزد ما تقدم بياناً بنقل النيدة التالية من جريدة ابي الهول التي تصدر في البرازيل

وهي :

أنا لبناني

ليقرأها اللبنانيون بقمن !!

لا تصبح الامة أمة حقيقية ولا يستتب لها كيان الا متى نمت في صدور اغليتها عاطفة حب الوطن ، وكان هذا الحب مؤسساً على معرفة تاريخها ، وما التاريخ الا قطعة من قلب الامة ، وما أبناء هذا الجيل الا أحفاد أجيال اذا تناسيناها مسحنا نهوسنا وانكرنا الاصول التي انما نحن لها فروع

ولقد اثبت المدققون ان قوة الشعوب الحقيقية قائمة في ايمانها الوطني ، وعرف العالم باجمعه ان العثماني قد غلب في الحرب البلقانية لانه فاقد هذا الايمان ، وان الامم البلقانية لم تنتصر ذلك الانتصار الباهر الا لامتلاكها القوة الادبية علاوة على قواها الحربية

ومن الثابت ان السرب مثلاً قد انتصروا لانهم بأجمعهم - من القائد الكبير الى الجندي الصغير - كانوا قد رسموا في قلوبهم وأدمغتهم تذكاراً تاريخيهم القديم الذي طمست به سنوات الحكم العثماني عليهم

وفي سنة ١٩٠٧ تشكلت لجنة ليايية سرية لفحص حالة استعداد الجيش العامة ، و ارادت اللجنة ان تعلم مقدار معرفة الجنود تاريخ بلادهم فوقعت القرعة على فرقة من الفرق المقيمة في أقصى ارجاء سوريا فالتقيت على ككل من الجنود الاسئلة العشرة التالية :

ما ذا تعرف عن كرايفنش ما ركوا ؟ وعن ميلوش او بليتش ؟

عن الامير لازار ؟ وعن الامبراطور دوشان ؟

عن موقعة قوصوه ؟ وعن كاراجورجس ؟

عن الامير ميلوش وما هو اسم الملك الحالي ؟

واسم ولي العهد وهل يوجد سريون خارج سوريا ؟

فايدت الاجوبة ان مائة في المائة من الجنود يعرفون ان « كرايفنش ماركو » ملك سوريا وبطل التاريخ الوطني كان آخر حماة استقلال سوريا ضد الاتراك

ومائة في المائة يعرفون ان السربي « ميلوش او بليتش » قتل السلطان مراد

في موقعة قوصوه سنة ١٣٨٩

(الشارح - ج ٨ ص ١٧) تسمى اللبنانيين بالسريين في السعي للاستقلال ٦٢٥

ومائة في المائة يعرفون ابن الأمير « لازار » قائد الجيش السري في معركة قوصوة وقتل فيها

وتأخرون في المائة يعرفون ابن الأمير « دوشان » المتوفى سنة ١٧٥٥ كان اعظم ملوك سوريا القديمة

ومائة في المائة يعرفون ابن الامبراطورية السرية قد سقطت في موقعة قوصوة وائسان وسعون في المائة يعرفون ان « كراجورجس » كان زعيم الثورة

الاولى السرية ضد الاتراك سنة ١٨٠٤ - ١٨١٣

وتسعة وخمسون في المائة يعرفون ابن الأمير « ميلوش » قائد الثورة الثانية التي وقعت منها سوريا الحالية سنة ١٨١٥

واثنان واربعون في المائة يعرفون اسم الملك الحالي

وثلاثة وعشرون في المائة يعرفون اسم ولي العهد

وثمانية وتسعون في المائة اجابوا انه يوجد سريون كثيرون خارج سوريا

فهذه النتائج ثبتت بوضوح ان الشعب السري باجمعه كان - ساعة شهر الحرب

على تركيا - متشبهاً بذكارات تاريخه الوطني البعيدة والقرية ومعتقداً بان امنية

سوريا الحالية قائمة بوسيع حدودها لامتلاك الاراضي المنصبة وجعل سوريا كافية

لهم جميع السريين

في هذه الذكارات كانت قوة سوريا الحقيقية . وهذه الذكارات اختصت

للتاريخ وانتصرت على تركيا

لم اترك كل هذه المقدمات لاحداث القراء عن سوريا والسريين . ولكننا

امثلة للام التي تريد ان تكون ونحيا !

نحن معاشر اللبنانيين لانعلم بمحاربة تركيا او الثورة عليها . ولكن الاوان قد

آن لتسعى في تعزيز جامعتنا القومية وتأييد امة يعرفها العالم المتحدين وبلازمة

اللبنانية . ومن اجل ذلك يجب ان نبدأ باعتناق الايمان الوطني وان نؤسس

هذا الايمان على ذكارات تاريخنا البعيدة والقرية

لقد انهكت مذاهب السنين قواها الوطنية ولكن نصف جيل خلا كافي لتجديد

الدم اللبناني

لواقتت اليوم لجنة لبنانية واختارت بضعة قرى من قرى لبنان واخذت تطرح على انبائها الاسئلة التالية :

من هم اجداد اللبنانيين ؟ هل فقد لبنان يوما استقلاله ؟
 من هو أعظم أمير لبناني ؟ من اخراج محمد علي من سوريا ؟
 ماهي حدود لبنان الاصلية ؟ ماهي المسئلة اللبنانية ؟
 ما رأيك بمذابح الستين ؟ ما الفرق بين المسيحي والدرزي ؟
 من هو احسن متصرف واسوا متصرف حكم لبنان ؟
 لماذا يجب ان يحلم اللبناني اليوم ؟

لواقتت هذه اللجنة وسالت هذه الاسئلة واجاب مائة في المائة ان اجداد اللبنانيين هم الفينيقيون غزاة البحر وتجاره واساتذة اليونان ومدنوقسم من افريقيا الشمالية واطاليا وفرنسا واسبانيا

ومائة في المائة : ان لبنان لم يخضع يوما لدولة من الدول التي اجتاحت سوريا خضوعا تاما وانه لا يستطيع الحياة إلا مستقلا

وعمانون في المائة بان أعظم أمير لبناني هو الامير نضر الدين المعني الثاني الذي أوصل حدود لبنان في الجبل السابع عشر من اطراف حلب الى اوئل فلسطين ولقبه سلطان تركيا « سلطان البر » - يليه الامير الشهابي الكبير الذي يريد نقل رفاقته من الاستانة الى لبنان احياء للروح الوطنية

ومائة في المائة بان سيوف اللبنانيين كانت العامل الاول في اخراج محمد علي باشا المصري واعادة سوريا الى تركيا في اوائل الجبل الاخير

ومائة في المائة أيضا بان حدود لبنان الاصلية التي اغتصبتها الدولة تمتد من اعالي طرابلس الى صيدا ومن ساحل البحر المتوسط وفيه بيروت الى اطراف الشام وفيها سهل البقاع وجبل اتيلبنان المعروف بجبل حرمون او جبل الشيخ

ومائة في المائة بان المسئلة اللبنانية مشكلة بين الدولة ولبنان لا تحل الا باستعادة لبنان حدوده المقتضية وحقوقه في الكمرك والبريد - وان هذه المسئلة يجب ان يطرحها المجلس الاداري امام محكمة أوروبا التي نحمينا ولنا بها علاقة منذ بضعة اجيال بتقديم دعوى الديون التي لنا في ذمة الدولة

وعمانون في المائة بان مذابح الستين التي كان للأموري الدولة اليد الاولى في اثارها وصمة على جبين لبنان يجب ان يمحوها بزعم التعصب الديني وابداله بالتعصب الوطني

ومائة في المائة بان الدرزي أخ للمسيحي في الوطنية، للاول مالتاني وعليه ماعليه وان أحسن متصرف جاء قبل المتصرف الحالي هو داود باشا الارمني الذي سعى

في تحسين شؤون الجبل وتوسيع اراضيهِ ، واسوأ متصرف هم كل المتصرفين الذين سبقوا متصرفنا الحالي

وان على اللبناني ان يحلم اليوم باستعادة الامارة اللبنانية ، ويساعد جمعيات المجاهدين الخلفية ليعود المهاجرون الى بلادهم ، وتعود الى لبنان حياته ومعها العز والفقار . . . في ذلك اليوم . . . في ذلك اليوم يصبح اللبنانيون أمة حقيقية ويستطيع اللبناني ان يسمي جبله وطناً ، وان ينادي على رؤوس الملا بكل مباهاة وافتخار : « انا لبناني ا » « انا لبناني ا ا ا »

(المنار) : لولا هذه النقط التي أجهم بها الكاتب النتيجة ، لقال القارئ ان النتيجة جاءت أصغر من المقدمات ، لامتية أخس المقدمات كما يقول علماء المنطق . والجبل واسع امام من يريد انتقاد ما كتب الكاتب ، واهم ما يهم دعاة النهضة العربية من ذلك جعل البلاد السورية أو طائفة متعددة ، ومن فروع ذلك جعل هذا الكاتب اللبنانيين كلهم فينيين - على مذهب عبيد الله التركي الذي زعم ان نصارى سورية ليسوا عرباً - وهذا خطأ مبين ، فان كثيراً من سكان الجبل يعرفون انهم من سلالة العرب ، ومنهم أمراؤه كني معن و بني شهاب الذين يفتخر الكتاب بكبريها الأمير نجر الدين والأمير بشير ، وبني رسلان وغيرهم من الدروز . والباقيون من سلاسل العرب والفينيين وغيرهم . ولكنهم صاروا كلهم عرباً بموجب لغتهم ، وانما الجنسية باللغة فكثير من الاسبانين من سلالة العرب ولكنهم لا يبدون الان عرباً

يظهر مما اشرفنا وما لم ننشر مما يكتبه غلاة الدعوة اللبنانية انهم يمنون أنفسهم بما ليس في طاقتهم ، يمنون أنفسهم بأن يكونوا دولة قوية مستقلة تمام الاستقلال ، منفصلة عن جدتهم الامة العربية وأمهم سورية نفسها ، لاعن الدولة العثمانية فقط . ولا يكون مثل هذا الشعب حربي قوي ، ولذلك أكثر أصحاب دعوة هذا الاستقلال من ذكر قوة الجبل وامتناعه عن الفاتحين ، وانتصاره على المصريين ، واخراجهم جيش محمد علي الكبير من سورية وردها الى الدولة والاسترسال في المبالغات التي ليس من موضوعنا البحث فيها . ولنسلمهم حديثهم عن ماضيهم ، فانه لا يمنعنا من الجزم بأنهم لا يستطيعون ان يأخذوا بقوتهم شراً من أرض الدولة ولا درهما من خزينتها ، وانما مسائلهم أوربية مفتاحها بيد الدول الكبرى ، فاذا هن اتفقن على إعطاء الجبل شيئاً فهو الذي يرجي ان يأخذوه ، واذا لم يتفقن فقرة وحدها لا تستطيع ان تعمل للجبل شيئاً . واذا استطاعت الدولة ان ترضي الدول بالقاء امتياز لبنان فانها تلغيه ، وخلاف فقرة وحدها لا يحول دون ذلك . فن يعرف هذه الحقائق يحزم بأن مؤسسي جمعية (الاتحاد اللبناني) في مصر ارسخ قدما في السياسة من سائر اللبنانيين . وان وراء ذلك كاه سياسة مثلي لو قدروها قدرها ، ولم تحجبهم آمالهم بفكرة وغيرها عنها !!

مصائب مصر والشام برجال المسلم وحملة الاقلام

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (تمة ترجمته)

تصانيفه ورسائله

كان أئامه الله سيال القلم سيال القريحة ، سريع الذّاكرة سريع المراجعة ، وقد كتب كثيرا من الكتب والرسائل تصنيفا وشرحا واختصارا لبعض المطولات ، أحصاها لنا بعض تلاميذه فزادت على السبعين ، وهو القمد الذي تعب به العرب من الكثرة . وهذه أسماؤها مرتبة على حروف المعجم :

- (١) الاستئناس ، في تصحيح أنكحة الناس . طبع في دمشق سنة ١٣٣٢
- (٢) الانوار القدسية ، على متن الشمسية في المنطق ، كتب عليها الى آخر قسم التصورات (٣) ايضاح الفطرة ، في أهل الفترة (٤) الارتفاق ، بمسائل الطلاق (٥) ازالة الاوهام ، بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه الصلاة والسلام (٦) افادة من محام ، في تفسير سورة والضحي (٧) اعلام الجاحد ، عن قتل الجماعة المتألفة بالواحد (٨) الاقوال المروية ، في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية (٩) الاوراد المأثورة - مطبوع في دمشق (١٠) الاجوبة المرضية - مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ (١١) اصلاح المساجد ، من البدع والعوائد (١٢) بذل الهمم ، لموعظة أهل وادي المعجم (١٣) بديع المكنون ، في أم مسائل الفنون (١٤) بيت القصيد ، في ديوان الامام الوالد السعيد (١٥) بحث في جمع القرائن المتعارف

(١٦) تطهير المشام ، في ما أثر دمشق الشام (١٧) تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان (١٨) تنوير اللب ، في معرفة القلب (١٩) تاريخ الجهمية والمعتزلة . نشر في مجلة المنار وطبع في مطبعتها سنة ١٣٣١ (٢٠) تنبيه الطالب ، الى معرفة الفرض والواجب - طبع في مصر سنة ١٣٢٦

- (٢١) ثمرة التسارع ، الى الحب في الله وعدم التقاطع
- (٢٢) الجواب السني ، عن سؤال السيد أحمد الحسني (٢٣) الجوهر الصاف ، في ثقافة الاشراف (٢٤) جواب المسألة الحورانية (٢٥) جوامع الآداب ، في أخلاق الانجباب (٢٦) جدول في مخارج الحروف وصفاتها (٢٧) جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل - نشر في مجلة المنار
- (٢٨) حسن السبيل ، في الرحلة لموعظ قضاء البناك (٢٩) حياة البخاري .

طبع في صيدا سنة ١٣٣٠ (٣٠) حاشية على الروضة الندية
(٣١) درة الموهوم ، من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم (٣٢) دلائل التوحيد . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ « ٣٣ » ديوان خطب مطبوع في دمشق سنة ١٣٣٥ .

« ٣٤ » رفع المناقضات ، بين ما يزيد في العمر وبين المقدرات « ٣٥ » رسالة في الشاي والقهوة والدخان . مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٣ « ٣٦ » رسالة في أوامر من مشايخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي . مطبوعة بعد نشرها في مجلة المنار سنة ١٣٣١ « ٣٧ » رسالة في المسح على الجوربين مطبوعة في بيروت سنة ١٣٣٢ « ٣٨ » رسالة في المسح على الرجلين .

« ٣٩ » زوال الغشاء ، عن وقت الغشاء « ٤٠ » زبدة الاخبار ، عن أولاد الكفار « ٤١ » السطوات ، في الرد على منع الغشاء قبل الصلوات

« ٤٢ » شمس الجلال ، على منتخب كنز العمال « ٤٣ » الشذرة البهية في حل ألفاظ نحوية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢ « ٤٤ » شذرة من السيرة الحميدة . مطبوعة مطبعة المنار في مصر سنة ١٣٣١ « ٤٥ » شرح لقطة العجلائن . مطبوعة في مصر سنة ١٣٢٦ « ٤٦ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول . مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٤ « ٤٧ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول أيضا . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٣ « ٤٨ » شرح مجموعة ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٣١ « ٤٩ » شرح مختصر المستصفى لابن رشيقي .

« ٥٠ » الطائر الميمون ، في حل لغز السكندر المدفون . مطبوع مرتين سنة ١٣١٦ وسنة ٢٢ « ٥١ » طراز الخلعة ، فيما نقل من قول الرمي : وأقسام الاسم تسعة « ٥٢ » الطالع المسعود ، على تفسير أبي السعود (لم يتم) « ٥٣ » الطالع السعيد ، في مهمات الاسانيد

« ٥٤ » العقود التنظيمية في ذكرى مولد النبي (ص) وأخلاقه العظيمة ، ومحاسن شريعته القوية « ٥٥ » غنيمة الهمة ، على كشف الغمة « ٥٦ » فصل الكلام ، في حقيقة عود الروح الى الميت حين الكلام « ٥٧ » الفضل المبين ، على عقد الجوهر الثمين ، ويعرف بشرح الاربعين العجلونية « ٥٨ » فتاوى الاشراف ، في العمل بالتلغراف . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ « ٥٩ » قواعد التصديت ، من فن مصطلح الحديث

٦٠ الكواكب السيارة ، في مدح الفوارة ٦١ كتاب الفتوى في الاسلام . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ . (٦٢) كتاب ارشاد الخلق ، الى العمل بخير البرق .

طبع بدمشق سنة ١٣٢٩ ، ٦٣ كتاب الاسراء والمعراج . طبع بدمشق سنة ١٣٣١
 ٦٤ كتاب شرف الاسباط . طبع بدمشق ٦٥ كتاب (شرح العقائد) وهو كتاب
 كبير كتب الفقيه منه نحواً من مائتي صفحة ولم يتم ٦٦ الف والنشر ، في طبقات
 المدرسين تحت قبة النسر ٦٧ لزوم المراتب ، في الادب مع الامام الراتب
 ٦٨ المسند الاحمد ، على مسند الامام احمد ٦٩ منتخب التوسلات . مطبوع
 في دمشق سنة ١٣٠١ ، ٧٠ مذهب الاعراب وفلسفة الاسلام في الجن . طبع
 بدمشق سنة ١٣٢٨ ، ٧١ ميزان الجرح والتعديل طبع في مصر سنة ١٣٢٠
 ٧٢ موعظة المؤمنين ، من احياء علوم الدين . طبع بمصر سنة ١٣٢١ ، ٧٣ محاسن
 التاويل (وهو التفسير العظيم الذي يقع في اثني عشر مجلداً مع مقدمته التي كتبت
 في مجلد حافل

٧٤ النحلة الرحمانية ، على متن الميدانية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢
 ٧٥ قد النصائح الكافية . طبع بدمشق سنة ١٣٢٨
 ٧٦ هداية الالباب ، لتفسير آية « وطعام الذين أوتوا الكتاب » ٧٧ الوعظ
 المطلوب من « قوت القلوب » ٨٧ وفاء الحبيب وحده ، في ايضاح جهة الوحدة
 (المسوقة في القناري) ٧٩ يتابع العرفان ، في مسائل الارواح بعد مفارقة الابدان
 اقول : ان بعض ما ذكرنا رسائل صغيرة مؤلفة من كراسة او كراستين او
 كراسات قليلة ، له اول غيره ، وبعض ما ذكرنا من الشروح عبارة عن تعليقات
 لا يصح ان تسمى شرحاً ، وقد كتب الي في العام الماضي ان له كتاباً في المباديات
 مقتبساً من كتب المذاهب مع بيان حكمة النشر . كان اخذه منه الشيخ احمد طياره
 لطبعه في مطبعته بيروت ولم يعده اليه ، وعلمت مما كتب الي انه من اهم كتبه ،
 وكنت وعدت بتأليف كتاب في ذلك فبقي رحمه الله عليه ، فتمنيت لو يطبع لأستغني
 به . ولعل هذا الكتاب وتفسيره الحافل هما اكبر مظاهر علمه واصلاحه ، على ان
 له رسائل مختصرات ، لا تنفي عنها المطولات

سيقول كثير من الناس : انك عدت القاسمي من رجال الاصلاح ، وان اسما
 كثير من هذه الكتب التي صفها أو شرحها تدل على انها ليست من الاصلاح
 في ورد ولا صدر ، ولا تشمل على عين منه ولا أثر ، فكيف يضع العالم المصلح
 وقته في شرح لفظة ، أو ما يعد أبعد عن الاصلاح من الفخر ؟

ويمكنني أن أقول : ان الرجل كان من خيار مصليحي المسلمين في هذا العصر وان لم يدخل كل ما كتبه في باب الاصلاح الذي يفهمه قراء المنار ، فسي الاصلاح ومفهومه واسع ، وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان ، والسن والعشاء والاقران ، والتلاميذ والمريدين ، وغيرهم من المخاطبين ، والمصلح لا يخلق مصلحا بالفعل ، بل يخلق كغيره لا يعلم شيئا ، ويكون الاستعداد للاصلاح فيه كامئا ، ثم تظهره التربية والتطعيم ، وما يتجدد المرة بعد المرة له من العبرة والتأثير ، فهل يطلب ممن عاش خمسين ، ترك فيها من هذه الكتب والرسائل نحو من سبعين ، ان يكون جميع ما كتبه او شرحه اصلاحا في الدنيا والدين ، مرضيا عند السكحول المجرمين ، والشيوخ المحنكين ؟

طريقته في الاصلاح

حسب من نشأ وتعلم وتربى في أرض التعصب للتقليد ، والجمود على العادات والخرافات ، تحت سماء الاستبداد ، والحجر على اللسان والاقلام ، — ولم تكن هذه الفاسد في الاستانة أشد منها في الشام — ان يكون بسلامة فطرته ، وعناية الله به ، مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في استقلاله ، ونزاهته واعتداله ، ونفاقة عقله وقلمه ولسانه ، وجراته على مجاهدة الجمود والتقليد ، والجمع في احياء علوم اللغة والدين بين الطريف والتليد .

أما طريقته في الاصلاح ونغاياته منه فلم يكن فيهما على خطة مقررة من اول النشأة ، وانما كوتهما الحاجة بقدر استعداد البيئة : فتح الرجل عينيه فرأى أطلال العلم في بلد دارسة ، وأعلامه طامسة ، وقد كانت مهاجرا يرحل الطلاب اليها ، فأصبحت مهجورة يرحل عنها . فكان الاصلاح الضروري فيها إيجاد نشء جديد من طلبة العلم يعملون تعبيا صالحا يرحى أن يحياه وبهم العلم ، وقد كان سبب اختيار الشيخ لقراءة بعض الكتب ولكتابة بعض الشروح والتعليق على بعضها ، هو الضرورة أو الحاجة إلى تدريسها ، لا كونها صالحة في نفسها ، او محاولته اصلاح التعليم بها . مثال ذلك ما كتبه على شرح الفاري ومن الشمسية في المنطق ، كان مما لا بد منه ، لان طلبة العلم كانوا يتمتعون بهما لاجل اعفائهم من الخدمة العسكرية . وقيس ما لم نعرف غيره فيه — كقراءة كتاب جمع الجوامع وشرح بعض المتنون — على ما هرفاعذره فيه

كفن الشمسية وشرح الفناري، وكلاهما لا يصلحان للتدريس، في رأي العارفين بطرق
اصلاح التعليم. ولو كان الشيخ في مصر قلنا ان عذره في قراءة جمع الجوامع اعتماد
الجامع الازهر عليه في الامتحان ونيل شهادة العالمية
لعلنا لو اطلعنا على جميع ما كتبه لظهر لنا من عذره ما لا يظهر لنا الآن. أو
ننتقد منها ما لا نظن الآن انه متقد، وحسب الرجل ان يكون مصلحا في سيرته
ومجموع أعماله

قد اطلعنا على كتاب دلائل التوحيد وبعض الرسائل من مؤلفاته المطبوعة،
وقرطنا بعضها في المنار وبيننا مزيتها فيه. ويمكننا أن نستنبط منها ومن مذاكراتنا
القصيرة له ما نعهده للقارئ من مزاياه ومزاياها

(١) ان القاسمي درس فنون اللغة العربية والعلوم الشرعية على الطريقة المالوتية
في مدارس المسلمين منذ قرون، وتلقى تلك الكتب التي اختارها المتأخرون
للتدريس، ورأى حاجة أهل البلاد الى بعض تلك الكتب لاجل امتحان الاعفاء
من العسكرية، وان المشتغلين بالعلم منهم يظنون أن العالم لا يكون عالما حقيقة الا
بتحصيل كذا وكذا منها (كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني) فكانت هذه
الامور الثلاثة أسبابا لمحافظة على بعض ذلك التليد

(٢) انه كان يرى ان ما ثبت بالدليل الثقلي في الثقليات والعقلي في العقليات
وبالتجربة في المخرجات لا تتلقاه بالقبول هذه الامة التي جمدت على التقليد، وبعد عهد
جمهورها بالحجة والدليل، الا اذا أيد بنقل عن بعض العلماء السابقين، ولا سيما اذا
كان من المشهورين، فكان يرى هذا ركنا من أركان الاصلاح في التدريس
والتأليف لاجل اقناع المستدين والمقلدين معا، ونحن نجري على هذا في المنار والتفسير احيانا
(٣) انه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته
وما مذهب السلف الا العمل بالكتاب والسنة، بلا زيادة ولا نقصان، على الوجه
الذي كانوا يفهمونه في الصدر الاول. وقد اتهم — كما اتهم غيره من المستقلين —
بأنه أحدث مذهبا جديدا في الاسلام، ولما كانت حادثة السعاية التي أشرنا اليها،
وذكرنا انه حبس فيها، لفظ حساده بهذه المسألة فقال يرد عليهم :

زعم الناس بأنني مذهبي يدعي الجالي
 واليه حيناً أف في الوري أعزو مقالي
 لا وعمر الحق اني سلفي الاتحال
 مذهبي ما في كتنا ب الله ربي المتعالي
 ثم ما صح من الاذ بار لا قيل وقال
 أقفني الحق ولا أر ضي بأراء الرجال
 وأرى التقليد جهلا وعي في كل حال

وقال ايضا في هذا المعنى :

أقول كما قال الأئمة قبلنا صحيح حديث المصطفى هو مذهبي
 ألبس ثوب القيل والقال باليا ولا أتجلى بالراء المذهب

(٤) كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع ما يقوم عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل . وكان لحرصه على الوفاق وجمع كلمة المسلمين يجتهد في اسباغة حجة كل فريق من اصحاب المذاهب ، وتقريب احدهما من الآخر ، باظهار حجته أو شبهته ، وحكاية ما يعارض الخصم به . ومن كانت هذه طريقته فكثيرا ما يفضض الخصمين معاً . فيتهمه كل منهما بالتشيع للآخر . ثم اذا كان احدهما مصيئاً والآخر مخطئاً يتعذر على محب الاعتدال في الحكم بينهما ان يرضى باستحداث مذهب ثالث يجمعه وسطا بينهما ، اذ ليس بين الحق والباطل وسط ، وانما يكون الحق وسطا بين باطلين ، او أباطيل ترجع كثرتها الى نوعين — الزيادة على الحق او النقص منه . وقد اتهم العقيد بعض السلفيين بأنه مخالف مذهب السلف في رسالته (تاريخ الجهمية والمعتزلة) التي نشرناها في المنار ، على شدة حرصه عليه ونحره اياه ، وانتقدها بعض الشيعة كما يأتي . واتهمه بعض المستقلين بمنزلة اخرى في رسالته (نقد التصالح الكافية) وهي ان حب الاعتدال وتقريب احد الخصمين من الآخر اخرجه عن الاعتدال في بعض المسائل ، ولكن بقصد الاصلاح وههنا مسألتان (أحدهما) أن المستقل في علمه وحكمه حق الاستقلال يتحرى

ما يظهر له أنه الحق فيقوله ويحكم به وإن أغضب جميع الناس عليه . وقصارى ما يستتبعه من ارضاء الناس أو استمالتهم التلطف في القول ، وتزيين الحق الذي ثبت عنده بحلي البيان وحلله ، دون ابرازه لم عاري الجسد عاقل الجيد (الثانية) ان الاصلاح بين الرجلين أو القبيلين من الناس فضيلة حث عليها الشرع وعرف حسننا العقل ، وقد أصبح فيها الكذب عند الضرورة عملاً بقاعدة « ارتكاب أخف الضررين » فبالاولى يباح فيها التماس المنذر لكل خصم فيما خالف فيه الآخر ، وتوجيه ما قام عنده من الحجة أو شبه الحجة . وهذه الطريقة في الاصلاح أقرب الطرق لارضاء المعتدلين من أهل المذاهب المختلفة ، وأما الغلاة في التمسب للمذاهبهم فلا يرضيهم الا موافقتهم واتباعهم .

أما العمل بهاتين المسألتين واعطاء كل واحدة منهما حقها فهو عسر جداً ، فإن المستقل جد الاستقلال اذا تصدى للتوفيق بين الحاصنين التمسعين يفضيها جميعاً وانما يمكن أن يرضى المستقل من كل فريق أو المستند للاستقلال ، اذا أوتي الحكمة وفصل الخطاب ومن الآيات على ذلك أن رسالة (تاريخ الجهمية والمعتزلة) لم يكتب أحد في هذا العصر كتابة أعدل منها في التأليف بين فرق المسلمين الكبرى — وهم أهل السنة الأثرية والاشاعرة والمعتزلة والشيعة والخوارج — وقد كتب بعض علماء الشيعة رداعليها قبل اتمام نشرها ، وهل يرضى شيعي بتعديل بعض الخوارج والرواية في الصحيحين عنهما ؟ وانكر بعض أهل السنة الأثريين بعض المسائل فيها كما تقدم . فأين هذه من تلك الرسالة التي كتبها احد علماء الشيعة للتوفيق بين الامة بزعمه او دعواه الظاهرة فكانت عبارة عن دعوة أهل السنة الى التشيع بتخطئتهم وتهمييب الشيعة في جميع مسائل الخلاف ١١

أخلاقه وشماله

كان من اكمل ما رأيت في أخلاقه وآدابه وشماله: كان أبيض اللون نحيف الجسم ربة القد ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، غصبيض الطرف ، كثير الاطراق ، خافض الصوت ، قليل السمع ، خفيف الروح ، دائم التبسم وكان ثقيلاً ناسكاً واسع الحلم ، سلم القلب ، نزه النفس واللسان والقلم ، برا بالامل ، وفياً للاخوان ، يأخذ ما صنف ويدع ما كدر ، عاقل عفيفاً قائماً

لا يطاميه طمع مدنس اذا استمال طمع او اطي
وقد بنينا ما كان لاخلاقه الكريمة من حسن الأثر ، والوقاية من كيد الجامدين
والحاسدين ، والاعانة على الاصلاح
ومن حسن وفائه انه لم يقطع مراسلتنا ولا مراسلة الاستاذ الامام في ابان ثقل
وطأة الاستبداد الحميدي ، اذ كانت مراسلتنا تعد من الجنائيات السياسية التي تعاقب
الحكومة صاحبها أشد العقاب ، ولكنه ترك التصريح بنقل شيء عنا كما يعلم من
كتابه (دلائل التوحيد) وصرح لنا بذلك

وقد عبرنا عن بعض ما وجدناه من الحزن لفقدته بكتاب وجهناه الى أهله ، وكان
من يعرف ما بيننا من الاخاء يعزينا عنه كما يعزى الاخوة في النسب . وما بيننا من
أخوة النسب الروحي ، أعلى من النسب الجسدي ، على أن نسب امه يتصل بنسبنا أيضا
وحسبي أن أدون من تلك التعازي ما كتبه الي صديقي وصديقه علامة العراق
ورحلة أهل الافاق ، السيد محمود شكري الالوسي الشهير . وقد كتبت اليه مثل الذي
كتبته الي يباغت القلب ، ولكنه سبق كدأ به في السبق الى كل فضل . وهذا
ما كتبه بعد الاقارب ، وفاتحة الخطاب :

« أما بعد فقد نمت البنا صحف البلاد الشامية وفاة العلامة السيد جمال الدين
القاسمي قدس الله روحه الزكية ، فأمضت ذلك الخبر قلبي وأفضت لي ، وجرح فؤادي
وطرد رقادي . وأحدث لي حزناً ملازماً ، وألماً دائماً ، وأورثني قلقاً واخراً .
وانزعاجاً حافراً . وحيث كان المشار اليه من أعزة أحابيكم ، وخلص أصفياكم ،
مع ما كان عليه من الفضل الوافر ، والادب الباهر ، والورع الظاهر ، والنسب
الظاهر ، والذب عن الشرع المبين ، وقوه الايمان واليقين ، ومناضلة الحائدين
والملاحدين ، وانه حسباً اعترف له الموافق والمخالف

أحياه الله الشريفة والهدى وأقام فيه شعائر الاسلام
حكم على أهل العقول يثما منوعة الاوضاع والاحكام
ويريك في ألفاظه وكلامه سحر العقول وحيرة الافهام
سأني اعزك على فقدته ، وتوسده للحدود ، ومفارقته لهذه الدنيا العذارة الخائنة
المكارة ، فان نعيمها زائل ، وكوكب سعدا أقل ، فلا اوجع الله لك قلباً ، ولا كدر
لك خاطراً ولا لبا ، وللإسلام من طاعتكم الغراء ، سلوان عمن مضى من الفضلاء ،
واعلم اني يحل الرزء اذا قل العوض ، ويكبر المصائب اذا عدم الخلف . فاما اذا كنت
الباقى ، وغيرك الماضي ، وصرت الموحود ، وسواله المفقود ، فالفادحة خيفة الوقوع ، مرؤبة
الصدق ويد الدهر فيما نال قصيرة ، ومنته فيما تركه كبيرة . هذا مع أسنى عليه كل الاسف ،
وتصاعد ألقاسي بزيد اللهب ، وقد حرت عليه من العيون عيون ، فانا لله وإنا اليه

راجعون . نسأله تعالى ان يديمكم ركناً للإسلام ، ومرجماً للأشخاص والعلم ، ويصونكم من طوارق الليالي والايام ، تذكرة للسلف الاعلام » اه
وأقول ان لما يعزني ويعزي هذا الاخ الكريم . والمصلح العظيم ، الذي لا استحق بمض ثنائه ، ولا ينسبني قصي كمال إطرائه ان أخانا الفقيه قدربني وعلم افرادا من اخوته وغيرهم يرجي ان يقفوا اثره ، ويتلو تلوه ، وان كان نسيج وحده فتبقى بهم ديار الشام . أهلة ان شاء الله بالعلماء الاعلام . على مدى السنين والايام .

(٥ - جرجي بك زيدان)

قضى الله - ولا راداً لقضائه - ان لا تفرغ من رثاء وترجمة رجال العلم الذين فحمت بهم الأمة العربية في هذه السنة في مصر والشام ، الا وقد رزى القطران بهجيرة أخرى ، فقد فاجأت المنية في التاسعة والعشرين من هذا الشهر جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال ، وأحد أركان النهضة العربية الحديثة ، فاجاته كهلا قد بلغ أشده واستوى ، حسن الصحة تام القوى - وقد أتم في هذه الليلة تصحيح آخر كراسة من آخر جزء من أجزاء السنة الثانية والعشرين للهلال ، وآخر كراسة من كتاب تاريخ العرب . وتنفس الصعداء من تعب ليلة شعر بأنه أتى عن عاتقه في أولها تسع عشرة أشهر ، ثم أتى نفسه على سريره ليندأ فيها باستراحة شهرين كاملين ، ففاضت نفسه فاذا هو قد أتى عنها تعب ربع قرن في الجهاد العقلي كان هو القاضي على مادة ذلك الدماغ الذي يشبه معملاً من معامل الكهرباء ، في السرعة والنور والحرارة والضياء ، والمقوض لدعائم تلك الحياة الحميدة ، حياة الجهد والعمل والعفة والاستقامة . فاذا كان الجهاد العقلي قد صرع احمد فتحي باشا زغلول والاستاذ القاسمي بعد مرض طويل أو قصير ، فقد صرع جرجي بك زيدان من غير مرض ولا شكوى فقدت الأمة العربية بهذا الرجل ركناً من أركان نهضتها الحديثة في العلم والأدب ، بعد أن نضج علمه ، واتسعت مدارفه ، وكثرت تجاربه ، وصار أقدر على اتقان خدمتها ، ومساعدة نهضتها .

نشأ الرجل عصامياً ، فقد ولد في أواخر سنة ١٨٦١ م من أبوين فقيرين اميين ، ولكن يظهر انه كان له في الأرومة العربية عرق واسع ، فقد بحث عن أصل يهتمهم - وكان يسمى بنت مطر - فاتهت به البحث الى ترجيح كونه من عرب حوران ، وكان يظن انه كآكثر الروم الارثوذكس في سورية من بني غسان .

تلقى مبادي القراءة والكتابة في بعض مكاتب بيروت الابتدائية . وكان يشغل مع والده في مهنته لاجل المعاش ، ولكن استمداه للعلم وعشقه للمدارس كانت قويا جدا ، فكان يختلف الى بعض المدارس الليلية ، يتعلم فيها اللغة الانكليزية . وبحث عن رجال العلم والأدب ويتقرب اليهم ، وانظم مع طائفة من خيارهم في سلك جمعية شمس البر الادبية ، فازداد حبا للعلم ورغبة في طلبه ،

وكان بعض من أئس فيه الاستعداد من أهل العلم يقرأ له دروسا خاصة يستعد بها لدخول القسم الطبي من المدرسة الكلية الأمر بكانية الشهيرة ببيروت ، وبعد تحصيل قليل أدى الامتحان ودخل المدرسة فكان يتعلم فنون الصيدلة ويؤدي بعض الخدمة لاجل المعاش ، ولكنه ترك المدرسة في أثناء السنة الثانية لما كان عرض فيها من الاختلال الداخلي المعروف . وقصد بعد ذلك الديار المصرية ليم دروسه في مدرسة القصر العيني فلم يتج له ذلك ، بل دخل في طور العمل والكسب

ان كثيرا من التاليف لم يقيموا في المدارس زمنا طويلا ، ومن الثابت بالاختبار ان طول الإقامة في المدارس تضمنت ملكة الاستقلال ، فيخرج الطالب بعده مقلدا جامدا على ما أطال درسه ومزاولته . فان كانت سعة العلم لا تحصيل الا في الوقت الواسع ، فالواجب ان يكون أطول زمن التحصيل خارج المدرسة لا داخلها ، وفي أثناء العمل بالعلم ، لا في أثناء تلقي نظرياته ومصطلحاته . ورب ذكي أو مجتهد يحصل من مسائل العلم في سنة ما لا يحصله غيره في سنين كثيرة . وما تحصيل المدرسة الا دلالة على طريق العمل بالعلم ، فن يطلب العلم فيها لاجل الاستعانة به على العمل بعد الخروج منها ، فرعا يكتفي القليل من العلم ، فيجعله أهلا للعمل الذي لا يكمل العلم الا به . واما من يطلب العلم لاجل نيل شهادة من مدرسة يتوسل بها الى رزق لا يتوقف على دوام الاشتغال به والارتقاء فيه ، فبجرتة الى ما هاجر اليه ، فهو يحصل ورقة الشهادة ، ولكنه قلما يكون عالما عاملا بعلومه مرتقا فيه . وناهيك اذا كان طلبه للعلم بارادة ولي أمره ، لا بارادته الذاتية ورغبته .

أما فقيدنا اليوم فقد كانت نفسه المعصامية هي الحافزة لهمة والباعثة له على طلب العلم ، وكان يقصد من العلم ان يعمل به فيفيد مالا واجاه يكون به في مقدمة امته لافي ساقها . ولذلك حصل بمجده وقوة ارادته في الزمن القليل ، ما يمكنه من العمل الذي عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيلا ، وأوسع في العلوم والفنون عرفانا . وأما اذا اتفق لثل صاحب هذه الهمة والارادة تحصيل المقدمات تامة من أول النشأة ، فان عمله يكون أقوم ، وسيره فيه يكون اسرع وأتم .

اشتغل الفقيد عقب هجرته الى مصر بالتحرير في جريدة يومية اسمها الزمان نحو من سنة ، ثم سافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان مترجما في قلم الخبارات ، وشهد بعض وقائع الحرب في السودان ، ومكث هناك عشرة أشهر ، ثم عاد وسافر الى سورية فاشتغل فيها مدة بدراسة اللغتين العبرانية والسريانية . ثم الى بلاد الانكلز . ثم عاد الى مصر فندبه أصحاب المتطلف الى مساعدتهم في ادارته فتولاهما سنة واشهرا ، ثم استقال منها وانصرف بكل همته الى التأليف فألف تاريخ الماسونية ويختصر التاريخ العام وتاريخ مصر الحديث . ثم تولى ادارة

التعليم بالمدرسة الميمنية سنتين

وفي أواخر سنة ١٨٩٢ ميلادية أنشأ مجلة الهلال ، وجعل جمل عنايته فيها بالتاريخ والاعخبار العلمية ، وجعل لها ذيلاً من القصص (الروايات) النramية المزججة بتاريخ الاسلام ، فظهر من خطته فيما ينشئ وينقل أنه من أقدر من اشتغل بالصحف العربية والتأليف في هذا العصر ، وأقدرهم على جذب جمهور القراء الى ما يكتب ، بمحاولة جعل ما يكتبه لذبا سهل الفهم ، كالطعام اللذيذ سهل الهضم ، وكان يختار في كل وقت ما يناسبه ، وفي كل حال ما يلائمه ، فإذا ألفت مقالة ، أو حدث حادثة مهمة - كالخروب ومشاكل الدول وموت الملوك والكبراء - بادر الى كتابة ما يتعلق بذلك من مباحث التاريخ القديم والحديث ، مزينا له بما يتعلق به من العصور والرسوم .

وكان سلما نزيه القلم ، يتقي كل ما يثير غضب أصحاب المذاهب الدينية ، والاحزاب السياسية ، ولكنه لم يسلم مع ذلك من اتهام بعض سيئي الظن من المسلمين والنصارى ، قد اتهمه بعض الاولين بتعمد الظن في الاسلام بغربة يفتريها ، أو دسيسة يدسها ، وكانوا يستدلون على ذلك ببعض الاغلاط التي وقع فيها ، أو قصور بعض المسائل بغير الصورة التي يعرفونها ، لفهمها بغير الصفة التي يفهمونها ، ورد عليه بعض هؤلاء في المؤيد . وطالما رددت على بعضهم ميراثا له من سوء القصد ، لما لي فيه من حسن الظن . وأشرت الى ذلك في المار غير مرة .

وقد حدثني ان بعض سيئي الظن من النصارى قد اتهمه بضد ما يتهمه به بعض المسلمين : اتهموه بمصانة المسلمين ومحاباتهم ، ومدح الاسلام والمسلمين تقربا اليهم ، لاجل الكسب منهم . ولا يسلم من أسنة الناس أحد ، كيف وقد كفروا بالواحد الاحد ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى

ثم انه قد ظهر منه بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة ، تقدمتها نزعة عدت احياء لمذاهب الشعوبية : ذلك بأنه زار الاسكندرية ولقي فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية ، مستنكرا بحارة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية ، مستصوبا خطة الاتحاديين الاولى من تركب العناصر وادغام العرب في الترك . وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة ، فهاج ما كتبه جماعات قتيان العرب في الاسكندرية وسورية ، وكادوا يحملون عليه في الصحف ردا واحتجاجا ، ولكن حالت دون ذلك معارضة مسوعة مقبولة

وأما النزعة التي سبقت هذه النزعة ، فهي مطاعن للفقيد في العرب أودعها في تاريخ القديس الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها . وزادهم التفات اليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ القديس الاسلامي ونشره فيها بالتتابع . فتشاور كثير من

الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منهم شيء . ثم اتفق أن انبرى للرد عليه في هذه المسألة الأستاذ الشهير الشيخ شبلي النعماني من أشهر علماء الهند وأوسعهم اطلاعا في التاريخ . وكتب إلينا هذا الأستاذ الكبير وهو صديقنا وصديق فقيدنا المردود عليه بخبرنا بما شرع فيه من الرد ، ويقترح علينا أن ننشر رده في المنار ، ولما كنا نعهد من الفقيد تلقى الانتقاد عليه بسعة الصدر ، بل عهدنا منه مطالبة الكتاب بهذا الانتقاد . ونعلم أن الأستاذ الشيخ شبلي النعماني صديقه — ونرى أن تمحيص هذه المسألة أصبح ضروريا — بادرت إلى نشر الرد من غير أن نقرأه ، بل نشر في أثناء رحلتنا الهندية ، ثم قرأناه بعد عودتنا من الهند وعمان والعراق وسورية قرأناه فوق ما كنا نظن من شدة الرد ، ورجي الفقيد بسوء القصد . وكنا علمنا من المنتقد عند لقائه في الهند أنه كان يرى بعض الغلط في تاريخ القدن الاسلامي وغيره من مؤلفات صاحبه فيحمله على الخطأ أو سوء الفهم ، ولكنه لما قرأ مجموع طعنه في العرب جزم بأنه صادر عن سوء قصد . فهذا سبب شدة حملته عليه ، على ما كان من موادته له . وقد كتبنا مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي اذ طبع على حديثه بنا فيها ذلك ، واننا لو اطلعنا على ما فيه من الشدة قبل نشره ، لراجعنا الكاتب فيه واستأذناه بحذف الطعن الشخصي منه ، وقد نشرنا تلك المقدمة في المنار تعريضا لدفاعنا السابق بالقلم واللسان ، عن رجل عددناه صديقا لنا ، وعضوا نافعا في أمتنا ، على اننا لم نعلم مع ذلك من سوء ظنه فينا :

قلت وطأة رد الشيخ شبلي النعماني على الفقيد لشدة ، ولأنه كان يده من أصدقائه ، وانني عليه غير مرة في هلاله ، فلم يصدق أولا انه هو المنتقد ، وانهمنا بذلك ، وكتب إلى الشيخ شبلي كتابا ذكر فيه ذلك ، راجيا ان يكتب اليه متصلا منه ليبين ذلك في الهلال ، ويظهر ان النقد لصاحب المنار ! وقد اطلعتي الأستاذ الشيخ شبلي على كتابه ذلك في (لكتنو) أيام كنت فيها ، ورأيت ممتعجا منه ، فكان عجيبي أشد من عجبه . وقد ذكرت للفقيد ذلك ممانيا ، فكان حقي عليه في سوء ظنه بي ، أكبر من حقته علي في نشر النقد — وقد نشر في غيبي . وقد اتفق لي مثل هذا مع كاتب سوري آخر ، كانت حقوق الصحبة بيني وبينه أقوى منها بيني وبين جرجي بك زيدان ، وكنت أثني عليه للأستاذ الامام واستميلة لمساعدته ، فكتب إلى الأستاذ كتابا يطعن بي فيه ، ويهمني بتغيير الأستاذ عنه ، والظمن فيه عنده ، فتعجب الأستاذ من أمري وأمره !!

أما مؤلفاته فهي مطبوعة مشهورة وهالك أسماؤها :

١ التاريخ العام

٢ تاريخ مصر الحديث — جزآن

- ٣ » التمدن الاسلامي . خمسة أجزاء
 - ٤ » الغرب قبل الاسلام . جزء واحد
 - ٥ » الماسونية العام
 - ٦ » اليونان والرومان » صغير
 - ٧ » انكثورة » لم نره
 - ٨ » اللغة العربية »
 - ٩ » آداب اللغة العربية - ٤ أجزاء
 - ١٠ الفلسفة اللغوية . جزء صغير
 - ١١ انساب العرب القدماء »
 - ١٢ علم الفراسة الحديث »
 - ١٣ طبقات الامم »
 - ١٤ عجائب الخلق »
- (١٥ - ٣٩ قصص (روايات) منها ١٨ قصة تتعلق بتاريخ الاسلام وثلاث تتعلق بتاريخ مصر ، وواحدة غرامية مخضبة .
- وأما أخلاقه وشماثله فقد كان أديب النفس ، زيه اللسان والقلم ، بشوش الوجه معتمدا بحبوة الجد ، متزها عن اللغو والعبث ، محبا للنظام ، حفيا بالأهل ، وصولا للرحم ، محبا للقريب
- ورأي فيه أن عقله كان اكبر من علمه ، ومن فضل عقله على علمه حسن اختيار ما كان يكتب ، وحسن ترتيبه وتبويبه ، فقد كان في هذا وهو من سمات العقل أبرع منه في تحرير المباحث وتنقيحها ، وتمحيص الحقائق بالقول الفصل فيها . وسبب ما انتقد وما يتقدم الغلط على كتبه بحق ، هو أنه كان يقدم على الكتابة في مباحث لم تسبق له دراستها ، معتمدا على مراجعتها من مظانها عند الحاجة اليها ، ومن كان يكتب المقالة في يوم أو ايام أو ساعة أو ساعات ، لاجل أن تنشر في مجلة شهرية ، ويؤلف الكتاب في عدة أشهر لانه وعد بنشره في وقت معين من السنة ، قلما يستطيع أن يجمع بين المواد وتنسيقها وترتيبها ، وبين تمحيص الحقائق فيها وتحريرها . ولهمر الانصاف انه ليقول من يستطيع كتابة تلك الكتب في مثل الزمن الذي كتبها فيها مصنفها ، وهل يوجد في أمتنا كثير من أمثال من قد تده اليوم ؟ وقد ترك للامة ما يميزها عنه - تلك المصنفات الجامعة بين الفائدة واللذة ، ونحلة النجيب أميل زيدان الذي أحسن تعليمه وترتيبه . وقد رأى قراء الهلال من آثار قلعه فيه ، ما يشر باستمرار بزوغه عليهم ما داموا مقبلين عليه موازين له ، وولا غرو ان يحذو الفتي حذو والده ،

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله فليذكرهم الله
أولئك الذين هداهم الله فليذكرهم الله

أولئك الذين هداهم الله فليذكرهم الله
أولئك الذين هداهم الله فليذكرهم الله

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « متارا » ثمار الطريق

مصر سلخ رمضان ١٣٣٢ هـ ق ١ الصيف الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٣ أغسطس ١٩١٤

فَتَكُنْ مِنَ الْمُنْجَاتِ

اقتضاهما الباب لاجابة اسئلة المشركين خاصة، اذ لا يسع عامة الناس، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبطنه وعمله (وطبقته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالأول بما قدمناه من السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وروعا جينا غير مشترك لثقل هذا، ولأن معنى على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا قدر صعب لا نقفاه

تفسير له (معقبات من بين يديه ومن خلفه) ﴿

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في بركة السبع (مصر)

فضيلة الاستاذ ! السلام عليكم ورحمة الله

لي الشرف الرفيع والقدح المثلّي بمنول مسطورى بين يديكم، وانى وان لم احظ من الاستاذ بالمعرفة الشخصية فقد عرفني به آدابه الجمّة، وهذا نى اليه منار علمه العزيز، ومشكاة فضيله العميم، ولا غرو بعد اذا رفعت هذا اليكم مستفتيا عن الآتي :
جاء في كتاب « الاسلام دين الفطرة » الاستاذ الفضال « الشيخ عبد العزيز شاويش » تنديد على بعض تفسيرى الزمن الفابر

نرى فضيلته قد ذهب مذهبا غير الذي ذهب اليه المفسرون كالجلايين والنسفي وغيرهما. ولقد جاء في كلامه المنشور على « ص ٣٣ و ٣٤ » من الكتاب المشار اليه في تفسير الآية التالية ما لا يتفق مع السابقين :

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » الآية . فسر الأوائل المعقبات بالملائكة تنقيب على العبد ليل نهار، ورووا في ذلك حديثا عن كنانة المدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله فقال اخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال « ملك على يمينك على حسنتك وهو امين على الذي على الشمال وملك كان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » (ملك قابض على ناصيتك

فاذا تواضعت لله رفعتك ، واذا تجبرت على الله قصصك ، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام ، وملك على فمك لا يدع الحية تدخل اليه . وملكان على يمينك . فهو لاء عشرة املاك على كل آدمي ينزلون وملائكة النهار فهو لاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل » اه
 وفسر الشيخ شاویش المستغني بالليل والساب بالنهار فقال انهما المتخفان لها وحرسا وجلاوزة الخ وهنا يتضح من سياق كلامه أنه جمحد وجود ملائكة تحفظ الصبد وصفوة القول انني حيال هذه التفسير المتضاربة وتلك الآراء المتباينة كريشة

في مهب الرياح

يبد أن تقى بكم واعتمادى على علوكمكم في العلوم الدينية سيدنيان مني الغرض
 ويقصيان عني الرب

وهأنا (ذا) على أحر من الجمر ، حتى يرد على القول الفصل ، وما هو شفاء
 للصدور . ورجائي أن تشمل الاجابة الاسئلة الآتية :

- (١) أي الطرفين أصاب وما وجه أصابته وأيهما الجدير بالاتباع ؟
- (٢) لم لا يعود الضمير في قوله تعالى « له معقبات » على من ذكر اسم الله كقول المفسرين ولم لا أثر لذلك في الآية أصلا كراي فضيلة الشيخ شاویش ؟
- (٣) ماهو تفكيك نظام الآية الذي جاء به المفسرون وكيف قطعوا الحال من صاحبها وفرقوا بين الاجزاء التي تتألف منها ؟
- (٤) كذب الشيخ شاویش الحديث ، وبأي وجه يحتمل تكذيبه له مع أن راويه البخاري وهو كما تعلم من رؤوس الرواة وأصحابها سندا ؟ المخلص

محمد السيد الجارحي

(ج) اختلف مفسرو السلف في المعقبات هنا فأخذ الشيخ عبد العزيز شاویش بما أعجبه وشنع على من قالوا بغيره ، وما كان ينبغي له ذلك - وقد ذكر الحديث المرفوع فيه - واننا لم نطلع على ما كتبه ويظهر مما كتبه السائل انه رد الحديث من غير أن يبيني رده على علته فيه وطعن في سنده ، وأن عبارته توهم أن ما اعتمدته في تفسير المعقبات مما استنبطته قريحته الوقادة وكان دليلا على تفضيل الأواخر على

الأوائل ، وقد عهدنا منه في مجلته ردّ الأحاديث الصحيحة المتفق عليها إذا لم يجبه معناها . وحديث كنانة العدوي في تفسير المعقبات ليس في الصحيحين ، وقد عزاه في الدر المنثور الى ابن جرير ، وخرجه ابن جرير في تفسيره بسند ضعيف قال « حدثني الثني قال حدثنا عبد السلام بن صالح القشيري قال ثنا علي بن حرب عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي » وذكره . وعبد السلام بن صالح اختلفوا فيه فقالوا انه يروى المناكير واتهمه بعضهم بالوضع ، ولكن انكر الحفاظ قول العقيلي فيه انه كذاب . وفي غيره من رجال السند مقال لا محل لبسطه . ولو صح هذا السند عند ابن جرير لما رجح عليه غيره . وقد روى عن ابن عباس انه قال في تفسير المعقبات : يعني ولي السلطان يكون عليه الحراس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه الخ كذا في الدر المنثور . وفي تفسيره بسنده عنه قال : ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس . وفي رواية أخرى له عنه قال : يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وروى أيضا عن عكرمة انه قال في اصحاب المعقبات : هو هؤلاء الامراء . وقال في رواية أخرى انه قال في المعقبات : المواب من بين يديه ومن خلفه . قال ابن جرير بعد ما روى القولين في المعقبات عن ابن عباس وعن غيره :

« وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال : الهاء في قوله (له معقبات) [راجع الى] من التي في قوله (ومن هو مستخف بالليل) وان المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلوزته — كما قال ذلك من ذكرنا قوله . وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلين بالصواب لأن قوله (له معقبات) أقرب إلى قوله (ومن هو مستخف بالليل) منه الى قوله (عالم الغيب) فهي اقربها منه أولى بأن تكون من ذكره « فيها » وان يكون المعنى بذلك ، هذا مع دلالة قول الله (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) على انهم هم المعنيون بذلك . وذلك انه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل رية يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون من عند أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم من أهل طاعته ان يحولوا

(النار - ج ٩) (٨٣) (المجلد السابع عشر)

بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ؛ ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم ولا يدفعهم عنهم حفظهم » اه مقاله وهو الذي تختاره
 أما حديث أبي هريرة في الصحيحين والنسائي فهذا نصه « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يعرج الذين أتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؛ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » ورواه البزار بلفظ « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » الخ . فأنت ترى انه لم يرد تفسيراً للآية
 ولا أدري أ كذب عبد العزيز شاو يش هذا الحديث وأنكر أن يكون في الملائكة حفظة يتعاقبون في المكلفين ؛ أم أنك أن يكون ذلك هو المراد من الآية ؛ ظاهر عبارة السؤال الأول ، ولا يبعد ذلك على هذا الرجل فقد عهد منه مثله ، ولا عبرة بقوله ، فلا هو من أهل العلم بالحديث رواية ولا دراية ، ولا بغير الحديث من علوم الدين ، ولكن له مشاركة في الفنون العريضة وبعض العلوم العصرية ، فتصدى بذلك للتشبه بالمصلحين ، الذين يجتمعون بين الدين والعقل ، فتجراً على رد الأحاديث الصحيحة بغير علم . وقوله هو المردود ، وحديث الرسول (ص) هو المقبول . ولعل ما ذكرناه يغني عن بقية مباحث السؤال اللفظية غير الواضحة
 (السبي والرق في التوراة والإنجيل)

(س ٢١) من صاحب الامضاء في البكوت
 حضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأعز
 نرجو من فضلكم تبين حكم السبي في الشرائع القديمة هل هو مشروع فيها أم لا ؟ وهل له ذكر في هذه الأناجيل وهذه التوراة الوجودية في أيدي الناس اليوم إنيانا أو نفياً أم لا ؟ وما هو أحسن جواب للمعترضين به على الدين الاسلامي بدعوى انه من الممجة أو انه ينافي الانسانية أو ما أشبه ذلك من العبارات
 وكيل المنار
 سليمان العدساني

(ج) يؤخذ من أسفار العهد القديم التي يسمونها التوراة ان السبي والرق كان مشروعا على عهد الانبياء السابقين ابراهيم (ص) فن بعده (راجع سفر التكوين ١٤: ١٤) وان شريعة موسى تقضي بأن يستأصل الاسرائليون الامم التي يغلبونها في الارض المقدسة التي أعطوها فلا يقبوا من أهلها صغيرا ولا كبيرا ، وان يسبوا من غلبهم في غير تلك الارض . والسبايا والعبيد والامماء من العبرانيين وغيرهم أحكام متفرقة في سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر التثنية . ومنها انه شرع لم تحرير العبراني دون الغريب ، وكذلك يجب الرق بالعبراني منهم دون غيره

ومن نصوص سفر اللاويين في ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه وهو مما ذكره من كلام الرب لموسى بعد توصية الاسرائيلي بأخيه اذا بيع له لفقره قال « ٤٤ وأما عبيدك وإماءك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولك - منهم تقتنون عبيدا وإماء ٥٤ وأيضا من المستوطنين النازلين عنكم ، منهم تقتنون ومن عشائركم الذين عندكم الذين يلبسونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم ٤٦ وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم الى الدهر . وأما اخوتكم بنو اسرائيل فلا تسلط عليهم أحد بعنف »

والظاهر من هذه العبارة انه لا يجوز عتق العبد الغريب عندهم ، واما العبراني فيعتق سنة اليوبيل عندهم الا اذا احب هو ان يبقى رقيقا ، فعند ذلك تقب اذنه ويبقى عبدا الى الأبد ، وكان لاستعباد العبراني عندهم ثلاثة أسباب : الفقر ، والسرقه اذا لم يجد السارق قيمة المسروق ، وبيع الوالد بنته لتكون سريه ، فاذا تم للصهيونيين ما يريدون من امتلاك فلسطين واقاموا شريعتهم فيها فاتهم يستأصلون أهلها ويستعبدون جميع من يتقدرون على استعباده من جيرانهم الى الابد . ولا يرضون ان يكون لاحد معهم حق ولا ملك ، دع الملك الذي صرح سفر التثنية فيه بأنه لا يحل للاسرائيلي ان يجعل عليه ، لسكا اجنبيا ليس هو اخاه (راجع ١٧ : ١٤ و ١٥)

وفي الفصل العشرين من سفر التثنية ما نصه « ١٥ حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب

الموجود فيها يكون لك للتسخير والسبي ويستعبدك ١٢ وان لم تسالك بل علمت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فغنمها لنفسك وكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك فلا تستبق منها نعمة ما »

تأملوا تأملوا أيها المنصفون ما أشد ظلم الذين ينتقدون الاسلام وهم يدعون الايمان بالتوراة ! فالقرآن يأمر المسلمين اذا أخذوا في مقاتلتهم ، وظهرت لهم الغلبة عليهم ، ان يكفوا عن القتل ، ويكفوا بالاسر ، ثم شرع لهم في الاسرى ان يمنوا عليهم بالعتق فضلا واحسانا ، أو يفادوهم ان احتاجوا الى ذلك ، كما قل (٤٧ : ٤) - حتى اذا اخضعتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعدد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) واذا تزوج الاسرائيلي امرأة من السبايا يشترع له ان يكرمها لاذلالها . كما في الفصل الحادي والعشرون من سفر التثنية ، وهذا التكريم هو ان يتركها لنفسها اذا لم يسر بها ولا يبيعها ولا يسرقها .

أما الانجيل فقد أقر الاسرائيليين على الرق كما أقر الرومانيين ولم يأمر السادة بالعتق ولا بالرق ، بل أوصى العبيد بالخضوع والطاعة بغير شرط ولا قيد . ومن وصايا بطرس في رسالته الاولى « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هبة للسادة ليس للصالحين المبرقين فقط بل للعفاء أيضا » الخ ومن وصايا يوحنا في رسالته الى أهل أفسس « ٦ : ٥ أيها العبيد اطيعوا ساداتكم حسب الجسد بخوف وعدة في بساطة قلوبكم للمسيح » وفي رسالته الى أهل كولوسي « ٣ : ٢٢ أيها العبيد اطيعوا في كل شيء ساداتكم حسب الجسد »

وقد شرحنا في عدة مجلدات من المنار عدل الاسلام ورحمته وحكمته في تخفيف وطأة الرق التي كانت عند جميع الامم والملل وعميده السبيل الى تحريره ، فهو لم يوجب الاسترقاق كما كان يوجب بعض الملل ، ولكنه أباحه لأن المصلحة قد تقتضيه حتى لمصلحة السبايا ، اذ كانت طبيعة العبران ولا تزال في بعض البلاد على غير

ماهي عليه الآن في ممالك الحضارة . فاذا قتل رجال قبيلة وبقي نساؤهم وأطفالهم ما كانوا يجدون من يكفلهم وينفق عليهم ، ففي مثل هذه الحال قد يكون الاسترقاق خيرا لهم ، اذا كان كاسترقاق الاسلام يهدي الى اطعام الارقا ، مما يأكل منه السادة ولباسهم كما يلبسون ، وعدم تكليفهم مالا يطيقون ، وعدم اهانتهم حتى بالتعبير عنهم بلقب المبد والامة . وناهيك بما شرعه من الاسباب الموجبة لاعتاقهم . وقد فصلنا ذلك في مواضع من مجلدات المنار كما قلنا آنفا فراجع الفهارس تجد ذلك مفصلا ، وتجد حجة الاسلام قائمة على جميع الخلق ولا سيما اليهود والنصارى منهم

أقوال علماء القرن الثالث الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

لا ظهرت بدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل وتأويل ماورد منها في الكتاب والسنة هب حافظة الدين وحملته من التابعين ومن بعدهم للرد عليهم ، وتفنيد تأويلاتهم ، والاستمسك بعروة النقل ، حذرا من تحريفها بنظريات العقل ، التي نخدع بها بعض المعاصرين ، توها انها من قطعات البراهين ، وانا ننقل من كتاب الملو للذهبي (الذي يطبع في مطبعة المنار) بعض أقوال الأئمة المتبوعين ، الذين يجهل أقوالهم من مجملهم من المعاصرين . ولكن الذهبي ينقل في هذا الكتاب ما صح وما لم يصح ، ويشير الى ضعف الرواية الضعيفة أو نكارتها غالبا ، على ان من غلاة الأتريين من يقبل كل ما روي في ذلك . قال :

﴿طبقة الشافعي واحمد رضي الله عنهما﴾

روى شيخ الاسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد المقدسي باسنادهم الى أبي ثور وأبي شعيب ، كلاهما عن الامام محمد بن ادريس الشافعي ناصر الحديث رحمه الله قل: القول في السنة التي انا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما — اقرار بشهادة ان لا إله

الا لله، وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل الى السماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد. وبإسناد لا يعرفه عن الحسين بن هشام البلدي قال: هذه وصية الشافعي — أنه يشهد أن لا إله الا الله — فذكر الوصية بطولها وفيها: القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة عيانا، ويسمعون كلامه، وأنه تعالى فوق العرش. إسنادهما واه.

قال الحاكم سمعت الأصم يقول، سمعت الربيع، سمعت الشافعي وقد روى حديثا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: إذا رويت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب.

(ابن خزيمة وعدة)

سمعت يونس يقول قال الشافعي: لا يقال للأصل لم ولا كيف. أبو ثور وغيره: قالوا سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فافلح. وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: المراء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن. وعن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: لله تعالى أسماء وصفات لا يسم أحدا قامت عليه الحجة ردها. قال ابن أبي حاتم سمعت الربيع بن سليمان، يقول سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فحنت فمليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالصفا والمروة فليس عليه كفارة لأنها مخلوقة.

(قلت) تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله، وكان شديد الاتباع للآثار في الأصول والفروع — مات في رجب سنة أربع ومائتين بمصر.

كها ، عاش أربعاً وخمسين سنة

• (القمبي ذاك الامام) •

قال بنان بن أحمد : كنا عند القمبي رحمه الله فسمع رجلاً من الجهمية يقول (الرحمن على العرش استوى) فقال القمبي : من لا يؤمن ان الرحمن على العرش استوى كما يقرب في قلوب العامة فهو جهمي . اخرجهما عبد العزيز القسبي في تصانيفه . والمراد بالامة عامة أهل العلم ، كما بيناه في ترجمة يزيد بن هارون امام أهل واسط . ولقد كان القمبي من أئمة الهدى ، حتى لقد تنال فيه بعض الحفاظ وفضله على مالك الامام . توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة ، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً

• (غان احد اعلام السنة) •

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكرياء بن عدي حدثني يحيى ابن أبي بكر السمسار ، سمعت غسان بن مسلم بعد ما جاء من دار اسحاق بن ابراهيم لما امتحنه في القرآن فقال : له كتب الي ان ادر أرزاقك ان اجبت الي خلق القرآن . فقلت : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يريدون ان يبدلوا كلام الله - لا إله الا هو الحي القيوم - قل هو الله احد) أغلوق هذا ؟ ادر كنت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : اذا قطع أرزاقك . قلت : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قيل كان رزقه في الشهر ألف درهم فترك ذلك لله عز وجل . توفي سنة تسع عشرة ومائتين

(عاصم بن علي شيخ البخاري)

روينا عن عاصم بن علي بن عاصم الواسطي قال : ناظرت جها فبين
من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربا . قلت : كان عاصم حافظا من
أوعية العلم صادقا ، حمل عن شعبة وابن أبي ذئب وخلق . ذكر الخطيب
في ترجمته أن المتصم وجه من يحزر مجلس عاصم هذا في رحبة جامع
الرصافة ، وكان يجلس على سطح الرحبة ويجلس اسفل في الرحبة وما يليها ،
فظم الجع مرة حتى قال أربع عشر مرة « ثنا ايث بن سعد » والناس
لا يسمعون لكثرتهم . وكان المستلي هارون يركب نخلة يستلي عليها ،
فخرروا الجع فكان عشرين ومائة ألف . وقال يحيى ابن معين : عاصم بن
علي سيد المسلمين . قلت : مات مع الفمفي في سنة (أي سنة ٢٢١)

﴿الحيدري﴾

أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن المعدل أنبا عبد الله بن أحمد الفقيه
سنة سبع عشرة وستائة أنبا سعد الله بن نصر أنبا أبو منصور الخياط أنبا
عبد الغفار بن محمد أنبا أبو علي الصواف أنبا بشر بن موسى الحيدري قال :
أصول السنة عندنا ... فذكر أشياء ، ثم قال : وما نطق به القرآن والحديث .
مثل (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) ومثل قوله (والسموات
مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من القرآن والحديث : لا تريد فيه
ولا تفسره ، وتقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول (الرحمن
على العرش استوى) ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهلي .

كان العلامة أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الاسدي الحيدري

(التار- ج ٩ م ١٧) كلام يحيى النيسابوري وهشام الرازي في الاستواء ٦٦٥

مفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة . حدث عنه البخاري
والكبار . مات سنة تسع عشرة ومائتين

﴿عالم المشرق يحيى بن يحيى النيسابوري﴾

قال ابن منده : أنبأ محمد بن يعقوب الشيباني ثنا محمد بن عمرو بن
النضر ثنا يحيى بن يحيى قال : كنت عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد
الله ! (الرحمن على المرش استوى) فأطرق ثم قال : الاستواء غير
مجهول ، والكيف غير معقول ، والايان به واجب ، والسؤال عنه
بدعة . قال ابن أبي حاتم سمعت مسلم بن الحجاج : سمعت يحيى بن يحيى
يقول : من زعم ان من القرآن من أوله الى آخره آية منه مخلوقة فهو كافر .
كان يحيى بن يحيى اليه المنتهى في الاتقان والورع والجلالة بنيسابور ،
قل ان ترى الميون مثله . هل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار ،
ومات سنة ست وعشرين ومائتين

﴿عالم الري هشام بن عبيد الله الرازي﴾

قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي
يقول : سمعت هشام بن عبيد الله الرازي - وجلس رجلا في التجهم فجيء
به اليه ليمتنعنه - فقال له : أتشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه ؟
فقال : لا أدري ما بائن من خلقه - فقال ردوه فانه لم يتب بعد .

كان هشام بن عبد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة ، تفقه
على محمد بن الحسن ، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده ، توفي سنة

احدى وعشرين ومائتين

ابن أبي حاتم: حدثنا أبو هرون محمد بن خلف الجزار: سمعت هشام ابن عبيد الله يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال له رجل: أليس الله تعالى يقول (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)؟ فقال محدث الينا وليس عند الله بمحدث. قلت لانه من علمه وعلمه قديم فلم عباده منه. قال تعالى (الرحمن علم القرآن) فالمقري يلحق الختمه مائة نفس ومائتين فيحفظونه وهو لا ينفصل عنه من شيء، كسراج أوقدت منه سرجا ولم يتغير

﴿ فيه المدينة عبد الملك بن الماجشون ﴾

قال ابن أبي حاتم: ثنا يحيى بن زكريا بن عيسى ثنا هرون بن موسى الفروي قال: ما سمعت الكلام في القرآن الا سنة تسع ومائتين - جاء نقر الى عبد الملك بن الماجشون وكلموه فانكر ذلك عليهم، فكان في بعض ما كلمهم به أن قال (قل هو الله أحد) أهذا مخلوق؟ ثم قال: لو أخذت بشرا الرئيسي لضربت عنقه.

كان عبد الملك من أجل تلامذة مالك، وكان اوه عبد العزيز بن الماجشون يفتي مع مالك في دولة المهدي، توفي عبد الملك في سنة أربع عشرة ومائتين

(المنار) سنن طائفة أخرى من نقول هذا الكتاب، وبين ان مذهب السلف هو الموافق للعقل السليم دون مذهب الجهمية.

الطامة الصغرى أو الحرب الكبرى

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْفِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ لِيُظَاهَرَكُمْ بِأَسْمَاءِكُمْ أَوْ يَكْبِتَكُمْ أَوْ يَنْقِصَ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ أَوْ يَكْبِتَكُمْ أَوْ يَنْقِصَ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ أَوْ يَكْبِتَكُمْ أَوْ يَنْقِصَ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ (سورة الانعام ٦ : ٦٦)

« ان الانسان لطيف ان رآه استغنى » ، وانه ليغني ان رآه اعتز واستغنى ،
وان مدّ الطغيان لالى جزر ، وان غناه لالى فقر ، وان البغي مصرعه وخيم ، وإن
علو الجبارين لالى هبوط ذميم

كانت المسألة الشرقية فزاعة أوربة اذا فرغت من سوء المواقب ، ومشامتها
اذا نظرت من امارات الثواب ، وكانت ترى ان مشكلتها أعقد من ذنب الضب ،
وأن حلها أعسر من ترييع الدائرة ، وقد أنذرها داهية ساستها ، (البرنس بسمارك)
بأن شرارة واحدة من نار حرب بلقانية تكفي لإحراق ممالك أوربة كلها ، ولكنهم
تماروا بالنذر ، وغرهم ما كانوا يسمونه التوازن الأوربي بين وفاق مثلث وحلاف
مثلث . وألفت دولة الروسية بين المختلفين من الدول البلقانية ، فجعلت البلقان واليونان
والصرب والجبل الاسود إلها واحدا على السولة العثمانية . بعد أن أغارت ايطالية على
مملكة كبيرة من ممالكها وهي طرابلس الغرب وبرقة .

ثم سمحت الدول الكبرى كلها للبلقانيين بقتال الدولة العثمانية ، ولكنهم
صرحوا بأنهم لا يسمحون بتغيير مآ في خريثة البلقان ، لأن التنازع على تلك الارض
مثار البغي والعدوان ، فاشتعلت نيران الحرب ، وظهر البلقانيون فيها من القسوة
والوحشية والفظائع والفواحش المالا مزيد عليه ، ولم ينبض في قلوب رجال الدول
الكبرى عرق من عروق الرأفة والرحمة ، ولا احتج أحد منهم على تلك المذابح
والفظائع بكلمة ، وانما كان همهم محصورا في حصر الحرب في البلقان ، ومنع شرورها
ان يصل الى ممالكهم الكبار

ثم شرع البلقانيون في قسمة المستولوا عليه من البلاد الثمانية ، فسمحت لهم الدول بذلك متناسية وعددها بعدم السماح . فوقع بينهم التنازع والتقاطع ، وحل الخلاف محل الخلاف ، ولم يرزهم ماحكم به في القسمة مؤتمر السفراء ، فأوقدوا نار القتال بينهم ، وتقصصوا ما أبرمته الدول لهم . ثم دخلت رومانية في الامر معهم ، وضربت من الغنيمة بسهم ، وكانت القسمة ضزى ، غبن بها البطار ، وكان القديح المعلى لليونان ، واعتزت الصرب أي اعتزاز . وكانت النمسة مسعر نار الفتنة بينهم ، لتأمين مغبة اعتزاز الروسية بهم .

وقعت الواقعة ، وفتح باب المسألة الشرقية ، وسول الفرور للدول الكبرى عملها ، وظنت ان ساستها قدروا بداهتهم على حصر نيرانها في موقدها ، ومنع شررها ان يتعدى الى ماحولها ، وأن أوربة المملوءة من البارود والديناميت ، أمنت أن تصيبها الشرارة التي أنذرها بسمرق فيصمها الحريق . ونسوا عدل الله انعام ، في جميع الأمم والأقوام ، وانه يعاقب المقر للشر كجترحه ، ويجزي الساعي بالخير كفاعله ، (وبدا لهم من الله ما لم يخطر على بالهم)

غمر الصرب ما أوتيت من نصر ، ومن سعة في الملك ، ومن عود الصربيين العثمانيين اليها ، فطمعت في صرب النمسيين وفيما يسكنونه من البلاد أيضا ، فزادت جمعياتها السرية الساعية الى ذلك جراءة وإقداما ، حتى اغتال بعض الفدائيين منهم ولي عهد النمسة وقرينته (في ٢٨ يونيو الماضي) في مدينة (بوسنه سراي) عاصمة البوسنه عند زيارتهما لها . وقد ثبت لدى حكومة النمسة والمجر ان هذه الجناية كانت آرميكيدة دبرت في (بلغراد) عاصمة الصرب ، وان بعض الضباط وعمال الحكومة من الصربيين هم الذين اعطوا الجناة ما كان مهمهم من السلاح والقذائف النارية ، وكلهم من جمعية صربية ثورية . فأرسلت حكومة النمسة والمجر بلاغ تهديد وانذار للحكومة الصرب شتمل على ما يرهقها ويذلها

فما كلفتها اياه نصريحا أو ضمنا أن تعترف باشتراك بعض ضباطها ووظيفيها في جناية قتل ولي العهد وزوجه ، وتبرأ من عملهم ونصرح بالأسف لوقوعه — وان تفشر الاعتراف والبراءة في جريدتها الرسمية وجريدهتها العسكرية ، — وان تبرأ من

أعمال الجمعيات الصربية المحرصة على عداوة النمسة — وان تحمل جمعية (نارونا) أو (ابراتا) — وان تضبط جميع المطبوعات الصربية المشتملة على التحريض على النمسة والتنفير منها لهذه الجمعية ولغيرها — وان كتمل جميع الضباط والمستخدمين الذين ثبت لدى حكومة النمسة تهمة تحريضهم على عداوتها — وان تعاقب الشركاء في جنابة اغتيال ولي العهد من الصربيين المقيمين في بلادهم ، ومنهم بعض الضباط والموظفين المعينين باسمهم — ومنها ان تحذف من كتب التعليم كل ما يبعد دعوة الى معاداة النمسة ، وتكتمل المعلمين الذين يثبون هذه الدعوة — ومنها ان تمنع تهريب السلاح والمواد المفرقة الى ما وراء الحدود — ومنها ان تقبل من تندهم حكومة النمسة لمساعدة حكومة الصرب على تنفيذ هذه الاقتراحات

كتب إندار النمسة في ٢٣ يوليو الماضي ، وكلفت الصرب ان تجيب عنه في مدة ٤٨ ساعة . أما الصرب فلم تقبل مطالب النمسة ، وبلغت الدول الانذار وطلبت منها التوسط في الأمر ، وأما الدول فقد اختلف رأيهن — فروسية عدت بلاغ النمسة وبسطة منها الى قتال الصرب واذلالها ، وصرحت بأنها لا تسكت على ذلك ، وبادرت الى مذاكرة فرنسة وانكلترة ومطالبتهما بالاتحاد معهما على الحرب والقتال ، فأسرعتم فرنسة الى وعددها بالقيام بجميع عهودها التي فرضها عليها المحالفة . ولكن انكلترة ترددت في الامر ، ولم تعد بالمساعدة على الحرب ، وطلعت فحاطب سفراءها بلسان البرق ، مجتهدة في رتق الفتق . وأما ألمانية فقد أظهرت العطف على حليفها ، وارتأت وجوب حصر اختلاف بين النمسة والصرب دون سواهما ، حتى لا يمتدح لبيب النار الى أورة كلها ، وتبادل عاهل الألمان وقبصر الروس البرقيات في وجوب صيانة السلم في أورة ، وصرح الأول للثاني بأن ذلك موقوف على عدم نصدي روسية للاستعداد للحرب . ولكن روسية بادرت الى تعبئة جيشها تعبئة عامة ، وبلغ ناظر خارجيتها سفير انكلترة ان عند حكومته براهين قاطعة على ان ألمانية تستمد برا وجمرا لمهاجتها . فروسية بدأت بالتعبئة جمرا ، متهمة ألمانية بأنها تستمد سرا ، وأنها لا تدعها تسبقها في الاستعداد

والتبادر مما دار بين الدول في هذه المسألة أن ما كانوا يقولونه ويكتبونه كان

له ظهر وبطان ، والظاهر منه أن انكلترة وفرنسة كانتا حريصتين على منع الحرب الأوربية ، ولكن روسية وألمانية لم تدعا لمن طريقا يسلكانه لذلك . ففي ٢١ يوليو قرر قرار الروسية على التعمشة العامة رسميا ، وألمانية وفرنسة امرتا بذلك في أول أغسطس . وأعلنت ألمانية الحرب على روسية في ٢ منه بناء على اجتياز بعض الجنود الروسية للحدود ، وتتابع^(١) سائر الدول الكبرى على الحرب ماعدا إيطاليا فانها لم تزلت الحياد .

نعم ان وراء الأسباب الرسمية للحرب أسبابا أخرى تهدمتها ترجع الى أصل واحد في السياسة ، وهو تناقض الدول الكبرى في المصالح والمنافع والسيادة والعظمة في الأرض ، فروسية ترمي الى ان تكون ذات السيادة العليا بضم عصبية الشعوب السلافية في البلقان والنمسة اليها ، والتوسل بذلك الى التغوذ من زقافي الآستانة (البوسفور والدردنيل) الى البحر الابيض المتوسط ، الذي هو بين أوربة وآسية وأفريقية بمنزلة القلب من جسد الانسان .

وألمانية تود أن تكون ذات السيادة العليا في أوربة كلها بل في العالم كله ، بالجمع بين القوتين البرية والبحرية ، على أكل ما يصل اليه ارتقاء العلوم الطبيعية ، والفنون الآلية وكانت انكلترة قد سبقت الدول كلها بالقوة البحرية التي جعلت لها السيادة العليا في الاستعمار ، فهي ترى انه يجب عليها أن تحافظ على ما آتاه الله بمجدها وتديرها ، فكانت كلما رأت ألمانية أنشأت بارجة حرية تنشئ بارجتين مثلها ، لانها إذا لم تفعل ذلك لانتلبث أن تسلبها ألمانية ملكها

وأما فرنسة فهي على ما كان لها من السبق في الفنون والأعمال الحربية ، من برية وبحرية ، لم تكن هذا في العهد الذي عظمت فيه المباراة بين انكلترة وألمانية ، مجتهدة في الاستعداد للحرب الأوربية بحسب ما نحوها ثرونها ومعارفها ، بل اكتفت من العظمة بتوسيع مساحة مستعمراتها ، بالاستيلاء على مملكة المغرب الأقصى بعد إضعافها ، بإيقاع الفتن والحروب الداخلية فيها . وانصرفت الى التمتع بسعة الثروة ونفمة الحضارة ، واكتفت من اتقاء زحف ألمانية عليها بتحصين حدودها ، وبمحافة

(١) النتائج بلثلاثة الصحفية بمعنى التابع بالوحدة إلا أنه خاصي بالشر

روسية ثم مودة انكسرت لما ، فكانت عمدة روسية بالقناطر المنقطرة من الذهب ؛
 ونفريها بما يوافق هواها من الاستعداد للحرب ، وتوغر صدورها ، وتستثير دفتن
 مقدها ، وتستخرج كمين ضفتها ، على النمسة وألمانية معا . وكان من سياستها أن
 تعطي روسية المال الذي تقضي الحال انفاقه على الاستعداد الحربي مباراة لألمانية —
 بتسفيد بذلك قائدتين — استغلال المال بدلا من اضافته في زيادة أهبة الحرب ،
 وإعداد جند غريب للدفاع عن فرنسة بدلا من تعريض معظم شبانها للقتل ، مع
 ممانيت به من قلة النسل ، — ولكن انكسرت همتها بعد الاتفاق معها على تعزيز
 قوتها البحرية ، كما هلت هي روسية على زيادة العناية بجميع المعدات الحربية .
 بذلك كله أصبحت هذه الدول المريقة في العلم والصناعة ، والثروة والحضارة ،
 تنفق مئات الملايين مما تنصه من ثروة البشر وثروات كسبهم . على الاستعداد لإراقة
 دمايتهم ، وتدمير حضارتهم ، وكلها مشتركة في هذا الوزر الكبير ، ومصرة على هذا
 الخنث العظيم ، الذي لا يلبث له الا الطمع في الكسب ، وحب الطوفى الارض ،
 وان كانت تموجه بدعوى تأييد السلم بالاستعداد للحرب ؛ وعدم استعمال هذا السلاح
 في غير المتوحشين ، الذين تريد تهديهم بالمدنية والدين !!

واتما تراهم يمحسون ألمانية أو عاهلها غليوم الثاني بمزيد الهم ، ويرموه بتعمد
 افراق أوربة في بحر من الدم ، لأن أمته قد صارت بسعيه أشد ام الأرض هناية
 بالفنون والاعمال العسكرية ، واستعدادا للحروب البرية والبحرية ، حتى اضطرت
 سائر الدول اضطارا لجاراتها في ذلك ، فاذا كانت ألمانية لم ترض من الدول التي
 سبقها الى الاستعمار بمساواتهن لما في حرية التجارة والكسب في بلادهن
 ومستعمراتهن ، ولا بما يذعن به من البناء القومي في تجارتها وصناعاتها فقامت تستمد
 سلمهن ما في أيديهن ، أو الاستلاء عليهن ، — فكيف يرضين بأن يرضن
 ملكهن للضياع والخضوع قوة الشعب الجرمانى العسكرية القاهرة ؟

هذه حجة الامم الأوربية على ألمانية التي ارادت ان تعامل الدول التي جاراتها
 أو سبقها بالحضارة ، بمثل ما عاملن به الامم التي غلب عليها الجهل والبداوة ، وهي
 السيادة بقوة العلم والصناعة . على ان الجرائد المصرية الرئيسة كلقطم والاكرام قلت

لنا عن لندن وبلويس وبطرسبرج ان جميع الشعوب تلقت نبأ اعلان الحرب بالسرو والابتهاج ، والهاثف في الشوارع والاسواق ، بل استنوا الشعب الالماني فرغموا أنه كاره للحرب ، مسوق اليها بتأثير الماهل غليوم الثاني والحرب العسكري . فان صرح قولهم هذا — ولن يصح — فهو فضيلة لهذا الشعب على سائر الشعوب الاوربية . ولكنهم ارادوا ان يهونوا امره ، ويالفتوا في ذم عامله ، فدحوه بغير قصد ، وسيرجمون عن هذا المدح

حسبنا هذه الجملة الوجيزة من بيان أسباب هذه الحرب ، وقدماتها ، ونختم المقال بعبارة المؤمنين بالله فيها ، فنقول ان هذه الحرب تربية من الله تعالى للبشر الذين يبني أقويائهم على ضعفائهم ، ولم يشكروا نعم الله عليهم بتسخير الطبيعة لهم ، وتمكينهم بسعة العلم بسننه فيها ، من جميع أنواع الانتفاع بها ، بل كفروا هذه النعم بالبغي في الارض ، واستملاء بعضهم على بعض ، حتى انهم حقروا أخاهم الإنسان الذي لم يصل الى درجتهم في العلم ، فجعلوه — وقد كرمه الله — أدنى منزلة من الحيوانات العجم ، فلو أنهم رأوا قطعا من الانعام أو أسرابا من الطير ، يفتك بعضها ببعض ، وتسرف في الظلم والمعدوان ، كما فعل جيرانهم في البلقان ، لحالوا بينها ، ومنعوها من التماذي في ظلمها

أما وقد فعلوا ما فعلوا ، ورضوا بما رضوا ، وجعلوا جل مهمهم الاستعداد لسفك الدماء ودك صروح العمران — فلا بد أن ينتقم الله تعالى منهم لكفرهم بنعمته ، ويززل قوام بما استولوا وبفوا به على الضمضاء من خلقه ، وكذلك فعل — فقد جعل الآلات الحربية التي بها يتحكمون وبالأعليهم ، وهذا ما يأتيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فتفتك بهم مناظيرهم وطياراتهم ، ويوارجمهم وضواصاتهم ، وألغامهم وينادقهم ومدافعهم ، وقتل من جموعهم ، أكثر مما أفنوا من اخوانهم البشر بأيديهم ، أو بمساعدهتهم وإقرارهم . وأذاق بعضهم بأس بعض ، فجعل محالفاتهم واتفاقاتهم وبالأعليهم ، وسببا لتعميم الانتقام بهم . فصديق قول الله الذي صدقنا به السكلام عليهم . وسيصديق وعده أيضا بجعل العاقبة للمتقين ، الذين يحررون الشعوب المظلمة من استعباد الظالمين ، وإنما يرحم الله الراحمين ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء

الباب السابع*

من كتاب الاعتصام

(في الابتداع : هل يدخل في الامور العادية أم يختص بالامور العبادية ؟)

قد تقدم في حد البدعة ما يقتضي الخلاف فيه : هل يدخل في الامور العادية أم لا ؛ اما العبادية فلا اشكال في دخوله فيها ، وهي عامة الباب ؛ اذ الامور العبادية إما اعمال قلبية وامور اعتقادية ، وإما اعمال جوارح من قول أو فعل ، وكلا القسمين قد دخل فيه الابتداع كذهب القدرية والمرجئة ، والخوارج والمعتزلة ، وكذلك مذهب الاباحية واختراع العبادات على غير مثال سابق ولا أصل مرجوع اليه ؛

واما العادية فافتضى النظر وقوع الخلاف فيها وامثلتها ظاهرة مما تقدم في تقسيم البدع ، كالمكوس والمحدث من الظالم ، وتقديم الجهال على العلماء في الولايات العلمية ، وتولية المناصب الشريفة من ليس لها باهل بطريق الوراثة ، واقامة صور الأئمة وولاية الأمور والقضاة ، واتخاذ المناخل وغسل اليد بالاشنان ، ولبس الطيالس ، وتوسيع الاكمام ، واشباه ذلك من الامور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح ، فانها أمور جرت في الناس وكثر العمل بها ، وشاعت وذاعت فلهجت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الامة ؛ وهذا من الادلة الدالة على ما قلنا ، واليه مال القرافي وشيخه ابن تيمية السلام ، وذهب اليه بعض السلف .

(*) تابع لما نشر في ص ٥٩٣

فروى أبو نعيم الحافظ عن محمد بن أسلم انه ولد له ولد - قال محمد ابن القاسم الطوسي - فقال : اشتر لي كبشين عظيمين . ودفع اليّ دراهم ، فاشتريت له واعطاني عشرة أخرى ، وقال لي : اشتر بها دقيقا ولا تنخله واخبزه - قال - فتخلت الدقيق وخبزته ثم جئت به ، فقال : نخلت هذا ، واعطاني عشرة أخرى وقال : اشتر به دقيقا ولا تنخله واخبزه . فخبزته وحملته اليه ، فقال لي : يا ابا عبد الله ! العقيقة سنة ، ونخل الدقيق بدعة ، ولا ينبغي ان يكون في السنة بدعة ، ولم أحب ان يكون ذلك الخبز في بيتي بمد ان كان بدعة . ومحمد بن أسلم هذا هو الذي فسر به الحديث اسحاق بن راهويه حيث سئل عن السواد الاعظم في قوله عليه السلام « عليكم بالسواد الاعظم » فقال : محمد واصحابه . حسبا يأتي - ان شاء الله - في موضعه من هذا الكتاب .

وأياضا فان تصور في العبادات، وقوع الابتداع وقع في العادات ، لانه لا فرق بينهما . فالامور المشروعة تارة تكون عبادية وتارة عادية ، فكلاهما مشروع من قبل الشارع ، فكما تقع المخالفة بالابتداع في احدهما تقع في الآخر .

ووجه ثالث وهو أن الشرع جاء بالوعد بأشياء تكون في آخر الزمان هي خارجة عن سنته ، فتدخل فيما تقدم تمثيله ، لانها من جنس واحد .

ففي الصحيح عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم سترون بمدي اثرة وأمورا تنكرونها - قال فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال - ادوا اليمم حقهم وسلوا حاكمكم » وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من كره من اميره

شيئا فليصبر» وفي رواية «من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية»

وفي الصحيح ايضا «اذا أسند الامر الى غير اهله فانتظروا الساعة». وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، ويلقى الشح»^(١) وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - قال: يارسول الله اياما هو؛ قال - القتل القتل». وعن ابي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان بين يدي لا ياما»^(٢) ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج» والهرج القتل.

وعن حذيفة رضي الله عنه. قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين، رأيت أحدهما وانا انتظر الآخر - حدثنا ان الامامة نزلت في جدر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة. وحدثنا عن رفعها ثم قال «ينام (الرجل) النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الولث»^(٣) ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى اثرها مثل اثر المحل، كعبر دحرجته على رجلك فنقص فتراه ينتثر وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يؤذي الامانة. فيقال: ان في بني فلان رجلا امينا. ويقال للرجل: ما اعقله! وما اطرفه! وما اجلده او ما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان» الحديث.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة،

(١) في رواية احمد والشيخين هنا زيادة «ويظهر الجهل» (٢) لعله: بين يدي الساعة، وروي بلفظ «ان من ورائكم اياما» الخ رواه الترمذي وابن ماجه عنه (٣) الولث بقية الماء او النبيذ او المعجن في الاناء والقيل من المطر

دعواهما واحدة، وحتى يمت دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلم يزعم انه رسول، وحتى يقبض العلم - ثم قال - وحتى يتناول الناس في البنيان « الى آخر الحديث .

وعن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج في آخر الزمان احداث الاسنان ، سفهاء الاحلام ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يقولون من قول خير البرية ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية »

ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال « بادروا بالاعمال فتا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا فيبيع دينه بعرض الدنيا » وفسر ذلك الحسن قال : يصبح محرما لدم اخيه وعرضه وماله ، ويمسي مستحلا له . كأنه تأوله على الحديث الآخر « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » والله اعلم .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزناء ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون للخمسين امرأة قيم واحد »

ومن غريب حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا فعلت ابنتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء - قيل وما هي يا رسول الله ؟ قال - اذا صار المغنم دولا ، والامانة مغنيا ، والزكاة مغرما ، واطاع الرجل زوجته وعق أمه ، وبرصديقه وجفا اباه ، وارتفعت الاصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم ارضهم ، واكرم

الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حراء ، وزلزلة وخسفا ، او مسحا وقذفا »

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قريب من هذا وفيه « ساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم ارضهم » وفيه « ظهرت القيان والمعازف » وفي آخره « فليرتقبوا عند ذلك ريحا حراء وزلزلة وخسفا وآيات تنال كنظام بال قطع سلكه فتتابع »

فهذه الاحاديث وأمثالها مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يكون في هذه الامة بعده إنما هو في الحقيقة تبديل الاعمال التي كانوا أحق بالعمل بها ، فلما عوضوا منها غيرها ، وفشا فيها كانه من الممولى به تشريعا ، كان من جملة الحوادث الطارئة على نحو ما بين في المبادات .

والذين ذهبوا الى أنه مختص بالمبادات لا يسمون جميع^(١) الاولون . أما ما تقدم عن القرافي وشيخه فقد صر الجواب عنه ، فانها معاصي في الجملة ، ومخالفات للمشروع ، كالكوس والمظالم ، وتقديم الجهال على العلماء ، وغير ذلك ؛ والمباح منها كالمناخل إن فرض مباحا - كما قالوا - فأنما اباحته بدليل شرعي فلا ابتداع فيه ، وإن فرض مكروها - كما أشار اليه محمد بن أسلم - فوجه الكراهية عنده كونها عدت من المحدثات ، اذ في الامر : أول ما أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل - أو كما قال - فاخذ بظاهره من أخذ به كمحمد بن أسلم . وظاهره ان ذلك من ناحية

(١) كذا ولا بد ان يكون قد سقط من هنا كلام . ولعل أصله : لا يسمون جميع ما قاله الاولون . او جميع ما ذهب اليه الاولون

السرف والتنعم الذي أشار الى كراهيته قوله تعالى (اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا) الآية ^(١) لا من جهة انه بدعة ؛

وقولهم : كما يتصور ذلك في العبادات يتصور في العادات - مسلم ؛
وليس كلامنا في الجواز العقلي ، وانما الكلام في الوقوع ، وفيه النزاع .

وأما ما احتجوا به من الاحاديث فليس فيها على المسئلة دليل واحد ، اذ لم ينص على أنها بدع أو محدثات أو ما يشير الى ذلك المعنى ؛

وأيضاً ان عدوا كل محدث العادات بدعة ، فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم

من المآكل والمشارب والملابس والمسائل النازلة التي لا عهد بها في الزمان

الاول بدعا ، وهذا شنيع ؛ فان من العوائد ما تختلف بحسب الازمان

والامكنة والاسم ، فيكون كل من خالف العرب الذين ادركوا الصحابة

واعتادوا مثل عوائدهم غير متبعين لهم . هذا من المستنكر جداً ؛ نعم

لا بد من المحافظة في العوائد المختلفة على الحدود الشرعية والقوانين الجارية

على مقتضى الكتاب والسنة ؛

وأيضاً فقد يكون التزام ^(٢) الواحد والحالة الواحدة أو العادة

الواحدة تعباً ومشقة لاختلاف الاخلاق والازمنة والبقاع والاحوال ؛

والشريعة تأتي التضييق والخرج فيما دل الشرع على جوازه ولم يكن ثم

معارض . وانما جعل الشارع ما تقدم في الاحاديث المذكورة من فساد

الزمان واشراط الساعة لظهورها وفحشها بالنسبة الى متقدم الزمان ،

(١) لعل ابن اسلم يخص كراهة الدقيق المنخول بما كان اداء لسنة كالمقنية ليفعلها

كما كانوا يفعلونها (٢) يباح بالاصل لعل مكانه « الزي »

فإن الخير كان أظهر، والشركان اخفى وأقل، بخلاف آخر الزمان فإن الامر فيه على العكس، والشرف فيه أظهر والخير أخفى.

وأما كون تلك الاشياء بدعا فغير مفهوم على الطريقتين في حد البدعة فراجع النظر فيها تجده كذلك.

والصواب في المسئلة طريقة أخرى وهي تجمع شتات النظرين، وتحقيق المقصود في الطريقتين، وهو الذي بني عليه ترجمة هذا الباب، فلنفرده في فصل على حديثه والله الموفق للصواب.

فصل

افعال المكلفين بحسب النظر الشرعي فيها على ضربين: احدهما ان تكون من قبيل التعبدات، والثاني أن تكون من قبيل العادات. فاما الاول فلا نظر فيه هاهنا.

وأما الثاني - وهو المادي - فظاهر النقل عن السلف الاولين ان المسئلة تختلف فيها، فمنهم من يرشد كلامه الى ان العاديات كالعباديات، فكما انا مأمورون في العبادات بان لا نمحدث فيها، فكذلك العاديات - وهو ظاهر كلام محمد بن أسلم، حيث كره في سنة المقيمة مخالفة من قبله في أمر عادي، وهو استعمال المناخل، مع العلم بأنه معقول المعنى؛ نظرا منه - والله أعلم - الى ان الأمر باتباع الاولين على العموم غلب عليه جهة التعبد. ويظهر أيضاً من كلام من قال: أول ما أحدث الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل. ويحكى عن الربيع بن أبي راشد أنه قال: لولا اني أخاف من كان قبلي لكأت الجبابة مسكني الى

ان أموت . والسكنى ^(١) عادي بلا إشكال . وعلى هذا الترتيب يكون قسم العاديات داخلا في قسم العباديات ؛ فدخلوا الابتداع فيه ظاهر . والاكترون على خلاف هذا ، عليه نبني الكلام فنقول :

ثبت في الاصول الشرعية أنه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد ، لأن ما لم يقلل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتعبد ، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي ؛ فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدية ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والاجارات والجنايات كلها عادي ، لان أحكامها معقولة المعنى ، ولا بد فيها من التعبد ، اذ هي مقيدة بامور شرعية لاخيرة للمكلف فيها ، كانت اقتضاء أو تحخييرا ، فان التخيير في التعبدات إزام ، كما ان الاقتضاء إزام — حسبما تقرر برهانه في كتاب الموافقات — واذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد ، فان جاء الابتداع في الامور العادية من ذلك الوجه ، صح دخوله في العاديات كالعباديات ، والا فلا .

وهذه هي النكته التي يدور عليها حكم الباب ويتبين ذلك بالامثلة ، فأتى به القرافي ^(٢) وضع المكوس في ماملات الناس ، فلا يخلو هذا الوضع المحرم أن يكون على قصد حجب التصرفات وقتا ما ، أو في حالة ما ، لنيل حطام الدنيا ، على هيئة غصب الغاصب ، وسرقة السارق ، وقطع القاطع للطريق ، وما أشبه ذلك . أو يكون على قصد وضعه على الناس

(١) ربما سقط من هنا كلمة « أمر » (٢) لعله سقط من هنا كلمة « من

جواز » أو « في مسألة »

كالدين الموضوع والامر المحتوم عليهم دائماً ، أو في أوقات محدودة ، على
كيفية مضروبة ، بحيث تضاهي المشروع الدائم الذي يحمل عليه
العامة ، ويؤخذون به وتوجه على الممتنع منه العقوبة ، كما في أخذ زكاة
المواشي والحرق وما أشبه ذلك .

فاما الثاني فظاهر انه بدعة ، اذ هو تشريع زائد ، إلزام للسكافين
يضاهي إلزامهم الزكاة المفروضة ، والديات المضروبة . والفرامات المحكوم
بها في اموال الفصايب والمتعدين بل صار في حقهم كالعبادات المفروضة ،
واللوازم المحتومة ؛ أو ما أشبه ذلك ، فمن هذه الجهة يصير بدعة بلا شك ،
لانه شرع مستدرك ، وسن في التكليف مبيح ، فتصير المكوس على هذا
الفرض لها نظران : نظر من جهة كونها محرمة على الفاعل ان يفعلها
كسائر أنواع الظلم ، ونظر من جهة كونها اختراعاً لتشريع يؤخذ به
الناس الى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف ، فاجتمع فيها نهيان :
نهي عن المعصية ، ونهي عن البدعة ؛ وليس ذلك موجوداً في البدع في
القسم الاول ، وانما يوجد به النهي من جهة كونها تشريعاً موضوعاً على
الناس أمر وجوب أو نذوب ، اذ ليس فيه جهة أخرى يكون بها معصية ،
بل نفس التشريع هو نفس المنوع ؛

وكذلك تقديم الجهاد على العلماء ، وتولية المناصب الشريفة من

لا يصلح^(١) بطريق التوريث ، هو من قبيل ما تقدم ، فان جعل الجاهل
في موضع العالم حتى يصير مفتياً في الدين ، ومعمولاً بقوله في الاموال

(١) اي لا يصلح لها

والدماء والابضاع وغيرها، محرم^(١) في الدين. وكون ذلك يتخذ ديدنا حتى يصير الابن مستحقاً لرتبة الاب - وان لم يبلغ رتبة الاب في ذلك المنصب - بطريق الوراثة أو غير ذلك؛ بحيث يشيع هذا العمل ويتردد ويرده الناس كالشرع الذي لا يخالف بدعة^(٢) بلا اشكال، زيادة الى القول بالرأي غير الجاري على العلم، وهو بدعة أو سبب البدعة كما سيأتي تفسيره ان شاء الله، وهو الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً ففسلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وانما اضلوا واصلوا لانهم افتوا بالرأي إذ ليس عندهم علم.

وأما اقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الاسر على خلاف ما كان عليه السلف، فقد تقدم أن البدعة لا تصور هنا، وذلك صحيح؛ فان تكلف أحد فيها ذلك فيبعد جداً، وذلك بفرض أن يمتد في ذلك العمل انه مما يطلب به الأئمة على الخصوص تشريعاً خارجاً عن قبيل المصالح المرسله، بحيث يمد من الدين الذي يدين به هؤلاء المطلوبون به؛ أو يكون ذلك مما يمد خاصاً بالأئمة دون غيرهم، كما يزعم بعضهم أن خاتم الذهب جائز لذوي السلطان، أو يقول: ان الحرير جائز لهم لبسه دون غيرهم، وهذا أقرب من الاول في تصور البدعة في حق هذا القسم.

ويشبهه على قرب زخرفة المساجد، إذ كثير من الناس يمتد أنها من قبيل ترفيع بيوت الله، وكذلك تطبيق الثياب الخطيرة الاثمان،
 (١) قوله «محرم» خبر قوله «فان جعل الجاهل» (٢) «بدعة» خبر قوله «وكون ذلك»

حتى يمد الاتفاق في ذلك اتفاقاً في سبيل الله ؛ وكذلك اذا اعتقد في زخارف الملوك واقامة صورهم انها من جملة ترفيع الاسلام و اظهار معالنه وشعائره ، أو قصد ذلك في فعله أولاً بأنه ترفيع للاسلام لما لم يأذن الله به ؛ وليس ما حكاه القرافي عن معاوية من قبيل هذه الزخارف ، بل من قبيل المعتاد في اللباس والاحتياط في الحجاب مخافة ان انخرق خرق يتسع فلا يرقع - هذا ان صح ما قال ، والا فلا يعمل على نقل المؤرخين ومن لا يعتبر من المؤلفين ، وأحرى أن ينبني عليه حكم^(١) وأما مسألة المناخل فقد مر ما فيها ، والمعتاد فيها انه لا يلحقها أحد بالدين ولا بتدبير الدنيا بحيث لا ينفك عنه كالنشرع فلا نطول به ؛ وعلى ذلك الترتيب ينظر فيما قاله ابن عبد السلام من غير فرق ؛ فبين مجال البدعة في الماديات من مجال غيرها ، وقد تقدم أيضاً فيها كلام فراجع ان احتجت اليه .



وأما وجه النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في الماديات على ما أريد تحقيقه ؛ فنقول : ان مدار تلك الاحاديث على بضع عشرة خصلة ، يمكن ردها الى أصول هي كلها أو غالبها بدع ؛ وهي قلة العلم وظهور الجهل ، والشح ، وقبض الامانة ، وتحليل الدماء والزنا والحريرو والقناء والربا والخمر ، وكون المضم دولاً ، والزكاة مغرمه ، وارتفاع الاصوات في المساجد ، وتقديم الاحداث ، ولعن آخر الامة أولها ، وخروج الدجالين ، ومفارقة الجماعة .

(١) لعل الاصل « وأحرى الا ينبني عليه حكم »

أما قلة العلم وظهور الجهل فبسبب التفقه للدنيا ؛ وهذا إخبار بمقدمة أنتجتها الفتيا بغير علم - حسبما جاء في الحديث الصحيح « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس » الى آخره - وذلك ان الناس لا بد لهم من قائد يقودهم في الدين بجرأتهم ، والا وقع الهرج وفسد النظام ، فيضطرون الى الخروج الى من انتصب لهم منصب الهداية ، وهو الذي يسمونه عالماً ، فلا بد أن يحلمهم على رأيه في الدين ، لان الفرض انه جاهل ، فيضلهم عن الصراط المستقيم ، كما انه ضال ؛ وهذا عين الابتداع ، لانه التشريع بغير أصل من كتاب ولا سنة. ودل هذا الحديث على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل العلماء ، وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماءهم أفتى من ليس بعالم فتؤتى الناس من قبله ؛ وسيأتي لهذا المعنى بسط أوسع من هذا ان شاء الله .

✽

وأما الشح فانه مقدمة لبدعة الاحتيال على تحليل الحرام ؛ وذلك ان الناس يشحون بأموالهم فلا يسمحون بتصرفها في مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ، كالا حسان بالصدقات والهبات والمواساة والا يشار على النفس . ويليه أنواع القرض الجائز ، ويليه التجاوز في المعاملات بائ نظر المعسر ، وبالإسقاط كما قال (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) ، وهذا كان شأن من تقدم من السلف الصالح . ثم نقص الاحسان بالوجوه الأول فتسامح الناس بالقرض ؛ ثم نقص ذلك حتى صار الموسر لا يسمح بما في يديه فيضطر المعسر الى أن يدخل في المعاملات التي ظاهرها الجواز وباطنها المنع ، كالربا والسلف الذي يجر النفع فيجعل يبع في الظاهر ،

ويجري في الناس شرعاً شائعاً، ويدين به العامة، وينصبون هذه المعاملات متاجر. وأصلها الشح بالأموال وحب الزخارف الدنيوية والشهوات العاجلة. فإذا كان كذلك فالخري أن يصير ذلك ابتداءً في الدين، وأن يجعل من أشرط الساعة.

فإن قيل: هذا انتجاع من مكان بعيد، وتكلف لا دليل عليه. فالجواب: أنه لو لا أن ذلك مفهوم من الشرع لما قيل به؛ فقد روى أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا ضئ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالمينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعهم حتى يرجعوا دينهم» ورواه أبو داود أيضاً وقال فيه «إذا تبايعتم بالمينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم فلا لا ينزعهم حتى ترجعوا إلى دينكم»

فنأمل كيف قرن التبايع بالمينة بضئ الناس؛ فأشعر بأن التبايع بالمينة يكون عن الشح بالأموال. وهو معقول في نفسه؛ فإن الرجل لا يتبايع أبداً هذا التبايع وهو يحد من سلفه أو من يصنه في حاجته، إلا أن يكون سفيهاً لا عقل له. ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه أبو داود أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: «سيأتي على الناس زمان عضوض بعض المومنين على مافي يديه، ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى (وما ألقمهم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازيين) ويشهد شرار خلق الله، يبايعون كل مضطر. ألا إن بيع المضطر حرام! المسلم أخو المسلم لا يظلمه

٦٨٦ كتاب في الحيل الدينية . تكفير واضحة ومن رضي به (المثار- ج ٩ ص ١٧)

ولا يخونه ؛ ان كان عندك خير فمُد به على أخيك ، ولا تزده هلاكاً الى هلاكه ،

وهذه الاحاديث الثلاثة — وان كانت أساسيتها ليست هناك —
مما يعضد بعضها بعضاً ؛ وهو خبر حق في نفسه يشهد له الواقع . قال
بعضهم : عامة العينة انما تقع من رجل يضطر الى ثقة يضمن عليه المومر
بالقرض الا أن يرجحه في المائة ما أحب ، فيبيعها ثمن المائة بضعفها أو نحو
ذلك ؛ ففسر بيع المضطر ببيع العينة . وبيع العينة انما هو العين بأكثر منها
الى أجل — حسبما هو مبسوط في الفقهيات — فقد صار الشح اذا سبغاً
في دخول هذه المفاسد في البيوع .

فان قيل : كلامنا في البدعة لا في فساد المعصية ، لان هذه الاشياء
بيوع فاسدة فصارت من باب آخر لا كلام لنا فيه .

فالجواب : ان مدخل البدعة هاهنا من باب الاحتيال الذي أجازته
بعض الناس ، فقد عده العلماء من البدع المحدثات ، حتى قال ابن المبارك
في كتاب وضع في الحيل : من وضع هذا فهو كافر ، ومن سمع به فزني
به فهو كافر ، ومن حمله من كورة الى كورة فهو كافر ، ومن كان عنده
فرضي به فهو كافر . وذلك انه وقع فيه الاحتمالات بأشياء منكورة ، حتى
احتال على فراق الزوجة زوجها بأن ترتد .

وقال اسحق بن راهويه عن سفيان بن عبد الملك : ان ابن المبارك
قال في قصة بنت أبي روح حيث أمرت بالارتداد ، وذلك في أيام أبي
عشان . فذكر شيئاً ، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب : أحدثوا في

الاسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده أو في بيته ليأمر به أو صوبه ولم يأمر به فهو كافر - ثم قال ابن مبارك : - ما أرى الشيطان يحسن مثل هذا، ثم جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، وكان لحسنها^(١) ولم يجد من يعضيها فيهم، حتى جاء هؤلاء.

وانما وضع هذا الكتاب وأمثاله ليكون حجة على زعمهم في أن يحتالوا للحرام حتى يصير حلالا، وللايجاب حتى يكون غير واجب. وما أشبه ذلك من الامور الخارجة عن نظام الدين، كما أجازوا نكاح المحلل، وهو احتيال على رد المطلقة ثلاثا لمن طلقها، وأجازوا اسقاط فرض الزكاة بالهيئة المستعارة؛ وأشياء ذلك. فقد ظهر وجه الاشارة في الاحاديث المتقدمة المذكور فيها الشح، وانها تتضمن ابتداء كما تتضمن معاصي جملة.

*

وأما قبض الامانة فعبرة عن شياع الخيانة، وهي من سمات أهل النفاق، ولكن يوجد في الناس بعض انواعها تشريفاً، وحكيت عن قوم ممن ينتمي الى العلم، كما حكيت عن كثير من الامراء، فان أهل الحيل المشار اليهم إنما بنوا في بيع العينة على اخفاء ما لو أظهروه لكان البيع فاسداً، فاخفوه لتظهر صحته، فان يبعه الثوب بمائة وخمسين الى أجل^(٢) لكنهما أظفرا وواسطة الثوب، وأنه هو المبيع والمشتري، وليس كذلك؛ بدليل الواقع.

وكذلك يهب ماله عند رأس الحول قائلاً بلسان حاله ومقاله :

(١) لعل الأصل « ولو كان يحسنها لم يجد » الخ (٢) أين خير « ان » ؟

أنا غير محتاج الى هذا المال وأنت احوج اليه مني . ثم يهبه ، فاذا جاء الحول الآخر قال الموهوب له للواهب مثل المقالة الاولى ، والجميع في الحالين ، بل في الحولين في تصريف المال سواء ؛ أليس هذا خلاف الامانة ؟ والتكليف من أصله أمانة فيما بين العبد وربّه ، فالعمل بخلافه خيانة .

ومن ذلك أن بعض الناس كان يحقر الزينة ويرد^(١) من الكذب ، ومعنى الزينة التدليس بالعيوب ، وهذا خلاف الامانة والنصح لكل مسلم . وأيضاً فإن كثيراً من الاصراء يحتاحون اموال الناس اعتقاداً منهم أنها لهم دون المسلمين . ومنهم من يعتقد نوعاً من ذلك في الغنائم المأخوذة عنوة من الكفار ، فيجمعونها في بيت المال ، ويمرحمون الغائبين من حظوظهم منها تأويلاً على الشريعة بالمقول . فوجه البدعة هاهنا ظاهر . وقد تقدم التنبيه على ذلك في تمثيل البدع الداخلة في الضروريات في الباب قبل هذا — . ويدخل تحت هذا النمط كون الغنائم تصير دولاً . وقوله « سترون بعدي أثره وأمورا تنكرونها — ثم قال — أدوا اليهم حقهم واصلوا الله حقكم » .

*

(لها بقية)

الأدب . وكلام الصوفية فيه^(*)

فصل

وأما الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاهتران مملوء به ، فرأس الادب معه كال التسليم له والاعتقاد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون ان يجعله معارضة خيال باطل بسميه ممقولا ، أو يجعله شبهة أو شككا ، أو يقدم عليه آراء الرجال وزلات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والاعتقاد والاذعان ، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإناة والتوكل ، فهما توحيدان لإنجاة للعبد من عذاب الله الأبهما - توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره ، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وامامه ، وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه ، فان أذنوا له ففذه وقبل خبره ، وإلا فان طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه اليهم ، والا حرفة عن مواضعه ، وسعى تحريفه تأويلا وهلا فقال : تؤوله ونحمله . فلان يلقي العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق ما خلا الشرك بالله خيره من ان يلقاه بهذه الحال

وقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء فقلت له : سألتك بالله لو قدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرنا وقد واجهنا بكلامه وبخطابه - أكان فرضا علينا ان نطيعه من غير ان نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ؟ أم لا نطيعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم ؟ فقال : بل كان الفرض المبادرة الى الامتثال من غير التفات الى سواه . فقلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيء ؟ فنسخ ؟ فوضع أصبعه على فيه وبقي باهتا متحيرا وما نطق بكلمة

هذا أدب الخواص معه ، لا مخالفة أمره والشرك به ، ورفع الاصوات وزعاج الاعضاء بالصلاة عليه والتسليم ، وعزل كلامه عن اليقين ، وان يستفاد منه معرفة الله أو يتلقى منه احكامه . بل الممول في باب معرفة الله على العقول المنهكة المتسيرة

(*) تموزج من كتاب مدارج السالكين للإمام العارف الحق ابن قيم الجوزية . وقد اطلع في بحث الادب مع الله تعالى ثم قال

المتناقضة ، وفي الاحكام على تقليد الرجال وآرائها . والقرآن والسنة انما قرأها
تبركا ، لا أنا نتلقى منهما أصول الدين ولا فروعها . ومن طلب ذلك ورامه عادينا
وسمينا في قطع دابره واستنصال شأفته (بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال
من دون ذلك هم لها عاملون * حتى اذا أخذنا متفرقيهم بالذاب اذا هم يجارون *
لا يجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون * قد كانت آياتي تنلى عليكم فكنتم على أعقابكم
تتكسون * مستكبرين به سامرا تهجرون * أفلم يدبروا القول ؟ أم جاءهم مالم يأت
آباءهم الاولين ؟ * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ؟ أم يقولون به جنة ؟ بل
جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون * ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن ، بل اتيناهم بذكرهم معرضون * أم تسألهم
خرجا ؟ فخراج ربك خير وهو خير الرازقين * وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم *
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا يكون)

والناصح لنفسه العامل على نجاتها ، يتدبر هذه الآيات حق تدبرها ، ويتأملها
حق تأملها ، وينزلها على الواقع يرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا
« فالحديث واسمي بجارة » والله المستعان

ومن الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ان لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي
ولا اذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما قال تعالى (يا أيها الذين
آمَنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وهذا بقى الى يوم القيامة ولم ينسخ . فالتقدم
بين يدي سنته بعد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ، لا فرق بينهما عند ذي
عقل سليم . قال مجاهد رحمه الله : لا تقتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء
حتى يقضيه الله على لسانه . وقال الضحاك لا تقتضوا أمرًا دون رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وقال ابو هيبدة : تقول الرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي
الاب . أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه ، وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر
ولا تنهوا حتى ينهى .

ومن الادب معه أن لا ترفع الاصوات فوق صوته فانه سبب لحبوط الاعمال ،
فما الظن برفع الآراء وتأنج الافكار على سنته وما جاء به ؟ ترى ذلك موجبا
تقبل الاعمال ، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها ؟

ومن الادب معه أن لا يجمل دعاءه كدعاء غيره قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وفيه قولان للمفسرين (أحدهما) انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا، بل قولوا : يا رسول الله ! يا بني الله ! فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول، أي دعاءكم الرسول . (الثاني) ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك ، بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ، ولم يسمعكم التخلف عنها ألبتة . فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل، أي دعاءه اياكم

ومن الادب معه انهم اذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهبا في حاجته حتى يستأذنه ، كما قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) فاذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضه لم يوسع لهم فيه الا باذنه ، فكيف يذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه دقيقة وجلية ؟ هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه ؟ (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون)

ومن الادب معه ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يمارض نفسه بقياس بل تنهدر الاقيسه وتلقى (١) لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته خيال يسميه أصحابه معقولا ، نعم هو مجهول ، وعن الصواب معزول . ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم ، وهو عين الجرأة

فصل

وأما الادب مع الخلق فهو مما ملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ، فلكل مرتبة أدب ، والمرتب فيها أدب خاص ، فم والوالدين أدب خاص ، وللأب منها أدب هو أخص به ، ومع العالم ادب آخر ، ومع السلطان ادب يليق به ، وله مع الاقران أدب يليق بهم ، ومع الاجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي انسه

ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته .
ولكل حال أدب - فلا كل أدب ولشرب أدب ، ولركوب والدخول
والخروج والسفر والاقامة والنوم أدب ، وللبول أدب ، ولالكلام أدب ، وللسكوت
والاستماع أدب .

وأدب المرء عنوان سمادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ، فما
استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الادب
فانظر الى الادب مع والدين كيف نجى صاحبه من حبس الفار حين اطبقت عليهم
الصخرة ، والاخلال به مع الام تأويلا واقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم
صومعته ، وضرب الناس له وميه بالفاحشة ، وتأمل أحوال كل شقي ومفترو ومدبر
كيف تجرد قلة الادب هو الذي ساقه الى الحرمان ، وانظر قلة أدب عوف مع خالد
كيف حرمه السلب بعد ان برد يديه ، وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الصلاة ان يتقدم بين يديه فقال : ما كان ينبغي لابن ابي
قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف أورثه مقامه والامامة
بالامة بعده ، فكان ذلك التأخر الى خلفه ، - وقد أوما اليه ان اثبت مكانك -
جزا لا سعيا الى قدام ، بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق
المهلي . والله اعلم

فصل

قال صاحب المنازل ﴿ الادب حفظ الحدين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر المدوان ﴾
هذا من احسن الحدود . فان الانحراف الى احد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الادب ،
والادب الوقوف في الوسط بين الطرفين ، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها
ولا يتجاوزها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان والله لا يحب المصدين ، والمدوان
هو سوء الادب . وقال بعض السلف : دين الله بين العالي فيه والجاافي عنه ، فاضاعة
الادب بالجفاء كن لم يكمل اعضاء الوضوء ولم يوف الصلاة آدابها التي سنّها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفعلها ، وهي قريب من مثله ادب ما بين واجب ومستحب .

واخاعته بالقلو كالوسوسة في عقدانية ورفع الصوت بها ، والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرًا ، وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه ، كالشهادة الاولى والسلام الذي حذفه سنة . وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على ما يفتنه سراق الصلاة والقارون لها ويشتهونه ، فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يأمر بأمر ويحظفه ، وقصدانه الله من ذلك . وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالعصاف ، ويأمرهم بالتخفيف ويقام صلاة الظهر فيذهب الذهاب الى البقيع فيقصي حاجته ويأتي أهله ويتوضأ ويدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى . فهذا هو التخفيف الذي أمر به ، لاهر الصلاة وسرقها ، فان ذلك اختصار بل اقتصار على ما يقع عليه الاسم ويسمى به مصليا . وهو كأكل المضطر في الحمصة ما يسد به رمقه ، فليته شبع على القول الآخر . وهو كجائع قدم اليه طعام لذيد جدا فأكل منه قمة أو قمتين فاذا يغنيان عنه ؟ ولكن لو احسن مجموع لما قام عن الطعام حتى يشبع منه وهو يقدر على ذلك ، لكن القلب شعبان من شيء آخر .

ومثال هذا التوسط في حق الانبياء عليهم السلام ان لا يغلو فيهم كما غلت النصراني في المسيح ، ولا يمجنونهم كما جفت فيهم اليهود ، فالنصارى عبدوهم ، واليهود قتلوهم وكذبوهم ، والامة الوسط آمنوا بهم وعززوهم ونصروهم واتبعوا ما جاؤا به .

ومثال ذلك في حقوق الخلق ان لا يفرط في القيام بحقوقهم ، ولا يستغرق فيها بحيث يشتمل بها عن حقوق الله او عن تكميلها او عن مصلحة دينه وقلبه ، وان لا يمجنونها حتى يسطرها بالكلية ، فان الطرفين من المدوان الغمار ، وعلى هذا الحد ، فحقيقة الادب هو العدل ، والله اعلم

فصل

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات ، الدرجة الاولى منع الحروف ان يتمدى الى اليأس (١) وحبس الرجاء ان يخرج الى الامن ، وضبط السرور ان يضاهي الجراءة ﴾

يريد انه لا يدع الخوف ينفي به الى حد يوقعه في القنوط واليأس من رحمة الله ، فان هذا خوف مذموم . وصمت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : حد الخوف ما يحبك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير محتاج اليه . وهذا الخوف الموقف في الايام اساءة ادب على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه وجهل بها . وأما حبس الرجاء ان يخرج الى الامن . فهو ان لا يبلغ به الرجاء الى حد يأمن معه العقوبة ، فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون . وهذا اغراق في الطرف الآخر ، بل حد الرجاء ما طيب لك العبادة ، وحملك على السير ، فهو بمنزلة الريح التي تسير السفينة ، فاذا انقلعت وقفت السفينة ، واذا زادت ألقها الى المهالك ، واذا كانت بقدر أوصلت الى البنية .

واما ضبط السرور ان يخرج الى مشابهة الجرة . فلا يقدر عليه الا الاقوياء

او باب العزائم الذين لا تستفهم السراء فتقلب شكرهم ، ولا تضعفهم الفراء فتقلب صبرهم ، كما قيل :

لاتقلب السراء منهم شكرهم كلا ولا الفراء صبر الصابر

والنفس قرينة الشيطان ومصاحبة وتشبه في صفاته ، ومواهب الرب تبارك وتعالى تنزل على القلب والروح ، فالنفس تسرق السمع ، فاذا نزلت على القلب تلك المواهب وثبت لتأخذ قسطها منها وتعيده ، من عندها وحواصلها ، فالسترسل معها الجاهل بها يدعها تستوفي ذلك ، فينسا هو في موهبة للقلب والروح وعدة وقوة له ، اذ صار ذلك كله من حاصل النفس وآلتها وعددها ، فصالت به وطفت لآلتها رأت غناها به ، والانسان يظن ان رآه استغنى بالمال ، فكيف بما هو أعظم خطرا وأجل قدرا من المال ، بما لانسبة بينهما من علم أو حال أو معرفة أو كشف ؟ فاذا صار ذلك من حاصلها انصرف العبد به . ولا بد الى طرف مذموم من جرة او شطط او ادلال ونحو ذلك ، والله كم هنا من قليل وسليب وجريح يقول : من اين أتيت ؟ ومن اين ذهبت ؟ ومن اين أصبت ؟ واقل ما يعاقب به من الحرمان بذلك أن يلقى عنه باب المزيد ، ولهذا المارفون وأرباب البصائر اذا نالوا شيئا من ذلك انصرفوا الى طرف الذل والانكسار ومطالعة عيوب النفس ، واستدعاء حارس الخوف ،

وحافظوا على الرابطة ملازمة الثغر بين القلب وبين النفس ، ونظروا الى أقرب الخلق من الله وأكرمهم عليه وأدناهم منه وسيلة وأعظمهم عنده جاها ، وقد دخل مكة يوم الفتح وذقته تمس قروبوس سرجه انحناءا وانكسارا وتواضعا لربه تعالى في مثل تلك الحال التي عادة النفوس البشرية فيها ان يملكها سرورها وفرحها بالنصر والظفر والتأييد ويرفعها الى عنان السماء ، فالرجل من صان فتحه ونصيبه من الله وواراه عن استراق نفسه وبخل عليها به ، والماحزمن جاد لما به ، فياله من جود ما أقبحه وساحة ما أسفه صاحبها ! والله المستعان .

فصل

قال ﴿ الدرجة الثانية الخروج من الخوف الى ميدان القبض ، والصمود (١) ﴾

عن الرجاء الى ميدان البسط ، ثم الترقى عن (٢) السرور الى ميدان المشاهدة ذكر في الدرجة الاولى كيف يحفظ الحديين المقامات حتى لا يتعدى الى غلو أو جفاء ، وذلك سوء أدب ، فذكر من الخوف ان يخرج الى اليأس (٣) والرجاء ان يخرج الى الامن ، والسرور ان يخرج الى الجراءة . ثم ذكر في هذه الدرجة أدب الترقى من هذه الثلاثة الى ما يحفظه (٤) عليها ولا يضيها بالكلية ، كما ان في الدرجة الاولى لا يبالغ به بل يكون خروجه من الخوف الى القبض ، يعني لا يزال الخوف بالكلية ، فان قبضه لا يؤيسه ولا يفتله ولا يحمله على مخالفة ولا بطالة ، وكذلك رجاءه لا يقد به عن ميدان البسط ، بل يكون بين القبض والبسط ، وهذه حال الكمال ، وهي السير بين القبض والبسط ، وسروره لا يقصد (٥) به عن ترقيه الى ميدان مشاهدته ، بل يرقى بسروره الى المشاهدة ، ويرجع من رجائه الى البسط ، ومن خوفه الى القبض . ومقصوده ان ينتقل من اشباح هذه الاحوال الى ارواحها ، فان الخوف شبح والقبض روحه ، والرجاء شبح والبسط روحه ،

(١) في ب « والصمود » (٢) وفيها « من » (٣) وفيها « الا يأس » (٤) كتب في هامش ن « له يحفظها » وكان يجب ان يزيد كلمة « عليه » (٥) ب « يقصد »

والسرور شيخ والمشاركة روحه ، فيكون حفظه (١) من هذه الثلاثة ارواحها وحفاظها ، لاصورها ورسومها .

فصل

قال (الدرجة الثالثة معرفة الادب ، ثم الفناء (٢) عن التأديب بتأديب الحق ، ثم الخلاص من شهود اعياء الادب) قوله « معرفة الادب » يعني لا بد من الاطلاع على حقيقته في كل درجة ، وانما يكون ذلك في الدرجة الثالثة ، فانه يشرف منها على الادب في الدرجتين الاولين ، فاذا عرفه وصار له حالاً فانه يفني له ان يفنى عنه ، بان يلب عليه شهود من اقامه فيه فينسبه اليه تعالى دون نفسه ، ويفنى عن رؤية نفسه وقيامها بالادب بشهود الفضل لمن اقامه فيه ومته ، فهذا هو الفناء عن التأديب بتأديب الحق . قوله « ثم الخلاص من شهود اعياء الأدب » يعني انه يفنى عن مشاهدة الأدب بالكلية لاستراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع التي غيبته عن الأدب ، ففناؤه عن الادب فيها هو الأدب حقيقة ، فيستريح حينئذ من كلفة حمل اعياء الأدب وأثقاله ، لان استراقه في شهود الحقيقة لم يبق عليه شيئاً من اعياء الادب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ن « حفظه » (٢) في نسخة المتن « الفنى »

البروغرام الصهيوني السياسي

﴿ بقلم الزعيم الصهيوني اوسيشكن ﴾

شرعت جريدة فلسطين بترجمة هذا الكتاب بالعربية ونشره تباعاً فيها ، فأبنا ان نقل بعض فصوله عنها بمناسبة ما نشرناه في الاجزاء الماضية عن الجنسية في البلاد العثمانية ، ولما فيها من العبر

الفصل الاول

ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منفاه بعد ان مضى عليه فيه نحو النفي عام ، قد تحولت منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده

ولقد كان ملاقاته اليهود من المذابح وما قاسوه من الاضطهادات في غربي روسيا من اكبر البواعث على اخراج هذه المجهودات من حيز الفكر الى حيز العمل . ومن يتتبع تلك المساعي يجد انها كانت تغير وتتطور تبعاً للظروف ومجاراة لما كان يضعه الزعماء من البروغرامات والخطط . فجماعات «عجة صهيون» و«الصهيونية الروحية» و«الصهيونية السياسية» لم تكن الا وسائط مختلفة وطرقاً متعددة ترمي جميعها الى غاية واحدة وتوصل الى غرض واحد

— الصهيونية السياسية —

كل امة تسعى وراء كيان سياسي مستقل حر يجب عليها توصلا لغايتها هذه ان تراعي ثلاث حالات ضرورية : حالة الشعب — وحالة

البلاد — وحالة الظروف الخارجية

١ حالة الشعب : من الشروط الأولية لكل امة تسمى وراء الاستقلال السياسي والاقتصادي والادبي ان يكون شعبها على شيء من الاستعداد لذلك، كأن يكون ذا شعور قومي راق، وجميات قوية منظمة، ورؤس اموال كبيرة عمومية، وصبر على احتمال المصائب، واهم من ذلك كله ان يكون مستعداً دائماً لتضحية مصالحه الحاضرة امام الصالح العام المستقبل . فاذا كانت هذه الشروط جميعها لا توجد في الشعب ولم تبذل المساعي اللازمة لاجادها فيه، استحال على الامة ان تنشئ لنفسها مركزاً سياسياً حراً

٢ حالة البلاد : اما حالة البلاد أو الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلالاً سياسياً فيجب ان تكون ملكاً لها بالقمل من الوجهتين الاقتصادية والعقيلة، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره اسماً . وان يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، والا كانت غير صالحة للاستقلال

٣ حالة الظروف الخارجية : ثم لو فرضنا ان الشعب كان جامعا لكل شروط الاستقلال وكانت حالة البلاد موافقة له، فاستقلاله فيها وعلان حكمه عليها، لا يتيسر ان له الا اذا ساعدته الظروف الخارجية أيضاً، لارتباط مصالح جميع الشعوب بعضها ببعض وإن تشعبت الطرق المؤدية اليها . ولذلك كان لابد في كل حركة قومية من بروغرام سياسي تتمشى عليه لاجتناب ما ربما يقف في طريقها من العثرات، واقناع الحكام والمحكومين

باخلاص تلك الحركة وما ينجم عنها من الفوائد ، مع السعي في الوقت نفسه باستمالة الرأي العام الاجنبي ، واستخدام احسن ما فيه من القوى العقلية والانسانية لمنفعة تلك الحركة ، والا اصابها الفشل

الفصل الثاني

ان احسن بروغرام يجب السير عليه في كل حركة قومية تتطلب الخلاص والاستقلال هو العمل لها من الجهات الثلاث المذكورة . وبهذه الطريقة فقط تتقدم وتتقوى من يوم الى يوم ومن سنة الى اخرى . فيصلح حال الشعب ويسهل عليه امتلاك البلاد ، وتصبح الظروف الخارجية ملائمة له ، وتكون جميع القوى التي تملكها الامة قد استخدمت لفائدة تلك الحركة . فينما تسمى جماعة مثلا لتكثير رؤوس الاموال واقسام خزان الشعب منها ، تكون غيرها ساعية وراء تعليم العامة وانماء مداركها وشعورها ، وبينما تكون جماعة ترود البلاد وتدرس حالتها ، تأتي اخرى لاستثمارها واستثمارها ، وبينما يقوم البعض بشرح رغبات الامة وغاياتها امام الشعوب الاجنبية ، يسمى آخرون بالتعارف مع الملوك والوزراء وما يترتب على ذلك من الامور السياسية . لان على مجموع هذه الاعمال المتفرقة التي يقوم بها الافراد والجماعات في جهات متعددة وفي وقت واحد يتوقف نمو الحركة ونجاحها .

وبالمعكس فان النتيجة تكون عقيمة أو قليلة الفائدة^(١) اذا حصر المسمى

(١) هذه عبارة تستعملها الجرائد على انها منطقية وما هي بمنطقية ، ولكنها فاسدة . فالنتيجة لا تكون عقيمة وانما تسمى المقدمات التي ليس لها نتيجة صحيحة مقدمات عقيمة أي غير منتجة ، ولفظ العكس مستعمل في غير محله ايضا . والمراد من الكلام ان نتيجة ما يأمن السعي يكون ضد نتيجة ما تقدم

في جهة واحدة ، وبقيت قوى كثيرة مهمة بدون عمل . ومن المحتمل
ايضاً أن يكون هذا العمل الناقص ذا نتائج محزنة في المستقبل ، لان اقل
عارض يطرأ عليه يوقف مجراه فيفقد العملة نشاطهم ومراكزهم ، ونقم
عامه الشعب في أزمة شديدة ، وتصبح الحركة في طور حرج جداء ، وفي
ذلك من الاضرار المالا يخفى على احد .

أما اذا كان العمل مشتركاً وفي جهات متعددة فخبوط جزء منه في جهة
يماذله نجاح جزء آخر في جهة اخرى . وهكذا تبقى الحركة سائرة سيراً
طبيعياً مطرداً

لنتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقة لرغبات امة ما ،
تريد ان تجدد تاريخها وحياتها الاستقلالية في أرض ما ، ووافقت
الحكومات والشعوب جميعها على رغبتها هذه ، ولم تجد مانعاً خارجياً يقف
في سبيلها ، ولكن شعبها كان من جهة قليل الثقة بقواه الخاصة قليل
الاستعداد لبلوغ الغاية التي تري اليها ، لا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال
عمومية تساعد على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها ، فإذا تكون
النتيجة ؟ تكون النتيجة حينئذ ان تلك الفرصة المهمة التي صنعت ثغوب ،
وربما لا تمود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود
عند ما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق جوزيف دي نيكسوس فلم
يستخدموها .

ثم لو تصورنا عكس ذلك ورأينا الشعب مستعداً للحياة الاستقلالية
ولديه جميع الوسائل اللازمة وكانت البلاد في قبضة يده فعلاً ولكن
الظروف الخارجية كانت لا تساعد اولاً تسمح له بالحصول على نفقته ، إما

لأنه لم يهتم بهاء، وأما لأنها لم تكن على استعداد تام لقبول فكرته، فإذا تكون النتيجة؟ تكون النتيجة: إذ ذاك أن الشعب يضطر إلى أن يبقى تحت اليهودية والدير في انتظار أيام أحسن. ومثل هذه الحالة تنطبق الآن تماماً على حالة أرمينيا العثمانية التي وإن كان استقلالها أمراً لا بد منه، إلا أن ذلك يطول مادامت الظروف الخارجية غير موافقة له.

على أنا إذا وجدنا لما تقدم مثلاً صعب علينا جداً أن نجد في التاريخ العام كله من أوله إلى آخره حالة مفجعة أسوأ من حالة شعب ذكي متعلم راق كالشعب اليهودي هبّ لجمع شتات قواه وتنظيم رؤس أمواله، وشمر بوجوب استمالة شعوب وحكام العالم أجمع لمساعدته والاختذ بيده، فوجد بعد كل هذا العناء أن البلاد التي ينشدها وهي غاية أمانيه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية بين أيدي شعب آخر يضارعه اجتهداً ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية. ولذلك فاني^(١) أشعر بوجل شديد وترجف أعصابي عندما أنصور أن الشعب الإسرائيلي ربما وجد نفسه في مثل هذه الحالة يوماً ما إذا ظلت مساعي بعض زعمائه منصرفة إلى جهة واحدة. وحينئذ قل: السلام على تاريخه المملوء بالآلام والاضطهادات وعلى أمانيه وموضوع أحلامه وآماله، وقل: السلام على مستقبله الذي أضرب به جهل الزعماء، أكثر من مساعي الأعداء

(١) يكثر مثل هذا التعبير في الجرائد وكتابة بعض المتأخرين - أعني الجمع بين لام التعليل وفاء السببية بهذه الصيغة - وقد يكون المقام لأحدهما فقط. والاستعمال الفصيح في الجمع بينهما أن يقال: فلذلك أشعر بوجل شديد. فإن حقيق إلى التأكيذ قيل: فاني لذلك أشعر بوجل الخ

الفصل الثالث

ان سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الاخيرة يرجع معظمه الى النقص في العمل -جمعية «عجة صهيون» لم تهتم في بحر عشر سنوات في غير امر البلاد وحالة الارض فقط، فلم تفكر في اعداد الشعب لها وانماه مداكه العقلية، ولا بانشاء رهوس اموال عمومية، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية، ولم تجرب ان تستميل اليها الدول الاجنبية، بل اكتفت بان تظهر في مظهر المحسن بانشاء بضم مستعمرات تعيش من مال الاحسان، ولذلك انتهت هذه المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بازمة سنة ١٨٩١

على ان المدة الثانية التي تلت تلك الازمة وهي مدة انتشار الصهيونية الروحية لم تكن باسم حطاً من الاولى، فقد أهمل فيها امر البلاد كما أهمل في التي قبلها امر الظروف الخارجية. وبعد خمس سنين انصرفت في اثنتائها جميع المساعي الى التعليم الداخلي وتنبيه الشعور العقلي فقط، نبغ عدد قليل جُلُّهُ من الخياليين، فلم يجدوا لما تعلموه فائدة محسوسة أو عملاً مادياً، وبقي مجموع الامة جامداً، وأصبحت الحركة الصهيونية مهددة بالموت - الى ان عقد المؤتمر الاول فابتدأت به المدة الثالثة وهي عصر الصهيونية النهمي، فبشرت الحركة من مرقدتها ودبت في الامة روح جديدة، لانها وجدت في المؤتمر ضالتها، ووافقت قراراته هوى في نفسها.

ان جميع الصهيونيين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الامة رأوا في بروغرام مؤتمر (بال) الاول ادغام البراغرامات السابقة باخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلاصة رغبات الامة، ولا سيما في تصريحه جلياً على

مسمع من العالم أجمع، باننا نجاهد لانشاء حكومة يهودية في فلسطين، وانه لا بد لنا لتصل الى هذه الغاية من اربعة امور :

١ - امتلاك فلسطين اقتصاديا وادبيا

٢ - تنظيم قوى الشعب وانشاء رؤوس اموال عامة له

٣ - اتمام الشعور القومي في الشعب ورفيقته

٤ - السعي بكل طرق السياسية لجلل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا. وفي الحقيقة ان الشجاعة الادبية التي اظهرها هذا المؤتمر في اعلان حقوق الامة الاسرائيلية على فلسطين، والخطوة الجلية الصريحة التي رسمها لبلوغ هذه الغاية، والقوة المعنوية التي تجلت من خلال اجتهاده، - كان فعالها في الشعب اليهودي فعل المعجزات. فانه تنبه من سباته العميق، وفي كل محل بلغت اليه اخبار المؤتمر عقدت الاجتماعات، وأقيمت الخطب، فأستت الجمعيات، وتألقت الشركات . ومنذ ذلك الحين اخذ العمل يتقدم بسرعة وبجد واجتهاد عظيمين ، فاشتهد ساعد الجمعية الصهيونية وانشأت صندوق المال المالي، وانضمت لها قوى سياسية خارجية، وظهر لنا من نتيجة

مقابلات الملوك والوزراء بان حركتها ستنتهي وننتهي على مر الايام غير ان القريب من مركز ادارة هذه الحركة والواتف على ما يجرياتها، يلاحظ في الحال ان الخطأ العظيم الذي كانت الصهيونية تتألم منه في مديتها الاولى والثانية - واعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد المساعي وصرفها وراء نقطة واحدة من نقط البروغرام - مازال يرتكب حتى الآن ، وذلك بسعيها وراء العمل السياسي فقط لاجتناب العقبات الخارجية

اما الجهات الاخرى فلم يفتت اليها بل اهتمت بالسكينة فالامر الاول من بروغرام مؤتمر (بال) وهو امتلاك «فلسطين» اقتصاديا وادبيا كان من نتيجة قلة الاهتمام به ان اللجنة التي عينها المؤتمر للنظر في المسائل الاستعمارية لم تعمل شيئا، لانه لم يدخل صندوقها شيء من المال، ووجد مديرو هذه الحركة في فلسطين انفسهم بعد ست سنوات انهم لم يتقدموا خطوة الى الامام، بل ظلوا في ذات النقطة التي ابتدأوا منها ثم ان الآداب الاسرائيلية لم تتقدم ايضا تقديما محسوسا، وكانت مسألة البحث في احيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب. والدليل على ذلك النجاح البليغ الذي صادفته اللثة العبرانية في السبع السنوات الاخيرة مع انها من اكبر العوامل على تنبيه الشعوب القومي

الفصل الرابع

ظهر مما تقدم ان ادارة العمل من جهة واحدة لا يمكن ان تأتي بالفائدة المقصودة، ففي الوقت الذي كانت فيه مساعي الرؤساء جميعها منصرفة الى العمل السياسي، كان بقية الاعضاء يطلبون بالحاح شغلا عمليا آخر، ولكن هذا الشغل لم يكن موجودا، والعمل السياسي كما لا يخفى لا يصلح له الا رجال مخصوصون، وهكذا اُهملت نفسها التي عليها مدار الحركة، ولم يفتت الى حفظ المواصلات معها، وارسال قوى جديدة اليها، كما انه لم يهتم احد للاعمال العقلية وتنبيه الشعوب القومي، وجل ما عمل اذ ذلك كان منحصرا في جمع المال واللقاء الخطب، الى ان جاء المؤتمر الرابع. وهذا بدلا من ان يكون صهيونيا أي ان يهتم بقيادة الحركة في الطريق

السويّ اقترح وضع بروفيرام خلاصته : انشاء جمعيات للتعاون وجمعيات خيرية وجمعيات اسعاف لايطعام الجياع وصندوق للتسليف . فحصل للحركة الصهيونية دخلا في كل شيء حتى في جمعيات رجال المطافى الحرة ، فكانت النتيجة ان المزامن انحلت وشر الناس بأن هذه الاعمال لاتصل بهم الى الناية

ثم حدث ما هو انكى من ذلك فقد استقر في الاذهان أن الصهيونية السياسية رغم ما بذلته من المساعي واستفادته من وعد الحكومات بمعاضدتها ، هي عاجزة عن تغيير طرق معيشة الشعب اليهودي واصلاح احواله وتحسين معاملته ودفع الحيف عنه في اكثر البلاد التي يقطنها ، ولذلك كان كل عمل الصهيونية في نظر الامة الاسرائيلية لايساوي شيئا . وقد اصاب الناس في هذا الاعتقاد لان امورهم الاقتصادية كانت تزداد سوءا من يوم الى يوم ، والمهاجرين يغادرون بلادهم بالالوف ، والحرائق والمذابح والاضطهادات يتلو بعضها بعضا ، والافواه تردد باصوات عالية قائلة : اعطونا عملا ، نريد شغلا . فلم يجدوا من الصهيونية ما يحقق آمالهم فيها . ومما زاد في الطين بلة على أثر ذلك قيام عثرة جسيمة في طريق سياستنا اضطرتها في سنتها السابقة ان توقف عملها مدة من الزمن فوقفت الحركة من جميع الجهات .

على ان وقوف دولاب الحركة هذا لم يكن ليضرها بمقدار ما اضرت بها فكرة بعضهم في استثمار اوغندا . وهي اعظم خبطة ارتكبت في مدة الخمس وعشرين سنة الماضية من تاريخ الصهيونية ، لان الانظار تحولت

(الثار - ج ٩) (٨٩) (المجلد السابع عشر)

اذ ذاك الى هذه الوجهة . وانشقت الحركة الى قسمين ، وانتشبت الحرب بين الاخوة وتمزق العمل فكان من نتيجة ذلك حدوث ازمة هائلة . وبعد ان كان الصهيوونيون قبل المؤتمر السادس اقوياء - لا في سياستهم او في اموالهم او في جمياتهم فقط بل في اتحادهم ووحدة مبشهم - جاءت هذه الفكرة فهدمت ذلك الاتحاد الى سنين كثيرة ، وزادت عليه فقضت بما احدثته من التأثير السيء على زعيمنا الاكبر هرتسل العظيم منشئ المؤتمر ، وذلك عندما رأى صروح عمله تنهار واتعابه تذهب أدراج الرياح . ان الامة الاسرائيلية تمتاز الآن زمنًا نحيفًا فقد اصبحت لا قائد لها ولا بروغرام ، واصبح افرادها لائقة للواحد منهم بالآخر ، والكل يجمل ما تؤدي اليه هذه الحالة . ومن يعلم ماذا يضر لها المؤتمر السابع ، وهل هو يجري على خطة المؤتمر السادس ويتم ما ابتدأ به من هدم جميع ما اشتغلنا فيه مدة ٢٥ سنة ؟ او هو يستخرج من اليأس قوة عظيمة فيسمى للتكفير عن تلك الزلة الهائلة التي ارتكبها المؤتمر السادس فيضع خطة جديدة لادارة العمل .

انني اريد ان اعتقد أنه سيختار الخطة الثانية لان السبيل الموصل اليها سهل هين ، وهو الرجوع الى بروغرام مؤتمر بال بجملته ومافيه من الصراحة .

الفصل الخامس

ان النقطة الاساسية في بروغرام مؤتمر بال هي انشاء وطن سياسي حرّ مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين . ويفهم من هذا بوضوح ان

الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء بلاد سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين؛ لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها لان كل سمي يرمي الى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، واصر بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم . ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ما وضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة « فقط » أي « في فلسطين فقط » ويمتاط بمادة اخرى يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية تضمن لجمهورها عدم التنقيح والتغيير فيها

وهناك أيضاً اشياء اخرى يجب على المؤتمر نقرها . منها ان يصادق على طرق العمل التي وردت في المواد الاربع المذكورة في بروغرام مؤتمر بال . وان لا ينقص حرفاً منها ولا يزيد عليها شيئاً من شأنه ان يصرف الازهان الى طرق أخرى كانشاء ملاجئ أو مستعمرات خيرية، فاذا عمل ذلك سهل عليه انهاض الحركة من كبوتها والقبض على ازمتهما والسير بها في اقوم طريق . وهانحن أولاء نأتي الآن على شرح تلك المواد الاربع من بروغرام مؤتمر بال لا كما وردت بالترتيب ولكن بحسب درجاتها في الاهمية وما يترآى لنا من سهولة تناولها . (له بقية)

[النتار]

لوم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبدة وبيانا لمقاصد هؤلاء الصهيونيين . ولعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين اذا تململ ما يريدون فانهم لا يلقون

« في أرض الميعاد » التي يؤمنون ملكهم الجديدي فيها مسلما ولا نصرانيا . وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سورية حتى « النهر الكبير » أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين . وفي سفر (تثنية الاشتراع) ان الرب أمرهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على يد موسى (ص) أن لا يستبقوا من أهلها نسمة مآ . والنص في ذلك تجدده في باب الفتاوى .

نعم انهم لا يبيدون الآن من فيها من غير اليهود بالسيف والنار كما فعل اسلافهم من قبل ، بل يبيدونهم بوقتي السكيد والمال ، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبها كبرى الأمم والدول ، حتى ان دولة الروسية القوية القاهرة انشأت تستميل في هذه الايام يهود بلادها على قتلهم لثلاث يحدثوا فيها أحداثا وقتنا داخية ترتزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة فيها أن لا يكون لها شغل داخلي يشغلها . فإذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرأوقهم جمل السواد الأعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوته مزاحيهم ، وعلى جهلهم أيضا بالقوة أنفسهم وبطريق الانتفاع بها ؟

لا أقول إنه لا يمكن أن يعملوا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ، ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع ، وليعلموا انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الأرض غافل عن قوته واستعداده ككالتب العربي . قوته واستعداده كلننان فيه ككون النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزيل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، وأين مقدحة الحديد التي قدح النار من هذا الزند ؟ ستحيب عن هذين السؤالين الايام ، فان الجواب عنهما احداث وافصال لا احاديث ولا كلام .

باب المراسلة والمناظرة

(تمثيل القصص)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الرشيد المرشد ، شائد منار السنة ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ،
أيده الله وأيد ثمرات مسعاد آمين
السلام عليكم ورحمة الله . إني أحد اليكم الله الأمر بالتواصي بالحق ، وأصلي وأسلم
على صفوة انطلق ، وآله وصحبه أئمة الصديق

(أما بعد) فقد رأيت لفضيلتكم في الجزء السابع من المجلد السابع عشر من
مناركم الاغر فتوى في حل التمثيل وحضوره عُلِّل فيها الحل بأنه لانص على حرمة
وليس ذريعة فساد حتى يحرم سدا للذرائع ، فلا يحرم الا على من يفرجه بمعزم ، مالم
يكن موضوعه منكراً بحيث يكون موضوع القصة الممثلة عملاً محظوراً فيحرم اذاً ،
ولا عبرة بوجود نساء في موضعه كاشفات الروس والسواعد اذ الغالب أن يكن
كافرات غير مخاطبات بالفروع ، وأن يكون الناظر لمقصود التمثيل فقط ، على أنهن
كثيراً ما يُرَيْنَ في الطرق على تلك الصفة فلا فرق بين رؤيتهن كذلك فيها
ونظرن بهذه الصفة في موضع التمثيل . هذا معنى ما جاء في جوابكم . وفيه أن كون
التمثيل لانص على حرمة يرد بأن حضور النساء كاشفات على ما مر مبديات زينة
المبالغ في التأتق فيها جزء من التمثيل الغرامي وذلك محرم بنص (قل المؤمنين بفضوا
عن أبصارهم) (ولا يدين زينتهن) الآية . والنصوص المانعة من حضور المنكر
والنسب فيه ، وعدم كونه ذريعة فساد يرد بأنها فعل بالسبر أن الا كثرتها قوتون جدا
على التمثيل الغرامي لاشي سوى وجود أولئك النساء ، بدليل أنهم لا يقتنون كذلك
بما لا يحضره ، ونسمع الكثير يسألون عن حال الممثلات من حيث نحو الجمال قبل
السي الى التمثيل ، حتى لقد اتخذ هذا الضرب من التمثيل وسيلة لمحض التكسب
به كثير من فاسدي الاخلاق الذين لا يعقل أن يقصدوا تهذيب غيرهم ، وسحنا

كثيرا غب مفارقة التمثيل يلهمون بوصف جمال المثلثات ورونق زيتنهم ورخامة أصواتهم ، وأنبأنا بعض من حضروا ذلك التمثيل ثم تابوا لما رأوا من سجي أثره بأن من الحضور من كان مستصعجا فظارة فجعل المسئلة كأنها الى جنبه ، وهذا مما يؤكده سوء أثر نظرهم ، وبالغ هذا المنبئ في سوء آثار حضور التمثيل المذكور وأنه لا يكاد يسلم من ذلك أحد مما كان ورعا ، على أنه يحضره كثير ممن لاعتناء لهم بالأخلاق ، ولا وازع يرعهم عن الاسترسال في مطلق الشهوات ، فيخرجون وقد استفحل الداء في نفوسهم ، واستولت الاضطرابات على قلوبهم ، وكون الكفار غير غافلين بالفروع مختلف فيه ومعتد الشافعية والمالكية الخطاطب لسوهم في عموم الوعيد ولآية (ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين) الخ ولئن سلم جواز السفر للكافرات لم يسلم جواز حضور مكائهن حال السفور مع نظرهم ، للامر بنقض البصر وتحريم النظر لغير الوجه والكف بالسنة دون فرق بين مؤمنة وكافرة . وهو مقتضى حكمة تحريم النظر ، وهو كونه بريد الزنا - كما ورد - بل سمي في الصحيح زنا العين ، وقد أطلعني بعض أبحاث النار القول في مفاسد النظر بما يطم به أن مفسدته تطلب مصلحة التمثيل الفرامي - ان كانت -

أما كون الناظر انما يلاحظ مقصود التمثيل ، فخلافا لماعهدنا في كثير . نعم من الناس من هو كذلك ولكن قليل مالم . وأما التسوية بين نظر السافرات في مواضع التمثيل ونظرهن في الطرق فقد يرد بأن الماشي في الطريق غير مستقر في موضع فتصادفه منهن من تصادفه بدون قصد أو به ، مع شدة الحاجة الى المشي فيه ، ومع كون اللاتي فيه لا يتأقن في الزينة تأتق المثلثات اللاتي يحترن من أجل الطبقات ، ويعددن من الزينة ما تجلب به الرجال للتمثيل ويالغن في ترخيم أصواتهن عند قراءة الأشعار الفرامية التي قد تحدث وحدها في النفس أرا سينا ، فما الظن اذا حدثت من نسوة على هذه الصفات بهذا الترخيم على رأى من الرجال الذين جيلوا على شدة الميل الى مثل ذلك ؟ فهذا كله يقتضي أن مفسدة مثل هذا التمثيل غالبية على أن لنا عما يقصد منه من الاعتبار والتهديب غنى بآداب ديننا التي جاء بها القرآن والآثار وحكم العارفين ، فما بالنا نفرغ في طلب المغلة الى هذا الامر الذي

ضره أضاف قومه ؟ أي لأعتقد أن لتمثيل القصص الغرامية الخطأ الأوفر في إفساد أخلاق المصريين والمصريين ، الذين عرف بالاستقراء فرط شغفهم بالشهوات ، وتمكلمهم على الزخارف وإن كانت محظورات ، وعدم مبالاتهم بالتهتك . ولذا كنت أود أن تفسحوا في منازكم الآخر مكاناً لانتقاد ذلك التمثيل والتغيز منه جداً مادام على غير صفة شرعية . والآآن أرجو إبانة رأيكم بعدما ذكرتم لكم ما عندي لبسنيين لحق أتم استبانة لازتم عضداً للحق والحقيقة ما (محمد زهران)

[المنار] إن ما ذكره اخوانا الكاتب من وصف التمثيل خاص، لتمثيل القصص الغرامية المعهود بمصر، وهو مبني على السماع والمبالغة في دهوى براعة جمال المثلثات ورواية أصولهن واقتتان الرجال بهن . وكلام المنار السابق في التمثيل المطلق . ومنه ما يقوم به الرجال وحدهم وما يقوم به نساء لسن من مظنة الفتنة في شيء . وإذا ثبت أن التمثيل الدائع هنا مصدر للفتنة ، ولتربية المفسدة ، فهو مما جزمنا بتحريمه في كلامنا السابق . ومن الغريب جعله آية نهي المؤمنين من إبداء زينتهن نصاً على وجوب ذلك على الكوافر بمعنى مطالبتهن به كالتسلات ، وجعل هذا مذهبا للشافعية ! وإنما المذهب أن الكفار يماقبون على ترك فروع الشريعة في الآخرة بدليل آية المذتر التي ذكرها . بل قال «لعموم الخطاب» وإنما الخطاب في الآية للمؤمنات . وفي الرسالة مسائل أخرى قابلة للبحث والنقد ولا حاجة إلى ذلك . وحسبنا أن قول أن حكم هذا التمثيل منوط بما فيه من المصلحة أو المفسدة والثاني هو الذي يحظر دون الأول

(المعازف - آيات الله)

بسم الله الرحمن الرحيم
فضيلة الأستاذ الأواحد رافع منار الدين وسامي حوزة السيد محمد رشيد رضا الحسيني أتمجج الله تعالى مساعيه وأكثر في المسلمين من أمثاله
السلام عليكم ورحمة الله . أي أحمد اليكم الله الذي وفقكم لأجل الخدمات الإسلامية ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسائر القاعين بنصرة

الشريعة المحمدية

(أما بعد) فقد كنت منذ بدء اشتغالي بالعلم شديد التمسك الى معرفة الحق في مسألة آلات الملاهي فكنت أراجحها في كل كتاب تيسر لي من كتب المقلدين والمستقلين فلا يشفي لي غليل ، حتى أتيت لي مراجعتها في نيل الاوطار مرارا فكاد يطلع صدري بتحقيق ذلك العالم الرباني ، وكنت أقرأ في المنار الاسي اجوبة اسئلة في هذا الشأن فحمل استيفاء البحث على اول اجزاء المجلد التاسع وتاليه فيشدد شغفي لاقتها حتى تيسر ذلك ، فأمتعت الفكر بمطالعة المبحث فيها فإذا حاصل مازدتموه على الشوكاتي في نيل الاوطار ان رجحتم ادلة الاباحة على ادلة الحظر بمواقعتها للبراءة الاصلية ومقتضى الفطرة ومماحة الدين وكونها صحيحة دون ادلة الحظر . وقولكم: ان ادلة الحظر تحظر المازف والدف - منها قطعاً - اي فنكون معارضة لاحاديث جواز الدف . فقدم هذه لما مر - وقولكم: ان غناء النساء الثابت جوازه في الصحيح اشد الملاهي تأثيراً في النفس . أي فيهه أولى بالجواز - وقولكم عقب قل كلام الشوكاتي: ومعلوم ان نذر الحوام او المكروه لا ينعقد ، وزا يطل دعوى الشوكاتي نهوض ادلة المأمنين شبهة على المنع - وقولكم في حاشيتي صفحتي ٤٦ و ٤٧ من الجزء الاول بعد قل كلام الشوكاتي في رد الحافظ ابن حجر على ابن حزم في دعواه اقطاع حديث المازف الذي في الصحيحين مانعه : ومنه نعلم ان الحافظ ابن حجر والشوكاتي يسترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللهو الا الحديث الاول مما اوردنا . - وزادات أخرى أوردتموها في بحث القياس الفقهي في السماع وفي خلاصة البحث

أما ترجيح ادلة الجواز لمواقعتها لاصل الاباحة ولتتضي الفطرة ويسر الشريعة فانما يصح لو تعارضت ادلة الجواز وادلة المنع ، ولا تعارض ، اذ القاعدة الاصولية تقتضي تخصيص احاديث تحريم المازف بغير ما صح في الاحاديث جوازه من الدف والثناء كما هو الشأن في تخالف العام والخاص ، واذا لم يحرم الشافية ما ذكر من الدف والثناء حيث أمنت الفتنة بالثاني ، ونخص المالكية جواز الدف في النكاح او كل سرور وقوفاً مع ظاهر الوارد . وارى هذا قريباً واحوط

وأما الترجيح بصحة أدلة الجواز وضعف مقابلها ففيه انكم اعترقتم تبعاً للمحافظين بصحة حديث البخاري في المعازف ، وهو كاف في اثبات المنع غير انه يخص بأحاديث الدف والغناء كما مر ، وبذا علم ما في قولكم ان أدلة المنع تحظر المعازف والدف منها

وأما كون غناء النساء اشد الملاهي تأثيراً في النفس فغير مسلم على العموم ، اذ ليس غناء كل امرأة اشد تأثيراً من كل لهُو آخر ، بل كثيراً ما يكون صوت العود مثلاً اشد تأثيراً من غناء بعض النساء

على أنه بعد صحة الحديث بتحريم المعازف المراد بها غير الغناء والدف بدليل الاحاديث الاخرى لا مسامح لهذا اذ لا يجوز إلغاء حديث صحيح لمجرد توهم مخالفته لمقتضى اقياس الاولوي على ما في حديث آخر ، لانه لا وثوق لنا بأن عالية جوازها في هذا الحديث هي ما فهمناه ، اذ لا مانع من كون العلة شيئاً آخر لم يبلغه ادراكنا ، فإذا لانجمع بين الأدلة ما امكن وفعل بمجيئها امثالاً لما أمرنا به من الاخذ بكل ما أتانا به الرسول (ص) ؟

وأما كون الامر بضرب الدف لمن نذره يدل دلالة واضحة على جواز الملاهي لعدم انعقاد نذر المنهي عنه — ففيه أن اذا يدل جلياً على جواز ضرب الدف فقط فيخصص بذلك وبأحاديث الغناء حديث منع المعازف كما سبق فيبقى باقيها على المنع ، فكيف يقال : ان الامر المذكور قد منع نهوض أدلة المنع شبهة وأما كون اقتصار الحفاظ على رد تضعيف حديث البخاري في المعازف يدل على أنه يرى ضعف سائر الباب ففيه انه قد يكون سكوته عن بيان حاله لعدم علمه به لالعله بضعفها

وبعد فاني أرى ان ما استنتجه الشوكاني من كلامه الطويل من ان المقام مقام شبهة فقط لا يصلح نتيجة لبحثه فانه ثقل أجوبة الجوزين عن حديث البخاري المعلق وردها ، فلم منه أن الحديث حجة للمانعين ، وقد قال في خلال البحث ان الاحاديث ينهض مجموعها حجة لتعاضدها ، فقد نصر المانعين بحجتين سلمها . وما احتج به للجوزين من نحو عموم (ويحل لهم الطيبات) يرد بتخصيصه بتيك الحجتين

وبعد دلالة السنة على المنع لاسماع لمقاس فتحي ولا غيره الا قياس مع وجود دليل من كتاب أو سنة . فصفوة بحث الشوكاني نصرة المانفين وترجيح التحريم ، لا مجرد ان المقام مقام شبهة

نعم قد يقال ان لفظ المعارف جمع محلي بآل وهو للعموم فعنى استحلال المعارف استحلال جميعها حتى نحو الغناء المبيح على محرم فيكفي في تحقق معنى الحديث تحريم مثل ذلك ويكون هذا جماعاً مقبولاً بين الأدلة يتفق مع القياس الفقهي ومع الامور التي رجحتم بها أدلة الجواز

وقد يرد كون مجموع أحاديث الخطر غير الاول ينهض حجة بأن تعدد الاحاديث الضعيفة انما يقضي بلوغ درجة الحسن اذا كان الضعف لنحو سوء حفظ الراوي لانفسه أو اتهامه بكذب والاول غير متحقق هنا فلا جزم بالحسن . ولو ان الشوكاني ذكر هذين التقضين لانتج بحثه ما ذكره من أن الموضوع موضوع شبهة فخلاصة بحث الفقير هو مارآه الشوكاني أخيراً من الاشتباه لامارأيتموه . وقد أطلعت فضيلتكم عليه كي تروه أو تردوه . ولي وطيد الامل ان تميزوا ذلك عناية تامة احقاقاً للحق ، وازالة للثام الشبهة عن وجهه ، لا برحتم علما المهتدين ، ونبراساً للمستضيئين ؟

محمد زهران

خادم العلم الشريف بيندر المحمودية (بحيرة)

وأحد مشركي المنار الاغر

[المنار]

يؤخذ من لسان العرب وغيره من المعاجم ان العزف يطلق في اللغة على اللهو وعلى اللعب وعلى بعض الاصوات كالغناء والنواح والرعد والريج ، وصوت الرمل اذا هبت بها الريح ، وقيل ان هذا هو الذي كانت العرب تطلق كلمة « عزيف الجن » على ما يسمع منه في الليل . ويطلق بكثرة على الدف أو صوته . والعزيف الصوت . قال في اللسان : عزف يعزف عزفاً لها . والمعارف الملاهي ، واحداً معرف ومعرفة . وعزف الرجل يعزف اذا أقام في الاكل والشرب . وقيل واحد المعارف عرفة على غير قياس ، ونظيره ملامح ومشابه في جمع شبهة ولمحة ؟ والملاعب التي يضرب بها

يقولون للواحد والجمع معازف رواية عن العرب . فإذا افرد المعزف ضرب من الطباير ويتخذها أهل اليمن . وغيرهم يجعل العود معزفا . وعزف الدف صوته . وفي حديث عمر أنه مر بعزف دف فقال ما هذا ؟ قالوا ختان ، فسكت . العزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب به .. وكل لعب عزف اه المراد

فمن تأمل هذه المعاني يعلم أنها هي التي كانت تراد من العزف والمعازف في عصر النبي (ص) ولم يصح نص بتحريم شيء منها ، وكان أشهر آلات الملاهي في ذلك العصر الدف --- وقد ثبت في السنن العملية والتولية إباحته واستحبابه في بعض الأوقات كالعرس . وسائر آلات اللهو التي لم تكن في ذلك العصر معروفة أو مشهورة يصح إطلاق لفظ المعازف عليها كما يصح إطلاق لفظ الخمر على المسكرات التي حدثت بعد عصر الوحي وان لم تكن تخطر هذه ولا تلك في بال من كان يطلق اللفظ قبل وجودها . ولو جاء في الكتاب أو السنة نص صريح في تحريم المعازف لكان أول ما يتبادر إلى فهم الصحابة منه تحريم ما كان ذاغيا في عصرهم منه كالدف . ثم يلحق به غير الذائع وغير المعروف عندهم بعموم اللفظ إذا كان الوضع اللغوي يساعد على ذلك ، أو بطريق القياس إذا اتحدت العلة .

وقد علمنا من عبارة لسان العرب أن تسمية العود معزفا ليس منقفا عليها . ولو كان المشهور من المعازف التي كانت في عصره (ص) محرما لورد النص عليه في الكتاب أو السنة المشهورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك واشتغاره ، ولم يصح حديث مشهور ولا دون المشهور في التنصيص على تحريم شيء منها ، بل صح ما يدل على الإباحة كما يعلم اخونا الباحث المنتقد . واشتهر عن بعض كبار الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كرواة الصحيحين والسنن أنهم كانوا يبيعون الغناء والأتار لا الدفوف فقط . وكان جمهور هؤلاء من أهل المدينة الذين هم أجدر الناس بمعرفة السنن المتبعة في عصر النبي (ص)

أما الحديث الذي هو موضوع البحث والسريال فليس نصا ولا ظاهرا في إنشاء حكم تحريم المعازف ولا خبرا بمعنى إنشاء ذلك . وإنه هو حديث آحادي في الإخبار عن شيء يقع في المستقبل ، كالأحاديث في أشراف الساعة وإماراتها الواردة

في سياق الكلام عن الساعة ، أو في مناسبات أخرى : كحديث أبي هريرة عند احمد ومسلم « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد — قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، على رؤوسهن كأُسنة البُخْت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » فهذا الحديث ليس إنشأ لتحریم حل السياط التي تشبه أذنان البقر (وهي التي نسميها الكراييج) وضرب الناس بها ، ولا لتحریم كل وصف من أوصاف النساء التي فيه . ولكنه يدل ضمنا على ان كلا من الصنفين يتلبس بمحرم يستحق به عذاب الله تعالى . ان لم يكن في جزئيات ما وصف به فني جهلتها ومجموعها . ولا بد ان يكون لتلك المحرمات أدلة تدل عليها من شرع الله تعالى في غير هذا الحديث .

فأنا أفهم حديث المعازف الذي تتكلم فيه — كما أفهم هذا الحديث : أفهم ان حديث أبي هريرة يبين حال رجال من الظلمة يحملون نوعا من السياط يضربون بها الناس بغير حق ، لانهم أنشؤا لأنفسهم شريعة في عقاب المذنبين اليهم بذلك . فحمل السياط التي تشبه أذنان البقر ليس محرما اذ لا دليل على تحريمه ، وضرب الناس بها اذا كان في اقامة حد الله تعالى على الوجه المشروع ليس محرما أيضا . ولكن ضرب الكراييج الذي كان معهودا بمصر محرم شرعا لأنه من الظلم البين ، وحرمة معلومة من الدين بالضرورة . وكذلك النساء الكاسيات العاريات بما يلبسن من الشفوف التي تحكي ماتحتها من البدن ، لا دليل في الشريعة على تحريم هذا ممنه اذا قلته امام أزواجهن فقط ، ولك ان تقول مثل هذا في سائر أوصافهن في الحديث . ولكن وجد في هذا العصر نساء يبرزن بهذه الصفات مع الاجانب ، وقد فسدن وافسدن بذلك كثيرا من الناس ، فكل أفعالهن هذه محرمة بلا ريب . وعلى هذا النحو ومثل هذا الفهم أفهم حديث أبي عاصم او أبي مالك « ليكون قوم من أمي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » معناه سيوجد من أمي قوم يفلب عليهم الجهل بالدين أو التأويل للنصوص حتى توافق أهواءهم ، فيقعون في حرام معتقدين بالجهل أو بالتأويل انه حلال ، كاستحلالهم الفروج بالحلال من

الطلاق الثلاث ، وبالتسري بالحرائر اللواتي يبيعن آبؤهن أو يخطفن من بلادهن ، وكذلك يستحلون لبس الحرير الذي هو منتهى الزينة التي لا تليق إلا بالنساء باعتقاد أن المحرم منه ما كان حريرا خالصا ، وما يلبسونه مشوبا بقطن أو كتان - مثلا - ويستحلون الحر التي يستحدثونها بدعوى أن المحرم لذاته منها ما كان من عصير العنب ، ولا يحرم من غيره إلا القدر المسكر الذي لا يميز شارب به السماء من الأرض - مثلا - ويستحلون المعازف المستحدثة على الوجه الذي بين في رواية الحديث الأخرى « يعرف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات » والمراد بالمغنيات هنا القيان المشار اليهن في حديث علي وإبي هريرة عند الترمذي في انخصال الخمس عشرة التي يترتب عليها نزول البلاء بهذه الامة قبل الساعة ومنها « وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر » فللمراد من ذلك شيء لم يكن في زمنه (ص) مع العلم بأن كل هذه المفردات كانت موجودة ، وهو ما استحدثه بعض الفساق من الجمع بين العزف والغناء وشرب الخمر ، ويدل عليه قول بعض علماء اللغة في تفسير القينة وهو أن المراد بها الجارية البيضاء التي تعني للرجال في مجلس الشرب . فاقتران المعازف بالقيان وشرب الخمر هو الخبر عنه بأنه من أسباب حلول البلاء ، وإن لم يذكر ذلك في كل رواية للحديث - وهو حديث واحد لا يعرف المراد منه إلا بعد معرفته كله - وكثيرا ما يكون الاقتصار على بعض ألفاظ الحديث سببا لجهل المراد منه . ومثله في هذا الحديث « وأطاع الرجل امرأته وحق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه » فإطاعة المرأة وإدناء الصديق ليس منكرًا في الدين وإنما كان أنكر باعتبار اقترانه بعقوق الأم وإقصاء الأب . أو فهم منه أن إطاعة المرأة وإدناء الصديق في اتباع الهوى والمنكرات .

وجملة القول إتي أفهم الحديث الذي نحن بصدد البحث فيه كما أفهم أمثاله مما ورد في أنباء المستقبل التي أخبر بها النبي (ص) فأحزم بأنها ليست تشريعا وإنما هي أخبار بأشياء ستحدث بعده فما دل منها على تحريم شيء عرف في شرعه دليل تحريمه فالأمر فيه ظاهر من هذه الجهة ، وما دل على تحريم شيء لا يعرف فيه دليل على تحريمه فلا بد أن يكون ما أخبر به (ص) سيق على وجه محرم ، وإن يكون عني به وقوعه على ذلك الوجه ، كحديث الرجال الذين بأيديهم سياط

كأذنب البقر الخ وغيره .

فهذه الاحاديث لا يقع التعارض والترجيح بينها وبين نصوص الكتاب والسنة في التحليل والتحریم كما فعل الباحث اذ جعل السنن العملية والقولية التي صحت في اباحة المعازف والغناء مخصصة لعموم لفظ المعازف في حديث « ليكون أناس من أمي » كأنه هو الاصل في تحریم ما ذكر ، وكأن النبي (ص) أراد بما سمعه وما أجازاه وأقره أو ندب اليه من سماع الدفوف والغناء في الوقائع المختلفة تخصيص ذلك العموم ، وجعل ما كان يقع في عصره من عزف الناس وسماعهم بسائق الفطرة استثناء من ذلك الأصل التشريعي العام ! ولا يفهم هذا الفهم ويقول هذا القول ذو ملكة عربية الا اذا حصر نظره في تحكيم قواعد أصول الفقه في أمرين أحدهما لفظ يدل على حرمة المعازف مطلقا وثانيهما لفظ أو عمل يدل على اباحة بعضها . فهو يعد الأول بمعنى « حرمت عليكم المعازف » أو « اجتنبوا المعازف » أما اذا نظر في أسلوب الحديث وسياقه الذي يبيّنه وقارنه بأمثاله من الاحاديث فإنه يحجز بما جزمنا به . ويعلم أن تحریم الشيء ابتداء وجعله حكما شرعيا لا يكون بمثل تلك العبارة ، وناهيك بشيء من مقتضى الفطرة عهد من الناس في كل زمان ومكان . فلو أراد الشارع تحریم مثله لحرمه بنص صريح يبلغه جمهور الأمة ، وتتوفر الدواعي على نقله بالتواتر أو الاستفاضة

فلم بما شرحنا ان هذا الحديث لم يقصد به تحریم ما ذكر وانما قصارى ما يدل عليه انه سيوجد قوم يسرفون في ذلك اسرافا مقترنا بالفساد ، وبمنكرات قبيحة محرمة بنص الكتاب ، كشرب الخمر وتهتك القيان ، وانهم يستحلون ذلك بعد معازفهم الافسادية من قبيل المعازف التي أباحها الشرع لترويح النفس في بعض الأحيان ، أو السرور بنعمة الله في أيام الأعياد والأعراس ووقود المسافرين ، من غير ان يقرن بها منكر من المنكرات المحرمة في الدين ، كما يستحلون بعض الخمر بعدّها من قبيل النيذ المباح الذي هو قبيح نحو التمر والزبيب في الماء الذي لم يختمر فيصير مسكرا . وما شدد من شدد من الفقهاء في إطلاق تحریم السماع إلا لثقل هذه المفاسد التي قن بها المغمومون به حتى صارت من لوازمه عندهم . وما

أنكر عليهم من أنكر من المحدثين والفقهاء والصوفية إلا تعميم التحريم ، وتكلف الاستدلال عليه بالأيات والاحاديث ، ولم يسلم لهم دليل مما استدعوا به . كما يعلم من الكتب الموثقة في إباحته ومن مثل نيل الاوطار والاحياء وشرحه والقول الفصل ان الاصل في المزف والمعارف (ومنه الغناء والمعب) الحل . وانه ورد في السنة ما يؤيد هذا الاصل كلعب الحبشة في المسجد وغناء الجوالي وسماع الدف والاذن به ، وان الحرمة تعرض لبعض ذلك ، كما تعرض لبعضها الاستحباب ، ولا يبعد ان فصل معارف الحرب الى درجة الوجوب اذا كانت الحرب شرعية ، فقد ثبت بالتجارب المتعددة المفيدة لقطع أن معارف الحرب التي يسمونها « موسيقى » تنشط القتالين ويحفز همهم وتزيد في ثباتهم وإقدامهم وجرائهم ، وتزيل الشعور بالتعب والمشقة أو تخففه عنهم ، كما يفضل الحذاء بالابل . فاذا كان الثبات والاقدام من الواجبات بنص قوله تعالى (فاثبتوا) وبمجم الأدلة الاخرى ، فقد تكون المعارف في بعض الاحيان داخلة في قاعدة « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب »

هذا وان من أصول دين الفطرة ، والشريعة السمحة ، الثابتة بالنصوص القطعية والمعلومة من الدين بالضرورة ، - أصل اليسر وتقي الخرج . وعدم تحريم شيء على الناس الا لضرره ، ورفع الإصر والاعلال عن الأمم التي كانت قبله ، حتى ان النبي (ص) علل أمره للحبشة بالعب في مسجده باظهار هذه المزية في الاسلام أفندهم هذه الاصول الثابتة ، والقواعد الراسخة ، ونستنبط من حديث آحادي روي بالمعنى في سياق الاخبار عن المستقبل ، وذكر بعض الرواة من ألفاظه وقبوده ما لم يذكره غيره ، - أن الأصل في آلات اللهو ان تكون محرمة في الاسلام وان وجدت يباعث الفطرة عند جميع الامم ، ولم تحرمها قبله الاديان الالهية في ملة من الملل ، ثم نزع عن هذا الاصل أن إباحة كل آلة منها تحتاج الى نص من الشارع بخصوص ذلك الاصل العام ، ان لم يمكن تأويله وتطبيقه عليه كما فعل المشددون ؟ كلا ان الامر بالعكس كما تقدم ، ولا سبيل الى تحريم شيء من ذلك بخصوصه ، وانما يحرم بحرمة ما فيه مفسدة ظاهرة من سباع الفساق وعزفهم الذي نراه في عصرنا مصداقا للحديث ، وبهذا الشرح نستغني عن بيان رأينا في سائر مباحث هذه الرسالة

باب الاخبار والآراء

(الحرب الأوروبية . والدولة العثمانية)

كان أخوف ما يخاف على دولتنا قبل هذه الحرب اتفاق الدول الكبرى على تقسيم بلادها الى مناطق نفوذ اقتصادي ، يتبعه النفوذ السياسي ، فتمهد كل منهن السبل في منطقتها ، للاستيلاء التام عليها ، وتنتظر الفرص لاعلان امتلاكها ، وكنا قد رأينا بوادر هذا الاتفاق ، ومنها الاتفاق ، مع فرصة على متافهها في سورية ومع انكثرة على المراق . بازاء ما للألمانية من الحقوق بامتياز سكة الحديد بين الاستانة وبنغاز .

أما وقد وقع بين تلك الدول ما كانت تتمخض به حوادث الاعصار وتشخص رؤية أهواله لأبصار ، قد سمحت لها فرصة لهم شعها ، وتوفير ثورتها ، وجمع كلمة شعوبها ، واعداد وسائل الدفاع الوطني في بلادها . وازالة ما للجانب من النفوذ والامتياز فيها ، مع حفظ حقوقهم ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم ، بحيث تكون مستقلة في داخليتها حق الاستقلال ، ولا تكون دون الجبل الاسود والبلطار واليونان ، وما شرعت فيه من الاستعداد العسكري وتعبئة الجيش المنظم بحسب أن تراعي فيه الاقتصاد . وتجهله وسيلة للاستفادة من الحياض ، ولا شك ان الامة كلها تشد أزرها في ذلك « وعند الشدائد تذهب الاحقاد »

هذا ما نراه وما يراه كل من نعرف من العقلاء الذين ذاكرناهم في هذه المسألة من عرب وترك وغيرهما . واننا نعلم مع ذلك ان بين الحكومة الاتحادية والدولة الألمانية اتفاقا سريا قبل الحرب ، والظاهر ان الثانية جعلته ذريعة لاستخدام جيش الأولى في قتال أعدائها .

الدولة قريبة العهد بحزب لم يبق في خزائنها مالا ، ولا في مساحها سلاحا ، وقد ايد بها مئات الالوف من خير جندها ، والامة فقيرة لاستطيع ان تمد الدولة عن سعة عما تستطيع ان تحارب به دولة كبيرة كالروسية وحدها ، فكيف تحاربها ومعها انكثرة وفرسة واليابان ، وبعض حكومات انبليقان . وهذا الحرب قد تستمر عدة أعوام ؟ كم تسوق من الجند الى روسية وكم تبقى لحماية بلادها الواسعة ، وثمورها غير محصنة ؟ واذا غلب جيش لها في رجاء من الاجاء ، أو احتاج الى الميرة والذخيرة والسلاح ، فكيف التسهيل الى إمداده من الارحاء الاخرى . والبحار محرومة عليها ، ولا سلك حديدية تصل بين أقطارها ؟

المسحاة

١٣١٥

يؤتي حكمه من يشاء ومن يؤت الحكمه فقد
أوتي حبا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قوله يا الذين يستمرون القول فيلبسون أحسنه
أولئك الذين هداموا نزلهم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : از للاح سوى وه منارا ه كنار الطريق

مصر سلخ شوال ١٣٣٢ هـ ق ١ انطريف الأول ١٢٩٣ هـ ش ٢٠ سبتمبر ١٩١٤

فَتَاوَا الْمَثَلَانِ

افتتحنا هذا الباب لأجابه أسئلة المشتريين خاصة إذ لا يسميهم الناس ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظائفه) وله بعد ذلك أن يرزق إلى اسمه بالحروف إن شاء وانما ذكر الأسئلة بالتدريج فأبوابها قد مناهت السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما اجتبا غير مشترك لمثل هذا ولما مضى على سؤاله شهران وثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

(علم الله بصفاته . الرضاع من الجدة)

(س ٢٢) من صاحب الامضاء الجاوي بمصر
سيدي الاستاذ الاكبر السيد رشيد رضا زاده الله من مرضاته
أما بعد فاني ألتى الي مسئلتان من البلاد . إحداهما مسألة علمه سبحانه
بصفات كلالته . فانها قد شوهدت أفكار الاغلب من أهل بلادي في (سومترا)
اذ لم يوجد منهم الاكن من يفضل القول بالحكم بالدليل أو السنة فيتعونه
يقولون . هل يعلم الله أعداد بقية صفاته التي هي صفات الكالات خلاف
العشرين مثل كذا أو كذا من العدد . أم لا ؟

فان أجبتهم بنعم، فما المراد بقولهم ان صفات الكالات من غير نهاية . فان
التماير من معنى تلك الكلمة معلوم وظاهر . وان اجبتهم بلا فما المراد أيضا بقول
الاية (وأحصى كل شيء عددا) ثم ألا بعد عجزا عليه سبحانه وتعالى لو فرضنا
أنه لا يعلم تلك الأعداد ؟ . فهذه (ذي) المسئلة الاولى .

أما الثانية فهي مسألة الرضاعة . يقول فيها السائل . هل عثرتم من مفهوم
الكتاب او السنة أو من قول بعض العلماء على إن الطفل اذا رضع من جدته من
جهة الأم يؤدي الى وقوع الطلاق بين والدي الطفل فيقع الطلاق واحدا اذا رضع
الطفل مرة واثنين اذا كان مرتين وثلاثا اذا كان ثلاث مرات
فما نكم المسئلان احتررت عليهما (١) اذ قلبت كثيرا من كتب الفقه ومن كتب

(١) الصواب ان يقول : حرت أو تحيرت فيهما .

التوحيد لعل اعثر من عبارة تحمل عقد تينك المسائلين فلم أجد . وحقيقة انهما لغريبتان بجانب فهمي القصير ولذلك وجهت بهما الى بحر علومكم راجيا ان تحلوا وثاقهما وما ذلك على واسع علومكم بعظيم .

ابراهيم بستاري سراج الجاوي

تحريرا في ٢٩ شعبان سنة ١٣٣٢

(علم الله تعالى بصفاته)

الجواب عن المسألة الأولى : ان الله سبحانه وتعالى يعلم صفاته بلا شك ، سواء كان مراد العلماء بقولهم : ان صفات الله لا نهاية لها ولا حصر - أنها كذلك بالنسبة الى علم الخلق ، أو في الواقع ونفس الأمر . ولا إشكال في ذلك فان الله تعالى يعلم ما لا نهاية له من الحوادث أيضا كالحوادث التي تكون في الجنة والنار وسائر العالم في المستقبل الذي لا نهاية له

وهنا يحسن التذكير بأمرين هما أهم من تينك المسائلين : أحدهما أنه سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) بصفات من الكمال معروفة ، والألفاظ الدالة عليها هي أسماؤه الحسنى . وحكمته في ذلك ان نعرف بها كماله وعظمته وآثار فضله ورحمته فينا ونعمه علينا ، لئلا نزيد بذكرها إيماننا وتزكية لانفسنا وحبنا في الكمال وأفعال البر ، لا لأجل ان نعددها عدا ، ونبحث فيما زاد عنها ، ثم نشغل أنفسنا بالفكر والكلام في امكان إحصائها أو عدمه ، وفي كيفية علمه بها ، واحاطته بعددها ، فان أمثال هذه المباحث مما لم نكلفه ولا نرى لنا فائدة فيه ، بل ربما يضر البحث فيها بضعيف العلم أو الفهم ويحدث له شكوكا في الدين . ولهذا قال العلماء في تفسير الاحصاء من حديث « ان لله تسعة وتسعين اسما

من أحصاها دخل الجنة » (١) : أي من احصاها حفظا لمعانيها وعلمها بها وإيماننا - أو من استخرجها من كتاب الله تعالى وكلام رسوله (ص) لأجل ان يزداد بها إيماننا ومعرفة بربه عز وجل ويدعوه بها - أو من أطاق العمل بما تهدي اليه من الكمال والبر - أو من أخطرها بباله وتفكر في معانيها عند ذكرها بتلاوة القرآن والأذكار المأثورة خاشعا معتبرا متديرا راغبا راها . هذا مجمل ماقلوه في معنى الاحصاء ولك ان تقول به كله . ولم يقل أحد يعتمد بعلمه وفهمه ان المراد عداها بالإرقام أو إحصاؤها على السبع . ولم يثبت برواية صحيحة انه (ص) عداها لهم .

(١) رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة

واستشكلوا روايات عددها من جهة المتن ، كما تكلموا فيها من جهة السند . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء مدرج في الحديث وانهم جمعوها من القرآن . واجابوا عن ذلك بما لاحاجة الى ذكره هنا . وقد ورد في بعض روايات الحديث الضعيفة « وما من عبد يدعو بها الا وحيث له الجنة » رواه الديلمي من حديث علي كرم الله وجهه . وفي أخرى « من دعا بها استجاب الله له » رواه ابن ماجه عن أبي هريرة . وليس فيهما ذكر الاحصاء . وعندنا فوق ذلك كله قول الله عز وجل في سورة الاعراف (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه) وقوله في سورة الاسراء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوه فله الاسماء الحسنى) فهو تعالى يهدينا الى ان ندعوه وننصرح اليه بهذه الاسماء الحسنى لاشتغالها على أحسن المعاني الدالة على منتهى الكمال والفضل

الامر الثاني - لا ينبغي لأحد ان يجعل ما لا يفهمه من كلام العلماء وما لا يتضح له انه صواب - مشكلا من مشكلات الدين ، بل يحسن ان يعده كأن لم يقل ، ولا سيما أقوال المتكلمين واصطلاحاتهم التي استبظتها قراحتهم لتأييد مذاهبهم والرد على مخالفيهم ، فان فيما قالوه الخطأ والصواب ، وما اذا احتيج اليه للرد على خصم كان في زمنهم لا يحتاج اليه في زمن آخر . وكذلك ماصوروا به عقيدة الاسلام التي يدافعون عنها ، لا ينبغي ان يحمل هو الاسلام الذي يلقنه المسلمون في كل عصر ، ويجعلون حفظهم من حماية الدين الدفاع عنه .

مثال ذلك ما كتبه السنوسي رحمه الله تعالى من العقائد ولا سيما العقيدة الصغرى التي انتشرت في المشرقين والمغربين ، وحذا حذوه فيها معلمو المدارس الرسمية وغيرها حتى فيما يضعونه من العقائد للمبتدئين . وقاعدتها في الالهيات ان الواجب على كل مكلف شرعا انه يؤمن بأنه يجب لله تعالى عشرون صفة ويستحيل عليه أصدادها . واصطلاحه في هذه الصفات مخالفا لما كان يفهمه السلف وأهل اللغة من معنى كلمة صفة ومن اطلاقهم الايمان بصفات الله تعالى . فهو يعد الامور الاعتبارية والعدمية صفات ، فالوجود والمخالفة للحوادث - أي عدم الاحتياج الى المكان والخصص - صفتان لله تعالى عنده ، والقدرة وكونه تعالى قادرا صفتان متغايرتان . ولم ينقل مثل هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ، دعى عدم ذكره في القرآن او في كلام الرسول (ص) فكيف يقتصر عليه ويجعله هو العمدة في تلقين عقيدة الاسلام ، ويجعل ماعساه مخالفة ولو في عدد الصفات محلا للاشكال ؟؟

(مسألة رضاع الطفل من جدته)

وأما الجواب عن المسألة الثانية فهو أننا لم نطلع في الكتاب ولا في السنة ولا في كتب الأئمة على كلام يدل بمنطوقه أو مفهومه على أن الطفل إذا رضع من جدته لأمه رضعة تطلق أمه من أبيه طلقة واحدة وإذا رضع مرتين تطلق طلقتين وإذا رضع ثلاثا تطلق ثلاثا . وإنما الطلاق كلام يقوله الرجل يدل على حله لعقدة الزوجية ، والله أعلم .

(كلمات الاستقلال والاعتماد على النفس والاجتهاد)

(س ٢٣) من أحد المشتركين السوريين بمصر
سيدى الاستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا دام نفعه
المعروض بعد التحيّة ان بعض الأفاضل منتقد استعمال كلمة : « الاعتماد على النفس » أو « الاستقلال الشخصي » بمعنى اجتهاد الانسان ، ودليله في ذلك عدم استعمال العرب له ، ولما لم يكن يقع مني بأن ذلك الاستعمال محمول على اجتهاد المرء الذي هو ضد كسله وخموله فقال بأن المستعملين ذلك لا يعنون منه سوى اجتهاده في كل حاجياته بحيث لا يعتمد على غيره ألينة كما هو ظاهر ذلك الاستعمال - جشك بهذه الكلمات راجيا منكم البيان الوافي المقنع لمثل ذلك المنتقد - في المنار الأغفر ولكم الفضل

(ج) قال في القاموس المحيط : واستقله حملة ورفعته وأقله (أي أطاق حملة وهذا أصل المعنى) الطائر في طيرانه ارتفع . وقال غيره : استقل الطائر نهض للطيران وارتفع . وقال الزبيدي فيما استدركه على القاموس في هذه المادة من شرحه : والاستقلال الاستعداد يقال : هو مستقل بنفسه ، ضابط لأمره . و : هو لا يستقل بهذا ، أي لا يطيعه اه

وأما الاعتماد على الشيء فأصله الاتكاء عليه والتورك عليه . ومنه العماد والعمود الذي يقام عليه البناء والاعتماد على المرء عبارة عن الاتكال عليه ونوط الأمور به . ومنه عمدة القوم وعميدهم وعمودهم ، وهو سيدهم الذي يعتمدون عليه في مصالحهم . هذا ما يؤخذ من جميع معاجم اللغة

وأما الاجتهاد فهو بذل الجهد والمشقة في تحصيل الشيء . سواء استقل الانسان بالسعي والعمل أو اعتمد على مساعدة غيره مع بذل جهده

فإننا تدبرت معاني هذه الالفاظ ترى أن المنتقد مخطئ ، وإن استعمال كلمة الاستقلال فيما نستعملها فيه فصيح ولا تحل محلها كلمة الاجتهاد

شعر منشور

في

العربية والعرب

[من إنشاء فؤاد الخطيب أستاذ الآداب العربية في مدرسة غردون الكلية بالخرطوم]

لاجرم أن اللغة العربية ، أجزل اللغات السامية ، وأوسعها مجالاً ، وأحكمها استعمالاً ، لا يذهب مرّ العشي بسلاستها ، ولا يبعث كره الغداة بطلاونها .

ولقد طاحت دول ، وبادت ملل ، فاستسرت لغاتها ، وعفت آياتها ؛ وتلك

اللغة تدور مع الاحقاب ، في غلائل الآداب ، وغلواء الشباب ، لا يرهقها هرم ،

ولا يخفقها قدم . فكأنها وهي ابنة القرون الخالية ، والام الماضية ، نشأت في اليوم

الحاضر ، أو أمس الدابر ، فجاءت دفعة واحدة مستوفية أقسام جهالها ، وصحة ابنية

اسمائها وأفعالها ؛ تجول بها أسلات الالسنه واطراف البراع ، في صدور المحافل

ويطون الرقاع ، فنظم فرأئدها ، وتقل شواردها ، فلا تشد نادرة ، ولا تند بادرة .

أجل . ان السيف الباتر ، والجبروت القاهر ، والمكاتب المتأوجه بالزحام ،

وللدارس المكتظة بالطلاب ، والصحف الدائمة في الآفاق ، والوفود الضاربة في

الاصقاع — لم تحول لغة عن أصلها ، ولم تجذب أمة بجبلها . فأين ذلك مما وقع

للعربية ، مع تلك الشراذم البدوية ؟ فانها لم تنهب الارض في قطار ، ولم تجزع ^(١)

الفضاء في منطاد ، ولم تمخر البحار بالبخار ؛ بل جابت المسارح ، ورادت المسكن ،

وطافت الجامعات ؛ فوجلت كل مصر ، وسكنت كل نفس ، وقالت لكل شي :

حسبك فانك عربي منذ اليوم .

فسمى النيث ذلك العهد القديم ، ورعى الله ذلك العربي الصميم ؛ فانه كان

نورا في الظلمات ، وهدى في الشبهات ؛ اذا جال في مضمار الفكر ، وراوح بين النظم

والثر ؛ صور على الطرس ، حقيقة النفس ، فاجتكت بأسرارها ، وحدثتك بأخبارها ؛

فاذا الغيب تكاد تراه عينك ، واذا الوهم تكاد تلمسه يدك .

١ « لعل أصلها : تزجج

فهكذا الأدب ، وكذلك العرب ؛ فلقد سبروا غور العلم ، ومشوا الى اعماق
الفهم ، فانتزعوا العقول من عقالها ، واستلوا الوجود من العدم ، واستخرجوا اليقين
من الريب ، وتغلغلوا بين النرة واجزائها ، وتسربوا بين العصا ولحائها ، فكأوا
وكل سحر غير سحرهم باطل ، وكل بلد خيموا فيه بابل

اللهم سبحانه ! انطق العربي بالحكمة الناصعة ، ويهتف بالواقفية الرائعة ،
فتكاد لخلوة آياتها ، تقبل أفواه رواتها -- وهو في ذلك المنقطع من الارض ،
يهم في ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا مشت عيونه ففي صميم القفر ، واذا وقفت به
فعلى اديم الصخر .. ؟

فلا يزال في الوجود ، كالثلث الشroud ، تتلقفه الاقطار ، وتتخطفه الاسفار ،
فن هضاب يحوم فيها كالعقبان ، الى بطاح يعمل فيها كالسيدان ، ومن مجالدة
زعزع نكباء تنسف التلال ، الى مكابدة هاجرة سحراء تأكل الظلال .

فما ثم مرتع شائق فيستمد من جماله البيان . وما ثم مورد رائق فيمتدح من
عذبه اللسان ، وانما هي ارجاء عابسة ، ويدياء طامسة . تجول فيها الافكار فتسكل ،
وتدور فيها الابصار فتضل .

فسلام على تلك الجزيرة الجرداء ، ومرحى لتلك المجاهل الخلاء ، فوالله ماتوزها
الرياض مبشوة الزراني والانماط ، ولا الحقول مبسوطة البرود والرياط ، ولا النير
يترقق ، على حصباء تتألق ، فقد نبئت فيها حسنة الزمان ، وتفجرت منها ينابيع
العرفان ، فغيت بنصرة الآداب ، عن بهجة الاعشاب ، وبكامل السكان ، عن
جمال المسكان ، بل كانت مسح الروح الامين ، وموئل الدنيا والدين ، فبارك الله
احسن الخالقين ،

فأي نياط لا يتقطع ، وأي مهبجة لا تصدع ؟ وقد أودى اولئك السكرام ،
وتكرت تلك الايام ، حتى تباذى الرهام ، واستنسر الحمام ، ولم يبق غير أمة مكسال ،
لا تتحرك الا بزلزال ، ولا تقطع من اشواط الدهر ، الا مسافة العمر من القبر .

فأين بنو قحطان ، وقتيان عدنان ؟ فيهبوا بالنفوس من غرمتها ، وينفضوا باللفة
من كبوتها ، فتلک مفاخر بلادهم ، وما أثر أجدادهم . مل الانجاد والاغوار ، وطلاع

الدقتر والاسفار ، وانها لتطوي بالمرء مراحل العصور والاجيال ، وتطل به على عالم الخفائق من ملكوت الخيال .

اما والله لولا تنطس بعض المتزمتين^(١) ، وسدتم على اللغة أبواب التعريب والاشتقاق ، فحجروها في الخواشي ، واقبعوها في التون — لما ازور الطلاب عنها ، وامتلاًوا نفور منها ، وكان العلم كل العلم ان يعض المرء كلام غيره ، ويلوك أقوال سواه ، فيتشقق بالمذاهب العقيمة ، ويتجبح بالامثال السقيمة ، وان قعد به العجز عن النشاء قهرة ، وتصوير فكرة ، ولم يغن عنه سواد الحدود والمصاحطات ، وما افنّ فيه من الشواهد والنكات .

ولا بدع فان الاصول وسيلة والانشاء غاية . ولشد ما بينهما من شاسع الفرق وواسع البون . وكم بين الماء والسراب ، والتشور واللباب !

وأما من رزق قريحة وقادة ، وبصيرة تنادة واحاطة بما لا مندوحة عنه من قواعد اللغة وأصول العربية ، ثم راض نفسه على مزاولة أساليب العرب ومناحيهم ، وتوفر على مطالعة تراكمهم ومزاميهم ، فقد اكتسب من ملكتهم ما أخرجه الى لهجتهم فبات وما يترضه عي ولا ترهنه لكنة ، ولا تتحيف بيانه عجمة .

وهل البلاغة — لعمرى — الا بصقال الديباجة ، ومثانة الاسلوب ، وحلاوة الأداء ، تسكون المعاني اعلق بان خاطر ، وأسرى في السمع ، وافصل في النفس ؟ أرايتك — وقد ثقفت الالفاظ المتخيرة ، وعرفت أين تضع يدك في سبكها وتأليفها — كيف تمز القلوب وتخلب الالباب ، وتملك قياد الاهواء ؟ ..

ولله در ابي هلال العسكري اذ قال في الصناعتين : « ان مدار البلاغة عليه تحسين اللفظ . وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا . وقال ابن الاثير : ان اللفظة الواحدة تنقل من هيئة الى أخرى فتحسن أو تقبح . هذه لفظة الارض فانها لم ترد في القرآن الكريم الا مفردة سواء أفردت بالذكر عن السماء كما في قوله تعالى (والله أنبتكم

(١) المتزمت من يظهر بمظهر الزميت وهو الكثير السكون والسكوت وقارا ورزانه ، والتنطس التألق والتدقيق والاستقصاء في الاشياء . يريد مبالغة بعض أهل اللغة في المحافظة على القدم من استعمال اللغة

من الارض نباتا) أو قرنت بالسماء مفردة كما في قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض الا بإذنه) أو مجموعة كما في قوله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض) ؛ ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستسحنا لكان هذا الموضع أوشبهه أليق به . ولما أراد أن يأتي بها مجموعة قال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) وكذلك قول أفصح اطلق لبعض النساء « ارجمن مأزورات غير مأجورات » . وحسبك ان المعاني المنقولة من لغة الى أخرى تفقد ماءها ، وتفارق صفاءها ، وما ذلك الا لأنها انسلخت من برودها المعلقة ، وانظمت من قوالبها المحكمة . فكانت شبحا ناحلا ، وخيالا مائلا .

وليت شعري ماذا يضر المعاني ، اذا أجيبت لها المباني ، فكانت شرعاً في المتانة . وسواء في الصياغة ؟ ولا سيما وقد جاشت غوارب العجمة ، وفشت لوثه اللحن ، ومست الحاجة الى شد أو اصرر اللغة ، وتقويم مناد اللسان .

الا وانه لمن البر بالادب ، والغيرة الصادقة على العرب ؛ أن ينسج المتأدب على منوال الفصحاء ، ويطلع على غرار البلغاء ، - فذلك تاريخ آبائنا ، يصيح بنا من ورائنا ، وكله دموع تترى ، لا ألفاظ تتلى ، (وما يذكر الا أولو الابواب) والله الموفق الى الصواب .

التعريف بكتاب الاعتصام

وَعَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

العلماء المستقلون في هذه الامة ثلثة من الاولين ، وقليل من الآخرين ، والامام الشاطبي من هؤلاء القليل ، وما رأينا من آثاره الا القليل ، رأينا كتاب (الموافقات) من قبل ، ورأينا كتاب (الاعتصام) اليوم ، فأنشدا قول الشاعر :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أدخل دار الكتب الخديوية وارم ببصرك الى الألوف من المصنفات في خزائنها ، تر أن كثرتها قلة ، وكثيرها قليل ، لأن القليل منها هو الذي نجد فيه علما صحيحا لا يجده في غيره ، لأنه مما فتح الله به على صاحبه دون غيره . وقد كان كتاب (الاعتصام) من هذا القليل ، فأحسنست نظارة المعارف الى الامة الاسلامية كلها بانجابة مجلس ادارة دار الكتب الخديوية الى طبعه

اتفق علماء الاجتماع والسياسة والمؤرخون من الامم المختلفة على أن العرب ماتهمضوا نهضتهم الاخيرة بالمدينة والعمران الا بتأثير الاسلام في جمع كلمتهم ، واصلاح شؤونهم النفسية والعملية ، ولكن اضطرب كثير من الناس في سبب ضعف المسلمين بمد قوتهم ، وذهاب ملكهم وحضارتهم ، فنسب بعضهم كل ذلك الى دينهم ، ومن يتكلم في ذلك على بصيرة يثبت ان الدين الذي كان سبب الصلاح والاصلاح ، لا يمكن أن يكون سبب الفساد والاختلال ، لان العلة الواحدة ، لا يصدر عنها معلولات متناقضة ، فاذا كان لدين المسلمين تأثير في سوء حال خلفهم ، فلا بد أن يكون ذلك من جهة غير الجهة التي صلحت بها حال سلفهم ، وما هي الا البدع والمحدثات التي فرقت جماعتهم ، وزحزحتهم عن الصراط المستقيم

من أجل ذلك كان تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين في أمر دينهم وأمر دنياهم ، ويكون أعظم عون لسعاة الاصلاح الاسلامي على سميعهم .

وقد كتب كثير من العلماء في البدع ، وكان أكثر ما كتبوا في الترهيب والتنفير ،
 وارد على المبتدعين . ولكن الفرق التي يرد بعضها على بعض ، يدعي كل منها أنه
 هو الحق ، وأن غيره الضال والمبتدع ، إما بالاحداث في الدين ، وإما بجهل
 مقاصده ، والجمود على ظواهره ، وما رأينا أحداً منهم هُدي الى ما هُدي اليه
 (أبو اسحاق الشاطبي) من البحث العلمي الاصولي في هذا الموضوع ، وتقسيمة
 الى أبواب يدخل في كل واحد منها فصول كثيرة

لولا أن هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين لكان
 مبدأ نهضة جديدة لحياء السنة ، وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع . ولكن
 المصنف بهذا الكتاب وبصنوه كتاب الموافقات — الذي لم يسبق الى مثله سابق
 أيضاً — من أعظم المجدين في الاسلام . فثله كمثل الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن
 ابن خلدون ، كل منهما جاء بما لم يسبق الى مثله ، ولم تنتفع الامة — كما كان يجب —
 بعلمه

كتاب الموافقات لاند له في بابه (أصول الفقه وحكم الشريعة وأسرارها)
 وكتاب الاعتصام لاند له في بابه ، فهو ممتع مشبع ، ولم يتمه المصنف رحمه الله
 تعالى . وقد صدره بمقدمة في غرابة الاسلام وحديث « بدأ الاسلام غريباً » النبي
 بذلك . ثم جعل مباحث ما كتبه في عشرة أبواب

(الباب الاول) في تعريف البدع ومعناها (الثاني) في ذم البدع وسوء منقلب
 أهلها (الثالث) في أن ذم البدع والمحدثات عام ، وفيه الكلام على شبه المبتدعة ،
 ومن جعل البدع حسنة وسيئة (الرابع) في مأخذ أهل البدع في الاستدلال
 (الخامس) في البدع الحقيقية والاضافية والفرق بينهما (السادس) في أحكام
 البدع وأنها ليست على رتبة واحدة (السابع) في الابتداع : يختص بالعبادات ، أم
 تدخل فيه العادات ؟ (الثامن) في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان
 (التاسع) في السبب الذي لأجله اقترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين
 (العاشر) في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة .

وفي هذه الابواب مباحث تشبه فيها المسائل ، وتعارض الدلائل ، وتنتفع

الشبهات ، وتترأى في معارض البينات . حتى يعز تحرير القول فيها ، والفصل بين قوادمها وخوافيها ، الاعلى من كان مثل المصنف في نور بصيرته ، وغزارة مادته ، وقوة عارضته ، وفصاحة عبارته

ومن أغمض هذه المسائل ما كان سنة أو مستحبا في نفسه وبدعة لوصف وهيئة عرضت له . كالتزام المصلين المكث بعد الصلاة لاذكار وأدعية مأثورة يؤدونها بالاجتماع والاشتراك ، حتى صارت شعارا من شعائر الدين ، ينكر الناس على تاركها دون فاعليها ، وقد أطل المصنف في اثبات كونها بدعة وأورد جميع الشبه التي دعت بها ، وكر عليها بالنقض فهدمها كلها

وما لي لا أذكر لعلماء الشرع الاعلام ، ولأهل السياسة من علماء الحقوق والامراء والحكام ، أهم ماشرحه لهم هذا الكتاب من أصول الاسلام ، وهو بحث المصالح المرسلة والاستحسان ، من أصول مذهبي مالك وأبي حنيفة النعمان . وبهما يظهر اتساع الشرع لمصالح الناس في كل زمان ومكان ؟

بين المصنف وجه اشتباه ماسموه البدع المستحسنة . بالاستحسان الفقهي والمصالح المرسلة . ثم كشف كل شبهة . وأزال كل غمعة . فبين أن البدع ليست من هذين الاصلين في ورد ولا صدر ، ولا تنفق معها في علة ولا غرض ، فان البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع واقتيات عليه ، وأما مسائل المصالح المرسلة والاستحسان فهي موافقة لحكمته ، وجارية على غير المعين من عموم بيناته وأدلتها . وقد أورد المصنف ما قيل في تعريف ذينك الاصلين ووضح ذلك بالشواهد والامثلة ، فلو انك قرأت جميع ما تتداوله المدارس الاسلامية من كتب أصول الفقه وفروعه ، لانتيت وانت لا تعرف حقيقة المصالح المرسلة والاستحسان ، كما تعرفها من هذا البحث الذي أوردها المصنف فيه تابعة لبيان حقيقة البدعة لا مقصودة بالذات من أراد أن يعرف فضل الاسلام وسماحته ، وسبيلته ومرونته ، فليأخذ من ينبوعه ، وليستن على فهمه بهؤلاء الحكماء الذين يشددون في انكار البدع ، ويدعون المسلمين الى السنة التي كان عليها السلف ، ويرون ضلال من يزيد في العبادات عليهم ، أشد وأضر من ضلال من ينقص في غير أصول الفرائض عنهم ،

ويوسعون على الناس في أمور العادات ، بناء على أصل الإباحة في الأشياء ، وإن ظن كثير من الجاهلين ، أن هذا هو عين الجود في الدين ، وجعله ديناً خاصاً بأهل البدواة ، لا يطبق احتمالاً أهل المدينة والحضارة ، والامر بالصد ، والله الامر من قبل ومن بعد

كان هذا الكتاب كنزاً مخفياً لا توجد منه في هذه الاقطار الا نسخة بخط مغربي في كتب الشيخ محمد محمود الشنيطي المحفوظة في دار الكتب الخديوية ، فاستخرجه مجلس ادارتها في العام الماضي واقترح طبعه ، فوافق ذلك رغبة صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف لذلك العهد ، وعهد الي طبعه بشروط ينمى في الكتاب الذي كتبه الي بذلك . وأرسلت الي دار الكتب الجزء الاول منه منسوخاً نسخاً جديداً على أوراق متفرقة لتجمع حروف الطبع عنها . فتصفحت بعضها فألفيت فيها غلطاً وتحريقاً كثيراً حتى في الاحاديث ، فكتبت في حاشية ما جمعت حروفه منها ليكون نموذجاً للطبع تصحيحاً لما ظهر لي غلطه ، وتحريجاً لحديث « بدأ الاسلام غريباً » الذي بنى عليه المصنف مقدمة الكتاب وجعله الاصل في وجه الحاجة اليه . وفسرت فيها بعض الكلم الغامض وأطلعت على ذلك صديقي الامتاذ الفاضل السيد محمد البيلوي وكيل دار الكتب الخديوية الذي يرجع اليه في تصحيح الكتب التي تطبع على نفقتها ، وقلت له يعز علي أن يطبع هذا الكتاب النفيس من غير أن يصحح أصله ويعلق عليه شيء . وأنا أتبرع بما أراه ضرورياً من ذلك ، ومطبعتي تبرع بتصحيح الطبع أيضاً . ولو كنت في سعة من وقتي لخرجت أحاديثه كلها ، وبذلت العناية بمراجعة كل قوله من مطائنها ، وبغير ذلك من تصحيحه . فقال : نحن نرى من التوفيق أن يطبع هذا الكتاب تحت نظرك وشارفك ، ونرى أنك أجدر وأحق بتصحيحه

ماتيسر لي قراءة شيء من الكتاب في وقت فراغ ، بل كانت المطبعة تعرض علي الاوراق عند ارادة الاشتغال بطبعها ، فكنت أرى الغلط فيه أنواعاً - (أحدها) ما قطع بأن صوابه كذا كتعريف بعض الآيات ، أو الاحاديث المعزوة الى مخزجها ، وتحريف أو تصحيح بعض الكلم ، فأنا أصحح هذا ولا أذكر في

الحاشية ما كان في الاصل الا قليلا (ثنيها) ما أظن ان صوابه كذا . وهو ما اكتب في الحاشية « لعل أصله كذا » أو ما يفيد هذا المعنى (ثالثها) ما أشتبه في أصله ماهو . فنه ما أفهم المراد منه بالقرينة ، فإما ان أشير اليه في الحاشية ، وإما ان أتركه للقارئ . ويقل فيما تركته التحريف الذي لا يفهم المراد منه مطلقا ، أو الا بعد تأمل طويل .

وقد يرى القارئ في بعض المواضع منه كلمات بين هذه العلامات () التي يعبرون عنها بالاهلة أو الاقواس أو بدونها وقد تكون من حرف صغير ، ويرى ان المعنى لا يلتزم الابهاء ، ويجزم بأنها من الاصل ، وانما ميزناها بما ذكر ليعلم انها من المصحح ، ويرى في بعض المواضع علامة الاستفهام بين قوسين هكذا (؟) ويشار بها الى خفاء في تلك المواضع أو غلط لم نهتد الى أصله . ولكن لم نلتزم ذلك في كل مواضع الغلط لمبهم

وقد تركت تصحيح بعض الاحاديث والآثار التي أحفظها من كتب الصحاح والسنن على غير ما وردت عليه في الكتاب ، لئلا يكون بعض المحدثين الذين لم نطلع على كتبهم رواها بسياق المصنف . وكتبت بازاء بعض ذلك علامة المراجعة على أوراق الطبع . مريدا بذلك ان تعيده المطبعة الي للتأمل فيه أو مراجعته في مظانه . وعلمت بعد ذلك ان المطبعة كانت تراجع في بعض ذلك نسخة الكتاب المغربية فاذا رأت المعد للطبع موافقا لطبعه ولم تعده الي ؛ فيفتني ما أريد من تصحيحه

وجملة القول اتني على ما أقاسي من العناء في تصحيح الكتاب لا أدعي انه قد تيسر لي تصحيحه كما أحب . وانما أقول انه بصحح تصحيحاً يمكن القارئ من فهمه ، فلا يكاد يخفى عليه منه الا النادر من المفردات أو الجمل التي لا يحل خفاؤها ، فبهم المسألة التي عرضت له فيها . فهذا هو الطريق الذي سلكته في تصحيحه ، ينته قبل الاتمام . وعسى الله ان يوفقني بالخير الى زيادة العناية وحسن الختام ؟

محمد رشيد رضا

وكتب في ١٥ شوال سنة ١٣٣٢

ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ديباج ابن قرحون باختصار

هو ابراهيم بن موسى بن محمد الازمعي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصوليا مفسرا ، فقيها محدثا ، لغويا يائيا ، نظارا نبيا ، ورعا صالحا ، زاهدا سنيا ، اماما مطلقا ، مجاذا مدققا ، جدليا بارعا في العلوم ، من افراد العلماء الحققةين الاثبات ، وأكابر الائمة المتقنين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولا ، وتفسيرا وحديثا ، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق ، له استنباطات جليلة ، ودقائق منيفة ، وفوائد طيبة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محكمة ، كان على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصا على اتباع السنة ، محابيا للبدع والشبهة ، ساعيا في ذلك مع تثبت تام ، منحرفا عن كل ما يتجوز للبدع واهلها ، وقع له في ذلك أمور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل

وله تأليف جليلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات وتحقيقات شريفة ، قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه ، الامام المحقق العلامة الصالح ، أبو اسحاق . انتهى ، وانهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله أهله .

أخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها مالا مطعم فيه لسواه ، بحثا ، وحفظا ، وتوجيها ، ابن الفخار الألبيري ، لازمه الى ان مات ، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية ، أبو الفداء السبكي ، شارح مقصورة حزم ، والامام المحقق أعلم أهل وقته ، الشريف أبو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته باجماع ، أبو عبد الله المقرئ ، وقطب الدائرة شيخ الجلة ، الأمير الشهير ، أبو سعيد ابن لب ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجدة ، والامامة المحقق المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف أبو عبد الله البليسي ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب أبو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، أبو عباس القباب ، والمفتي المحدث أبو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الائمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق . وتكلم مع كثير من الائمة في مشكلات المسائل من شيوخه وشيوخهم ، كالباب وقاضي

الجماعة القشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير أبي عبد الله ابن عباد . وجرى له معهم محاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسئلة مراعاة الخلاف في المذهب (١) فيها له بحث عظيم مع الامامين القباب وابن عرفة . وله ابحاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقدرة في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر .

ألف تواليف نفيسة ، اشتملت على تخريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات القوائد . منها شرحه الحليل على الخلاصة في النحو . في أسفار أربعة **كبار** ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيرا فيما أعلم . وكتاب (الموافقات) في أصول الفقه سماه «عنوان التعريف بأصول التكليف» كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبمد شأؤه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب الموافقات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (الجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من القوائد والتحقيقات ، مالا يعلمه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في كراسين فيه طرف وتحف . وملح ادبيات وانشادات . وله ايضا كتاب (عنوان الاتفاق) في علم الاشقاق) وكتاب (أصول النحو) . وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها . وفتاوي كثيرة ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

بليت يا قوم والبلوى منوعة بمن اداريه حتى كاد يردني
دفع المضرة لاجلها لمصلحة فحسبي الله في عقلي وفي ديني
اندهما تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ابي يحيى بن عاصم الشهيد وأخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم . والشيخ ابي عبد الله البياني ، وغيرهم . وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شبان سنة تسعين وسبع مائة ولم أقف على مولده رحمه الله . (فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ، عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع للشيخ المالقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ، ولا شك عندها في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا

(١) اشار الى هذه المسئلة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب الموافقات

الآن . لكثرة الحاجة لما يأخذه المدر من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وأما النظر في القدر المحتاج اليه من ذلك ، وذلك موكل الى الامم ، ثم قال أثناء كلامه : ولعلك تقول كما قال الفائل ، لمن اجز شرب العصير بعد كثرة طبعه وصار ربا : احللتها والله يا عمر . يعني هذا الفائل احللت الخمر بالاستحجار الى قص الطبخ . حتى تحل الخمر بمالك ، فاني أقول - كما قل عمر رضي الله عنه : والله لا أحل شيئا حرمه الله ، ولا أحرم شيئا أحله ، وان الحق أحق ان يتبع (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)

وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الأندلس في زمانه موظفا على أهل الموضع ، فمثل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد بن اب ، فأفتى انه لا يجوز ولا يسوغ ، وافتى صاحب الترجمة بسوغه . مستندا فيه الى المصلحة المرسله . معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي في كتابه فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام مشهور ، لانظيل به . وكان لا يأخذ الفقه الامن كتب الاقدمين . ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات . وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه . فيوقع له : وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة . فليس ذلك مني محض رأي . ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير . وابن شاس . وابن الحاجب . ومن بعدهم . ولان بعض من لقيته من الملمة بالفقه أوصاني بالتجاني عن كتب المتأخرين . وأني بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة . والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله ، ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف . ونقل عن بعض الاصحاب : لا تجوز مخالفته . وذلك مشعر بالتساهل جدا . ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فما أعلم .

والعبارة الخشنة التي أشار اليها كان ينقلها عن صاحبه أبي العباس القهاب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه ، وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاليد المتأخرة ، اما للهجل بمؤلفيها أو لتأخر أزمنتهم جدا . فذلك لا أعرف كثيرا منها ولا اقتنيته . وعمدي كتب الاقدمين المشاهير . ولنقتصر على هذا القدر من بعض فوائده

(دخول الابتداع في العاديات ^(*))

وأما تحليل الدماء والربا والحرير والقنأ والحمر، فخرج أبو داود وأحمد وغيرهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليشربن ناس من أمتي الحمر يسمونها بغير اسمها » - زاد ابن ماجه - « يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويحمل منهم القردة والخنازير » وخرجه البخاري عن أبي حنيفة وأبي مالك الأشعري قال فيه « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر ^(١) والحرير والحمر والمعازف ، ولينزلن أقوام الى جنب علم ، تروح عليهم سارحة لهم . يأتيهم رجل لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غدا ، فيبيتهم الله ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » . وفي سنن أبي داود « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر والحرير - وقال في آخره - يمسح منهم آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » .

والخمر هنا نوع من الحرير ليس الخمر المأذون فيها المنسوج من حرير وغيره . وقوله في الحديث « لينزلن أقوام » يعني - والله أعلم - من هؤلاء المستحلين ، والمعنى ان هؤلاء المستحلين ينزل منهم أقوام الى جنب علم - وهو الجبل - ، فيواعدهم الى الغد ، فيبيتهم الله - وهو أخذ العذاب ليلا - ويمسخ منهم آخرين ، كما في حديث أبي داود كما في الحديث

(*) تابع لما نشر من كتاب الاعتصام في ص ٦٧٣ ج ٩ وهو تمة بحث النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في العاديات (١) الرواية المشهورة بمهملتين ، وسيأتي ذكر هذا اللفظ وتفسيره في حديث

آخر في ص ٧٥٥

قبل : يخسف الله بهم الارض ويمسح منهم قرودة وخنازير . وكان الخسف هاهنا هو التبييت المذكور في الآخر ؛

وهذا نص في ان هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها حيث زعموا ان الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر ، وانما له اسم آخر إما النبيذ أو غيره ، وانما الخمر عصير العنب التي ، وهذا رأي طائفة من الكوفيين ، وقد ثبت ان كل مسكر خمر .

قال بعضهم: وانما أتى على هؤلاء حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم، ولم يلتفتوا الى وجود المعنى المحرم وثبوته — قل — : وهذه بعينها شبهة اليهود في استحلالهم اخذ الحيتان يوم الاخذ بما اوقعوها به يوم السبت في الشباك والحفائر من فعلهم يوم الجمعة حيث قالوا : ليس هذا بصيد ، ولا عمل يوم السبت ؛ وليس هذا باستباحة الشح^(١)

بل الذي يستحل الخمر زاعما (انه) ليس خمرًا مع علمه بان معناه معنى الخمر ومقصوده مقصود الخمر ، أفسد تأويلا ، من جهة أن أهل الكوفة من أكثر الناس قياسا ؛ فلئن كان من القياس ما هو حق ، فإن قياس الخمر المنبوذة على الخمر العصيرة من القياس في معنى الاصل ، وهو من القياس الجلي ؛ اذ ليس بينهما من الفرق ما يتوهم انه مؤثر في التحريم فاذا كان هؤلاء المذكورون في الحديث إنما شربوا الخمر استحلالا لها لما ظنوا ان المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ ، وظنوا ان لفظ الخمر لا يقع على غير عصير العنب النبي ، فشبهتهم في استحلال الخمر والمعاذ أظهر

(١) كذا ولعله «السبت» . والعبارة كلها مضطربة ليست سالمة من التحريف

بأنه أبيض الحرير (النساء) مطلقا ؛ وللرجال في بعض الاحوال ؛ فكذلك الغناء والدف قد أبيض في العرس ونحوه ، وأبيض منه الحداء وغيره ؛ وليس في هذا النوع من دلائل التحريم ما في الحر ؛ فظهر ذم الذين يخسف بهم ويمسخون ، إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم بطريق الحيلة ، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الاشياء .

وقد خرج ابن بطة عن الاوزاعي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الربا بالبيع » قال بعضهم : يعني العينة . وروي في استحلال الربا حديث رواه ابراهيم الحري عن ابي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اول دينكم نبوة ورحمة ، ثم ملك وجبرية ، ثم ملك عضوض يستحل فيه الحر والخز » يريد استحلال الفروج الحرام ، والحر بكسر الحاء المهملة والراء المخففة الفرج ، قالوا : ويشبه - والله اعلم - ان يراد بذلك ظهور استحلال نكاح المحلل ونحو ذلك بما يوجب استحلال الفروج المحرمة ؛ فان الامة لم يستحل احد منها الزنا الصريح ، ولم يرد بالاستحلال مجرد الفعل ، فان هذا لم يزل معمولاً في الناس ؛ ثم لفظ الاستحلال إنما يستعمل في الاصل فيمن اعتقد الشيء حلالا ، والواقع كذلك ؛ فان هذا الملك العضوض الذي كان بعد الملك والجبرية قد كان في اواخر عصر التابعين ، في تلك الازمان صار في اولي الامر من يفتي بنكاح المحلل ونحوه ، ولم يكن قبل ذلك من يفتي به اصلا .

ويؤيد ذلك انه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المشهور أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربا وشاهديه وكتابه والمحلل له .
وروى احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « ما ظهر في قوم الربا والزنا الا أحلوا بأنفسهم عقاب الله » فهذا
يشعر بأن التحليل من الزنا كما يشعر ان العينة من الربا .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً ومرفوعاً قال « يأتي
على الناس زمان يستحل فيه خمسة اشياء - : يستحلون الخمر باسماء يسمونها
بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالريبة ، والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » فان
الزيادة المذكورة اولا قد سنت ، واما السحت الذي هو العطية للوالي
والحاكم ونحوها باسم الهدية فهو ظاهر ، واستحلال القتل باسم الارهاب
الذي يسميه ولاية الظلم سياسة وابهة الملك ونحو ذلك فظاهر ايضا ،
وهو نوع من انواع شريعة القتل المخترعة . وقد وصف النبي صلى الله عليه
وسلم الخوارج بهذا النوع من الخصال فقال « ان من ضئضى هذا قوما
يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يقتلون اهل الاسلام ، ويدعون
اهل الاوثان ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ولعل
هؤلاء المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة رضي
الله عنه « يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً » الحديث . يدل عليه تفسير
الحسن قال : يصبح محرماً لدم اخيه وعرضه ويمسي مستحلاً ، الى آخره .
وقد وضع القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة الله وسنة رسوله
المتسمى بالمهدي المغربي الذي زعم انه المبشر به في الاحاديث ، فجعل القتل
عقاباً في ثمانية عشر صنفاً ذكرها : الكذب ، والمداينة ، واخذهم

ايضا بالقتل في ترك امتثال امر من يستمع أمره ، وبأيموه على ذلك ؛ وكان يعظمهم في كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب ، فان تمادى قتل ، وكل من لم يتأدب بما ادب به ضرب بالسوط المرة والمرة ، فان ظهر منه عناد في ترك امتثال الاوامر قتل ؛ ومن داهن على اخيه او أويه او من يكرم او المقدم عليه قتل . وكل من شك في عصمته قتل او شك في انه المهدي المبشر به ، وكل من خالف امره امر اصحابه فعروه ، فكان اكثر تاديبه القتل - كما ترى - كما انه كان من رأيه ان لا يصلى خلف امام او خطيب ياخذ أجرا على الامامة او الخطابة ، وكذلك لبس الثياب الرفيعة - وان كانت حلالا - فقد حكوا عنه قبل ان يستفحل امره انه ترك الصلاة خلف خطيب اغتمت بذلك السبب . فقدم خطيب آخر في ثياب حفيلة تبين التواضع - زعموا - ^(١) فترك الصلاة خلفه .

وكان من رأيه ترك الرأي واتباع مذاهب الظاهرية . قال العلماء : وهو بدعة ظهرت في الشريعة بعد المائتين . ومن رأيه ان التماذي على ذرة من الباطل كالتماذي على الباطل كله .

وذكر في كتاب الامامة انه هو الامام ، واصحابه هم الغرباء الذين قيل فيهم « بدئ الاسلام غريبا وسيمود غريبا كما بدئ » ، فطوبى للغرباء وقال في الكتاب المذكور : جاء الله بالمهدي وطاعته صافية تقية لم ير مثلها قبل ولا بعد ؛ وان به قامت السموات والارض ، وبه تقوم ، ولا

(١) كلمة « زعموا » جملة معترضة تؤذن بالبراءة مما يحكى عنهم . وأفصح منه ان يقال : بزعمهم . كما قال تعالى (فقالوا : هذا لله - بزعمهم - وهذا لشركائنا)

ضد له ولا مثل ولاندة ، انتهى . وكذب . فالمهدي عيسى عليه السلام .
وكان يأمرهم بلزوم الحزب بعد صلاة الصبح ، وبعد المغرب ،
قاصر المؤذنين اذا طلع الفجر ان ينادوا « اصبح والله احمد » إشعاراً بزعموا -
بان الفجر قد طلع لالزام الطاعة ، ولحضور الجماعة ، وللغد ، ولكل
ما يؤمرون به .

وله اختراعات وابتداعات غير ما ذكرنا ، وجميع ذلك الى ^(١) انه
قائل برأيه في العبادات والمعادات ، مع زعمه انه غير قائل بالرأي . وهو
التناقض بعينه ، فقد ظهر اذا جريان تلك الاشياء على الابتداع

*

وأما كون الزكاة مغرماً ، فالمغرم (ما) يلزم اداؤه من الديون ، والغرامات
كان الولاية يلزمونها الناس بشيء معلوم من غير نظر الى قلة مال الزكاة
أ . كثرته أو قصوره عن النصاب أو عدم قصوره ، بل يأخذونهم بها على
كل حال الى الموت ، وكون هذا بدعة ظاهر .

*

وأما ارتفاع الاصوات في المساجد فنشأ عن بدعة الجدال في
الدين ، فان من عادة قراءة العلم وإقراءه وسماعه وإسماعه أن يكون في
المساجد ، ومن آدابه أن لا ترفع فيه الاصوات في غير المساجد ، فما
ظنك به في المساجد ؟ فالجدال فيه زيادة الهوى ، فانه غير مشروع في
الاصل ، فقد جعل العلماء من عقائد الاسلام ترك المراءو الجدال في الدين ،
وهو الكلام فيما لم يأذن في الكلام فيه ، كالكلام في التشابهات من
(١) كذا في الاصل والمعنى المراد ان جميع ذلك يدل على انه قائل برأيه

الصفات والافعال وغيرها ، وكتشابهات القرآن ؛ ولاجل ذلك جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) الآية ، قال - « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وفي الحديث « ماضل قوم بعد هدى الأوتوا الجدل » وجاء عنه عليه السلام انه قال : « لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر » وعنه عليه السلام انه قال « ان القرآن يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا ببعضه ببعض ، ما علمتم منه فاقبلوه وما لم تعلموا منه فكلوه الى عالمه » وقال عليه السلام « اقرؤا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فيه فقوموا عنه » وخرج ابن وهب عن معاوية بن قره قال : اياكم والخصومات في الدين فانها تحبط الاعمال . وقال النخعي في قوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) قال : الجدل والخصومات في الدين .

وقال معن بن عيسى : انصرف مالك يوماً الى المسجد وهو متكى على يدي ، فلحقه رجل يقال له ابو الجديرة يتهم بالإرجاء ، فقال يا أبا عبد الله ! اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي . فقال له : احذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أريد الا الحق . اسمع مني ، فان كان صواباً فقل به أو فتكلم ؛ قال : فان غلبني ؟ قال : اتبعني . قال فان غلبتك ؟ قال اتبعتك ؛ قال : فان جاء رجل فكلمناه فقلنا ؟ قال : اتبعناه . فقال له مالك : يا عبد الله ! بعث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل . وقال عمر بن عبد العزيز : من جمل دينه عرضاً للخصومات اكثر التنقل . وقال مالك : ليس الجدل في الدين بشيء .

والكلام في ذم الجدال كثير . فاذا كان مذموماً فن جملة محمودا
وعده من العلوم النافعة باطلاق فقد ابتدع في الدين . ولما كان اتباع الهوى
أصل الابتداع لم يقدم صاحب الجدال أن يماري ويطلب الغلبة ، وذلك
مظنة رفع الاصوات .

فان قيل : عددت رفع الاصوات من فروع الجدال وخواصه وليس
كذلك ؛ فرفع الاصوات قد يكون في العلم ، ولذلك كره رفع الاصوات
في المسجد ، وان كان في العلم أو في غير العلم . قال ابن القاسم في المبسوط :
رأيت مالكا يعيب على أصحابه رفع أصواتهم في المسجد . وعلل ذلك محمد
ابن مسلمة بعلمتين : احدهما أنه يجب أن ينزه المسجد عن مثل هذا
لأنه مما امر بتعظيمه وتوقيره . والثانية انه مبني للصلاة ، وقد أمرنا أن
نأتيها وعلينا السكينة والوقار ، فأن يلزم ذلك في موضعها المتخذ لها أولى .
وروى مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى رجة بين ناحية المسجد
تسمى البطحاء^(١) وقال : من كان يريد أن يلفظ أو ينشد شعراً أو يرفع
صوته فليخرج الى هذه الرجة . فاذا كان كذلك ، فن أين يدل
ذم رفع الصوت في المسجد على الجدل المنهي عنه ؟

فالجواب من وجهين : (أحدهما) أن رفع الصوت من خواص
الجدل المذموم ، أعني في أكثر الامر دون الفلتات ، لان رفع الصوت
والخروج عن الاعتدال فيه ناشئ عن الهوى في الشيء المتكلم فيه .
وأقرب الكلام الخاص بالمسجد الى رفع الصوت الكلام فيما لم يؤذن فيه ،
وهو الجدال الذي نبه عليه الحديث المتقدم . وأيضاً لم يكثر الكلام جدا

في نوع من أنواع العلم في الزمان المتقدم الا في علم الكلام ، والى غرضه
تصويت سهام النقد والذم ؛ فهو اذاً هو . وقد روي عن عميرة ابن أبي
ناجية المصري انه رأى قوماً يتعارفون في المسجد وقد علت أصواتهم
فقال : هؤلاء قوم قد ملوا المباداة ، وأقبلوا على الكلام ، اللهم أمت عميرة .
فمات من عامه ذلك في الحج ؛ فرأى رجل في النوم قائلاً يقول : مات
في هذه الليلة نصف الناس . فعرفت تلك الليلة ، فجاء موت عميرة هذا .
(والثاني) انا لو سلمنا أن مجرد رفع الاصوات يدل على ما قلنا لكان
أيضاً من البدع اذا عد كآنه من الجائز في جميع أنواع العلم فصار معمولاً به
لاهي^(١) ولا يكف عنه مجرى البدع المحدثات^(٢) .

*

وأما تقديم الاحداث على غيرهم ؛ من^(٣) قبيل ما تقدم في كثرة
الجهال وقلة العلم ؛ كان ذلك التقديم في رتب العلم او غيره ، لان الحدث
ابداً او في غالب الامر يغزو لم يتحسك ، ولم يرتض في صناعته رياضة تبلغه
مبالغ الشيوخ الراسخين الاقدام في تلك الصناعة ؛ ولذلك قالوا في المثل :
وابن اللبون اذا ما لُرَّ في قرن لم يستطع صولة البُزل القناعيس
هذا ان حملنا الحدث على حداثة السن ، وهو نص في حديث ابن
مسعود رضي الله عنه ، فان حملناه على حداثة المهدي بالصناعة — ويحتمله
قوله « وكان زعيم القوم ارضهم » وقوله « وساد القبيلة فاستقم » وقوله

(١) الكلمة غير متبوعة في الاصل وتحتمل بالتصحيف والتحريف عدة احتمالات
(٢) كذا . ولعل أصله : فجرى مجرى البدع المحدثات (٣) لعل الاصل « فن »

« اذا اسند الامر الى غير اهله » فالمعنى فيها واحد - فان الحديث العهد بالشيء لا يبلغ مبالغ التقديم العهد فيه . ولذلك يحكى عن الشيخ ابي مدين انه سئل عن الاحداث الدين نهى شيوخ الصوفية عنهم ؛ فقال : الحدث الذي لم يستكمل الامر بعد ، وان كان ابن ثمانين سنة .

فاذا تقديم الاحداث على غيرهم ، من باب تقديم الجبال على غيرهم . ولذلك قال فيهم « سفهاء الاحلام » - وقال - يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم » الى آخره ؛ وهو منزل على الحديث الآخر في الخوارج « ان من ضئضى هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » الى آخر الحديث . يعنى انهم لم يتفقهوا فيه ، فهو في السننهم لا في قلوبهم .

*

واما لعن آخر هذه الامة اولها ؛ فظاهر مما ذكر العلماء عن بعض الفرق الضالة ؛ فان الكاملية من الشيعة كفرت الصحابة رضي الله عنهم حين لم يصرفوا الخلافة الى علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرت عليا رضي الله عنه حين لم يأخذ بحقه فيها .

واما ما دون ذلك مما يوقف فيه عند السبب ، فنقول موجود في الكتب ، وانما فعلوا ذلك لمذاهب سوء لهم رأوها فبنوا عليها ما يضاهاها من السوء والفحشاء ، فلذلك عدوا من فرق اهل البدع

قال مصعب الزيري وابن نافع : دخل هارون (يعنى الرشيد) المسجد فركع ، ثم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، ثم اتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . ثم قال لمالك : هل لمن سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفبي حق ؟ قال لا ؛

ولا كرامة ولا مسرة . قال : من اين قلت ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل (لينظيهم الكفار) فمن عابهم فهو كافر ، ولا حق لكافر في النفي . واحتج مرة اخرى في ذلك بقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) الى آخر الآيات الثلاث - قال - فهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وانصاره ، (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) فمن عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه . وفي فعل خواص الفرق من هذا المعنى كثير .

*

واما بعث الدجالين ؛ فقد كان ذلك جملة ، منهم من تقدم في زمان بني العباس وغيرهم . ومنهم معدة ^(١) من العبيدية الذين ملكوا افريقية ؛ فقد حكى عنه انه جعل المؤذن يقول : اشهد ان معدة رسول الله . عوضا من كلمة الحق « اشهد ان محمدا رسول الله » فهم المسلمون بقتله ثم رفعوه الى معد ليروا هل هذا عن امره ، فلما انتهى كلامهم اليه ، قال : اُردُّذ عليهم اذانهم لعنهم الله .

ومن يدعي لنفسه العصمة ؛ فهو شبه من يدعي النبوة . ومن يزعم انه به قامت السموات والارض فقد جاوز دعوى النبوة ، وهو المغربي المتسمى بالمهدي .

وقد كان في الزمان القريب رجل يقال له الفاراسي ادعى النبوة واستظهر عليها بامور موهبة للكرامات ، والاخبار بالمغيبات ، ومخيلة

لخوارق العادات ؛ تبعه على ذلك من العوام جملة ؛ ولقد سمعت بمض
 طلبة ذلك البلد الذي اختله هذا الباس — وهو ما لقة — آخذا ينظر
 في قوله تعالى (وخاتم النبيين) وهل يمكن تأويله ؛ وجعل يطرق اليه
 الاحتمالات ، ليسوغ امكان بعث نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وكان
 مقتل هذا المفترى على يد شيخ شيوخنا ابي جعفر ابن الزبير رحمه الله .
 ولقد حكى بعض مؤلفي الوقت قال : حدثني شيخنا ابو الحسن
 ابن الجياب ، قال : لما امر بالتأهب يوم قتله وهو في السجن الذي اخرج
 منه الى مصرعه جهر بتلاوة سورة يس ، فقال له احد الذعرة ممن جمع
 السجن بينهما : اقرأ قرآنك ، لاي شيء تفضل على قرآننا اليوم ؛ او
 في معنى هذا . فتركها مثلاً بلوذعيته .

*

واما مفارقة الجماعة ، فبدعتها ظاهرة ؛ ولذلك يجازى ^(١) بالميتة
 الجاهلية . وقد ظهر في الخوارج وغيرهم ممن سلك مسلكهم كالعبيدية
 واشباههم

فهذا ايضا من جملة ما اشتملت عليه تلك الاحاديث . وباقي الخصال
 المذكورة عائد الى نحو آخر ككثرة النساء وقلة الرجال ، وتناول الناس
 في البنيان ، وتقارب الزمان .

فالخلاص ان اكثر الحوادث التي اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم
 من انها تقع وتظهر وتنتشر امور مبتدعة على مضاهاة التشريع ، لكن
 من جهة التعبد لا من جهة كونها عادية ؛ وهو الفرق بين المعصية التي

(١) أي يجازى مفارقها . ولعل الفاعل قد سقط من الاصل بسو الناسخ

هي بدعة ، والمعصية التي هي ليست بدعة . وإن العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها ، ومن حيث يتمد بها أو توسع وضع التعبد تدخلها البدعة ؛ وحصل بذلك اتفاق القولين ، وصار المذهبان مذهباً واحداً ، وبالله التوفيق

فصل

فان قيل : اما الابتداع بمعنى انه نوع من التشريع على وجه التعبد في العاديات من حيث (هو) توقيت معلوم معقول ؛ فايحابه أو إجازته بالرأي - كما تقدم - من أمثلة بدع الخوارج ومن داناهم من الفرق الخارجة عن الجادة ، فظاهر .^(١) ومن ذلك القول بالتحسين والتقيح العقلي ، والقول بترك العمل بخبر الواحد ، وما اشبه ذلك . فالقول بأنه بدعة قد تبين وجهه والتضح مغراه

وانما يبقى وجه آخر يشبهه وليس به ، وهو ان المعاصي والمنكرات والمكروهات قد تظهر وتفسو ويجري العمل بها بين الناس على وجه لا يقع لها انكار من خاص ولا عام ، فإكان منها هذا شأنه : هل يعد مثله بدعة أم لا ؟

فالجواب : ان مثل هذه المسئلة لها نظران (احدهما) نظر من حيث وقوعها عملاً واعتقاداً في الاصل ، فلا شك انها مخالفة لا بدعة ، اذ ليس من شرط كون المنوع والمكروه غير بدعة أن لا ينشرها ولا يظهرها

(١) قوله « فظاهر » جواب « أما الابتداع » في اول الفصل . وما بينهما اعتراض ، وقوله فيه « فايحابه » مبتدأ خبره « من أمثلة بدع الخوارج » وفي الكلام تعقيد معنوي ظاهر

أنه ليس من شرط ان تنشر ، بل لا تزول المخالفة ظهرت اولاً ، واشتهرت
 ام لا ؛ وكذلك دوام العمل او عدم دوامه لا يؤثر في واحدة منهما ،
 والمبتدع قد يقام عن بدعة ، والمخالف قد يدوم على مخالفته الى الموت -
 عياذا بالله .

(والثاني) نظر من جهة ما يقترن من خارج ؛ فالقرائن قد تقترن ؛
 فتكون سبباً في مفسدة حالية ، وفي مفسدة مالية كلاهما راجع الى
 اعتقاد البدعة .

اما الحالية فبأمرين : الاول ان يعمل بها الخواص من الناس عموماً ،
 وخاصة العلماء خصوصاً ، وتظهر من جهتهم . وهذه مفسدة في الاسلام
 ينشأ عنها عادة من جهة العوام استسهالها واستجازتها ، لان العالم المنتصب
 مفتياً للناس بمعله كما هو مفت بقوله . فاذا نظر الناس اليه وهو يعمل بأمره
 هو مخالفة ^(١) حصل في اعتقادهم جوازه ، ويقولون : لو كان ممنوعاً
 أو مكروهاً لامتنع منه العالم . هذا وان نص على منعه أو كراهته ، فان عمله
 معارض لقوله ؛ فإما أن يقول العامي : ان العالم خالف بذلك ، ويجوز عليه
 مثل ذلك . وهم عقلاء الناس وهم الاقلون . وإما أن يقول : انه وجد فيه
 رخصة فانه لو كان كما قال لم (يات) به فيرجع بين قوله وفعله . والفعل أغاب
 من القول في جهة التأسي — كما تبين في كتاب الموافقات — فيعمل
 العامي بعمل العالم تحسباً للظن به فيعتقده جائزاً ، وهؤلاء هم الاكثرون .
 فقد صار عمل العالم عند العامي حجة ، كما كان قوله حجة على

(١) كذا في الاصل . وهو تحريف ظاهر ، والمعنى مفهوم من تقرينة وهو :
 فاذا نظر اليه الناس يعمل . يأمر هو بمخالفته أي بتركه حصل في اعتقادهم جوازه .

الاطلاق والعموم في الفتيا ، فاجتمع على العملي العمل مع اعتقاد الجواز
بشبهة دليل ، وهذا عين البدعة

بل قد وقع مثل هذا في طائفة ممن تميز عن العامة بانتصاب في رتبة
العلماء ، فعملوا العمل ببدعة الدعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات ، وقراءة
الحزب ، حجة في جواز العمل بالبدع في الجملة ، وإن منها ما هو حسن ؛
وكان منهم من ارتسم في طريقة التصوف فأجاز التعبد لله بالعبادات
المبتدعة ، واحتج بالحزب والدعاء بعد الصلاة - كما تقدم -

ومنها من اعتقد أنه ما عمل به الاستند ، فوضعه في كتاب وجعله
فقهاً كـ بعض أماريد الرس ممن قيد على الامة ابن زيد .

وأصل جميع ذلك سكوت الخواص عن البيان ، والعمل به على النفلة ،
ومن هنا تستشنع زلة العالم ، فقد قالوا : ثلاث تهدم الدين - زلة العالم ،
وجدل منافق بالقرآن ، وأئمة ضالون .

وكل ذلك عائد وباله على عالم^(١) وزله المذكور عند العلماء يحتمل
وجهين : (أحدهما) زله في النظر حتى يفتي بما خالف الكتاب والسنة
فيتابع عليه ، وذلك الفتيا بالقول . والثاني زله في العمل بالمخالفات ،
فيتابع عليها أيضاً على التأويل المذكور ، وهو في الاعتبار قائم مقام الفتيا
بالقول ، إذ قد علم أنه متبع ومنظور إليه ، وهو مع ذلك يظهر بقوله
ما ينهي عنه الشارح ، فكأنه مفت به - على ما تقرر في الاصول -

والثاني من قسمي المفسدة الحالية أن يعمل بها العوام وتشيع فيهم
نظر فلا ينكرها الخواص ولا يرفمون لها رؤسهم^(٢) قادرون على

(١) كذا ولعل اصله « على العالم » بفتح اللام على حد قولهم : إذا زل العالم
(٢) « زل العالم » بالفتح (٢) سقط من هنا كلمة بما كانت « وهم »

الانكار فلم يفعلوا ، فالعالمى من شأنه اذا رأى أمراً مجهول حكمه يعمل
العامل به فلا ينكر عليه ، اعتقداً أنه جائز وأنه حسن أو أنه مشروع ؛ بخلاف
ما اذا أنكر عليه فإنه يعتقد أنه حيب ، أو أنه غير مشروع (أو) أنه
ليس من فعل المسلمين . هذا أمر يلزم من ليس بعالم بالشريعة ، لان
مستنده الخواص والعلماء في الجائز مع غير الجائز .

فاذا عدم الانكار ممن شأنه الانكار ، مع ظهور العمل وانتشاره
وعدم خوف المنكر ووجود القدرة عليه ، فلم يفعل ؛ دل عند العوام أنه
فعل جائز لا حرج فيه ، فنشأ فيه هذا الاعتقاد الفاسد بتأويل يقنع بمثله
من العوام^(١) فصارت المخالفة بدعة - كما في القسم الاول -

وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي عليه الصلاة
والسلام ؛ والعلماء وريثة الانبياء ؛ فيكفي ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل
على الاحكام بقوله وفعله واقاراره ، كذلك وارثه يدل على الاحكام
بقوله وفعله واقاراره . واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من
الامور المنهي عنها فلم ينظرها العلماء ، أو عملوا بها فصارت بعد سننا
ومشروعات ، كزيادتهم مع الاذان «أصبح والله الحمد» والوضوء للصلاة ،
«تأهبوا» ، ودعاء المؤذنين بالليل في الصوامع ؛ وربما احتجوا ذلك بعض
الناس بما وضع في نوازل ابن سهل غفلة عما عليه فيه^(٢) وقد قيدنا في
ذلك جزءاً مفرداً فن أراد الشفاء في المسئلة فعليه به ، وبالله التوفيق .

(١) كذا ولعل الاصل « من كان من العوام » (٢) لعل الاصل « وربما
احتجوا على ذلك بما يفعله بعض الناس وبما وضع في نوازل ابن سهل غفلة عما
أخذ عليه فيه » أو أن في الكلام حذفاً غير ما ذكر تصح به العبارة

وخرج أبو داود قال : اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها ، فقليل : انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضاً . فلم يعجبه ذلك ؛ - قال - فذكر له انقمع ، يعني الشبور ، وفي رواية شبور اليهود فلم يعجبه ؛ وقال « هو من أمر اليهود » قال : فذكر له النافوس ، فقال - هو من أمر النصارى - فأنصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأري الاذان في منامه - إلى آخر الحديث .

وفي مسلم عن أنس بن مالك أنه قال : ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه ، فذكروا أن ينوروا ناراً ، أو يضربوا ناقوساً^(١) فأمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الإقامة . وانقمع والشبور - هو البوق - وهو القرن الذي وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما . فأنت ترى كيف كره النبي صلى الله عليه وسلم شأن الكفار فلم يعمل على موافقته . فكان ينبغي لمن اتسم بسمه العلم أن ينكر ما أحدث من ذلك في المساجد اعلاماً بالاوقات أو غير اعلام بها ؛ أما الارية فقد وضعت اعلاماً بالاوقات ، وذلك شائع في بلاد المغرب ، حتى أن الاذان معها قد صار في حكم التبع^(٢)

(١) يظهر انه قد سقط من هذا الموضع كلام بمعنى ما تقدم من الاعراض عن هذه الاشياء لانها سائر الملل السابقة ، وبما كان من اختيار الاذان ، ثم فرع عليه امر بلال بالفرقة بين الاذان والإقامة يجعله شفعاً وجعلها وتراً (٢) في بعض بلاد الشام يرفعون علماً من منارة الجامع الذي يكون فيه الموقت لأجل ان يراه المؤذنون من سائر المنارات فيؤذنون في وقت واحد ، وانما يكون ذلك في وقت الظهر والعصر والمغرب

وأما البوق فهو العلم في رمضان على غروب الشمس ودخول وقت الإفطار، ثم هو علم أيضاً بالمغرب والاندلس على وقت السحور ابتداءً وانتهاءً^(١) والحديث قد جمع علماً لا انتهاء نداء ابن أم مكتوم قال ابن شهاب: وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت.

وفي مسلم وإبي داود «لا يمنع أحدكم نداء بلال من سحوره فإنه يؤذن ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم» الحديث. فقد جعل اذان بلال لأن ينتبه النائم لما يحتاج إليه من سحوره وغيره؛ فالبوق ما شأنه؟ وقد كرهه عليه السلام، ومثله النار التي ترفع دائماً في اوقات الليل وبالعشاء والصبح في رمضان أيضاً، اعلاماً بدخوله، فتوقد في داخل المسجد ثم في وقت السحور، ثم ترفع في المنار اعلاماً بالوقت؛ والنار شعار الجوس في الاصل.

قال ابن العربي: أول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد — ملكهما الوالي امر الدين فكان محمد بن خالد حاجباً ويحيى وزيراً، ثم ابنه جعفر بن يحيى — قال — وكانوا باطنية يعتقدون آراء الفلاسفة، فاحبوا الجوسية، واتخذوا البخور في المساجد — وإنما تطيب بالخلوق — فزادوا التجمير^(٢) ويعمرونها بالنار منقولة حتى

(١) قد استبدلت المدافع في هذا العصر بالبوق (٢) قال بعض مؤرخين: إن البرامكة زينوا للرشد وضع الخضر في الكعبة المشرفة ليأس المشركين من ظهورهم في أعظم معايدهم، والناسر معبود الجوس. والظاهر أن البرامكة كانوا من رقباء جمعيات الجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب واعادة ملك للمجوس. وإنما فتنك بهم هارون الرشيد لأنه وقف على ذلك، اللهم

يحملوها عند الاندلس ببخورها ثابتة^(١) انتهى.

وحاصله ان النار ليس ايقادها في المساجد من شأن السلف الصالح ، ولا كانت مما تزين بها المساجد البتة ، ثم احدث التزين بها حتى صارت من جملة ما يعظم به رمضان ، واعتقد العامة هذا كما اعتقدوا طلب البوق في رمضان في المساجد ، حتى لقد سأل بعض عنه : اهو سنة ام لا ؟ ولا يشك احد ان غالب العوام يعتقدون ان مثل هذه الامور مشروعة على الجملة في المساجد ، وذلك بسبب ترك الخواص الانكار عليهم . وكذلك ايضا لما لم يتخذ النافوس للاعلام ، حاول الشيطان فيه بمكيدة أخرى ، فعلق بالمساجد واعتد به في جملة الآلات التي توقد عليها النيران وتزخرف بها المساجد ، زيادة الى زخرفتها بغير ذلك ، كما تزخرف الكنائس والبيع

ومثله ايقاد الشمع بعرفة ليلة الثامن : ذكر النوادي انها من البدع القبيحة ، وانها ضلالة فاحشة جمع فيها انواع من القباح - منها اضاعة اللال في غير وجهه ، ومنها اظهار شعائر المجوس ، ومنها اختلاط الرجال والنساء والشمع بينهم ووجوههم بارزة ، ومنها تقديم دخول عرفة قبل وقتها المشروع اه .

وقد ذكر الطرطوشي في ايقاد المساجد في رمضان بعض هذه الامور ، وذكر ايضا قباح سواها . فاين هذا كله من انكار مالك لتجنب المؤذن او ضربه الباب ليعلم بالفجر ، او وضع الرداء ؟ وهو اقرب مراما وأيسر خطبا من ان تنشأ بدع محدثات ، يعتقدوها العوام سننا بسبب

(١) كذا في الاصل ولعله قد سقط من الكلام شيء

سكوت العلماء والخواص عن الانكار وسبب عملهم بها .

*
* *

وأما المفسدة المالية فهي على فرض (١) ان يكون الناس عامين بحكم المخالفة ، وانها قد ينشأ الصغير على رؤيتها وظهورها ، ويدخل في الاسلام احد ممن يراها شائعة ذائعة فيعتقدونها جائزة او مشروعة . لان المخالفة اذا فشا في الناس فعلها من غير انكار ، لم يكن عند الجاهل بها فرق بينها وبين سائر المباحات او الطاعات .

وعندنا كراهية العلماء ان يكون الكفار صيارفة في اسواق المسلمين لعلمهم بالربا (٢) فكل من يره من العامة صيارف وتجار في اسواقنا من غير انكار يعتقد أن ذلك جائز كذلك ، وانت ترى ، مذهب مالك المعروف في بلادنا ان الحلي الموضوع من الذهب والفضة لا يجوز بيعه بجنسه الا وزنا بوزن ، ولا اعتبار بقيمة الصياغة اصلا (٣) والصاغة عندنا كلهم او غالبيتهم يتبايعون على ذلك ان يستفضلوا قيمة الصياغة او اجارتها ، ويعتقدون ان ذلك جائز لهم ، ولم يزل العلماء من السلف الصالح ومن بعدهم يتحفظون من أمثال هذه الاشياء ، حتى كانوا يتركون السنن خوفا من اعتقاد العوام أصرا هو اشد من ترك السنن ، وأولى أن يتركوا المباحات أن لا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع - وقد صر بيان هذا في باب البيان من كتاب الموافقات . فقد ذكروا ان عثمان رضي الله عنه كان لا يقصر في السفر (١) قوله « على فرض » ظرف خبر قوله « فهي » والجملة من المبتدأ والخبر خبر قوله « وأما المفسدة المالية » (٢) لعل اصله : لعلمهم أو لتعلمهم بالربا (٣) في كتاب أعلام الموقعين للمحقق ابن القيم بيان وتحقيق لا اعتبار بقيمة الصياغة وجواز بيع الحلي بأكثر من زنته لاجل ذلك

فيقال له : أليس قد قصرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول بلى ولكنني إمام الناس فينظر إلى الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين فيقولون : هكذا فرضت .^(١)

قال الطرطوشي : تأملوا رحمكم الله : فإن في القصر قولين لاهل الاسلام — منهم من يقول : فريضة . وإن أتم فأنما يتم ويعيد أبداً ، ومنهم من يقول : سنة . يعيد من أتم في الوقت . ثم افتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة أن يمتقد الناس أن الفرض ركعتان .

وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يضحون (يعني أنهم لا يلزمون^(٢)) قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان مخافة أن يرى أنها واجبة . وقال بلال : لا أبالي أن أضحي بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الاضحية ، ويقول لعكرمة : من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : اني لا ترك أضحيتي -- واني لمن أسركم -- مخافة أن يظن أنها واجبة . وقال طارس : ما رأيت بيتاً أكثر لحماً وخبزاً وعسلًا من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ، ثم لا يذبح يوم العيد ، وإنما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة . وكان اماماً يقتدى به .

قال الطرطوشي : والقول في هذا كالذي قبله ، وإن لاهل الاسلام قولين في الاضحية أحدهما سنة والثاني واجبة . ثم اقتحمت الصحابة

(١) تقدم ذكر هذه المسألة مع تنبيه في الحاشية على ما أجابوا به عن عثمان فيها

(٢) لعل المتعول وهو « الاضحية » سقط من قلم الناسخ

ترك السنة حذرا من أن يضع الناس الامر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة .

قال مالك في الموطأ في صيام ستة بعد الفطر من رمضان : انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقهاء يصومها — قال — ولم يباغي ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجهالة والجناء برمضان ما ليس منه لو رأوا في ذلك رخصة من أهل العلم ، ورأوهم يقولون ذلك . فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لعل كلامه مشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وان كان مستحبا في الاصل ؛ لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في الأضحية ، وعثمان في الاتمام في السفر . وحكي الماوردي ما هو أغرب من هذا وان كان هو الاصل ؛ فذكر ان الناس كانوا اذا صلوا في الصحن من جامع البصرة أو الطرقة ورفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب ، كأنه كان مفروشا بالتراب ، فأمر زياد بإلقاء الحصا في صحن المسجد ، وقال : لست آمن من أن يطول الزمان فيظن الصغير اذا نشأ ان مسح الجبهة من أثر السجود سنة في الصلاة . وهذا في مباح ؛ فكيف به في المكروه والمنوع ؟ . ولقد بلغتني في هذا الزمان عن بعض من هو حديث عهد بالاسلام أنه قال في الحرم : ليست بحرام ولا عيب فيها ؛ وانما العيب أن يفعل بها ما لا يصلح كالقتل وشبهه . وهذا الاعتقاد لو كان من نشأ في الاسلام كان كفرا ، لانه انكار لما علم من دين الأمة ضرورة ؛ وبسبب ذلك ترك الانكار من الولاة على شاربها ، والتخليفة بينهم وبين اقتنائها ، وشهرته

بجارية أهل الذمة فيها ^(١) وأشباه ذلك .

ولا معنى للبدعة الا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروعاً وليس بمشروع . وهذا الحال متوقع أو واقع . فقد حكى القرافي عن المعجم ما يقتضي أن ستة الايام من شوال ملحقة عندهم بربضان ، لا بقائهم حالة رمضان الخاصة به كما هي الى تمام الستة الايام . وكذلك وقع عندنا مثله ؛ - وقد مر في الباب الاول -

وجميع هذا منوط ائمه بمن يترك الانكار من العلماء أو غيرهم ، أو من يعمل ببعضها بمرأى من الناس أو في مواقعهم ؛ فانهم الاصل في انتشار هذه الاعتقادات في المعاصي أو غيرها .

واذا تقرر هذا فالبدعة تنشأ عن أربعة أوجه (أحدها) - وهو أظهر الاقسام - أن يخترعها المبتدع . (والثاني) أن يعمل بها العالم على وجه المخالفة فيفهمها الجاهل مشروعة (والثالث) أن يعمل بها الجاهل مع سكوت العالم عن الانكار وهو قادر عليه ، فيفهم الجاهل أنها ليست بمخالفة . (والرابع) من باب الذرائع ، وهي أن يكون العمل في أصله معروفاً ، الا أنه يتبدل الاعتقاد فيه مع طول العهد بالذكري .

الا أن هذه الاقسام ليست على وزان واحد ، ولا يقع اسم البدعة عليها بالتواطئ ، بل هي في القرب والبعد على تفاوت . فالاول هو الحقيق

(١) ينظر ما مراده بهذه الجملة . والظاهر أنه كان لاهل الذمة في الاندلس حارات يسكنونها وحدهم أو يكثرون فيها وان الحمر كانت تباع فيها . كما هي الحال في بعض بلاد المسلمين بالشرق

باسم البدعة ، فإنها تؤخذ علة بالنص عليها ، ويليه القسم الثاني ، فان العمل يشبهه التنصيص بالقول ؛ بل قد يكون أبلغ منه في مواضع - كما تبين في الاصول - غير أنه لا ينزل هاهنا من كل وجه منزلة الدليل أن العالم قد يعمل وينص على قبح عمله . ولذلك قالوا لا تنظر الى عمل العالم ولكن سله يصدقك . وقال الخليل بن أحمد أو غيره :

اعمل بعلمي ولا تنظر الى عملي

ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

ويليه القسم الثالث ، فان ترك الانكار ، - مع أن رتبة المنكر رتبة من يعد ذلك منه اقرار ، - يقتضي أن الفعل غير منكور ، ولكن ينزل منزلة ما قبله ، لان الصوارف للقدرة كثيرة ، قد يكون الترك لعذر بخلاف الفعل ، فانه لا عذر في فعل الانسان بالمخالفة ، مع علمه بكونها

ويليه القسم الرابع ، لان المحذور الحالي فيما تقدم غير واقع فيه رض ، فلا تبلغ المفسدة المتوقعة أن تساوي رتبة الوانعة أصلا ، فلذلك كانت من باب الذرائع ، فهي اذا لم تبلغ أن تكون في الحال بدعة ، فلا تدخل بهذا النظر تحت حقيقة البدعة .

وأما القسم الثاني والثالث فالمخالفة فيه بالذات ، والبدعة من خارج ، الا أنها لازمة لزوما عاديا ، ولزوم الثاني أقوى من لزوم الثالث . والله أعلم .

فصل*

ومن منازل « اياك نميد واياك نستمين منزلة التعظيم »

وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب ، وأعرف الناس به اشدّهم له تعظيما واحلالا ، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظّمته ، ولا عرفه حق معرفته ، ولا وصفه حق صفته . واقولهم تدور على هذا . وقال تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقارا » قال ابن عباس وبجاهد : لا ترجون لله عظمة ، وقال سميد بن جبير : ما لكم لا تعظمون الله حق عظّمته ؟ وقال الكلبي : لا تخافون الله عظمة . قال البغوي : والرجاء بمعنى الخوف ، والوقار العظمة اسم من التوقير ، وهو التعظيم وقال الحسن : لا تعرفون الله حقا ، ولا تشكرون له نعمة . وقال ابن كيسان . لا ترجون في عبادة الله ان يبيدكم على توقيركم اياه خيرا . وروح العبادة هو الاجلال والمحبة ، فاذا خلى احدهما عن الآخر فسدت العبودية ، فاذا اقترن بهذين الناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد ، والله سبحانه اعلم

فصل

قال صاحب المنازل رحمه الله « التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على

ثلاث درجات : الاولى تعظيم الامر والنهي ، وان لا يمارضا بترخص جاف ، ولا يمارضا لتشدد غال ، ولا يحمله على علة توهن الاقياد) هاهنا ثلاثة اشياء تنافي تعظيم الامر والنهي (احدها) الترخص الذي يحفو به صاحبه عن كمال الامثال (والثاني) الفلو الذي يتجاوز به صاحبه حدود الامر والنهي ، فالاول تفريط والثاني افراط . وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان ، إما الى تفريط وإضاعة ، وإما الى افراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والجافي فيه ، كالوادي بين الجبلين ،

(* منقول من الجزء الثاني من مدارج السالكين

والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميين . وكما ان الجافي عن الامر مضيق له ، فالغالي فيه مضيق له ، هذا بتهذيبه عن الحد ، وهذا بتجاوزه عن الحد وقد سمى الله عن الغلو بقوله (قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) والغلو نوعان نوع يخرج عن كونه مطيعا ، كمن زاد في الصلاة ركعة ، او صام الدهر مع ايام النهي ، اورمى الجرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنق ، او سمى بين الصفا والمروة عشرا ، أو نحو ذلك عمدا . وغلو يخاف منه الاقطاع والاستحسار ، كقيام الليل كله ، وسرد الصيام الدهر اجمع بدون صوم ايام النهي ، والجور على النفوس في العبادات والاوارد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا ويسروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » يعني استعينوا على طاعة الله بالاعمال في هذه الاوقات الثلاثة فان المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها ، وقال « ليصل احدكم نشاطه فاذا فتر فليبرقه » رواها البخاري . وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « هلك المتعطلون » قالوا ثلاثا - وهم المتعطلون المتدبرون وفي صحيح البخاري عنه « عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فوالله لا يعمل الله حتى تغلوا » وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله » او كما قال

واما قوله « ولا يحملوا على علة توهم الانقياد » يريد ان لا يتأول في الامر والنهي علة تعود عليه بالابطال ، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بانه مملئ بافئاع المداوة والبغضاء والتعرض للفساد ، فاذا أمن من هذا المحدث منه جاز شر به ، كما قيل :

أدرها فما التحريم فيها لذاتها ولكن لاسباب تضمنها السكر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى فسيان ماء في الزجاجة أو خمر

وقد بلغ هذا بأقوام الى الانسلاخ من الدين جملة ، وقد حمل طائفة من العلماء أن جعلوا تحريم ماعدا شراب الخنزير مغللا بالاسكاز ، فله أن يشرب منه ما لم يسكر

ومن الغال التي توهم الانقياد أن يغلل الحكم بعلة ضيقة لم تكن هي الباعثة

عليه في نفس الامر فيضمد انقياده اذا قام عنده ان هذه هي علة الحكم ، ولهذا طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشية هذا المحذور . وفي بعض الآثار القديمة « يا بني اسرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا ولكن قولوا بهم أمر ربنا » وأيضاً فإنه اذا لم يمثل الامر حتى تظهر له علته لم يكن منقادا للامر ، وأقل درجاته أن يضمف انقياده له ، وأيضاً فإنه اذا نظر الى حكم العبادات والتكاليف مثلاً (١) وجعل العلة فيها هي جمعية القلب والاقبال به على الله فقال : أنا اشتغل بالمقصود عن الوسيلة ، فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراد العبادات فعطاه ، وترك الانقياد بحمله الامر على العلة التي اذهبت انقياده ، وكل هذا من ترك تعظيم الامر والنهي ، وقد دخل من هذا الفساد على كثير من الطوائف مالا يعلمه الا الله ، فما بدري ما أوهنت لعلل الفاسدة من الانقياد الا الله ، وكم عطأت لله من أمر ، وأباحت من نهي وحرمت من مباح ! وهي التي اتفقت كلمة السلف على ذمها

فصل

قال في الدرجة الثانية تعظيم الحكم أن لا يبغي له عوج ، أو يدافع به لم أو يرضى بعض . الدرجة الاولى تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي ، وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري ، وهو الذي يخصه المصنف باسم الحكم ، وكما يجب على المبد أن يرى حكم الله الديني بالتعظيم فكذلك يرعى حكمه الكوني به ، فذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء (أحدها) « أن لا يبغي له عوج ، أي يطلب له عوج أو يرى فيه عوج بل يرى كله مستقيماً ، لانه صادر عن عين الحكمة فلا عوج فيه ، وهذا موضع أشكل على الناس جداً . فقالت نفاة القدر : ما في خلق الرحمن من تفاوت ولا عوج ، والكفر والمعاصي مشتملة على أعظم التناوت والموج ، فليست بخلقه ولا مشيئته ولا قدره . وقالت فرقة تقابلهم : بل هي من خلق الرحمن وقدره ، فلا عوج فيها وكل ما في الوجود مستقيم . والطائفتان منحرفتان عن الهدى . وهذه الثانية أشد انحرافاً ، لأنها جعلت الكفر

مستقيماً لا عوج فيه، وعدم تفرق الطائفتين بين القضاء والمقضي والحكم والمحكوم به هو الذي أوقعهم فيما أوقعهم فيه

وقول سلف الأمة وجهورها أن القضاء غير المقضي، فالقضاء فعله ومشيتته وما قام به، والمقضي مفعوله المبين له الانفصل عنه، وهو المشتمل على الخير والشر والعوج والاستقامة، فقضاؤه كله حق، والمقضي منه حق ومنه باطل. وقضاؤه كله عدل، والمقضي منه عدل ومنه جور، وقضاؤه كله مرضي، والمقضي منه مرضي ومنه مسخوط. وقضاؤه كله مسلم، والمقضي منه ما يسلم ومنه ما يجارب

وهذا أصل عظيم يجب مراعاته، وهو موضع مزلة أقدام كما رأيت، والمنحرف عنه اما جاحد للحكمة أو القدرة أو الامر والشرع ولا بد، وعلى هذا يحمل كلام صاحب المنازل رحمه الله، أي لا يتنحى للحكم عوج.

وأما قوله «أو يدفع بلم» فأشكل من الاول، فإن العلم مقدم على القدر وحكم عليه، ولا يجوز دفع العلم بالحكم. فأحسن ما يحمل عليه كلامه أن يقال: قضاء الله وقدره وحكمه الكوني، لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني، بحيث تقع المدافعة بينهما، لأن هذا مشيئته الكونية وهذا ارادته الدينية. وإن كان المراد أن قد يتدافعان ويتعارضان، لكن من تعظيم كل منهما أن لا يدافع بالآخر ويعارض، فأنهما وصفان للرب تعالى، وأوصافه لا يدفع بعضها ببعض، وإن استعيز ببعضها من بعض. فالكل منه سبحانه وهو المعيد من نفسه بنفسه، كما قال أعلم الخلق به «أعوذ برضاك من سخطك»، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» فرضاؤه وإن أعاد من سخطه فإنه لا يخطئه و(لا) يدفعه، وإنما يدفع تعلقه بالمستعيز، وتعلقه بأعدائه باق غير زائل، فهكذا أمره وقدره سواء، فإن أمره لا يخطئه قدره، ولا قدره يخطئه أمره، ولكن يدفع ما قضاء وقدره بما أمر به وأجبه، وهو أيضا من قضاؤه، فإدفع قضاؤه لا يقضائه وأمره، فلم يدفع العلم بالحكم بل المحكوم به، والعلم والحكم دفعا المحكوم به الذي قدر دفعه وأمر به

فتأمل هذا فإنه محض العبودية والمعرفة والإيمان بالقدر والاستسلام له، والقيام بالامر والتنفيذ له بالقدر، فما نفذ المطيع أمر الله لا يقدر الله، ولا دفع مقدور

الله الا بقدر الله وأمره

وأما قوله « ولا يرضى بموض » أي ان صاحب مشهد الحكم قد وصل الى حد لا يطلب معه عوضا ولا يكون ممن يعبد الله بالموض ؟ فانه يشاهد جريان حكم الله عليه وعدم تصرفه في نفسه ، وان المتصرف فيه حقا مالكة الحق ، فهو الذي يقبضه ويقبضه ويقبضه ذات البين وذات الشال ، وانما يطلب الموض من غاب عن الحكم وذهل عنه ، وذلك مناف لتعظيمه ، فمن تعظيمه ان لا يرضى المبد بموض يطلبه بعمله ، لان مشاهدة الحكم وتعظيمه يمنعه ان يرى لنفسه ما يعاوض عليه ، فهذا الذي يمكن حل كلامه عليه من غير خروج عن حقيقة الامر . والله سبحانه أعلم

فصل

قال « الدرجة الثالثة تعظيم الحق سبحانه » وهو أن لا يجعل دونه سببا ، ولا يرى عليه حقا ، ولا ينزع له اختيارا » هذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه صاحب الخلق والامر ، والتي قبلها تتضمن تعظيم قضائه لا مقضيه ، والاولى تتضمن تعظيم أمره . وذكر من تعظيمه ثلاثة اشياء (أحدها) « ان لا يجعل (١) دونه سببا » أي لا يجعل للوصلة اليه سببا غيره ، بل هو الذي يوصل اليه عبده ، فلا يوصل الى الله لا الله ، ولا يقرب اليه سواء ، ولا أدلى اليه غيره ، ولا يتوصل الى رضاه إلا به ، فادل على الله الا الله ، ولا هدى اليه سواء ، ولا أدنى اليه غيره ، فانه سبحانه هو الذي جعل السبب سببا ، فالسبب وسببته وايضا ، كله خلقه وفعله (الثاني) أن لا يرى عليه حقا ، أي لا ترى لاحد من المخلوق لائك ولا لفيرك حقا على الله ، بل الحق لله على خلقه . وفي أثر اسرأيلي ان داود عليه السلام قال : يارب بحق آبائي عليك . فأوحى الله تعالى اليه : يا داود ! أي حق لا بآبائك علي ؟ ألسنت أنا الذي هديتهم ومننت عليهم واصطفيتهم ولي الحق عليهم ؟

(١) الظاهر ان نسخة الشارح بالخطاب وأن ذكر عبارة المتن وما يأتي من حكايتنا في الشرح بأفعال الغائب من تصرف التساخ

وأما حقوق العبد على الله تعالى من اثباته لمطاعهم وتوحيده على تائيدهم وإيجابته لساائلهم ، فذلك حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه بحكم وعده واحسانه ، لأنها حقوق أحقها هم عليه ، فالحق في الحقيقة لله على عبده ، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه جوده وبره واحسانه اليه بمحض جوده وكرمه . هذا قول أهل التوفيق والبصائر ، وهو وسط بين قولين منحرفين قد تقدم ذكرهما مرارا . والله أعلم

وأما قوله (١) «ولا ينازع له اختيار» أي اذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو أغيرك شيئا إماما بمره ودينه ، وإما بقضائه وقدره ، فلا تنازع اختياره ، بل ارض باختيار ما اختاره ، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه . ولا يرد عليه ما قدره عليه من المعاصي ، فإنه سبحانه وان قدرها لكنه لم يجرها له ، فبنازعها غير اختياره من عبده ، وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه . والله أعلم

(المنازل) هذا الكلام لا يسلم على إطلاقه بل له قيد لا بد منه . وقد سبق للمصنف تحقيقه فلذا اكتفى هنا بالإجمال . وإنما نحتاج الى القيد اذا أردنا بالاختيار متعلقه وهو ما اختاره الله لنا من الامور ، وهو المقضي والمقدر . كما هو المتبادر هنا . فهذا اذا كان شرا لنا كالأعراض والمظالم والفتن فإنه لا يشرع لنا ان نرضى به ، بل يجب ان نقاومه وندافع الاقدار بالاقدار ، كما قال عمر بن الخطاب باقرار جمهور من الصحابة (رض) عند ما فر من الشام ولم يدخلها لولاء فيها « نقر من قدر الله الى قدر الله » أما نفس اختيار الله تعالى الذي هو فعله فلا وجه لمنازعتة فيه ، ولا تردد في الرضا به وعدم الاعتراض عليه فيه . ولا فرق بين الذي قلناه آتفا - وقد سبق تقرير المصنف له - وبين ما قاله هنا آتفا في المعاصي ، ومسألة الاختيار مبهمة هنا ، فاختياره تعالى بالمعنى المصدري لا ينازع ولا يعارض مطلقا . وهو يتناول كل ما قضاه وقدره لأنه فعله ، وكل أفعاله اختيارية . فلا يمكن ان يقال أنه قدر المعاصي بغير اختيار منه . وأما الاختيار بالمعنى الحاصل بالمصدر أي ما اختاره سبحانه لعباده فهو قسمان أفعال وأحكام ، او خلق وأمر ، فأما أحكام دينه وأمره ونهيه فلا ينازع فيها بل تؤخذ بالرضاء والتسليم ، وأما أفعاله التي تقع بقدره وحسب سننه في خلقه وقسمان ، أحدها ما يوافق مصالح الناس ومنافعهم فيجب الرضاء بها مع الشكر عليها ، وثانيها ما لا يوافق مصالحهم ومنافعهم كالأعراض وبغدي بين الظالمين وطمعان المياه ، فهذه تنازع وتقاوم مع الصبر عليها .

(١) كان الظاهر أن يحكى هذا بالعدد فيقول : الثالث ان لا ينازع له اختيارا

أقوال علماء السلف الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

٢

﴿ احمد بن محمد بن حنبل شيخ الاسلام ﴾

رحمه الله ثراه ^(١) وجعل الجنة مشواه

المنقول عن هذا الامام في هذا الباب طيب كثير مبارك فيه ، فهو حامل لواء السنة ، والصابر في المحنة ، والمشهود بأنه من اهل الجنة ، فقد تواتر عنه تكفير من قال بخلق القرآن العظيم جل منزله ، واثبات الرؤية والصفات والمعلوم والقدر ، وتقديم الشيخين ، وان الايمان يزيد وينقص --- الى غير ذلك من عقود الديانة مما يطول شرحه ، فقال يوسف بن موسى القطان شيخ ابي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه .

وقال ابو طالب احمد بن حميد : سألت احمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم) فقال قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، قرأت عليه (ألم تر ان الله يعلم) فعلمه معهم . وقال في سورة ق (ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) فعلمه معهم .

قال المروذي قلت لأبي عبد الله : ان رجلا قال اقول كما قال الله

(١) كذا ولعل اصله طيب الله ثراه - أو - رحمه الله وطيب ثراه

(ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) اقول هذا ولا اجاوزه الى غيره.
فقال هذا كلام الجهمية بل علمه معهم ، فأول الآية يدل على انه علمه .
رواه ابن بطة في كتاب الاية عنه عن عمر بن محمد رجاء عن محمد بن داود
عن المروزي

وقال حنبل بن اسحاق قيل لابي عبد الله ما معنى (وهو معكم)؟ قال :
علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حدود لا صفة .

قال ابن ابي حاتم في كتاب مناهب الامام احمد : ثنا محمد بن مسلم
نا سلمة بن شديد قال كنت عند احمد بن حنبل ، فدخل عليه رجل
عليه اثر السفر فقال : من فيكم احمد بن حنبل ؟ فأشاروا الى احمد بن حنبل ،
فقال اني ضربت البر والبحر من أربع مائة فرسخ ، اتاني الخضر عليه
السلام فقال ائت احمد بن حنبل فقل له ان ساكن السماء راض عنك لما
بذلت نفسك في هذا الامر .

قال الاثرم قلت لابي عبد الله حدث حدث وانا عنده بحديث « يضمن
الرحمن فيها قدمه » وعنده غلام ، فأقبل على الغلام فقال ان لهذا تفسيراً .
فقال ابو عبد الله : انظر اليه كما تقول الجهمية سواء .

قال ابن ابي حاتم ثنا صالح بن احمد بن حنبل قال : سمعت ابي
يحتج بان القرآن غير مخلوق ، يقول قال تعالى (الرحمن علم القرآن)
فأخبر تعالى ان القرآن من علمه ، قال يعقوب الدورقي قال لي احمد : اللفظة
انما يدورون على كلام جهم ، يزعمون ان جبريل انما جاء بشيء مخلوق
﴿ اسحاق بن راهويه عالم خراسان ﴾

قال حرب بن اسماعيل الكرماني قلت لاسحاق بن راهويه قوله

تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) كيف تقول فيه ؟ قال
حيثما كنت فهو اقرب اليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه .
ثم ذكر عن ابن المبارك قوله : هو على عرشه ، بائن من خلقه . ثم قال
أعلى شيء في ذلك وايته قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) رواها
الخلال في السنة عن حرب

﴿ الحافظ أبو عوانة صاحب الصحيح ﴾

كان من كبار الحفاظ ، حمل عن أصحاب سفيان بن عيينة ووكيع . قال
الحاكم في ترجمته : سمع يحيى بن منصور القاضي يقول : سمعت أبا عوانة
رحمه الله يقول : دخلت على ابراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه فقلت
له : ما قولك في القرآن ؟ فقال كلام الله غير مخلوق . فقلت هلا قلت قبل
هذا قال : لم يزل هذا قولي وكرهت الكلام فيه لان الشافعي كان ينهى عن
الكلام فيه ، يعني البحث والجدال في ذلك

﴿ أبو الحسن الاشعري صاحب التصانيف ﴾

قال الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الاشعري البصري
المتكلم في كتابه الذي سماه (اختلاف المضايين ومقالات الاسلاميين)
فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم الى أن قال (ذكر مقالة
أهل السنة ، وأصحاب الحديث جملة) قولهم الاقرار بالله وما لا شك فيه
ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لا ردون من ذلك شيئاً ، وان الله على عرشه كما قال (الرحمن على
العرش استوى) وان له يدين بلا كيف كما قال « لما خلقت بيدي » وان

أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله علما كما قال « أنزله بعلمه » وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه » وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما تفته المعتزلة ، وقالوا : لا يكون في الارض من خير وشر الا ما شاء الله ، وان الاشياء تكون بمشيئته كما قال تعالى « وما نشاؤون الا أن يشاء الله » — الى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . ويصدقون بالحديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل مستغفر » كما جاء الحديث ، ويقولون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله يقرب من خلقه كيف يشاء قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) — الى أن قال : فهذا جملة ما يأترون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه نذهب ، وما توفيقنا الا بالله وذكر الاشعري في هذا الكتاب المذكور في باب (هل الباري تعالى في مكان دون مكان أم لا في مكان أم في كل مكان) فقال اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة : منها قال أهل السنة وأصحاب الحديث أنه ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه على العرش كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا تتقدم بين يدي الله بالقول ، بل نقول استوى بلا كيف ، وان له يدين كما قال (خلقت يدي) وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث

ثم قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى وتأولوا اليد بمعنى النعمة ، وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا وقال أبو الحسن الاشعري في (كتاب جمل المقالات) له — رأيت

بخط المحدث أبي علي بن شاذان — فسرده نحو من هذا الكلام في مقالة أصحاب الحديث تركت إيراد ألفاظه خوف الإطالة والمعنى واحد وقال الأشعري في كتاب «الإبانة في أصول الديانة» له في باب الاستواء: فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل نقول إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) — وقال — إليه يصعد الكلم الطيب — وقال — بل رفعه الله إليه — وقال حكاية عن فرعون — وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذب» كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات. وقال عز وجل «أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض» فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات وكل ما علا فهو سماء، وليس إذا قال «أأمنتم من في السماء» يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أنه ذكر السموات فقال «وجعل القمر فيهن نورا» ولم يرد أنه يعلأهن جميعا قال: ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش. وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى استوى استولى وملك وقهر، وأنه تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة. فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة لأنه قادر على كل شيء، والأرض (شيء) فإله قادر عليها وعلى الحشوش، وكذا لو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز

أن يقال هو مستوعب على الاشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : ان الله مستوعب على الاخلية والحشوش ، فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء . وذكر ادلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك

وكتاب الابانة من أشهر تصانيف أبي الحسن شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ، ونسخه بخطه الامام محي الدين النواوي ، ونقل الامام أبو بكر بن فورك المقالة المذكورة عن أصحاب الحديث عن أبي الحسن الاشعري في كتاب (المقالات والخلاف ، بين الاشعري وبين أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري) تأليف ابن فورك فقال : الفصل الاول في ذكر ما حكى أبو الحسن رضي الله عنه في كتاب المقالات من جمل مذاهب أصحاب الحديث ، وما أبان في آخره انه يقول بجميع ذلك . ثم سرد ابن فورك المقالة ببيتها ثم قال في آخرها : فهذا تحقيق لك من ألفاظه انه معتقد لهذه الاصول التي هي قواعد أصحاب الحديث وأساس توحيدهم

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي قرأت كتاب أبي الحسن الاشعري الموسومة بالابانة أدلة على اثبات الاستواء . قال في جملة ذلك : ومن دعاء أهل الاسلام اذا هم رغبوا الى الله يقولون : يا ساكن العرش . ومن حلقهم : لا والذي احتجب بسبع

وقال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في شكاية أهل السنة : ما تقموا من أبي الحسن الاشعري إلا أنه قال باثبات القدر ، واثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويده . وأن القرآن كلامه غير مخلوق

سمعت أبا علي الدقاق يقول سمعت زاهر بن أحمد الفقيه يقول : مات
الأشعري رحمه الله ورأسه في حجرى فكان يقول شيئا في حال نزعه :
لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا .

قال الحافظ الحجة أبو القاسم ابن عساكر في كتاب (تبين كذب
المتفري . فيما نسب إلى الأشعري) فإذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكر
عنه من حسن الاعتقاد ، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد ،
يوافقه في أكثر ما يذهب إليه كبار العباد ، ولا يقدر في مذهبه غير
أهل الجهل والعماد ، فلا بد أن يحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة ، ليعلم
حاله في صحة عقيدته في الديانة ، فاسمع ما ذكره في كتاب الإبانة ، فإنه
قال « الحمد لله الواحد ، العزيز الماجد ، المنفرد بالتوحيد ، المتمجد
بالتمجيد ، الذي لا تبلغه صفات العبيد ، وليس له مثل ولا نديد » فرد في
خطبه على المعتزلة والقدورية والجهمية والحورية والرافضة والمرجئة . فمرفونا
قولكم ^(١) الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي
به نقول ، وديانتنا التي بها ندين ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك
مقتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولن
خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان
الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج . وقع به المبتدعين . فرحمه
الله من امام مقدم . وكبير مفهم . وعلى جميع أئمة المسلمين . وجملة قولنا أن
نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله . ورواه الثقات عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا نرد من ذلك شيئا . وأن الله اله واحد
فرد صمد لا اله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله . وأن الجنة والنار حق .
وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . وأن الله
تعالى مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وأنه له
وجها كما قال (ويبقى وجه ربك) وأنه له يدين كما قال (بل يدها
مبسوطتان) وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) وأن من زعم
أن اسم الله غيره كان ضالا . وندين أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة
كما يرى القمر ليلة البدر . يراه المؤمنون — إلى أن قال : وندين بأنه
يقبب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه . وأنه يضم السموات
والارض على أصبع كما جاء في الحديث — إلى أن قال : وأنه يقرب من
خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب إليه من جبل الوريد) وكما قال (ثم
دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) ونرى مفارقة كل دأية إلى بدعة .
ومجانبة أهل الاهواء . وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي بابا بابا
وشينا شيئا .

ثم قال ابن عساكر : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد مأوضحه وأبينه !
واعترفوا بفضل هذا الامام الذي شرحه وبينه . وقال الحافظ بن عساكر :
وقال الامام أبو الحسن في كتابه الذي سماه « العمدة في الرؤية » :
« ألفنا كتابا كبيرا في الصفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية ، فيه
فنون كثيرة من الصفات في اثبات الوجه واليدين وفي استوائه على العرش
كان أبو الحسن أولا معتزليا أخذ عن أبي علي الجبائي . ثم نابذه ورد
عنه وصار متكهما للسنة . ووافق أئمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، وهو

ما سقناه عنه من أنه نقل اجماعهم على ذلك وأنه موافقهم . وكان يتوقد
ذكاه . أخذ علم الأرض الحافظ زكريا الساجي وتوفي سنة أربع وعشرين
وثلاثمائة وله أربع وستون سنة ، رحمه الله تعالى
فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها
لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا
خلف المنطق ، فلا قوة إلا بالله

﴿ ابن أبي زيد ﴾

قال الامام أبو محمد بن أبي زيد المغربي شيخ المالكية في أول رسالته
المشهورة في مذهب مالك الامام : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ،
وأنه في كل مكان بعلمه . وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي
شيبه وعثمان بن سعيد الدارمي . وكذلك أطلقها يحيى بن عمار وأعظ
سجستان في رسالته ، والحافظ أبو نصر الوائلي السجزي في كتاب الالبانة
له . فانه قال : وأثمتنا كاثورى ومالك والحمدان وابن عينة وابن المبارك
والفضيل وأحمد واسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن
علمه بكل مكان . وكذلك أطلقها ابن عبد البر كما سيأتي . وكذا عبارة
شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري ، فانه قال : وفي أخبار رشتي أن
الله في السماء السابعة على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو الحسن الكرجي
الشافعي في تلك القصيدة :

عقائدكم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالفرائد
وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين ابن الصلاح :
هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث

وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والمفتي عبد العزيز القحيطي وطائفة . والله تعالى خالق كل شيء بذاته ، ومدبر الخلاق بذاته ، بلامعين ولا موازر . وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش ، فهو كما قال ومعنا بالعلم وأنه على العرش كما أعلمنا حيث يقول (الرحمن على العرش استوى) وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمناه .

وبلا ريب أن فضول الكلام ، تركه من حسن الاسلام وكان ابن أبي زيد من العلماء العالمين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك الصغير ، وكان غاية في علم الاصول . وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المنفري » فيما نسب الى الاشعري » ولم يذكره وفاة . توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وقيل سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقد تقدموا عليه في قوله بذاته فليته تركها ^(١)

(١) لله در المؤلف ما اللطف تقدمه وانكاره لهذه الكلمة . وإنما تظن هذا التلطف لأن الهفوة من بعض علماء الاثر وأنصار مذهب السلف ، ولها قالها أحد المعتزلة لشنع عليه بأنه قال في أصول العقيدة ما لم يقله أحد من السلف ولا ورد به أثر ، ولا هو مما ثبت بالبرهان العقلي أيضاً . ولكن كثير من الاثريين مثل هذه الهفوات والشذوذ . يحشرون آراءهم في النصوص ويقررونها بها مع ادعائهم اتباع مذهب السلف وأنه التفويض والامساك عن تعيين المراد من آيات الصفات وأحاديثها . ونرى كثيراً من الناس يقبل منهم ذلك ويقول به ويعمد اتباعاً للسلف ولو بمعنى مخالفة الجهمية . ولا يستغرب مع هذا تسليمهم وقبولهم بعض الروايات المنكرة المخالفة للاحاديث الصحيحة كقول مجاهد أن الله تعالى يقعد النبي معه على العرش . كأن من قبله اكتفى بأن يخالف الجهمية في عدم قبول مثله وأن صحح الا بالتأويل . وقد تقدم بيان المصنف لنكارته ومخالفته للاحاديث الصحيحة مع ذكر من قبله ، ونقل آثاقنا عن الدارقطني أنه لا يجدهم ! على أن العقائد يطالب فيها القطع . وهذا لم يصل الى مرتبة الظن . وهناك مخالفة أخرى لطريقة السلف يشنها الغزالي =

باب المراسلة والمناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم
من انصاري الى الله

يا إخواني المسلمين ! رحمكم الله وحماكم ، وحفظكم ونجاكم ، ان بعض سكان بلدانكم المحروسة قد سمع حالاني وعرفها ، واني أرى ان أذكر لكم بما أنا عليه لازدياد المعرفة --- اني جئت من الهند من مدة تزيد على ستة ونصف الى لندرة ، واطلعت على حالات أهلها في صولهم على ديننا الحق ، تكذرت جداً لانهم يقدمونه بين يدي الناس بوجوه ردية لينفروهم عن القرب اليه ، وذلك بنقلهم الى السفينة --- والى السكدر معينه --- والى الظلمات نوره --- والى الاخرة قصوره . فهذه بليّة عظيمة على ديننا الاسلام ما سمع نظيرها من قبل . وما وجد مثلها في الاولين . فلما رأيت ذلك عذمت على أن اشمر الذيل لاشاعة التدين القويم ، واعلاء كلمة الحق ، وما اتوفيق الا بالله --- فالحمد لله ثم الحمد لله ، ما انصرفت سنة كاملة الا ورأيت التوجه الى ديننا الاسلام . وذلك فضل الله - ان الله على كل شيء قدير --- فانكم قد سمعتم دخول لورد هيدلي في الاسلام ، وغيره أيضاً من الرجال --- في « إلهام العوام عن علم الكلام » وهي جمع معاني الآيات والاحاديث الواردة في الصفات بترتيب لم يرد في الكتاب والسنة بحيث يفيد الجمع معنى غير معنى الايمان بكل منها مع التنزيه عن الكيفية : كأن تلقن العامي عقيدته بمثل قولك : يجب أن يؤمن بأن الله تعالى وجهها وعينين ويدين وقدمين وانه ينزل ويمشي ويهرول ويضحك . فان هذا يحدث في خيال العامي صورة حسية لعله لا يزيلها منه قولك وانه لا يشبه في ذلك البشر ولا غيرهم من الخلق . ومذهب السلف ان يذكر ماورد في السياق الذي ورد فيه ، مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه ، وترك التأويل ، والقال والتفيل

والنساء من الامراء المشهورين، مثل [واي كونت] وابن الامير الروسي (بوركويت) الذي تزوج ابنة الملك (اغني من أقارب خديو مصر) المسماة صالحة، فقد أسلم على يدي والحمد لله على ذلك، فالآن عدد الذين هم دخلوا في الاسلام ثلاثون شخصاً؛ وذلك من فضل الله تعالى. وان شاء الله تعالى يدخلون في ديننا الاسلام جمّة كثيرة، لانه دين الفطرة السليمة — وليس المقصود اتمام بدخول بعض النصارى في الاسلام، بل المقصود التام قمع الشبهات، ورفع الاغلوطنات، التي نحتوها اعداء الدين. ولذلك اجريت المجلة المسماة (إسلامك ريبو) والحمد لله تعالى قد قبلت بأحسن وجه، وسلمت طاعتها عند أولي البصائر

ولكن يأسادني إني وحيد فريد — وان تبليغ الاسلام، واشاعته بين الخواص والعوام، فرض واجب على كل مسلم ومسلمة. قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فلا بد من أهل الهم العالية السنية من اخواني المسلمين ان يواظبوا ويمدوني بحصة من أموالهم لحصول الاجر والثواب في اشاعة ديننا الاسلام، وذلك ازدياد طبع مجلة (اسلامك ريبو) واشاعتها مجاثا في جميع الاطراف، فتكون فائدة تامة ان شاء الله تعالى.

ثم ترجمنا القرآن الكريم بلسان الانكليزي بأحسن وجه، ونريد طبعه واشاعته أيضاً، وأما التراجم التي طبعت فانها محشوة من الاغلوطنات^(١) لانها ترجمة المخالفين، وقد فعلوا ما فعلوا — فيا اخواني لا بد من طبع ترجمتها واشاعتها مع الأصل وتلك لا تكون الا ببذل المال الجزيل — وانكم مسلمون وقد بايعتم الله على أن لكم الجنة بأموالكم وأنفسكم. قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأيضاً ان الاسلام قد شاع أولاً في بلدانكم المحروسة فلها شرفية على سائر البلدان. ولذلك نرجو الاعانة منكم في ارسال حصة من اموالكم لأجل إشاعة القرآن الكريم، وإشاعة (إسلامك ريبو) قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (يا ايها الذين آمنوا ان تصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

(١) الاغلوطنات المسائل التي يغلط فيها الناس أو يغالط بها بعضهم بعضاً. ولا ندرى أيريد هذا أم يريد جمع الغلط

(المنار - ج ١٠ ص ١٧) استحالة ترجمة القرآن . دعوة الى النصرانية ٧٩٥

وقال سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم « من كان في عون اخيه كان الله في عونه »
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
(خواجه كمال الدين مدير اسلامك ريو يو)

[المنار]

نحضر من بلفته هذه الدعوة على مساعدة اخينا صاحب هذه المجلة الاسلامية الانكليزية على ايداع اصدارها . وننصح له بأن لا يطبع ترجمة القرآن التي نوهبها الا بعد عرضها على جماعة من كبار العلماء في مصر أو الهند واجازتهم اياها . فان رسالته هذه تدل على ضعفه في اللغة العربية فيخشى ان تكون ترجمته كثيرة الغلط كغيرها . على ان ترجمة القرآن ترجمة تامة تؤدي من المعاني والتأثير ما تؤديه عبارته العربية ضرب من المحال . وحسب من يترجم القرآن للجانب ان يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو وانما تقوم بذلك الجمعيات لا الافراد .

(بسم الله الهادي الى الحق)

الدين النصيحة

الى اخوتي المسلمين . انني قد ولدت ونشأت مسلماً ودرست القرآن وتفسيره مع العلوم الاسلامية على اعظم علماء سوربة ومصر ورأيت القرآن يشهد بأنه جاء مصدقاً للتوراة والانجيل ومهيماً عليهما اي حافظاً لهما من التغير والتحريف لكن لدى دراستي للتوراة والانجيل رأيت القرآن يخالفهما في حقائق كثيرة لاسيما مخالفته لهما في مسألة الكفارة والفداء التي هي خلاصة الكتاب المقدس . مع أن القرآن قد تكلم عن القربان منذ زمن آدم وقد أثبتت السنة القربان في عيد الاضحى مع أن جميع القرايين والذبايح التي كانت تقدم في العهد القديم كلها رمز وشارة الى الذبيحة الحقيقية (المسيح) الذي قدم نفسه قرباناً فدية عن الخطاطين الذين يؤمنون به والا فكيف يعقل أن حيواناً أبكم يكون فداء عن إنسان عاقل إذ لا بد أن يكون الفداء على الأقل معادلاً للمفتدي ان لم يكن الفداء أثنى منه يأبها الاخوة تبصروا في هذا الامر المهم الذي يتوقف عليه خلاص نفوسكم من الهلاك الأبدي واعلموا

أن كاتب هذه الرسالة هو من سلاله نبيكم ونشأ مسلماً ولكن الله قد أنار بصيرته حتى رأى الحق صريحاً وذلك أن الكتاب المقدس هو كلمته وكتابه الوحيد لم يعثره تغيير ولا تحريف وأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يتخلص من الهلاك الأبدي إلا بواسطة كلمة الله المتجسد في أحشاء مريم وقد اتبعته وآمنت به وتعتمدت باسمه تاركاً دين آبائي وأملائي وأقاربي وأصدقائي لأجل أن أتخلص من الهلاك الأبدي والآن أدعوك وأنصحك بإخلاص ومحبة أخوية لتقرأوا كتاب الله تاركين كل تحزب وتعصب إذ الدين بالاستدلال لا بالارث عن الآباء وحينئذ قللته نفسه يهديكم الى الصراط المستقيم الذي تطلبونه منه كل يوم مرات عديدة وإذا صعب فهم شيء من الكتاب المقدس على أحدكم فعليه بسؤال الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم يجيبونكم عن كل ما ترومونه والله التادر يرشدكم الى طريق الحق والحياة بنعمته وهداياته آمين

[المثار]

جاءتنا هذه الرسالة في البريد بأضواء متنصر سمي نفسه باسمين ، أواسم جعل نفسه بهعبداً للإلهين ، وهو (عبد الله ، عبد القادي) ونحن لاناقله فيما ادعاه من النسب . ولا من ترك النسب ، فأما دعواه دراسة التفسير والعلوم الاسلامية فلا يبعد ان يكون لها أصل ، لأن كثيراً من الناس يزاول دراسة بعض الكتب عدة سنين ولا يفهم منها شيئاً . ويجوز ان لا يكون له أصل ، ويترجح اذا كان الرجل صحيح الفهم ، لأن من يدرس التفسير وعلوم الاسلام لا يمكن ان يثبت مسألة الفداء الاخروي التي صرح فيها القرآن ، ويستدل عليها بالأدلة والقرآن ، فالقرآن انما شرع لنا الفدية في الدنيا فقط ، كفدية الصيام لمن يطيقه بمشقة شديدة لهم أو داء عضال وهي أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وفدية محرمات الاحرام قال تعالى (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) وفداء الاسير ، وفدى الاسير بمثله أو بمال كما هو المتبع عند جميع الامم . وأما النجاة في الآخرة فانما تكون بالايان الصحيح والعمل الصالح كما هو منصوص في الآيات الكثيرة ، ولا يمكن ان تكون بالفداء . قال الله تعالى (هـ) الذين كفروا لو أن لهم ، أي في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم

القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى في شأن يوم القيامة (٢ : ١٢٣) واقتوا يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) والمعدل هنا القدية وهو بمعنى المعادل وأما حكمة الاضحية وما في معناها من النسك فهي التوسعة على الفقراء ومساواتهم بالاغنياء في خير اطعمتهم وألذها. قال تعالى (ان ينال الله لوجوهها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

فن عرف هذه الضروريات من الاسلام بحزم بأن صاحب هذه النشرة إما كاذب في دعواه انه كان مسلما وأنه قرأ شيئا من علم الاسلام ، واما انه قرأ شيئا وهو يتعمد اليوم تحريفه وتبديله ، ويريد ان يغش عوام المسلمين به كما يفعل امثاله واقتاله . فعليه ان ينصح نفسه قبل ان ينصح غيره : وان يعلم ان الدنيا لا تنفي عن الآخرة التي لا تنفعه فيها فدية فادولا شفاعة شافع ، لأن يؤمن بالله وحده ، ويزكي نفسه بالعمل الصالح (فما تنفعهم شفاعة الشافعين . فما لهم عن التذكرة معرضين) ان التحريف صار صنعة لدعاة النصرانية حتى ان من يلتصق بهم لأمر ما لا يلبث ان يتقن صنعتهم ، ولهذا نرى صاحب هذه الرسالة حرف ماورد من القدية في القرآن عن موضعه ، ووضعه لمعنى طالما صرح القرآن بطلانه ، كما حرف معنى قوله تعالى « ومهيئنا عليه » ومعناه ان القرآن رقيب على ما قبله من الكتب الالهية يظهر ما حرق منها ويقضح أصحابه ، فجعله بمعنى منع الناس من تحريفه بالفعل لا باظهار تحريفهم ، وكيف يكون مانعا من شيء وقع قبل نزوله ؟ ولا يبعد ان يدعي في رسالة أخرى ان القرآن يثبت التثليث . وينهى عن التوحيد !! ألم تر انه ادعى أن خلاصة الكتاب المقدس — أي ما عزي الى انبياء بني اسرائيل من وحي وغيره — لا تخرج عن معنى الكفارة والغذاء ؟ وهذه دعوى افتحرها القوم الذين يلتصق بهم ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا خطرت على بل أحد من الانبياء ولا ممن عاصروهم أو جاء بعدهم من الاحبار ، وقد بيناهم قبل أصلها وما أخذها فلا حاجة الى اعادته هنا .

وأعجب من هذا وذلك أن مثل هذا الرجل يدكر كلمة « الدين بالاستدلال » فيأله العجب من تهافت نوع الانسان !!

(جيوش الدول المتحاربة)

انشأ المقطع مقالا مطولا عنوانه (الجيوش المتحاربة -- تأليفها وعدد هافي زمن السلم والحرب) قال في الفصل الذي تكلم فيه عن الجيش الألماني (في عدد الجمعة ٧ أغسطس ١٥ رمضان) بعد تفصيل :

« فيكون مجموع الجيش الألماني كله في زمن الحرب خمسة ملايين ومئة وخمسين ألف جندي . ولكن الثقات الحربيين لا يظنون أن ألمانيا تستطيع رصد هذا العدد من الجنود للحرب ويرجعون أنها لا تقوى على رصد أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ ر ١٥٠٠٠ ر ٥٠٠ ر جندي على أكبر تقدير » وقال في آخرها : « ويقول الثقات العسكريون الذين شهدوا مناورات الجيش الألماني ان الفنون الحربية والحركات العسكرية المتبعة فيه صارت قديمة (!) وان رجال المدفعية في الجيش الفرنسي أمهر في الرماية منهم في الجيش الألماني . ولكن كلا الجيشين متساويان في سرعة التعبئة . فان الجيش الألماني بعبا كله في تسعة أيام وبوضع على حدود روسيا أو على حدود فرنسا »

وقال في آخر الفصل الذي عقده لجيش فرنسا (في عدد السبت ٨ أغسطس) « ويبلغ عدد الجيش الفرنسي في زمن الحرب نحو أربعة ملايين جندي وفيه نحو ثلاثة آلاف مدفع . والجندي الفرنسي مشهور باقده وكره وحماسته وشجاعته ومقدرته على تحمل المشاق وقوة الابتكار الفائقة . ورجال المدفعية الفرنسيون احسن رجال المدفوعات في العالم في الرماية وهم مترون عليها ولا سيما على اطلاق المدافع السريعة تمرنا لا مثيل له في الجيوش الاوربية . وموضع الضعف في الجيش الفرنسي هو في مدفعيته الكبيرة

« وتم تعبئته الجيش الفرنسي في ثمانية أيام و ١٢ ساعة . أي انه يعبا أسرع من الجيش الألماني بالثلاثي عشرة ساعة

« وسلاح الجنود بندقية ابل من عيار ١٣ ، وهي طراز قديم قليلا ولكنها أحدث من بندقية موزر المستعملة في الجيش الألماني . اما مدافع الميدان فمن التي

قطر فوهتها ثلاث بوصات وهي أحدث من مدافع الميدان في الجيش الألماني أيضا» (١)
وقال في أواخر الفصل الذي عقد للجيش الروسي «أما قوته في زمن الحرب
فلا حد لها وإنما يقال أنها تبلغ سبعة ملايين ونصف مليون جندي . فهو اضخم
جيوش الأرض وأكبرها كلها»

ثم ذكر أن تعبثته تتفرق نحو ثلاثة أسابيع وأن هذا وضع الضعف فيه .
وقال في الفصل الذي عقد للجيش الانكليزي أن جملته في زمن السلم في الامبراطورية
كلها ٨١٠٨٤٩ وكان في العام الماضي ٧٢٩٩٩١ ثم ذكر أنه سيزاد حتى يبلغ
مليوناً ونصف مليون

(برقيات الحرب لمنحصة من المقطم)

(استعداد الدول الكبرى)

(من لندن ٣١ يوليو) طلبت الحكومة الألمانية من الحكومة الروسية أن
تكف عن تعبثته الجيوش والأفانها تشرع في التعبئة مقابلة لها بالمثل
والظاهر أن روسية مصممة على التدرع بالحزم ووقوف موقف صحيح العزيمة
في المشكلة الحالية

تظن دوائر برلين السياسية أن الحكومة الألمانية تشرع في التعبئة اليوم
(الجمعة) والاستعداد في فرنسا وانكلترا قائم على ساق وقدم والهمة مبدولة لاعداد
كل ما استطاع بأسرع ما استطاع

(١ أغسطس) أصدر قيصر روسية أمره بجعل تعبثته الجيوش عامة في جميع
أنحاء الامبراطورية الروسية ، وكانت (من قبل) مقتصرة على خمسين ولاية منها
وقد أجابت ألمانيا على هذا الأمر بإعلان الحكم العرفي في جميع أنحاء
الامبراطورية الألمانية . وينتظر أن يسري الحكم العرفي بعد التعبئة يوم السبت (اليوم)
وقد شرعت كل من ألمانيا وفرنسا وروسية في إرسال الغيالق الى الحدود من قبيل
الاستعداد والاحتياط أما الاحتياطات التي تتخذ في بريطانيا العظمى فمن أعظم ما يكون .

(١) في برقية من لندن للمقظم الذي صدر في ١٢ أغسطس مانصبه : أعان ولاية
الامور رسمياً هنا أن مدافع الميدان الألمانية من طبقة واطقة جدا

(اعلان الحرب وبدءها)

(لندن - ٢ أغسطس) أعلنت وكالة ان تلغرافا رسميا وصل الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم وفيه ان الالمانيين غزوا فرنسا واجتازوا الحدود عند سيري (بلدة على الحدود قرب ستراسبورج)

(برلين - ٢ منه) غزا جيش روسي بمدافعه وفرسانه من القوزاق بلاد ألمانيا بقرب ييالا (لندن ٢ أغسطس) رسمي : أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا . وقد برح كل من سفير روسية في برلين وسفير ألمانيا في بطرسبرج مقر وظيفته

وقد شرعت الحكومة الفرنسية في تعبئة جيشها استعدادا للحرب وكانت ألمانيا قبل ذلك قد أرسلت امس (السبت) بلاغا نهائيا الى روسية وفرنسا وأعطتهما مهلة اثنتي عشرة ساعة للاجابة عليه ، فكان جواب روسية وفرنسا عليه جوابا غير مرضي . وشاع بعد ارسال ألمانيا لبلاغها النهائي انها مدت هذه المهلة حتى ظهر يوم الاثنين وتوسط ملك الانكليز في الامر فأرسل تلغرافين لقيصر روسية وامبراطور ألمانيا ولكن كل المساعي ذهبت ادراج الرياح فيما يظهر

(لندن ٤ منه) برح السفير الألماني باريس في الليلة البارحة قم بذلك قطع العلاقات السياسية تماما بين الدولتين

استولى الالمانيون على ثلاث مدن وثلاث جزائر روسية في بحر البلطيك امس . (بناء على عدم احترام ألمانيا حياد بلجيكة)

(برلين ٥ منه) أعلنت ألمانيا الحرب على انكلترة (وبدأت الحرب بيننا وبين بلجيكة)

لندن ٧ منه أعلنت النمسا الحرب رسميا على روسية

لندن ١٣ منه أعلنت انكلترة الحرب في منتصف هذا الليل على النمسا والمجر

﴿ منع المنار من السودان ﴾

أمرت حكومة السودان بمصادرة مجلة المنار واحراق نسخها ، وما أذرتنا ولا أخبرتنا ، بل علمنا ذلك من بعض المشركين . وكان ذلك في غيبة الحاكم العام فلما عاد من أوربة بعد وقوع الحرب شكونا اليه ذلك ، وطلبنا باسم الحرية الدينية التي امتاز بالانهاية باحترامها انصافنا ولعلنا يفعل عن قريب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فمن عادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صديق و * مذكر * كنفار الطريق —

مصر سلخ ذي القعدة ١٣٣٢ هـ ق ٣٠ الخريف الثاني ١٢٩٣ هـ ش ١٩ أكتوبر ١٩١٤ م

صفات الباري تعالى

تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها

فتوى للامام الشوكاني رحمه الله تعالى

اعلم ان الكلام في الآيات والاحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذبوله،
وتشعبت أطرافه، وتباينت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت النحل.
وسبب هذا عدم وقوف المتتبعين الى العلم حيث أوقفهم الله، ودخولهم في أبواب لم
يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه، حتى تفرقوا فرقا، وتشعبوا
شعبا، وصاروا أحزنا، وكانوا في البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة
يختلف في المقاصد، متباين في المطالب

فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه أعما
وأقلها عقوبة وجراما، وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب،
لكن سلك في طلبه طريقة متوعدة، وصعدت في الكشف عنه الى عقبة كؤود،
لا يرجع من سلكها سائلا فضلا عن أن يظفر فيها بمطلوب صحيح. ومع هذا أصابوا
أصولا ظنوها حقا، فذهبوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا في
ذلك الدفع بشبهة واهية، وحالات مختلفة

وهؤلاء هم طائفتان العائنة الاولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت
الى حد يقشر عنده الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة
بالكتاب والسنة ثبوتا أو بوضع من شمس النهار، وأظهر من فلق الصباح، وظنوا هذا
من صديعهم موافقا للحق. مطابقة لما يريد الله سبحانه، فاضلوا الطريق المستقيمة
وأضلوا من رام سلوكها.

والطائفة الاخرى هي طائفة التي غلت في إثبات القدرة علوا بلغ الى حد أنه
لا تأثير لشيء، ولا اعتبارا لشيء، وأنقض ذلك الى البحر المحض. وأقسر الخالص

فلم يبق لبعثة الرسل وانزال الكتب كبير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بمائدة؛ وجاؤا بتأويلات للآيات الدينية، ومحاولات لحجج الله الواضحات، فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والاضلال، مع ان كلا المقصدين صحيح، ووجه كل منهما صحيح، لولا ما شانه من الغلو القبيح.

وطائفة توسطت^(١) ورامت الجمع بين الضب والنون، وظنت انها قد وقفت بمكان بين الافراط والتفريط، ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها، وتبجول على الاخرى وتصول بما ظفرت به مما يوافق مذهبها اليه، وكل حزب بما لديهم فرحون، وعند الله تلقي الخصوم

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه العلمية بطريق الخلف ان تمنى محققهم وأذكيائهم في آخر أسرهم دين العجائز، وقالوا هنأياً للعامة؛ فتدبر هذه العلمية التي كان حاصلها أن يهنا من ظفر لاهل الجهل (؟) البسيطة، ويتمنى أنه في عدادهم، ومن تدبر دينهم، ويتمنى على طريقةهم. فان هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على أن هذه العلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه، ويتمنى عند البلوغ الى غايته، والوصول الى نهايته، ان يكون جاهلاً به، عاطلاً عنه؟ ففي هذا عبرة للمعتبرين، وآية ينة للناظرين، فهلا عملوا على جيل هذا المعارف التي دخلوا فيها باديء بدء، وساموا من تبعاتها، وأراحوا أنفسهم من تعبها، وقالوا كما قال القائل :

رأى الامر يفضي الى آخر فصير آخره أولاً

ورجحوا الخلوص من هذا القبي والسلامة من هذه التهنئة للعامة؛ فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها، ولا يهني لمن هو مثله أو دونه، بل لا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته، ومكانه أعلى من مكانه، فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه، وأفضل مقدارا بالنسبة اليه؛ وهل سمع السامعون بمثل هذه الغريبة أو قل الناقلون ما يمثّلها أو يشابهها

(١) هي فرقة الاشعرية التي توسطت بين المعزلة والخبرية السابق ذكرهما

وإذا كان حال هذه الطائفة ^(١) التي قد عرفنا أنها أخف الطوائف تكلفاً، وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها، وتبين بطلان مواردها ومصادرها، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كباد الاسلام وأهله، والسعي في التشكيك فيه، بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية الى القدح في الدين وتفنير أهله عنه ^(٢)

وعند هذا تعلم ان خير الأمور السالفات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع ^(٣)، وان الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم، والاهتداء بهداهم، يرون آيات الصفات على ظاهرها، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يحرفون ولا يؤولون، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمقرر من مذاهبهم، لا يشك فيه شك، ولا ينكره منكر، ولا يجادل فيه مجادل، وان نزغ من بينهم نازغ، أو نجهم في عصرهم ناجم، أوضحوا للناس أمره، وبيّنوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في الجوامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته، كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا «ان الأمر أنف» ^(٤) فبرؤا منه، وبيّنوا ضلالاته وبطلان مقاتله للناس، فحذروه، الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة

وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها، كما فعله التابعون رحمهم الله بالجهد بن درهم ومن قال بقوله واتحل نحلته الباطلة ^(٥)

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المتبدع في الصفات ان يتظاهر بدعته، بل

(١) الاشعرية (٢) هذا وصف طوائف الباطنية كالاسماعيلية والبايضة

(٣) هذا بيت شعر أوله : وخير الأمور الخ جعله نثراً

(٤) أنف بضمين أي مستأنف جديد . يعني أن أفعال الباري تعالى ليست

بقدر سابق ، ولا نظام اقتضاه الحكمة ، وإنما يبتدئ كل فعل ابتداء ، وهم انقدرية

أي منكرو القدر

(٥) هم الجهمية منكرو الصفات الالهية

يتكتمون بها كما يتكتم الزنادقة بكفرهم. وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة

ولسكننا تقتصر هنا على الكلام في هذه المسئلة التي ورد السؤال عنها وهي مسئلة الصفات وما كان من المتكافئين علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه، وبيان ان اصرار آيات الصفات على ظاهرها ومذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وان كل من اراد من نزاع المتكافئين، وشذاذ المحرفين المتأولين، أن يظهر ما يخالف المروء على ذلك الظاهر، قاموا عليه وحذروا الناس منه . وبينوا لهم انه على خلاف ماعليه اهل الاسلام

فصار المبتدعون في الصفات، القائلون بأقوال تخالف ماعليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين، وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور، ولا يتدفع بزخارف اقوالهم الا مخدوع، وهم مع ذلك على تخوف من اهل الاسلام، وترقب لتزول مكروه بهم من حماة الدين، من العلماء الهادين، والرؤساء والساطين، حتى نجم ناهج المحنة، و برق بأرق الشر من جهة الدولة، ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والايراد أعظم صولة . وذلك في الدولة المأمونية بسبب قاضيها أحمد بن أبي دؤاد . فعند ذلك أطلع المنكمشون في تلك الزوايا رؤسهم، وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم، وأعلنوا مذاهبهم الزائفة، و بدعهم المضلة ودعوا الناس اليها، وجادلوا عنها، وتناخلوا المخالفين لها، حتى اختلط المعروف بالمنكر، واشتبه على العامة الحق بالباطل، والسنة بالبدعة

ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل، أوجد من علماء الكتاب والسنة لهم في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم، وينكر على أهل البدع بدعهم، فكان لهم — والله الحمد — المقامات المحموده، والمواقف المشهورة، في نصر الدين، وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرناه نعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو اصرار آيات الصفات على ظاهرها، من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل، يفضي اليه كثير من

(المنار - ج ١١ م ١٧) سيرة السلف وهدىهم والمذاهب المتبعة بعدهم ٨٢١

التأويل، وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القول والقليل، وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك، ولا تسكلف ولا تسكلم، إنما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجره عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه، إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه. وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

وكان في هذه القرون الفاضلة، الكلمة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعا متفقة، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه، من الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد، وانفاق الأموال في أنواع البر، وطلب العلم النافع، وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه، والحفاظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة، وما تبلغ إليه القدرة، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله به، ولا تعبدوا بالوقوف على حقيقته، فكان الدين إذ ذاك صافيا عن كدر البدع، خالسا عن شوب قدر المذهب.

فعلى هذا النمط كان الصحابة والتابعون وتابعوهم، ويهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتدوا، وبأفعاله وأقواله اقتدوا، فن قال انهم تابوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها، فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك، فإن نقول الأئمة المطالعين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقات الاثبات، ترد عليه وعاليهم وتدفع في وجهه.

يعلم ذلك كل من له عزم ويعرفه كل عارف، فاشدد يدك على هذا. واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ودع عنك ما حدث من تلك المذاهب في الصفات وأرج نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون وإصطلاحوا عليها، وجماعها أصلا يرد إليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن واقهاها

٨٢٢ جعل المذاهب أصولا يرد اليها وبها الكتاب والسنة (المنار - ج ١١ ص ١٧)

فقد وافقا الاصول المقررة في زعمهم ، وان خالفها فقد خالف الاصول المقررة في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المتبول والمحكم ، والخالف لها من قسم المردود والمتشابه ؛ ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى . أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح . لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤوسهم ، ولا عدوه شيشا . ومن كان منكرا لهذا فعليه بكتاب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام . فانه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها

ومن العجب العجيب ، والنبا الغريب ، ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولا ، لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل ، والغيرية على الفطرة . وكل فرد من أفرادها تنازعت فيه عقولهم ، وتخالفت فيه ادراكاتهم ، فهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلا يرجع اليه ، ومعيارا لكلام الله وكلام رسوله ، يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه . فيأله وبالللمسلمين ! وبالله ، والدين ! من هذه الفوارق الموحشة التي لم يصب الاسلام وأهله بمثلها ؟ وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع ، انهم بعد أن جعلوا هذه التعملات التي تعقلوها — على اختلافهم فيها ، وتناقضهم في معقولاتها — أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها أيضا معيارا لصفات الرب سبحانه ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما ، وما تعقله خصمه منها قطع به . فأتيتوا الله الشيء وتقيضه ، استدلالا بما حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بل ان وجدوا ذلك موافقا لما تعقلوه جعلوه مؤيدا له ومقويا ، وقالوا قد ورد دليل السمع ، مطابقا لدليل العقل ؛ وان وجدوه مخالفا لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الاصل ، ومتشابهما وغير معقول المعنى ، ولا ظاهر الدلالة ، ثم قابلهم المخالف لهم بتقيض قولهم . فافتري على عقله ، بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلا يرد اليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقا له عنده فكان حاصل كلام هؤلاء ، انهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه ، وكفالك بهذا

وليس بعده شيء ، وعندده يتعثر القلم حياء من الله عز وجل
وربما استبعد هذا مستبعد ، واستكبره مستكبر ، وقال ان في كلامي هذا مبالغة
وتهويل ، وتشنيعا وتطويلا ، وان الامر أبسر من ان يكون حاصله هذا الحاصل الذي
ذكرت ، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت اليها . فأقول : * خذ جملة البلوى ودع
تفصيلها * واسمع ما يصك سمعك ، ولولا هذا الاخلاص منك ماسمعه ولا جرى القلم بمثله
هذا أبو علي ^(١) وهو رأس من رده وسهم ، وركن من أركانهم ، واسطوانة من
أساطينهم ، قد حكى عنه السكبار منهم ، وآخر من حكى ذلك عنه صاحب شرح
القلائد - يقول : والله لا يعلم الله من نفسه الا ما يعلم هو !! فخذ هذا التصريح ، حيث
لم تكف بذلك التلويح ، وانظر هذه الجرأة على الله التي ليس بعدها جرأة ،
فيلازم أبي على الويل ! أينق بمثل هذا التهيق ، ويدخل نفسه في هذا المضيق ؟ وهل
سمع السامعون بيمين أئجر من هذا اليمين الملعونة ؟ أو قل الناقلون كلمة تقارب معنى
هذه الكلمة الملعونة ؟ أو بلغ مفتخر الى ما بلغ اليه هذا الختال الفخور ؟ أو وصل من
يفخر في ايمانه الى ما يقرب هذا الفجور ؟ وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف ان ابنه
أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه فاجرا فيها . لأن كل فرد
من أفراد الناس ينطوي على صفات وقرائن لا يجب أن يطلع عليها غيره ، ويكره أن
يقف على شيء منها سواه . ومن ذا الذي يدري بما يحول في خاطر غيره ويستكن
في ضميره ؟ ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير
من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما لا يعلمه هذا المدعي ؟ فهو اما مصاب
العقل ، يهذي بما لا يدري ، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء ،
فان هذا امر لا يعلمه غير الله سبحانه ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به
نفسه ، وما يسر عبادده وما يعلنون ، وما يظهرون وما يكتمون ، كما أخبرنا بذلك في كتابه
(١) يعني الجبائي . وانما جاء بالشاهد من قول المعتزلة لفظاعته ولأن أهل وطنه (المن)
من الزيدية لا زالون يأخذون بأقوالهم . وما من فرقة من الفرق الا ولها شذوذ
في هذه المسائل ، حتى لم يسلم منه من سموا أنفسهم الاثرية أو الخنابية ، فان منهم
من بالغ في الرد على غيره ، حتى قال ما لم يقله سلفه ، وكذلك الاشعرية الذين حاولوا
الجمع بين المأثور والمقول

العزیز فی غیر موضع. فقد خاب وخسر، من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه الا الله سبحانه من عباده، فما ظنك بمن تجاوز هذا وتعداه وأقسم بالله ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو؟ ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل؟ فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده، وينقلون كلامه في الدفاتر، ويجكون عنه في مقامات الاختلاف

وأهل أتباع هذا ومن يقتدي بذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل (ولا يحيطون به علماً - وقوله - ولا يحيطون بشيء من علمه لا بما شاء) وقال لهم هذا يرد ما قاله صاحبهم وبطل على أن يمينه هذه فاحرة مقتررة - لئلا : هذا ونحوه مما يدل دلالة ويفيد مفاده من التشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالاصول المقررة

وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للاوقات ، واشتغال بصحابة الخرافات المبكيات لا المضحكات ؛ وليس مقصودنا هنا الا ارشاد السائل الى أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف ، ولا تكلف ولا تعسف ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وان ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعيهم

فان قلت : وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررّها ، فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ، ولا يصلح معناه ويوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار ، وهم المنكرون للصانع (قلت) يا هذا ان كنت ممن له العلم بعلم الكلام ، الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ، ويدكرونه في مؤلفاتهم ، ويحكونه عن أكابرهم ، ان الله سبحانه وتعالى وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه ^(١) فأشددك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي ؛ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة ؛ فكان «ولاء» في فرارهم من شبهة

(١) قولهم هذا له تمة وهي : ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه . ولا مباين له ولا محايث له ، ولا هو فينا ولا خارج عنا

التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل:

فكنت كالساعي الى مشب موثلا من سبل الراعد^(١)

أو كالمتجبر من الرضاء بالنار، والمهارب من لسة الزبور الى لدغة الحية، أو من قرصة النملة الى قضة الاسد

وقد كان يعني هؤلاء، وأمثالهم من المتكلمين المتكافين كلتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلهما على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما (ولا يحيطون به علما - - ليس مثله شيء) فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب، وقضمتا ما يعني أولي الالباب، السالكين في تلك الشعاب والمضاب، الصاعدين في متوعدات هاتيك العقاب

فالكلمة الاولى منها دلت دلالة بيّنة على ان كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق، ودعاوي التحقيق، فهو مشوب بشبهة من شعب الجهل، مخلوط بخلاوط هي منافية للعلم مبينة له، فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علما، فمن زعم ان ذاته كذا او صفته كذا؛ فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة. وقد نفيت عن كل فرد، لأن هذه القضية هي في قوة: لا يحيط به فرد من الافراد علما، فكل قول من اقوال المتكلمين صادر عن جهل، اما من كل وجه او من بعض الوجوه، وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل، ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته، فان في ذلك من المخاطرة بالدين ما لم يكن في غيره من المسائل، وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف، ولم يحظ بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمارها، الاممرون للصفات على ظاهرها، المريحون انفسهم عن التكلمات والتعريفات، والتأويلات والتحريفات، وهم السلف الصالح كما عرفت، فهم انما اعترفوا بعدم الاحاطة واقفوا انفسهم حيث اوقفهم الله. وقالوا: الله اعلم بكيفية

(١) المشب المكان الذي يتفجر منه الماء المجتمع في حوض ونحوه. والموثل المتلجج الى مأمن يأمن به من ضرر أو شر يخافه. والمعنى فكنت كالمهارب من مطر يخافه الى سيل متفجر يحرقه. ولعل «سبل» محرفة عن «سيلة»

ذاته، وماهية صفاته، بل العلم كله له: وقالوا كما قال من قال، ممن اشتغل بطلب هذا الحال، فلم يظفر بغير القيل والقال:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلته يتغمغ
ملا لأرباب وللعلوم وإنما يسمى ليظلم أنه لا يعلم
بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلمين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه
بما قنع به السلف الصالح إلا مجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلمين فقال:
وقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على دقن أوقارعا سنّ نادم

**

وها أنا (ذا) أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه في امسي، فاني أيام الطلب
وعنفوان الشباب، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد،
وتارة علم أصول الدين؛ واكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ومرت الرجوع
بفائدة، والعود بعائدة، فلم اظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة؛ وكان ذلك من
الاسباب التي حبيت اليّ مذهب السلف. على اني كنت من قبل ذلك عليه، ولكن
أردت أن ازداد فيه بصيرة وبه شغفا، وقلت عند النظر في تلك المذاهب:

وغاية ماحصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التعبير
على اني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بدون التعبير

**

وأما الكلمة الثانية وهي (ليس مثله شيء) فيها استفاد نفي المماثلة في كل شيء. فيدفع
بهذه الآية في وجه المجسمة، ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير،
وعند ذكر السمع والبصر واليد والامتواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة،
فيقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات، لاعلى وجه المماثلة والمشابهة للخلوقات، فيندفع
به جانبي (١) الافراط والتفريط، وهما المبالغة في الاثبات المفضي الى التجسيم، والمبالغة
(١) كذا والصواب « جانباً » لانه فاعل يندفع، الا ان يكون في الكلام

نقص سقط به فاعل يندفع

في النفي المفضية الى التعطيل، فيخرج من بين الجانبيين، وغلو الطرفين، حقبة مذهب السلف الصالح، وهو قولهم بأثبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو، فانه القائل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل، صفة الاستواء التي ذكرها السائل فاتهم يقولون نحن ثبت ما أثبته الله لنفسه، من استوائه على عرشه، على هيئة لا يعلمها الا هو، وفي كيفية لا يدري بها سواه^(١) ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثل شيء، لافي ذاته ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علما

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها. والادلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد جمع أهل العلم منها - لاسيا أهل الحديث - مباحث طولوها بذكريات قرآنية وأحاديث صحيحة، وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب^(٢) والمسئلة أوضح من أن تلبس على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية، كثر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال، خصوصا بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب. فلم في ذلك تلك الفتن الكبرى، والملاحم العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر

(١) انما يذكر لفظ الهيئة والكيفية في هذا المقام كما يذكر لفظ الصفة، بناء على ان ما يستعمل في الكلام عن البارئ تعالى من الالفاظ انما يشار بها اشارة الى المعنى الشريف الذي يعرفه الخلق من أنفسهم مع نفي التشبيه والتخيل من كل وجه بناء على ما ثبت من التنزيه عقلا وقلا. ومن العلماء من يعبر عن مذهب السلف بنفي الكيف لا بأثباته مع نفي العلم به، وهو ما عبروا عنه بالكيفية المنجوتة من قولهم: بلا كيف

(٢) قد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار. وفيه أيضا ما نقل عن أشهر علماء السلف ومن بعدهم من كبار الفقهاء والمتكلمين في اثبات الصفات

والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح : فالاستواء على العرش ،
والكون في تلك الجهة ، قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ؛
ويطول نشرها ، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير
حديث ، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه ، ويحسه في فطرته ،
وتجذبه اليه طبيعته ، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه ، والتجأ اليه ووجه أذنيه
الى جنبه الرفيع ، وعزه المنيع . فانه يشير عند ذلك بكفه ، أو يرمي الى السماء بطرفه ،
ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء ، وحدث بواعث الاستغاثة ، ووجود
مقتضيات الانزعاج ، وظهور دواعي الالتجاء ، عالم الناس وجاهلهم ، والمأشئ على طريقة
السلف ، والمقتدي بأهل التأويل ، القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء — كما قاله
جمهور المتأولين — أو الاقبال — كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء
وغيرهم — أو كناية عن الملك والسلطان ^(١) — كما قاله آخرون — فالسلامة والنجاة
في امرار ذلك على الظاهر والاذعان بالاستواء والكون ^(٢) على ما نطق به الكتاب
والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيسل ولا قال . ولا فضول في شيء من

(١) هذا القول لا ينافي إمرار اللفظ على ظاهره ، والتسامح باستواء يليق بالرب
وبفوض اليه علم كنهه ، لان الكناية لا تنافي الحقيقة كما ينافيها المجاز عند الجمهور
المانعين من جمعه معها . فذكر الاستواء في القرآن في سياق خلق السموات والارض
يفيد معنى القيام بأمر الملك وتدبيره ، وصرح به في سورة يونس فقال (١٠ : ٣٣) استوى
على العرش يدبر الامر) وهذا المعنى هو الذي يتبادر الى فهم كل عربي قبح من كلمة
استوى فلان على عرش الروم أو الفرس مثلاً . فهو لا يفكر عند سماع الكلمة في
كيفية الكرسي الخاص بملك تلك البلاد ، ولا في كيفية حلوس الملك عليه . وإنما
يفكر في المراد من هذا التعبير . ولو ان خادماً من خدم قصر الملك جلس على عرشه
عند تنظيف الحجرة التي هو فيها لا يقال فيه انه استوى على عرش ملك المملكة . فإذا
قلنا انه ينبغي لنا في تدريجات الاستواء على العرش ان نفكر في لازم الاستواء وهو
الاتقاد بالملك والسلطان والتدبير ، لم نكن بذلك متأولين للاتيات ، ولا خارجين عن
عن مذهب السلف في امراها كما جاءت ، من غير ان نحيز لأنفسنا البحث عن كيفية
ذلك الاستواء من حيث معناه الحقيقي

(٢) لعله سقط من ههنا « في جهة العلو »

المقال ، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما تقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة فكذا تقول في مثل قوله سبحانه (وهو معكم أينما كنتم — وقوله — ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) وفي نحو (ان الله مع الصابرين — ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) الى ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه ، فيقول في مثل هذه الآيات : هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ، وتكلف بتأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته ، فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف ، وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعهم (١)

واذا انتهيت الى السلا مة في مدالك فلا تجاوز

وهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بُنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ، ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسه براقتنيجي . وفي هذه الجملة وان كانت قليلة ما يعني من يشع بدينه ويحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيلوه وتوسيع دائرة فروعه وأصوله . والمهدي من هداة الله ، والله أعلم . انتهى

فتاوى المنار

(س ٢٣ و ٢٤) من صاحب الامضاء الرمزي في سبب برنيو (جاوه)

حضرة العلامة الكبير ، والامام الجليل ، استاذنا السيد محمد رشيد رضا صاحب

المنار الاخر فغني الله والمسلمين بوجوده الشريف آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فيا سيدي الاستاذ ترحو من فضيلتكم التكرم علي بأن تجيبوني عن الاسئلة الآتي ذكرها جوابا مقننا ولكم الفضل والشكر وهي :

(١) ورد عن الامام أحمد وغيره من علماء السلف جعل المعية بمعنى العلم فصار هذا التأويل مما يعترف به الخنابلة والأربون ، وانما الجأهم اليه رد قول الجمية وغيرهم انه تعالى في كل مكان . وقد نقل الذهبي ذلك في كتابه المشار اليه آتفاً عن كثيرين

(١) ماتقولون في قول الفقهاء: - لا يجوز تحليف القاضي ولا الشهود وان كان يمنع الخصم تكذيبهما أنفسهما لأن منصبهما يأبى ذلك ولأن التحليف كالطعن في الشهادة أو في الحكم. فإذا علم الشاهد أو القاضي أنه يحلف امتنع الاول من الشهادة والثاني من الحكم فبؤدي ذلك الى ضياع حقوق الناس، وهذا فساد علم. فهل هذا القول صحيح؟ وقد جرت الحكومة الهولندية بتحليف الشهود قبل أن يؤدوا الشهادة سواء كانوا صادقين أو كاذبين - فرأى كثير من عمال الحكومة أن ذلك هو لأحسن والأحوط والأوفق لهذا العصر. والمرجو من فضيلة سيدي الأستاذ ابداً رأيه السديد في هذه المسألة بالحجة والبرهان.

(ب) هل من العقل والحكمة ومن مقاصد الشريعة الاسلامية ما اشترطه الفقهاء في الهبة من أنها لا تصح الا باليجاب وقبول ولا تلزم الا قبض الموهوب له باذن الواهب؟ قال في بداية المحتد: وأما الهبة فلا بد من الايجاب فيها والقبول عند الجميع.... وأما الشروط فأشهرها القبض، أعني أن العلماء اختلفوا: هل القبض شرط في صحة العقد أم لا؟ فاتفق الثوري والشافعي وأبو حنيفة أن من شرط صحة الهبة القبض وأنه اذا لم يقبض لم يلزم الواهب، وقال مالك: يُنعقد بالقول ويجبر على القبض كالبيع - الى قوله: - فمالك القبض عنده في الهبة من شروط التمام لا من شروط الصحة، وهو عند الشافعي وأبي حنيفة من شروط الصحة. وقال أحمد وأبو ثور تصح الهبة بالعقد، وليس القبض من شروطها أصلاً. لا من شروط تمام ولا من شروط صحة اه فأبي الاصم من هذه الاقوال اختلف فيها: آتقول باشتراط القبض؟ أم اتقول بعدم اشتراطه؟ وهل يصح أن يحتاج من اشترط القبض في الهبة بحديث أبي بكر انه كان نزل بمشة بمذاق عشرين وسقاً من مال الغابة فلم يحضره الوفاة قال: - والله يا بنيتي ما من الناس أحد أحب الي غنى بعدي منك. ولا أعز علي فقرا بعدي منك. وفي كنت نزلت بمذاق عشرين وسقاً فله كنت جاذبته واحتزته كان لك. ولما هو اليوم مال وارث؟ وهل صح ما استدلت به على أن القبض شرط في صحة الهبة من خبر أنه صلى الله عليه وسلم أهدي له ثوبان أو ثوباً مسكاً؟ أو ثوباً من صلبه؟ أو ثوباً من ثوبه؟ أو ثوباً من ثوبه؟ أو ثوباً من ثوبه؟

هذا وأرجو فضيلتكم بيان هذه المسائل على قاعدة (دره المفاسد مقدم على جلب المصالح) (م. ب. ع.)

(تحليف القاضي والشهود)

(ج) القول بأن تحليف القاضي والشهود لا يجوز شرعاً لما ذكر من العلل — لم يظهر لنا وجه صحته، فقولهم: ان ذلك مما ياباه منصبهما، — لانعرف له مستنداً في الكتاب والسنة، وما يليق بالمنصب وما لا يليق به ليس أمراً ثابتاً مطرداً دائماً، بل هو مما يختلف باختلاف العرف والعادة ويتغير آن بعد آن، كما يهد من الناس في الامكنة المختلفة والازمان. مثال ذلك ان العرف والعادة في مصر والآستانة والشام ان لا يخرج القاضي الشرعي والمفتي وكبار العلماء الى زيارة أحد بغير عمامة، وهذه عادة قديمة حتى عد بعض العلماء من اعداء ترك الجمعة والجماعة فقد الهامة الثلاثة بأمثال هؤلاء. ولكن هذه العادة لا تلتزم في الهند فقد يخرج كبار العلماء من بيوتهم الى زيارة بعض الاخوان بغير عمامة، وانما يضعون على رؤوسهم نوعاً من الككات الرقيقة (الككة بالضم شيء مستدير يوضع على الرأس ومنه ما يسمى في مصر طاقية وفي غيرها عراقية) وقد ورد ان النبي (ص) خرج مع بعض أصحابه لزيارة وليس على رؤوسهم شيء.

وقولهم ان التحليف كالظن في الشهادة أو الحكم فممنوع، وقد يقال انه تأكيد لها. وأما قولهم ان القاضي والشاهد يمتنعان من القضاء والشهادة اذا علما أنها يحلفان، فهو من النظريات المقبوضة بما عليه عمل كثير من الامم الآن. فالحكومة العثمانية والحكومة المصرية قد جرتا على تحليف الشهود ولم يمتنعوا، وعلى تحليف من تسند اليهم المناصب الكبيرة يمين الاخلاص لرئيس الحكومة (السلطان) ولو قالوا ان التحليف لمن ذكر لا يجب شرعاً لما وجدنا الى مخالفتهم سبيلاً، ولكن ففي الجواز لا يسلم الا بدليل شرعي

هذا وان تأكيد الشهود شهادتهما بالقسم أصلاً في القرآن كما ترى في شهادة الوصية (فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمناً) — فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) وقد قال تعالى بعد بيان أحكام هذه الشهادة معللاًها (ذلك أدنى

أن يأتوا بالشهادة على وجهها (الخ وسبأني في التفسير قريباً ان شاء الله تعالى
(الهبة وما يشترط فيها)

معنى الهبة عند الجمهور تملك بلا عوض ، ويرى بعضهم انه يدخل في عمومها
الابراء من الدين والهدية والصدقة ، وانما يخص بعض الانواع باسم لافادة المعنى
الخاص الذي انفرد به عن سائر الانواع ، فالصدقة هبة يراد بها ثواب الآخرة ،
والاصل فيها ان تكون للمحتاج . والهدية هبة يراد بالتودد بها الى المهدي اليه ،
وتكون بين الاغنياء والفقراء ، لان التودد يكون بين جميع اصناف الناس

والعدة فيها العرف فما تعارف الناس عليه كان صحيحاً شرعاً لم يكن مخالفاً للشرع .
وتحصل بالايجاب القولي من الواهب والقبول القولي من الموهوب له كما تحصل بالتعاطي
وهو ايجاب وقبول بالفعل . وهي تتحقق بالقبض قطعاً . وعدم القبض قد يكون رداً
وقد يكون تواني . فهو جدير بأن يختلف فيه . وليس في الباب نصوص عن الشارع
كلف الناس اتباعها في طرق التملك والتملك . والحديث في هدية النبي (ص)
للنجاشي جار على مسألة العرف وتحقق الهبة بالفعل أو عدم تحققها ، وهو في مسند
احمد من حديث أم كلثوم بنت أبي سامة ، وفي اسناده مسلم بن خالد الزنجي اختلف
في توثيقه وضعيفه . وأم موسى بنت عقبة ، قال في مجمع الزوائد : لا أعرفها

وأما أثر عائشة فقد رواه مالك في الموطأ من طريق ابن شهاب عن عروة عنها .
وروى البيهقي نحوه عن مالك وغيره . وظاهر الاثر ان عائشة لم تقبل نحلة أبيها فبقيت
في يده الى ان أدركته الوفاة فذكر لها انه يتركها إرثاً . وأن هذا ليس من باب
الاعتصار ، وهو رجوع الوالد بما بهبه للولد في حياته ، وهو جائز عند أكثر الفقهاء
وما قاله ابن رشد — من أن الهبة لا بد فيها من الايجاب والقبول عند الجميع —

فهو غير صحيح اذا أراد بهما الصيغة باللسان أو الكتابة ، فقد تقل العلماء اختلاف
في ذلك كالحافظ ابن حجر والامام الشوكاني وغيره . وتجد تحرير هذه المسألة
بدلائلها في جميع العقود في المبحث النفيس الذي كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في
مسألة العقود ، فراجع في المجلد الثالث من مجموعة فتاواه المطبوعة بمصر . وخص بالتأمل

(الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان (*))

من مباحث كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي . وهو ما عقد له الباب الثامن منه . قال رحمه الله تعالى :

هذا الباب يُضطرُّ الى الكلام فيه عند النظر فيما هو بدعة وما ليس ببدعة ؛ فان كثيرا من الناس عدوا اكثر المصالح المرسلة بدعاً ، ونسبوها الى الصحابة والتابعين ، وجعلوها حجة فيما ذهبوا اليه من اختراع العبادات . وقوم جعلوا البدع تنقسم بأقسام أحكام الشريعة ، فقالوا : ان منها ما هو واجب ومندوب ، وعدوا من الواجب كتب المصحف وغيره ، ومن المندوب الاجتماع في قيام رمضان على قارئ واحد

وأيضاً فان المصالح المرسلة يرجع معناها الى اعتبار المناسب الذي لا يشهد له أصل معين ، فليس له على هذا شاهد شرعي على الخصوص ، ولا كونه قياساً بحيث اذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وهذا بعينه موجود في البدع المستحسنة ، فانها راجعة الى أمور في الدين مصلحية - في زعم واضعيا - في الشرع على الخصوص

واذا ثبت هذا ؛ فان كان اعتبار المصالح المرسلة حقاً ، فاعتبار البدع المستحسنة حق ؛ لانهما يجريان من واد واحد . وان لم يكن اعتبار البدع حقاً ، لم يصح اعتبار المصالح المرسلة .

وأيضاً فان القول بالمصالح المرسلة ليس متفقاً عليه ، بل قد اختلف

(*) تابع لما نشر في ص ٧٥٣

فيه أهل الأصول على أربعة أقوال - فذهب القاضي وطائفة من الأصوليين الى رده ؛ وان المعنى لا يعتبر ما لم يستند الى أصل . وذهب مالك الى اعتبار ذلك ، وبنى الاحكام عليه على الاطلاق . وذهب الشافعي ومعظم الحنفية الى التمسك بالمعنى الذي لم يستند الى أصل صحيح ، لكن بشرط قربه من معاني الأصول الثابتة . هذا ما حكى الامام الجويني

وذهب الغزالي الى أن المناسب ان وقع في رتب التحسين والتزوين لم يعتبر حتى يشهد له أصل معين ، وان وقع في رتبة الضروري فيله الى قبوله ، لكن بشرط . قال : ولا يبعد أن يؤدي اليه اجتهاد مجتهد . واختلاف قوله في الرتبة المتوسطة ، وهي رتبة الحاجي ، فرده في المستصني وهو آخر قوله ، وقبلة في شفاء الغليل كما قبل ما قبله . واذا اعتبر من الغزالي اختلاف قوله - : فالأقوال خمسة ؛ فإذا اراد لاعتبارها لا يبقى له في الواقع له ^(١) في الوقائع الصحاح مستند الا انها بدعة مستحسنة - كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاجتماع لقيام رمضان : نعمت البدعة هذه . - اذ لا يمكنهم ردها ، لاجماعهم عليها .

وكذلك القول في الاستحسان فانه - على ما ^(٢) المتقدمون -

راجع الى الحكم بغير دليل ، والثاني له لا يعد الاستحسان سببا ، فلا يعتبر في الاحكام البتة ، فصار كالمصالح المرسلة اذا قيل بردها .

فلما كان هذا الموضوع مزلة قدم لأهل البدع أن يستدلوا على بدعتهم من جهته - كان من الحق المتعين النظر في مناط الغلط الواقع لهؤلاء ،

(١) قوله « في الواقع له » لا معنى له ولعله زائد (٢) بياض في الاصل ويصح

المعنى بتقدير الساقط « قال » او « ذهب اليه »

حتى يتبين ان المصالح المرسلة ليست من البدع في ورد ولا صدر ، بحول الله ، والله الموفق . فتقول :

المعنى المناسب الذي يربط به الحكم لا يخلو من ثلاثة اقسام (احدها) ان يشهد الشرع بقوله ، فلا إشكال في صحته ، ولا خلاف في إعماله ؛ والا كان مناقضة للشريعة ، كشريعة القصاص حفظاً للنفوس والاطراف وغيرها

(والثاني) ما شهد الشرع برده ، فلا سبيل الى قبوله ؛ اذ المناسبة لا تقتضي الحكم لنفسها ؛ وانما ذلك مذهب أهل التحسين العقلي ، بل اذا ظهر المعنى وفهمنا من الشرع اعتباره في اقتضاء الاحكام ، فحينئذ نقبله ؛ فان المراد بالمصلحة عندنا ما فهم رعايته في حق الخلق من جلب المصالح ودرء المفاسد على وجه لا يستقل العقل بدركه على حال ؛ فاذا لم يشهد الشرع باعتبار ذلك المعنى بل برده ، كان مردودا باتفاق المسلمين

ومثاله ما حكى الفزالي عن بعض اكابر العلماء انه دخل على بعض السلاطين فسأله عن الوقع في نهار رمضان ؛ فقال : عليك صيام شهرين متتابعين . فلما خرج راجعه بعض الفقهاء وقالوا له : القادر على إعتاق الرقبة كيف يعدل به الى الصوم والصوم وظيفة المعسرين ؛ وهذا الملك يملك عبيدا غير محصورين ؛ فقال لهم : لو قلت له عليك إعتاق رقبة لا يستحق ذلك وأعتق عبيدا صرارا ؛ فلا يزجره اعتاق الرقبة ويؤجره صوم شهرين متتابعين

فهذا المعنى مناسب ، لان الكفارة مقصود الشرع منها الزجر ،

والملك لا يزجره الاعتاق ويزجره الصيام . وهذه الفتيا باطلة لان العلماء بين قائلين : قائل بالتخير ، وقائل بالترتيب ، فيقدم العتق على الصيام ، فتقديم الصيام بالنسبة الى الغني لا قائل به . على انه قد جاء عن مالك شيء يشبه هذا ، لكنه على صريح الفقه

قال يحيى بن بكير : حث الرشيد في عين فجمع العلماء فأجمعوا ان عليه عتق رقبة . فسأل مالك ، فقال : صيام ثلاثة ايام . واتبعه على ذلك اسحاق بن ابراهيم من فقهاء قرطبة .

حكى ابن بشكوال ان الحكم أمير المؤمنين ارسل في الفقهاء وشاورهم في مسألة نزلت به ، فذكر لهم عن نفسه انه عمد الى احدى كرائمة^(١) ووطئها في رمضان ، فأفتوا بالإطعام ، واسحاق بن ابراهيم ساكت . فقال له أمير المؤمنين : ما يقول الشيخ في فتوى اصحابه ؟ فقال له : لا اقول بقولهم ، واقول بالصيام . فقيل له : اليس مذهب مالك الاطعام ؟ فقال لهم : تحفظون مذهب مالك ، إلا انكم تريدون مصانعة أمير المؤمنين . انما أمر مالك بالإطعام لمن له مال ، وأمير لا مال له ، انما هو بيت مال المسلمين . — فأخذ بقوله أمير المؤمنين وشكر له عليه اه وهذا صحيح .

نعم حكى ابن بشكوال انه اتفق لعبد الرحمن بن الحكم مثل هذا في رمضان ، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته . فقال يحيى بن يحيى : يكفر ذلك صيام شهرين متتابعين . فلما برز ذلك من يحيى سكت سائر الفقهاء حتى خرجوا من عنده ، فقالوا ليحيى : مالك لم تقته بمذهبننا عن

(١) المراد بكرائمه عقائل نساءه الحرائر لا بناته كما هو المستعمل في عرف زماننا

مالك من أنه مخير بين العتق والطعام والصيام ؟ فقال لهم : لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويمتق رقبة ، ولكن حملته على أصعب الأمور ثلثا يعود . فإن صح هذا عن يحيى بن يحيى رحمه الله وكان كلامه على ظاهره كان مخالفاً للاجماع .

(الثالث) ما سككت عنه الشواهد الخاصة ، فلم تشهد باعتباره ولا بإلغائه . فهذا على وجهين :

— أحدهما — ان يرد نص على وفق ذلك المعنى ، كتعليل منع القتل للغيراث ، فالمعاملة بنقيض المقصود تقدير ان لم يرد نص على وفقه ^(١) فان هذه العلة لا عهد بها في تصرفات الشرع بالفرض ولا بملأئها بحيث يوجد لها جنس معتبر ، فلا يصح التعليل بها ، ولا بناء الحكم عليها باتفاق . ومثل هذا تشريع من القائل به فلا يمكن قبوله

— والثاني — ان يلائم تصرفات الشرع ، وهو أن يوجد لذلك المعنى جنس اعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين ، وهو الاستدلال المرسل المسمى بالمصالح المرسلة ، ولا بد من بسطه بالأمثلة حتى يتبين وجهه بحول الله

ولنقتصر على عشرة أمثلة

*
* *

(أحدها) ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع المصحف ، وليس ثم نص على جمعه وكتبه أيضاً ، بل قد قال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فروي عن

(١) تأمل العبارة من أولها

زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : ارسل اليّ ابو بكر رضي الله عنه مقتل
(اهل) اليامة ، واذا عنده عمر رضي الله عنه ، قال ابو بكر : (ان عمر اناني
فقال) ان القتل قد استحرّ بقراء القرآن يوم اليامة ^(١) واني اخشى ان
يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير ، واني ارى
ان تأمر بجمع القرآن - قال - فقلت له : كيف أفعل شيئاً لم يفعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لي : هو والله خير . فلم يزل عمر
يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له ، ورأيت فيه الذي رأى عمر . -
قال زيد - فقال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا تهملك ، قد كنت
تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه . -
قال زيد - فوالله لو كافوني ثقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من
ذلك - فقلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ فقال ابو بكر : هو والله خير . فلم يزل يراجعني في ذلك ابو بكر
حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدورهما . فتبعت القرآن أجمعه
من الرقاع والمسبب والخاف ^(٢) ومن صدور الرجال . فهذا عمل لم يتقل
فيه خلاف عن احد من الصحابة

ثم روي عن أنس بن مالك ان حذيفة بن اليان كان يغازي أهل
الشام وأهل العراق في فتح ارمينية واذريجان ، فأفزعهم اختلافهم في
القرآن ، فقال لثمان : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا
في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى ، فارسل عثمان الى حفصة :

(١) استحر القتل اشتد وكثر . والقراء حفظة القرآن (٢) المسبب جمع عسب
وهو جريد النخل . والخاف كالخاف : حجارة بيض رقاق وأحدثها لطفة كسمكة

ارسلني اليّ بالمصحف تنسخها في المصاحف ثم نردها عليك . فارسلت حفصة به الى عثمان ، فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فأمرهم ان ينسخوا المصحف في المصاحف . ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه اتم وزيد بن ثابت فأكتبوه بلسان قريش ، فانه نزل بلسانهم . قال ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف في المصاحف ، بعث عثمان في كل اقل بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوها . ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف ان يحرق .

فهذا أيضاً اجماع آخر في كتبه وجمع الناس على قراءة لا يحصل منها في الغالب اختلاف . لانهم لم يختلفوا الا في القراءات — حسبما نقله العلماء المعنون بهذا الشأن — . فلم يخالف في المسئلة الا عبد الله بن مسعود فانه امتنع من طرح ما عنده من القراءة المخالفة لمصاحف عثمان ، وقال : يا أهل العراق ؛ ويا أهل الكوفة : اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها ، فان الله يقول (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) وألقوا اليه بالمصاحف . فتأمل كلامه فانه لم يخالف في جمعه . وانما خالف امراً آخر . ومع ذلك فقد قال ابن هشام : بلغني أنه كره ذلك من قول ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما صنعوا من ذلك، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً ، فان ذلك راجع الى حفظ الشريعة ، والامر بحفظها معلوم ، والى منع الذريعة للاختلاف في أصلها الذي هو القرآن ، وقد علم النهي عن الاختلاف في ذلك بما

لا مزيد عليه ^(١).

وإذا استقام هذا الأصل فأجل عليه كتب العلم من السنن وغيرها ،
إذا خيف عليها الاندرا س ، زيادة على ما جاء في الأحاديث من الأمر
بكتب العلم .

وأنا أرجو أن يكون كتب هذا الكتاب الذي وضعت يدي فيه
من هذا القبيل ؛ لاني رأيت باب البدع في كلام العلماء مغفلا جدا الأمن
النقل الجلي كما نقل ابن وضاح ، أو يؤتى باطراف من الكلام لا يشفي
الغليل بالتفقه فيه كما ينبغي ، ولم أجد على شدة بحثي عنه الا ما وضع فيه
أبو بكر الطرطوشي ، وهو يسير في جنب ما يحتاج اليه فيه ، والا
ما وضع الناس في الفرق الثنتين والسبعين ، وهو فصل من فصول الباب
وجزء من أجزائه ، فأخذت نفسي بالعناء فيه ، عسى أن ينتفع به واضعه ،
وقارئه ، وناشره ، وكاتبه ، والمنفع به ، وجميع المسلمين ، انه ولي ذلك
ومسديه بسعة رحمته

(المثال الثاني)

اتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حذ شارب الخمر
ثمانين . وانما مستندهم فيه الرجوع الى المصالح والتمسك بالاستدلال
المرسل ، قال العلماء لم يكن فيه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هذا القول يحتاج الى مزيد بيان ، وهو ان الله تعالى سمي القرآن كتابا فأفاد
ذلك وجوب كتابته كله ، ولذلك اتخذ النبي (ص) كتابا للوحي . وتفرق الصحف
المكتوبة لا يعقل ان يكون مطلوبا للشارع حتى يحتاج جمعها الى دليل خاص :
ولم يأمر النبي (ص) بجمعها في حياته لاحتمال المزيد في كل سورة ما دام حيا ، كما
قال العلماء .

حد مقدر؛ وإنما جرى الزجر فيه مجرى التعزير. ولما انتهى الأمر إلى أبي بكر رضي الله عنه قرّر على طريق النظر بآدميين، ثم انتهى الأمر إلى عثمان رضي الله عنه فتابع الناس فجمع الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم، فقال علي رضي الله عنه: من سكر هذى ومن هذى اقترى؛ فأرى عليه حد المفترى.

ووجه إجراء المسألة على الاستدلال بالمرسل أن الصحابة أو الشرع^(١) يقيم الأسباب في بعض المواضع مقام المسببات، والمظنة مقام الحكمة، فقد جعل الإيلاج في أحكام كثيرة يجري مجرى الإنزال، وجعل الحافر للبئر في محل المدوان وإن لم يكن ثم مرد كالمردي نفسه، وحرم الخلوة بالاجنبية حذرا من الذريعة إلى الفساد، إلى غير من الفساد؛ فأروا الشرب ذريعة إلى الافتراء الذي تقتضيه كثرة الهذيان، فانه أول سابق إلى السكران - قالوا - فهذا من أوضح الأدلة على إسناد الأحكام إلى المعاني التي لا أصول لها (يعني على الخصوص به) وهو مقطوع من الصحابة رضي الله عنهم.

(المثال الثالث)

إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصانع. قال علي رضي الله عنه «لا يصلح الناس إلا ذاك» ووجه المصلحة فيه أن الناس لهم حاجة إلى الصانع، وهم يفتنون عين الامتعة في غالب الأحوال؛ والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ، فلو لم يثبت لتضمينهم مع مسيس الحاجة

(١) في نسخة ثانية «الشرعة تقيم» كما يستفاد من هامش الاصل

الى استعمالهم لافضى ذلك الى أحد امرين : إما ترك الاستصناع بالكلية ، وذلك شاق على الخلق ؛ وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهلاك والضياع ، فتضيع الاموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الحياة ، فكانت المصلحة التضمين . هذا معنى قوله « لا يصلح الناس الا ذاك »

ولا يقال: ان هذا نوع من الفساد وهو تضمين البريء. اذ لعله ما أفسد ولا فرط ، فالتضمين مع ذلك كان نوعاً من الفساد . لانا نقول: اذا تقابلت المصلحة والمضرة فشان العقلاء النظر الى التفاوت ، ووقوع التلف من الصناعات من غير تسبب ولا تفريط بعيد . والغالب الفوت فوت الاموال ، وانها لا تستند الى التلف السماوي ، بل ترجع الى صنع العباد على المباشرة أو التفريط . وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » تشهد له الاصول من حيث الجملة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن أن يبيع حاضر لباد . وقال « دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض » وقال « لا تلقوا الركبان بالبيع حتى يهبط بالسلع الى الاسواق » وهو من باب ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فتضمين الصناعات من ذلك القبيل

(المثال الرابع)

ان العلماء اختلفوا في الضرب بالثهم . وذهب مالك الى جواز السجن في الثهم ، وان كان السجن نوعاً من العذاب . ونص أصحابه على جواز الضرب ، وهو عند الشيوخ من قبيل تضمين الصناعات ، فانه لو لم يكن الضرب والسجن بالثهم ، لتعذر استخلاص الاموال من أيدي السراق والغصاب ، اذ قد يتعذر اقامة البينة ، فكانت المصلحة في

التعذيب، وسيلة الى التحصيل بالتعيين والاقرار .

فان قيل : هذا فتح باب تعذيب البريء ^(١) قيل : ففي الاعراض عنه ابطال استرجاع الاموال ؛ بل الاضرار عن التعذيب أشد ضرراً ، اذ لا يعذب أحد لمجرد الدعوى ، بل مع اقتران قرينة تحيك في النفس ؛ وتؤثر في القلب نوعاً من الظن . فالتعذيب في الغالب لا يصادف البريء ، وان أمكن مصادفته ، فتغفر ، كما اغتفر في تضمين الصانع ^(٢)

فان قيل : لافائدة في الضرب ؛ وهولو أقر لم يقبل اقراره في تلك الحال .

فالجواب : إن له فائدتين — احدهما — أن يمين المتاع فتشهد عليه البينة لربه ، وهي فائدة ظاهرة . — والثانية — أن غيره قد يزدجر حتى لا يكثر الاقدام ، فتقل أنواع هذا الفساد .

وقد عد له سحنون فائدة ثالثة وهو الاقرار حالة التعذيب ، فإنه يؤخذ عنده بما أقر في تلك الحال . قالوا وهو ضعيف ، فقد قال الله تعالى (لا إكراه في الدين) ولكن نزله سحنون على من أكره بطريق غير مشروع ، كما اذا أكره على طلاق زوجته ، أما ان أكره بطريق صحيح فإنه يؤخذ به ، كالكافر يسلم تحت ظلال السيوف فإنه يأخذه . وقد تنفق له بهذه الفائدة على مذهب غير سحنون اذا أقر حالة التعذيب ثم تبادى على الاقرار بعد أمنه فيؤخذ به . قال الغزالي — بعد ما حكى عن

(١) لعل الاصل « تعذيب البريء » (٢) ينظر ابن يرجع الضمير الذي اسند اليه هذا الفعل ؛ فان كان المصادفة ، فالظاهر ان يؤنث بالتاء فيقال « اغتفرت » كما قال « فتغفر » وان أرجع الى التعذيب رد بان تضمين الصانع ليس تعذيباً . ولعل الاصل تأنيث الفعل ، او حذف « في » وجعل « تضمين » هو الفاعل .

الشافعي أنه لا يقول بذلك : وعلى الجملة فالمسئلة في محل الاجتهاد . - قال -
ولسنا نحكم بمذهب مالك على القطع ، فاذا وقع النظر في تعارض المصالح ،
كان ذلك قريباً من النظر في تعارض الاقيسة المؤثرة .

(المثال الخامس)

انا اذا قررنا اماما مطاعاً مفتقراً الى تكثير الجنود لسد الثغور
وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند
الى ما لا يكفيهم ، فللا مام اذا كان عدلاً أن يوظف على الاغنياء ما يراه
كافياً لهم في الحال ، الى أن يظهر مال بيت المال ، ثم اليه النظر في
توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ، كيلا يؤدي تخصيص
الناس به الى ايجاش القلوب . وذلك يقع قليلا من كثير بحيث لا يحجب
بأحد ويحصل المقصود

وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم
بمخلاف زماننا ، فان القضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فانه
للم فعل الامام ذلك النظام بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة
لاستيلاء الكفار

وانما نظام ذلك كله شوكة الامام بعده . فالذين يحذرون من
الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة ، يستحقرون بالاضافة اليها ، والهم كلها ،
فضلا عن اليسير منها ، فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق
لهم بأخذ البعض من أموالهم ، فلا يتبارى في ترجيح الثاني عن الاول .
وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد
والملاءمة الاخرى - ان الاب في طفله ، أو الوصي في يتيمة ،

(المنار - ج ١١ م ١٧) استعداد الجندية الدائم والاستقراض لبيت المال ٨٤٥

أو الكافل فيمن يكفله ، مأمور^(١) برعاية الاصلح له ، وهو يصرف ماله الى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج اليها . وكل ما يراه سبباً لزيادة ماله أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله . ومصلحة الاسلام عامة لا تقتصر عن مصلحة طفل ، ولا نظر امام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره

ولو وطئ الكفار أرض الاسلام لوجب القيام بالنصرة ، واذا دعاهم الامام وجبت الاجابة ، وفيه اتعاب النفوس وتمريضها الى الهلكة ، زيادة الى اتفاق المال . وليس ذلك الحماية الدين ، ومصلحة المسلمين فاذا قدرنا هجومهم^(٢) واستشعر الامام في الشوكة ضعفاً وجب على الكافة امدادهم . كيف والجهاد في كل سنة واجب على الخلق ؛ وانما يسقط باشتغال المرتزقة ، فلا يمارى في بذل المال لنثل ذلك

واذا قدرنا انعدام الكفار الذين يخاف من جهمهم ، فلا يؤمن من افتتاح باب الفتن بين المسلمين . فالمسئلة على حالها كما كانت ، وتوقع الفساد عتيده ، فلا بد من الحراس

فهذه ملازمة صحيحة ، الا أنها في محل ضرورة ، فتقدر بقدرها ، فلا يصح هذا الحكم الا مع وجودها . والاستقراض في الازمات انما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر أو يرتجى ، وأما اذا لم ينتظر شيء وضعفت وجوه^(٣) الدخل بحيث لا يغني كبير شيء ، فلا بد من

(١) قوله « مأمور » خبر « ان الاب » باعتبار ما عطف عليه (٢) قوله « هجومهم »

يعني المسلمين الذين وطئ الكفار أرضهم محاربين لهم (٣) في الاصل « وجوده » وهو غلط

جريان حكم التوظيف

وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع من كتبه ، وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن له ، وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الامام ، وإيقاع التصرف في أخذ المال واعطائه على الوجه المشروع

(المثال السادس)

إن الامام لو أراد أن يعاقب بأخذ المال على بعض الجنايات^(١) فاختلف العلماء في ذلك - حسبما ذكره الغزالي - على أن الطحاوي حكى أن ذلك كان في أول الاسلام ثم نسخ فأجمع العلماء على منعه .

فأما الغزالي فزعم أن ذلك من قبيل الغريب الذي لا عهد به في الاسلام ، ولا يلائم تصرفات الشرع ؛ مع أن هذه العقوبة الخاصة لم تتعين ؛ لشرعية العقوبات البدنية بالسجن والضرب وغيرها - قال - فان قيل : فقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاطر خالد بن الوليد في ماله ، حتى أخذ رسوله برد نعله وشرط عمامته . قلنا : المظنون من عمر أنه لم يبتدع العقاب بأخذ المال على خلاف المألوف من الشرع ، وإنما ذلك لعلم عمر باختلاط ماله بالمال المستفاد من الولاية واحاطته بتوسعته ، فلم يله في المال فرأى شطر ماله من فوائد الولاية ، فيكون استرجاعاً للحق لالعقوبة في المال ، لان هذا من الغريب الذي لا يلائم قواعد الشرع . هذا ما قال . ولما فعل عمر وجه آخر غير هذا ، ولكنه لا دليل فيه على العقوبة بالمال كما قال الغزالي

وأما مذهب مالك فان العقوبة في المال عنده ضربان (أحدهما) كما

(١) ينظر ابن جواب لو ؟ وما موقع الفاء من قوله « فاختلف العلماء ؟ »

صوره الغزالي ، فلا صرية في أنه غير صحيح ، على أن ابن المطارفي رفاقته صنى الى اجازة ذلك ، فقال في اجازة أعوان القاضي اذا لم يكن بيت مال : انها على الطالب ، فان أدى المطلوب كانت الاجازة عليه . ومال اليه ابن رشد . وردده عليه ابن النجار القرطبي ، وقال : ان ذلك من باب العقوبة في المال ، وذلك لا يجوز على حال

(والثاني) أن تكون جناية الجاني في نفس ذلك المال أو في عوضه ، فالعقوبة فيه عنده ثابتة . فإنه قال في الزعفران المغشوش اذا وجد بيد الذي غشه : انه يتصدق به على المساكين قل أو أكثر . وذهب ابن القاسم ومطرف وابن الملاجشون الى أنه يتصدق بما قل منه دون ما أكثر . وذلك محكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانه أراق اللبن المغشوش بالماء ، ووجه ذلك التأديب للغاش . وهذا التأديب لانص يشهد له ، لكن من باب الحكم على الخاصة لاجل العامة . وقد تقدم نظيره في مسألة تضمين الصناع

على أن أبا الحسن اللخمي قد وضع له أصلاً شرعياً ، وذلك انه عليه السلام أمر باكفاء القدور التي أغليت بلحوم الحر قبل أن تقسم . وحديث العتق بالمشلة أيضاً من ذلك .

ومن مسائل مالك في المسألة : اذا اشترى مسلم من نصراني خمرًا فانه يكسر على المسلم ، ويتصدق بالثمن أدباً للنصراني ان كان النصراني لم يقبضه . وعلى هذا المعنى فرع أصحابه في مذهبه ، وهو كله من العقوبة في المال ، الا أن وجهه ما تقدم

(المثال السابع)

انه لو طبق الحرام الارض، أو ناحية من الارض يسر الانتقال منها، وانسدت طرق المكاسب الطيبة، ومست الحاجة الى الزيادة على سد الرمي، فان ذلك سائق أن يزيد على قدر الضرورة، ويرتقي الى قدر الحاجة في القوت والملبس والسكن، اذ لو اقتصر على سد الرمي لتمطلت المكاسب والاشغال، ولم يزل الناس في مقاساة ذلك الى أن يهلكوا، وفي ذلك خراب الدين. لكنه لا ينتهي الى الترفه والتنعم، كما لا يقتصر على مقدار الضرورة.

وهذا ملائم لتصرفات الشرع وان لم ينص على عينه، فانه قد أجاز اكل الميتة للمضطر، والدم ولحم الخنزير، وغير ذلك من الخبائث المحرمات وحكى ابن العربي الاتفاق على جواز الشبع عند توالي الخمصة، وانما اختلفوا اذا لم تتوال: هل يجوز له الشبع أم لا؟ وأيضا فقد أجازوا أخذ مال الغير عند الضرورة أيضا. فانحن فيه لا يقتصر عن ذلك وقد بسط الفزالي هذه المسألة في الاحياء بسطا شافيا جذا^(١)، وذكرها في كتبه الاصولية كالمنحول وشفاء العليل

(المثال الثامن)

انه يجوز قتل الجماعة بالواحد. والمستند فيه المصلحة المرسله، اذ لانص على عين المسألة، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله

(١) للفزالي كلمة في عدم تعدي الحرام اذا كثروا وهي « اذا حرم كله حل كله » أي لا يبحث المرء في هذه الحال عن أصل المال، بل يحرم ان يأخذه من وجه حلال.

عنه . وهو مذهب مالك والشافعي . ووجه المصاحبة أن القتل معصوم ، وقد قتل عمداً ، فإهداره داع الى خرم أصل القصاص ، واتخاذ الاستعانة والاشتراك ذريعة الى السعي بالقتل اذا علم أنه لا قصاص فيه ، وليس أصله قتل المنفرد فانه قاتل تحقيقاً ، والمشارك ليس بقاتل تحقيقاً

فان قيل : هذا أصريديع في الشرع ^(١) وهو قتل غير القاتل . قلنا : ليس كذلك ، بل لم يقتل الا القاتل ، وهم الجماعة من حيث الاجتماع عند مالك والشافعي ، فهو مضاف اليهم تحقيقاً اضافته الى الشخص الواحد ، وانما التمييز في تنزيل الاشخاص منزلة الشخص الواحد ، وقد دعت اليه المصاحبة فلم يكن مبتدعاً مع ما فيه من حفظ مقاصد الشرع في حقن الدماء ، وعليه يجري عند مالك قطع الايدي باليد الواحدة ، وقطع الايدي في النصاب الواجب ^(٢)

المثال التاسع

ان العلماء نقلوا الاتفاق على ان الامامة الكبرى لا تنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ، كما انهم اتفقوا ايضاً - أو كادوا أن يتفقوا - على ان القضاء بين الناس لا يحصل الا لمن رقي في رتبة الاجتهاد . وهذا صحيح على الجملة ، ولكن اذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس ، وافتقروا الى امام يقدمونه لجران الاحكام وتسكين ثورة الثائرين ، والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم ، فلا بد

(١) البدع المخترع على غير مثال سابق . والمعنى ليس له أصل من الشرع ، لاختصاص فيكون قياساً عليه ، ولا عام فيكون من انصالح المرسلة (٢) أي اذا قطع جماعة يد أحد أو سرقوا نصاباً بالتعاون والاشتراك تقطع أيديهم كلهم

من إقامة الامثل ممن ليس بمجتهد ، لانا بين أمرين : إما ان يترك الناس فوضى ، وهو عين الفساد والهرج . وإما ان يقدموه فيزول الفساد بته ، ولا يبقى الا فوت الاجتهاد ، والتقليد كاف بحسبه

واذا ثبت هذا فهو نظر مصاحبي يشهد له وضع أصل الامامة ؛ وهو مقطوع به بحيث لا يفتقر في صحته وولاءته الى شاهد ؛ هذا — وان كان ظاهره مخالفا لما تقولوا من الاجماع في الحقيقة — إنما انمقد على فرض ان يخلو الزمان من مجتهد ، فصار مثل هذه المسئلة مما لم ينص عليه ، فصح الاعتماد فيه على المصلحة

المثال العاشر

ان الغزالي قال في بيعة المفضل مع وجود الافضل : ان ردنا في مبدأ التولية بين مجتهد في علوم الشرائع وبين متقاصر عنها ؛ فيتعين تديم المجتهد ، لان اتباع الناظر علم نفسه ، له مزية على اتباع علم غيره ، فالتقليد والمزايا لاسبيل الى اهمالها مع القدرة على مراعاتها

أما اذا انمقدت الامامة بالبيعة أو تولية العهد لمنفك عن رتبة الاجتهاد ، وقامت له الشوكة ، واذعنت له الرقاب ، بأن خلا الزمان عن قرشي مجتهد مستجمع جميع لشرائط ، وجب الاستمرار^(١)

وإن قدر حضور قرشي مجتهد مستجمع للفروع والكفاية ، وجميع شرائط الامامة . واحتاج المسلمون في خلع الاول الى تعرضه لإثارة فتن واضطراب أمور ، لم يجوز لهم^(٢) خلعها والاستبدال به ، بل تجب

(١) قوله « وجب » الخ جواب قوله « أما اذا انمقدت » (٢) قوله « لم يجوز لهم » الخ جواب وجزاء قوله « وان قدر » الخ

عليهم الطاعة له ، والحكم بنفوذ ولايته وصحة إمامته ؛ لانا نعلم ان العلم مزية روعيت في الامامة تحصيلها لمزيد المصلحة في الاستقلال بالنظر والاستغناء عن التنفيذ ، وان الثمرة المطلوبة من الامام تطفئة الفتنة ، النائرة ، من تفرق الآراء المتنافرة : فكيف يستجيز العاقل تحريك الفتنة ، وتشويش النظام ، وتقويت اصل المصلحة في الحال ؛ تشوقا الى مزيد^(١) دقيقة في الفرق بين النظر والتقليد - قال - وعند هذا ينبغي ان يقيس الانسان ما ينال الخلق من الضرر بسبب عدول الامام عن النظر الى التقليد ، بما ينالهم لو تعرضوا لخلعه والاستبدال به ، او حكموا بأن امامته غير منعقدة .

هذا ما قال^(٢) ، وهو متجه بحسب النظر المصاحي ، وهو ملائم لتصرفات الشرع - وان لم يعضده نص على التعيين وما قرره هو أصل مذهب مالك . قيل ليحيى بن يحيى : البيعة مكروهة ؟ قال : لا ، قيل له : فان كانوا أئمة جور ؟ فقال : قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك ؛ أخبرني بذلك مالك عنه أنه كتب اليه وأمره بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه قال يحيى : والبيعة خير من الفرقة - قال - ولقد أتى مالكا العمريُّ

(١) كذا وعلمه « مزية » (٢) أي الغزالي . وقد فاته وفاته أمثاله أن يذهبوا المسلمين على أن هذه الأقوال والفتاوى المبينة على الضرورة بتقديرها كسائر الضرورات ، وأن يسعى المسلمون لازاتها بوسائل تنفي فيها الفتنة أو يرتكب فيها أخف الضررين ، وقد يكون أخفهما خلع الامام الجائر الجاهل ، وكم من سلطان خلع ، ومن دولة دالت ، ولم يكن ضرر ذلك أرجح من الصبر عليه ، على أن ذلك لم يكن الامتناعاً على الملك ، فكيف لو كان لاجل وضع الحق في انصابه

فقال له : يا أبا عبد الله بايعني أهل الحرمين ، وانت ترى سيرة أبي جعفر ، فأتري ؟ فقال له مالك : أتدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز ان يولي رجلا صالحا ؟ فقال العمري : لا أدري . قال مالك : لكلي انا أدري ، انما كانت البيعة ليزيد بعده ، تخاف عمر ان ولي رجلا صالحا ان لا يكون ليزيد بدنه من القيام ، فتقوم هجمة فيفسد ما لا يصلح . فصدر رأي هذا العمري على رأي مالك .

فظاهر هذه الرواية انه اذا خيف عند خلع غير المستحق واقامة المستحق ان تقع فتنة وما لا يصلح ، فالمصلحة في الترك

وروى البخاري عن نافع قال : لما خلع اهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : ابي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لكل غادر لواء يوم اليامة » وإنافد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، واني لا اعلم احدا منكم خلعه ولا تابع في هذا الامر الا كانت الفيصل بيني وبينه

قال ابن العربي : وقد قال ابن الخياط : ان بيعة عبد الله ليزيد كانت كرها ، وابن يزيد من ابن عمر ؛ ولكن رأي بدينه وعلمه التسليم لأمر الله والفرار عن التعرض لفتنة فيها من ذهاب الاموال والانفس مالا يخفى . نفع يزيد — لو تحقق ان الامر يعمود في نصابه .. ^(١) فكيف ولا يعلم ذلك ، وهذا أصل عظيم فتفهموه والزموه ترشدوا ان شاء الله .

(١) سقط من هنا خبر المبتدئ الذي هو قوله « نفع يزيد » واهل الساقط قوله « تعرض للفتنة » كما يفهم من سابق الكلام — أي ان خلع يزيد تعرض للفتنة لا يجوز مع العلم بان الخلافة تعود الى مستحقها ، فكيف وذلك غير معلوم ، لجواز ان ينكل بين خاموه ويبقى الامر بيده أو تعود الى مثله أو شر منه .

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية اسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرض من هذه المحاضرات إيقاظكم على أصول بعض أنواع العلوم الطبيعية والطبية خصوصا ما كان منها له مساس بعلم قارئ الصحة ؛ فانه هو المقصد الأصلي الذي نرعي اليه في جميع هذه المحاضرات ، لأن هذا العلم هو كشجرة شبيهة مما تنتج شجرة العلوم المعاصرة ، طبيعية كانت أو طبية ، والغرض منه معرفة الاصول والتواعد الصحية التي بها يُحفظ الجسم من الضعف والانحلال بقدر الامكان ، وكذا من الامراض المعدية وغير المعدية

وستسمعون مني في سياق هذه المحاضرات تعريب كثير من الألفاظ العلمية ، وتطبيق حقائق هذه العلوم على نصوص الديانة الاسلامية الغراء
وها كم أسماء العلوم التي نريد أن نتكلم عليها بعون الله تعالى :

١ الكيمياء ٢ الطبيعة ٣ التشريح ٤ الفسيولوجيا (١) ٥ المستولوجيا (٢)
٦ البكتريولوجيا (٣) الامراض المعدية ، وغير ذلك

(نبذة في علم الكيمياء) Chemistry

الكيمياء القديمة كان الغرض منها معرفة حجر الفلاسفة وهو الجوهر الذي اذا وضع على أي معدن يصيره ذهباً على زعمهم . ومعرفة اكسير الحياة ، وهو الذي كانوا يظنون أنه يعيد الشيخ شاباً أو أنه يشفي جميع الامراض . وأما الآن فالغرض من الكيمياء معرفة أصول المركبات وكيفية تركيبها وتحليلها . وهذه الاصول تسمى بالعناصر والعناصر كثيرة ، ولكنها الآن لاتتجاوز الثمانين ؛ ومن أهمها الحديد (١) وظائف الاعضاء (٢) التشريح الدقيق (٣) علم الميكروبات أو الجراثيم

والنحاس والأكسجين والكربون

وأما المركبات فمنها الخشب والسكر والماء وغير ذلك . والراجح عند العلماء الآن ان جميع العناصر هي أيضا مركبات وكلها ترجع الى أصل واحد، وهو الأثير الذي هو أبسط جميع الموجودات . وانه مركبت ؛ وأصغر أجزاء هذه العناصر تسمى بالجواهر الفردة، وهي التي لا يمكن تقسيمها الى أقل منها ولو في الذهن والعناصر جميعا تنقسم الى قسمين معادن وغير معادن، فالمعادن هي مثل النحاس والحديد ، وغيرها مما مثل الفحم والكبريت (المسمى بالعمود)

والمعادن تختلف عن غير المعادن في أربعة أشياء (١) ان المعادن لها لمعة خاصة بها، وغيرها ليس كذلك (٢) ان المعادن توصل الحرارة والكهرباء (٣) أن المعادن تقبل الانطراق والتعدد وغير المعادن لا يقبل ذلك (٤) ان أكسيد المعادن يسمى القاعدة؛ وأكسيد غير المعادن يتركب منه الحض . والأ أكسيد هو ما ينشأ من اتحاد الأكسجين مع أي عنصر من العناصر، مثال ذلك صدأ الحديد فانه يسمى أكسيد الحديد لتركبه من الأكسجين مع الحديد ، والقاعدة سميت بذلك لأنها كلاً أساس تبني عليه الاملاح ، والحض غير العضوي ينشأ من إذابة أكسيد غير المعادن في الماء ، واتحاد القواعد مع الحوامض يولد الاملاح

ثم ان أكسيد المعادن الذي يذوب في الماء يسمى (قلوي) ولفظ قلوي نسبة الى قلى وهي كلمة فارسية معربة تطلق على نبات ينبت بشواطئ البحر يسمى الأشنان، اذا أحرقت تخلف منه رماد يشتمل على كثير من ملح يسمى (كربونات الصوديوم) ومنه يعمل الصابون . وكربونات الصوديوم تسمى بالبرية نظروناً، ولفظ النظرون أخذ منه اسم العنصر المسمى (صوديوم) فسموه نظريوم، ومن كلمة قلى أخذ لفظ قابيوم وهو اسم لعنصر (البوتاسيوم)

وأشهر القلويات أكسيد الصوديوم أو النظريوم وأكسيد البوتاسيوم أو التليوم . واذا أذيب القلوي في الماء تكون منه ما يسمى (هيدرات) أو إيدرات؛ ومعنى كل منها (ماء) فاذا قيل هيدرات الصوديوم فمعناه ماء الصوديوم أو بالحري ماء أكسيد الصوديوم .

﴿ أشهر العناصر ﴾

وأشهر العناصر ما يأتي ١ الأكسجين ٢ الهيدروجين ٣ النيتروجين ٤ الكالسيوم ٥ الصوديوم ٦ البوتاسيوم ٧ الكلسيوم (وهو ما يتركب منه الجير) ٨ الفسفور ٩ الكبريت ١٠ الحديد ١١ الكربون (الفحم) فالأربعة الأولى كلها غازات طيارة كالهواء ، وهي لا لون لها ؛ ما عدا الكالسيوم فإنه أخضر اللون : وهو معنى اسمه باليونانية : وأما الصوديوم والبوتاسيوم وواحد في أجسام صلبة ،

﴿ العناصر المركبة في الجسم ﴾

ويتركب من هذه العناصر أجسام أخرى مركبة تدخل في جسم الإنسان وهي تنحصر في خمسة أنواع - ١ الماء ٢ المواد الزلالية ٣ المواد الدهنية ٤ المواد السكرية والنشوية ونحوها ٥ أملاح عديدة أهمها كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) وكربونات الكلسيوم (معدن الجير) وسلفات الصوديوم (كبريتات)

*

فأما الماء فهو مركب من الأكسجين والهيدروجين ويدخل في جميع أجزاء الجسم ومنه يتكون أكبر جزء فيه ، وهو من أهم ما يلزم لحياة الجسم ، بحيث أن الإنسان و أي حيوان آخر إذا امتنع عنه بضعة أيام يموت قطعاً

*

وأما المواد الزلالية فهي كلال البيض (بياضه) وهي مركبة من الأكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون (الفحم) والكبريت . وبعضها يدخل فيه الحديد كالمادة المسماة (هيموجلوبين) وهي الداخلة في كرات الدم الحمراء) ويتركب من المواد الزلالية العظام واللحم والمخ والنخاع وجميع الأحشاء

*

وأما المواد الدهنية فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والأكسجين ، وتوجد في الغالب تحت الجلد وحول الأحشاء في البطن وغيره . ثم إن هذه العناصر الثلاثة الأخيرة يتركب منها الفلوسين وإحماض عضوية . فالأحماض العضوية هي التي لا تتكون بنفسها إلا في أعضاء النباتات والحيوانات .

وباجتماع الفلوسرين مع الاحماض العضوية ينشأ الدهن والزيوت الثابتة (مثل زيت السمك وزيت الزيتون) أما الزيوت غير الثابتة فهي مثل زيوت الروائح العطرية، وتركيبها يختلف عن ذلك كثيرا

»

وأما المواد النشوية والسكرية ونحوها فتسمى في علم الكيمياء (بالكربوهيدرات) لأنها مركبة من الكربون والهيدروجين والأكسجين . والفرق بينها وبين المواد الدهنية هو في عدد الذرات وفي وضع بعضها بالنسبة الى البعض الآخر . والمواد السكرية والنشوية توجد بكثرة في الدم والكبد، فيوجد في الدم سكر العسل وفي الكبد نوع من النشأ يسمى النشأ الحيواني (الجليكوجين)

واعلم ان الياء والكاف [يك] إذا أضيفتا الى آخر اسم الحامض دلتا على ان فيه ١ كسجين كثيرا ، والواو والزاي [وز] يدلان على ٢ كسجين قليل ، ولفظ [فوق] يدل على ان الأكسجين أكثر مما في الحوض المنتهى بالياء والكاف ولفظ [تحت] يدل على أنه أقل الحوامض التي من نوعه في الأكسجين . مثال ذلك

١ فوق حامض الكلوريك فيه ٤ ذرات من الأكسجين

٢ وحامض الكلوريك فيه ٣ » » »

٣ وحامض الكلوروز فيه ٢ » » »

٤ وتحت حامض الكلوروز فيه ١ » » »

والمالح الذي ينشأ من الاول يسمى « فوق كلورات » والذي ينشأ من الثاني « كلورات » والذي ينشأ من الثالث « كلوريت » والذي ينشأ من الرابع « تحت كلوريت »

وكل ياء ودال [يد] يدلان على ان الجسم مركب من عنصرين فقط مثل كلوريد الصوديوم فإنه مركب من عنصرين فقط هما الكلورين والصوديوم

ولاجل تمييز الحوامض عن القلويت يستعمل ورق عباد الشمس Litmus

فالحمض يصيره أحمر والقلوي يصيره أزرق والمالح لا يغير لونه ويسمى (متعادلا)

﴿الاتحاد والمزج﴾

بقيت مسألة واحدة تتعلق بموضوع الكيمياء وهي الفرق بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

فالالاتحاد معناه الارتباط والانضمام ، والخلط والمزج معناها ظاهر . وهناك في

علم الكيمياء ثلاثة فروق كبيرة بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

(١) ففي حالة الاتحاد ينشأ مركب يخالف في صفاته وخواصه وطبيعته صفات

أجزائه التي يتركب منها . وفي حالة الخلط أو المزج ليس الامر كذلك . مثال ذلك

الخشب فان له صفات تغير صفات عناصره كل المغايرة ، واذا خلطنا السكر مع

الفحم بقي كل منهما حافظا لصفاته وخواصه ، وهناك مثال آخر وهو الماء والهواء ، فالماء

مركب متحد ، والهواء مركب ممزوج

(٢) ان الاتحاد الكيماوي يكون دائما بنسب ثابتة لا تبدل ولا تتغير ،

والنسب في الخلط ليست ملزمة

(٣) ان الاتحاد الكيماوي قد يولد حرارة وكهرباء ، والخلط لا يولد شيئا منهما

(النبذة الثانية في علم الطبيعة) Physics

علم الطبيعة هو علم ظواهر المادة يبحث فيه عن طباعها وخواصها وقواها فهو

علم الظاهر والكيمياء علم الباطن

أما قوى المادة فمعناها حركات جواهرها (ذراتها) المختلفة ، وتنشأ منها أعراض

كثيرة أهمها ما نسميه بالكهرباء والحرارة والنور والمغناطيس فان الاشياء الاربعة

ليست الا حركات مختلفة لذرات المادة

ثم ان المادة لها ثلاثة أحوال (١) السيولة (٢) اليوسة (٣) البخارية أو الغازية ،

ويسمى الجسم في الحالة الاخيرة الساطع أو الريح أو البخار وبالأفريقية الغاز

واختلاف هذه الاحوال الثلاثة إنما نشأ من اختلاف مقدار الحرارة الموجودة

في كل منها ، فذرات الغاز أشدها اضطرابا واكثرها حركة وحرارة ، وذرات الجلمد

(اليابس) أقلها حركة وحرارة ، وذرات السائل متوسطة بين الحالتين في الحرارة

(المنار - ج ١١) (١٠٨) (المجلد السابع عشر)

والحركة. فلا يمكننا تحويل الجسم من حالة السيولة الى حالة اللبونة الى حالة السيولة الا بالحرارة ولا يمكننا تحويله من حالة السيولة الى الحالة الغازية الا بالحرارة أيضاً. وكذلك الحالة في اذابة جميع الاجسام الجامدة في السوائل فانها تمتص الحرارة من الاجسام المجاورة لها فاذا اذبننا مثلاً الملح الانكليزي في الماء احسننا ببرودة في الاناء بسبب امتصاص حرارته لاجل الاذابة

والحرارة نوعان حرارة كامنة وهي منصرفه في تفريق ذرات المادة ولا يمكن الاحساس بها. وحرارة ظاهرة وهي التي يشعر بها الانسان

سنن التجاذب وأنواع الماذب

بين ذرات المادة تجاذب يظهر في أجرامها العظيمة كالكوكب وفي أجرامها الصغيرة كالخصى. ويشاهد هذا الجذب بين القمر والارض مثلاً في ماء البخار فيحصل فيه ما يسمى بالمد

ويسمى هذا التجاذب باسماء مختلفة باختلاف الاحوال: فالتجاذب بين ذرات الجسم الواحد كالخصى يسمى قوة الانضمام وبالانكليزية Cohesion والتجاذب بين جسمين مختلفين كالجدار وطلانه يسمى قوة الالتصاق وبالانكليزية Adhesion وبين الارض وما عليها يسمى قوة الجذب Invitation وكل ثقل لاي جسم انه هو ناشئ، من هذا الجذب الارضي. واختلاف الاثقال هو ناشئ عن عدد اختلاف الذرات، فلجسم الثقيل هو ما كانت ذراته كثيرة والجسم الخفيف هو ما كانت ذراته قليلة. وكل ما نعرفه ونشاهده على الارض من الاجسام حتى الهواء له ثقل تسبب عن جذب الارض له

وثقل الهواء على الاجسام يسمى الضغط الجوي ولقياسه يستعمل البارومتر أما البارومتر ففيه كلمة يونانية معناها (مقياس الثقل) أي ثقل الهواء وأبسط طريقة لصناعته أن تملأ أنبوبة زجاجية بالزئبق عادة طولها ٩٠ سنتي متراً وقطرها سنتي واحد ثم تسد بالأصبع وتغطس فتحتها في إناء مملوء بالزئبق ثم يرفع الاصبع قترى أن الزئبق ينزل في الانبوبة ويترك مسافة فارغة في أعلاها ويكون ارتفاع الزئبق في الانبوبة عن سطح الزئبق الذي في الاناء نحو ٧٦ سنتي متراً والذي رفعه الى

هذه المسافة هو ضغط الهواء على سطح الزئبق الذي في الاناء . ويمكن أيضا عمل البارومتر بأنبوبة على شكل حرف «ل» مسدودة من طرفها الأعلى ومفتوحة من الأسفل فيبقى الزئبق مرفوعا كما في الطريقة الاولى

ومن فوائد البارومتر معرفة ارتفاع الجبال وغيرها كالمناطيد لان الزئبق ينزل في الانبوبة كلما ارتفعنا خلفه الهواء في الاماكن العالية ، وكذلك نعرف منه قرب حصول المطر فان الهواء المشبع بالرطوبة أخف من الهواء الجاف فينخفض الزئبق اذا اقترب المطر

تعدد الاجسام ومقياس الحرارة

وجميع الاجسام تمدد بالحرارة في جميع جهاتها أي يكبر حجمها بسبب تفرق أجزائها فتتسع المسام التي بينها وتنكمش أيضاً بالبرودة أي يصغر حجمها وقل المسافات (المسام) التي بين ذراتها

وعلى هذه القاعدة نقيس الحرارة Thermometer وهو عبارة عن أنبوبة من الزجاج فارغة من الهواء يوضع في أسفلها الزئبق ثم يبرد بالتلج حين ذوبانه حتى يصل الى أصغر حجمه ثم توضع في بخار الماء الذي يغلي حتى يصل الزئبق في الانبوبة الى أكبر حجمه . ونسمى النقطة الاولى التي وصل اليها الزئبق بالتبريد (نقطة الصفر) - وهي درجة المليد . أي التي يجمد بها الماء فيكون جليدا والنقطة الثانية التي وصل اليها بالتسخين (نقطة المئة) - وهي درجة الغليان أي للماء . - ثم تقسم المسافة التي بين هاتين النقطتين الى مائة قسم يسمى كل قسم منها درجة ويرمز للدرجة بدائرة صغيرة كرقم ٥ فاذا وضعت بجانب عدد كان المراد انه عدد الدرجات كما ترى قريباً وقد يوضع في هذه الانبوبة مواد أخرى غير الزئبق كالكحول (روح الخمر أو السبرتو)

وفي بعض البلاد يقسمون المسافة التي بين النقطتين المذكورتين الى ٨٠ قسما أو درجة وفي هذا المقياس تكون الدرجة أكبر من درجة المقياس الاول وقد يقسمون هذه المسافة أيضا الى ١٨٠ قسما فتكون الدرجة أصغر . ويضعون في هذا المقياس الاخير بدلا للصفر رقم ٣٢ وبدلا ١٠٠ رقم ٢١٢

ويسمى المقياس الاول بالمقياس المئتي Centigrade (سنتجراد) ويسمى المقياس الثاني مقياس (رؤيومر) والمقياس الثالث يسمى مقياس (فهرنهايت) وأكثر هذه المقاييس استعمالاً في مصر وفرنسا هو الاول ويليه الثالث كما في بلاد الانكليز وأما الثاني فهو قليل الاستعمال. أما حرارة الجسم الانساني الطبيعية فهي بالمقياس الاول من ٣٦° صباحاً الى ٣٧° مساءً وبالمقياس الثالث من ٩٨° الى ٩٩° تقريباً

وكل درجة من هذه الدرجات تقسم الى عشرة أقسام فالحسنة منها هي نصف الدرجة وهكذا. وطريقة معرفة حرارة الإنسان أن يوضع المقياس في أي جزء من الجسم بحيث يكون محاطاً باللحم من جميع الجهات مدة ثلاث دقائق تقريباً. وأشهر هذه الاماكن تحت اللسان وتحت الابط وقد تؤخذ الحرارة أيضاً من الشرج وذلك في الانعام والاطفال

والحيوانات تنقسم الى قسمين باعتبار الحرارة :

القسم الاول الحيوانات ذوات الدم الحار كالانسان والخليل والسباع والطيور وغيرها. والقسم الثاني ذوات الدم البارد كالضفادع والاسماك والزواحف فحيوانات القسم الاول تبقى حرارتها على حالة واحدة تقريباً في الحر والبرد في أواسط الارض عند خط الاستواء وفي أعلاها عند المنجمد الشمالي مثلاً وحيوانات القسم الثاني تختلف حرارتها باختلاف البيئة (الوسط) فترتفع حرارتها اذا كان المكان ساخناً وتنخفض اذا كان بارداً

أما الانسان فاذا قلت حرارته عن ٣٥° أو ارتفعت عن ٤٤° مات غالباً، وارتفاع الحرارة هو ما يسمى بالحمى، وانخفاضها يسمى بالحمود (أو الهبوط) وهو الحالة التي يكون الانسان فيها عند الموت عادة

المادة وقواها

إن جميع الاجسام وقواها المشاهدة في هذا العالم لا توجد الآن من العدم ولا تقبل العدم أو الزوال وذلك بحسب استقرارنا الحالي وعلى ذلك يجب علينا ان نبين مصادر (أو منابع الحرارة) في العالم حيث أنها لا تنبعث من العدم :

(مصادر الحرارة)

للحرارة مصدران : طبيعي وصناعي

(١) أما المصدر الطبيعي فهو الشمس وباقي الشمس الاخرى المسماة عندنا بالنجوم الثابتة، والحرارة التي فيها انما تنشأ من احتراق أجزائها. والاحتراق عبارة عن اتحاد الأجزاء بعضها مع بعض اتحادا كيمياويا . وأهم أنواع الاحتراق المشاهد في هذه الأرض ما يحصل من اتحاد الفحم مع الأكسجين، والهيدروجين مع الأكسجين أيضا . والاحتراق لا يعدم المادة وانما يحولها الى صور وأشكال أخرى (٢) وأما المصدر الصناعي فهو ينشأ من الاسباب الآتية :

(أ) الاحتكاك

(ب) القرع . كقذح الزناد الحجرية أو زناد الآلات النارية (البنادق)

(ج) التفاعل الكيميائي أو الاتحاد الكيميائي (كاحتراق الخشب)

(د) التيار الكهربائي (كالأتون الكهربائي)

فالحرارة الحيوانية تتولد في الجسم من الاحتراق ومن الشمس ومن الحركات الجثمانية الظاهرة والباطنة . وأهم احتراق يحصل في الجسم هو اتحاد ما يوجد فيه من الفحم أو الهيدروجين بأكسجين الهواء . والفرق بين اشتعال الجسم الانساني وبين اشتعال غيره أن اشتعال الجسم تدريجي ببطيء واشتعال الآخر سريع شديد . ويتولد من اتحاد الفحم مع الأكسجين غاز يسمى (ثاني أكسيد الفحم) ويرمز اليه هكذا (CO_2) (١) ومن اتحاد الهيدروجين مع الأكسجين يتولد الماء ويرمز اليه هكذا (H_2O) (٢) وهذان الغازان ينشآن أيضا من احتراق كثير من أجسام أخرى كالخشب والشمع وزيت البترول (٣)

وتخرج الحرارة من الجسم الانساني عدة طرق :

(١) طريق التوصيل وذلك بمرير الحرارة من الجسم الانساني الى جميع

(٢) أي جوهر فرد من السكريون (الفحم) متحد مع جوهر ين من الأكسجين في كل ذرة من ذرات الغاز (٣) البترول معناه زيت الصخر أو الحجر لانه ينبع منه وتسمية العامة بالجاز أو الكار

الاجسام المحيطة به كاللباس والفرش والهوا (٢) الاشعاع أي خروج الحرارة من الجسم بشكل أشعة كأشعة النور منبعثة في جميع الجهات، وسرياتها هذا يكون في التأثير (٣) طريقة الحمل وذلك يكون بحمل الهوا. المحيط بالجسم للحرارة وارتفاعه بسبب ختمه وحلول هواء آخر بارد محله فان الهوا الحار أخف من الهوا البارد (٤) طريقة الافرازات كالبول والبراز وغيرها فانهما يحملان شيئاً كثيراً من حرارة الجسم. ومثلها الهوا الخارج من الرئتين في الشهيق (٥) التبخر وذلك يكون تبخر عرق الجسم ولا ينبغي أن تحول الماء الى بخار يحتاج الى حرارة كما قلنا سابقاً فذلك كان العرق في تبخره مخرباً لكثير من حرارة الجسم وهو من أهم الطرق المذكورة هنا فاذا اشتدت حرارة الجوار انبعث الدم من داخل الجسم الى خارجه وملاً البدن كله وكثيراً فإفراز العرق وقل الاحتراق الداخلي في الجسم حتى لا تزيد الحرارة من الدرجة الطبيعية

واذا اشتدت برودة الهوا كثر الاحتراق الداخلي في الجسم وهرب الدم من ظاهره الى باطنه وامتنع العرق وبذلك تحتفظ حرارة الجسم فيه وتبقى في الدرجة الطبيعية وكل هذه الحركات التي تحصل في الجسم من هروب الدم الى الباطن وخروجه الى الظاهر ومن زيادة الاحتراق أو قلته مدبرة بالأعصاب ومركز هذا التدبير في الدماغ أو المخ

فاذا أصيبت مراكز التدبير بأي شيء اختلت وظيفتها فإما أن يبرد الجسم برودة شديدة أو يسخن سخونة شديدة. وذلك الأخير هو الحمى وقد يموت الشخص بسبب البرودة أو السخونة

والذي يفسد عمل هذه المراكز العصبية المدبرة في الغالب سموم تتولد في الجسم من الجراثيم المرضية (الميكروبات). وقد ينتأ اختلال هذه المراكز من اصابات أخرى للدماغ أو آلام شديدة في جزء من أجزاء الجسم كالغص الصكوي. فأعظم أسباب ارتفاع الحرارة الخنثانية (أي الحمى) شيطان (١) سموم الميكروبات التي تدور في الدم (٢) كل ما يؤثر في المراكز العصبية كالألم الشديد أو ضربة الشمس أو غيرها

ومما تقدم يفهم أن الحى تولد في الجسم بثلاثة طرق (١) زيادة الاحتراق مع خروج الحرارة من الجسم كالاعتاد (٢) قلة خروج الحرارة عن المعتاد مع كون التولد كالمعتاد (٣) اجتماع الطريقتين السابقتين بأن يزيد الاحتراق ويقل خروج الحرارة. وهذا أشد طرق الحى
ففي الامراض المختلفة المصحوبة بالحى يحصل احد هذه الطرق وخصوصا
أول والثالث منها

فالخى على ذلك ضرب من ضروب النار . وأفيد عمل لإطفائها بسرعة استعمال الماء البارد مصداقا للحديث الشريف (الحى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)
أي كأنها من حر جهنم أو مما انتشر منها الى الارض
ومن الغلط الشائع معالجة الحى بكثرة التدفئة بالملابس وغيرها فان ذلك يزيد حرارة الجسم ويضر المريض كما لا يخفى

كلمة في الحَر

يظن كثير من جهلة الناس أن استعمال الخور في البلاد الباردة ضروري للحياة وقد أثبت جميع أطباء العالم بلا خلاف بينهم تقيض هذه الدعوى وظهر لهم أن الحَر من أعظم ما يخفض الحرارة الجثمانية لاسباب (أحدها) أنها تقلل الاحتراق الداخلي في الجسم المسمى بالتفاعل الحيوي (ثانيها) أنها تمدد جميع أوعية الجلد وتكثر العرق وبذلك يخرج كثير من حرارة الجسم (ثالثا) أنها اذا تعوطيت بمقادير كبيرة انتهت الامر بها الى إضعاف جميع قوى الجسم فيضعف القلب والدورة الدموية، ولذلك شوهد في البلاد الباردة كثير من الناس الذين تقتلهم الحَر

نعم إن جزءاً منها يحترق في الجسم فيولد فيه حرارة ولكنها لا تعد شيئاً في جانب تبريدها الشديد للجسم كما بينا

أما الاحساس بالحرارة عتب تعاطيها فذلك ناشئ من ورود الدم بكثرة الى الجلد لا للزيادة في الاحتراق فهو إحساس كاذب ضار بالجسم

ومما تقدم يعلم ان الحَر نافعة في تبريد حرارة الجسم اذا أصابته الحى، وهي كذلك، فان خنر استعمالها طيباً هو في الحبات بشرط عدم الاستمرار عليها طويلاً

وعدم الاكثار منها ، وإلا لأحدثت سرعة في النبض وزادت في هذيان المحموم وقد تستعمل أيضا بمقادير قليلة للتنبيه والانتعاش قائم في أول أمرها وبمقادير قليلة تؤدي الى تشييط حركة الجسم ولكن ذلك يعقبه غالبا (وخصوصا اذا أخذت بمقدار كبيرة) هبوط ضار في جميع القوى

أضف الى ذلك مضراتها الاخرى الكثيرة بجميع الاحشاء وغيرها من أجزاء الجسم ، فان الخمر هي من أعظم أسباب جميع الامراض العقلية والعصبية والجهازية ، وهي تضعف اللسل وتورثه بعض ما أصابت به والديه كالصرع مثلا . ومن أكبر مضراتها أيضا تعوق حركة السكرات البيضاء التي في الدم وبذلك يتعاب كثير من الامراض على الجسم فتفتك به كما هو مشاهد كثيرا في السكيرين فقل أن ينجو منهم أحد أصيب بمرض شديد

وقد يتوهم بعض الناس مما ذكر أن الخمر اذا شربت بمقادير قليلة ففتت الجسم والحقيقة خلاف ذلك ، فان الادمان والمواظبة على شرب الخمر ولو قليلا لمدة طويلة قد ينشأ عنه كثير من الامراض التي ذكرت والقليل يجر الى الكثير حتما والاضاعت مزيتها عند الشارب

والمدمن على تعاطيها ولو باعتدال هو دائما ضعيف القوى بحيث لا يتحمل ما يتحمله غيره من المشاق ، وهو ايضا معرض لكثير من الامراض المعدية كالسل والحمرة ، لأن الخمر تقلل مقاومة الجسم لجميع الميكروبات كما قلنا وخصوصا ميكروب الالتهاب الرئوي ولذلك لوحظ ان الجنود الاسلامية أقوى الناس تحملا للمشاق وأقلهم تعرضا للامراض والخلاصة : ان الخمر اذا أخذ منها قليل مرة أو مرتين قد تنفع ولكن الادمان على قليلها هو ضار جدا كالاكثار منها غير أن ضرر القليل بطيء وضرر الكثير سريع قد يقتل الشخص في أقرب وقت فهي كما أخبرنا الله تعالى في كتابه فيها منافع للناس وأنها أكبر من نفعها

(الدوبان وما يتعلق به)

إذا وضع جزء من السكر أو نحوه في الماء وترك قليلا من الزمن مع تحريك

السائل أو السكر انحل السكر كأنه قد د ، والحقيقة أنه لا يزال باقيا في الماء فيعطيه خواصه وصفاته

وإذا مزج قليل من الدقيق بالماء شوهد أنه باق فيه بلا انحلال
فالحالة الاولى تسمى حالة الذوبان والحالة الثانية تسمى حالة التعليق ، لأن ذرات
الجسم الصلب تكون معلقة أو محمولة على ذرات الجسم السائل
وكما يحصل الذوبان في الاجسام الصلبة كذلك يحصل في السوائل والغازات
فاذا مزجتا بعض السوائل ببعض الآخر يشاهد فيها هذا الانحلال (الذوبان)
مثال ذلك اختلاط الخل بالماء والجر به فانهما يذوبان فيه
وكذلك الغازات فان بعضها يذوب في السوائل أي تنحل وتخرج بها امتزاجا
تاما كالهواء مع الماء
وكما أن بعض الاجسام الصلبة لا يذوب في بعض السوائل كذلك توجد
سوائل لا تذوب فيها كالزيت في الماء

وأحسن طريقة لتعليق الزيت في الماء أن يمزج الماء قبل اضافة الزيت اليه
بقليل من الصمغ ويسمى المزيج الحاصل من هذه الاشياء الثلاثة (مستحلبا)
فمن امثلة التعليق في الاجسام الحيوانية الدم واللبن فان الدم مركب من بعض
اجسام ذائبة وبعض اجسام غير ذائبة وكذلك اللبن فان الدهن معلق فيه كتعليق
الزيت فيما سميناه هنا مستحلبا تشبيها له باللبن الحليب (المحلوب)

ويمتاز الجسم المعلق عن الجسم الذائب بما يأتي : —
(١) إن الجسم المعلق يشاهد بالعين المجردة او بالآلات المكبرة (الميكروسكوب)
(٢) اذا ترك الجسم المعلق زمنا متا شوهد انه ينفصل عن السائل الذي كان
معلقا فيه فاما أن يصعد الى أعلا كالزيت أو يسقط الى أسفل كالدقيق
(٣) اذا وضع السائل المعلق عليه شيء في اناء ناضح فضح السائل وحده وبقى
الجسم المعلق في داخله

(٤) توجد آلة تسمى (المبعدة عن المركز) اذا وضع فيها سائل عليه أشياء

معلقة وأديرت بسرعة شديدة طردت الأشياء الثقيلة الى جهة دائر محيطها واقتربت الخفيفة نحو مركزها وبذلك يمكن فصل الاجسام المعلقة بعضها عن بعض وهذه الآلة تستعمل في فصل زبدة اللبن عنه فتجد فيها الزبدة بقرب المركز لخفتها وكذلك تستعمل في فصل كريات الدم عن قيمته فتوجد الكريات عند محيطها للثقلها . وفصل الجسم الذائب في السائل عنه طريقة شهيرة وهي التبخير السريع أو البطيء . والسائل الذي يبخر اذا برد وجمع يسمى مقطرا ، وهو يكون خاليا من جميع الاجسام التي كانت ذائبة فيه الا التي تساعد بالحرارة كالروائح الزكية وغيرها وهذه سنة الله تعالى في استخراج ماء المطر من البحار كما قال الله تعالى (اخرج منها ماءها ومرعاها) ويستعملها الانسان لاستخراج الملح لطعامه ولا استخراج الماء العذب من الماء الملح اذا كان مسافرا في البحار (المحيطة)

وتختلف الاجسام في الذوبان باختلاف أنواعها فمنها ما يذوب كثيرا ومنها ما يذوب قليلا ، ولها كلها في الذوبان نسب خاصة ثابتة ، وكلها تحتاج لحرارة في ذوبانها فتختلف النسب حينئذ باختلاف درجة الحرارة ، فاذا كانت الحرارة كثيرة ذاب كثير واذا كانت قليلة ذاب قليل ، ولا يستثنى من ذلك الأجسام قليلة كالمح الطعام الذي يذوب في الماء البارد كالساخن مع فرق طفيف

واذا أذيب في السائل في درجة مّا أكبر مقدار يمكن اذابته فيه في هذه الدرجة سمي السائل مشبعاً وهذه الطريقة تسمى سنة (الاشباع)

واذا أشبع السائل وهو حار بمقدار مّا من الملح ثم برد السائل رسب من الملح ما ذاب في حالة السخونة وبقي مقدار قليل ذائبا يناسب الدرجة التي وصل اليها الماء في برودته

وهذه الاجسام الراسبة تتخذ أشكالا هندسية بديعة عجيبة في أثناء رسوبها تسمى (البلورات) وكما أن الرسوب يحصل اذا اختلفت الحرارة من عالية الى واطئة كذلك يحصل اذا قل مقدار السائل بالتبخير . ومما يساعد على رسوب الاجسام من السائل المتبخر وجود أي جسم غريب فيه فيكون كبدا للرسوب ، وكما أن الرواسب تحصل في الخارج اذا انخفضت حرارة السائل أو وضع فيه جسم غريب كذلك

يجوز أن تتكون الحصوات في الجسم الانساني (كالحصوات الكلوية والصفراوية) من انخفاض حرارته فجأة في بعض الحيات ومن وجود بعض أجسام غريبة في داخله ككوبضات الديدان الطفيلية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أكثر الحصوات الكلوية هي من حامض البوليك وهو يكثر افرازه في الحيات ويرسب في البول اذا اشتدت حموضته فلذا أرى أن الحيات هي من أعظم أسباب الحصوات الكلوية لان البول يكثر فيه هذا الحامض ويكون شديد الحموضة فلذا يرسب فيه الحامض البوليك وأملاحه خصوصا اذا انخفضت الحرارة

أما ذوبان الغازات في السائل كالماء فإنه يختلف في أحكامه عن الاجسام الصلبة فالغازات تذوب بكثرة كلما اشتدت برودة السائل وكلما زاد الضغط عليها وهي في ذوبانها كباقي الاجسام الاخرى تختلف أيضا باختلاف طبيعتها، فمنها ما يذوب كثير ومنها ما يذوب قليلا

ولولا ذوبان الهواء في الماء لما انت الحيوانات البحرية، فانه ضروري لحياتها كالحيوانات البرية سواء بسواء . أما الأكسجين الموجود في الهواء الذائب فهو بنسبة خمسة وثلاثين في المائة من حجمه . وفي الهواء العادي ٢١ في ١٠٠ وهذه الحقيقة الاخيرة تثبت أن الأكسجين في الهواء ليس متحدا اتحادا كيمياويا مع النيتروجين بل ممزجا به فقط، ولذلك اختلفت النسبة في حالة الذوبان عنها في الجو (يتبع)

الامتيازات والشرعية الاسلامية*

الاسباب التي تحمل الدول الاوربية على صيانة الامتيازات الاجنبية في تركيا -
الشرعية الاسلامية قائمة على القرآن لاتساوي بين المسلم وغير المسلم

أعلنت الحكومة العثمانية انها ألغت امتيازات الاجانب في بلادها
فاحتجت الدول الاوربية والولايات المتحدة على هذا العمل الذي خرقت
به تركيا المعاهدات الدولية، وعات الاصوات بالشكوى من الحالة السيئة
التي يصير اليها الاجانب في تركيا فيما لو ألغيت الامتيازات المذكورة
وصار الاجانب في تركيا مثل العثمانيين خاضعين للمحاكم الالهية، ولم يبق
لهم الحق على رجوعهم الى محاكم قنصلياتهم في دعاويهم المدنية والجناحية
وقد عثرنا على مقالة خطيرة في هذا الشأن لأحد الكتبة السياسيين
في جريدة الصن النيويوركية أردنا تلخيصها اتماما للفائدة قال :

لا الولايات المتحدة ولا دولة اخرى أجنبية نصرانية ترضى ان
رعاياها الذين لهم مصالح في تركيا والذين لسبب من الاسباب اضطروا
ان يسكنوا فيها موقتا أو دائما ان يكونوا خاضعين للمحاكم القضائية القائمة
على تعاليم القرآن، فطرائق العدالة الاسلامية شرعية بلفظها ومعناها، وطرائق
العقاب الاسلامية بلغت من القساوة مبالغاً عظيماً بحيث ان الحكومة
الاجنبية التي تترك رعاياها تحت رحمة محاكم تركيا الوطنية تخسر ثقة شعبها
وفضلاً عن ذلك ان الاجانب بعد إلغاء هذه الامتيازات لا يكونون
تحت رحمة تلك المحاكم الجائرة فقط، بل يعرضون نفوسهم لضرائب فادحة،

« هذه المقالة لكاتب أمريكي ترجمتها بالعربية جريدة الهدى العربية
السورية التي تصدر في نيويورك فرأينا أن نقلها عنها ونعلق عليها ما فيه العبرة

فان الحكومة العثمانية التي تنفق أموالا طائلة على جنديتها وبحريتها وعليها دين وطني واجنبي عظيم، وهي منكوبة بأشد أزمة مالية، لا بد ان تضرب في المستقبل ضرائب فادحة على الاجانب في بلادها، بمد ان نضبت مواردها الوطنية بكثرة ما وضمت عليها من الضرائب الباهظة

ولا يقدر الباب العالي ان يمنح الحكومات الاجنبية شيئا يذكر في مقابل موافقتها على إلغاء الامتيازات الاجنبية في تركيا، فالحكومة الحاضرة في الآستانة غير قائمة على أساس ثابت، بل هي دائما تحت رحمة اناس مغامرين متهوسين نظير انور باشا ناظر الحرية السابق (?) أو المسيطر الحقيقي على تركيا، الذي تلطخت يده بدم ناظم باشا القائد العثماني الشجاع المقتول بخيانة وجبانة. ولذلك باتت الحكومة العثمانية تحت خطر دائم، ولا يبعد ان تقع ثورة في الغد تسقط هذه الحكومة وتلغي الدستور وتنقض كل الاتفاقات التي عقدها الحكومة السابقة، وتعيد الحكم الاستبدادي بما يرافقه من جور وفظاعة

وما لا بد من ذكره ان امتيازات الاجانب في تركيا لم تؤخذ منها بالقوة بل هي منحتها مختارة، ومنشأها احتقار المسلم الشديد لكل من هو غير مسلم، فالاسلام لا يقدر ان يتصور وجود مملكة مختلفة، فهو لا يحسب حسابا الا للبلاد التي كل سكانها مسلمون، ويعتقد ان العالم كله سيؤلف في آخر الامر مثل هذه المملكة

هذان وجهتا النظريات، اما من الوجه العملي فالمسلم لا يكثر لوجود غير مسلم في بلاده، ولا يعترف بمساواة غير المسلم به. وبالتالي ان المسلمين لا يهتمون بمساواة غير المسلمين ويتفكرون به مازالوا خارجين عن دائرة الاسلام

والذي يستحق الذكر أيضا ان الاسلام انتشر بالفتح لا بمساع سلمية، وقد استعان المسلم الفاتح على ادارة شؤون البلدان التي فتحها بالطرائق الادارية التي وجدها مرعية فيها، وقد رأى في تلك البلدان دوائر روحية للانساري واليهود ابقاها على حالها، وصار الاساقفة والحاخاميون رؤسائهم المسؤولين واسطة بينهم وبين الحكام المسلمين

وعلى هذه القاعدة صار الاجانب الساكنون والمتاجرون في تركيا وبلاد فارس ومصر وبقية الممالك الاسلامية تحت سيطرة قناصلهم القضائية أولا باستمرار العادة وثانيا بمقد معاهدات. ولم ينالوا هذا الامر من باب الامتياز بل من وجه اهم احط من ان ينتفعوا بمنافع العدالة الاسلامية القائمة على القرآن

وقد فُتحت عن هذه الطريقة شريعة الامتيازات الخارقة العادة التي اعفت السفير الاجنبي وبيته واملاكه من القضاء العثماني، وتناولت هذه الشريعة رعايا دولته الاصليين والمجنسين بمجنسيةها. ومع نقصان قوة المملكة الاسلامية وازدياد قوات الدول الاجنبية كانت امتيازات الاجانب تزداد قوة واهمية في البلدان الخاضعة للحكم الاسلامي حتى صارت المستعمرات الاجنبية في كل مملكة اسلامية اشبه بممالك صغيرة ضمن مملكة كبيرة ومن الادلة على ان الامتيازات الاجنبية في الممالك الاسلامية لم تنل بالقوة ان سويسرا والبرتغال والبلجيكا تتمتع في تركيا وبلاد فارس ومصر بنفس الامتيازات التي تتمتع بها الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا وغيرها من الدول العظمى

هذا وان كثيرين من رجال الحكومة العثمانية نظير احمد رستم بك

السفير النماني في واشنطن المتعصب لاسلامه الجديد يقولون ان قوانين تركيا المدنية والجنائية لاتنقص بشيء عن القوانين الغربية بعد ان وضعها مشترعون عثمانيون وأوروبيون

انهم مصيبيون في قولهم، فالقوانين العثمانية خليط بين نظام نابليون والشريعة الاسلامية وملتقى الانهر، ولكنها موجودة بالاسم فقط، فان نجم الدين بك ناظر العدلية في الحكومة العثمانية الجديدة أدرى الناس بهذا الامر، فقد رفع بالامس تقريرا عن اصلاحات التي أدخلتها حكومته على دوائر الشريعة والقضاة واتخاذ النظام الجديد، ولما سئل عما اذا كان هذا النظام يساوي بين المسلم والنصراني واليهودي أجاب بكلام لا يحتمل الريب وقال «ان هذا الامر يستحيل على المسلم ان يتصوره فهو لا يفكر به أبدا» وبناء على ما تقدم يظهر ان نظام العدل في تركيا ديني غير خاضع لتاظر العدلية كما هو في بقية الحكومات، بل لشيخ الاسلام الذي ليس رئيس رجال الدين الاسلامي في المملكة العثمانية فقط بل قاضيه الاكبر فلا مرد لحكمه ولا اعتراض على فتواه. وهو يرأس مرتين في الاسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استانبول

ولشيخ الاسلام سيطرة على الامة والعلماء والمتصوفة، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية، فكل القضاة في محاكم تركيا العليا والبدائية ينالون مناصبهم منه وهم تحت نفوذ ديني شديد، بدليل ان مرتباتهم المالية تؤخذ من ربح الاوقاف الاسلامية التي هي ثلاثة أرباع العقارات المدنية في المملكة العثمانية، وقد رافقت اجارها من الفلاحين شروط جائرة منها ان الفلاح المستأجر بمضها اذا مات بدون عقب فأرضه تعاد الي

الأوقاف لانه لا يقدر ان يتركها لارملته أوأحد أنسابه

ولا يمكن حمل مفسري الشريعة الاسلامية على جعلها حديثة، أو افقاعهم بأن الاحكام تتغير بتغير الازمان، وبأن الازمنة قد تغيرت منذ أربعة عشر قرنا حين وضع النبي محمد الشريعة الاسلامية في بلاد العرب لتطبق على حاجات أبناء البادية وسكان الوبر. فشيخ الاسلام في الآستانة والمفتي الاكبر في القاهرة وكل قاض مسلم كبيرا كان أم صغيرا يقفرون الحيدان عن تعاليم النبي محمد خطيئة مميتة أو جريمة ضد الاشياء المقدسة ومن الادلة على عدم امكان تطبيق أحوال النصارى على منطوق الشريعة الاسلامية ما جرى في القاهرة سنة ١٩١٠ حين رفض المفتي الاكبر الموافقة على اعدام الورداني قاتل بطرس باشا عالي رئيس الوزارة المصرية والاول مسلم والثاني نصراني قبطي، وكانت حجة المفتي في عدم الموافقة على اعدامه ان الشريعة الاسلامية لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا، فالمسلم الذي يقتل نصرانيا لا يعتبر مجرما في نظر الشريعة الاسلامية

وقد استغربت الحكومة الانكليزية هذه الفتوى ولم تعمل بها، وشنت الورداني غير مكترثة لفتوى المفتي الاكبر الذي ذكر سببا آخر لامتناعه عن الفتوى باعدام الورداني فقال انه لم يرد في القرآن ذكر للمسدسات، ولا في الشريعة القائمة على الحديث، ولذلك لا يعتبر المسلم بالشريعة المقدسة مجرما اذا استعمل المسدس لجرح أو قتل

وزبدة القول ان فتوى مفتي الديار المصرية في عدم مجرم مسلم بقتل نصرانيا، وقول ناظر العدلية العثمانية باستحالة مساواة النصراني واليهودي بالمسلم امام الشريعة العثمانية، حجة قاطعة تحتاج بها دول أوروبا والولايات المتحدة في عدم تنازلها عن الامتيازات الاجنبية في تركيا والسماح للبواب العالي باغلاقها

(تنفيذ مزاعم السياسي الأمريكي في الشريعة الاسلامية)

يتوهم كثير من الشرقيين ولا سيما المشرقيين منهم أن كتاب السياسة والتاريخ وعلماء القوانين والشرائع من الافرنج لا يكتبون في جرائمهم الشهيرة ومصنفاتهم الا لحقائق الناجمة التي قتلوها بحثاً وتدقيقاً وتجميعاً . ويظن الذين يسيئون الظن بالافرنج ويتهمونهم بالتعصب وضغط حقوق الشرقيين كافة والمسلمين خاصة ، انه لا يكاد يوجد فيهم طرف منصف يقول الحق اذا كان غير قومه لاهم ، ولا حظ لهم فيه ، والمحققون المعتدلون يسلّمون ان المستقلين فيهم كثيرون ، ويظنون أن الأمريكيين منهم أقرب الى الانصاف ، وأبعد عن الجور والاعتساف ، فيما يحكمون به على الشرق والاسلام ويصفونهما به ، لانه ليس بين الأمريكيين والشرقيين من المنازعات والمطامع السياسية مثل ما بين الاوربيين والشرقيين . وهؤلاء يستغربون مثل هذه المقالة من سياسي أمريكي في جريدة أمريكية شهيرة

بل أقول قد يستغرب مثل هذه المقالة كل من قرأها من أبناء العربية في مصر وعصرية بقدر احترامه للأمة الامريكية الجليلة ، لانه لا يستطيع أن يرى الكاتب من إحدى المجلات : الجهل أو التعصب الحامل على قول الزور ، فان من لم يعلم أن أهل هذه البلاد أن ما حكم به الكاتب على الاسلام زور وبهتان كقيلبي الاطلاع من النصارى يعلم أن مانسبه الى مفتي مصر من القول بأن الشريعة الاسلامية لا تحكم بقتل المسلم الذي يقتل النصراني قول باطل لم يقله ولا يمكن أن يقوله مفتي مصر لان جميع الكتب التي يستمد منها نصوص الفتوى مصرحة بان المسلم يقتل بغير المسلم . جعل الكاتب السياسي العلة الاولى لوجوب عدم رضاء الدول بالخنوع للمصالح العثمانية هي كونها قائمة على تعاليم القرآن وكون المسلم يحقر غير المسلم ولا يعترف بمساواته له

ماذا عرف هذا الكاتب من أحكام القرآن في العدل والمساواة ومن اين استنبط حكمه عليه ؟

قال الله تعالى في مسألة الحكم بين اليهود وكانوا أشد الناس عداوة للنبي (ص) وللمؤمنين من جميع من ناصبوه - (٥:٥) وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان

الله يحب المقسطين) والمقسط هو العدل

وقال تعالى في مسألة الحقوق والحكم العام بين الناس كافة من مسلم وغيره (٤ : ٥٧) ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، و اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (قال بين الناس ولم يقل بين المسلمين

وقال في العدل العام والشهادة التي هي ركن القضاء (٤ : ١٣٤) يأبها الذين آمنوا كونوا قوامين بالمقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً (امر بالمبالغة في العدل وشهادة الحق ، ومنع أن يجاني أحد في ذلك نفسه أو والديه أو أحدا من أقاربه أو غنيا لغناه أو فقيرا فقره ، وأن يتبع هوى نفسه في ترك شيء من العدل أو يحرف فيه أو يعرض عنه . وكل هذه الآيات في سورة واحدة

وقد نهى تعالى عن ترك العدل مع الاعداء ، سواء كان في الاحكام أو الشهادة كما نهى عن ترك العدل مع الاصدقاء ، فقال (يأبها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالمقسط ، ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون) الشأن البغض والمداوة أي ولا يكسبنكم ومحمانكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو عداوتكم لهم على ترك العدل فيهم اذا حكمتم بينهم أو شهدتم في خصامهم .

ولست هذه الآيات كل ما في القرآن من الامر بالعدل ، بل ثم آيات أخرى كقوله عز وجل « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » وقوله « قل أمر ربي بالمقسط » ومثلها ماورد في الميزان

فلما تأت ذلك السياسي الذي يفر هو وقومه من حكم القرآن بمثل هذا التشديد في الامر بالعدل المطلق والمقيد بالاعداء وتحريم المحاباة فيه - لعل من العدل - من التوراة أو الانجيل أو كتب الاولين والآخرين . اما نحن فنستطيع أن تأتبه بالنصوص والشواهد على عدم مساواة الافرنجيين والاسويين بأنفسهم

وأما المساواة فهي لم توجد على حقيقتها وإطلاقها وعمومها الا في الاسلام ، كما تدل على ذلك النصوص والاعمال ، وتشهد به توارخ القرون والاجيال أما النصوص فحسبك منها ما تقدم من الآيات أنها فاتها امرت بالترام الحق والعدل في الحكم والشهادة والمعاملة مع اللواقي في الدين والمخالف ، والغني والفقير ،

والقريب والبعيد ، والمحب الوديد ، والعدو البغيض . وانما يخرج الناس عن صراط المساواة بمحابة من يمت اليهم بصلته الدين أو لجة النسب ووشيجة الرحم ، أو رابطة الصداقة والمودة ، أو من يطمعون في غناه أو يرجونه لقهره ، وحينئذ يظلمون خصم من يحابونه ، ومن الناس من يظلم كل من يخالفهم في دين أو جنس ، أو يعضونه لسبب ما . وقد أتت الآيات على جميع ذلك

وأما العمل فقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من أحرار المسلمين من العدل والمساواة ما لم يؤثر عن غيرهم . وناهيك بقضية غضب علي المرتضى من عمر القاروق لانه كناه وسمى خصمه اليهودي ولم يساو بينهما في التسمية كما سوي بينهما في سائر الامور . واعترف عمر بذلك . ولا تنس مساواة عمر بين التلام القبطي وولد عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها . فأمثال هذه القضايا لا تحجراً أمريكاني ولا أوروبي أن يدعي مثل الحكومة . كيف ومن قواعد حكومة الولايات المتحدة التي هي من أرقى حكومات الغرب ان المساواة بين الابيض والاسود غير جائزة . بل رأينا بعض محاكمهم في هذه الايام - ولا أقول في هذا القرن الذي يضربون المثل بارتقاء البشرية - تتسكر على السوريين حق الجنسية الامريكانية والتشرف بمساواة البيض ، على عراقة السوريين في النسب السامي من الجنس الابيض وكونهم من وطن المسيح عليه السلام ، الذي يعبده الامريكيون ويحتضونه ربا وإلهاً .

فالشرية الاسلامية وحدها هي التي ساوت بين جميع البشر في الحقوق ، حتى ان الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعد نفسه مساوياً لغيره في الحقوق ، وقصة اليهودي الذي جذبه من طوقه لدين له لم يحل أجله مشهورة . وقد طلب من الناس في مرض موته أن يقتص منه من كانت له قبله مظلمة ، فادعى عكاشة بن محصن (رض) أنه (ص) ضربه مرة على عاتقه مكشوقاً فكشف له (ص) عاقبه ليضربه كما ضربه !!

وليس للخلفاء في الاسلام امتياز على أحد من الناس في الحقوق المدنية ولا الجزائية ، وكان الموالي والسميون والمهاجرون يتساوون مع الخليفة الى القاضي فساوي بينهم . فان كان العثمانيون قد قالوا في قانونهم الاساسي « ان السلطان مقدس وغير مسؤول » وجعلوه من قبل ذلك لا يحاكم ولا يخاصم فهم إنما أخذوا ذلك عن الاجانب غير المسلمين

واننا نعد من استعلاء الافرنج بقوتهم على ضعفنا نحكمهم بدم كل شيء لنا أو

هتدنا ، وان كانوا لم يعرفوا كنهه ، ولا وقفوا على حقيقته ، كانهم يرون أن الحق والفضيلة والخير وكل ما يمدح لا يكون الا للاقوياء أصحاب المدافع الكبيرة والذهب الكثير ، بل هذا مذهب معروف صرح به كثير من فلاسفتهم وسياستهم ، وهم مجرون عليه في مستعمراتهم .

ولولا اطلاعتنا على أقوال العلماء المستقلين والحكماء الراسخين في وصف الاسلام والمسلمين كفوستاف لوبون وجيون واضرابها لظننا أنه لا يوجد في الافرنج كلهم عارف منصف يقول الحق الذي يمتدده

يقول الكاتب الأمريكي ان المسلمين أعطوا الأجانب ما أعطوهم من امتياز الحكم فيما بينهم طوعاً واختياراً لأن الاسلام لا يقدر أن يتصور وجود اناس غير مسلمين يستحقون أن يتمتعوا بعدل الاسلام . فكأنه يقول ان المسلمين يريدون بذلك أن يجاهلوا وجود أحد غير مسلم في الارض !

وانما المعروف من القرآن العظيم أن الله تعالى خير رسوله « ص » في الحكم بين اليهود في قضية عرضوها عليه ، وأمره بأن يحكم بالعدل اذا هو اختار الحكم بينهم في تلك القضية التي كان لهم فيها هوى يباه في التفسير من عهد قريب . ثم قال (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) قليل هذا نسخ للتحيز وقليل غير ناسخ

فن هنا أخذ المسلمون أن حكامنا يغيرون في غير المسلمين بين الحكم بينهم وبين الساج لهم بأن يحكموا بشريعتهم فيما بينهم . ولغلبة الحرية الدينية والتسامح في الاسلام واحترام عقائد الناس سمح الخلقاء والملوك لغير المسلمين بأن يتحاكوا الى رؤساء دينهم في الامور الشخصية . وكذا في غيرها احياناً اذا كان خاصاً بهم .

فهذه المبالغة في الحرية والتسامح واحترام المخالفين ، كانت يجب أن يطري به الأمريكي وغيره الاسلام والمسلمين ، فما كان منه الا أن قلب الحقيقة ، وعكس القضية ، فجعل ما يقتضي الاطراء في المدح ، موجبا للاسراف في الذم والقدح !!

ثم إن الكاتب أخطأ فيما نقله عن شيخ الاسلام في حكومة الامتانة كما أخطأ فيما نقله عن مفتي الديار المصرية ، فهل يوثق بعلمه بالشريعة الاسلامية نفسها وبأحكامها ، وهو لا يوثق بعلمه في الامور الرسمية التي تقع في عصره وهو لا يحتاج فيها الى علم واسع ، بل يكفي فيها التثبت في النقل ، واننا نحمل كلامه على الخطأ وسوء الفهم ، وعدم التثبت في النقل ، ونربأ به عند نعهد الكذب ، لنخص التلوي في التعصب

الجهل والخطأ أهون من الكذب ، وشر الكذب ما حمل عليه التعصب

واحتقار الامم ، وأقبحه ما صدر عن يدعي الحرية والانصاف ، ومحتكر لنفسه وقومه فضيلة العدل والمساواة ، ولولا الادب مع الكتاب لاحترام أمته لقننا انه كذب شر الكذب وأقبحه على الاسلام والمسلمين عاملة ، وعلى ناظر العدلية العثماني اذ زعم أنه قال : أنه يستحيل على المسلم أن يتصور المساواة بين المسلم أو النصراني واليهودي ، وعلى مفتي الديار المصرية اذ زعم انه احتج على امتناعه من الافناء بقتل قاتل بطرس باشا بأن الشريعة لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا ولا تعده مجرما

وليس الخطأ في كلمات أو وقائع اسندت الى بعض الرجال ، بأقبح منه في الشرائع والنظام العام ، ومنه قول الكتاب ان نظام العدل في تركية ديني غير خاضع لناظر العدلية ، وان شيخ الاسلام في الاستانة هو القاضي الأكبر الذي لامرد لحكمه ، وانه يرأس مرتين في كل أسبوع محكمة العدل العليا المنصولة بقصره في استانبول ، وان له السيطرة على الامة وعلى العلماء والمتصوفة وعلى رؤساء الكليات الدينية والحاكم القضاية ، وان جميع القضاة في الحاكم التركية الابتدائية والعالية يتلون منه مناصبهم وهم تحت نفوذ ديني شديد

وليست هذه المزاعم بأغرب من الاستدلال عليها بكون مرتبات من ذكر من القضاة وغيرهم تؤخذ من الاوقاف الاسلامية ، ومن زعم الكتاب ان تلك الاوقاف هي ثلاثة أرباع المقارات المدنية في المملكة العثمانية

شيخ الاسلام ليس قاضيا لمحكمة تسمى محكمة العدل العليا - ولا سيطرة له على الامة ولا على محاكم العدلية المدنية والجنائية ، ولا هو يعين أحدا من قضاة هذه المحاكم ، بل يعين رؤساءها ناظر العدلية ، وأعضاؤها ينتخبون انتخابا من الادالي المسلمين وغير المسلمين ، ويأخذون مرتباتهم من خزانة الحكومة لامن الاوقاف الاسلامية - والاوقاف الاسلامية ليست ثلاثة أرباع العقارات ولا ربعها ولا عشرها وليس شيخ الاسلام ناظرا للاوقاف ليكون مسيطرا على من يأخذ مرتباتها

نعم ان شيخ الاسلام هو الذي يولي القضاة الشرعيين الذين يحكمون بين المسلمين في الامور الشخصية ، وهؤلاء تستوفى أحكامهم وتميز في باب المشيخة الاسلامية ، في مجالس لها رؤساء غير شيخ الاسلام ، ومرتباتهم كمرتبات قضاة المحاكم المدنية تؤخذ من خزانة الحكومة . وفي باب المشيخة رئيس للمدارس الدينية التي بناها السلاطين في الاستانة وغيرها يسمى وكيل المدرس ، وبالتركية «درس وكيلى» ولهذه المدارس أوقاف خاصة بها تديرها نظارة الاوقاف

ولا حاجة الى تنفيذ كلامه في اجارة الاوقاف الاسلامية وعييه إياها بأن المستأجرين لها لا يتركونها إرثاً لأولادهم ، فان أجهل الناس في كل أمة وملة يعلمون ان المستأجر لا يكون مالكا حتى يترك ما استأجره إرثاً لأولاده بقي مما يؤبه له كلامه في تعذر إقناع مفسري الشريعة الاسلامية بان الاحكام تتغير بتغير الأزمان ، وإن الازمنة تغيرت عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرناً ، وأن الشريعة الاسلامية وضعت في بلاد العرب لتتنطبق على حاجات أبناء البادية - فهذا الكلام لانلومه عليه لانه قد فيه كثيراً من الاور بين الذين لا يخطر في بال مثله ان كلامهم لا يؤخذ على علته . وهذا التعليق لا يشع لاطالة الكلام في بيان الحق في هذه المسألة ، فنكتفي بكلمة وجيزة نقولها له ولأمثاله وهي:

ان مفسري الشريعة الاسلامية لا يحتاجون الى الاقناع بان الاحكام تتغير بتغير الازمنة فكلمهم يعرفون ذلك وطالما قرروه في كتبهم ، واقدم كلمة يرونها في التصريح بذلك عن إمام في العلم والحكم من اهل العصر الاول ماقاله عمر بن عبد العزيز الذي يعده المسلمون خامس الخلفاء الراشدين في علمه وعدله وهو « يحدث للناس افضية بحسب ما أحدثوا من الفجور » ومثله ما يجدونه من غير الفجور أيضاً - ويعلمون أيضاً أن هذا الزمان مخالف للزمان الذي وجدت فيه الشريعة الاسلامية ، ويعلمون ان الشريعة الاسلامية وضعت لتتنطبق على حاجات أبناء البادية كما يعلم السكاك وبأمثاله - ويعلمون أيضاً مالا يعلمه هو وأمثاله وهو ان هذه الشريعة وضعت لتتنطبق على حاجات أهل الحضر في ذلك الزمان وفي كل زمان ومكان أيضاً ، وكان ينبغي ان يعلم هو وأمثاله انه كان للمسلمين حضارة فاقت حضارة سائر الامم المجاورة لهم في الشرق وفي الغرب كحضارة بغداد والاندلس ، وأن الشريعة الاسلامية كانت منطبقة عليها ولم يكن عندهم شريعة غيرها ، وان عدلها هو الذي جعل الناس يخضعون لها مختارين ولولا ذلك لم يستطع أولئك الشراد من العرب فتح الشرق والغرب في جيل واحد ، فالدين الاسلامي هو الذي أوجد الحضارة والفتوحات بطبيعته لا بقوة سيوف أهله ، ولم تكن الفتوحات الموحدة أو الناشرة له

وقد بين علماء الشريعة أن معنى سميتها وموافقها لمصالح الناس من بدو وحضر في كل زمان ومكان هو كون قواعدها العامة مبنية على أساس الشورى والعدل والمساواة ، واعتبار عرف الناس الحسن في معاملاتهم ، ودرء المفاسد وجلب المصالح ودفع الضرر والضرار ، وكون أولي الامر ورجال الشورى فيها يجب ان يكونوا من

أهل الاجتهاد القادرين على استنباط الاحكام التي تمس اليها حاجة الناس في سياستهم وأقضيتهم. ولم يقل أحد من أئمة هذه الشريعة ما يدعيه هذا الكاتب وأمثاله من ان النبي (ص) وضع أحكاما تفصيلية لجميع ما يحتاج اليه أمته في زمنه - دع سائر الازمنة - وانه يحرم على سائر المسلمين ان يزيدوا فيها شيئا تقتضيه المصلحة. بل صرح بعض الأئمة بان مراعاة المصالح في كل زمان ومكان أصل من أصول هذه الشريعة يتفرع عنه مالا يحصى من الاحكام . وقد شرحنا هذه المسألة وفصلناها غير مرة في تفسير القرآن الحكيم وفي غيره من مباحث المثار

نعم إن حكماء المسلمين والمشتغلين بالعلم منهم قصروا منذ قرون فيا يجب عليهم من الاجتهاد في هذه الشريعة ، ووجدوا على بعض الكتب التي ألفها من قبلهم خفوا بذلك على اقتسامهم وعلى ملتهم ، وكان من آثار هذا الجود والجهل ان لجأت بعض حكوماتهم الى الاستمداد من القوانين الاوربية - كما قتل الكاتب عن السفير النماني في بلاده - بعد أن كان الاوربيون يستمدون من كتب شريعتنا كما فعل نابليون الاول . ولكن نابليون اقتبس من شريعتنا في قانونه ماراها موافقا لمصلحة امته ، واما حكمائنا فانهم صاروا يأخذون من قانونه ومن سائر القوانين الاوربية ما يوافق مصالح أمته وما يخالفها ، ذلك بأن نابليون اقتبس بمقل واجتهاد ، وحكائنا يفتنون الافرنج تقليدا . ومن هذا الجود توقف بعض المحققين عن جمل القتل بالرصاص كالقتل بالسيف أو السكين ، ولولا هذا الجود لما اضطروا الحكم الجاهلين بالشريعة الى الالتجاء الى قوانين الامم الاخرى ، فهذا شرعواقب جهل رؤسائنا بأصول شريعتنا وتركهم الاجتهاد الواجب فيها ، والأئمة متفقون على اشتراط الاجتهاد في الحكم والمتقين ، ولكن من ينفذ هذا الشرط ؟

ومن التناقض في كلام الكاتب أنه جعل العلة لنفور الاجانب من الخضوع للمحككم العثمانيه هي كونها تستند في أحكامها الى القرآن المنافية للعدل والساواة ، ثم اعترف بأن العثمانيين أخذوا معظم قوانينهم عن الاوربيين . وليته يعلم انهم لو حكموا بين الاجانب بما يأمر به القرآن لكان خيرا لهم ، لانهم حينئذ يحكمون بعدل كامل يقيمون بالاخلاص سرا وجهرا ، وليست حالهم في القوانين كذلك . وهذا ان الحقائق التي اشرنا اليها يعرفها كثير من الأوربيين ، ويصرح بها بعض المستقلين . وقد قلنا من عهد غير بعيد قول لورد كشرن امضو من أعضاء مجلس الامة العثماني ان هذه القوانين لا توافق حال العثمانيين كما توافق حال من أخذوها عنهم ، وقوله

أن عندكم شريعة عادلة تنطبق على مصالحكم تغير لكم ان تعملوا بها .
وقد كان لورد كرومر كتب في آخر تقرير له عن مصر كلمة في الشريعة الاسلامية
في معنى كلمة الكاتب الامريكي من حيث موافقته هذا الزمان وعنده ، فكتبت
اليه كتابا قلت له فيه اذا كان يعني بما كتبه الدين لاسلامي الذي هو القرآن والسنة
فأنا مستعد لأن أدين له ان معظم ما جاء فيهما من الاحكام القضائية والسياسية قواعد
عامة توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان اساسها درء المفاسد وجلب
المصالح بحكم الشورى . وان كان يعني كتب الفقه الاسلامي فتلك من وضع الناس
فيها كثير من آرائهم التي ينتقدها عليهم غيرهم

فأجابني عن ذلك بأنه يعني بما كتبه مجموعة القوانين الاسلامية التي تسمى الفقه
قال « ولم أعن الدين الاسلامي نفسه ، ولذلك قلت في هذا التقرير وفي غيره
بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي الذي يطلب الإصلاح ويسير مع المدنية من

غير أن يس اصول الدين »

ونص كتابي وكتابته في ذلك مطبوعان في ص ٢٣١ و ٢٣٢ من مجلد المنار العاشر
أكتفي بهذه العجالة في الرد على الكاتب الامريكي ، وكان لي ان اوجه

كلمة ستاب الى رصيفنا صاحب جريدة الهدى الذي ترجم هذه المقالة وصدرها
بمقدمة تدل على اقرار كاتبها على ما كتبه ، ولم يعقب عليه بكلمة انكار . ولكنني
استبدل بالعتاب الرغبة الى انصافه بان ينشر هذا الرد في جريدته وبنه جريدة
الصين الى ما يجب عليها من ترجمته ونشره لتتضح ذلك الباطل بالحق اليقين ، وحيا الله
الانصاف والمنصفين

تاريخ اعلان الدول الحرب

ذكرنا من قبل اعلان اكثر الدول للحرب والآن نعيده مستوفي فقول :

أعلنت النمسة الحرب على السرب في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ . وأعلنتها ألمانيا على

روسية في ١ أغسطس وفي ٤ أغسطس أعلنتها على البلجيك وفرنسة . وفي منتصف ليل

٥ أغسطس أعلنت انكلترة الحرب على ألمانيا . وفي ٦ أغسطس أعلنتها النمسة على

روسية . وفي ٧ أغسطس أعلنها الجبل الاسود على النمسة . وفي ١٠ منه أعلنتها فرنسة

على النمسة . وفي ١٢ منه أعلنتها انكلترة على النمسة . وفي ١٢ منه أعلنها الجبل

الاسود على ألمانيا . وفي ٢٣ منه أعلنتها اليابان على ألمانيا . وفي ٢٦ منه أعلنتها

النمسة على اليابان

يقول الحكمة من إنشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المكتبة
١٣١٥

فيصر عادي الدين يستعمل القول فينبون أحسن
أولئك الذمهمهم تهواؤناكهم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوي وه متراء كنار الطريق

مصر سلف ذي الحجة ١٣٣٢ هـ ق الشريف الثالث ١٢٩٣ هـ ش ١٨ نوفمبر ١٩١٤

مدونة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٢

(المطر)

(اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ)

المطر يتولد من تصاعد بخار مياه البحار وفيه راء، والعنمة في تبخيرها حرارة الشمس والفرق بين الغليان وبين هذا التبخر التدريجي هو أن التبخر يحصل من سطح السائل فقط وفي حالة الغليان ينفث البخار من جميع أجزاء الماء أما الحرارة اللازمة للتبخر في الحالتين فكمتيا واحدة

وتتولد الحرارة أيضا في مياه البحار من احتكاك بعض ذراتها ببعض ومن احتكاك الهواء بسطح البحر . وعمل الريح ضروري جدا لتوليد السحاب من البحر ذلك (١) أنه باحتكاك بسطح البحر يولد حرارة تساعد على التبخر (٢) وأنه يحمل معه كثيراً من ذرات الماء بمجرد هبوبه عليه حملاً آلياً (ميكانيكياً) (٣) وأنه يسوق الهواء الذي شبع بالماء ويرفعه الى السماء ليحل محله هواء آخر خال من الماء ، وبذلك يزداد تبخر البحر ، ولولا ذلك لوقفت حركة التبخر لا متلاء الهواء الذي على سطح البحار بالماء

لذلك قال الله تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي تهيجها وتحركه وترفعه عن سطح البحار كما ترفع التراب عن الأرض

والماء يوجد في الهواء بصور مختلفة أشهرها الطل والضباب والبرد والصقيع -

(المجلد السابع عشر)

« ١١٣ »

(المنار ج ١٢)

والمطر . ففي حالة البرد والصقيع يكون الماء متجمدا وفي حالة الضباب والطل والمطر يكون سائلا والفرق بين هذه الاحوال انما هو في درجة الحرارة فقط

واذا اجتمعت ذرات الضباب بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة طل أو مطر واذا اجتمعت ذرات البرد بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة قطع صفيرة من الثلج تسمى الصقيع

وعليه فلا فرق بين أنواع السحاب سواء أكانت قريبة من سطح الأرض أم بعيدة عنه فهي على كل حال عبارة عن ذرات صفيرة جدا من الماء السائل أو المتجمد

ويجب أن نفهم أن السحاب ليس بخار (غاز) الماء وانما هو بخار تكاثف أي قطرات صغيرة في حالة السيولة لا في الحالة الغازية والا لما أمكننا مشاهدته فان بخار الماء لا يرى لانه غاز كالهواء

وفي أثناء سقوط المطر يختلط بالهواء فيذوب فيه بالنسبة التي سبق بيانها وكذلك يختلط بكل ما يوجد في الهواء من تراب أو أي غبار آخر أو جراثيم مرضية أو غير مرضية الخ

ولذلك يتلون المطر في بعض البلاد بألوان مختلفة كالا سود والاحمر بحسب

ما يختلط به

فإن المطر وإن كان أقمى ماء في الكون الا انه ليس أقمى من الماء القطر

الذي نحصل عليه صناعيا

ومن هذه الاجزاء الثابتة في ماء المطر ما هو نافع للحيوانات والنباتات فان الهواء اللذائب في الماء ضروري للحيوانات البحرية ونافع للحيوانات البرية كالانسان ، فانه يجعل الماء خفيفا على معدته بخلاف ما اذا كان خاليا من الهواء وكذلك توجد بعض مواد ذائبة في ماء المطر كانت ساذجة في الهواء فاذا سقطت الى الأرض نفعت النباتات فتحت منها ولا تمتص النباتات شيئا من الارض ما لم يذب في الماء

ومن الاشياء المختلطة بالمطر ما هو ضار كالجراثيم المرضية

الانهار والعيون

إذا نزل المطر الى الأرض سالت منه أودية على سطحها نسي بالانهار وامتصت الأرض جزءاً آخر منه بسيل في جوفها كالانهار وهو في الحقيقة أنهار باطنية وجميع هذه الانهار الظاهرة والباطنة تنجم شطر البحار ونحوها

ومن هذه الانهار الباطنية تنفجر الينابيع ويستخرج ماء الآبار فجميع الماء العذب الذي يشربه الحيوان سواء أكان أصله من الانهار أم من الآبار أو الينابيع هو كله من ماء المطر . قال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) الآية

وإذا امتصت الأرض الماء أو سال على ظهرها اختلط بجميع ما يوجد فيها من الأملاح وغيرها ومن ذلك نشأ الاختلاف بين أنواع المياه لاختلاف تربتها فنتج العذب الفرات ومنها الملح الاجاج، وان كانت في الأصل كلها عذبة

أما سبب انفجار الينابيع ^(١) الطبيعية فهو اختلاف في مسويات طبقات الأرض المتنوعة فإذا كنا في بقعة من الأرض منخفضة عن باقي سطحها سهل انفجار الينابيع فيها بنفسها أو بمساعدة، فان من السنن الالهية ان السوائل تميل الى الموازنة فلذا يصعد ماء الينابيع المنفجر حتى يساوي ماء النهر الباطن الذي صدر منه

والآبار نوعان آبار قرية وآبار عميقة : فالآبار القرية هي التي يأتيها الماء من الطبقة الاسفنجية ^(٢) الاولى وهي عرضة لان تلوث بالمياه القذرة التي على سطح الأرض أو بالمياه القريية من هذه الآبار كالمرحاض والآبار العميقة هي التي يأتي إليها الماء بقرب طبقة الأرض البعيدة حتى تصل الى الطبقة الاسفنجية الثانية، وقد يرفع الماء بنفسه في هذه الآبار بنوعها اذا كان مصدره عاليا وقد نحتاج الى الآلات لجذبه اليها. والنوع الثاني من الآبار أبعد عن التلوث من النوع الاول ويسمى بالآبار الارتوازية نسبة الى إقليم ارتواز (Artois) بشمال فرنسا حيث حفر أول بئر سنة ١١٢٦ لاجل صيانة الآبار عن التلوث يجب أن تراعى الشروط الآتية في حفرها :

(١) من الينابيع ماؤه حار جدا الى درجة التليان كما في الولايات المتحدة لمصدره من مكان غائر جدا في جوف الأرض المنتهب (٢) اعني ذات المسام الممتلئة بالماء

الشرط الاول أن تكون بعيدة عن جميع المنازل المسكونة بنحو ٣٠ مترا على الأقل

الثاني أن لا تكون في الجهة البحرية للمنازل في بلاد مصر لأن المياه الباطنية في مصر تنحدر كماء النيل من الجهة القبلية الى الجهة البحرية وعلى ذلك تكون الآبار المنحورة في الجهة البحرية في طريق المياه الملوثة من المنازل
الثالث أن تكون حيطان (جدران) هذه الآبار صقيلة وأن تكون الآبار دائما معطاة

ولسهولة الوصول على مياه صحية تقي توجد طريقة أخرى سهلة وهي استعمال الطالبات الحبشية لنرتون (Norton) وهي مؤلفة من أنابيب معدنية تدق في الأرض الى بعد عميق جدا وتكون الاولى منها ذات طرف دقيق (مدب) كالسهم وجميع جوانبها مخروقة الى بعد نحو قدمين وفي نهاية هذه الانابيب من الجهة العليا يركب عليها طابعة لجذب الماء

والمياه التي تخرج بهذه الطابعة تقي جدا لانها صادرة من اعماق الأرض البعيدة ولا تتلوث بشيء مما على سطح الأرض أو في داخلها

والاشياء التي توجد في المياه هي كما سبق نوعان: أشياء معلقة وأشياء ذائبة أما الاشياء المعلقة فهي توجد في مياه الانهار بكثرة عظيمة، وأما مياه الآبار فانهم تكاد تكون خالية الا من الاشياء الذائبة لانها تصفى من خلال طبقات الأرض

فالمياه الباطنية إذا أقل ضررا للصحة من مياه الانهار نظايرة كما لا يخفى وللحصول على ماء نظيف من مياه الانهار الظاهرة يجب اما غليها أو تطهيرها أو تصفيتها بالآلات المناسبة بالتواضع (المرشحات) وقد يستعمل (الشب) لتنقية الماء وهو لا ضرر فيه والسبب في فاعله هذا انه يتحد مع بعض أملاح الماء مثل (بي كربونات اخضر) فيتكون ما يسمى هيدرات الألومنيوم^(١) وهي مادة غروية ترسب الى أسفل الاناء فتحمل معها كل ما كان معلقا في الماء قريبا وبذلك ينتهي . ويوضع

(١) هو العنصر الذي يتركب منه الشب مع عناصر أخرى وتعمل منه الان أدوات كثيرة منزلية وغيرها خفيفة جدا

الشب في الماء بنسبة جرام الى كل ١٤ لترا من الماء تقريبا
أما تقيته بنوى الشمس المر فهي ضارة لانه قد يتولد منه حامض الهيدروكلوريك
وخصوصاً اذا كان مقداره عظيماً وترك مدة طويلة ، وهذا الحامض هو سم زعاف
سريع التأثير جداً

وعيب الماء المغلي انه يشتمل على المواد المعلقة ويكون خالياً من الهواء
وعيب الماء المقطر أنه يكون خالياً من جميع الاملاح التي كانت في الماء فيكون
قليل التغذية للجسم فان هذه الاملاح ضرورية للحياة

وعيب الماء النقي بالشب انه لا يكون نقياً للغاية المطلوبة واذا زاد مقدار الشب
أفسد طعم الماء وأحدث عند متعاطيه امساكاً شديداً . أما الماء المصفى بالنواضح
فهو خير المياه لانه يكون مشتملاً على الهواء والاملاح اللازمة للجسم ونظيفاً من كل
ما يضر تقريبا

وأنواع النواضح كثيرة فمنها الخاوية (الزير) ومنها ما يكون مصنوعاً من
الفخار أو الفخم (وهو أردوها) وقد يستعمل الرمل لتنقية الماء بالنضح أيضاً
والنواضح عبارة عن أنبوبة من الفخار جوفاء يمر في مسامها الماء من ظاهرها
الى جوفها الفارغ والدافع الماء على هذا المرور هو الضغط عليه
وفي البلاد التي فيها الشركات المائية يندفع الماء بسبب ارتفاع الخزانات التي
تضمها هذه الشركات دائماً في مكان أعلى من المدينة

ويجب تنظيف هذه النواضح كل ثلاثة أيام بغسلها جيداً بالماء والصابون مع
شيء خشن كالمنفرة (الفرشه) أو الليف ثم تغلي في الماء لمدة عشر دقائق على
الاقل لتمتد جميع الجراثيم الساكنة فيها

وأسهل طريقة لتنظيف النواحي (الازيار) هي غسلها أولاً بالماء المغلي من الداخل
والمخرج غسلاً جيداً ثم طرحها في الشمس مدة طويلة حتى تجف تماماً وبذلك يمكن
أن تموت جل أو كل ميكروباتها الضارة

أما مرور الماء أو تخزينه في أنابيب أو خزانات من الرصاص فيه ضرر
وهذا الضرر يختلف باختلاف أنواع المياه والمواد الذائبة فيها: فالأملاح الكلورية

والنيترات تساعد على اذابة شيء من الرصاص في الماء وكذلك الهواء والاحماض
فاذا اشتمل الماء على شيء من هذه الاشياء المذكورة (وهو قل أن يخلو منها) ذاب
من الرصاص ما يكفي لافساد صحة الانسان

أما الاملاح الاخرى الآتية وهي السلفات والفسفات والكريونات فانها تعوق
ذوبان الرصاص في الماء ولذلك قلنا ان ضرر الرصاص يختلف باختلاف الاشياء
الذائبة في الماء

واذا استمر الانسان على تناول الماء الملوث بالرصاص أدى الى أعراض
مرضية كثيرة منها :

الضعف، والصفار ، والمغص الشديد، وزرقة تشاهد في اللثة ومرض في الكلى،
وضعف واضطراب في أعضاء التناسل ، وشلل في بعض أعضاء الجسم فيحصل في
اليدين ارتجاء يسمى عند الأطباء « الرسغ الساقط »

ولتوقي هذه المضار يجب أن يوضع الماء في خزانات من الحجر أو الحديد ونحوهما
وأن تكون المواسير مصنوعة من مثل الحديد المصبوب (الزهر) أو الفخار
(ينبع)

فصل (١)

ومن منازل اياك نعبد و اياك نستعين « منزلة المحبة »

وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون ، واليها شخص العالمون ، والى علمها شمر السابقون ، وعليها تقاوى المحبون ، و برّوح نسيما ترّوح العابدون ، فهي قوت القلوب و غذاء الأرواح و قرة العيون ، وهي الحياة التي من حرصها فهو من جملة الاموات ، والنور الذي من فقدته ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيثه كله هموم وآلام ، وهي روح الايمان والاعمال ، والمقامات والاحوال ، التي متى خلت منها فهي كالخسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيا ، وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها ، وتبوتهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخلها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم في ظهورها دائما الى الحبيب ، وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الأولى من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب ، فياها نعمة على المحبين سابعة ! تالله لقد سبق القوم الساعة وهم على ظهور الفرش نائمون . ولقد تقدموا الركب بمراحل ، وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدال تمشي رويدا ونجي في الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح ! وبدلوا نفوسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسلاح ، وواصلوا اليه المسير بالإدلاج والغدو بالرواح ، تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم ، وانما يحمد القوم السرى عند الصباح

فيها لان كنت ذا همه فقد حدا بك حادي الشوق فاطلو المراحلا

وقل لمناذي جبههم ورضاهم اذا ما دعا « لييك » ألفنا كراملا

ولا تنظر الاطلال من دونهم فان نظرت الى الاطلال عدن حوانلا

(١) من الجزء الثالث من مدارج السالكين

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد ودعه فان الشوق يكفيك حاملا
 وخذ منهم زادا اليهم وسر على طريق الهدى والفقر تصبح واصلا
 وأحي بذكراهم سراك اذا ونت ركابك فالذكري تعيدك عاملا
 وإما مخافن السلال فقل لها امامك ورد الوصل فابغ المناهلا
 وخذ قبسا من نورهم ثم سر به فتورهم يهديك ليس المشاعلا (١)
 وحى على واد الأراك فقل به عساك تراهم فيه ان كنت قائلا
 وإلا ففي نعمان عند معرف الـ أحبة فاطلبهم اذا كنت سائلا
 والا ففي جمع (٢) بليتة فان تفت فتى ؟ يا ويح من كان غافلا
 وحى على جنات عدن بقرهم منازل الاولى بها كنت نازلا
 ولكن سباك الكاشحون لاجل ذا وقفت على الاطلال تبكي المنازلا
 فدعها رسوما دارسات فسا بها مقبل فجاوزها فليست منازل
 رسوم عفت فتى بها الخلق كم بها قتيل وكف فيها لذا الخلق قاتلا (٣)
 وخذ يمتة عنبا على المنهج الذي عليه سرى وفد المحبة أهلا
 وقل ساعدي يانفس بالصبر ساعة فعند اللقاء الكد يصبح زائلا
 فا هي الا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذو الاحزان فرحان جاذلا
 أول نقدة من أمان المحبة بذل الروح ، فما للفلس الجبان البخيل وسومها ؟

بدم المحب يباع وصلهم فمن الذي يتنازع بالثمن

تالله ما هزلت فيستامها الفلوس ، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة (١) المسرون
 لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد ، فلم يرض لها ثمن دون بذل النفوس ،
 فتأخر البطالون ، وقام المحبون ينظرون ، أيهم يصلح أن يكون ثمنه ، فدارت الساعة بينهم
 ووقعت في يد (أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين)

(١) كذا وإله تحريف فظاهر الاعراب الرفع بالعطف ، ولا يظهر الاستثناء .
 بل المراد ليس ما يهديك هو المشاعل . ويمكن أن يقال : فاطف المشاعل - أو سقام
 المشاعل (٢) جمع هي المزدلفة . ومعرف في البيت الذي قبله عرفات (٣) كذا والظاهر ان
 يقال « قال » بالرفع لان « كم » خبرية كالتي قبلها (٤) في غير ح - فينقها بالنسيئة

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقه الشجي ، فتنوع المدعون في الشهود ، فقبل : لا تقبل هذه الدعوى الا ببينة (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه ، فطولبوا بعدالة البينة بتركية (بجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون ، فقبل لهم : ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهدوا الى بيعة (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وان لها شأنًا ، فأروا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمان بخس ، فمقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار ، وقالوا : والله لا نقيلك ولا نستقيلك . فلما تم العقد وسلوا المبيع قيل لهم : مذكارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر مما كانت وأضعافها معها (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله) اذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الاخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلاها كل حين باذن ربها ، أصلها ثابت في قرار القلب ، وفروعها متصل بسدرة المنتهى ، لا يزال سعي المحب صاعدا الى حبيبه لا يحجبه دونه شيء (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فصل

لا تحب المحبة بحد أوضح منها . فالحدود لا تزيد بها إلا خفاء وجفاء ، فغدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهداها وثمراتها وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب ادراك الشخص ومقامه وحاله ، وملكه للعبارة . وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء : (أحدها) الصفاء واليباض . ومنه قولهم لصفاء يياض الاسنان ونضارتها حبيب

الاسنان (الثاني) العلو والظهور، ومنه حَبَّ الماء وحُبَّاه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد، وحَبب الكلس منه (الثالث) اللزوم والثبات، ومنه حَبَّ البعير وأحب إذا برك ولم يقم^(١) قال الشاعر:

حلت عليه بالقالة ضرباً ضرب بعير السوء أذعبا

(الرابع) اللب ومنه حبة القلب لبه وداخله، ومنه الحبة لواحدة الحبوب^(٢) إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه (الخامس) الحفظ والامساك. ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه، وفيه معنى الثبوت أيضاً. ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة، فانها صفاء المودة وهيجان ارادات القلب المحبوب، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت ارادة القلب المحبوب ولزومها لزوماً لا تفارق^(٣) ولا إعطاء الحب محبوبة لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه، ولا اجتماع عزماته واراداته وهوميه على محبوبة. فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة، الحاء التي هي من أقصى الخلق، والباء الشفوية التي هي نهايتها، فللحاء الابتداء، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهائها اليه. وقالوا في فعلها^(٤) حبه وأحبه. قال الشاعر:

أحب أباً ثروان من حب تمر ولم تعلم أن الرفق بالجار أرفق^(٥)

فوالله لولا تمر ما حبيته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

ثم اقتصر وا على اسم الفاعل من «أحب» فقالوا محب، ولم يقولوا حاب، واقتصر وا على اسم المفعول من «حب» فقالوا محبوب، ولم يقولوا محب، الا قليلا كما قال الشاعر:

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة الحب المكرم

وأعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة

(١) في ب: فلم يقم (٢) وفي غيرها: ومنه لواحدة الحبوب (٣) لعلها «لا تفارقه» (٤) في غيرح: فعله (٥) هذا البيت من زيادة ب

مساه وقوتها ، وأعطوا العلب - وهو المحبوب - حركة الكسر لفتحها عن الضمة وخفة المحبوب وذكرة على قلوبهم وألسنتهم ، مع إعطائه حكم نظائره كتهب بمعنى منسوب ، وذبح بمعنى مذبح وحمل المحمول - بخلاف الحمل الذي هو مصدر - لفتحته ، ثم الحقوا به حملا لا يشق على حامله حمله كحمل الشجرة والولد ، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني ، تطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شأنًا ليس لساير اللغات

فصل

في ذكر رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهداء والكلام على ما يحتاج اليه منها ^(١)

(الاول) قيل: المحبة الميل الدائم ، بالقلب الهائم . وهذا الحد لا يميز فيه بين المحبة الخاصة والمشاركة والصحيحة والمعلولة

(الثاني) اثار المحبوب ، على جميع المصحوب . وهذا حكم من أحكام المحبة وأثر من آثارها

(الثالث) موافقة الخبيب ، في المشهد والمغيب . وهذا أيضاً موجباً ومقتضاهما وهو اكل من الخدين قبله ، فانه يتناول المحبة الصادقة الصحيحة خاصة ، بخلاف مجرد الميل والايثار بالارادة فانه ان لم تصحبه موافقة فمحبه معلولة

(الرابع) محو المحب لصفاته ، واثبات المحبوب لذاته . وهذا أيضاً من أحكام الفناء في المحبة - أن تنمحي صفات المحب وتبقى في صفات محبوبه وذاته ، وهذا يستدعي بياناً أم من هذا لا يدركه الا من أفناه وارد المحبة عنه ، وأخذ منه (الخامس) مواطاة القلب لمزادات المحبوب . وهذا أيضاً من موجباتها وأحكامها والمواطاة الموافقة لمزادات المحبوب وأوامره ومراضيه

(السادس) خوف ترك الحرمة ، مع اقامة الخدمة ، وهذا أيضاً من اعلامها وشواهداء وآثارها - أن يقوى بالخدمة كما ينبغي مع خوفه من ترك الحرمة والتعظيم

(السابع) استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك . وهذا قول أبي يزيد ، وهو أيضاً من أحكامها وموجباتها وشواهداها ، والمحبة الصادق له بذل المحبوبة جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ، ولو ناله من محبوبة أسير شيء لاستكثره واستعظمه

(الثامن) استكثار القليل من جنائلك ، واستقلال الكثير من طاعتك . وهو قريب من الذي قبله لكنه مخصوص بما من المحب (التاسع) معاقبة الطاعة ، ومباينة المخالفة . وهو لسبل بن عبد الله ، وهو أيضاً حكم المحبة وموجبها

(العاشر) دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . وهو للجنيدي . وفيه غموض ، ومراده استيلاء ذكر المحبوب وصفاته وأسمائه على قلب المحب حتى لا يكون الغالب عليه الا ذلك ، ولا يكون شعوره واحساسه في الغالب الا بها ، فيصير شعوره واحساسه بدلا من شعوره واحساسه بصفات نفسه ، وقد يحتمل معنى أشرف من هذا ، وهو تبدل صفات المحب الذميمة التي لا توافق صفات المحبوب بالصفات الجميلة المحبوبة التي توافق صفاته . والله أعلم

(الحادي عشر) أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يفي لك منك شيء . وهو لابي عبد الله القرشي . وهو أيضاً من موجبات المحبة وأحكامها ، والمراد أن تهب ارادتك وعزوماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حبساً في مرضاته ومحابه ، فلا تأخذ لنفسك منها الا ما أعطاك فتأخذه منه له

(الثاني عشر) أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وهو للشبلي ، وكال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة (الثالث عشر) اقامة العتاب على الدوام . وهو لابن عطاء . وفيه غموض ومراده أن لا تزال عتاباً على نفسك في مرضاة المحبوب ، وأن لا ترضى له فيها ^(١) عملاً ولا حالة

(الرابع عشر) أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك . وهو للشبلي أيضاً ، وفيه كلام سنذكره إن شاء الله في منزلة الغيرة ، ومراده احتقارك لنفسك أو استيفارها أن يكون مثلك من محبيه
(الخامس عشر) إرادة غرست أغصانها في القلب فأثمرت الموافقة والطاعة
(السادس عشر) أن ينسى الحب حظفي محبوبه ، وينسى حوائجه إليه . وهو لابي يعقوب السوسي ، ومراده أن استيلاء سلطانها على قلبه غيبه عن حظوظه وعن حوائجه ، واندرجت كلها في حكم المحبة
(السابع عشر) مجانة السلو على كل حال . وهو للنصر آبادي ، وهو أيضاً من لوازمها وثمراتها كما قيل :

مرت بارجاء الخيال طيوفه فبكت على رسم السلو الدارس

(الثامن عشر) وحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب

(التاسع عشر) سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب . وهو لمحمد بن الفضل ، ومراده توحيد المحبوب بالمحبة

(العشرون) غرض طرف القلب^(١) عما سوى المحبوب غيرة ، وعن المحبوب هية . وهذا يحتاج الى تبين : أما الاول فظاهر . وأما الثاني فإن غرض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالاستحيل ، ولكن عند استيلاء الهية يقع مثل هذا ، وذلك من علامات المحبة المقارنة للهية والتعظيم ، وقد قيل : ان ذا تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يعني ويصم » أي يعني عما سواه غيرة ، وعنه هية . وليس هذا مراد الحديث ، ولكن المراد به أن حبك للشيء يعني ويصم عن تأمل قبائحهم ومساوئهم ، فلا تراها ولا تسمعها وإن كانت فيه ، وليس المراد به ذكر المحبة المطلوبة المعلقة بالرب ، ولا يقال في حب الرب تبارك وتعالى : حبك الشيء ، ولا يوصف صاحبها بالعنى والصمم . ونجى لانتسار المرتبتين المذكورتين ، فإن الحب قد يعنى ويصم عنه بالهية^(٢) والاجلال ولكن لا توصف

(١) في ب « غرض طرفه » (٢) وفيها « فإن الحب قد يعنى ويصم عن سوى محبوبه وقد يعنى ويصم عنه » الخ

محبة العبد لربه تعالى بذلك ، وليس أهلاً من أهل العمى والصمم ، بل هم أهل الاسماع والابصار على الحقيقة ، ومن سواهم هم الصمم البكم العمى الذين لا يعقلون (السادى والعشرون) مياك للشيء بكليتك ، ثم ايتارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه . قال الجنيد : سمعت الممارث المحاسبي رحمه الله يقول ذلك

(الثاني والعشرون) المحبة تار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : لمت بعض المباحية فقال لي ذلك ، ثم قال : والكون كله مراده ، فأني شيء أبغض منه ؟ فقال الشيخ فقلت له : اذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقوالا وعاداهم فطردهم ولعنهم فأحببتهم أنت أكنت موالياً للمحسوب أو معادياً له ؟ قال :- فكأنما ألهم حجراً واقتضج بين أصحابه ، وكان مقدماً فيهم مشاراً اليه . وهذا المدح صحيح ، وقائله إنما أراد أنها تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب الديني الامري الذي يحبه ويرضاه ، لا المراد الذي قدره وقضاه ، لكن قلادة حظ المتأخرين منهم وغيرهم من العلم وقمعوا فيها وقمعوا فيه من الاباحة والالول والاتحاد ، والمعصوم من عصمه الله

(الثالث والعشرون) المحبة بذل المجهود ، وترك الاعتراض على المحبوب . وهذا أيضاً من حقوقها وممراتها وموجباتها

(الرابع والعشرون) سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوه ، ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف ، وأنشد :

فأسكر القوم دور السكاس بينهم
أسكن سكري نشا من رؤية الساقى
وينبغي صون المحبة والحبيب عن هذه الانماط التي غاية صاحبها أن يعجز
بصدقه وغاية الوارد عليه وقبره له ، فحبة الله أعلى وأجل من أن تضرب به هذه
الامثال ، وتعمل عضة المافواد المتلوة ، والانماط المبتدعة ، ولكن الصادق في
خبرة صدقه

(الخامس والعشرون) أن لا يؤثر على المحبوب غيره ، وأن لا يتولى أمورك غيره

(السادس والعشرون) الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته ، والحرية من استرقاق ما سواه

(السابع والعشرون) المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ، ولهج اللسان بذكره على الدوام. قلت: أما سفر القلب في طلب المحبوب فهو الشوق الى لقائه ، وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره

(الثامن والعشرون) أن المحبة هي المالتقص بالفاء ولا تزيد بالبر. وهي ليحيى بن معاذ ، بل الإرادة والطلب والشوق الى المحبوب لذاته ، فلا ينقص ذلك جفاؤه ولا يزيده بره ، وفي ذلك ما فيه ، فإن المحبة الذاتية تزيد بالبر ولا تنقصها زيادتها بالبر ، وليس ذلك بملء ، ولكن مراد يحيى أن القلب قد امتلأ بالمحبة الذاتية ، فإذا جاء البر من محبوبه لم يجد في القلب مكاناً خالياً من حبه تشغله محبة البر ، بل تلك المحبة قد استحقت عليه بالذات بلا سبب ، ومع هذا فلا يزيل الوهم ، فإن المحبة لا نهاية لها ، وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة ، ولا نهاية لجمال المحبوب ولا بره ، فلا نهاية لمحبة ، بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم كان ذلك دون ما يستحقه الرب جل جلاله. ولهذا لا تسمى محبة العبد لربه عشقاً — كما سيأتي — لأنه افراط المحبة ، والعبد لا يصل في محبة الله الى حد الافراط البتة ، والله أعلم

(التاسع والعشرون) المحبة أن تكون كلك بالمحبوب مشغولاً ، وذلك له مبدولاً (الثلاثون) — وهو من أجمع ما قيل فيها — قال أبو بكر الكتاني رحمه الله :

جرت مشكلة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها وكان^(١) الجنيد أصغرهم سناً فقالوا : هات ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب^(٢) عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هيئته ، وصفاء شربه من كأس وده ، وانكشف له لخبائر من أستار غيبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله

(١) في ح « فكان » الخ (٢) في ب « ذهب »

وأن سكن فزع الله ، فهو بالله والله ومع الله . فبكي الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ،
جزاك^(١) الله ياتاج العارفين

فصل

في الاسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة (أحدها) قراءة القرآن
بالتدبر والفهم لمعانيه وما أريد به ، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد و يشرحه
ليتقنهم مراد صاحبه منه (الثاني) التقرب الى الله بالتواضع بعد الفرائض ، فانها
توصله الى درجة المحبوبة بعد المحبة (الثالث) دوام ذكره على كل حال باللسان
والقلب والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر (الرابع)
اثار محابه على محابك عند غلبات الهوى ، والتسليم الى محابه وان صعب المرقى
(الخامس) مطالعة القلب لآسيائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها ، وتقلبه في رياض
هذه المعرفة ومباديها ، فن عرف الله بآسيائه وصفاته وأفعاله أحبه لآماله ، ولهذا
كانت المظلة والفرعونية والجهيمية قطاع الطريق على القلوب ، بينها وبين
الوصول الى المحبوب (السادس) مشاهدة براه وحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة ،
فانها داعية الى محبته (السابع) — وهو من أعجبها — انكسار القلب بكليته بين
يديه تعالى ، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الاسماء والعبارة (الثامن)
الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب
بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة (التاسع) مجالسة المحبين الصادقين ،
والقاطط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر . ولا نكلم الا اذا ترجحت
مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك (العاشر) مباحنة
كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل

فمن هذه الاسباب العشرة وصل المحبون الى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب ،
وملاك ذلك كله أعران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وافتتاح عين البصيرة .
وبالله التوفيق

فصل *

فهذه امثلة عشرة توضح لك الوجه العملي في المصالح المرسلة وتبين لك اعتبار أمور

(احدها) الملازمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي اصلا من اصوله ولا دليلا من دلائله

(والثاني) ان عامة النظر فيها انما هو فيما عقل منها وجرى على دون المناسبات المعقولة التي اذا عرضت على العقول تلقتهما بالقبول ، فلا مدخل لها في التبعيدات ولا ما جرى مجراها من الامور الشرعية ، لأن عامة التبعيدات لا يعقل لها معنى على التفصيل ، كالوضوء والصلاة والصيام في زمان مخصوص دون غيره ، والحج ، ونحو ذلك

فليتأمل الناظر الموفق كيف وضعت على التحكم المحض المنافي للمناسبات التفصيلية

ألا ترى ان الطهارات على اختلاف أنواعها قد اختص كل نوع منها بتعبد مخالف جدا لما يظهر لبادي الرأي ؛ فان البول والغائط خارجان نجسان يجب بهما تطهير اعضاء الوضوء دون المخرجين فقط ، ودون جميع الجسد ، فاذا خرج المني أو دم الحيض وجب غسل جميع الجسد دون المخرج فقط ، ودون اعضاء الوضوء ^(١)

(*) تابع لما نشر في ص ٨٣٣

(١) روي عن بعض علماء السلف مثل هذا وعد الطهارتين على خلاف القياس أو العقل . وأخذ الناس ذلك بالقبول . مع أن حكمة الطهارتين معقولة ، فن خروج المني ودم الحيض يحدث من الفتور والضعف في البدن كله مالا يحدث =

(المنار - ج ١٢) (١١٥) (المجلد السابع عشر)

ثم ان التطهير واجب مع نظافة الاعضاء ، وغير واجب في قذارتها
بالاوساخ والادران اذا فرض انه لم يحدث

ثم التراب -- ومن شأنه التلويت -- يقوم مقام الماء الذي من
شأنه التنظيف

ثم نظرنا في أوقات الصلوات فلم نجد فيها مناسبة لاقامة الصلوات
فيها لاستواء الاوقات في ذلك

وشرع للإسلام بها أذكار مخصوصة لا يزداد فيها ولا ينقص منها ،
فاذا أقيمت ابتدأت اقامتها بأذكار أيضا ، ثم شرعت ركعاتها مختلفة
باختلاف الاوقات ، وكل ركعة لها ركوع واحد وسجودان دون العكس ،
الاصلاة خسوف الشمس فانها على غير ذلك ، ثم كانت خمس صلوات
دون أربع أو ست وغير ذلك من الاعداد ؛ فاذا دخل المتطهر المسجد
أمر بحجته بركتين دون واحدة كالموتر ، أو أربع كالظهر ؛ فاذا سها في
صلاة سجد سجدتين دون سجدة واحدة ، واذا قرأ سجدة سجد
واحدة دون اثنتين

ثم أمر بصلاة النوافل ونهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة ،
وعلل النهي بأمر غير معقول المعنى

= مثله بخروج البول والغائط ، فشرع الغسل من الاولين ليعود به للبدن نشاطه
وللعصب فيه تنبيه ، فيقوى على العبادة ، واكتفي بالوضوء من الآخرين لضعف
تأثيرهما ، وثم حكمة أخرى وهي جعل الطهارة الخفيفة لما يتكرر كل يوم ، والطهارة
الثقاة لما لا يتكرر الا في الاسابيع أو الشهور . وللامثلة الاخرى التي سيذكرها حكم
أيضا يننا بعضها في مجلة المنار وفي (تفسير القرآن الحكيم) ولا ينكر مع ذلك ان
في كل عبادة معنى التعبد الذي يؤخذ بالتسليم كهدم الركعات والركوع والسجود فيها

ثم شرعت الجماعة في بعض النوافل كالعدين والخسوف والاستسقاء ،
دون صلاة الليل ورواتب النوافل

فاذا صرنا الى غسل الميت وجدناه لا معنى له معقولا ، لأنه غير
مكلف ، ثم أمرنا بالصلاة عليه بالتكبير دون ركوع أو سجود أو تشهد ،
والتكبير أربع تكبيرات دون اثنتين أو ست أو سبع أو غيرها من الاعداد
فاذا صرنا الى الصيام وجدنا فيه من التعبدات غير المعقولة كثيرا ،
كإمساك النهار دون الليل ، والإمساك عن الماء كولات والمشروبات ،
دون الملبوسات والمركوبات ، والنظر والمشى والكلام واشباه ذلك ؛
وكان الجماع - وهو راجع الى الإخراج - كاللأكل - وهو راجع
الى الضد ؛ وكان شهر رمضان - وإن كان قد أنزل فيه القرآن - ولم
يكن أيام الجمع ، وإن كانت خير أيام طلعت عليها الشمس ، أو كان الصيام
أكثر من شهر أو أقل . ثم ألحج أكثر تعبدا من الجميع

وهكذا تجد عامة التعبدات في كل باب من أبواب الفقه ما عملوا (؟)
إن في هذا الاستقراء معنى يعلم من مقاصد الشرع أنه قصد قصده ونحي
نحوه واعتبرت جهته ، وهو إن ما كان من التكاليف من هذا القبيل فإن
قصد الشارع أن يوقف عنده ويعزل عنه النظر الاجتهادي جملة ، وأن
يوكل الى واضعه ويسلم له فيه ، سواء علينا أقلنا : إن التكاليف معاملة
بمصالح العباد ، أم لم نقله . اللهم الا قليلا من مسائلها ظهر فيها معنى فهمناه
من الشرع فاعتبرنا به أو شهدنا في بعضها بعدم الفرق بين المنصوص عليه
والمسكوت عنه ، فلا حرج حينئذ . فإن اشكل الامر فلا بد من الرجوع
الى ذلك الاصل ، فهو العروة الوثقى للمتفقه في الشريعة والوزير الاحمى

ومن أجل ذلك قال حذيفة رضي الله عنه : كل عبادة لم يتعبدوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر مة الا ، فاتقوا الله يامعشر القراء ، وخذوا بطريق من كان قبلكم . ونحوه لابن مسعود ايضا — وقد تقدم من ذلك كثير —

ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات الى المعاني ، وان ظهرت لبادي الرأي ، وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه ، فلم يلتفت في ازالة الاخبار ، ورفع الاحداث ، الى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره ، حتى اشترط في رفع الاحداث النية ، ولم يقيم غير الماء مقامه عنده — وان حصلت النظافة — حتى يكون بالماء المطلق ، وامتنع من اقامة غير التكبير والتسليم والترأة بالمرية مقامها في التحريم والتحليل والاجزاء ، ومنع من اخراج القيم في الزكاة ، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد ، وما أشبه ذلك

ودورانه في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب - ان تصور - لقلة ذلك في التعبدات وندوره ، بخلاف قسم العادات الذي هو جارٍ على المعنى المناسب الظاهر للتعول ، فإنه استرسل فيه استرسال المدلل العريق في فهم المعاني المصلحية ، نعم مع مراعاة مقصود الشارع أن لا يخرج عنه ولا يناقض أصلا من أصوله ؛ حتى لقد استشنع العلماء كثيرا من وجوه استرساله ، زاعمين انه خلع الرتبة ، وفتح باب التشريع . وهيات ما أبعد من ذلك ! رحمه الله ؛ بل هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع ، بحيث يخيل لبعض أنه مقلد لمن قبله ، بل هو صاحب البصيرة في دين الله - حسبا بين أصحابه في كتاب سبره -

بل حكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : اذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وهذه غاية في الشهادة بالاتباع . وقال أبو داود : أخشى عليه البدعة . (يعني المبتغض للملك) وقال ابن مهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة ، واذا رأيت أحدا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة . وقال ابراهيم بن يحيى بن هشام : ما سمعت أبا داود لعن أحداً قط الا رجلين ، أحدهما رجل ذكر له أنه لعن مالكا ، والآخر بشر المريسي

وعلى الجملة فقير مالك أيضا موافق له في أن أصل العبادات عدم معقولية المعنى ، وان اختلفوا في بعض التفاصيل ، فالأصل متفق عليه عند الامة ، ما عدا الظاهرية ، فانهم لا يفرقون بين العبادات والمعادات ، بل الكل تبدعغير معقول المعنى ، فهم آخرون بان لا يقولوا بأصل المصالح فضلا عن أن يعتقدوا المصالح المرسلة

(والثالث) ان حاصل المصالح المرسلة يرجع الى حفظ أمر ضروري ، ورفع حرج لازم في الدين ، وأيضاً مرجعها الى حفظ الضروري ، من باب « ما لا يتم الواجب الآ به . . . » في اذاً من الوسائل لا من المقاصد . ورجوعها الى رفع الحرج راجع الى باب التخفيف لا الى التشديد .

أما رجوعها الى ضروري فقد ظهر من الامثلة المذكورة وكذلك رجوعها الى رفع حرج لازم ؛ وهو إما لاحق بالضروري ، وإما من الحاجي ؛ وعلى كل تقدير فليس فيها ما يرجع الى التقييد والتزوين البتة . فان جاء من ذلك شيء : فإما من باب آخر منها ، كقيام رمضان في المساجد جماعة — حسباً تقدم — وأما معدود من قبيل البدع التي

انكرها السلف الصالح -- كزخرفة المساجد والتشويب بالصلاة -- وهو من قبيل ما يلائم.

وأما كونها في الضروري من قبيل الوسائل، و« ما لا يتم الواجب الآ به... » إن نص على اشتراطه، فهو شرط شرعي فلا مدخل له في هذا الباب؛ لأن نص الشارع فيه قد كفاها مؤنة النظر فيه

وان لم ينص على اشتراطه فهو إما عقلي أو عادي؛ فلا يلزم ان يكون شرعياً، كما أنه لا يلزم ان يكون على كيفية معلومة، فانا لو فرضنا حفظ القرآن والعلم بغير كتب مطرد الصبح ذلك، وكذلك سائر المصالح الضرورية يصح لنا حفظها، كما انا لو فرضنا حصول مصلحة الامامة الكبرى بغير امام على تقدير عدم النص بها لصح ذلك، وكذلك سائر المصالح الضرورية - اذا ثبت هذا - لم يصح أن يستنبط من بابها شيء من المقاصد الدينية التي ليست بوسائل

وأما كونها في الحاجي من باب التخفيف فظاهر أيضاً، وهو أقوى في الدليل الرافع للخرج، فليس فيه ما يدل على تشديد ولا زيادة تكليف، والامثلة مبنية لهذا الاصل أيضاً

اذا تقررت هذه الشروط علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسلة لان موضوع المصالح المرسلة ما عقل معناه على التفصيل، والتعبدات من حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل. وقدر أن العادات اذا دخل فيها الابتداع فانما يدخلها من جهة ما فيها من التعبد لا باطلاق

وأيضاً فان البدع في عامة أمرها لا تلائم مقاصد الشرع، بل انما تتصور على أحد وجهين: إما منافضة لمقصوده - كما تقدم في مسألة

المتقي للملك بصيام شهرين متتابعين - وإما مسكوناً عنه فيه كحرمان القتال ومعاملته بتقيض مقصوده على تقدير عدم النص به . وقد تقدم قل الإجماع على أطراح القسمين ، وعدم اعتبارهما . ولا يقال : أن المسكوت عنه يلحق بالماذون فيه . إذ يلزم من ذلك خرق الإجماع لعدم الملاءمة ، ولأن العبادات ليس حكمها حكم العادات في أن المسكوت عنه كالماذون فيه - أن قيل بذلك ؛ فهي تفارقها ، إذ لا يقدم على استنباط عبادة لا أصل لها ، لأنها مخصوصة بحكم الأذن المصرح به ؛ بخلاف العادات . والفرق بينهما ما تقدم من ائتماء العقول للعبادات في الجملة ، وعدم ائتمائها لوجوه التقربات إلى الله تعالى . وقد أشير إلى هذا المعنى في كتاب الموافقات وإلى هذا (١)

فاذا ثبت أن المصالح المرسلة ترجع إما إلى حفظ ضروري من باب الوسائل ، أو إلى التخفيف ، فلا يمكن أحداث البدع من جهة ولا الزيادة في المنذوبات ، لأن البدع من باب الوسائل ، لأنها متعبد بها بالفرض ، ولأنها زيادة في التكليف ، وهو مضاد للتخفيف

فصل من هذا كله أن لا تعلق للمبتدع بباب المصالح المرسلة إلا القسم المنع باتفاق العلماء ، وحسبك به متعلقاً ، والله الموفق وبذلك كله يعلم من قصد الشارع أنه لم يكل شيئاً من التعبدات إلى آراء العباد ، فليبق إلا الوقوف عند ما حده ؛ و الزيادة عليه بدعة ، كما أن نقصان منه بدعة . وقد مر لها أمثلة كثيرة ، وسيأتي آخرها في أثناء الكتاب بحول الله .

فصل

وأما الاستحسان ؛ فلان لأهل البدع أيضاً تعلاق به ؛ فان الاستحسان لا يكون الا بمستحسن ، وهو إما العقل أو الشرع أما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منها ، لان الأدلة اقتضت ذلك فلا فائدة لتسميته استحصاناً ، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والاجماع ، وما ينشأ عنهما من القياس والاستدلال . فلم يبق الا العقل هو المستحسن ، فان كان بدليل فلا فائدة لهذه التسمية ، لرجوعه الى الأدلة لا الى غيرها ، وان كان بغير دليل فذلك هو البدعة التي تستحسن

ويشهد ^(١) قول من قال في الاستحسان انه يستحسنه ^(٢) المجتهد بعقله ، ويميل اليه برأيه - قالوا - : وهو عندهؤلاء من جنس ما يستحسن في العوائد ، وتميل اليه الطباع ، فيجوز الحكم بمقتضاه اذا لم يوجد في الشرع ما ينافي هذا الكلام ما بين (١) ان تتم من التعميدات ما لا يكون عليه دليل ، وهو الذي يسمى بالبدعة ، فلا بد أن ينقسم الى حسن وقبيح ، اذ ليس كل استحسان حقاً

وأيضاً فقد يجري على التأويل الثاني للاصوليين في الاستحسان ، وهو أن المراد به دليل ينقدح في نفس المجتهد لاتساعده العبارة عنه ولا يقدر على اظهاره . وهذا التأويل ، فلا استحسان يساعد لهده ، لانه يعمد في بخاري المعادات أن يتدع أحد بدعة من غير شبهة دليل ينقدح له ، بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي ، لئلا يكون قد

(١) لعل أصله « ويشهد لذلك » اوله (٢) لعل أصله « ما يستحسنه »

يمكنه اظهاره وقد لا يمكنه - وهو الاغلب - فهذا مما يحتاجون به



وربما يتقدح لهذا المعنى وجه بالادلة التي استدلل بها أهل التأويل
الأولون ، وقد اتوا بثلاثة ادلة

(احدها) قول الله سبحانه (واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم)
وقوله (الله نزل احسن الحديث) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه) هو ما استحسنته عقولهم

(والثاني) قوله عليه السلام «ما رواه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن»
وانما يعني بذلك ما رواه بعقولهم ، والا لو كان حسنة بالدليل الشرعي
لم يكن من حسن ما يرون ، اذ لا مجال للعقول في التشريع على ما زعمتم ،
فلم يكن للحديث فائدة ، فدل على ان المراد ما رواه برأيهم

(والثالث) ان الامة قد استحسنت دخول الحمام من غير تقدير اجرة
ولا تقدير مدة البث ولا تقدير الماء المستعمل ، ولا سبب لذلك الا ان
المساحة في مثله قبضة في العادة ، فاستحسن الناس تركه ، مع اننا تقطع أن
الاجارة المجهولة^(١) أو مدة الاستئجار أو مقدار المشتري اذا جعل فاته
ممنوع ، وقد استحسنت اجارته مع مخالفة الدليل ، فالولى ان يجوز اذا لم
يخالف دليلا

فانت ترى ان هذا الموضع منزلة قدم أيضا لمن اراد أن يتدع ، فله
ان يقول : ان استحسنت كذا وكذا ففيري من العلماء قد استحسنت .

(١) لا بد أن يكون سقط من هنا شيء ولعله المنفعة

وإذا كان كذلك فلا بد من فضل اعتناء بهذا الفصل ، حتى لا يقترب به جاهل أو زاعم أنه عالم ، وبالله التوفيق ، فنقول :

✽

ان الاستحسان يراه معتبراً في الاحكام مالك وأبو حنيفة ، بخلاف الشافعي فإنه منكر له جداً حتى قال « من استحسّن فقد شرع » والذي يستقرى من مذهبه أنه يرجع الى العمل بأقوى الدليلين . هكذا قال ابن العربي — قال — فالعموم اذا استمر ، والقياس اذا أطرّد ، فإن مالكا وأبا حنيفة يريان تخصيص العموم بأي دليل كان من ظاهر أو معنى — قال — ويستحسن مالك ان يخص بالمصلحة ، ويستحسن أبو حنيفة ان يخص بقول الواحد من الصحابة الوارد بخلاف القياس — قال — ويريان معاً تخصيص القياس ونقص العلة ، ولا يرى الشافعي لعلّة الشرع اذا ثبتت تخصيصاً

هذا ما قال ابن العربي . ويشعر بذلك تفسير الكرخي أنه المدلول عن الحكم في المسئلة بحكم نظائرها الى خلافه لوجه أقوى . وقال بعض الحنفية : أنه القياس الذي يجب العمل به ، لأن العلة كانت علة بأثرها : سمو الضعيف الأثر قياساً والقوي الأثر استحساناً ، أي قياساً مستحسنًا ، وكأنه نوع من العمل بأقوى القياسين : وهو يظهر من استقراء مسائلهم في الاستحسان بحسب النوازل الفقهية

بل قد جاء عن مالك ان الاستحسان تسعة اعشار العلم . ورواه اصبح عن ابن القاسم عن مالك ، قال اصبح في الاستحسان : قد يكون أغلب

من القياس . وجاء عن مالك أن الفرق في القياس يكاد يفارق السنة ^(١) . وهذا الكلام لا يمكن أن يكون بالمعنى الذي تقدم قبل ، وأنه ما يستحسنه المجتهد بعقله ، أو أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد تصر عبارة عنه ، فإن مثل هذا لا يكون تسعة أعشار العلم ، ولا أغلب من القياس الذي هو أحد الأدلة

وقال ابن العربي في موضع آخر : الاستحسان إثبات ترك مقتضى الدليل ، على طريق الاستثناء والترخص ، لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته . وقسمه أقساماً عدة منها أربعة أقسام ، وهي ترك الدليل للمعرف ، وتركه للمصلحة ، وتركه لليسير ، لرفع المشقة ، وإثبات التوسعة ^(٢) وحده غير ابن العربي من أهل المذهب بأنه عند مالك : استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي . — قال — فهو تقديم الاستدلال المرسل على القياس .

وعرفه ابن رشد فقال : الاستحسان — الذي يكثر استعماله حتى يكون اعتم من القياس — هو أن يكون طرعا لقياس يؤدي إلى غلو في الحكم ومبالغة فيه ، فمدل عنه في بعض المواضع معنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع .

وهذه تعريفات قريب بعضها من بعض

(١) كانت العبارة في صلب النسخة هكذا « أن الفرق في القياس ، يكاد يفارق الناس . ووضع فوق « يفارق الناس » خط وكتب بأزائه في الحاشية « يفارق السنة » على أن معنى العبارة المصححة ظاهر . (٢) إذا كان قوله « لرفع المشقة » الخ مبيلا لتركه في « اليسير » (وهو التقليل التافه) فإن القسم الرابع ؟ وإن كان قسما رأسه فلماذا لم يقل « وتركه لرفع المشقة » ؟ وليراجع المثال السابع في ص ٩٢٧

وإذا كان هذا معناه عن مالك وإبي حنيفة فليس بخارج عن الأدلة البتة ، لأن الأدلة يقيد بعضها ويخص بعضها بعضاً ، كما في الأدلة السنية مع القرآنية . ولا يرد الشافعي مثل هذا أصلاً . فلا حجة في تسميته استحساناً لمبتدع^(١) على حال

ولا بد من الإتيان بأمثلة تبين المقصود بحول الله ، وتقتصر على عشرة أمثلة .

(أحدها) ان يعدل بالمسئلة عن نظائرها بدليل الكتاب ، كقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) فظاهر اللفظ العموم في جميع ما يمول به ، وهو مخصوص في الشرع بالأموال الزكوية خاصة ؛ فلو قال قائل : مالي صدقة . فظاهر لفظه يتم كل مال ؛ ولكننا نعمله على مال الزكاة ، لكونه ثبت الحمل عليه في الكتاب . قال العلماء : وكأن هذا يرجع الى تخصيص العموم بإعادة فهم خطاب القرآن . وهذا المثال أورده الكرخي تمثيلاً لما قاله في الاستحسان

(والثاني) ان يقول الحنفي : سائر سباع الطير نجس ، قياساً على سباع البهائم . وهذا ظاهر الأثر ، ولكنه ظاهر استحساناً ؛ لأن السبع ليس بنجس العين ، ولكن لضرورة تحريم لحمه ، فثبتت نجاسته بمجاورة وطوابع لمابه . وإذا كان كذلك فآفة الطير ، لأنه يشرب بمنقاره وهو طاهر بنفسه ؛ فوجب الحكم بطهارة سائرهم ، لأن هذا أثر قوي وإن خفي ، فترجع على الأول ، وإن كان أمره جلياً ، والاختصاص بأقوى القياسين متفق عليه (والثالث) ان أبا حنيفة قال : إذا شهد أربعة على رجل بالزنا ولكن

(١) قوله « لمبتدع » خبر قوله « فلا حجة »

عين كل واحد غير الجهة التي عينها (الآخر) ، فالقياس ان لا يحد ، ولكن استحسن حده . ووجه ذلك انه لا يحد الا من شهد عليه اربعة . فاذا عين كل واحد دارا ، فلم يأت على كل مرتبة باربعة . لامتناع اجتماعهم على رتبة واحدة . فاذا عين كل واحد زاوية فالظاهر تعدد الفعل ، ويمكن التزاحف .

فاذا قال : القياس ان لا يحد . فمناه ان الظاهر انه لم يجتمع الاربعة على زوايا واحد ، ولكنه يقول ^(١) في المصير الى الامر الظاهر تفسيق العدول ، فانه ان لم يكن محدودا صار الشهود فسقة ، ولا سبيل الى ^(٢) ما وجدنا الى العدول عنه سبيلا ، فيكون حمل الشهود على مقتضى المدالة عند الامكان يحجر ذلك الامكان البعيد . فليس هذا حكما بالقياس ، وانما ^(٣) تمسك باحتمال تلقي الحكم من القرآن ، وهذا يرجع في الحقيقة الى تحقيق مناطه

(والرابع) ان مالك بن انس من مذهبه ان يترك الدليل للعرف ، فانه رد الأيمان الى العرف ، مع ان اللغة تقتضي في الفاظها غير ما يقتضيه العرف ، كقوله : والله لا دخلت مع فلان بيتا . فهو يبحث ^(٤) بدخول كل موضع يسمى بيتا في اللغة ، والمسجد يسمى بيتا فبحث على ذلك ، الا ان عرف الناس ان لا يطلقوا هذا اللفظ عليه ، فخرج بالعرف على ^(٥) مقتضى اللفظ فلا يبحث

(١) من أصله : يقول . فان ارضا اذا ثبت بشهادة من شهدوا به يقول الأمر ان قد فهم للمشهود عليه وهو حق . وعبارة كما ترى لانهم الاشكاف (٢) لعله سقط من هنا لفظ « التفسير » (٣) لعله سقط من هنا كلمة « هو » (٤) نص - فبحث « فلا يبحث » وهو غلط حتى (٥) لعله عن

(والخامس) ترك الدليل لمصلحة ، كما في تضمين الاجير المشترك وان لم يكن صانعا ، فان مذهب مالك في هذه المسئلة على قولين ، كتضمين صاحب الحمام الثياب ، وتضمين صاحب السفينة ، وتضمين السامرة المشتركين ، وكذلك حال الطعام - على رأي مالك - فانه ضامن ، ولا حق عندهم بالصناع . والسبب في ذلك بعد السبب في تضمين الصناع .

فان قيل : فهذا من باب المصالح المرسله لا من باب الاستحسان . قلنا : نعم ؛ الا أنهم صوروا الاستحسان تصور الاستثناء^(٢) من القواعد ، بخلاف المصالح المرسله . ومثل ذلك يتصور في مسئلة التضمين ، فان الاجراء مؤتمنون بالدليل لا بالبراءة الاصلية ، فصار تضمينهم في حين المستثنى من ذلك الدليل ، فدخلت تحت معنى الاستحسان بذلك النظر (والسادس) انهم يحكون الاجماع على ايجاب الغرم على من قطع ذنب بغلة القاضي ، يريدون غرم قيمة الدابة لقيمة النقص الحاصل فيها . ووجه ذلك ظاهر ، فان بغلة القاضي لا يحتاج اليها الا للركوب ، وقد امتنع ركوبه لما بسبب خش ذلك العيب ، حتى صارت بالنسبة الى ركوب مثله في حكم الغدوم ، فألزموا الفاعل غرم قيمة الجميع . وهو متجه بحسب الفرض الخاص ، وكان الاصل أن لا ينرم الا قيمة ما نقصها القطع خاصة ، لكن استحسننا ما تقدم

وهذا الاجماع مما ينظر فيه ، فان المسئلة ذات قولين في المذهب

(٧) الظاهر ان يقول : صوروا الاستحسان بصورة الاستثناء . - أو - تصوروا الاستحسان تصور الاستثناء الخ

وغيره ، ولكن الأشهر في المذهب المالكي ما تقدم حسبما نص عليه
القاضي عبد الوهاب

(والسابع) ترك مقتضى الدليل في اليسير لتفاهته وتزاوره لرفع
المشقة ، وإيثار التوسعة على الخلق ؛ فقد أجازوا التفاضل اليسير في
المراطة الكثيرة ، وأجازوا البيع بالصرف إذا كان أحدهما تابعا للآخر ،
وأجازوا بدل الدرهم الناقص بالوازن^(١) لتزاور ما بينهما . والاصل المنع في
الجميع ، لما في الحديث من أن الفضة بالفضة والذهب بالذهب مثلا بمثل
سواء بسواء ، وأن من زاد أو ازداد فقد أربى . ووجه ذلك ان التافه في
حكم المدم ، ولذلك لا تنصرف اليه الاغراض في الغالب ، وان المشاحة
في اليسير قد تؤدي الى الحرج والمشقة ، وهما مرفوعان عن المكلف
(والثامن) أن في العتية من سماع اصبع في الشريكين يطآن
الامة في طهر واحد فتأتي بولد فينكر أحدهما الولد دون الآخر - انه
يكشف منكر الولد عن وطنه الذي أقر به ؛ فان كان في صفته ما يمكن معه
الانزال لم يلتفت الى انكاره ، وكان كما لو اشتركا فيه ، وان كان يدعي
العزل من الوطاء الذي أقر به ، فقال أصبغ : اني أستحسن هاهنا أن ألحقه
بالآخر ؛ والقياس أن يكونا سواء ، فلم يله غلب ولا يدري . وقد قال -
عمرو بن العاص في نحو هذا « ان الوكاء قد يتقلب » - قال -
والاستحسان هاهنا ان ألحقه بالآخر ، والقياس أن يكونا في العلم قد
يكون أغلب من القياس (؟) - ثم حكى عن مالك ما تقدم
ووجه ذلك ابن رشد بأن الاصل : من ولي أمته فعزل عنها وأنت
(١) الوازن ما وزن فصرف أنه تام . يقال : درهم وزن - ووازن - وموزون -

الآخر الذي لم يعزل عنها أن يكون الحكم في ذلك بمنزلة ما إذا كانا جميعاً يعزلان أو ينزلان . والاستحسان - كما قال - أن يلحق الولد بالذي ادعاه وأقر أنه كان ينزل ، وتبرأ منه الذي أنكره وادعى أنه كان يعزل ؛ لأن الولد يكون مع الانزال غالباً ولا يكون مع العزل إلا نادراً ، فيغلب على الظن أن الولد إنما هو للذي ادعاه وكان ينزل ، لا الذي أنكره وهو يعزل ؛ والحكم بقلية الظن أصل في الأحكام ، وله في هذا الحكم تأثير ، فوجب أن يصار إليه استحساناً - كما قال أصبغ - وهو ظاهر فيما نحن فيه

(والتاسع) ما تقدم أولاً من أن الأمة استحسنتم دخول الحام من غير تقدير أجره ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل . والاصل في هذا المنع ، إلا أنهم أجازوا - لا كما قال المحتجون على البدع ، بل لأمراً آخر هو من هذا القبيل الذي ليس بخارج عن الأدلة ؛ فأما تقدير العوض فالعرف هو الذي قدره ، فلا حاجة إلى التقدير ، وأما مدة اللبث وقدر الماء المستعمل فإن لم يكن ذلك مقدراً بالعرف أيضاً فإنه يسقط للضرورة إليه . وذلك لقاعدة فقهية ، وهي أن نفى جميع الفرر في العقود لا يتدر عليه ، وهو يضيق أبواب المعاملات ، وهو تحميم أبواب المفاوضات (؟) ونفي الضرر إنما يطلب تكميلاً ورفعاً لما عسى أن يقع من نزاع ، فهو من الأمور المكتملة ، والتكميلات إذا أفضى اعتبارها إلى إبطال المكملات سقطت جملة ، تحميلاً للمهم - حسبائين في الأصول - فوجب أن يسامح في بعض أنواع الفرر التي لا ينفك عنها ، إذ يشق طلب الانتكاف عنها ، فسومع المكلف يسير الفرر ، لضيق الاحتراز

مع تفاهة ما يحصل من الفرض ^(١) ولم يسامح في كثيره اذ ليس في محل الضرورة، ولعظيم ما يترتب عليه من الخطر، لكن الفرق بين القليل والكثير، غير منصوص عليه في جميع الامور، وانما نهي عن بعض أنواعه مما يعظم فيه الفرض، فجعلت اصولا يقاس عليها غير القليل اصلا في عدم الاعتبار وفي الجواز، وصار الكثير في ^(٢) المنع، ودار في الاصلين فروع تتجاذب العلماء النظر فيها؛ فاذا قل الفرض وسهل الامر وقل النزاع ومست الحاجة الى المساحة فلا بد من القول بها، ومن هذا القبيل مسألة التقدير في ماء الحمام ومدة اللبث

قال العلماء ولقد بالغ مالك في هذا الباب وامن فيه، فجوز أن يستأجر الاجير بطعامه وان كان لا ينضبط مقداراً كله، ليسار أسرته وخفة خطبه وعدم المشاحة، وفرق بين تطرق يسير الفرض الى الاجل فأجازه، وبين تطرقه للثمرة فمنعه، فقال: يجوز للانسان ان يشتري سلعة الى الحصاد أو الى الجذاذ، وان كان اليوم بعينه لا ينضبط؛ ولو باع ساعة بدرهم أو ما يقاربه لم يحجز، والسبب في التفرقة المضايقة في تعيين الاثمان وتقديرها ليست في العرف، ولا مضايقة في الاجل، اذ قد يسامح البائع في التقاضي الايام، ولا يسامح في مقدار الثمن على حال

وبعضه ما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بشراء الابل الى خروج المصدق، وذلك لا يضبط يومه ولا بعينه ساعة ولكنه عن التقريب والتسهيل

(١) لعلة الفرض أو الضرر (٢) لعل أصله في حكم المنع - أو - في حيز المنع «
(المآثر - ج ١٢) (١١٧) (المجلد السابع عشر)

فتأملوا كيف وجه الاستثناء من الاصول الثابتة بالخرج والمسقة .
واين هذا من زعم الزاعم انه استعسان للمقل بحسب العوائد فقط ؟
فحين لك بون ما بين المنزلتين .

(العاشر) أنهم قالوا : ان من جملة انواع الاستحسان مراعاة
خلاف العلماء . وهو أصل في مذهب مالك ينبغي عليه مسائل كثيرة
(منها) ان الماء اليسير اذا حلت فيه النجاسة اليسيرة ولم يغير احد
أوصافه انه لا يتوضأ به بل يتييم ويتركه ؛ فان توضأ به وصلى أعاد مادام في
الوقت ، ولم يبعد بعد الوقت ؛ وانما قال « يعيد في الوقت » مراعاة لقول
من يقول : انه طاهر مطهر . ويرى جواز الوضوء به ابتداءً ؛ وكان
قياس هذا القول ان يعيد ابتداءً ، اذ لم يتوضأ الا بما يصح له تركه
والانتقال عنه الى التيميم

(ومنها) قولهم في النكاح الفاسد الذي يجب فسخه : ان لم يتفق على
فساده فيفسخ بطلاق ، ويكون فيه الميراث ، ويلزم فيه الطلاق على
حده في النكاح الصحيح ؛ فان اتفق العلماء على فساده ففسخ بغير طلاق ،
ولا يكون فيه ميراث ولا يلزم فيه طلاق

(ومنها) مسألة من نسي تكبيرة الاحرام وكبر للركوع وكان مع
الامام ^(١) ان يتأدى ، لقول من قال : ان ذلك يجزئه . فاذا سلم الامام
أعاد هذا المأموم . وهذا المني كثير جدا في المذهب ؛ ووجهه انه راعى
دليل المخالف في بعض الاحوال ، لأنه ترجح عنده ؛ ولم يرجح عنده

(١) سقط من هنا ما يكون به قوله « أن يتأدى » جملة مفيدة ، ولعل أصله :
وجب - أو - فعليه أن يتأدى

في بعضها فلم يراعه .

ولقد كتبت في مسألة مراعاة الخلاف الى بلاد المغرب والى بلاد افريقية لا إشكال عرض فيها من وجهين : احدهما مما يخص هذا الموضع على فرض صحتها ، وهو ما أصلها من الشريعة وعلى م تبنى من قواعد أصول الفقه ؛ فان الذي يظهر الآن ان الدليل هو المتبع فحينما صار صير اليه ، ومتى رجح للمجتهد احد الدليلين على الآخر - ولو بادنى وجوه الترجيح - - وجب التعويل عليه وإلغاء ما سواه ، على ما هو مقرر في الاصول ؛ فاذا رجعوه - اعني المجتهد - الى قول الغير إعمال لدليله المرجوح عنده ، وإهمال الدليل الراجح عنده الواجب عليه اتباعه ؛ وذلك على خلاف القواعد .

فأجاني بعضهم باجوبة منها الأقرب والأبعد ؛ إلا أنني راجعت بعضهم بالبحث ، وهو اخي ومفيد ابو العباس ابن القباب رحمة الله عليه ، فكتب اليّ بما نصه :

« وتضمن الكتاب المذكور عودة السؤال في مسألة مراعاة الخلاف ، وقائم ان رجحان إحدى الامارتين على الاخرى ان تقديمها على الاخرى ^(١) اقضى ذلك عدم المرجوحة . طلقاً ، واستشغتم ان يقول المفتي « هذا لا يجوز » ابتداءً ، وبعد الوقوع يقول بجوازه ، لانه يصير المنوع اذا فعل جائزاً . وقائم انه انما يتصور الجمع في هذا النحو في منع التنزيه لا منع التحريم . - الى غير ذلك مما أوردتم في المسئلة .
« وكلها ابرادات شديدة صادرة عن قريحة قياسية منكورة »

لطريقة الاستحسان ؛ والى هذه الطريقة ميل فحول من الأئمة والنظار ، حتى قال الامام ابو عبدالله الشافعي : من استحسِن فقد شرع .

« ولقد ضاقت العبارة عن معنى أصل الاستحسان - كما في علمكم - حتى قالوا : أصبح عبارة فيه أنه معنى ينقدح في نفس المجتهد تعسر العبارة عنه . فإذا كان هذا أصله الذي ترجع فروعه اليه ، فكيف ما يبنى عليه ؟ فلا بد ان تكون العبارة عنها أضيق .

« ولقد كنت أقول بمثل ما قال هؤلاء الاعلام في طرح الاستحسان وما بني عليه ، لولا أنه اعتضد وتقوى لوجوده كثيرًا في فتاوى الخلفاء واعلام الصحابة وجمهورهم مع عدم النكير ، فتقوى ذلك عندي غاية ، وسكنت اليه النفس ، وانشرح اليه الصدر ، ووثق به القلب ، للامر باتباعهم والافتداء بهم ، رضي الله عنهم .

« فن ذلك المرأة يتزوجها رجلان ولا يعلم الآخر بتقديم نكاح غيره الا بعد البناء ، فأبأنها عليه بذلك عمر ومعاوية والحسن رضي الله عنهم . وكل ما أوردتم في قضية السؤال وارد عليه ، فإنه اذا تحقق ان الذي لم يبن هو الاول فدخل الثاني بها دخول زوج غيره ، وكيف يكون غلطه على زوج غيره مبيحا على الدوام ، ومصححا لعقده الذي لم يصادف محلا ، ومبطلا لعقد نكاح مجمع على صحته ، لوقوعه على وفق الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا ؛ وانما المناسب ان الغلط يرفع عن الغالط الاثم والعقوبة ، لا إباحة زوج غيره دائما ، ومنع زوجها منها

« ومثل ذلك ما قاله العلماء في مسألة امرأة المفقود : انه ان قدم المفقود قبل نكاحها فهو احق بها ، وان كان بعد نكاحها والدخول بها

بانت ؛ وان كانت بعد العقد وقبل البناء فقولان ، فانه يقال : الحكم لها بالعدة من الاول ان كان قطعا لعصمته فلاحق له فيها ولو قدم قبل تزوجها ؛ أو ليس بقاطع للعصمة ، فكيف تباح لغيره وهي في عصمة المفقود ؟

« وما روي عن عمر وعثمان في ذلك أغرب ، وهو أنهما قالوا : اذا قدم المفقود بخير بين امرأته أو صداقها ، فان اختار صداقها بقيت للثاني . فأين هذا من القياس ؟ وقد صحح ابن عبد البر هذا النقل عن الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ونقل عن علي رضي الله عنه انه قال بمثل ذلك ، أو أمضى الحكم به ، وان كان الأشهر عنه خلافه . ومثله في قضايا الصحابة كثير من ذلك

« قال ابن المعدل : لو ان رجلين حضرها وقت الصلاة فقام أحدهما فأوقع الصلاة بثوب نجس مجانا (١) . وقعد الآخر حتى خرج الوقت ولا يغاربه (٢) (٣) مع نقل غير واحد من الاشياخ الاجماع على وجوب النجاسة (٤) عامدا جمع الناس ان لا يساوي مؤخرها على وجوب النجاسة حال الصلاة (٥) ومن نقله اللحمي والمازري ، وصححه الباجي ، وعليه مضى عبد الوهاب في تلقينه

« وعلى الطريقة التي أوردتم - ان المنهي عنه ابتداء غير معتبر - اخرى يكون أمر هذين الرجلين بعكس ما قال ابن المعدل ؛ لأن الذي

(١) كذا في الاصل وفيه حذف وتحريف ظاهر وقد وضع فوق ألف « مجانا » ثلاث نقط ، وكلمة « يغاربه » يحتمل أن تكون « يقاربه » (٢) لا تزال العبارة مضطربة تدل على الحذف والبت والتصحيف والتحريف .

٩٣٤ بطلان تزويج المرأة نفسها واستحقاقها المهر . سي الرهبان (المنار - ج ١٢ م ١٧)

صلى بعد الوقت قضى ما فرط فيه ، والآ خر لم يعمل كما أمر ، ولا قضى شيئا ، وليس كل منهي عنه ابتداء غير منتهر بعد وقوعه

وقد صحح الدارقطني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها ، فان الزانية هي التي تزوج نفسها » وأخرج أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها « ايما امرأة نكحت بغير إذن مولياها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فان دخل بها فالمرء لها بما أصاب منها » . حكم أولاً ببطلان العقد واكده بالتكرار ثلاثا ، وسماه زنا . وقل مقتضياته عدم اعتبار هذا العقد جملة . لكنه صلى الله عليه وسلم عقبه بما اقتضى اغنباره بعد

الوقوع بقوله « ولها مهرها بما أصاب منها » ومهر البغي حرام وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) الآية . فعمل النبي عن استحلاله بابتغائهم فضل الله ورضوانه مع كفرهم بالله تعالى ، الذي لا يصح معه عبادة ، ولا يقبل عمل ؛ وان كان هذا الحكم الآن منسوخا ، فذلك لا يمنع الاستدلال به في هذا المعنى

« ومن ذلك قول الصديق رضي الله عنه : وستجد أقواما زعموا انهم حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما زعموا انهم حبسوا أنفسهم له . ولهذا لا يبسي الراهب ويترك له ماله أو ما قل منه ، على الخلاف في ذلك ، وغيره ممن لا يقاتل يبسي ويملك ، وإنما ذلك لما زعم انه حبس نفسه له ، وهي عبادة الله تعالى . وإن كانت عبادته أبطل الباطل . فكيف يستبعد اعتبار عبادة مسلم على وفق دليل شرعي لا يقطع بخطأ فيه ؛ وان كان يظن ذلك ظنا . وتتبع مثل هذا يطول

« وقد اختلف فيما تحقق فيه نهي من الشارع : هل يقتضي فساد المنهي عنه ؟ وفيه بين الفقهاء والاصوليين ما لا يخفى عليكم ، فكيف بهذا ؟ »
« واذا خرجت المسئلة المختلف فيها الى أصل مختلف فيه ، فقد خرجت عن حيز الاشكال ، ولم يبق الا الترجيح لبعض تلك المسائل ، ويرجع كل أحد مظهر له بحسب ماوفق له . ولنكتف بهذا القدر في هذه المسئلة »
انتهى ما كتب لي به وهو بسط ادلة شاهدة لاصل الاستحسان ، فلا يمكن مع هذا التقرير كله ان يتمسك به من أراد ان يستحسن بغير دليل أصلا

فصل

فاذا تقرر هذا فنرجع الى ما احتجوا به أولا : فاما من حدة الاستحسان بانه « ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل اليه برأيه » — فكأن هؤلاء يرون هذا النوع من جملة أدلة الاحكام ، ولا شك ان العقل يجوز ان يرد الشرع بذلك ، بل يجوز أن يرد بان ما سبق الى أوهم العوام — مثلا — فهو حكم الله عليهم ، فيلزهم العمل بمقتضاه . ولكن لم يقع مثل هذا ولم يعرف التعمد به لا بضرورة ولا بنظر ولا بدليل من الشرع قاطع ولا مظنون ، فلا يجوز اسناده لحكم الله ؛ لانه ابتداء تشريع من جهة العقل .

وايضا فانا نعم ان الصحابة رضي الله عنهم حصروا نظرهم في الوقائع التي لا انصرص فيها في الاستنباط^(١) والرد الى ما فهموه من الاصول الثابتة . ولم يقل أحد منهم : اني حكمت في هذا بكذا لأن طبعي مال اليه ، أولانه (١) قوله « في الوقائع » متعلق بنظرهم ، وقوله « في الاستنباط » متعلق بحصروا

يوافق محبتي ورضائي . ولو دل ذلك لاشتد عليه النكير ، وقيل له : من أين لك أن تحكم على عباد الله بحض ميل النفس وهوى القلب ؟ هذا مقطوع بطلانه

بل كانوا يتناظرون ويعترض بعضهم بعضاً على مأخذ بعض ، ويحصرون ضوابط الشرع

وأيضاً فلو رجع الحكم الى مجرد الاستحسان لم يكن للمناظرة فائدة ، لأن الناس تختلف أهواؤهم وأغراضهم في الاطعمة والاشربة واللباس وغير ذلك ، ولا يحتاجون الى مناظرة بعضهم بعضاً : لم كان هذا الماء اشهى عندك من الآخر ؟ والشرعية ليست كذلك

على ان أرباب البدع العملية أكثرهم لا يحبون ان يناظروا احداً . ولا يفتخون علماً ولا غيره فيما يبتغون ، خوفاً من الفضيحة ان لا يجدوا مستنداً شرعياً . وانما شأنهم اذا وجدوا علماً أو لقوه ان يصانعوا ، واذا وجدوا جاهلاً عامياً ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالات ، حتى يزلزلوه ويخلطوا عليهم ، ويابسوا دينهم . فاذا عرفوا منهم الحيرة والالتباس ، ألقوا اليهم من بدعهم على التدرج شيئاً فشيئاً ، وذموا أهل العلم بأنهم أهل الدنيا المكبون عليها ، وان هذه الطائفة هم أهل الله وخاصته . وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد على ما يلقون اليهم ، حتى يهوا بهم في نار جهنم . وأما ان يأتوا الامر من بابه ويناظروا عليه العلماء الراسخين فلا

وتأمل ما نقله الفزالي في استدراج الباطنية غيرهم الى مذهبهم ، تجدهم لا يعتمدون الا على خديعة الناس من غير تقرير علم ، والتحليل عليهم

بأنواع الحيل ، حتى يخرجهم من السنة ، أو من الدين جملة . ولولا الإطالة
لأثبت بكلامه ، فطالعه في كتابه (فضائح الباطنية)



وأما الحد الثاني فقد رد به لو فتح هذا الباب لبطلت الحجج
وإدعى كل من شاء فاشاء ، واكتفى بمجرد القول ، فألجأ الخصم الى
الابطال . وهذا يجر فسادا لا خفاء له . وإن سلم فذلك الدليل ان كان
ناسدا فلا عبرة به ، وإن كان صحيحا فهو راجع الى الادلة الشرعية فلا
ضرر فيه

وأما الدليل الاول فلا متعلق به ، فان أحسن الاتباع يتابع الادلة
الشرعية ، وخصوصا القرآن فان الله يقول (الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها) الآية . وجاء في صحيح الحديث - خرجته مسلم - ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال في خطبته «أما بعد فإحسن الحديث كتاب الله»
ففتقر أصحاب الدليل ان يبينوا أن ميل الطباع او اهواء النفوس مما
انزل الينا ، فضلا عن ان يكون من أحسنه .

وقوله (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) الآية يحتاج الى
بيان ان ميل النفوس يسمى قولا . وحينئذ ينظر الى كونه أحسن القول
كما تقدم . وهذا كله فاسد

ثم انا نعارض هذا الاستحسان بأن عقولنا تميل الى ابطاله ، وأنه
ليس بحجة ؛ وإنما اخجة الادلة الشرعية المتلقاة من الشرع
وأيضاً فيلزم عليه استحسان العوام ومن ليس من أهل النظر ،
(المآر - ج ١٢) (١١٨) (المجلد السابع عشر)

إذا فرض أن الحكم يتبع مجرد ميل النفوس وهوى الطبع، وذلك حال؛
 للعلم بأن ذلك مضاد للشريعة، فضلاً عن أن يكون من أدلتها
 وأما الدليل الثاني فلا حجة فيه من أوجه (أحدها) أن ظاهره
 يدل على أن ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، والامة لا تجتمع على باطل.
 فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعاً، لأن الاجماع يتضمن
 دليلاً شرعياً، فالحديث دليل عليكم لاكم.

(والثاني) انه خبر واحد في مسئلة قطعية فلا يسمع
 (والثالث) انه اذا لم يرد به أهل الاجماع واريده بعضهم فيلزم عليه
 استحسان العوام، وهو باطل باجماع. لا يقال: ان المراد استحسان
 أهل الاجتهاد؛ لانا نقول: هذا ترك للظاهر، فيبطل الاستدلال. ثم انه
 لا فائدة في اشتراط الاجتهاد، لان المستحسن بالفرض لا ينحصر في
 الادلة، فاي حاجة الى اشتراط الاجتهاد؟

فان قيل: اما يشترط حذراً من مخالفة الادلة فان العامي لا يعرفها
 قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الادلة، بدليل ان الصحابة رضي الله
 عنهم قصروا احكامهم على اتباع الادلة وفهم مقاصد الشريعة
 فالحاصل ان تعلق المبتدعة بمثل هذه الامور تعلق بمثل الادلة
 ولا ينفهم البتة، لكن ربما يتطرقون في آحاد بدعتهم بآحاد شبهة مستندة
 في مواضعها ان شاء الله. ومنها ما قد مضى.

فصل

فان قيل: أفليس في الاحاديث ما يدل على الرجوع الى ما وقع
 القلب ويجري في النفس، وان لم يكن ثم دليل صريح على حكمه؟

أحكام الشرع ، ولا غير صريح ؛ فقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « دع ما يريك الى ما لا يريك ، فان الصدق طأ نينة والكذب رية »

وخرج مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه » وعن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله ما الايمان ؟ قال « اذا سرتك حسباتك وساءت سياتك فأنت مؤمن — قال : يا رسول الله ؛ فما الاثم ؟ قال — اذا حاك شيء في صدرك فدعه » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « دع ما يريك الى ما لا يريك » وعن ابصة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « يا ابصة ! استفت قلبك واستفت نفسك ؛ البر ما اطأنت اليه النفس واطأ أن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » وخرج البخاري في معجمه عن عبد الرحمن بن معاوية : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ ما يحل لي مما يحرم علي ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه ثلاث مرات ، كل ذلك يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « ابن السائل ؛ — فقال أنا ذا يا رسول الله — فقال ونشر بأصبعه — ما أنكر فوك فدعه »

وعن عبد الله قال : الاثم حواز القلوب ، فما حاك من شيء في قلبك

بين والحرام بين وبينها أمور مشتبهات، فدفع ما يريك الى مالا يريك .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: ان الخير طائفة ، وان الشر ربة ؛ فدفع
ما يريك الى مالا يريك . وقال شريح : دع ما يريك الى مالا يريك ،
فوالله ما وجدت فقد شيء تركته ابتغاء وجه الله .

فهذه صهر من مضاهي الرجوع في جملة من الاحكام الشرعية لي ما يقع
بالقلب ويهيجس بالنفس ويمرض بالخطر ، وانه اذا اطأنت النفس اليه
قالاقدام عليه صحيح ، واذا توقفت أو ارتابت قالادام عليه محذور ، وهو
عين ما وقع انكاره من الرجوع الى الاستحسان الذي يقع بالقلب ويميل
اليه الخاطر ، وان لم يكن ثم دليل شرعي ، فانه لو كان هنالك دليل شرعي
أو كان هذا التقرير مقيدا بالأدلة الشرعية لم يحل به على ما في النفوس
ولا على ما يقع بالقلوب ، مع انه عندكم عبث وغير مفيد ، كمن يحيل
بالاحكام الشرعية على الامور الوفاقية ، أو الافعال التي لا ارتباط بينها
وبين شرعية الاحكام . — فدل ذلك على ان لاستحسان العقول وميل
النفوس أثرأ في شرعية الاحكام ، وهو المطلوب .

*

والجواب : ان هذه الاحاديث وما كان في معناها قد زعم الطبري
في تهذيب الآثار ان جماعة من السلف قالوا بتصحيحها ، والعمل بما دل
عليه ظاهرها . وتنى بالآثار المتقدمة عن عمر وابن مسعود وغيرهما ؛ ثم
ذكر عن آخرين القول بتوهينها وتضييفها وإحالة مانيها .

وكلامه وترتيبه بالنسبة الى ما نحن فيه لاثق ان يؤتى به على وجهه ،
فايت به على تحري معناه دون لفظه لطوله ؛ فكمي عن جماعة انهم

قالوا: لا شيء من اصر الدين الا وقد بينه الله تعالى بنص عليه أو بمعناه؛ فان كان حلالا فلي السامع به اذا كان عالما بتحليله، أو حراما فليته تحريمه، أو مكروها غير حرام فليته اعتقاد التحليل أو الترك تترتها
فاما السامع بحديث النفس والعارض في القلب فلا، فان الله حظر ذلك على نبيه فقال (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) فاصره بالحكم بما اراه الله لا بما رآه وحدثته به نفسه، فغيره من البشر أولى ان يكون ذلك محظورا عليه. وأما ان كان جاهلا فليته مسألة العلماء دون ما حدثته نفسه.

وقيل عن عمر رضي الله عنه انه خطب فقال: ايها الناس اقد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، ان تضلوا بالناس يمينوا شمالا^(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كان في القرآن من حلال أو حرام فهو كذلك، وما سكت عنه فهو مما عني عنه.

وقال مالك: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الامر واستكمل، فينبغي ان تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا يتبع الرأي؛ فانه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه فاتبعه، فكلما غلبه رجل اتبعه؛ ارى ان هذا بعد لم يتم. واعملوا من الآثار بما روي عن جابر رضي الله عنه: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي اذا اعتصمتم به: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقن حتى يردا علي الخوض»^(٢)

(١) اي كراهة ان تضلوا - أو اتقاء ان تضلوا. (٢) لا أعرف الحديث بهذا للفظ عن جابر وهو مروي عنه بالفاظ أقربها الى ما هنا بما رواه ابن أبي شيبة =

٩٤٢ حصر العمل في الكتاب والسنة . وحديث الفترة بدل السنة (المنار - ج ١٧ ص ١٧)

وروي عن عمرو بن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يومواهم يجادلون في القرآن ، تفرج وجهه أحمر كالدم فقال : « يا قوم ! على هذا ملك من كان قبلكم ، جادلوا في القرآن وضربوا بعضه ببعض ؛ فما كان من حلال فاعملوا به ، وما كان من حرام فاتهوا عنه ، وما كان من متشابه فآمنوا به »

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال : ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكنت عنه فهو عافية ؛ فأقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئاً (وما كان ربك نسياً) قالوا : فهذه الاخبار وردت بالعمل بما في كتاب الله ، والاعلام بان العامل به لن يضل ، ولم يأذن لأحد في العمل بمعنى ثالث غير ما في

= والخطيب في المنقح والمفترق عنه وهو « تركت فيكم ما لن تضلوا ان اعتصمتم به - كتاب الله وعترتي اهل بيتي » ورواه الترمذي والنسائي عنه بلفظ « يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » والحديث مروي بلفظ الفترة بدل السنة عن كثير من الصحابة منهم زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وابو سعيد الخدري . وروي عن أبي هريرة بلفظ السنة بدل الفترة . وفي كلا السياقين لفظ « ان يفترقا حتى يردا علي الخوض » والجمع بينهما في المعنى ان عترته أهل بيته يحافظون على سنته . أي لا يخلو الزمان عن قدوة منهم يقيمون سنته لا ينيهم عنها التقليد ولا الابتداع ولا الفتن .

(١) كذا في الاصل والحديث انخرجه نصر المقدسي في الحجة عن ابن عمر قال : خرج رسول الله عليه وسلم ومن وراء حجرته قوم يجادلون بالقرآن ، تفرج حجرته وجنته كأنما قطران دما فقال : « يا قوم ! لا تجادلوا بالقرآن ، فانما ضل من قبلكم بجدهم ، ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، ولكن نزل يصدق بعضه بعضاً ، فما كان من محكمه فاعملوا به ، وما كان من متشابه فآمنوا به »

الكتاب والسنة ، ولو كان ثم ثالث لم يدع بيانه ، فدل على ان لا ثالث ؛ ومن ادعاه فهو مبطل .

قالو — فان قيل : فانه عليه السلام قد سن لامته وجها ثالثا وهو قوله « استفت قلبك » وقوله « الأئم حواز القلوب » الى غير ذلك . قلنا : لو صحت هذه الاخبار لكان ذلك ابطالا لأمره بالعمل بالكتاب والسنة - اذ صحا مما ، لان احكام الله ورسوله لم ترد بما استحسنه النفوس واستقبلته ، وانما كان يكون وجها ثالثا لو خرج شيء من الدين عنهما ، وليس بخارج ؛ فلا ثالث يجب العمل به .

فان قيل : قد يكون قوله « استفت قلبك » ونحوه اصرار من ليس في مسئلته نص من كتاب ولا سنة ، واختلفت فيه الامة ، فيعد وجها ثالثا . قلنا : لا يجوز ذلك لامور

(احدها) ان كل ما لا نص فيه بعينه قد نصبت على حكمه دلالة ، فلو كان فتوى القلوب ونحوه دليلا لم يكن لنصب الدلالة الشرعية عليه معنى ، فيكون عبثا ؛ وهو باطل

(والثاني) ان الله تعالى قال (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فاصر المتنازعين بالرجوع الى الله والرسول دون حديث النفوس وفتيا القلوب

(والثالث) ان الله تعالى قال (فاسألو اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فاصرهم بمسئلة اهل الذكر ليخبروهم بالحق فيما اختلفوا فيه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمرهم ان يستفتوا في ذلك انفسهم (والرابع) ان الله تعالى قال لنبيه احتجا جاعا على من انكروا وحدانيته

(افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؛) الى آخرها . فامرهم بالاعتبار بعبريته ، والاستدلال بأدلته . على صحة ما جاءهم به ، ولم يأمرهم ان يستفتوا فيه قوسهم ، ويصدروا عما اطأنت اليه قلوبهم ؛ وقد وضع الاعلام والادلة ، فالواجب في كل ما وضع الله عليه الدلالة ان يستدل بأدلته على ما دلت ، دون فتوى النفوس وسكون القلوب من أهل الجمل بإحكام الله هذا ما حكاه الطبري عن تقدم ، ثم اختار إعمال تلك الاحاديث ، إما لانها صحت عنده أو صح منها عنده ما تدل عليه معانيها ، كحديث «الحلال بين والحرام بين» الى آخر الحديث ؛ فانه صحيح خرج به الامان . ولكنه لم يعملها في كل من ابواب الحق ؛ ان لا يمكن ذلك في تشريع الاعمال واحداث التبعات ؛ فلا يقال بالنسبة الى احداث الاعمال : اذا اطأنت نفسك الى هذا العمل فهو بر ، أو : استفت قلبك في احداث هذا العمل ، فان اطأنت اليه نفسك فاعمل به والا فلا .

وكذلك في النسبة الى التشريع التركي ، لا يتأتى تنزيل معاني الاحاديث عليه بان يقال : ان اطأنت نفسك الى ترك العمل الفلاني فآتركه ، والا فدمه . أي فدمع الترك واعمل به . وانما يستقيم إعمال الاحاديث المذكورة فيما عمل فيه قوله عليه السلام «الحلال بين والحرام بين» الحديث وما كان من قبيل العادات من استعمال الماء والطعام والشراب والنكاح واللباس ، وغير ذلك مما في هذا المعنى ، فنه ما هو بين الحلية ، وما هو بين التحريم ، وما فيه اشكال - وهو الامر للشبهة الذي لا يدري أحلال هو أم حرام - فان ترك الاقدام اولى من الاقدام مع جهله بحاله فظير قوله عليه السلام «اني لأجد الحمرة ساقطة على فراشي ، فلو لا

اني اخشى ان تكون من الصدقة لأكتها»^(١) فهذه الثمرة لا شك انها لم تخرج من احدى الحالين : إما من الصدقة وهي حرام عليه ، وإما من غيرها وهي حلال له ، فترك اكلمها حذرا من ان تكون من الصدقة في نفس الامر

قال الطبري - فكذلك حق الله على العبد فيما اشبهه عليه مما هو في سعة من تركه والعمل به ، أو مما هو غير واجب - ان يبيع ما يريه فيه الى ما لا يريه ، اذ يزول بذلك عن نفسه الشك ، لكن يريد خطبة امرأة فتخبره امرأة انها قد ارضعته اياها ولا يعلم صدقها من كذبها ، فان تركها ازال عن نفسه الريبة اللاحقة له بسبب اخبار المرأة ، وليس تزوجه اياها بواجب بخلاف ما لو أقدم ، فان النفس لا تطمن الى حلية تلك الزوجة . وكذلك قول عمر انما هو فيما شكل امره في البيوع فلم يدر حلال هو أم حرام ؛ ففي تركه سكون النفس وطأ نية القلب ، كما في الاقدام شك : هل هو أثم أم لا ؛ وهو معنى قوله عليه السلام للنواس ووابصة رضي الله عنهما . ودل على ذلك حديث المشتبهات ؛ لا ما ظن اولئك من انه امر للجهال ان يعملوا بما رأته انفسهم ، ويتركوا ما استبحوه دون ان يسألوا علماءهم قال الطبري - فان قيل : اذا قال الرجل لامرأته : أنت علي حرام . فسأل العلماء فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : قد بات منك بالثلاث . وقال بعضهم : انها حلال غير ان عليك كفارة يمين . وقال بعضهم : ذلك الى نيته ان اراد الطلاق فهو حلاق ، أو الظهار فهو ظهار ، أو يميننا

(١) كان الحديث محرقا تحريفها مغيرا للمعنى

فهو يمين ، وان لم ينوشيثا فليس بشيء : ايكون هذا اختلافاً في الحكم
 كاخبار المرأة بالرضاع فيؤمر هنا بالفراق ، كما يؤمر هناك ان لا يتزوجها
 خوفاً من الوقوع في المحذور ؛ او لا ؟ قيل : حكمه في مسألة العلماء ان يمض
 عن احوالهم واما اتهم ونصيحتهم ثم يقدل الارجح . فهذا ممكن ؛ والحرازة
 مرتفعة بهذا البحث ؛ بخلاف ما اذا بحث مثلاً عن احوال المرأة فان
 الحرازة لا تزول ، وان اظهر البحث ان احوالها غير حميدة ؛ فها
 على هذا مختلفان . وقد يتفقان في الحكم اذا بحث عن العلماء فاستوت
 احوالهم عنده ، لم يثبت له ترجيح لا حدهم ؛ فيكون السمل المأمور به من
 الاجتناب كالممول به في مسألة المخبرة بالرضاع سواء ، اذ لا فرق بينهما
 على هذا التقدير . انتهى معنى كلام الطبري .

وقد أثبت في مسألة اختلاف العلماء على المستفتي أنه غير مخير ، بل
 حكمه حكم من آتبع عليه الامر فلم يدر أحل أم حرام ، فلا خلاص
 له من الشبهة الا باتباع أفضلهم والعمل بما أفتى به ، والا فالترك ، اذ
 لا تطمئن النفس الا بذلك ، حسبما اقتضته الادلة المتقدمة .

فصل

ثم يبقى في هذا الفصل الذي فرغنا منه اشكال على كل من اختار
 استفتاء القلب مطلقاً أو بقيد ، وهو الذي رآه الطبري . وذلك أن حاصل
 الامر يقتضي أن فتاوى القلوب وما اطأنت اليه النفوس معتبر في
 الاحكام الشرعية ، وهو التشريع بعينه ؛ فان طأنته النفس وسكون
 القلب مجردا عن الدليل - إما أن تكون معتبرة أو غير معتبرة شرعاً ؛
 فان لم تكن معتبرة فهو خلاف ما دللت عليه تلك الاخبار ، وقد تقدم

أنها معتبرة بتلك الأدلة . وإن كانت معتبرة فقد صار ثم قسم ثالث غير الكتاب والسنة ، وهو غير ما نفاه الطبري وغيره

وإن قيل : أنها تعتبر في الإحجام دون الإقدام . لم تخرج تلك عن الاشكال الاول ، لأن كل واحد من الإقدام والإحجام فعل لا بد أن يتعلق به حكم شرعي ، وهو الجواز وعدمه ، وقد عاق ذلك بطأ نية النفس أو عدم طأ نيتها . فإن كان ذلك عن دليل ، فهو ذلك الاول بصيته باق على كل تقدير والجواب ان الكلام الاول صحيح ، وإنما النظر في تحقيقه :

فاعلم أن كل مسألة تفتقر الى نظرين : نظري دليل الحكم ونظر في مناطه . فأما النظر في دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلا من الكتاب والسنة ، أو ما يرجع اليهما من اجماع أو قياس أو غيرهما ، ولا يعتبر فيه طأ نية النفس ، ولا قبي ريب القلب ، لا من جهة اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل ^(١) ولا يقول أحد الأهل البدع الذين يستحسنون الامر بأشياء لا دليل عليها ، أو يستبحون كذلك من غير دليل الا طأ نية النفس ^(٢) ان الامر كما زعموا ، وهو مخالف لاجماع المسلمين وأما النظر في مناط الحكم ، فإن المناط لا يلزم منه أن يكون ثابتاً بدليل شرعي فقط ، بل يثبت بدليل غير شرعي أو غير دليل ، فلا يشترط فيه باوخ درجة الاجتهاد ، بل لا يشترط فيه العلم فضلا عن درجة الاجتهاد . ألا ترى ان العاصي اذا سأل ^(٣) عن الفهل الذي ليس من جنس الصلاة اذا

(١) يظهر أنه سقط من هذا الموضع مقابل « لا » فان اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل أمر واحد أو جهة واحدة . وليتأمل قوله « ولا يقول أحد » الخ ولعله قد سقط منه شيء ايضاً (٢) لعله « سئل »

فعله المصلي: هل تبطل به الصلاة أم لا؟ فقال العامي: ان كان يسيرا فمقتدر، وان كان كثيرا فبطل - لم يفتقر في اليسر الى أن يحققه له العالم. بل العاقل يفرق بين الفعل اليسير والكثير. فقد انبنى هاهنا الحكم وهو البطلاق أو عدمه على ما يقع بنفس العامي، وليس واحدا من الكتاب أو السنة، لانه ليس ما وقع بقلبه دليلا على حكم، وانما هو مناط الحكم، فاذا تحقق له المناط بأي وجه تحقق فهو المطلوب، فيقع عليه الحكم بدليله الشرعي وكذلك اذا قلنا وجوب الفور في الطهارة، وفرقنا بين اليسير والكثير في التفريق الحاصل أثناء الطهارة، فقد يكتفي العامي بذلك حسبا يشهد قلبه في اليسير أو الكثير، فتبطل طهارته او تصح بناء على ذلك الواقع في القلب، لانه نظر في مناط الحكم

فاذا ثبت هذا فن ملك لحم شاة ذكية حل له اكله، لان حليته ظاهرة عنده اذا حصل له شرط الحلية لتحقق مناطها بالنسبة اليه. او ملك لحم شاة ميتة لم يحل له اكله لان تحريمه ظاهر من جهة فقد شرط الحلية، فتحقق مناطها بالنسبة اليه. وكل واحد من المناطين راجع الى ما وقع بقلبه، واطمأنت اليه نفسه، لا بحسب الامر في نفسه؛ ألا ترى ان اللحم قد يكون واحدا بعينه فيعتقد واحد حليته بناء على ما تحقق له من مناطها بحسبه، ويمتد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه، فيأكل أحدهما حالا ويجب على الآخر الاجتناب لانه حرام؟ ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه ان يدل عليه دليل شرعي لم يصح هذا المثال وكان محالا، لأن ادلة الشرع لا تنافض ابدا. فاذا فرضنا لهما أشكل على

المالك تحقيق مناطه لم^(١) ينصرف الى احدى الجهتين ، كأختلاط الميتة بالذكاة ، واختلاف الزوجة بالاجنبية

فها هنا قد وقع الريب والشك والاشكال والشبهة . وهذا المناط محتاج الى دليل شرعي يبين حكمه ، وهي تلك الاحاديث المتقدمة ، كقوله «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وقوله «البر ما اطمانت اليه النفس ، والاثم ما حاك في صدرك» كأنه يقول اذا اعتبرنا^(٢) باصطلاحنا : ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة فالحكم فيه من الشرع بين ، وما أشكل عليك تحقيقه فتركه واياك والتلبس به ، وهو معنى قوله - ان صح - «استفت قلبك وان أفنوك» فان تحقيقك لمناط مسألتك أخص بك من تحقيق غيرك له اذا كان مثلك . ويظهر ذلك فيما اذا أشكل عليك المناط ولم يشكل على غيرك ، لانه لم يعرض له ما عرض لك . وليس المراد بقوله «وان أفنوك» أي ان تقوا لك الحكم الشرعي فتركه وانظر ما يفتيك به قلبك ، فان هذا باطل ، وتقول على التشريع الحق . وانما المراد ما يرجع الى تحقيق المناط نعم قد لا يكون ذلك درية^(٣) أو انسا بتحقيقه في حقيقة لك غيرك ، وتقلده فيه ، وهذه الصورة خارجة عن الحديث ، كما انه قد يكون تحقيق المناط أيضاً موقوفاً على تعريف الشارع ، كحد النفي الموجب للزكاة ، فانه يختلف باختلاف الاحوال ، فحققه الشارع بعشرين دينارا ومائتي درهم

(١) هذا جواب «فاذا» وكان في الاصل مقرونا بالقاء (٧) اصل أصله «عبرنا» من التعبير (٢) في الاصل «ذريعة» وقد جعل فوقها علامة الترميز وأصلحت فصارت «درية» والدرية اصلها درية وهي الحلقة التي يتعلم بها الطعن وما يخجل الصائد به الصيد والظاهر ان يكون اصله : قد لا يكون لك دراية أو أنسى بتحقيقه

وأشبه ذلك ؛ وإنما النظر هنا فيما وكل تحقيقه الى المكاف .
 فقد ظهر معنى المسألة وان الاحاديث لم تتعرض لاقتناص الاحكام
 الشرعية من طمأنينة النفس أو ميل القلب كما أورده السائل المستشكل ،
 وهو تحقيق بالغ . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحرب المدنية الكبرى

بلغ العالم المدني في العلوم والصناعات وشؤون الاجتماع شأوا لم تعرف له
 الأرض نظيرا ، فرماها بقاصمة من الحرب المدنية لم تر لها نظيرا ، فبهذه الحرب تشغل
 اليوم عقول أعرق الامم في العلم والمدنية وجميع قواهم وجوارحهم وما كسبته في
 لاياام الحالية من علم ومال ، وما أنشأته من الآلات ودد القتال ، في انتقام عدة أمم
 ودول من أمم ودول أخرى ، وكل دولة مقاتلة تتوسل الى من بقي على الحياد من
 الدول لتجذبها اليها وتجمعها من أحزابها ، فلو نال كل فريق من المقاتلين ما يمتناه
 من مساعدة غيره له لاحتقرت الأرض كلها بنار هذه الحرب ، وكان البشر كلهم
 حولها كالفراس يتهاقون فيها

لو فكر كل امرئ من الناس بكنه هذه الحرب ونكباتها وشرورها ، وما تصبه
 في كل ساعة بل في كل دقيقة بل في كل ثانية من أصوات العذاب وصواعق
 النكال على الألوف من اخوانه البشر ، وما يخسرده العالم بتقد من تصعقهم من
 العلماء والحكام والصناع والزراع ، وأرباب البيوت الذين خلفوا وراءهم نساء
 وأطفالا لا عائل لهم من دونهم — لو فكر كل امرئ في ذلك وأعطاه حته من
 التصور والتدبر لاضطرب قلبه ، وحار لبه ، وسالت عبرته ، وعظمت عبرته ، ولكن

شغل كل امرئ ما أصابه أو يتوقع أن يصيبه من شر هذه الحرب عما أصاب غيره
وقلما يوجد أحد في الأرض آمن من مصائبها ، وما جعل الله لرجل من قلوب في
جوفه

إن أبعد الناس عن مواقع القتال وأقربهم الى الا من على أنفسهم من نيران
مدافعها وبنادقها وأسنة حرايبها ، لهم فيما شواغل أخرى بما قصته من مكاسبهم ،
وما قطعت من موارد أرزاقهم ، فقد اضطرت المعاملات المالية في العالم كله منذ
بدأت ، لان هذه الدول التي أشعلت ناراها هي القائمة بمعظم تجارة العالم ، والصفة
لا كثر ماعونته ولباسه وسائر أدوات عمله ، وما هذا الشاغل عند الاكثرين
الا دون ما لكل منهم من الضلع والميل الى أحد الفريقين المتحاربين على الآخرة
قبرى أمثال هؤلاء أكثر تفكيراً في عاقبة الاحلاف المحاربة من التفكير في عاقبة
أمر أنفسهم في معاشهم وموارد رزقهم ورزق من يعولونه ، لهوى لهم في ذلك
يرضونه ، أو نفع من ورائه يرجونه

هذا وان الناس يزنون أخبار الحرب بموازين أهوائهم ، ويحكمون في عواقبها
بأمانيم لا بأرائهم ، فحكمهم هذا لا يتوقف على معرفة أخبارها الصادقة ، ولا على
كتبه قوات الدول المحتربة . على ان من هذه القوات ما هو معلوم بالتواتر
أو الاستفاضة لا يماري فيه أحد من عوام الناس — دع خواصهم — ومنه ان دولة
انكلترة أقوى دول الارض في البحر ، وان دولة ألمانيا أقوا من في البر ، وثانيتين
في البحر ، واختلف الناس في المفاضلة بين الدول في الاساطيل الجوية ، فذهب
الصحف عندنا الى أن فرنسا صاحبة السبق في هذا المضمار وان لها القدر المثل فيه ،
ثم ظهر أن ألمانيا هي المبرزة فيه ، كما كنا نظن وفقاً لكثير من الناس . بل
المعلوم بالاجمال عند جماهير الناس في الغرب وأكثر المتحمسين في الشرق أن ألمانيا
أشد الدول استعداداً للحرب واتقاناً لنظامها وعددها وكراعها ، وانه لولا أن انكلترة
تكبرها في أساطيل البحر . لما لها في ذلك من سبق ، لسهل عليها ان تسود الأمم
كلها بقوتها

هنا وإن جميع الدول الأوروبية متقاربة في الاستعداد للقتال ، وقلا تسبق واحدة الى اختراع شيء أو احدث عدة أو اثناء حصن وتستطيع إخفائه زمانا طويلا عن غيرها ، فإن لكل منهن عيونا اجد ابصارا من زرقاء العمامة ، وأشد استغراقا للسمع من الشياطين ، ولكل من فنون العلم ودور الصناعات ما يمكنه من مساواة الآخرين في الاستعداد الذي يحتاج اليه لحماية حقيقته ، وحفظ مكائته ، ولم يكذب يبقى للسايقين من عزية على اللاحقين في شيء بل صار الاول آخره وعاد البدء ثانيا في كثير من الشؤون ، حتى خيف بعد تلك المساواة أو المقاربة في العلم والعمل ان يستعلي شعب واحد على شعوب أوربة كلها فيسود بذلك العالم كله .

الفرنسيين اذكى الاوربيين أذهانا ، وأشدهم إقداما ، وأسبقهم الى المحامد يداً ولسانا ، والانكليز أرجح الشعوب أحلاما ، وأشدهم حصافة وإحكاما ، وأمثلم سياسة وأعدلهم أحكاما . فلها سبق هذان الشبان جميع الشعوب الى استعمار المالكة ، والاستمتاع بثمره الأمام في المغارب والمشارق ، وقد تنافسا وتناظرا ، وتنازلا وتصارولا ، فكان الفلج والظفر لأهل الأناة والروية ، على أهل الذكاء والاربعية ، وبذلك كان للانكليز المقام الأعلى في العالم منذ عدة أجيال ، ويليهم الفرنسيين في البروة والاستعمار

ثم نبغ الألمان وبرعوا في جميع العلوم والاعمال والصناعات والتجارة حتى بذوا الفرنسيين والانكليز في ذلك فصار التماء التسي في ثروتهم اعلى من مثله في ثروة أولئك وخيف ان يصير اللاحق سابقا ، والثانيان بدوا . واشتدت المناظرة ، حتى أفضت الى هذه الحرب الحاضرة

وأما سائر الدول والامم المحاربة مع هؤلاء فهي انما حاربت بالتبع لها ، واقتواهن الروسية ، فهي شديدة الاسر ، راسخة الأصل ، نامية الفرع ، غزيرة العدد ، وافرة المدد ، ولو كان شعبا كالألمان في العلوم والفنون ، لسادت الناس اجمعين ، ولكنهما دون النمسة وإيطالية في العلم والصناعة ، وفوق الدولة الصمانية التي قفقت من المدنية الأوروبية بتقليد الاوربيين في ظواهر النظام والري وأساليب المعيشة ،

المظفي لأن الفرنسيين قد بدلوها كل ما في وسعهم ، والروس — وإن كانوا أكثر عدداً — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى إيجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعملهم ومالهم ، وليس عندهم جنودية اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وأما يهر عليهم التعجيل بإيجاد ضباط أكفاء للجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدًا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فلا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرآة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كتشير ناظر الحربية القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

بين أنما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاكبر للتنازع على السيادة والنفوذ والاستلاء في الارض بين الانكليز وأبناء عجم الألمان ، وسائر الدول تبع لها في علها ومسلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها . دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترة أو لالمانية لا محالة ، ويكون أحلافها تبعاً لها . فكون لانكلترة اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام لانهم لن ينالوا ذلك الا بها ، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها ، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثيل في وقت من الاوقات ، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة . وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلهن خسارة ، واذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره ؟ وما اذا كان النصر التام لالمانية وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تبطل أوربة كلها تحت سيطرتها ، وتنزع منها جميع مستعمراتها ، وأنها بذلك تسود العالم كله ، ولعلنا نفوذ الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير ، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف ، ونلم في ذلك بأمانى الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ؟

﴿ إلغاء الامتيازات الاجنبية والحذر من الفن الاهلية ﴾

أخذت الدولة العلية تهيء جيشها وتستعد للقتال عقب اعلان الحرب في أوربة، وتضافرت الروايات والآراء على انها تحارب مع المانية والتمسة ، وقد كان مقدمات ذلك التفاوض للامتيازات الاجنبية ، وهي قد آذنت الدول بذلك في شهر سبتمبر، وقد خشي كثير من نصارى السوريين أن يفضي إلغاء امتيازات الدول الى فن أهلية في سورية، فكيف اذا حاربت الدولة روسية وفرنسة وانكثرة الحماية النصارى في بلاد الدولة ، وقد تحدث اخواننا السوريون هنا بذلك، وكثر خوض الجرائد السورية الامريكية في المسألة واشتد تشاؤمها وهلت عن سفير الدولة في واشنطن كلاما يؤيد هذا التشاؤم ، حتى انه ليخيل لمن قرأ ما كتبت ، أن القشة وقعت أو كربت أنما نحن قاتنا نعلم ان هداية الاسلام التي حفظت لغير المسلمين حريتهم في القرون التي كانت دول الاسلام فيها أقوى دول الارض لا تزال ذات السلطان الأعلى على نفوس المسلمين ، فاذا كانت السياسة قد غلبتها واستخدمتها في بعض الاوقات في المدون الذي تنهى عنه فلن تستطيع ان تنال ذلك منها في كل وقت، بل نعلم فرق ذلك ان مسلمي سورية صاروا يعلمون ان مصلحتهم القومية والوطنية لن تقوم الا بتعاونهم مع سائر أبناء وطنهم المشاركين لهم في تلك المصلحة — فالنتيجة اذا ان دين المسلمين ودينام متفقان على نهيمهم عن الاعتداء ، وحشهم على التعاون والامتناع ، وقد كان للنهضة العربية الحديثة أعظم التأثير في ذلك .

واننا على قننا بما بينا قد كتبنا مكاتبات خاصة الى من تقي بحسن سمعهم في البلاد السورية ندكرهم فيها بما يجب عليهم العناية به الآن ، ونشرنا في جريدة الاهرام اليومية التي صدرت في ٦ ذي القعدة الماضي (٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) خطابا عاما في ذلك تثبته هنا ليكون أثرا تاريخيا ، اذ تأخر صدور هذا الجزء من المنار ومنعت الصحف المصرية من دخول البلاد العثمانية وهذا نصه :

الى اخواني الكرام

مسلمي سورية

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله . ان الله شديد العقاب »

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أحمد اليكم الله عز وجل . وأصلي وأسلم على رسوله محمد نبي الرحمة . ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والمهمة ، في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ، والكف الموقت عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية ، عند ما رأت حكوماتها بازاء الاخطار الخارجية ، مضطرة لتقلد السلاح ، والاصطلاح بدار القتال ، فياكم الله أيها الاخوان ، وزادكم نعمة وأريحية ، واستمسكا بعروة الدولة العلية ، بحسب ما تهدي اليه الشريعة الاسلامية ، وتقضيه الوراثة العربية . ولا يتم لكم هذا الا باللفة والاتفاق مع أبناء جنسكم ووطنكم من غير أبناء دينكم ، الذين ساوت الشريعة بينكم وبينهم في الحقوق العامة ، وأوجب عليكم ما لم توجه شريعة من العدل والاحسان ، وتأكد الوصية بالخير ان

أيها الاخوان الكرام ! بلغنا ان الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، قد أخذ ينفث في عقد المودة الجنسية والوطنية ليحلبها ، وليفصم عروتها وينقض غزلها ، ويزين وسوسته هذه باسم الجامعة الاسلامية ، والقيام بالنهضة الدينية ، فلا يفتنكم الشيطان ولا يخدعكم باسم الاسلام وتحريف آيات القرآن ، فان بعض الذين يطلبون المال والجاء بهذه الاسماء لا يفهمون مسيلتها ، ويستدلون بالآيات ولا يقولون مدلولاتها ، ألسن تعرفون بينكم ممن يلفظ بالدعوة الى الجامعة الاسلامية ، من لا يعرف عقيدة الاسلام كما يجب ، ولا يصلي ولا يصوم ؟ ولا نبش في زكاة أمثال هؤلاء وحجهم فأنما وجوب الزكاة والحج على مالك النصاب والمستطيع ، وربما يدعون علم الاستغاثة

إنكم تعرفون هذا بينكم، وإن لمن تعرفون من هذا الصنف أعوانا في غير بلادكم، هم أشد منهم نفاقا وأبرع في فن التجارة بالدين، فلا تغفروا بما يقولون ولا بما يكتبون، ورب كلمة حق أريد بها باطل، ومن المسائل المألوفة من الدين بالضرورة أن الله تعالى حرم البغي والعدوان. حتى أنه قال فيمن يقاتلون المسلمين (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) واني أستحي أن أطيل عليكم في سرد الدلائل على تحريم البغي والتعدي لأن هذا مما تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة، فلا طالة فيه تتضمن نسبة الجهل اليكم (وحاشاكم) نعم إن العامة عرضة للنش والخداع ولا سيما إذا جاءها الخادع من باب الدين، فيجب على خاصتكم أن تحذروا عمتكم من وسوسة المنافقين الذين يصفونكم الفتنة «الفتنة نائمة لمن الله من أيقظها»

وأذكركم بباب آخر من أبواب الخداع. وهو تحريضكم على التصاري بدنب ميلهم الى الجانب من أبناء دينهم كراهة لكم والدولة العلية لاجل الدين، وربما يقتل اليكم أو تسمعون ما يدل على ذلك، لا فاعلموا أن هذا إن صح وفرضا أنه عام فيهم - فانه لا يبيح لكم الاعتداء على أنفسهم ولا على أموالهم، لأن الشريعة الإسلامية لم تضع عقوبة دنيوية على الميل والحب والبغض ونحو ذلك من أعمال القلوب، على أن الحكماء هم المطالبون بتنفيذ العقوبات لأفراد الأمة. ولا نبحت هنا في عذر من يحب الجانب لأحسانهم اليه وإلى أهل ملته. ومن ينفذ الوطني لفته أنه لا ينتجيه من شره وأذاه الحماية الجانب له

إذا وقع أقل عدوان منكم على غيركم في هذه الأيام، تكونون قد أثبتتم بالفعل أن ترك العدوان قبل اليوم إنما كان خوفاً من الجانب لا عملاً بهداية الاسلام، ولا قياماً بحقوق تكافل أهل الاوطان، هذه هي التهمة التي يرمينا بها من يجهل حقيقة ديننا وتاريخنا، إذ كانت دولنا أقوى دول الارض كلها، وكان المخالفون لنا في الدين يفضلون حكم خلفاء المسلمين، على حكم أبناء دينهم من الرومانيين

إن لنا في هذه الايام أفضل فرصة لاقتاع أبناء جنسنا ووطننا، بما نتحدث به دائماً فيما بيننا من حسن نيتنا، ورغبتنا في الاتفاق معهم، على كل ما فيه مصلحة لنا المشتركة بيننا

و ينهم على قاعدة المنار الذهبية: (تعاون فيما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه) ونحن متفقون في اللغة وفي مصالح البلاد الزراعية والصناعية والتجارية والاجتماعية فتعاون على ذلك بقاية الاخلاص . ويعذر بعضنا بعضاً في أمر الدين ثم اني أختتم الكلام بما بدأت به من حمدكم وشكركم على بذل الجهد في طاعة الدولة العلية ، وثابت كون النهضة العربية نهضة علم وعمران ترتقي بها الدولة العلية لانها نهضة مقاومة ومشاكسة للتركية ، ولكنني اذ كركم بأن الطاعة الواجبة للدولة انما هي طاعة أوامرها الرسمية الشرعية، فلا تدعوا العامة تنخدع بدعوى الاوامر السرية أو الشفوية . فضلاً عن أوامر الجمعيات والاحزاب وغيرها ، ولا سيما اذا كانت مخالفة لهداية الشرع ومصصلحة الامة والوطن « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » والسلام على من اتبع الهدى . ورجح الحق على الهوى أخوكم

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

﴿ كيف دخلت الدولة العثمانية في الحرب ﴾

لم تلبث الدولة بعد إضرام نار الحرب في أوروبا أن أهرت بتعبئة جيشها تعبئة عامة ، وان كانت قد « أعلنت الحياد » ثم بثت الاعلام في زقاني الدردنيل والبسفور ومنعت المرور منهما بعد ان آوت الى الاسانة البارجتان الألمانيان اللتان كان بطاردهما الاسطولان الانكليزي والفرنسي - وهما الدردنوط غوبن والطراد برسلو - وكانت دور الصناعة الانكليزية قد صنعت للدولة بارجتين من أحسن نوع الدردنوط وقرب موعد ارسالهما الى الاسانة فلما أعلنت انكلترة الحرب على ألمانيا أدانت الدولة العثمانية بالحاق المدرعتين باسطولها ، فساء ذلك الدولة العثمانية وطفقت جرائد الاسانة وغيرها من الجرائد العثمانية تطعن في انكلترة أشد الطعن ، ثم شاع أن الدولة تعد جيشاً في سورية للزحف على مصر وإزالة سيطرة انكلترة عنها ، ثم أعلنت الدولة إلغاء الامتيازات الاحبسية تخفيفاً ان يكون ذلك سبباً للاعتداء على رعايا دول الاتفاق الثلاثي اللواتي أنكرن هذا الالغاء وحفظن لأنفسهن الحق في العمل الذي يقتضيه ما ترتب على ذلك ، وان يكون ذلك مقدمة الحرب وسيبها ، ولكن الدولة لم تسمى معاملة أحد من الاجانب بعد إلغاء امتيازاتهم

أما الجرائد في أوردت ومصر فكانت تصور لقرائنها أن في الدولة عجز بين أحدهما ميل إلى الحرب مع ألمانيا ورئيسه أنور باشا ناظر البحرية ، وثانيهما ميل إلى الإنكسار وفرنسية ويرى إجابة رغبتهما إلى المحافظة على الحياد التام ، وأن من أعضاء هذا الحزب الصدر الأعظم سعيد حليم باشا وجمال باشا ناظر البحرية وجاويد بك ناظر المالية ، بل قال بعضهم إن من أعضائه طلعت بك ناظر الداخلية أيضا !

كانت الإنكسار أشد دول الأحلاف حرصا على محافظة العثمانيّة على الحياد ، وانتهت مهمته على أن يضمن لها استقلالها إذا هي حافظت على ذلك ، ولكن الدولة شئت ذلك الاستقلال الصهيوني الذي لا يمنع دول الأجانب أن يتفذن فيها كل ما يتفق عليه وكثيرا مما يختلف فيه ، وأن يجعل بلادها مناطق هود اقتصادي وسياسي ، وقد ضمنت لها ألمانيا أيضا الاستقلال ، وأن تعاملها معاملة الامتثال ، إذا هي انضمت إليها في هذه الحرب ، وتقدم إليها ما يحتاج إليه من المال والرجال والنفوس ، فوثق رجال الاتحاد والترقي بذلك وإن كان يرتاب فيه غيرهم من العثمانيين وكانت ألمانيا قبل هذه الحرب وبعد حرب البلقان أرسلت إلى الأستانة بعثة

عسكرية لأصلاح الجيش العثماني ، فقامت لذلك دولة الروس وقعدت ، وأرغمت وأزبدت ، ثم أنها باعتم البارجيتين غوبن وبرسلو وأرسلت إليها كثيرا من ضباط البحرية ومهندسيها فخلوا محل البعثة الإنكليزية التي كانت الدولة استحضرتها لأصلاح البحرية أمر مغادرتها الأستانة بعد الحرب ، وبذلك اشتد الجفاء بين الدولة وبين الإنكسار وأحلافها ، ووقف اسطول إنكليزي فرنسي أمام زقاق الدردنيل مرابطا مراقبا البارجيتين الألمانيتين اللتين لم تمتدّ دول الأحلاف بينهما للعثمانية . وبذلك قوي هود الألمان في الجيش العثماني وفي البحرية ، حتى قطع دول

الأحلاف الصلات السياسية معها (في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٤) على أمر مصادمة بين الاسطولين العثماني والروسي بلغ الروس أحلافهم أن الاسطول العثماني في البحر الأسود كان هو المعتدي فيها وأنه ضرب بعض المواني الروسية أيضا ، وبلغ العثمانيون الدول أن الاسطول الروسي هو الذي بدأ بالعدوان ، وأن الدولة مستعدة لتتلافى الحادثتين بالطرق السياسية ، وقد طلبت إنكسار من سفيرها في الأستانة أن يطالب الدولة العثمانية بالتوصل من تبعه العدوان على روسية وعزل البعثتين الألمانيتين البرية والبحرية ، وإخراج بحارة غوبن وبرسلو الألمانيين منها ، وإن يهملها ١٢ ساعة فإن لم تفعل فليطلب حواجز السفر ولينغاد الأستانة ، وكذلك فعل هو وسفيراً فرنسية وروسية ، وعلى إثر ذلك أطلق الاسطولان الإنكليزي والفرنسي قنابلهما على مدخل الدردنيل ، وصارت الدولة حربا لدول الأحلاف ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

خاتمة السنة السابعة عشرة

تختتم السنة السابعة عشرة بمثل ما انتهت بها من حمد الله الذي لا محمد على الصراء والضراء سواء ، والله يرحم الامر كله ولا حول ولا قوة الا بالله ، وإياه نسأل ان يقينا شر هذه الحرب الاوربية ، التي عمت رزايها جميع البرية ، فكانها عقاب من الله تعالى للبشر كافة ، لا من أوقدوا نارها خاصة ، فكسدت التيطارات ، وتصرمت جميع الماملات ، وراقبت الحكومات جميع المطبوعات ، واقطعت المواصلات والمكاتبات بين بعض الامم والاقطار ، وقلت حتى في البلاد التابعة لحكومة واحدة ، أو حكومات متحالفة متكلفة .

فكان مما أصاب المنار ان اتقطع في أثناء السنة عن المملكة العثمانية ، وبطلت الهبة بوصوله الى كثير من البلاد الشرقية والمغربية ، واقطعت عنه الحولات المالية من خارج هذا القطر ، وقل من يوفيه حقه أو بعض حقه من أهله ، لان الناس اتخذوا هذه الحرب عذرا لا يستحي من الاعتذار به الاغنياء وكثير من أصحاب الرواتب التي مازلوا يتقاضونها في أوائل الشهور لم تقصمهم الحرب منها شيئا . ولا آخرتها عن أوقاتها قل ما يرد الى المنار من المشتركين حتى لم يعد يكفي لشرفقاته ، ولم يتجدد في أيام هذا الضيق عمل جديد للمطبعة ، وغلا عن الورق وغيره ، وأما نحن فما غيرنا . ولن نغير ان شاء الله . ما جريتنا عليه من الوفاء لعمالتنا ومعاملينا ، فعمالتنا يوفون أجورهم في كل أسبوع ، ولا نشترى شيئا الا ونؤدي ثمنه دفعة واحدة ، أو أقساطا مطردة ، وقد اجازت الحكومة المصرية عند بدء الحرب ما يحيزه سائر الحكومات من تأجيل أداء الديون فلم بحملتنا ذلك على تغيير معاملتنا مع أحد لأجل هذا احببنا تطول أمد الحرب كل حساب ، وخفنا ان نتعجز عن الاستمرار على سيرنا هذا عدة سنين ، كما يقدر لهذه الحرب بعض العارفين ، فارتأينا أولا أن نقصد أجزاء السنة في سنتين ، ونقاضي الاشتراك بحسب الاجزاء بحسب الزمن الذي صدرت فيه ، وأشار علينا بعض الاصدقاء الاوفياء بأن ننقص من الاجزاء نصف حجمها ونبقي الاشتراك على حاله ، ثم نعيد الى ما كان عليه بعد الحرب ، ففزعنا العمل هذا الرأي . ولكننا عزمنا الآن على جعل سنة المنار عشرة أشهر كأكثر المجلات المصرية ، وهي سنة سننها منشئ مجلة الهلال ، ودعاني اليها عقب إنشاء المنار وقرعيت عنها حرصا على كثرة الفائدة . وإثارا لها على حب الراحة . وانما ألتأت اليها الضرورة أما الاعتقاد على المنار فما ورد علينا منه شيء لم ننشره ، فان كان أحد كتب الينا قدما لشيء ولم ننشره أو ننشر ما كان أجمع منه معاني في موضوعه فليدكرنا بذلك ، ميينا ما يراه لا يزال منتظدا الى الوقت الذي يكتب فيه ، فان قد السكلام ، من أسباب تحري السكال ، والله الموفق وله الحمد على كل حال .

ملحق

﴿ لجة النار الاسلامي في مصر ﴾

سنة ١٣٣٢

السفر الجميل في ابناء الخليل

(لأحمد اقدي زرجان)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

في اسمعيل ثم في اسحق ثم دخول المسلمين الى الشام وفوائد (في اسمعيل) في التكوين بحسب الاصل العبراني ١٦: ١٢ آدم يرى، يده في الكل ويد الكل فيه وامام جميع اخوته يسكن . وقال قبله لا م اسمعيل : لان الرب سمع لذلتك . وكلمة « يرى » مثلها بلضارع في نبوة هوشع ١٣: ١٥ يمشو كما في قاموس الاسرائيلية والمراد بقوله « يده في الكل ويد الكل فيه » التي (عم) لانه من اسمعيل، وقوله « امام جميع اخوته يسكن » ففعل نزول اسمعيل وسكنه ومعه اولاده ويان اسمائهم في التكوين ٢٥: ١٢ وهذه اسماء بني اسمعيل - فياوت بكر اسمعيل وقيدار . الى آخره اثنا عشر - ١٨ وسكنوا من حوطة الى شور الى قوله « امام جميع اخوته زل » اي اسمعيل . وحوطة الثاني عشر من بني يقطان تكوين ١٠: ٢٩ ويقطان بن حابر تكوين باب ١٠ وابراهيم ابو اسمعيل من حابر تكوين باب ١١ وفي تاريخ سوريا المطران يوسف الدبسي مجلد اول في سكنى بني يقطان « حوطة الثاني عشر من ابناء يقطان استوطنت قريته في بلاد خولان شمال اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسمعيل كما جاء في التكوين فصل ٢٥ عدد ١٨ » اه اما قاران قضي كتاب تحفة الارب قال « قاران اسم رجل من ملوك السالفة الذين اقتسموا الارض فكان الحجاز ونخومه ففاران » وقال فياوت « قاران جبال الحجاز . وقاران قرية من نواحي صفد من اعمال سرقد ، وقاران والطور كورتان من كور مصر القبلية »

ولما هاجر النبي (عم) من مكة ونزل المدينة وأهلها الاوس والخزرج وأسلمهم من بني يقطان أسلموا وأيضاً أسلم بنو يقطان الذين هم في اليمن وغيرهم . ولما قام المسلمون للفتح - بنو عدنان من بني اسمعيل وبنو يقطان وغيرهم - قومة واحدة اتصروا على الفرس والرومان واخذوا البلاد ، وفي تاريخ المدن الاسلامي لجورجي بك زيدان صاحب الخلال بمصر قال : كان اليهود بالشام يدلون العرب على هوارات المدن ضد الروم ويدخلونهم اليها فصارت يد بني عابر يد واحدة . وقوله في اسمعيل في التكوين ١٦ : ١٢ يده في الكل ويد الكل فيه . قلنا ان المراد به النبي

(ع م) لانه من اسمعيل . وياته في نبوة اشعيا ٤١: ٢ بحسب العبراني { من أمض من
 للشرق الصديق يدعوه لقدمه وفي عدد ٢٥ منه قدانته من الشمال تأتي من مشرق
 الشمس يدعو باسمي } قالوا قام الذي من مكة ديار بني اسمعيل الى المدينة مهاجرا
 ثم قام من المدينة المذورة الى مكة فاعما ودخلها من اعلاها شرقا ، والمدينة شمال مكة
 ومكة شمال حوية وحوية { خولان } شمال اليمن على نفحوم الحجاز كما سبق اليان .
 وفي نبوة اشعيا ٤٢ : ١ هونا عبدي الذي اعطته مختاري - ثم قال في عدد ٦ منه
 - فامسك يديك والعبراني « وامسكت يديك » وترجمة السكاوليك واخذت يديك أي
 امسكت يديك يانا لما في التكوين في اسمعيل ١٦ : ١٢ « يده في السكل » ثم بعد قوله
 وامسكت يديك في نبوة اشعيا باب ٤٢ ذكر في عدد ١١ ذكر ديار قidar وتجبدهم
 للرب من رؤس الحبال اشارة للحج الاسلامي وفي عدد ١٧ خروج الرب كرجل
 حروب { كتابة عن اعانة الرب وغايته للمسلمين في جهادهم وتأيدهم من الرب .
 وقidar ابن اسمعيل تكوین ١٣ : ٧٥ } (تقييه اول) في خروج اسمعيل الى الحجاز
 بحث لان وقت فطام اسحق كان عمر اسمعيل ١٧ سنة كما في شرح الاسرائيلية القرايين .
 فكيف يقال في اسمعيل عند ما كان مع امه : طرحت الورك قومي اسمعيل القلام ؟
 وصنه قدور سن يوسف بن يعقوب لما كان يرعى (١٠ سنة) كما في التكوين ٣٧ : ٢
 فالاسرائيلية اختصروا في القصة فوق فيها الارتباك . وسندثر كتابا الاشاء الله تعالى ونكلمها
 من التناويع والكتاب (تقييه نان) بعد ولادة اسمعيل لابراهيم من هاجر بحسب العبراني قال
 الرب لابراهيم { يكون اسمك ابراهيم لانني جعلتك ابا جمهور ائم } اشارت الى نسل اسمعيل
 ونسب اسمعيل الذي سألني قال الرب له (واجعلك ابا) وامره بالخطان وجهه هذا
 ابدا وعاهده ايضا على اعطائه ارض كنعان بالعام ، ثم بشره بأنه سيخطيه ابنا ايضا من
 سارة فقال ابراهيم في قلبه . هل بولد لابن مئة سنة ؟ وهل تد سارة وهي بنت تسعين
 سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسمعيل يعيش امامك . فقال الله له : حقا سارة تد لك
 ابنا وتدعو اسمه اسحق واقم عهدي معه لئلا منه من بعده ، أما اسمعيل فقد سمعت لك فيه
 ها أنا بركة وأثمرته وأكثرت - الى قوله - وعهدي أقم مع اسحق) كل ذلك في
 التكوين باب ١٧ وترجمة الصاوي هنا خلاف العبراني الذي اعترفوا بانقل عنه (والاصل
 ما ذكرنا) وفي شرح الاسرائيلية الربانيين العهد لاسحق الخطان وهو اسمعيل مع
 اسحق اه لان اسمعيل ختن قبل ميلاد اسحق . وأيضا العهد لاسحق بأرض
 كنعان بالعام كما في سفر الخروج ٣ : ٦ ومزمور ٩٠ : ١٥ التي تاهت به ابراهيم

وقسمه لاسحق ١٠ فبنته ليعقوب الى قوله فاننا اعطيت لك ارض كنعان (جنس
 حرب ابني اسمعيل اليد في الكل وجعل لبني اسحق ارض كنعان بالشام . (ملحق) ان
 الله تعالى بارك اسمعيل لاجل ابراهيم كما في التكوين باب ١٧ وبارك اسحق ايضا لاجل
 ابراهيم كما في التكوين باب ٢٦ وفي نبوة اشعيا من قول الرب ٨٠: ٤١ - ابراهيم خلي
 قال لكل لاجل ابراهيم ، وسمع الرب ذل هاجر فبذل اسمعيل ابنها يده في الكل ، تكوين
 ١٦ : ١٢ والله سبحانه وتعالى لا يخطئ وعده وهو على كل قدر اه وفي سفر اوب
 ٢١ : ٢٢ تعرف به واسلم) أي تعرف بالرب واسلم له ، والبراني « وشلام » وأيوب كان
 قبل موسى كما في حاشية الكاؤليك وقبل ابراهيم كما في مرشد الطالبين للبروتستان
 قال أصل « الاسلام » اه

(في اسحق) ركة الرب لاسحق في الارض المقدسة كما في التكوين باب ٢٦ تتقل
 من بعده الى يعقوب ثم الى داود ثم الى المسيح في اخوته . ويانه في دعاء اسحق ليعقوب
 بالوحي الالهي كما في التكوين ٢٧ : ٢٨ فليعطك الله من ندى السماء ومن دم الارض
 وكثرة حنطة ونبيذ ٢٩ ليستبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاختوتك
 وليسجد لك بنو امك . لا عنك ملعون ومباركك مبارك) فقول اسحق ليعقوب يستبد
 لك شعوب وتسجد لك قبائل . هذا ثم لداود في ارض الشام لان يعقوب لم يخضع
 له شعوب بل لداود الذي هو من يعقوب ، وسلطنته في بلاد الشام ويانه من قول
 داود في مزمو ١٨ : ٤٧ الاله المستقيم لي والذي يخضع للشعوب تحي . والبراني
 (يخضع شعوب تحي) ثم قول اسحق ليعقوب : كن سيدا لاختوتك وليسجد لك بنو
 أمك لا عنك ملعون ومباركك مبارك) وهذا المراد به المسيح لانه من داود وداود
 من يعقوب فهو نفس يعقوب ايضا وفي نبوة اشعيا خطابا للشعب اسرائيل ٥١ : ٢
 انظروا الى ابراهيم ابيكم والى سارة التي ولدتمكم لأنني دعوته وهو واحد وباركته
 واكثرته) فالمسيح في مجيئه الثاني يكون كثيرا لاختوته بني اسمعيل من ابيه ابراهيم
 ويخضع له بنو امه وهم بنو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من سارة . والسجود بمعنى
 الخضوع والخضوع يسبقه العناد ابتداء والخضوع انتهاء . وفي شرح الاسرائيلية الربانيين
 في قول اسحق ليعقوب (كن سيدا لاختوتك) قالوا كبير على بني اسمعيل وبني
 قتلوا يعني من ابراهيم وفي قوله (وليسجد لك بنو امك) قالوا بنو يعقوب اه لان
 يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من زوجته سارة ، ولا يقال في قول اسحق ليعقوب
 (كن سيدا لاختوتك وليسجد لك بنو امك) المراد به داود ايضا لان داود لم يكن

وثيسا على بني اسمعيل وفي نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ بحسب العبراني انه سمي المسيح فيها اسرائيل واسرائيل هو يعقوب، وفيها ان المسيح مجيئين: الاول لم يقبل اليهود منه، ومجيئه الثاني يكون في وقت رضاء ومجدهم ويقم الارض، وهي يان لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل بني امه ساره حدة يعقوب، وقول اسحق ليعقوب بعد قوله له كن سيدا لاخوانك وليسجد لك بنو امك - والمراد المسيح كما توضح - قال لا عنك ملعون ومباركك مبارك (فلان المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق، فلا يتأتى النصرى اذا كانوا تابعين للمسيح - كما يقولون - ان يسموا المسيح لانه كما في رسالة بولس الى اهل غلاطية ٣ : ١٣ او يسموا للمسيح ملعونا كما في مرشد الطالبين للبروتستان صحيفة ٤٤٢ طبعة سادسة سنة ١٩٠٩ لان لاعن المسيح ملعون ومباركه مبارك حسب قول اسحق . وكيف يسمون المسيح ملعونا ولا عنه ملعون ؟ سيدا اسحق من الانبياء النظام والمسيح مؤيد لنبوات الانبياء والناموس اي التريفة كما في انجيل متى ٥ : ١٧ فينو اسمعيل اخوة المسيح لايه ابراهيم على هدى نور من ربهم لايتلمز بالرب وبانبيائه واعترافهم بالمسيح (ع م) بانه من الانبياء النظام وهم ينتظرون نزوله كما اخرهم نبيهم (ع م) في الحديث (١) الشريف الصحيح . يكون المسيح في مجيئه الثاني كبيرا لهم فلذلك تقدموا في قول اسحق ليعقوب والمراد المسيح بقوله كن سيدا لاختوك اي كبيرا لهم . ولما د بني اسرائيل وانكارهم للمسيح وهم بنو امه ساره حدة يعقوب والدة ابيه وصفهم اسحق بقوله (وليسجد لك بنو امك) اشارة لخضوعهم اليه انتهاء وبلز من الخضوع العناد ابتداء ثم الخضوع انتهاء، ثم قول اسحق (لا عنك ملعون ومباركك مبارك) نقوله مبارك مبارك يراد به بنو اسمعيل ومن معهم من المسلمين لانهم يباركون المسيح كما في القرآن الشريف يحكي قول المسيح عن الرب { وجئاني مباركا اينما كنت } ولا

(١) قوله في الحديث الشريف أما ماورد في القرآن الشريف في قوله تعالى للمسيح (اني متوفيك ورافقك) الاية المراد بالتوفي النوم ومثله قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيميتك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى) فيقول النور وفاة وكان سيدنا عيسى قد نام فرقد الله وهو نائم . فلا يلحقه خوف فعنى الاية (ميتك ورافقك) انه من الخالدين وفي الزمور ٣٧ . خطاب للمسيح عدد ٣٤ . (انتظر الرب واحفظ طريقتك فرفعتك لرب الارض . وانه مزمور ٩١ وفي القرآن الشريف أيضا في المسيح) زان من اهل الكتاب الا يؤمنن به قبل موته وبرحم القضاة يكون عليهم شهيدا) أي قبل موت المسيح لان سياق الكلام فيه وهذا في مجيئه الثاني وحكمه حين ترجع اليهود الى الله تعالى وتؤمن لمسيح ثم ينتقل الى كرامة الله تعالى . ومجيئه في آخر الزمان كما في قوله تعالى في المسيح (وانه لمام الساعة) أي نزوله قرب الساعة ومثله في نبوة هوشع ٣ : ٥ في آخر الايام

يقولون في المسيح انه لئنه او ملعون بل ينكرون ذلك اشد الانكار والهداية من الله تعالى . وبناء على ما توضح فالمسلمون على هدى ونور من ربهم والمسيح مع اسحق وبنية الانبياء مؤيداً لهم كما في انجيل متى ١٧ : ٥ { تنبيه } في الامثال ٨ : ٣٠ كنت عند صانعا والبراني سريرا (ملخص) من نبوءات الانبياء بالوحى الاوهمى المبينة لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل في قول اسحق وليسجد لك بنو امك

(الاول) من نبوة اشعيا في المسيح باب ٤٩ ، بهاتفهم مضمونها ان للمسيح يرسله الرب الى بني اسرائيل بن رجوعهم الى الرب فلم يقبلوا منه فيخفيه الرب في كنفاته كناية عن حفظه ، وقال له (انت عدي اسرائيل الذي به اتجد) واسرائيل هو يعقوب إشارة لقول اسحق يعقوب والمراد المسيح (وليسجد لك بنو امك) والخضوع يلزم منه البناد ابتداء ثم الخضوع اليه انتهاء . وفي نبوة اشعيا هذه مجيئه الاول يكون في وقت دولة اليهود فلسطين وتسلط الكنة على الشعب كما في عدد ٧ منها { هكذا قال الرب لمحققر النفس لمكرهه الامة لعبد المتسلطين - } وقد انتهت دولتهم وتشتتوا قسرين مجيئه الاول، ولجيئه الثاني قال (ينظر ملوك فيقومون رؤساء فيسجدون) أي لا ينظرونه قومون اجلالا له وتعظيما (وحية الرب في وقت رضاه فينبه في خلاصهم من الامم ويقيم الارض اي بهم وهذا يتم في مجيئه الثاني . فالمسيحيون ترجوا عدد ٦ من باب ٤٩ من نبوة اشعيا هذه بخلاف الاصل والاصل العبراني وهو اصل النبوة يحكي قول المسيح عن الرب قال (سهل ، او يسير ، ان تكون لي عبدا لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجعلك نورا لام لتكون خلاصي الى اقصى الارض) فقالوا بذلك قال (قليل ان تكون لي عبدا لتقيم - او لاقامة - اسباط يعقوب ورد محفوظي اسرائيل فقد جعلتك نورا للامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض) بناء على قول بولس كما في اعمال الرسل ١٣ : ٤٧ - قد افنتك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض) وقصدهم جعل الامم بدل بني اسرائيل وهذا خلاف الاصل وحرىف للنبوة عن اصلها وموضوعها كأن الرب الذي ارسل للمسيح (ع) لم يعرف ما يستحقه المسيح من الوظيفة وقد فاتهم ما ذكر في عدد ٨ منه في وقت رضاه اجبتك وفي يوم خلاص اعنتك وحفظتك الى قوله - لتقيم الارض اي الشعب في الارض ومعنى نورا لامم اي موصيا في مجيئه الثاني كما في نبوة اشعيا ٤٥ : ٤ (هوذا جعلته شارعا) والبراني شاهدا للشعب رئيسا وموصيا) وفي الامثال ٦ : ٧٣ (لان الرصبة مصباح) اي نور بني يوصي بتوحيد الرب واطاعته واماجيئه الاول كان

مرسولا كما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٥ جابلي من البطن عبدا له لارجاع يعقوب ، أي بني يعقوب اه ولا عبدة بقول النصارى « ومنزى وحرفي » لان التحريف ممنوع كما في نبوة ارميا ٢٣ : ٣٦ - كلمة كل انسان تسكون وحده اذ قد حرفتم كلام الاله الحي - (الثاني) من نبوة ميخا ٥ : ٢ - امت يا بيت لحم - يخرج لي الذي يكون حاكما على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل ، اي مخارجه في مجيئه الاول منذ (١) القدم بالنسبة لمجيئه الثاني وحكمه الذي ابتداء النبوة فيه ولذلك قال : لذلك يسلمهم الى حين تلد الوالدة) اي يتركهم للضييق مثل الوالدة لا تلد وهذا في مجيئه الاول لتناديهم ثم في مجيئه الثاني يذنه بقوله (ثم ترجع بقية اخوته الى بني اسرائيل) ويقف ويرعى بقدرة الرب بظمة اسم الرب لله ويسكنون لانه الآن بتعظيم الى اقاصي الارض ٥ ويكون هذا سلاما .) اي ترجع بقية اخوته الذين في الخارج على الموجودين بالتمام ويرعاهم جميعا بقدرة الرب ويسكنون ويكون سلام لان بتعظيمه الى اقاصي الارض يسهل رجوع الذين في الخارج الى الارض للقدسة بالتمام ، وهذا معنى ما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٦ لتكون خلاصي الى اقاصي الارض ، اي خلاص بني اسرائيل (ثالث) من نبوة هوشع ٣ : ٤ لان بني اسرائيل سيقعدون اباما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس الى قوله - وبعد ذلك يعود والعبراني يرجع بنو اسرائيل ويطلبون الرب لهم والى حاود ملكهم - الى قوله في آخر الايام) والمراد بداود ملكهم المسيح لانه من داود وداود من يعقوب . المعنى ان بني اسرائيل يقعدون اباما كثيرة حياري بلا رئيس وبعد ذلك يرجعون عن الغناد ويطلبون الرب لهم ويرجعون الى داود ملكهم وبازم من رجوعهم اليه عنادهم ابتداء معه فالنصارى تركوا « الى » في قوله الى داود ملكهم فقالوا وداود ملكهم تحريفا بالتقصان اه

(ملحق) قول لاهل الكتاب لا تستفروا أن للمسيح مجيئين حسب نص نبوءات الانبياء للقدسة عندكم والله على كل شيء قدير بأن يحفظ المسيح من الاعداء ويأتي به حسب ما تنص فيه حكمته ، ومثل ذلك ايلا وضعه الله الى السماء كما في ملوك الثاني ١١ : ٢ - فصعد ايلا في العاصفة الى السماء) وفي نبوة ملاخي من قول الرب ٤ : ٥ (ها انذا ارسل اليكم ايلا النبي قبل مجيئ يوم الرب اليوم العظيم والخوف) : العبراني « ها الياهو » وفي حاشية الكاثوليك على نبوة ملاخي قالت التقليد الراهن والتحقق

(١) منذ القدم يطابق على الزمن الماضي اتقدم قدم وانزل كتابي مزموور ١٠٤ : ١ - في ايامهم في ايام القدم وفي نبوة اشعيا ٤٥ : ٦٤ ومنذ الازل لم يسعوا)

عليه عند عموم اليهود والمسيحيين ان ايليا النبي مجيء بشخصه في متنبى العالم لمقاومة
الدجال وقد صرح بذلك السيد المسيح نفسه (مت ١٧: ١١ ومرقس ١٩: ١) اه
وقولهم «في متنبى العالم» نص النبوة قبل مجيء «يوم الرب» وفي شرح الاسرائيلية الربانيين
قال: قبل مجيء اليوم العظيم اه فاذا كنتم يا اهل الكتاب مصدقين بكتابكم يلزم ان
تصدقوا بجميعه خصوصاً نبوات الانبياء لا ان تصدقوا البعض وتشكروا البعض الآخر
(تنبهات) (الاول) في ترجمة المسيحيين لداود مزمو ٢٢: ١٦ (تقبوا يدي
ورحلي) الاصل العبراني كاسديدي ورحلي وفي حاشية كتاب البروتستانت أوكاسد.
فقد اعترفوا. وقول داود في مزمو ٢٢: ١٦ (كأسديدي ورحلي) بناء على قول
يعقوب في يهوذا ابنه كما في التكوين ٤٩: ٩ يهوذا شبل أسد الى قوله كأسد) وللمراد يهوذا
داود لانه من يهوذا وسلطته بالشام (اثاني) في نبوة أشميا باب ٤٣ عدد ٨ - انه ضرب
من أجل ذنب شعبي) والاصل العبراني «لهم ضربة» يعني الشعب ولفظها العبراني «لاموا»
فتركوا «لهم» وقالوا ضرب ، وفي عدد ١٠ منه - ان حمل نفسه ذبيحة اثم. كلمة ذبيحة
زادوها. والاصل العبراني خضب نفسه آثماً، ولفظهم قوله بهدها «يرى نسلنا» وللمراد
الشعب لا للمسيح وفي عدد ٦ - وضع عليه اثم جميعنا - وللمراد الشعب ويانه في مراني
النبي أرميا ٧: ٢ أبؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم) فرائي أرميا
هي يان نبوة أشميا باب ٥٣ وقد اعترف الكاتوليك والبروتستانت كما في كتبهم انهم
يتبرجون من الاصل العبراني وهنا خالفوا ونسبوه للاصل العبراني (الثالث) نبوة زكريا
باب ١٢ وباب ١٣ تمت في يهوذا وأخيه يوناثان من المكابيين من بيت هرون) وعبارتهم
ا في سفر المكابيين الاول وهو من الاسفار القانونية عند الكاتوليك والاورتدكس ،
والبروتستانت تعتبر تاريخاً لليهود (الرابع) في نبوة أشميا ٧: ١٤ - ها المذراء تجبل
وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (الاصل العبراني الفتاة تجبل والكلمة العبرانية مثلها
حرفين في هاجر لما كانت حاملاً باسمعيل كما في التكوين ١٦: ١٩ - هأنت (جبل) وفي قاموس
البروتستانت للكتاب (عمانوئيل) اسم ولد في أيام أشميا الخ (الخامس) في نبوة أشميا
٦: ٩ - لانه ولد لنا ولد ونعطى ابناً الى قوله مشيراً إلهاً الخ وترجمة الكاتوليك لانه قد
ولد لنا ولد أعطي لنا ابن الى قوله مشيراً إلهاً الخ مثل العبراني في شرح الاسرائيلية
الربانيين هو - زفيا أي ملك يهوذا اه ويطلق عند الاسرائيلية على النضاة والرؤساء
آلهة كما في سفر الخروج في العبد الذي يعتق ٦: ٢١ يقدمه سيده الى الله والعبراني
لى الآلهة . وترجمة الكاتوليك يقدمه مولاه الى الآلهة) وفي حاشيتهم أي النضاة

وفي سفر الخروج ١٠:٧ فقال الرب لموسى - أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، العبراني جعلتك
 آلهة لفرعون { فيطلق الجمع ويراد به المفرد من باب التظيم ومثله في صموئيل أول
 ١٣:٢٨ (السادس) في أنجيل يوحنا من قول المسيح لليهود ٣٤:٧ ستطلبوني ولا
 تجدوني -) وفي أنجيل يوحنا ١٢: ٣٤ - نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يقي
 الى الابد - ٣٤ فقال لهم يسوع التور همكم - فسيروا مادام لكم التور -) والناموس
 نور كما في مزور ٩ : ٧ : ناموس الرب كامل الى قوله ينير العينين، ومثله في مزور
 ١٩: ١٠٥ - مراجع لرحلي كلامك ونور لبيلي) والمسيح مؤيد للناموس والانبياء كما في
 انجيل متى ٥ : ١٧

(فصل في ميلاد المسيح) من قول يعقوب بلوحي في يهوذا ابنه كما في التكوين
 ١٠: ٤٩ لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجله الخ معنى المشترك معطي
 الشريعة وتحققها فالمراد يهوذا داود لانه من يهوذا وسلطنته بالنام والمشتري من بين
 رجله أي مابين الشريعة وهو المسيح لانه ولد من أنثى من نسل داود من بين
 رجلها ، والكلمة مثلها في التثنية ٥٧: ٢٨ بشيئتها الخارجة من بين رجلها، كما في
 القاموس العبراني، والمشيئة غشاء المولود، وبيانه في نبوة أرميا ٢٢: ٣١ لان الرب قد
 خلق شيئاً حديثاً أي جديداً في الارض اني تحيط برجل ٢٣ هكذا قال رب الجنود -
 سيقولون بعد هذه الكلمة أو انقول في أرض يهوذا ومدنها عند ما أورد سيهم يباركك
 الرب يا مسكن البر يا ألها الخيل للقدس ٢٤ فيسكن فيه « والعبراني «يسكن» فيه يهوذا
 وكل مدته مماً) أي عند ما يرد الرب سيهم ويسكنون بولد المسيح من غير أن يحتاج
 الله تعالى لذلك - كما توضح - فكما خلق الرب حواء من آدم من ضلع من أضلاعه كما في
 التكوين ٢: ٢١ و ٢٢ و ٢٣ خلق المسيح من أمه كما توضح من قول يعقوب ونبوة
 أرميا، وقول الاسرائيلية في شروحه على نبوة أرميا هذه (أن المراد بالانثى أوورشلیم
 أو الارض، والرجل الشعب. لم يذكر في الكتاب أنثى ويراد بها أوورشلیم أو الارض
 وأما وود انثى ويراد بها أمنا حواء كما في التكوين ١: ٢٧ - ذكر وأنثى خلقهم) أي آدم
 وحواء وأم المسيح مثل أمها حواء وأما اليهود أخفوا نبوة أرميا هذه عن النصارى
 وأبدلوها بشكل آخر وترجموا في السبعينية اليونانية بما يأتي وجعلوا باب ٣١ عبرانية لنبوة
 أرميا باب ٣٨ سبعينية وقالوا في السبعينية بدل قوله خلق الرب شيئاً جديداً في الارض أنثى
 تحيط برجل الخ قالوا الرب خلق خلاصاً للناس سيدورون في الخلاص
 لانه هكذا يقول الرب الخ والترجمة السبعينية موجودة ومعلوبة باليوناني وبالانكليزي

من اليوناني (تنبيه) في الترجمة السبعينية التي كان عليها النصارى أولاً ثم من بعد أزمعة قالوا ترجمنا العهد القديم من الاصل المبراني كما في كتبهم وقلوا كتاب الاناجيل أخذوا من السبعينية أنظر المجلد الثالث من كتاب الكاتوليك ومرشد الطالبين للبروتستان وفي كتاب ذخيرة الالباب في بيان الكتاب لا كاتوليك طبع بيروت قال في الترجمة السبعينية لم يترجم فيها الا الاسفار الخمسة الاولى أما بقية العهد القديم فقد ترجم في أحصاء مختلفة، ثم ذكر ان الترجمة السبعينية دخلها أغلاط الى أن قال ان ايريميوس الذي كان يعرف المبرانية ترجم العهد القديم من المبرانية وايريميوس الذي تعلم المبرانية كان في اواخر القرن الرابع، وفي مرشد الطالبين للبروتستان ان ايريميوس ترجم في أوائل القرن الخامس، والتوراة عند اليهود تطلق على الاسفار الخمسة الاولى وبقية العهد القديم وان كان عندهم مقدساً لا يطلقون عليه توراة، والنصارى يطلقون التوراة على كل العهد القديم (في الاناجيل) في قاموس الكتاب للبروتستان قل في الاناجيل انها كانت مستعملة في الكنائس قبل سنة ٢٠٠ مائتين وبعثا قبل سنة ١٥٠ أي بعد الميلاد بقوله « ربما » شك منهم وفي مقتطف مارس سنة ١٩١٢ تقيظ رسالة في الاناجيل للاب الطنون رباط اليسوعي قال عليها ان الادلة التاريخية التي أوودها يرتقي بعضها الى أواسط القرن الثاني وكانت كما هي عليه الآن منذ أواخر القرن الثالث اه والحواريون ماتوا قبل أواسط القرن الثاني أي قبل سنة ١٥٠ قبل ذلك الاناجيل ليست من تصنيف الحواريين أتباع المسيح وإنما هي روايات فيها وفيها، فالذي يوافق منها نوات الانبياء حرفياً في الموضوع بدون زيادة أو نقصان أو تغيير حسب الاصل المبراني الذي اعتمدوه أخيراً يصح قبوله لان المسيح مع الانبياء اه

(فصل في دخول المسلمين الى الشام) النصوص كثيرة إنما نذكر منها ما يأتي في قوة حجةي بحسب المبراني من قول الرب ٦: ٢ - بعد قليل نازل السموات والارض - ٧ وازلزل كل الامم ويأتون احسن كل الامم او افقر كل الامم قائلين هكذا لبيت مجدنا - ٩ وفي هذا المكان اعطي السلام) فقد انت أمة الاسلام وهي احسن كل الامم لانها على التوحيد وتعظم الرب والايمان بانبيائه واحترامهم واعطيت السلام والامان وبنيت بيت الرب في المدينة المقدسة بعد ما كان البيت خراباً وامتلأ البيت مجدنا لعبادة الرب فيه ، اما ترجمة النصاري هنا في قولها « ويأتي مشتهى كل الامم » خلافاً للاصل المبراني والمبراني بالجمع « ويأتون » وفي عدد ٢٠ منه وصارت كلمة الرب ثانية - كلم زوبابل والي يهوذا قالوا « اني ازلزل السموات والارض ٢٢

